سمرقندی ١٠٧

قد وهب لي هذا الكتاب أحمد بن محمد التوقاني ابتغاء لوجه الله وطلبا لمرضاته فالله يجازيه بأحسن الجزاء
في سنة ١٠٣٩ في أواخر ذي الحجة الشريفة

ثم إنه لما دخل بيني وبينه بعض الحسد والمنافقين الستر هبته فعلا لا قولا ونحن من الذين
يستغنون من الناس وبما في أيديهم والحمد لله تعالى لسنا من الذين يطمعون بطمع أهل الدنيا
لأنهم خالون عن الحلال ابتداءً لأن حروف الطمع خالية أجوافها فنعوذ من هذا لأن ما لا يحمل
لله لا يقبله الله ولا يقبله الصالحون ونحن تخلقنا بأخلاق الله واتصفنا بالصالحين
ورددنا كتابه عليه فالله تعالى يجازي الحق عبدا بما في قلبه فنستعيذ بالله من أهل الفتنة
وهذا كوعلامة تكفي لأهل الفطنة
في سنة ١٠٤٠ في أواخر شعبان المعظم

من تفسير السمرقندي
من أول سورة الأسرى إلى آخر سورة لقمان

بسم الله الرحمن الرحيم سبحان الذي اسرى بعبده ليلا سبحان اسم بمعنى
التسبيح الذي هو التنزيه وقد استعمل علما له كعثمان للرجل فيقطع عن الاضافة ويمنع
الصرف قال قد قلت لما جاءني فخره سبحان من علقمة الفاخر وانتصابه بفعل مضمر متروك
اظهاره تقديره اسبح الله سبحان بمعنى تسبيحا ثم نزل منزلة الفعل فناب منابه
كقولهم معاذ الله وغفرانك وغير ذلك وقيل تصدير الكلام به عن التنزيه المعجزات
كما ذكره بعد واسرى وسرى بمعنى واحد اي سار ليلا ومنه السرية لواحدة السرايا
لانها تسري في خفية واسرى بعبده اي سيره ليلا وانما ذكر الليل مع ان الاسراء لا يكون
الا بالليل للدلالة على تقليل المدة وانه اسرى في بعض الليل فيكون من الاطناب الذي يحصل
بالتتميم والعبد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وليلا نصب على الظرف وفي تنكيره الدلالة على تقليل
مدة الاسراء وانه اسرى به في بعض الليل من مكة الى الشام مسيرة اربعين ليلة وذلك
ان تنكيره قد دل على معنى البعضية ويشهد لذلك قراءة عبد الله وحذيفة من الليل اي بعضه
كقوله ومن الليل فتهجد به يعني الامر بالقيام في بعض الليل فان قلت ففيم اسرى به
قلت قال صلى الله عليه وسلم اسري بي في قفص من لؤلؤ فراشه من ذهب من المسجد الحرام
بعينه لقوله عليه السلام بينا انا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان
اذ اتاني جبريل بالبراق وقيل اسرى به من دار ام هانئ بنت ابي طالب ومعنى
من المسجد الحرام من الحرم وسماه المسجد الحرام لاحاطته بالمسجد والتباسه به وعن
ابن عباس الحرم كله مسجد وروي انه كان نائما في بيت ام هانئ بعد صلاة العشاء فاسري
ورجع من ليلته وقص القصة عليها وقال مثل لي النبيون فصليت بهم وقام ليخرج الى
المسجد فتشبثت ام هانئ بثوبه فقال ما لك قالت اخشى ان يكذبك قومك ان اخبرتهم
قال وان كذبوني فخرج فجلس اليه ابو جهل فاخبره رسول الله بحديث الاسراء فقال
ابو جهل يا معشر بني كعب بن لؤي هلم فحدثهم فمن بين مصفق وواضع يده على راسه تعجبا
وانكارا وارتد ناس ممن آمن به وسعى رجال الى ابي بكر فقال ان كان قال ذلك لقد صدق
قالوا اتصدقه على ذلك قال اني لاصدقه على ابعد من ذلك فسمي الصديق وعن جابر قال
النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى رفع لي بيت المقدس وانا عند الكعبة فجعلت انظر اليه والى ما فيه ولقد رايت
جهنم واهلها فيها واهل الجنة في الجنة قبل ان يدخلوها كما انظر اليكم فاخبرت بذلك قومي فكذبوني
غير ابي بكر الصديق رضي الله عنه وفيهم من سافر الى ثمة فاستنعتوه المسجد فجلي له بيت المقدس فطفق
ينظر اليه وينعته لهم فقالوا اما النعت فقد اصاب فقالوا اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم بعدد جمالهم
واحوالها وقال يقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل اورق فخرجوا يشتدون ذلك اليوم نحو
الثنية فقال قائل منهم هذه والله الشمس قد شرقت فقال آخر هذه والله العير قد اقبلت
يقدمها جمل اورق كما قال محمد ثم لم يؤمنوا وقالوا ما هذا الا سحر مبين وقد عرج به الى السماء في تلك الليلة العروج به من بيت المقدس
واخبر قريشا ايضا بما راى في السماء من العجائب وانه لقي الانبياء وبلغ البيت المعمور وسدرة المنتهى واختلفوا في وقت الاسراء
فقيل كان قبل الهجرة بسنة وعن انس والحسن انه كان قبل البعث واختلف في انه في اليقظة او في المنام والاكثر على انه اسرى
بجسده وروحه جميعا الى بيت المقدس ثم الى السموات ثم ما شاء الله من العلى ولذلك تعجب قريش واكبروه غاية الانكار واحالوه
والاسراء في المنام او بالروح ليس مما ينكر كل الانكار والاستحالة انما يبتنى على اصول الفلاسفة والا فالخرق على السموات جائز والاجسام
متماثلة عن كل منها ما يصح على الآخر والله قادر على كل الممكنات كلها وقيل الاستحالة مدفوعة بما ثبت في الهندسة ما بين طرفي
قرص الشمس ضعف ما بين طرفي كرة الارض مائة ونيفا وستين مرة ثم ان طرفيها الاسفل يصل موضع طرفها الاعلى
في اقل من ثانية وقد برهن في الكلام ان الاجسام متساوية في قبول الاعراض وان الله قادر على كل الممكنات فيقدر ان
تخلق مثل هذه الحركة السريعة في جسد النبي وفيما يحمله والتعجب من لوازم المعجزات وعن عائشة رضي الله عنها انها قالت
والله ما فقد جسد محمد ليلة المعراج وعن معاوية انه سئل عن المعراج فقال كانت رؤيا صالحة وعن الحسن
كان في المنام رؤيا رآها وقالوا الصحيح انه صلى الله عليه وسلم انما راى ربه بفؤاده لا بعينه والايماء الى ظاهر قوله ان الله
تعالى اعطى موسى الكلام واعطاني الرؤية وفضلني بالمقام المحمود والحوض المورود وذلك ان الرؤية بالفؤاد يعمها
كثير من الامة وانما الاختصاص في الرؤية بالعين الى المسجد الاقصى هو بيت المقدس وانما قيل اقصى لانه لم يكن
خلفه مسجد وهو ابعد المساجد من مكة وقيل لانه ابعد المساجد التي تزار الذي باركنا حوله ببركات الدين
والدنيا لانه مقر الانبياء ومتعبدهم ومهبط الملائكة والوحي ومحفوف بالانهار والاشجار المثمرة لم
لنريه من آياتنا الكبرى كذهابه في برهة من الليل مسيرة اكثر من شهر ومشاهدته بيت المقدس وتمثل الانبياء
ووقوفه على مقاماتهم وصرف الكلام من الغيبة وهو اسرى الى التكلم لرعاية الافتنان وما يعطيه
من الحسن والروعة وللتعظيم والتفخيم لان من هذه افعاله وصفاته فانه لما قال باركنا فخم بالاسناد الى
ضمير الواحد المطاع ثم علله بما ينبئ عن العظمة والتمجيد فضوعفت الفخامة من طريقين وقيل للتعظيم تلك البركات
والآيات وهو بعيد عن السداد ومن تبعيضية لان ما اراه الله في تلك الليلة انما هو بعض آياته العظمى
واضافة الآيات الى نفسه على سبيل التفخيم لها والتعظيم لان المضاف الى العظيم يعظم بالاضافة اليه وهذا الضمير
مما زاد الكلام فضل توكيد ولو قيل من الآيات لم يكن بتلك الوكادة وقرا الحسن ليريه بالياء وروي
الحلواني عنه لنريه بفتح النون انه هو السميع لاقوال محمد البصير العالم بافعاله وتهذيبها وخلوصها فيكرمه
ويقربه على حسب ذلك ولما نطق القرآن بانه تعالى سميع بصير فوصفه بالسمع والبصر مستفاد من النقل دون
العقل اجمع المسلمون على انه سميع بصير وهذا الاجماع مستند الى الكتاب والسنة ايضا ولا يلزم من قدمها
قدم متعلقهما كسائر الصفات ومتعلقاتها ثم اختلفوا في معناه فقال كثير من اهل السنة والمعتزلة
والكرامية انهما صفتان زائدتان على العلم وقال الكعبي وابو الحسين البصري وفلاسفة الاسلام ان السمع
والبصر نفس العلم بالمسموعات والمبصرات عند حدوثهما فيكونان حادثين عائدين الى العلم لا صفتين
زائدتين عليه وقال بعضهم اذا نظر في ذلك من حيث العقل لم يوجد وجه غير ما ذكره هؤلاء فان

اثبات صفتين شبيهتين بسمع الحيوانات وبصرها مما لا يمكن بالعقل والاولى ان يقال لما ورد النقل بهما امنا
بذلك وعرفنا انهما لا يكونان بالالتين واعترفنا بعدم الوقوف على حقيقتها وذهب الجبائيان الى ان المعنى بكونه
تعالى سميعا بصيرا انه حي لا آفة به ومما صلحهما ان حقيقة السميع والبصير شاهدا بضا غايبا فالدليل على انه تعالى
سميع بصير على الحقيقة ان الحيا اذا خرج عن كونه سميعا بصيرا لزم اتصافه بكونه ما وفا اذ كل قابل لنقيضين على البدل
لا واسطة بينهما يستحيل خلوه عنهما فاذا تقدر استحالة كونه ما وفا تقرر اتصافه بكونه سميعا بصيرا قال امام
الحرمين ومعنى السميع الذي يسمع كل مسموع من غير آلة كسبب ولو كان السميع بمعنى العليم لكان ذلك تكرارا في
قوله تعالى وانه السميع العليم هي حقيقتهما والبصير الذي يبصر المبصرات كلها بحيث لا يعزب عنه شيء منها
من غير اداة ولا يتطرق كما يتكلم من غير آلة الكلام وهو اللسان ويعلم من غير اداة العلم وهو القلب وسمعه وبصره
كل منهما منزه عن ان يتطرق الحدثان كسائر صفاته العليا المقدسة عن شائبة نقصان واتينا موسى الكتاب
وجعلناه هدى لبني اسرائيل هاديا او كاملا لهم وضع المصدر موضع الوصف للمبالغة الا تتخذوا وقرأ ابو عمرو
بالياء على لئلا يتخذوا او كراهة ان يتخذوا وعلى زيادة لا والباقون بتاء الخطاب وهو ابلغ لما فيه
من التنقل من الغيبة الى الخطاب على معنى لئلا تتخذوا وكراهة ان تتخذوا وجعل ان مفسرة كقولك كتبت
اليك ان افعل كذا من دوني وكيلا ربا تكلون اليه اموركم ذرية من حملنا مع نوح نصب على الاختصاص او النداء
فيمن قرأ الا تتخذوا بالتاء او على انه احد مفعولي لا تتخذوا اي لا تجعلوهم اربابا كقوله ولا يأمركم
ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا ومن دوني حال من وكيلا ومن ذرية محمولين مع نوح عيسى عزير
وقرأ بالرفع على انه خبر محذوف او بدل من واو تتخذوا وقرأ زيد بن ثابت ذرية بكسر الذال وتخفيفها
مثل بريّة كذا قال صاحب الغرائب في القراءات ثم قال وروي عن عاصم الاحول ان زيد بن ثابت كان
يقرأ ذرية بفتح الذال وتشديد الراء والياء وعن زيد بن علي ومجاهد بكسر الذال وتشديدهما
وروي عنه انه قد فسر بولد الولد ذكرهم الله انعام عليهم في انجاء ابائهم من الغرق بحملهم مع نوح
في سفينته انه ان نوحا عليه السلام كان عبدا شكورا يحمد الله على مجامع حالاته كان نوحا اذا اكل قال الحمد لله
الذي اطعمني ولو شاء اجاعني واذا شرب قال الحمد لله الذي سقاني ولو شاء اظمأني واذا
اكتسى قال الحمد لله الذي كساني ولو شاء اعراني واذا احتذى اي لبس النعل قال الحمد لله حذاني
ولو شاء احفاني واذا قضى حاجته قال الحمد لله الذي اخرج عني اذاه في عافية ولو شاء حبسه
وروي انه كان اذا اراد الافطار عرض طعامه على من آمن به فان وجده محتاجا آثره به وهو تعليل
لعدم الاتخاذ المراد به عدم الاشراك كانه قيل لا تتخذوا من دوني وكيلا ولا تشركوا
بي احدا لان نوحا كان عبدا شكورا وانتم ذرية من آمن به وحمل معه فاقتدوا به كما اقتدى
به اباؤكم ولاختصاصهم والثناء عليهم بانهم اولاد المحمولين مع نوح فهم متصلون به فا
فاستأهلوا لذلك الاختصاص ويجوز ان يقال ذلك عند ذكره على سبيل الاستطراد
وهو ذكر غير مسبوق له الكلام اذا كان له تعلق ما به وقيل الضمير في انه راجع الى موسى وهنا

وج

وجه آخر وهو ان يكون عائدا الى كل واحد منهما وهو ليس ببعيد من السداد وقضينا الى بني اسرائيل واوحينا اليهم وحيا
مقضيا مقطوعا مبتوتا بانهم يفسدون في الارض ويعلون اي يتعظمون ويبغون في الكتاب في التوراة وقرأ سعيد بن جبير
وابو العالية في الكتب بضم الكاف وقوله لتفسدن في الارض جواب قسم محذوف او قضينا بان اجري القضاء المبتوت مجرى
القسم كانه قال واقسمنا لتفسدن في الارض مرتين فسادتين مصدر العامل فيه من غير لفظه اي بعد افساد قيل اولهما
قتل زكريا عليه السلام وحبس ارميا ونزوح بسخط الله وثانيهما قتل يحيى وقصد قتل عيسى وفيه نظر
وقيل اولهما مخالفة احكام التوراة وقتل شعيا وثانيهما قتل زكريا ويحيى وقصد قتل عيسى وقيل اولهما ان بني
اسرائيل تعظموا وتكبروا واستحلوا المحارم وقتلوا الانبياء وسفكوا الدماء وذلك اول الفساد فسلط عليهم
بخت نصر وهو مجوسي بابل فقتل منهم اربعين الفا ممن يقرأ التوراة وذهب بالبقية الى ارض نفسه
فبقوا هناك في الذل الى ان قيض الله ملكا آخر غزا اهل بابل وتزوج بامرأة من بني اسرائيل فطلبت منه ان يرد
بني اسرائيل الى بيت المقدس فرجعوا الى احسن ما كانوا وثانيهما قتل زكريا ويحيى وقيل الاولى بخت نصر
وجنوده والاخرى خردوش وجنوده وقرأ ابن عباس وابن مسعود لتفسدن بالتاء مبنيا للمفعول وعن ابن
عباس وجابر ابن زيد ونصر بن عاصم لتفسدن بالتاء والياء للمفعول ولتعلن علوا كبيرا قيل ولتتكبرن عن
طاعة الله ولتظلمن الناس وقرأ ابو البرهسم ليفسدن وليعلن بالياء فيهما وقرأ زيد بن علي عليا كبيرا
بكسر العين واللام فاذا جاء وعد اولاهما وعد عقاب اولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا هم بخت نصر وجنوده وهو المروي
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم برواية حذيفة وقيل سنحاريب وجنوده وكان ملك بابل على ما رواه محمد بن
اسحاق وعن ابن الحنف وعن ابن عباس جالوت قتلوا علماءهم واحرقوا التوراة وخربوا المسجد وسبوا منهم سبعين
الفا وقرأ الحسن وابو البرهسم عبيدا لنا اولي بأس شديد ذوي قوة وبطش في الحرب شديد فجاسوا
فترددوا ليطلبوكم خلال الديار وسطها للقتل والنهب والسبي فخربوا المسجد واحرقوا التوراة من جملة الجوس
المسند اليهم وقيل اي فطافوا وترددوا في الديار للقتل والغارة ينظرون هل بقي منهم احد فيقتل اوملا فغار والجوس
طلب الشيء باستقصاء وقرأ طلحة فحاسوا بالحاء وهما اخوان وقرأ فجوسوا خلال الديار قيل واحد خلال مثل
جبال اجبل والمعتزلي لما منعوا تسليط الله الكافر على ذلك اولوا البعث بالتخلية والمنع وكان وعدا مفعولا وكان وعد عقابهم
وعدا لابد ان يفعل ثم رددنا لكم الكرة اي الدولة والغلبة والكرة مصدر والاصل من كر كرا كرة عليهم على الذين
بعثوا عليكم حين تبتم عن الفساد والعلو وقيل هي قتل بخت نصر واستنقاذ بني اسرائيل اسراهم واموالهم
ورجوع الملك اليهم وقيل هي قتل داود جالوت وقيل القى الله في قلب بهمن بن اسفنديار لما ورث
الملك من جده كشتاسف بن لهراسف شفقة عليهم فرد اسراهم الى الشام وملك دانيال عليهم
فاستولوا على ما كانوا فيه من اتباع بخت نصر وعليهم متعلق بالكرة لانه يقال كر عليه او حال منه او متعلق
برددنا فان قلت ان بخت نصر كان مؤمنا ام لا قلت قال وهب اختلف اهل الكتاب فيه فقال بعضهم
مات مؤمنا وقال بعضهم انه احرق بيت الله وكتبه وقتل الانبياء فغضب الله عليه فلم يقبل توبته وعن
وهب ايضا ان الله مسخ بخت نصر نسرا في الطير ثم مسخه ثورا في الدواب ثم مسخه اسدا في الوحوش

وكان مسخه سبع سنين وقلبه في ذلك قلب انسان ثم رده الله اليه ملكه فامن وقيل لطمه ملك من الملائكة لسطوته
فطار في الوحوش ومسخه الله له سبع سنين وقال السدي رجع بعد النصر الى صورته بعد السبع ورد الله اليه ملكه
وكان في عهده دانيال عليه وقيل في عهده ايضا الطبريين على بيوتا به وامددناكم باموال وبنين وقويناكم وكثرناكم باموال
وبنين ومنه امدا الجيش اذا قواه وكثره بمدد وجعلناكم اكثر نفيرا عددا بالكثرة والنفير قيل من ينفر مع الرجل
من قومه وقيل جمع نفر كالعبيد والمعين وهم النفر القوم النافرون الى عدو او غيرها ومنه قولهم فلان لا في العير
ولا في النفير وقيل اسم للجماعة وقيل مصدر وسمي به والنصب على التمييز ان احسنتم احسنتم
لانفسكم وان اساتم فلها احسان الاعمال واساتها كلاهما مختص بكم لا يتعدى ثوابها ووبالها الى غيركم بناء
على ان اللام على اصله وهو الاختصاص وقيل اللام بمعنى على كقوله وعليها ما اكتسبت وعن علي رضي الله عنه
ما احسنت الى احد ولا اسات اليه وتلاها وقيل وان اساتم فلها فاتوبوا اليها عليها وانما ذكر اللام ازدواجا فاذا
جاء وعد الاخرة وعد عقوبة المرة الاخرة بعثناهم فحذف لدلالة ذكره عليه اولا عليه ليسوءوا وجوهكم اي
ليجعلوا بادية اثار المساءة والكآبة فيها كقوله سيئت وجوه الذين كفروا وقرا ابن عامر وحمزة وابو بكر
ليسوء على التوحيد والضمير لله تعالى او للوعد او للبعث وتؤيده قراءة الكسائي لنسوء بالنون وفي
قراءة علي رضي الله عنه لنسوءن وليسوءن وقرئ لنسوءن بالنون الخفيفة وهو على الوجوه الاربعة بفتح
اللام والنون على انه جواب قسم مقدر وشرطا عن سادمسد الجوابين كقوله لاحتنكن ذريته وليحبطن
عملك وفيه غنية عن تقدير جواب قال ابو حاتم بلغنا ان في مصحف ابي بن كعب ليسئ بضم الياء وكسر السين وقرئ
ليسوءوا بتشديد الواو مفتوحة بغير همزة واللام في قوله وليدخلوا المسجد متعلق بمحذوف وهو بعثناهم
وانما جاء بالواو ليعلم انه عطف على جواب اذا اي ليدخلوا المسجد الاقصى ويخربوه كما دخلوه اول مرة وخربوه و
ليتبروا ليهلكوا ما علوا كل شيء غلبوه واستولوا عليه او بمعنى مدة علوهم تتبيرا اهلاكا قال قتادة سلط عليهم
بخت نصر فسبى وخرب وقيل سلط عليهم الروم والفرس خردوش وططبوس بن اسبانوس
حتى قتلوا منهم وسبوهم ونفوهم من ديارهم قال خردوش لرجل من عظماء جنوده يقال له بنوزرادان اني
كنت حلفت بالهي ان ظفرت على اهل بيت المقدس لاقتلنهم حتى تسيل دماؤهم وسط عسكري فامره ان
يقتلهم فدخل بنوزرادان بيت المقدس فقام في البقعة التي كانوا يقربون فيها قربانهم فوجد فيها دما يغلي
فسألهم عنه فقالوا دم قربان لم يقبل منا منذ كذا فقتل على ذلك الدم الوفا من رؤسائهم وعلمائهم
ونسائهم وازواجهم فلم يهدأ الدم ثم قال ان تصدقوني ما تركت احدا فقالوا انه دم نبي كان ينهانا ويخبرنا بامر ربكم
فلم نصدقه فقتلناه فهذا دمه فقال ما كان اسمه فقالوا يحيى بن زكريا قال الان صدقتموني لمثل هذا ينتقم
ربكم منكم فلما راى انهم صدقوه خر ساجدا ثم قال يا يحيى قد علم ربي وربك ما اصاب قومك من اجلك وما
قتل منهم فاهدأ باذن الله قبل ان لا ابقي احدا منهم فهدأ ورفع عنهم القتل وقال امنت بما امنت
به بنو اسرائيل وايقنت انه لا رب غيره وقال لبني اسرائيل ان خردوش امرني ان اقتل
منكم حتى تسيل دماؤكم وسط عسكره ولست استطيع ان اعصيه قالوا افعل ما امرت

فامرهم ان

فامرهم ان يحفروا خندقا ويذبحوا دوابهم حتى سال الدم في العسكر فلما راى خردوش
ذلك ارسل اليه ان ارفع عنهم القتل ثم انصرف الى بابل وهي الوقعة الآخرة النازلة ببني اسرائيل
وسلب عنهم الملك والرياسة وضرب عليهم الذلة والمسكنة وبقي بيت المقدس خرابا الى عهد خلافة عمر بن
الخطاب رضي الله عنه فعمره المسلمون بامره وقرا ابو رجاء ليدخلوا وليتبروا باسكان اللام فيهما على انه لام
الامر عسى ربكم ان يرحمكم بعد المرة الثانية ان تبتم توبة اخرى وانزجرتم عن المعاصي وان عدتم مرة ثالثة الى المعاصي
عدنا الى عقوبتكم وقد عادوا بتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وقصد قتله فعاد الله بتسليطه عليهم فقتل قريظة و
اجلى بني النضير وضرب الجزية على الباقين فهم يعطونها عن يد وهم صاغرون وقيل وقد عادوا فاعاد الله عليهم
بتسليط الاكاسرة وضرب الاتاوة عليهم وعن قتادة ثم كان آخر ذلك ان بعث الله عليهم هذا الحي من العرب فهم منهم في عذاب
الى يوم القيامة وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا اي محبسا لا يقدرون الخروج منها ابد الآباد يقال للسجن حصر وحصير وعن
الحسن بساطا كما يبسط الحصير ووضع الكافرين موضع الضمير اظهارا للغضب عليهم ودلالة على ان فعلهم هذا وعو
دهم الى المعاصي بتكذيب محمد وقصد قتله لاجل انهم الكافرون المتوغلون في الكفر العظيم المنهمكون في الغي المبين ان هذا القران يهدي
للتي هي اقوم للحالة او للملة والطريقة التي هي اقوم الحالات او الملل او الطرق واسدها وقيل للكلمة التي هي اعدل وهي
شهادة ان لا اله الا الله ويبشر الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا وهو الجنة وما فيها مما لا يمكن كنهه ولا يقادر
قدره وقرا حمزة والكسائي ويبشر بالتخفيف والباقون بالتشديد وان الذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا لهم عذابا اليما
عطف على ان لهم اجرا كبيرا على معنى انه يبشر المؤمنين ببشارتين بثوابهم وعقاب اعدائهم او على يبشر باضمار يخبر وقالت
المعتزلة ذكر المؤمنين والكفار ولم يذكر الفسقة لان الناس كان حينئذ اما مؤمن واما مشرك وانما حدث اصحاب المنزلة
بين المنزلتين بعد ذلك كما حدث الاعتزال وساير مذاهب اهل البدع والاهواء وقرا قدري الشامي وان الذين بالكسر
على الاستيناف ويدع الانسان بالشر ويدعو الله عند غضبه بالشر على نفسه واهله وماله او يدعوه بما يحسبه خيرا
وهو شر دعاءه بالخير مثل دعائه له بالخير او كما يدعوه له بالخير ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير وكان
الانسان عجولا يسرع الى كل ما يخطر بباله لا ينظر عاقبته ولا يتبصر فيه وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه دفع
الى سودة بنت زمعة اسيرا فاقبل يئن بالليل فقالت له ما لك فان فشكا الم القد فارخت الكتاف فلما نامت
اخرج يده وهرب فلما اصبح النبي صلى الله عليه وسلم دعا به فاعلم بشأنه فقال عم اللهم اقطع يديها فرفعت
سودة يديها تتوقع الاجابة وان يقطع الله يديها فقال عم اني سألت الله ان يجعل لعنتي ودعائي على من
لا يستحق من اهلي رحمة لاني بشر اغضب كما يغضب البشر فلترد سودة يديها وقيل المراد آدم عم فانه لما
انتهى روحه الى سرته ذهب لينهض فسقط ويجوز ان يريد بالانسان الكافر انه يدعو بالعذاب استهزاء
ويستعجل به كما يدعو بالخير اذا مسته الشدة وكان الانسان عجولا يعني ان العذاب آتيهم لا محالة فما هذا الاستعجال
وعن ابن عباس رضي الله عنه هو النضر بن الحارث قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية فاجيب له فضربت
عنقه صبرا يوم بدر وعنه ايضا عجولا ضجرا لا صبر له على السراء والضراء وجعلنا الليل والنهار آيتين للناظرين والنا
فيعلم الناظر ان لا بد لتغيرهما وانتقالهما من مغير وناقل ويستدل بذلك على عظم قدرته وباهر حكمته ويشكر الشاكر
على النعم فيهما من السكون بالليل والتصرف بالنهار وقيل آيتين تدلان على ان القادر الحكيم بتعاقبهما على نسق واحد
بامكان غيره فمحونا آية الليل الاضافة بيانية كاضافة العجز الى الاداة والعدد الى المعدود اي فمحونا الآية

التي هي الليل بالاشراق وجعلنا آية النهار مبصرة مضيئة او مبصرة للناس من ابصره جعله مبصرا او مبصرا اهله كقولهم
اليلاء
رجل اخبث اذا كان اهله خبثا وقيل الآيتان الشمس والقمر ثم قيل وجعلنا الليل نيري الليل والنهار آيتين او
جعلنا الليل والنهار ذوي آيتين فمحونا آية الليل اي فجعلنا نير محوة الضوء مطموسة النور مظلمة لا يتبعان
فيه شي كما لا يتبين ما في اللوح المحو فنقصنا آية الليل التي هي القمر شيئا فشيئا الى المحاق وجعلنا النهار مبصرا
يتبصر فيها الاشياء وتتبين او وجعلنا آية النهار التي هي الشمس مبصرة ذات الشعاع يبصر في ضوئها كل شي و
عن ابن عباس جعل الله نور الشمس سبعين جزءا ونور القمر كذلك فمحا من نور القمر تسعة وستين جزءا فجعلها مع نور الشمس
النور وعن ابن الكوا سال عليا عن السواد الذي في القمر قال هو اثر المحو لتبتغوا فضلا من ربكم لتطلبوا في بياض النهار
اسباب معاشكم وتتوصلوا به الى استبانة اعمالكم ولتعلموا باختلاف الجديدين او بحركتهما عدد السنين والحساب وجنس
الحساب وما تحتاجون اليه منه ولولا ذلك لما علم احد حسبان الاوقات ولتعطلت امور كثيرة والسنين جمع سنة وهي
شمسية وقمرية فالسنة الشمسية مدة وصول الشمس الى النقطة التي هي فارقتها من ذلك البروج وذلك في
ثلثمائة وخمس وستين يوما وربع يوم والسنة القمرية اثنا عشر شهرا قمريا ومدتها ثلثمائة واربع وخمسون
يوما وثلث يوم وثلث عشر يوم قالوا ان اقل القبض انه لم يقبل اجل الحاكم بسنة قمرية في الفتح وفي رواية
الحسن عن ابي حنيفة انه يؤجل سنة شمسية وفي ظاهر الرواية سنة قمرية وكل شي تفتقرون اليه في امر دينكم ودنياكم
وكل شي منصوب بفعل مضمر يفسره الفعل المظهر ولولا ذلك لكان الاولى رفعه وكذا وكل انسان تجوز رفعها كقراءة من
قرا والقمر قدرناه بالرفع وقد قرا ابي ابن عيلم وكل انسان بالرفع فصلناه تفصيلا بيناه بيانا غير ملتبس فازحنا
عللكم وما تركنا لكم حجة علينا وكل انسان الزمناه طائره عمله وما قدر له كانه طير اليه من عش الغيب ووكر القدر
لما كانوا يتيمنون ويتشاءمون بسنوح الطائر وبروحه استعير لما هو سبب الخير والشر من قدر الله وعمل العبد والمعنى ان
كل انسان جعلنا عمله لازما في عنقه لزوم الطوق وقيل الزمناه ما طار من عمله من طار له سهم اذا خرج
وعن مجاهد ما من مولود الا وفي عنقه ورقة مكتوب فيها شقي او سعيد وقال بعضهم العرب ينسبون الخير والشر الى
الطائر فان مر سانحا يتيمنون به وان مر بارحا يتشاءمون فاستعير الطائر لما هو في الحقيقة سبب للخير والشر وهو
قضاء الله وقدره واعمال العباد فانها وسيلة لهم الى الخير والشر فالمعنى الزمناه ما قضي له من خير او شر والزمناه
عمله لزوم قلادة او الغل العنق فدلت هذه الآية على لزوم العمل الانسان فيحمل ذلك اللزوم هو الزمه فقوله في عنقه
استعار العنق لذلك الوصف المعنوي الذي به يلزم التكليف لزوم القلادة او الغل العنق وقال ابو حاتم لفي
عنقه في عنقه باسكان النون وقرا ابو رجاء طيرة بغير الف ونخرج له يوم القيمة كتابا هي صحيفة عمله او نفسه
المنتقشة باثار عمله فان الافعال الاختيارية يحدث في النفس احوالا ولذلك يفيد تكريرها لها ملكات ونصبها
بانه مفعول او حال من مفعول محذوف وهو الضمير الطائر ويعضده قراءة يعقوب ويخرج من خرج وقرئ ويخرج
بالياء والضمير لله تعالى وعن ابي جعفر ويخرج مبنيا للمفعول وبه كان يقرا ابو عمرو وعلي ما روي هرون عن ابي
العباس ختن ليث عنه وروي عن الحسن كتابا بالجمع فينبغي انه يقرا يلقاها منشورة يلقاها منشورا لكشف الغطاء
وهما صفتا للكتاب او يلقاه صفة ومنشورا حال من مفعول يلقاه وقرا ابن عامر يلقاه بتشديد القاف مبنيا للمفعول
اي يؤتاه والباقون بالتخفيف اي يراه منشورا وفي الآثار ان الله تعالى يامر الملك بطي الصحيفة اذا تم عمر العبد
فلا ينشر الى يوم القيمة وعن الحسن يا ابن آدم بسطت لك صحيفة اذا بعثت قلدتها في عنقك اقرأ كتابك

على ارادة

اقرأ كتابك وعن قتادة يقرا ذلك اليوم من لم يكن في الدنيا قاريا كفى بنفسك اليوم
على ارادة القول ويقال اقرا كتابك وعن قتادة ... وحسيبا تمييز وهو بمعنى حاسب كضريب القداح بمعنى
عليك حسيبا اي كفى نفسك والباء مزيدة دخلت في الفاعل وحسيبا تمييز وهو بمعنى حاسب كضريب القداح بمعنى
ضاربها وصريم بمعنى صارم وعلى متعلق به من قولك حسبت عليه كذا او بمعنى الكافي فوضع موضع الشهيد وعدي بعلى
لان الشاهد يكفي المدعي ما اهمه وتذكيره على ان الحساب والشهادة مما يتولاه الرجال او على تاويل النفس بالشخص
الشخص كما يقال ثلثة انفس وكان الحسن اذا قرأها قال يا ابن آدم انصفك والله من جعلك حسيب نفسك من
اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها من اهتدى باتباع ما انزلنا من الوحي فمنفعة
اهتدائه راجعة اليه لا الى غيره ومن ضل بترك اتباعه فانما يضل على نفسه يعني كلاهما مختص بها لا يتعدى النفع
والضرر الى غيرها وقيل لا ينجي اهتداؤه غيره ولا يردي ضلاله سواه ولا تزر وازرة وزر اخرى اي ولا تحمل نفس
حاملة وزر نفس اخرى بل انما تحمل وزرها اي لا يؤاخذ احد بذنب غيره وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا كان
يعني صح والمعنى ما صح منا والمحال في عادتنا وحكمتنا ان نعذب قوما الا بعد ان نبعث اليهم رسولا يرشدهم الى ما
فيه النجاة ويوقظهم من رقدة الغفلات او وما كان في حكمنا وسابق قضائنا ان نعذب قوما حتى نبعث فيهم رسولا
يهديهم الى الشرائع ويتبين الحجة قطعا للمعذرة والزاما للحجة بعثه وفيه دلالة على ان البعثة واجبة لا بمعنى الوجوب على
الله بل بمعنى ان قضية الحكمة تقتضي ذلك لما فيه من المصالح والحكم وقيل وفيه دليل على ان ما وجب وجب
بالسمع لا بالعقل وان لا وجوب قبل الشرع وقال الشيخ ابو منصور رحمه الله وما كنا معذبين تعذيب استيصال في الدنيا
وعذاب الاستيصال في الدنيا ليس بجزاء على الكفر وانما هو جزاء المعاندة والمكابرة عقوبة لهم وعبرة لغيرهم وذلك بعد لزوم
الحجة من كل وجه وجزاء الكفر هو الذي لا ينقطع في الآخرة والظاهر ان معاندتهم ومكابرتهم ليس الا معاندة الحق ومكا
برته وهو ضرب من الكفر بالعذاب في الدارين وما بينهما انفا وهو البرزخ هذا هو الاوجه ويؤيده قوله واذا اردنا
فحوز وا …
ان نهلك قرية كان اهلها اي كافرا اهلها بدليل قوله وما كنا مهلكي القرى الا واهلها ظالمون اي كافرون
مشركون ان الشرك لظلم عظيم والمعنى واذا اردنا ان نهلك قرية لانفاذ قضائنا وعلمنا السابق انهم لا يرجعون عن الظلم
والمعاصي لم يجعل علمنا بذلك حجة عليهم بل امرنا مترفيها ففسقوا فاذا اظهر منهم الفسق والخروج عن الطاعة
الطاعة عذبناهم عذابا نكرا او دمرناهم تدميرا او واذا اردنا ان نهلك قرية لظهور الظلم والمعاصي من افراد واظلما
الطاعة عذبناهم عذابا نكرا او دمرناهم تدميرا او واذا اردنا وقت اهلاك قرية وقرب زمانه المقدر كقول القائل اذا اراد
بالفساد والتمرد فدمرناهم تدميرا او واذا اردنا المريض ان يموت ازداد مرضه ومن يريد التاجان يفتقر امرنا مترفيها متنعميها واغنياءها بالطاعة على لسان
رسول بعثناه اليهم ويدل على ذلك ما قبله وما بعده فان الفسق هو الخروج عن الطاعة والتمرد في العصيان فيدل على
الطاعة من طريق المقابلة والمترف من ابطرته النعمة وسعة العيش والترفه التنعم وقيل اي امرناهم بالفسق لقوله ففسقوا
فيها كقولك امرته فقرا انه لا يفهم منه الا الامر بالقراءة على ان الامر مجاز من حمل عليه او التسبيب له بان صبت
عليهم من النعم ما ابطرهم وافضى بهم الى الفسق ويحتمل ان لا يكون له مفعول كقولهم امرته فعصاني وفسره بعضهم بكثرنا
يقال امرته فامر اذا كثرته وفي الحديث خير المال سكة مأبورة ومهرة مأمورة اي كثيرة النتاج والنسل وروي
عن بعض المشركين قال النبي صلى الله عليه وسلم اني ارى امرك هذا حقيرا فقال عليه السلام انه سيأمر اي سيكثر وسيكبر وقرا يعقوب
والحسن وقتادة آمرنا بالمد وقرئ امرنا بالتشديد اي اكثرنا ويجوز ان يكون منقولا من امر بالفتح امارة اي
جعلناهم امراء وسلطناهم واختار ابو عبيدة قراءة العامة وقال لان المعاني الثلثة التي هي الامر والامارة

ان اهلكها حين طغوا واستوجبوا العذاب في باب طهوره او في ظهور المعاصي
على امرنا مترفيها بالطاعة عن المعاصي

والكثرة تجمع فيها وتخصيص المترفين بالذكر لان غيرهم يتبعهم ولانهم اسرع الى الحماقة واقدر على الفجور وروي عن ابن عباس
وابن يعمر امرنا بالتكثير فحق عليها القول يعني كلمة العذاب السابق بحلوله او بظهور معاصيهم او بانهماكهم في المعاصي
فدمرناها تدميرا باهلاك اهلها وتخريب ديارهم والدمار الهلاك على سبيل الاستئصال وكم مفعول اهلكنا
ومن القرون تبيين لابهام كم وتمييز له كتمييز العدد بالجنس وكثيرا من القرون اهلكنا من بعد نوح كعاد
وثمود وغيرهم وكل اهل عصر قرن لمن بعدهم لانهم يتقدمونهم وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا يدري ظواهرها
وبواطنها ويعاقب عليها وتقديم الخبير لتقدم متعلقه وقيل تنبيه بانه من كان العاجلة همه ولم يرد غيرها
الكفرة واكثر الجهلة عمن هو مقصود عليها عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد تفضلنا عليه من منافعها بما نشاء لمن نريد
وقيد المعجل بالمشية والمعجل له بالارادة لانه لا يجد كل متمن ما يتمناه ولا كل احد جميع ما يهواه وليعلم
ان الامر بالمشية والهم فضل وقوله لمن نريد بدل من له بدل البعض من الكل لان الضمير يعود الى من
وهو في معنى الكثرة وقرئ يشاء والضمير فيه يرجع الى الله فيطابق المشهورة او الى من على ان المعجل ما يشاء
من الدنيا وان ذلك لو اخذ من ابي هريرة يريد به الله ذلك وقيل الآية في المنافقين كانوا يراؤون المسلمين ويغزون
معهم ولم يكن غرضهم الا مساهمتهم في الغنائم ونحوها وقيل هو من يريد الدنيا بعمل الآخرة كالمنافق
والمرائي والمهاجر للدنيا والمجاهد للغنيمة والذكر كما قال عليه السلام فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى
الله ورسوله ومن كان هجرته لدنيا يصيبها او امراة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه ثم جعلنا له جهنم اي
خلقنا له جهنم يصليها يدخلها مذموما ملوما لان الذم اللوم وهذا خلاف المدح والحمد يقال ذممته
وهو ذميم غير حميد مدحورا مطرودا من رحمة الله وهما حالان من فاعل يصليها اي يدخلها وهو جامع على نفسه
الذم والطرد ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها حقها من السعي وهو الاتيان بما امروا والانتهاء عما نهوا لا
التقرب بما يتخرصون بارائهم وفائدة الآية اعتبار النية والاخلاص وهو مؤمن ايمانا صحيحا ثابتا
لا شرك معه ولا تكذيب فانه العمدة فاولئك الجامعون للشرايط الثلثة كان سعيهم مشكورا من الله مقبولا
عنده مثابا عليه فان شكر الله الثواب على الطاعة كلا تنوينه عوض من المضاف اليه اي كل واحد من الفريقين
مريد العاجلة ومريد الآخرة نمد على حذف المفعول تقديره نمدهم اي نزيدهم من عطائنا ونجعل الآنف منه
مددا للسالف لا نقطعه فنرزق المطيع والعاصي جميعا على وجه التفضيل هؤلاء وهؤلاء بدل من كلا من
عطاء ربك متعلق بنمد اي من معطاه لان العطاء اسم ما يعطى والجمع اعطية واعطيات وما كان عطاء ربك
محظورا ممنوعا لا يمنعه في الدنيا من احد منهم تفضلا ولا حظ للكافرين في الآخرة انظر كيف فضلنا بعضهم
على بعض كيف جعلناهم متفاوتين في التفضيل وكيف منصوب على الحال بفضلنا لا بانظر لان الاستفهام يجب
ان يتقدم عليه عامله لاقتضائه صدر الكلام وللآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا اي التفاوت في الآخرة اكثر
لانها ثواب واعواض وتفضيل وكلها متفاوتة ولان التفاوت فيها بالجنة ودرجاتها قال النبي صلى الله
عليه وسلم ان اهل الجنة العليا ليعلون لذوي الالباب اراد بذوي الالباب العلماء الا ترى الى قوله عليه السلام
فضل العالم على العابد كفضلي على ادناكم وفي رواية كفضل القمر على ساير الكواكب وقد قال ابن عباس في
تفسير قوله والذين اوتوا العلم درجات يرفع العالم فوق المؤمن بسبعماية درجة بين كل درجتين كما بين
السماء والارض وبهذه الشواهد يتضح ان يتفاوت درجات اهل الجنة بحسب تفاوت معارفهم الالهية

وعلومهم الحقيقية كما قال عليه السلام ان في الجنة مدينة من نور لم ينظر اليها ملك مقرب ولا نبي مرسل جميع ما فيها من القصور والغرف و
الازواج والخدم من النور اعدها الله للعاقلين فاذا ميز الله اهل الجنة من اهل النار ميز اهل العقل فجعلهم في تلك المدينة فيجزي كل
قوم على قدر عقولهم فيتفاوتون في الدرجات كما بين مشارق الارض ومغاربها الف ضعف وعنه عليه السلام وعنه ايضا ان ارفع
اهل الجنة درجة من ينظر الى وجه ربه غدوة وعشية وعنه عليه السلام ان في الجنة درجة لا ينالها الا اصحاب الهموم يعني في طلب الخير والمعيشة
وقال ان في الجنة درجة لا ينالها الا ثلثة امام عادل او ذو رحم واصل او ذو عيال صبور فقال علي ما صبر ذي العيال قال
لا يمن على اهله بما ينفق عليهم روي ان قوما من الناس اجتمعوا بباب عمر فخرج الاذن لبلال وصهيب فشق على ابي سفيان فقال سهيل
بن عمرو انما اوتينا من قبلنا انهم دعوا ودعينا يعني الى الاسلام فاسرعوا وابطانا وهذا باب عمر فكيف التفاوت في الآخرة ولئن حسد
تموهم على باب عمر فما اعد الله لهم في الجنة اكثر وفي تفضيلا وعن بعضهم ايها المباهي بالرفع منك في مجالس الدنيا اما ترغب بالمبا
هاة بالرفع في مجالس الآخرة وهي اكبر وافضل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بين العالم والعابد سبعون درجة وعنه عليه
السلام بين المجاهد والقاعد مائة درجة بين كل درجتين حضر الجواد المضمر سبعين سنة اي عدوه وعنه عليه السلام يشفع
العلم فالله تعالى يبعث يوم القيمة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء ثم ساير الخلق على درجاتهم لا تجعل مع الله الها آخر الخطاب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد به امته او لكل احد وهو التفات وفيه هو وما بعده من الآيات موقع البيان لما يسبيه اكبر الدرجات
والتفضيل في الآخرة ولذلك جاء مفصولا فتقعد اي فتصير من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت كانها حربة بمعنى صارت او فتعجز
من قولهم قعد عن الشيء اذا عجز عنه مذموما مخذولا جامعا على نفسك الملامة من الملائكة والمؤمنين والخذلان من الله والعجز
عن النصرة ممن جعلته شريكا وهو من طريق المقابلة على ان الموحد يصير محمودا منصورا وقضى ربك وامر امرا مقطوعا به
وقيل واوصى وقرأ ابن الفضل ووصى ربك وقرئ واوصى وعن ولد معاذ بن جبل وقضاء ربك ان لا تعبدوا ان مفسرة بمعنى
اي ولا تعبدوا ونهي او مصدرية على حذف الباء اي بان لا تعبدوا الا اياه لان العبادة غاية التعظيم فلا تحق الا لمن
له غاية العظمة ونهاية الانعام وهو كالتفصيل لسعي الآخرة وبالوالدين احسانا اي واحسنوا بالوالدين احسانا او
بان تحسنوا بالوالدين احسانا لانهما السبب الظاهر للوجود والتعيش ولا يجوز ان يتعلق الباء في بالوالدين بالاحسان
لان المصدر لا يتقدم عليه صلته وفيه نظر لان الصحيح والحق الصريح جواز ذلك في الظروف وشبهها لانها يكفيها رائحة من الفعل
قال الله تعالى فلما بلغ معه السعي ولا تأخذكم بهما رأفة وكان للناس عجبا على احد القولين اما يبلغن عندك الكبر
احدهما او كلاهما اما هي ان الشرطية اصلها ان يبلغ وما مزيدة لتاكيد معنى الشرط وما هذه بمنزلة لام القسم في انها اذا
دخلت معها النون المؤكدة الا ترى انك لا تقول ان تكرمني اكرمك ولكن اما تكرمني اكرمك واحدهما فاعل يبلغن وهو في
قراءة حمزة والكسائي يبلغان بالالف والنون الثقيلة المكسورة بدل من الف الضمير الراجع الى الوالدين وكلاهما عطف
احدهما فاعلا وبدلا ولذلك لم يجز ان يكون تاكيدا للالف ومعنى عندك ان يكونا في كنفك وكفالتك لا كافل لهما غيرك
وقرأ الحسن يبلغن بالنون الخفيفة فلا تقل لهما اف فلا تضجر مما يستقذر منهما وتستثقل من مؤنهما واف
صوت يدل على تضجر وقيل اسم الفعل الذي هو اتضجر وهو مبني على الكسر لالتقاء الساكنين وقرأ ابو حيوة اف واليماني
وابو حيوة اف وروى الحلواني عن اهل مكة افا وعبد الوارث عن عمرو بن عبيد اف بكسر الهمزة والفاء وقرأ نافع
وحفص اف بالكسر والتنوين كصه ومه وايه وغاق وقرأ ابن عامر وابن كثير بالفتح وترك التنوين وقرأ حمزة والكسائي
وابو عمرو وابو بكر اف بالكسر وترك التنوين وهو بمعنى التضجر في الكل فالتنوين على قصد التنكير وتركه على قصد التعريف والكسر
على اصل البناء والفتح على التخفيف والضم للاتباع كمنذ وهو في الشاذ ثم نهاه عن التأفيف مما يثبت بمعنى التنفس لفة الا

استبطا اي بمعناه اللغوي لا الشرعي المستخرج بالاستنباط ويوقف به على تحريم الضرب والشتم من غير توسط الاجتهاد فان المقصود
من تحريم التافيف كف الاذى عن الوالدين لان سوق الكلام لبيان احترامهما فثبت الحكم في الضرب والشتم بطريق التنبيه وقيل النهي
عن ذلك يدل على المنع من سائر انواع الايذاء قياسا على سابطريق الاولى وذلك انه قد وجد اصل وهو التافيف وفرع وهو الضرب
مثلا وعلة جامعة وهو دفع الاذى فيكون قياسا وقيل عرفا كقولك فلان لا يملك النقير والقطمير ولذلك منع رسول الله
حذيفة من قتل ابيه وهو في صف المشركين مما يؤذيهما بعد الامر بالاحسان والبر بهما والظاهر ان معنى الايذاء من التا
فيف ولا تقل لهما اف مفهوم لغيره لا نهي يكفي الايلام من الضرب في قول القائل لا تضرب زيدا او اخرجه ولا تنهرهما ولا
تزجرهما عما يتعاطيانه مما لا يعجبك والنهي والنهر اخوان لاشتراكهما في اكثر الحروف وهو الاشتقاق الكبير وقيل لهما بدل التافيف والنهر والنهر ح
قولا كريما جميلا لا غلظة ولا خشونة فيه وقال ابن المسيب كقول العبد المذنب للسيد الفظ وقال مجاهد لا تسميهما ولا تكنيهما
وقل يا ابتاه ويا اماه كما قال ابراهيم عليه السلام لابيه ابت مع كفره فان دعوتهما باسمائهما من الجفاء وسوء الادب وعادة
الدعاء وقال ولا بامس به في غيره وجهه كما قالت عائشة رضي الله عنها نحلني ابو بكر كذا واخفض لهما جناح الذل جناح
الذل استعارة بالكناية جعل الذل والتواضع بمنزلة طائر فاثبت له الجناح تخييلا اي تواضع لهما ولين جانبك و
ذلك ان الطائر اذا قصد ان ينحط خفض جناحه واذا قصد ان يطير رفعه فجعل خفض جناحه عند الانحطاط مثلا في
التواضع ولين الجانب قالوا وجعل لذلك لهما جناحا خفيضا كما جعل لبيد للشمال يدا وللقرة زماما في قوله
وغداة ريح قد كشفت وقرة اذ اصبحت بيد الشمال زمامها مبالغة في التواضع والتذلل واراد واخفض لهما جناحك
للمؤمنين واضافته الى الذل للبيان والمبالغة في التذلل كما اضيف حاتم الى الجود والمعنى واخفض لهما جناحك الذليل
وقرئ الذل بالكسر وهو الانقياد والنعت منه ذلول وقيل الذل بالضم الانسان ضد العز وبالكسر في الدابة ضد
الصعوبة وعن عروة بن الزبير لن لهما حتى لا يمتنع من شيء احباه من الرحمة من فرط رحمتك لهما وعطفك عليهما
لكبرهما وافتقارهما الى من كان افقر خلق الله اليهما وقل رب ارحمهما وادع الله ان يرحمهما برحمته الباقية ولا تكتف
برحمتك الفانية وان كانا كافرين لان من الرحمة ان يهديهما وقال ابن عباس هو منسوخ بقوله ما كان للنبي والذين امنوا
ان يستغفروا للمشركين وعن ابي اسيد الساعدي كنا عند رسول الله صلعم فقال رجل من بني سلمة يا رسول الله هل بقي
من بر ابوي شيء ابرهما به بعد موتهما قال نعم الصلوة عليهما والاستغفار لهما وانفاذ عهدهما وصلة الرحم التي لا توصل الا بهما و
ابويتي
اكرام صديقهما وسئل ابن عيينة عن الصدقة عن الميت فقال كل ذلك واصل اليه ولا شيء انفع له من الاستغفار ولو كان شيء
افضل منه لامركم به في الابوين ويعضده قوله عليه السلام ان الله ليرفع درجة العبد في الجنة فيقول يا رب اني لي هذا فيقول
باستغفار ولدك كما ربياني صغيرا اي رحمة مثل رحمتهما علي وتربيتهما اياي في صغري او رحمة مثل تحننهما علي وتربيتهما اياي في صغري و
لقد كرر الله الوصية في كتابه بالوالدين وبالغ فيها وقرنها بتوحيده وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم بر الوالدين
يجزي عن الجهاد في سبيل الله وعنه عليه السلام بر الوالدين يزيد في العمر والكذب ينقص الرزق والدعاء يرد القضاء ولله تعالى
في خلقه قضاآن قضاء نافذ وقضاء محدث وللانبياء على العلماء درجتان وللعلماء على الشهداء افضل درجة رواه ابو هريرة
رضي الله عنه وعنه عليه السلام البار بوالديه مثل بذرة طيبة تزكو نباتها يفرح حاصدها طوبى لمن ضرب له هذا المثل رواه انس
رضي الله عنه وعنه عليه السلام البار لا يموت ميتة السوء رواه ابو هريرة وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابوي بلغا من
الكبر اني الي منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيتهما قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك
وهما يحبان بقاءك وانت تريد موتهما وشكى رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم اباه وانه ياخذ ماله فدعا به فاذا شيخ يتوكا
على
والله تعقل ذلك ح

على عصا فسأله فقال انه كان ضعيفا وانا قوي وفقيرا وانا غني فكنت لا امنعه شيئا من مالي واليوم انا ضعيف وهو قوي وانا فقير
وهو غني ويبخل علي بماله فبكى عليه السلام وقال ما من حجر ولا مدر يسمع هذا الا بكى ثم قال للولد انت ومالك لابيك وشكى
اليه آخر سوء خلق امه فقال لم تكن سيئة الخلق حين حملتك تسعة اشهر قال انها سيئة الخلق قال لم تكن كذلك حين اسهرت لياليها
واظمات نهارها قال لقد جازيتها قال ما فعلت قال حججت بها على عاتقي قال ما جزيتها ولو طلقة وعن ابن عمر انه راى رجلا في الطواف لا تزغر ح
يحمل امه ويقول اني لها مطية لا اذعر اذا الركاب نفرت لا تنفر ما حملت وارضعتني اكثر الله ربي ذو الجلال الاكبر تظنني جزيتها يا ابن عمر قال
لا ولو زفرة واحدة وعنه عليه السلام اياكم وعقوق الوالدين فان الجنة توجد ريحها من مسيرة الف عام ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع
رحم ولا شيخ زان ولا جار ازاره خيلاء ان الكبرياء لله رب العالمين وعنه عليه السلام لا يدخل الجنة منان ولا عاق ولا مدمن خمر وقال
الفقهاء لا يذهب بابيه الى البيعة واذا بعث اليه منها ليحمله فعل ولا يناوله الخمر ويأخذ الاناء منه اذا شربها وعن ابي يوسف اذا امره ان يوقد
تحت قدره وفيها لحم الخنزير اوقد وسئل الفضيل عن بر الوالدين فقال ان لا تقوم الى خدمتهما عن كسل وسئل بعضهم فقال ان لا ترفع
صوتك عليهما ولا تنظر شزرا اليهما ولا يريا منك مخالفة في ظاهر ولا باطن وان تترحم عليهما ما عاشا وتدعو لهما اذا ماتا وتقوم بخدمة
اودائهما من بعدهما وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان من ابر البر ان يصل الرجل ود ابيه ربكم اعلم بما في نفوسكم بما في ضمائركم من قصد البر
الى الوالدين واعتقاد ما يجب لهما من التوقير وكانه تهديد على ان يضمر لهما كراهة واستثقالا وقرأ ابو ابراهيم انفسكم ان تكونوا صالحين
قاصدين الصلاح والبر فانه كان للاوابين للتوابين غفورا ما فرط منهم عند الغضب وخرج الصدر من تقصير او هفوة تؤدي الى اذى
او يجوز ان يكون عاما لكل تائب ويدخل فيه الجاني على ابويه دخولا اوليا وهذا الوجه هو الاليق بالجمع المعرف باللام وتقديم الفعل المجرد
الاهتمام لتعلق المغفرة بغيرهم ايضا ويلزم رعاية الفاصلة وقال سعيد بن جبير في هذه الآية هو الرجل تكون منه البادرة الى ابويه لا يريد
بذلك الا الخير فانه لا يؤاخذ به وقال ابن المسيب الاواب الذي يذنب ثم يتوب ويذنب ثم يتوب وعن ابن عباس هو الراجع الى الله
فيما يحزنه وينوبه وعنه ايضا هم المسبحون كقوله يا جبال اوبي معه وقال قتادة المصلون وقيل هم الذين يصلون صلوة الضحى عن
زيد بن ارقم خرج رسول الله على اهل قباء وهم يصلون صلوة الضحى فقال صلوة الاوابين اذا رمضت الفصال من الضحى وقيل الذين
يصلون بين المغرب والعشاء وآت ذا القربى حقه من البر عليهم وصلة الرحم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم البر والصلة يطيلان الاعمار الاعمار
ويعمران الدنيا ويثريان الاموال وان كان القوم فجارا وان البر والصلة ليخففان الحساب يوم القيمة وعن ابي حنيفة حقهم اذا كانوا محارم محارم
فقراء ان ينفق عليهم والشافعي لا يرى النفقة الا على الوالد والولد والوالدين فحسب وان كانوا اغنياء وان لم يكونوا محارم كابناء العم
فحقهم صلتهم بالمودة والزيارة وحسن المعاشرة والمؤالفة على الاحوال وقيل المراد بذي القربى اقارب رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمسكين قيل هو من لا شيء له واما الفقير فهو من له ادنى شيء وقيل المسكين احسن حالا من الفقير لان الله تعالى قال اما السفينة
فكانت لمساكين فاخبر ان لهم سفينة وهي تساوي وقال للفقراء الذين احصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا وابن السبيل
هو من له مال لا معه وهو المسافر المنقطع عن ماله وقيل هو الضيف ولا تبذر تبذيرا بصرف المال فيما لا ينبغي وانفاقه على وجه
الاسراف واصل التبذير التفريق وعن مجاهد لو انفق ماله في الحق ما كان تبذيرا ولو انفق مدا في باطل كان تبذيرا وقد
انفق بعضهم نفقة في خير فاكثر فقال له صاحبه لا خير في السرف فقال لا سرف في الخير وعن عبد الله بن عمرو مر رسول الله بسعد
وهو يتوضأ فقال ما هذا السرف يا سعد قال او في الوضوء سرف قال نعم وان كنت على نهر جار وسئل ابن مسعود عن التبذير
قال هو انفاق المال في غير حقه وعن شعبة كنت امشي مع ابي اسحاق في طريق الكوفة فاتى على دار تبنى بجص وآجر فقال هذا التبذير
في قول عبد الله انفاق المال في غير حقه ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين في الشرارة وهي غاية المذمة اذ لا اشر من
الشيطان او اصدقاءهم واتباعهم لانهم يطيعونهم في الاسراف والصرف في المعاصي روي انهم كانوا ينحرون الابل ويتياسرون

عليها ويبذرون اموالهم في الفجور والسمعة وينكرونه ذلك في الاشعار فنهاهم الله عن ذلك وامرهم بالانفاق في وجوهم مما يقرب منه ويزلف
ويجوز ان يراد انهم قرناؤهم في النار على سبيل الوعيد وقيل اولياؤهم وقرا الحسن وزيد بن علي اخوان الشيطان يريد الجنس لقوله وكان الشيطان
لربه كفورا لانه كان يعمل بالمعاصي ويغري غيره عليها فما ينبغي ان يطاع فانه لا يدعوا الا الى مثل فعله وعلى وضع المظهر في قوله وكان الشيطان موضع
المظهر للتسجيل على ان هذا الجنس يوسوس بتبليغ الكفران متوغل فيه واما تعرضن عنهم وان اعرضت عن ذي القربى والمساكين صح
وابن السبيل حياء من الرد وقيل يجوز ان يراد بالاعراض عنهم ان لا ينفعهم على سبيل الكناية ابتغاء رحمة من ربك ترجوها لانتظار
رزق من الله ترجوه ان ياتيك فتعطيه او منتظرين له او لفقد رزق من ربك ترجوا ان يفتح لك فوضع الابتغاء موضع الفقد لانه مسبب
عنه ويجوز ان يتعلق بالجواب الذي هو قوله فقل لهم قولا ميسورا اي فقل لهم قولا لينا وعدهم وعدا جميلا ابتغاء رحمة الله التي ترجوها
بر حمتك عليهم والميسور من يسر الامر مثل سعد الرجل ونحس وقيل القول الميسور الدعاء لهم بالميسور وهو اليسر مثل رزقنا الله واياكم من فضله
ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط تمثيلان لمنع الشحيح واعطاء المسرف نهي عنهما امرا بالاقتصاد الذي
هو بين التقتير والاسراف وهو الكرم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والسرف في المال والنفقة وعليكم بالاقتصاد فما افتقر قوم اقتصدوا
وعنه عليه السلام اياكم والشح فانه اهلك من كان قبلكم امرهم بالقطيعة فقطعوا وبالبخل فبخلوا وبالفجور ففجروا والمعنى ولا تمسك يدك
عن النفقة في الحق كل الامساك بحبس لا تقدر على مد يدها كمن يده مغلولة الى عنقه فلا يقدر على اعطاء شيء ولا تجد كل الجود فتعطي
جميع ما في عندك ولا يبقى شيء منه كمن يبسط كفه كل البسط فلا يبقى شيء في كفه فتقعد ملوما فتصير ملوما عند الله لان الشحيح
والمسرف كلا منهما غير مرضي عنده وعند الناس يقول المحتاج اعطى فلانا وحرمني ويقول المستغني ما يحسن تدبير امر المعيشة
وعند نفسك اذا احتجت فندمت على ما فعلت محسورا نادما او منقطعا لا شيء عندك من حسرة السفر اذا بلغ وهده بالكلية
وعن جابر بينا رسول الله اتى صبي فقال يا رسول الله ان امي تستكسيك درعا ولم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم الا قميصه فقال
للصبي من ساعة الى ساعة يظهر فعد وقتا اخر فذهب الى امه فقالت قل له ان امي تستكسيك الدرع الذي عليك فدخل
عليه السلام داره ونزع قميصه واعطاه وقعد عريانا واذن بلال وانتظروه للصلوة فلم يخرج فنزلت وقيل اعطى الاقرع
بن حابس مائة من الابل وعيينة بن حصن فجاء عباس بن مرداس وانشا يقول اتجعل نهبي ونهب العبيد بين عيينة
والاقرع وما كان حصن ولا حابس يفوقان شيخي في مجمع وما كنت دون امرئ منهما ومن من يضع اليوم لا يرفع فقال يا ابا بكر
اقطع لسانه عني اعطه مائة من الابل فنزلت ثم سلاه بقوله ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يعني ان القسمة بين
العباد متفاوتة على حسب تفاوت قضايا الحكمة والتدبير فيوسع الرزق لبعض العباد ويغنيهم ويضيقه لاخر و
يفقره بحسب مشيته لا لاهانة او بخل منه فليس ما يرهقك من الاضاقة الا لمصلحتك انه كان بعباده خبيرا بصيرا
يعلم سرهم وعلنهم ومافيه مصالحهم ويؤول اليه احوالهم فيقدر لهم ما هو خير لهم فيغني ويفقر ويبسط ويقبض ولو اغنا
هم جميعا لطغوا ولو افقرهم لتواهلكوا قال رسول الله بادروا بالاعمال خمسا غنا مطغيا وفقرا منسيا وهرما مفندا و
مرضا مفسدا وموتا مجهزا فاذا كان الغنا لبعض العباد مطغيا صرفه الله تعالى عنه لعلمه ذلك منه وافقره لان الفقر علم منه
انه لا ينسيه بل يشغل لسانه بذكره وحمده وقلبه بالتوكل عليه والالتجاء اليه واذا كان الفقر لبعضهم منسيا صرفه عنه
لعلمه ذلك منه ويعضده ما روي عنه عليه السلام عن جبريل في خبر طويل قال الله تعالى وان من عبادي المؤمنين من لا
يصلح ايمانه الا الفقر لو اغنيته لافسده ذلك وان من عبادي المؤمنين من لا يصلح ايمانه الا الغنى لو افقرته لافسده ذلك وان من عبادي المؤمنين من لا يصلح
وان من عبادي المؤمنين من لا يصلح ايمانه الا السقم لو اصححته لافسده ذلك اني ادبر امر عبادي بعلمي بقلوبهم اني عليم خبير رواه
انس رضي الله عنه ويجوز ان يراد للبسط والقبض من امر الله العالم بقلوب عباده فاما العباد فعليهم ان يقتصدوا وان الله تعالى يبسط

تارة ويقبض اخرى فاستنوا بسنته ولا تبسطوا كل البسط ولا تقبضوا كل القبض وان يكون توطئة وتمهيد القول ولا تقتلوا اولادكم
خشية املاق لمخافة الفاقة وقتلهم اولادهم هو وادهم بناتهم مخافة الفقر فنهاهم وضمن لهم ارزاقهم فقال نحن نرزقهم
واياكم لا غيرنا ان قتلهم كان خطأ كبيرا ذنبا كبيرا لما فيه من هدم بنيان الله وقطع النسل والخطاء الاثم يقال خطئ خطأ كاثم اثما
وقرئ خطأ بكسر الخاء وقرا ابن كثير خطاء بالفتح والمد وهو اما لغة او مصدر خاطأ خطاء كقاتل قتالا وهو قليل الاستعمال
لكنه يفيد المبالغة قال يخاطأ للقناص حتى وجدته وخرطومه من منقع الماء راسب وعن الحسن خطاء بالفتح وخفف الهمزة كالحب
وعن ابي رجاء خطاء بالكسر وخففه ولا تقربوا الزنا بالقصد واتيان المقدمات فضلا ان تباشروه انه كان فاحشة فعلة
ظاهرة القبح زائدته وساء سبيله وبئس طريقا طريقه وهو الغصب المؤدي الى خروج الايمان من صاحبه والى الشقاوة والتسلسل في
الدارين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا زنى العبد خرج منه الايمان فكان على راسه كالظلة فاذا انقطع رجع اليه الايمان
وعنه عليه السلام لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن وكان ابن عباس رضي الله عنهما يجمع غلمانه لما ادركوا عكرمة وكريبا
وغيرهما ويقول ان اردتم النكاح انكحتكم فان العبد اذا زنى نزع الايمان من قلبه ومصداقه قوله عليه السلام اذا زنى
العبد خرج منه الايمان وقال حذيفة بن اليمان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والزنا فان فيه ست خصال ثلثة في الدنيا
وثلثة في الاخرة فاما التي في الدنيا فذهاب البهاء ودوام الفقر وقصر العمر واما التي في الاخرة فسخط الله وسوء الحساب والخلود
في النار وقيل هو الغصب وعلى الابضاع المؤدي الى قطع الانساب وهيج الفتن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق الا
باحدى ثلث كفر بعد ايمان او زنا بعد احصان او قتل نفس بغير نفس ومن قتل مظلوما غير راكب واحدة منهن فقد جعلنا لوليه
لمن يلي امره بعد وفاته وهو الوارث وان لم يكن له وارث فالسلطان وليه سلطانا تسلطا على القاتل في الاقتصاص منه او حجة
يثبت بها عليه وقال الضحاك سلطانه هو ان يتخير فان شاء استقاد منه وان شاء اخذ الدية وان شاء عفى فلا يسرف الضمير للولي
في القتل ان يقتل غير القاتل او اثنين والقاتل واحد كعادة الجاهلية كان اذا قتل منهم شريف لا يرضون بقتل القاتل بل بان
يقتلوا معه جماعة من اقاربه حتى قال مهلهل حين قتل بجير بن الحارث بن عباد بؤ بشسع نعل كليب وقال كل قتيل في كليب غرة
حتى ينال القتل ال مرة وكانوا يقتلون غير القاتل اذا لم يكن القاتل بواء وقيل الاسراف المثلة وعن مجاهد ان الضمير للقاتل الا
ول بان يقتل من لا يحق قتله فان العاقل لا يفعل ما يعود عليه بالهلاك وقرا الكسائي فلا تسرف على خطاب الولي او قاتل الظالم
وقرا ابي فلا تسرفوا رده على ولا تقتلوا وقرا ابو مسلم صاحب الدولة فلا يسرف بالرفع على انه خبر في معنى الامر والنهي وفيه مبالغة
ليس في الامر والنهي لما في اخراج الامر في صورة الخبر من التاكيد انه كان منصورا علة النهي على الاستيناف والضمير اما للمظلوم يعني
ان المقتول منصور في الدنيا بايجاب القصاص على قاتله وفي الاخرة بالثواب عن ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افق
الخلايق من عرش الرحمن يوم القيمة المؤمن الذي قتل مظلوما راسه عن يمينه وقاتله عن شماله واوداجه تشخب دما فيقول رب
هذا قتلني فيم حال بيني وبين صلاتي واما لوليه يعني ان الله قد نصره بان اوجب له القصود وامر الولاة بمعونته
واما للذي يقتله الولي بغير حق ويسرف في قتله فانه منصور بايجاب القصاص والتعزير والوزر على المسرف فان قلت ما توبة القاتل
عمدا قلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم توبة القاتل عمدا في ثلث اما ان يقتل واما ان يعفى عنه واما ان يؤخذ منه الدية فاي
هذه الخصال فعل به فهي توبته رواه انس رضي الله عنه ولا تقربوا مال اليتيم فضلا ان تتصرفوا فيه الا بالتي هي احسن الا با
لخصلة او الطريقة التي هي احسن الخصال او الطرق وهي حفظه عليه وتثميره حتى يبلغ اشده الا شد في معنى القوة جمع شدة كانعم
في نعمة على تقدير حذف الهاء وقيل لا واحد لها وبلوغ الاشد بالادراك وقيل ان يونس منه الرشد هو ان يكون بالغا
واخره ثلث وثلثون سنة وهو غاية لجواز التصرف الدال عليه الاستثناء واوفوا بالعهد بما عاهدكم الله من التكاليف او بما عاهد

نحو ان الناكث يعاتب عليه ويقال له لم نكثت وهلا وفي بك تبكيتا للناكث كما يقال للموءودة بأي ذنب قتلت فيكون
تخييلا ويجوز ان يراد ان صاحب العهد كان مسؤولا فيقال له لم نقضت العهد وما وفيت به واوفوا الكيل اذا كلتم ولا
تبخسوا فيه وزنوا بالقسطاس المستقيم القسطاس هو الميزان بكسر القاف وهو قراءة حمزة وحفص والكسائي وبضمها وهو
قراءة الباقين وقيل القرسطون وهو القبان قاله الحسن وقيل هو بالرومية العدل وفي وقوع مثله في القرآن العظيم دليل على ان الكلام
المشتمل على كلمة غير عربية لا يخرج عن كونه عربيا والجمهور على انه عربي مأخوذ من القسط وهو العدل وهو الاصح فان كان من
القسط وجعلت العين مكررة فوزنه فعلال والا فهو رباعي على وزن فعلال وزنوا بالميزان السوي وبالعدل المستقيم ذلك خير
لكم واحسن تأويلا واحسن عاقبة تفعيل من آل اذا رجع وهو ما يؤول اليه ولا تقف ما ليس لك به علم وقيل ولا تتبع ما
ليس لك به علم بالحدس والظن وقيل لا تتبع ما لم يتعلق به علمك تقليدا او رجما بالغيب واحتج به من منع اتباع الظن وجوابه
ان المراد بالعلم هو الاعتقاد الراجح المستفاد من سند سواء كان قطعا او ظنا واستعماله بهذا المعنى شايع واعلم ان المراد به النهي
عن اتباع كل ما فيه جهل مما يتعلق بالسمع والبصر والقلب كأنه قال الله عز وجل من قائل لا تسمع كل ما لا يجوز سماعه
ولا تبصر كل ما لا يجوز ابصاره ولا تعزم على ما لا يجوز ذلك العزم عليه لان كلا منها يسأل الله تعالى ويجازيه ولم يذكر اللسان
مع انه من اعظمها لان السمع يدل عليه لانه انما يكب الناس على مناخرهم في نار جهنم الا حصائد السنتهم وتلك الحصائد من
قبيل المسموعات اللازمة للسمع وقيل المراد النهي عن الكذب على ما قاله قتادة ولا تقل رأيت وسمعت وعلمت ولم تره ولم تسمعه
ولم تعلمه وقال الحسن ولا تقف اخاك المسلم اذا مر بك فتقول هذا يفعل كذا ورأيته يفعل وسمعته ولم تره ولم تسمع وعن ابن الحنيفة شهادة
الزور وعن مجاهد ولا ترم احدا بما ليس لك به علم وقيل القفو شبيه بالعضيهة وهي الافك والبهتان ومنه الحديث من قفا مؤمنا
بما ليس فيه حبسه الله في ردغة الخبال حتى يأتي بالمخرج وانشد ومثله قول الذي في شعر العرب انني ساكن بطن الحياء لا يتقي القفا اي
القاذف وقال الكميت ولا ارمي البريء بغير ذنب ولا اقفو الحواصن ان قفينا قال الزمخشري وقد استدل به مبطل الاجتهاد
ولم يصح لان ذلك نوع من العلم فقد اقام الشرع غالب الظن مقام العلم بالعمل به وقرئ ولا تقف يقال قفا اثره وقاف اذا تبع
ومنه القافة جمع القائف وهو الذي يتبع الآثار ويعرفها وهو في حرفي الكلمة وقراءة زيد بن علي ولا تقفوا بالواو ان السمع والبصر
والفؤاد كل اولئك اشارة الى السمع والبصر والفؤاد اي كل هذه الجوارح فاجراها مجرى العقلاء لما كانت مسؤولة عن احوالها
شاهدة على صاحبها ولفظ اولاء غير مخصوص بالعقلاء قال ذم المنازل بعد منزلة اللوى والعيش بعد اولئك الايام
كان عنه مسؤولا في ثلاثتها ضمير كل اي كان كل واحد منها مسؤولا عنه عما فعل به صاحبه وقيل الضمير في عنه لمصدر
لا تقف او لصاحب السمع والبصر وقيل مسؤولا مسند الى عنه كالمغضوب في قوله غير المغضوب عليهم يقال للانسان لم سمعت
ما لا يحل لك سماعه ولم نظرت الى ما لا يحل لك النظر اليه ولم عزمت على ما لا يحل لك العزم عليه واجيب بان هذا خطأ
لان الفاعل وما يقوم مقامه لا يتقدم وفيه دليل على ان العبد مؤاخذ بعزمه على المعصية وقرئ والفواد بفتح الفاء والواو قلبت
الهمزة واوا بعد الضمة في الفؤاد ثم استصحب القلب مع الفتح والجملة تعليل للنهي يدل على ان عمل الفؤاد مثل عمل السمع والبصر فلا
يعفى عنه بل يؤاخذ بما كسب كما قال ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم مما يدخل تحت الاختيار من حب ... اعمال القلب من حب
الدنيا ومن الرياء والعجب والحسد والكبر والنفاق مثلا واما ما لا يدخل تحت الاختيار فلا يؤاخذ به بدليل قوله لا يكلف
الله نفسا الا وسعها اي ما يدخل تحت الوسع والطاقة من الاعمال فعلم من هذا ان كل ما لا يدخل تحت الوسع من اعمال
القلب من الخاطر والميل وهيجان الشهوة ونحو ذلك لا يؤاخذه الله تعالى به لانها لا تدخل تحت الاختيار الا يرى الى قوله عليه السلام عفي
عن امتي ما حدثت به نفوسها الحديث النفس خاطر يهجس في النفس ولا يتبعه عزم على الفعل وان العزم والهم لا يسمى حديث
امتي ما

النفس

النفس وكذا الاعتقاد وحكم القلب بانه ينبغي ان يفعل ان كان اضطراريا لا يؤاخذ به وان كان اختياريا يؤاخذ به وكذا السمع والبصر
ومن ثم قالوا لو وقع البصر بغير اختيار على غير محرم لم يؤاخذ به فاذا اتبعت نظرة ثانية كان يؤاخذ بها لانه مختار ولا تمش في الارض
مرحا اي ذا مرح وهو الاختيال وفي الصحاح المرح شدة الفرح والنشاط والمراد النهي عن المشي بالتكبر والتعظم
قال النبي صلى الله عليه وسلم من تعظم في نفسه واختال في مشيته لقي الله تعالى وهو عليه غضبان وعن ابي هريرة انه قال ما رأيت
شيئا احسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنما الشمس تجري في وجهه وما رأيت احدا اسرع في مشيته من رسول الله صلى الله عليه
وسلم كأنما الارض تطوى له انا لنجهد انفسنا وانه لغير مكترث وقرئ مرحا وهو ابلغ باعتبار الحكم وعناه المبالغة في الاختيال
كالحذر والشره والنهم وفضل الاخفش المصدر لما فيه من التأكيد وقرأ الاعمش مرحا بكسر الراء انك لن تخرق الارض لن
تجعل فيها خرقا بدوسك لها وشدة وطأتك وقيل لن تقطعها بكبرك حتى تبلغ آخرها وقرئ تخرق بضم الراء ولن
تبلغ الجبال طولا بتطاولك وهو تهكم بالمختال وتعليل للنهي بان الاختيال لن ينال بكبره وتعظمه شيئا من الغاية كل ذلك اي
الى الخصال الخمس والعشرين المذكورة من قوله ولا تجعل مع الله الها آخر وعن ابن عباس هذه الثماني عشرة آية كانت في الواح
موسى اولها لا تجعل مع الله الها آخر قال الله تعالى وكتبنا له في الالواح من كل شيء موعظة وتفصيلا وهي عشر آيات
في التوراة كان سيئه يعني المنهي عنه وهو اربعة عشر فان المأمور به حسن وهو احد عشر ثلثة مستترة وثمانية ظاهرة وقرأ
ابن عامر والكوفيون سيئه باضافة شيء الى ضمير كل ويعضدها قراءة ابن مسعود سيئاته وقراءة ابي خبيثة والباقون
سيئة بالنصب على انها خبر كان والاسم ضمير كل وذلك اشارة الى ما نهى عنه خاصة لا الى جميع الخصال المعدودة وتؤيدها
قراءة سيئات وسيئا وعلى هذا قوله عند ربك مكروها بدل من سيئة او صفة لها محمولة على المعنى فانه بمعنى سيئا وقد زال
عنه حكم الصفات فصار في حكم الاسماء بمنزلة الذنب والاثم فلا اعتبار بتأنيثه ولا فرق بين قراءة سيئة وبين قراءة سيئا
ومن ثم قيل الزنى سيئة والسرقة سيئة من غير فرق بين اسنادها الى مذكر ومؤنث وقيل مكروها منتصب على
الحال من المستكن في كان او في الظرف على انه صفة سيئة والمراد به المبغوض المقابل للمرضي لا ما يقابل المراد لقيام
القاطع على ان الحوادث كلها واقعة بارادته تعالى وفي تفسير العلامة ههنا ما ليس للناظر فيه الا التعجب والكونة ذلك اشارة
الى الاحكام المتقدمة مما اوحى اليك ربك من الحكمة التي هي علم الشرائع وقيل التي هي معرفة الحق لذاته والخير للعمل به وقيل
سماه حكمة لانه كلام محكم لا مدخل فيه للفساد بوجه ولا تجعل مع الله الها آخر الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد منه
امته او لكل احد من شأنه ذلك وتكريره للتنبيه على ان التوحيد مبدأ الامر ومنتهاه فان من لا قصد له بطل عمله
ومن قصد بفعله او تركه غيره ضاع سعيه وانه رأس كل حكمة وملاكها ومن عدمه لم تنفعه حكمه وعلومه وان بز فيها
الحكماء وحك بيافوخه السماء وما اغنت عن الفلاسفة اسفار الحكم وهم عن دين الله اضل من النعم فتلقى في جهنم
ملوما تلوم نفسك ... مدحورا مطرودا مبعدا من كل خير ... وانه تعالى رتب على من اشرك بالله استحقاقه
لجهنم او جهاته باخذها آخذ في كف فيطرحها في التنور ومن هذا الاسلوب قوله والقينا فيها رواسي شامخات
والسموات مطويات بيمينه افأصفاكم ربكم بالبنين خطاب لمن قالوا الملائكة بنات الله والهمزة للانكار يعني أفخصكم
ربكم بالافضل من الاولاد وهم البنون واتخذ من الملائكة اناثا بنات لنفسه هذا على خلاف الحكمة وما عليه معقولكم وما
دلكم فان العبيد لا يؤثرون باجود الاشياء واصفاها من الشوب ويكون اردأها وادونها للسادات انكم

لتقولون قولا عظيما باضافتكم اليه الاولاد وهي خاصة بالاجسام ثم بتفضيل انفسكم عليه حيث تجعلون له ما تكرهون ثم
بجعل الملائكة الذين هم من اعلى خلق الله ومن اشرفهم ادون خلق الله وهم الاناث ولقد صرفنا كررنا هذا المعنى
في هذا القرآن في مواضع منه ويجوز ان يراد بهذا القرآن ابطال اضافتهم اليه البنات لانه مما صرفه وكرر ذكره اي
ولقد صرفنا القول في هذا المعنى او اوقعنا التصريف فيه وجعلناه مكانا للتكرير وقرئ صرفنا بالتخفيف وكذلك ليذكروا
وقرئ مشددا ومخففا اي كررناه ليتعظوا ويطمئنوا الى ما يحتج به عليهم وما يزيدهم الا نفورا وما يزيدهم تصريفنا
وتكريرنا الا نفورا وقيل فيه تعكيس اي كررناه ليطمئنوا فانعكسوا وازدادوا نفورا وهو لا يخلو عن الاختلال لعدم مطابقته
قوله وازدادوا بقوله تعالى وما يزيدهم في فاعل الفعل وتغايرهما فيه قل لو كان معه آلهة كما يقولون ايها المشركون و
قرأ ابن كثير وحفص بالياء فيه وفيما بعده على ان الكلام مع الرسول ووافقهما نافع وابن عامر وابو عمرو وابو بكر ويعقوب
في الثانية على ان الاولى مما امر الرسول ان يخاطب المشركين والثانية مما نزه به نفسه عن مقالهم اذا لابتغوا الى ذي العرش
سبيلا جواب عن قول المشركين وجزاء للو اي لطلبوا الى من له الملك والربوبية سبيلا بالمغالبة كما يفعل الملوك بعضهم مع
بعض كقوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا او بالتقرب اليه كقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة
وقال قتادة لعرفوا الله فضله فابتغوا ما يقربهم اليه سبحانه وتعالى تنزيه وتعجب من قولهم اي ما ابعد من له الملك والربوبية
وما اعلمه عما يقولون علوا تعاليا كبيرا متباعدا غاية البعد عما وصفوه به وكيف لا فانه تعالى هو الذي يملك الموجودات
كلها ويستغني عنها في ذاته وصفاته وهي محتاجة غاية الاحتياج غير مستغنية عنه في شيء ما في ذاتها ولا في صفا
تها ولا في وجودها ولا في بقائها فمحال ان يشاركه شيء منه في شيء ما في ذاتها منها ويثاقبه وان يتخذ ولدا فهو المقدس
المتعالي عن صفات الاجسام تسبح له السموات والارض ومن فيهن ذهب السلف الصالح رضوان الله عليهم الى ان التسبيح
ههنا محمول على حقيقته وهو الاصح فانه اذا كان كلام الجماد مسلما فينبغي ان يكون تسبيحه مسلما ايضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اني لاعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل ان ابعث اني لاعرفه الآن وعن ابن مسعود ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل على
ان شهادة الجوارح والجلود مما نطق به القرآن الكريم وقال ابن عباس في قوله انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق
كان داود اذا سبح جاوبته الجبال بالتسبيح وقال مجاهد كل الاشياء يسبح لله حيا كان او جمادا وتسبيحها سبحان الله
وبحمده وقال النخعي وان من شيء جماد وحي الا يسبح بحمده حتى صرير الباب ونقيض السقف وعن ابن عباس وان من
شيء حي الا يسبح بحمده وقال قتادة يعني الحيوانات والناميات وعن المقداد بن معدي كرب ان التراب يسبح ما لم يبتل
والخرزة تسبح ما لم ترفع من موضعها والورق ما دام على الشجر والماء ما دام جاريا والثوب ما دام جديدا فاذا وسخ ترك
التسبيح والوحش والطير اذا صاحت فاذا سكنت تركت التسبيح وبالجملة فالتسبيح غير ممتنع من الجمادات بل هو كائن من
الكائنات لا ينكره الا منكر خوارق العادات ويحقق قوله ولكن لا تفقهون تسبيحهم ان المراد هو حقيقة التسبيح لا
الدلالة على وحدانيته لان قوله لا يفقهون لا يليق بهذا وقد ذهب بعض العلماء كالزمخشري والقاضي الى انه تسبيح
بلسان الحال حيث تدل بامكانها وحدوثها على الصانع القديم الواجب لذاته وعلى قدرته وحكمته فكانها تنطق بذلك
وكانها تنزه الله مما لا يجوز عليه من الشركاء وغيرها مما هو من لوازم الامكان وتوابع الحدوث والخطاب في ولكن لا
تفقهون تسبيحهم عام للمسلمين والمشركين عندهم وخاص بالمشركين عند الآخرين ولهذا قال الزمخشري الخطاب للمشركين

وهو انه

وهو انه كانوا اذا سئلوا من خالق السموات قالوا الله الا انهم لما جعلوا معه آلهة مع اقرارهم فكانهم لم ينظروا ولم يقروا لان نتيجة
النظر الصحيح والاقرار الثابت خلاف ما كانوا عليه فاذا لم يفقهوا التسبيح ولم يستوضحوا الدلالة على الخالق وقال القاضي
ولكن لا تفقهون تسبيحهم انها المشركون لاخلالكم بالنظر الصحيح الذي فهم به فهم تسبيحهم ويجوز ان يحمل التسبيح على المشترك
بين اللفظ والدلالة لاسناده الى ما يتصور منه اللفظ وهو من فيهن والى ما لا يتصور منه اللفظ وعليهما عند من جوز
اطلاق اللفظ على معنييه وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وابو بكر يسبح له بالياء والباقون بتاء التانيث وقرأ الحسن وطلحة
وابن ابي عبلة سبحت بالماضي وقرأ مالك بن دينار ولا يفقهون مبنيا للمفعول من التفقيه انه كان حليما حين لم يعا
جلكم بالعقوبة على غفلتكم وسوء نظركم وجهلكم بالتسبيح وشرككم غفورا لمن تاب منكم واذا قرأت القرآن جعلنا بينك
وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا يحجب قلوبهم عن فهم القراءة والانتفاع به مستورا اذا ستر كقولهم
سيل مفعم ذو افعام وقيل هو حجاب لا يرى فهو مستور ويجوز ان يراد انه حجاب من دونه حجاب او حجب فهو مستور بغيره او حجاب يستره
يبصر فكيف يبصر المحتجب به وهذا حكاية لما كانوا يقولونه وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا و
بينك حجاب كانه قال واذا قرأت القرآن جعلنا على زعمهم بينك وبينهم حجابا مستورا وقيل مستورا اذا ستر كقوله وعده مأتيا وقولهم
سيل مفعم او مستورا عن الحس بحجاب آخر لا يفقهون ولا يفهمون انهم لا يفهمون نفي عنهم ان يفهموا ما انزل عليهم من الآيات
بعد ما نفى عنهم التفقه للدلالات المنصوبة في الانفس والآفاق تقديرا له وبيانا لكونهم مطبوعين على الضلالة كما صرح بقوله
وجعلنا على قلوبهم اكنة جمع كنان وهو الغطاء وهذا تمثيل لتجافي قلوبهم عن الحق ونبوها عن قبوله واعتقاده كانها في
غلف واغطية تحول بينها وبينه وتمنع من نفوذه فيها ان يفقهوه مفعول له اي كراهة ان يفقهوه او لان لا يفقهوه
على راي الكوفيين ولا يرضاه البصريون لقلة حذف لا بالنسبة الى حذف المضاف او مفعول لما دل عليه وجعلنا على قلوبهم اكنة
اي ومنعناهم ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا ثقلا لئلا يسمعوا وهو تمثيل لمج اسماعهم للحق ونبوها عن الاصغاء اليه
كانها صماء يمنع عن استماعه ولما كان القرآن معجزا من حيث اللفظ والمعنى اثبت لمنكريه ما يمنع عن فهم المعنى وادراك اللفظ
واذا ذكرت ربك في القرآن وحده واحدا غير مشفوع به آلهتهم مصدر وقع موقع الحال واصله يحد وحده بمعنى واحدا وحده
فحذف الفعل الذي هو الحال واقيم المصدر مقامه ولوا على ادبارهم نفورا هربا من استماع التوحيد ونفرة او تولية او
جمع نافر كقاعد اي يحبون ان تذكر معه آلهتهم فاذا سمعوا بالتوحيد نفروا نحن اعلم بما يستمعون به من الهزء بك وبالقرآن
ومن اللغو كان يقوم عن يمينه اذا قرأ رجلان من عبد الدار ورجلان منهم عن يساره فيصفقون ويصفرون ويخلطون
عليه بالاشعار وبه في موضع الحال تقول يستمعون بالهزء اي هازئين وقيل بسببه ولاجله من الهزء بك وبالقرآن اذ يستمعون
اليك نصب على الظرف باعلم وكذا واذ هم نجوى اي نحن اعلم وقت استماعهم بما به يستمعون وحين هم ذوو نجوى يتناجون
به ونجوى مصدر بمعنى التناجي او جمع نجي اي متناجون في امرك فبعضهم يقول هذا مجنون وبعضهم كاهن وبعضهم ساحر
وبعضهم شاعر اذ يقول الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا منصوب باضمار اذكر او بدل من اذ هم على وضع الظالمون
موضع المضمر للدلالة على ان تناجيهم بقولهم هذا سحر والمسحور الذي سحر فجن قال ابو عبيدة اي رجلا له سحر وهو الرئة اي هو
بشر مثلكم ياكل ويشرب انظر كيف ضربوا لك الامثال كيف مثلوك بالمجنون والكاهن والساحر والشاعر فضلوا في جميع ذلك عن الحق فلا
يستطيعون سبيلا اليه او الى طعن موجه فيهام ويكونون كالمتحير في امره لا يدري ما يصنع وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا

ثوابا قال مجاهد وقيل حطاما ائنا لمبعوثون وهو بيعث لانه لانه بين يديه عقابا وهي حرف الاستفهام وان ولام الابتداء وواحدة منها كافية فكيف اذا اجتمعن وتكرير همزة الاستفهام انكار على انكار وجحود بعد جحود ودليل على كفر مؤكد مبالغ فيه وذلك لما دار من المباعدة والمنافاة بين غضاضة الحي وبوسة الرميم ولم يزلوا انهم قد عموا عن القدرة الباهرة المتعلقة بالنشاة الاولى حتى يقيسوا عليها النشاة الاخرى وخلقا مصدرا وحالا قل جوابا لهم كونوا حجارة او حديدا او خلقا مما يكبر في صدوركم اي مما يكبر عندكم عن قبول الحيوة ويعظم في زعمكم على الخالق احياؤه فانه قادر على احيائكم لان الاجسام متماثلة يصح على كل منها ما يصح على الاخر فلا يمتنع شي منها على قدرته الشاملة لجميعها وليس الامر ههنا على حقيقته بل على المجاز لان المقصود اهانتهم وقلة المبالاة بهم لا طلب كونهم حجارة او حديدا لعدم قدرتهم على ذلك وقيل ليس هذا بامر الزام بل هو تعجيز والجمهور على ان ما يكبر في صدورهم الموت اذ ليس في نفس ابن ادم شي اكبر من الموت اي لو كنتم بعينه لاميتنكم ولابعثنكم وقيل السموات والارض لانها خلق عظيم لا يقادر قدره وخلق ساير الاشياء المخلوقة بالقياس اليه صغير قليل مهين فسيقولون من يعيدنا من يبعثنا بعد الموت قل الذي فطركم اول مرة خلقكم اول مرة من تراب ثم من نطفة ولا تناسب بين التراب والادم ثم من علقة ثم من مضغة ومن قدر على ذلك كله قدر على اعادة ما ابداه بل هذا اظهر في القدرة من تلك واهون في القياس فان من قدر على الانشاء كان على الاعادة اقدر فسينغضون اليك رؤسهم فسيحركونها نحوك تعجبا واستهزاء اذا قلت لهم ذلك ويقولون متى هو سؤال عن وقت البعث بعد تعيين الباعث قل عسى ان يكون قريبا اي هو قريب لان عسى في الاصل للطمع والطمع والاشفاق من الله تعالى واجب يعني انه اقرب كقوله واقترب الوعد الحق واذا قرب وقته فقد قرب ما يكون فيه من الحساب والعقاب وغير ذلك وكقوله وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا وانتصابه على الخبر وقيل على الظرف اي في زمان قريب وان يكون اسم عسى او خبره واسم مضمر يوم يدعوكم فتستجيبون تمثيل على اسلوب قوله كن فيكون في انه لا دعاء لا ولا استجابة لان المقصود ان ارادته لبعثهم يتبعها انبعاثهم من غير توقف وامتناع فشبه ذلك بدعاء الداعي المطاع اذا ورد على المدعو المطيع الممتثل فيجيبه من غير ريث اي يوم يبعثكم فتنبعثون مطاوعين منقادين لا تمتنعون ويجوز ان يكون الدعاء والاجابة محمولين على الحقيقة وقيل استعار لهما الدعاء والاستجابة للتنبيه على سرعتهما او تيسر امرهما وان المقصود منهما الاحضار للحساب والجزاء بحمده حال منهم اي حامدين لله على قدرته على البعث كما قال سعيد بن جبير انهم ينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك او منقادين لبعثه انقياد الحامدين عليه وقيل معترفين بانه خالقهم وباعثهم ويحمدونه حين لا ينفعهم الحمد وقيل الخطاب مع المؤمنين فانهم يبعثون حامدين ولله الحمد قوله فتظنون ان لبثتم الا قليلا وتستقصرون مدة لبثكم في الدنيا او في البرزخ وتحسبونها يوما او بعض يوم لما ترون من الهول وعن قتادة تحاقرت الدنيا في انفسهم حين عاينوا الاخرة وقل لعبادي اي للمؤمنين يقولوا التي هي احسن ان الشيطان ينزغ بينهم يلقي بينهم الفساد ويغري بعضهم على بعض ليقع بينهم المشارة والمشاقة فلعلها تفضي الى العناد وازدياد الشر والفساد وقراء طلحة ينزغ بكسر الزاء ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا قد بانت عداوته لهم اذا خرج اباهم من الجنة ونزع عنه لباس النور ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم او ان يشأ يعذبكم تفسير التي هي احسن وما بينهما اعتراض اي يقولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا يقولوا لهم انكم من اهل النار وانكم معذبون فان ذلك يغيظهم ويهيجهم على الشر مع ان ختام امرهم غيب لا يعلمه الا الله وما ارسلناك عليهم وكيلا موكولا اليك امرهم تقسرهم على الاسلام وانما ارسلناك بشيرا ونذيرا فدارهم ومر اصحابك بالمداراة والاحتمال منهم وعنه عليه السلام ان الله امرني بمداراة الناس كما امرني باقامة الفرايض قيل نسختها اية القتال وقيل نزلت في عمر شتمه رجل فامره الله بالعفو

وقيل المشركون افرطوا في ايذاء المسلمين فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقيل الكلمة التي هي احسن ان يقولوا يهديكم الله وقيل الا الانتقام وقراء طلحة ينزغ بالكسر وهما لغتان نحو ينعقون وربكم اعلم بمن في السموات والارض باحوالها ومقاديرهم وبما يختار منهم للنبوة والولاية من يشاء وهو رد لانكار اهل مكة واستبعادهم ان يكون يتيم ابي طالب نبيا وان يكون العراة الجوع اصحابه كصهيب وبلال وخباب وغيرهم دون ان يكون ذلك في بعض الاكابر وصناديدهم ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض بالكتاب وبالرسالة وغير ذلك من الكلام والرؤية مثلا قال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى اعطاني جوامع الكلام واعطاني الرؤية وفضلني بالمقام المحمود والحوض المورود وعنه ايضا انه عليه السلام قال ان الله تعالى اختارني على الانبياء واختار اصحابي على جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين واختار لي من اصحابي اربعا ابو بكر وعمر وعثمان وعلي رضوان الله عليهم اجمعين وعنه عليه السلام انا اول من تنشق عنه الارض ولا فخر وبيدي لواء الحمد وادم ومن دونه تحته ولا فخر رواه ابن عباس وعنه عليه السلام انا سيد الناس يوم القيمة الحديث وقد فضله الله تعالى بكثرة الاتباع ايضا قال عليه السلام اهل الجنة عشرون ومائة صف ثمانون منها امتي وبي حل الجنة اولا ايضا قال عليه السلام اول من ياتي من الامم الى الجنة حرام على الانبياء حتى ادخلها وحرام على الامم ان يدخلوها حتى يدخلها امتي رواه ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم وقيل بالفضايل النفسانية والتبري عن العلايق الجسمانية لا بكثرة الاموال والاتباع حتى داود فان شرفه بما اوحي اليه من الكتاب لا بما اوتي من الملك وقيل هو اشارة الى تفضيل رسول الله وقوله واتينا داود زبورا دلالة على وجه تفضيله وهو انه خاتم الانبياء وان امته خير الامم لان ذلك مكتوب في زبور داود قال الله تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون وهو محمد وامته وتنكيره ههنا وتعريفه هناك لانه في الاصل فعول للمفعول اي المزبور كالحلوب او مصدر كالقبول فيجوز دخول اللام فيه وتعريه عنه كالعباس وعباس والفضل وفضل وقرائة حمزة بالضم ويجوز ان لا يكون علما بل بمعنى الكتاب والتنكير للوحدة النوعية اي واتينا داود بعضا من الزبر وهي الكتب اي واحدا منها بعضا من الزبر وهي الكتب اي واحدا منها وان يراد منها بعضا من الزبور فيه ذكر الرسول وبعض الزبور زبور كما ان بعض القران قران وهو مشتمل على مائة وخمسين سورة كلها دعاء وتحميد وثناء على الله تعالى ليس فيها حلال ولا حرام ولا فرايض ولا حدود قل ادعوا الذين زعمتم انها الهة من دونه من الملائكة وعيسى وعزير وقيل هم نفر من الجن عبدهم ناس من العرب ثم اسلم الجن ولم يشعروا فلا يملكون فلا يستطيعون كشف الضر عنكم من مرض او فقر او عذاب ولا تحويلا ولا تبديل ذلك منكم الى غيركم اولئك مبتداء الذين يدعون صفته يبتغون الى ربهم الوسيلة خبره اي هؤلاء الالهة يبتغون القربة الى الله بالطاعة لا الى غيره ايهم اقرب بدل من واو يبتغون واي موصولة اي يبتغي من هو اقرب منهم الى الله الوسيلة فكيف بغير الاقرب او ضمن يبتغون الوسيلة معنى يحرصون فكانه قيل يحرصون ايهم يكون اقرب الى الله وذلك بالطاعة وازدياد الخير والصلاح ويرجون رحمته ويخافون عذابه كساير عباده فكيف يزعمون انهم الهة ان عذاب ربك كان محذورا اي حقيقا بان يحذره كل احد من نبي مرسل وملك مقرب فضلا عن غيرهم ومن رحمته ان حذر عباده من عذابه وقيل الوسيلة الدرجة العليا اي يتضرعون في طلب الدرجة العليا وقراء عبد الله اولئك الذين تدعون بالياء اي تدعونهم وقراء يبتغون بالياء كما ذكره صاحب غرايب القراات وقراها قتادة بالتاء وقراء عبيد بن عمير يدعون بالياء والبناء للمفعول وان من قرية الا نحن مهلكوها بان نخربها ونميت اهلها فاستوصل وعن النبي صلى الله عليه وسلم اول الارضين خرابا يسراها ثم يمناها رواه جرير بن عبد الله قبل يوم القيمة او معذبوها عذابا شديدا بالقتل والزلازل والفتن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان امتي امة مرحومة انما جعل عذابها في القتل والزلازل والفتن رواه ابو موسى الاشعري وعن ابيه عن النبي عليه السلام ان امتي امة مرحومة مغفور لها جعل الله تعالى عذابها بايديها في الدنيا فاذا كان يوم القيمة اعطى الله تعالى كل رجل من امتي رجلا من اهل الاديان فيقال هذا فداؤك من النار وقال عليه السلام ان هذه امتي من النار طول بلاؤها تحت الارض وقيل الهلاك للصالحة والعذاب للطالحة

لعده تخريس

وعن مقاتل وجدت في كتب الضحاك بن مزاحم في تفسيرها اما مكة فيخربها الحبشة وتهلك المدينة بالجوع والبصرة بالغرق والكوفة بالترك والجبال بالصواعق والرواجف واما خراسان فعذابها ضروب ثم بلدا بلدا وقال ابن مسعود اذا ظهر الزنا والربا في قرية اذن الله في هلاكها كان ذلك في الكتاب مسطورا اي في اللوح المحفوظ مكتوبا وفيه دليل بين على ان الكوائن مظاهر ما في اللوح وانها قبل وجودها قد كتبت واثبتت فيه قال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول شيء خلق الله القلم اجرى بما هو كائن الى يوم القيمة من نور فاخذه بيمينه وكلتا يديه يمين والقلم مسيرة خمسمائة عام واللوح مثله فقال للقلم اجري بما هو كائن الى يوم القيمة برها وفاجرها رطبها ويابسها فجرى قوله انما يلفظ من الله من قدرته وعن علي السلام اول ما خلق القلم ثم خلق النون وهي الدواة ثم قال اكتب فقال وما اكتب قال ما كان وما هو كائن الى يوم القيمة ثم ختم فم القلم فلم ينطق ولا ينطق الى يوم القيمة رواه ابن عباس وابو هريرة وعبادة بن الصامت وما منعنا ان نرسل بالآيات وما صرفنا عن ارسال الآيات التي اقترحتها قريش الا ان كذب بها الاولون اي الا تكذيب الاولين الذين امثالهم في العناد والطبع على قلوبهم كعاد وثمود وانها لو ارسلت لكذبوا بها تكذيب اولئك وقالوا هذا سحر مبين كما يقولون في غيرها واستوجبوا الاستيصال على ما جرت به سنتنا في الامم المكذبة وقد حكمنا ان لا نستاصلهم لان فيهم من يؤمن او يلد المؤمن ثم ذكر بعض الامم المهلكين بتكذيب الآيات المقترحة فقال وآتينا ثمود الناقة بسؤالهم مبصرة بينة ذات ابصار او بصائر او جاعلتهم ذوي بصائر وقراءة عبيد بن عمير ثمود بالتنوين وقرئ مبصرة بفتح الميم وكسر الصاد ذكره في كتاب الغرائب فظلموا بها فكفروا بها وظلموا انفسهم بسبب عقرها او بتكذيبها وما نرسل بالآيات الا تخويفا ولا نرسل الآيات المقترحة الا تخويفا من نزول العذاب العاجل كالطليعة والمقدمة له فان لم يخافوا نزل او ولا نرسل آياتنا من آيات القرآن وغيرها من المعجزات الا تخويفا او انذارا بعذاب الآخرة فان امر من بعثت اليهم مؤخر الى يوم القيمة والباء مزيدة او في موضع الحال والمفعول محذوف وقال قتادة ان الله يخوف الناس بما شاء من آياته لعلهم يرجعون واذ قلنا لك واذكر اذ اوحينا اليك ان ربك احاط بالناس فهم في قبضته وقدرته لا يستطيعون الخروج من مشيته فهو قادر عليهم وحاصل من شرح فلا تهبهم وامض لما امرك به من تبليغ الرسالة او احاط بقريش يعني اهلكهم من احاط بهم العدو ويعني بشرتك بوقعة بدر وبالنصرة عليهم وذلك قوله قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم سيهزم الجمع ويولون الدبر وغير ذلك وعبر بلفظ الماضي اشعارا بتحقق الاحاطة وثبوتها وانها كائنة لا محالة واقعة عليهم لان الماضي يدل على وجود الفعل وكونه مقطوعا وما جعلنا الرؤيا التي اريناك ليلة المعراج وتعلق به من قال انه كان في اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية وقيل انما سماها رؤيا على قول المكذبين حين قالوا له لعلها رؤيا رايتها وخيال خيل اليك استبعادا منهم كما سمى اشياء باسمائها عند الكفرة نحو قوله فراغ الى آلهتهم اين شركائي ذق انك انت العزيز الكريم او عام الحديبية حين راى انه دخل مكة وفيه ان الآية مكية الا ان يقال رآها بمكة وحكاها حينئذ ولعله رؤيا راها في وقعة بدر لقوله اذ يريكهم الله في منامك قليلا ولما روي انه حين ورد ماء بدر قال والله كاني انظر الى مصارع القوم وهو يومي الى الارض ويقول هذا مصرع فلان هذا مصرع فلان فتسامعت قريش بما اوحي اليه من امر بدر وما ارى في منامه من مصارعهم فكانوا يضحكون ويسخرون ويستعجلون به استهزاء وقيل راى قوما من بني امية يرقون منبره وينزون عليه نزو القردة فقال هذا حظهم من الدنيا يعطونه باسلامهم وعلى هذا كان المراد بقوله الا فتنة للناس ما حدث في ايامهم وعن ابي ذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول من يبدل ديني رجل من بني امية والشجرة الملعونة في القرآن عطف على الرؤيا وهي شجرة الزقوم ولما سمع المشركون ذكرها قالوا ان محمدا يزعم ان الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول ينبت فيها الشجر وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ذلك ولم يعلموا ان من خلق في كل شجرة نارا فلا تحرقها وفي وبر السمندر من ان تاكله النار واحشاء النعامة من اذى الجمر وقطع الحديد المحماة الحمر التي تبتلعها قادر ان يخلق في النار شجرة لا تحرقها ولعنها في القرآن لعن طاعميها وصفت به على المجاز للمبالغة وقيل وصفها الله باللعن لان اللعن الابعاد من الرحمة وهي في اصل الجحيم

في ابعد مكان من الرحمة وقيل وصفها بانها مكروهة مؤذية من قولهم طعام ملعون لما كان مكروها ضارا وعن ابن عباس هي الكشوث الذي يلتوي على الشجر وقيل هي الشيطان وقيل ابو جهل والحكم بن ابي العاص وقرئ والشجرة الملعونة بالرفع على الابتداء والخبر محذوف تقديره والشجرة الملعونة في القرآن كذلك ونخوفهم بانواع التخويف من مخاوف الدنيا والآخرة فما يزيدهم التخويف الا طغيانا كبيرا عتوا متجاوز الحد فكيف يخاف قوم هذه حالهم بارسال ما يقترحون من الآيات واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم تكريما له وتبجيلا فسجدوا الا ابليس استثنى ابليس من الملائكة وهو جني لانه قد امر بالسجود معهم فغلبوا عليه تغليب الرجال على المرأة في قولك خرجوا الا فلانة ثم استثنى منهم كما يستثنى الواحد منهم استثناء متصلا ويجوز ان يكون منقطعا قال ءاسجد حال باضمار قد او استئناف وقع موقع الجواب كانه قيل ما لك ان لا تكون مع الساجدين قال ءاسجد لمن خلقت طينا اي لم اسجد لمن خلقته من طين يعني لم يكن ولم يصح مني وانا عالي ان اسجد له لان الاستفهام المعني به الانكار يكون بمعنى النفي وهو نظير قوله لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال فقوله خلقت طينا مثل واختار موسى قومه في انتصاب المنتصب بنزع الخافض ويجوز ان يكون حالا من الموصول اي ءاسجد له وهو طين اي واصله طين او من الراجع اليه اي خلقته وهو طين وفيه على الوجوه ايماء الى علة الانكار قال ارايتك هذا الذي كرمت علي الكاف لتاكيد الخطاب لا محل له من الاعراب وهذا مفعول اول والذي صفته والمفعول الثاني محذوف لدلالة صفته عليه والمعنى اخبرني عن هذا الذي كرمته علي اي فضلته بامري بالسجود له لم كرمته علي وانا خير منه فاختصر الكلام بحذف ذلك ثم ابتداء فقال لئن اخرتني الى يوم القيمة اللام موطئة للقسم المحذوف وجوابه لاحتنكن ذريته الا قليلا اي لاستاصلنهم بالاغواء الا قليلا من احتنك الجراد الارض اذا جرد ما عليها اكلا مأخوذ من الحنك ومنه ما ذكر سيبويه من قولهم احتنك السنتين اي اكلها وانما علم اللعين ان ذلك يتسهل له اما تخمينا واستنباطا من قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها او تفرسا من خلقه ذا شهوة وغضب او سمعا من الملائكة وقد اخبرهم الله بذلك وقيل قال ذلك لما علم وسوسته في آدم والظاهر انه قال ذلك قبل اكل آدم من الشجرة وقيل لاستولين عليهم بالاغواء الا قليلا يعني المعصومين الذين استثناهم الله تعالى في قوله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان قال اذهب امض لما قصدته وهو طرد وتخلية بينه وبين ما سولت له نفسه وقفى على اثره بذكر ما جره سوء قصده في قوله فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاؤك وجزاؤهم فغلب المخاطب على الغائب ويجوز ان يكون الخطاب للتابعين على طريقة الالتفات جزاء موفورا مكملا من قولهم فر لصاحبك عرضه وانتصب جزاء على المصدر باضمار فعله او بما في جزاؤكم من معنى تجازون او على الحال من جهنم وهي موطئة لان الجزاء لا يدل على الهيئة الا بصفته وهو الموفور واستفزز اي استزل واستخف فالواضح قرينة تمنع عن ارادة حقيقة الطلب والايجاب فهو على كون الامر تعالى حكيما لا يامر ابليس باغواء عباده فهو مجاز عن تمكينه من ذلك واقداره عليه لان الايجاب يقتضي تمكن المامور من الفعل وقدرته عليه بسلامة الالات والاسباب وقيل والتحقير والهزء والخفيف وقيل والتحقير والتنزل والتجهيل من استطعت منهم من قدرت ان تستفزه من ذريته بصوتك بوسوستك ودعائك الى الشر والمعصية وكل داع الى معصية الله فهو من حزب ابليس وجنده وقال مجاهد بالغناء والمزامير فالمغنون والزامروه من خيل ابليس وقد ورد في الخبر الوعيد على الزامر واجلب عليهم وصح عليهم من الجلبة وهي الصياح وقيل الاجلاب اختلاط الاصوات ورفعها بخيلك ورجلك بجنودك واعوانك من راكب وراجل والخيل الخيالة ومنه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم يا خيل الله اركبي والرجل اسم جمع للراجل كالركب والصحب وقيل مقاتل استعن عليهم بركبان جندك ومشاتهم وقال قتادة ان له خيلا ورجلا من الجن والانس وهو كل من يقاتل في المعصية ويجوز ان يكون كلاما واردا على وجه التمثيل مثلت حال ابليس في تسلطه واغوائه من غير استفزاز وصوت واجلاب خيل ورجل بحال مغوار وقع على قوم فصوت بهم صوتا يستفزهم من اماكنهم ويقلعهم عن مراكزهم واجلب عليهم بجنده من خيالة ورجالة حتى استاصلهم قال صاحب الغرائب روي قرة عن الحسن واجلب بقطع الالف وضم اللام وحكاه الياء وقرأ حفص ورجلك بكسر الجيم والباقون بسكونها اما الكسر فعلى انه فعل بمعنى فاعل نحو تعب وتاعب ومعناه وجمعك الرجل وتضم جيمه ايضا فيكون مثل حدث وحدث وندس

اوحرك

اي مقاتلا لنفسه

وندس فهو على هذا مفرد اريد به الجمع واما السكون فعلى انه اسم جمع للرجل لركب اسم جمع لراكب ونحو ذلك وقيل سكن الجيم من رجلكم
او رجلكم طلبا للخفة وقرئ ورجالك وشاركهم في الاموال بحملهم على كسبها وجمعها من الحرام والتصرف فيها على وجه المعصية من
الربا والاسراف ومنع الزكاة ونحو ذلك والاولاد بالحث على التوصل الى الاولاد بالسبب الحرام والواد قاله ابن عباس وقال مجاهد
والضحاك هم اولاد الزنا قال الحسن وقتادة هو انهم هودوا اولادهم ونصروهم ومجسوهم وعن ابن عباس في رواية اخرى وهو تسميتهم
الاولاد بعبد الحارث وعبد الشمس وعبد العزى وعبد الدار ونحو ذلك وعن جعفر بن محمد ان الشيطان يقعد على ذكر الرجل فاذا لم يقل
بسم الله اصاب معه امراته وانزل في فرجها كما ينزل الرجل وراى رجل امراته استيقظت وفي فرجها شعلة نار فاخبر بذلك ابن
عباس قال ذلك من وطي الجن وقد جعل الله تعالى له من كثير من الاشياء نصيبا قال ابو امامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابليس
لعنه الله لما انزل الى الارض قال يا رب انزلتني الى الارض وجعلتني رجيما رجيما فاجعل لي بيتا قال الحمام قال فاجعل لي مجلسا
قال الاسواق ومجامع الطرق قال فاجعل لي طعاما قال ما لم يذكر اسم الله قال اجعل لي شرابا قال كل مسكر قال اجعل لي
مؤذنا قال المزامير قال اجعل لي قرانا قال الشعر قال اجعل لي كتابا قال الوشم قال اجعل لي حديثا قال الكذب قال اجعل لي
رسلا قال الكهنة قال اجعل لي مصايد قال النساء قال عبيد الله بن زحر اخبرني ليث بن ابي سليم بذلك يرفعه وعدهم
المواعد الباطلة من شفاعة الالهة والاتكال على كرامة الاباء وتسويف التوبة وايثار العاجل على الاجل والقعود عن الانفاق
في سبيل الخير وقيل قل لهم لا جنة ولا نار ولا بعث وما يعدهم الشيطان الا غرورا اعتراض لبيان مواعده الباطلة والا لم يخاطب
النفس والجن قال عليه السلام ما منكم من احد الا وله شيطان الحديث والغرور تزيين الباطل بما يظن انه حق وقيل تزيين الخطا
بما يوهم انه صواب وقال الجوهري قال ابن السكيت الغرور بالضم ما اغتر به من متاع الدنيا وهذه الاوامر واردة على طريق
التهديد كقوله للعصاة اعملوا ما شئتم وقيل على سبيل الخذلان والتخلية ان عبادي يريد المخلصين ليس لك عليهم سلطان اي قوة
على اغوائهم هذا اصله ثم قدم قصدا الى الاختصاص وكفى بربك وكيلا يتوكلون به في الاستعاذة منك ونحوه قوله الا عبادك منهم
المخلصين ربكم الذي يزجي هو الذي يزجي اي يجري ويسير لكم الفلك اي السفن في البحر لتبتغوا من فضله لتطلبوا من فضله الربح
وانواع الامتعة التي لا يكون عندكم انه كان بكم رحيما حيث هيا لكم ما تحتاجون اليه وسهل عليكم ما تعسر من اسبابه واذا مسكم الضر في
البحر خوف الغرق ضل من تدعون غاب عن خواطركم كل من تدعون في حوادثكم الا اياه وحده فانكم حينئذ لا تذكرون
سواه ولا تدعونه لكشف الا اياه او ضل من تدعون من الالهة عن اغاثتكم ولكن الله وحده هو الذي ترجونه وحده على
الاستثناء المنقطع فلما نجاكم من الغرق الى البر اعرضتم عن التوحيد والاخلاص وقيل اتسعتم في كفران النعمة كقول ذي
الرمة عطاء فتى تمكن في المعالي فاعرض في المكارم واستطالا وكان الانسان كفورا بليغ الكفران ولم يقل وكنتم كفورا ليسجل على ان
هذا الجنس موسوم بكفران النعم والمعنى انه اذا اصابكم الله بنعمة الانجاء من الغرق ابطرتكم النعمة وكانتم لمح اوا شرة فتتبع
النعم واعرضتم عن شكره وقيل هو كالتعليل للاعراض افامنتم الهمزة للانكار والفاء للعطف على محذوف تقديره انجوتم
فامنتم فحملكم ذلك على الاعراض فان من قدر ان يهلككم في البحر بالغرق قادر ان يهلككم في البر بالخسف وغيره ان يخسف بكم جانب
البر بكم في موضع الحال وجانب البر مفعول به اي يقلبه الله وانتم عليه ويجوز ان يكون الباء للسببية اي يقلبه بسببكم وفي ذكر الجانب
دلالة على ان الجوانب والجهات تحت قهره وسلطانه ولا ملجا منه الا اليه فعلى العبد ان يستوي خوفه من الله في جميع الجوانب حيث
كان وقرا ابن كثير وابو عمرو نخسف بالنون وكذا الاربعة التي بعده التفاتا من الغيبة الى التكلم وهو ابلغ لما فيه من الافتنان و
التفخيم والباقون بالياء حملا على ما تقدم من الغيبة الى التكلم او يرسل عليكم حاصبا قال ابو عبيدة الحاصب الريح تحصب
اي ترمي بالحصباء وهي الحصا الصغير يعني وان يهلككم من تحتكم بالخسف اهلككم بريح يرسلها عليكم فيها الحصباء يرجمكم

محل اقوال الشيطان

بها فيكون اشد عليكم من الغرق في البحر وقيل اي يمطر عليكم حجارة من السماء كما امطر على قوم لوط ثم لا تجدوا لكم وكيلا حفيظا يحفظكم من
ذلك ويصرفه عنكم فانه لا راد لفعله ام امنتم ان يعيدكم فيه في البحر تارة اخرى بخلق دواعي تلجيكم اليه ان ترجعوا فتركبوه فيرسل
عليكم قاصفا من الريح فيتقم منكم بان يرسل عليكم ريحا لا تمر بشيء الا قصفته اي كسرته وقال ابن عباس قاصفا اي عاصفا وهي الريح
الشديدة وقيل الريح التي لها قصف وهو الصوت الشديد كانها تتقصف اي تتكسر فيغرقكم بما كفرتم بسبب كفرانكم لنعمة فان من كفر بنعمة
من نجاه فكانما كفر بجميعها وقيل بكفرانكم النعمة يريد اعراضهم حين نجاهم وقيل بسبب اشراككم وكفرانكم الانجاء وقرا ابو جعفر من الرياح ثم
لا تجدوا لكم علينا به تبيعا مطالبا يتبعنا بانتصار لكم او صرفه منه قوله تعالى فاتباع بالمعروف اي مطالبة قال الشماخ كما لاذ الغريم من التبيع
وقال جار الله والمعنى انا نفعل ما نفعل بهم ثم لا تجد احدا يطالبنا بما فعلنا انتصارا منا او دركا للثار من جهتنا وهذا نحو
قوله تعالى ولا يخاف عقباها اي ولا يخاف الله عاقبتها وتبعتها وهو نظر الصواب انا نفعل ما نفعل بكم ثم لا تجدوا احدا يطالبنا
وعن يعقوب فنغرقكم بالتاء وهو ضمير الريح وقرا الحسن وقتادة فيغرقكم بالياء والتاء للفاعل ومجاهد فتغرقكم بالتاء وتشديد
الراء وقرا الحسن ثم لا يجدون بالياء فيهما ولقد كرمنا بني آدم قيل كرمهم الله تعالى بالعقل والنطق والتمييز والخط والصورة
الحسنة والقامة المعتدلة وتدبير امر المعاش والمعاد وقيل بتسليطهم على ما في الارض وتسخيره لهم وقيل بان منهم خير امة اخرجت للناس
وقيل الرجال باللحى والنساء بالذوائب وقيل بانهم ياكلون بالايدي فان كل شيء ياكل بفيه الا بني آدم وعن الرشيد انه احضر طعاما فدعا
بالملاعق وعنده ابو يوسف فقال له جاء في تفسير جدك ابن عباس قوله تعالى ولقد كرمنا بني آدم جعلنا لهم اصابع ياكلون بها فا
حضرت الملاعق فردها واكل باصابعه والتكريم والكرام بمعنى والاسم الكرامة قلت الظاهر عندنا تكريمهم بالايمان والعمل الصالح
بدليل قوله عليه السلام ان المؤمن يعرف في السماء كما يعرف الرجل اهله وولده وانه اكرم على الله من ملك مقرب رواه علي رضه
وحملناهم في البر على الدواب والبحر على السفن من حملته حملا اذا جعلت له ما يركبه او حملناهم فيهما حتى لم يخسف بهم الارض ولم
يغرقهم الماء ورزقناهم من الطيبات يقال شيء طيب اي طاهر نظيف او مستلذ طعما وريحا وخبيث اي نجس او كريه الطعم والرائحة
وقوله من الطيبات معناه من المستلذات من الماكل والمشارب وقال مجاهد ومقاتل السمن والزبد والتمر والحلوى وفضلناهم على كثير
ممن خلقنا تفضيلا فيه دلالة على ان ابن آدم فضلوا على كثير وفضل عليهم قليل وهو ابوهم آدم وامهم حواء عليهما السلام فانهما
من فضل الاصالة على من تفرع منهما عن سائر الناس لا الملائكة المقربون كما زعم الكلبي وابو بكر الباقلاني وضلالة المعتزلة والا
يلزم التعارض بين الآيات وذلك ان الله تعالى امر الملائكة كلهم بالسجود لآدم على وجه التعظيم والتكريم ومقتضى الحكمة الامر للادنى با
لسجود للاعلى دون العكس وقال ايضا وعلم ادم الاسماء كلها فيفهم منه كل احد من اهل اللسان ان قصده تعالى منه الى
تفضيل آدم على الملائكة وبيان زيادة علمه واستحقاقه التعظيم والتكريم وقال ان الله اصطفى ادم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران
على العالمين والملائكة من جملة العالم فكيف يمكن ان تدل الآية التي نحن بصددها على ما زعموا من تفضيل الملك على البشر كلهم وايضا ما يدل
على بطلان ما زعموا قول النبي عليه السلام ان الله فضل المرسلين على المقربين لما بلغت السماء السابعة لقيني ملك من نور على سرير فسلمت عليه فرد
علي السلام فاوحى الله تعالى اليه سلم عليك صفيي ونبيي فلم تقم اليه وعزتي وجلالي لتقومن فلا تقعدن الى يوم القيمة رواه ابن عباس وعن علي
رضي قال النبي عليه السلام ان المؤمن يعرف في السماء كما يعرف الرجل اهله وولده وانه اكرم على الله من ملك مقرب وعن ابي هريرة قال
المؤمن اكرم على الله من الملائكة الذين عنده وعن الحكم بن ابان عن عكرمة قال سمعت ابن عباس يقول ان الله تعالى فضل محمدا صلى الله
عليه وسلم على اهل السماء وعلى الانبياء فقالوا يا ابا عباس فما فضله على اهل السماء قال ان الله تعالى قال لاهل السماء ومن يقل منهم
اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم وقال لمحمد انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر قالوا يا ابا عباس
فما فضله على الانبياء قال ان الله تعالى قال وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم وما ارسلناك

محل ١١١

رلا كافة للناس بشيرا ونذيرا فارسله الله تعالى الى الجن والانس وقد علم بما ذكرنا ان تاويل الكثير بالكل خطاء لا شبهة فيه وقال القاضي
فضلنا على كثير بالغلبة والاستيلاء او بالشرف والكرامة والمستثنى جنس الملائكة والخواص منهم ولا يلزم من عدم تفضيل الجنس عدم تفضيل
بعض افراده والمسئلة موضع نظر يوم ندعوا نصب باضمار اذكر او ظرف لما دل ولا يظلمون وقرئ يدعوا بالياء ويدعي كل اناس على البناء
للمفعول وقرأ الحسن يدعوا كل اناس على قلب الالف واوا في لغة من يقول افعوا او على ان الواو علامة الجمع كما في قوله واسروا النجوى
الذين ظلموا او ضميره وكل بدل منه والنون محذوفة لقلة المبالاة بها لانها غير ضمير ليست الا علامة الرفع وهو قد يقدر كما
في يدعي وقراءة زيد بن علي ندعوا كل الناس بزيادة اللام وكل اناس بامامهم بمن ائتموا به من نبي او مقدم في الدين او كتاب
او دين فيقال يا اتباع فلان يا اهل دين كذا وقيل بكتاب اعمالهم التي قدموها فيقال يا صاحب كتاب الخير ويا صاحب كتاب الشر
فينقطع علقة الانساب ويبقى نسبة الاعمال ويؤيده قراءة الحسن لهم بكتابهم وقد قيل في تفسير قوله في امام مبين اي في كتاب وقيل
بمعبودهم وقيل بالقوى الحاملة لهم على عقايدهم وافعالهم وقيل بامهاتهم جمع ام كخف وخفاف والحكمة في الدعاء بالامهات دون الاباء
اجلال عيسى واظهار شرف الحسن والحسين وان لا يفتضح اولاد الزنا ويغيره ما روي عن عائشة وعن ابن عباس ان النبي عليه السلام قال
ان الله يدعو الناس يوم القيمة باسمائهم سترا منه على عباده حكمه تعدّ فوقال الزمخشري ههنا بزيادة الطعن حيث قال وليت شعري
انهما ابدع الصحة لفظه ام بهاء حكمته بعد قوله ومن بدع التفاسير ان الامام جمع ام الى آخره لمن اوتي من هؤلاء المدعوين كتابه
اي كتاب عمله بيمينه فاولئك يقرؤن كتابهم ابتهاجا وتبجحا بما يرونه فيه ولا يظلمون فتيلا ولا ينقصون من اجورهم ادنى شيء وجمع
اسم الاشارة والضمير لان من اوتي في معنى الجمع وفي تعليق القراءة باتيان الكتاب باليمين دلالة على ان من اوتي كتابه بشماله او من وراء
ظهره اذا اطلع على ما فيه ياخذهم الحياء والخجل والحبسة عن القراءة كمن طولب بجناياته ومساويه فياخذه الخجل والحياء والانخزال
وحبسة اللسان والتتعتع والعجز عن اقامة حروف الكلام بسبب التذكر على جناياته واعترافه بمساويه ولذلك لمن يؤتكم مع ان قوله ومن
كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى ايضا يشعر بذلك لان الاعمى لا يقرا الكتاب واختلف في هذه فقيل اشارة الى الدنيا والمعنى ومن
كان في هذه الدنيا اعمى القلب لا يبصر رشده كان في الآخرة اعمى لا يرى طريق النجاة واضل سبيلا من الاعمى في الدنيا لزوال الاستعداد
وفقدان الالة المهلة وقيل اشارة الى النعم المعدودة في هذه الآيات من قوله ربكم الذي يزجي لكم الفلك الى قوله تفضيلا والمعنى ومن كان في هذه النعم
التي قد عاين اعمى فهو في امر الآخرة التي لم يعاين ولم ير اعمى واضل سبيلا يروى هذا عن ابن عباس وقيل ان الاهتداء بعد لا ينفعهم
والاعمى مستعار من فاقد الحاسة وقد جوزوا ان يكون الثاني للتفضيل من عمى بقلبه كالاجهل والابلد ولذلك قرا ابو عمرو الاول
ممالا والثاني مفخما غير ممال لان افعل التفضيل تمامه بمن فكانت الالف في حكم الواقعة في وسط الكلام كقولك اعمالكم واما الاول
فلم يتعلق به شيء فكانت الالف واقعة في الطرف معرضة للامالة وقراهما حمزة والكسائي وابو بكر وان كادوا ليفتنونك قيل
كان النبي صلى الله عليه وسلم يستلم الحجر الاسود فقالت قريش لا ندعك تستلم حتى تلم بالهتنا وتمسها بيدك فنزلت
وقيل قالوا لا نجعل آية رحمة آية عذاب وآية عذاب آية رحمة حتى نؤمن بك فنزلت وقيل قالت ثقيف لرسول الله صلى الله عليه وسلم
لا ندخل في امرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نجبي في صلاتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا
علينا فهو موضوع عنا وان تمتعنا باللات سنة ولا نكسرها بايدينا عند رأس الحول وان تمنع من قصد وادينا وج فعضد شجره موضوع
فاذا قالت العرب لم فعلت ذلك فقل ان الله امرني به وجاؤا بكتابهم فكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله لثقيف
لا يعشرون ولا يحشرون فقالوا ولا يجبون فسكت رسول الله ثم قالوا للكاتب اكتب ولا يجبون والكاتب ينظر الى رسول الله
فقام عمر بن الخطاب فسل سيفه وقال اسعرتم قلب نبينا يا معشر ثقيف اسعر الله قلوبكم نارا فقالوا لسنا نكلم اياك انما نكلم محمدا فنزلت
وان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية والمعنى ان الشان قاربوا ان يفتنونك اي يوقعوك في الفتنة

بالاستثناء عن الذين اوحينا اليك من الامر والنهي والوعد والوعيد لتفتري علينا غيره لتختلق علينا غير ما اوحينا اليك واذا لاتخذوك ... وتركن
خليلا اي ولئن اتبعت مرادهم لاتخذوك بافتتانك وليا لهم بريا من ولايتي ولولا ان ثبتناك ولولا تثبيتنا اياك وعصمتنا لقد كدت تركن
اليهم شيئا قليلا لقاربت ان تميل الى اتباع مرادهم من خدعهم ومكرهم والمعنى انك كنت على صدد الركون اليهم لقوة خدعهم وشدة احتيالهم لكن
ادركتك عصمتنا فمنعت ان تقرب من الركون فضلا عن ان تركن اليه وهو صريح في انه عليه السلام ما هم باجابتهم مع قوة الدواعي اليها
ودليل على ان العصمة بتوفيق الله وحفظه وقرا قتادة والجمهور تركن بضم الكاف اذا اي لو قاربت تركن اليهم ادنى ركنة لاذقناك
ضعف الحيوة وضعف الممات اي لاذقناك عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ضعف ما نعذب في الدارين غيرك بمثل هذا الفعل لان خطأ الخطير
اخطر وكان اصل الكلام لاذقناك عذابا ضعفا في الحيوة وعذابا ضعفا في الممات بمعنى مضاعفا فحذف الموصوف واقيم الصفة مقامه
وهو الضعف ثم اضيف اضافة موصوفها فقيل ضعف الحيوة وضعف الممات كما لو قيل لاذقناك اليم الحيوة واليم الممات وقيل الضعف
من اسماء العذاب وقيل المراد بضعف الحيوة عذاب في حيوة الآخرة وهو عذاب النار وبضعف الممات عذاب القبر والمعنى لاذقناك عذاب الآخرة
وعذاب القبر مضاعفين ثم لا تجد لك علينا نصيرا يدفع العذاب عنك وان كادوا وان كان اهل مكة ليستفزونك ليزعجونك
بعداوتهم ومكرهم من الارض من ارض مكة ليخرجوك منها واذا اي لو خرجت لا يلبثون خلفك لا يبقون بعد خروجك الا قليلا الا
زمانا قليلا فان الله مهلكهم وكان كما قال فانهم قد اهلكوا ببدر بعد هجرته بقليل وقيل معناه ولو اخرجوك لاستؤصلوا عن
بكرة ابيهم ولم يخرجوه بل هاجر بامر ربه وقيل من الارض اي من ارض العرب وقيل من ارض المدينة وذلك ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم لما هاجر حسدته اليهود وكرهوا قربه منهم فاجتمعوا اليه وقالوا يا ابا القاسم ان الانبياء بعثوا بالشام وهي بلاد
مقدسة وكانت مهاجر ابراهيم ولو خرجت الى الشام لامنا بك واتبعناك وقد علمنا انه لا يمنعك من الخروج الا خوف الروم فان
كنت رسول الله فالله مانعك منهم فعسكر رسول الله على اميال من المدينة وقيل بذي الحليفة حتى يجتمع اليه اصحابه ويراه الناس
عازما على الخروج الى الشام لحرصه على دخول الناس في دين الله فنزلت فرجع ثم قتل منهم بني قريظة واجلى بني النضير بقليل وقرا ابي
لا يلبثوا منصوبا باذا على ان الجملة براسها عطف على جملة قوله وان كادوا ليستفزونك لا على خبر كان كما في المشهور لان اذا لا يعمل
اذا كان معتمدا ما بعدها على ما قبلها وقرا الاعمش وعطاء لا يلبثون بتشديد الباء والبناء للمفعول وقرا ابن عامر وحمزة
والكسائي وحفص ويعقوب خلافك والباقون خلفك وهما بمعنى واحد اي بعدك ومنه فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله
اي بقعودهم بعد خروجه وقول الشاعر عفت الديار خلافهم فكانما بسط الشواطب بينهن حصيرا اي بعدهم سنة من قد ارسلنا
قبلك من رسلنا نصب على انه مصدر مؤكد اي سن الله ذلك سنة وهو ان يهلك كل قوم اخرجوا رسولهم من بين اظهرهم فالسنة
لله تعالى واضافتها الى الرسل لانها من اجلهم ويدل عليه ولا تجد لسنتنا تحويلا اي تغييرا اقم الصلوة لدلوك الشمس اي ادمها
لوقت زوال الشمس وبهذا تكون الآية جامعة للصلوة الخمس يقال دلكت الشمس اذا زالت وقيل اذا غربت ويدل على الاول قول
النبي صلى الله عليه وسلم اتاني جبريل لدلوك الشمس حين زالت الشمس فصلى بي الظهر واشتقاقه من الدلك لان الناظر يدلك عينيه
عند النظر اليها واللام للتاقيت نظيرها اللام في قوله عليه السلام وانزل الفرقان لاربع وعشرين خلون في شهر رمضان وقيل اصل
التركيب للانتقال ومنه الدلك فان الدالك لا تستقر يده وكذا ما تركب من الدال واللام كدلج ودلح ودلع ودلف ودله واستدل
بالآية على ان الامر المطلق المقيد بثبوت وصف يحتمل التكرار فانه تعالى قيد الامر بالصلوة بتحقق وصف دلوك الشمس فوجب
العود الى الصلوة في كل وقت دلوك الشمس واجيب بان التكرار في مثل هذا الامر انما لزم لتجدد السبب المقتضي لتجدد المسبب لا لمطلق
الامر والمقيد بوصف او المعلق بشرط نحو قوله وان كنتم جنبا فاطهروا فالمذهب الصحيح ان الامر لا يحتمل التكرار مطلقا كان نحو
ادخل الدار او معلقا بشرط او بصفة او بوصف وانما يستفاد التكرار من دليل خارجي كتكرار السبب مثلا الى غسق الليل الى ظلمته وهو وقت

تجوز

صلوة العشاء الاخيرة وقران الفجر وصلوة الصبح سميت قرانا وهو القراءة لانها ركنها كما سميت ركوعا وسجودا وقنوتا وهي حجة على ابن علية
والاصم في زعمهما ان القراءة ليست بركن وقال الشافعي واستدل به على وجوب القراءة فيها ولا دليل فيه لجواز ان يكون التجوز لكونها مندو
بة فيها نعم لو فسر بالقراءة في صلوة الفجر دل الامر بإقامتها على الوجوب فيها نصا وفي غيرها قياسا ان قران الفجر كان مشهودا تشهده
ملائكة الليل وملائكة النهار ينزل هؤلاء ويصعد هؤلاء فهو في آخر ديوان الليل واول ديوان النهار او يشهد الكثير من المصلين
في العادة او من حقه ان يكون مشهودا بالجماعة الكثيرة وقيل شواهد القدرة من تبدل الظلمة بالضياء والنوم الذي هو اخو الموت بالا
نتباه وقيل المراد بالصلوة صلوة المغرب وقوله لدلوك الشمس الى غسق الليل بيان لمبداء الوقت ومنتهاه واستدل به على ان الوقت يمتد
الى غروب الشفق وقيل يجوز ان يكون وقران الفجر حثا على طول القراءة في صلوة الفجر لكونها مكثورا عليها ليسمع الناس القراءة فيكثر الثواب و
لذلك كانت الفجر اطول الصلوة قراءة ومن الليل وعليك بعض الليل فتهجد به اي فاترك الهجود اي النوم للصلوة بالقراءة فان التهجد
ترك الهجود للصلوة ونحوه التأثم والتحرج ويقال ايضا في النوم تهجد نافلة لك فريضة زائدة لك على الصلوات الخمس او فضيلة لك لاختصاص
وجوبه بك قال انس قال النبي صلى الله عليه وسلم اربع على فريضة وهي لكم تطوع الوتر وقيام الليل والسواك والنحر وفي رواية عائشة ثلث علي فريضة
وهي سنة لكم الوتر والسواك وقيام الليل وقال قتادة ومجاهد الوجوب قد نسخ في حقه عليه السلام كما في حق الامة فصارت نافلة لان الله
تعالى قال نافلة لك ولم يقل عليك وصلوة التهجد ثماني ركعات قالت عائشة ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيد في رمضان ولا
في غيره على احدى عشرة ركعة يصلي اربعا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ثم يصلي اربعا فلا تسأل عن حسنهن واصبحن والمعنى ان
ربك يبعثك مقاما محمودا قيل هو المقام الذي يحمده القائم فيه وكل من رآه وعرفه وهو مطلق في كل ما يجلب الحمد من انواع الكرامات
والمشهور انه مقام الشفاعة لما روى ابو هريرة رضي الله عنه قال هو المقام الذي اشفع فيه لامتي وعن ابن عباس مقاما يحمدك فيه الاولون
والآخرون وتشرف فيه على جميع الخلائق تسأل فتعطى وتشفع فتشفع ليس احد الا تحت لوائك وعن حذيفة يجمع الناس في صعيد
فلا تكلم نفس فاول مدعو محمد صلى الله عليه وسلم فيقول لبيك وسعديك والشر ليس اليك والمهدي من هديت وعبدك بين
يديك وبك واليك لا ملجأ ولا منجا منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت قال فهذا قوله عسى ان يبعثك ربك مقاما
محمودا وعن عبد الله قال ان الله تعالى اتخذ ابراهيم خليلا وان صاحبكم خليل الله واكرم الخلائق على الله ثم قرأ عسى ان يبعثك ربك مقا
ما محمودا قال يقعده على العرش وعن مجاهد قال يجلسه على العرش وعن عبد الله بن سلام قال يقعده على الكرسي وانتصابه على الظرف
بتقدير فعل اي عسى ان يبعثك يوم القيمة فيقيمك مقاما محمودا او ضمن يبعثك معنى يقيمك على الحال بمعنى يبعثك ذا مقام محمود وقل رب ادخلني
قيل اي ادخلني في القبر مدخل صدق ادخالا مرضيا على طهارة وطيب من السيئات واخرجني منه عند البعث مخرج صدق اخراجا
مرضيا ملقى بالكرامة آمنا من السخط يدل عليه ذكره على اثر ذكر البعث وقيل المراد ادخال المدينة والاخراج من مكة نزلت حين
امر النبي صلى الله عليه وسلم بالهجرة قال ابن عباس والحسن وقتادة وقال الضحاك ادخلني مكة مدخل صدق ظاهرا عليها بالفتح واخرجني
منها آمنا من المشركين وقيل ادخاله الغار واخراجه منه سالما وقيل ادخاله فيما حمله من اعباء النبوة واخراجه منه مؤديا حقه
وقيل ادخلني في طاعتك واخرجني من المناهي وقيل ادخاله في كل ما يلابسه من مكان او امر واخراجه منه وقرئ مدخل ومخرج بفتح الميم
على معنى ادخلني فادخل دخولا واخرجني فاخرج خروجا واجعل لي من لدنك من خزائن نصرك ورحمتك سلطانا نصيرا حجة تنصرني
على من خالفني او ملكا قويا ناصرا للاسلام على الكفر فاستجاب له بقوله والله يعصمك من الناس فان حزب الله هم الغالبون ليظهره
على الدين كله ليستخلفنهم في الارض ووعد لينزعن ملك فارس والروم ويجعله له وعنه عليه السلام انه استعمل عتاب بن اسيد
على اهل مكة وقال انطلق فقد استعملتك على اهل الله وكان شديدا على المريب لينا على المؤمن وقال لا والله لا اعلم متخلفا
يتخلف عن الصلوة في جماعة الا ضربت عنقه فانه لا يتخلف عن الصلوة الا منافق فقال اهل مكة يا رسول الله لقد استعملت

على اهل الله

على اهل الله عتاب بن اسيد اعرابيا جافيا فقال عليه السلام اني رأيت فيما يرى النائم كان عتاب بن اسيد اتى باب الجنة فاخذ بحلقة
الباب فقلقلها قلقالا شديدا حتى فتح له فدخلها فاعز الله الاسلام لنصرته المسلمين على من يريد ظلمهم فذلك سلطان النصير وقل
جاء الحق الاسلام وزهق الباطل اي وذهب الشرك وهلك من زهق روحه اذا خرج وقال قتادة اي ذهب الشيطان فان الباطل
من اسمائه وقيل الحق عبادة الله والباطل عبادة الاصنام ان الباطل كان زهوقا مضمحلا غير ثابت هذا من التذييل الذي
يجب ان يكون لتأكيد منطوق الجملة السابقة لان زهوق الباطل منطوق في قوله زهق الباطل في كل وقت عن ابن مسعود ان
النبي عليه السلام دخل مكة يوم الفتح وحول البيت ثلثمائة وستون صنما فجعل يطعنها بعود في يده ويقول جاء الحق وزهق البا
طل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد وعن ابن عباس كانت لقبائل العرب يحجون اليها وينحرون لها فشكى البيت الى الله
فقال اي رب حتى متى تعبد هذه الاصنام حولي دونك فاوحى الله الى البيت ساحدث لك توبة جديدة فاملأك خدودا
سجدا يدفون اليك دفيف النسور ويحنون اليك حنين الطير الى بيضها لهم عجيج حولك بالتلبية ولما نزلت هذه الآية يوم الفتح قال
جبريل لرسول الله خذ مخصرتك ثم القها فجعل يأتي صنما صنما وهو ينكت بالمخصرة في عينه ويقول جاء الحق وزهق الباطل فينكب الصنم لوجهه
حتى القاها جميعا وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من قوارير صفر فقال يا علي ارم به فحمله رسول الله حتى صعد فرمى به فجعل اهل
مكة يتعجبون ويقولون ما رأينا رجلا اسحر من محمد وشكاية البيت يحتمل ان يكون حاليا وان يكون مقاليا كتسبيح الحصى
في يد النبي عليه السلام وانين الاسطوانة على فراقه عليه وقال الزمخشري وشكاية البيت والوحي اليه تمثيل وتخييل وننزل من
القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين من للبيان اي كل ما نزل من القرآن فهو في تقويم دين المؤمنين واستصلاح نفوسهم كالدواء
الشافي للمرضى قال النبي صلى الله عليه وسلم من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله وقيل من للتبعيض والمعنى ان منه ما يشفي من المرض كالفاتحة
وآيات الشفاء وقرأ البصري بالتخفيف وننزل بالتخفيف وحميد ينزل بالياء المضمومة وزيد بن علي وعبيد بن عمير ورحمة بالنصب
عطفا عليهما ولا يزيد الظالمين اي الكافرين الا خسارا اي نقصانا لتكذيبهم به وكفرهم كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم
واذا انعمنا على الانسان بالصحة والسعة اعرض عن شكرنا ونأى بجانبه اي وذهب بنفسه وتكبر وتعظم او لوى عطفه
وولى ظهره وبعد بنفسه عن شكرنا وذكرنا كانه مستغن عنه مستبد بامره وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان هاهنا وفي حم
السجدة وناء بتأخير الهمزة على القلب ونظيره في القلب راء في رأى وعلى انه بمعنى نهض فلا يكون مقلوبا والباقون نأى
واذا مسه الشر من مرض او فقر او نازلة من النوازل كان يؤسا شديد اليأس من روح الله وفضله وهذه صفة الكافر بشهادة قوله
انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وقيل معناه انه يتضرع ويدعو عند الضر والشدة فاذا تأخرت الاجابة
يئس ولا ينبغي للمؤمن ان ييأس من الاجابة وان تأخرت فيدع الدعاء فان الداعي يجاب البتة قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من اعطي الدعاء لم يحرم الاجابة وعنه عليه السلام ان العبد لا يخطئه من الدعاء احدى ثلث اما ذنب يغفر
واما خير يتخول واما خير يدخر قل كل يعمل على شاكلته على طريقته التي تشاكل حاله في الهدى والضلالة من قولهم طريق ذو
شواكل وهي الطرق التي تتشعب منه والدليل عليه قوله فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا اي اسد طريقا واين مذهبا وقيل
على شاكلته على نيته وقيل على حد علمه وقيل على طبيعته وخليقته وقيل على عادته وقيل على السبيل الذي اختاره لنفسه
وهو الدين وعن ابن عباس على ناحيته ويسألونك عن الروح الذي يحيى به بدن الانسان ويحصل به حسه وحركته سألوه
عن حقيقته فاجيبوا بقوله قل الروح من امر ربي اي مما استأثر ربي بعلمه وعن عبد الله بن بريدة ان الله تعالى لم يطلع على
الروح ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا ولقد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدري ما الروح وقال جنيد بن محمد الروح
شيء استأثر الله بعلمه لم يطلع عليه احدا من خلقه ولا يجوز العبارة عنه باكثر من موجود ويدل عليه ما روي ان اليهود

قالوا يوما لقريش سلوه عن ثلثة عن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فان اجاب عن كلها او لم يجب عن شيء منها فليس
بنبي وان اجاب عن اثنين ولم يجب عن واحدة فهو نبي فبين لهم القصتين وابهم امر الروح وهو مبهم في التورية فندموا على سؤالهم
وقيل من الابداع ابداء الكائنة بكن من غير مادة وتولد من اصل كاعضاء جسده او وجد بامره وحدث بتكوينه وقيل الروح جبريل
وقيل القرآن ومن امر ربي معناه من وحيه وكلامه ليس من كلام البشر وقيل هو خلق اعظم من الملك وعن سعيد بن جبير لم يخلق الله
خلق اعظم من الروح غير العرش لو شاء ان يبتلع السموات السبع والارضين السبع ومن فيها بلقمة واحدة لفعل صورة خلقه
على صورة الملائكة وصورة وجهه على صورة وجه الادميين يقوم يوم القيمة على يمين العرش وهو اقرب الخلق الى الله اليوم عند الحجب
السبعين واقرب الى الله يوم القيمة وهو ممن يشفع لاهل التوحيد ولولا ان بينه وبين الملائكة سترا من نور لاحترق اهل
السموات من نوره وقيل المراد منه عيسى فانه روح الله وكلمته وقيل هو والنفس شيء واحد وقيل هو الدم لان الحي اذا مات لا
يفقد من جسده الا الدم وقيل الروح بريح باردة والنفس ريح حارة والنفخ من الروح ولذلك برد والنفس من النفس
ولذلك صارت حارة والوجه الوجيه هو الاول وان علمه موكول الى الله تعالى وقال الغزالي وجميع الحكماء الارواح البشرية
ليست بمتحيزة ولا في جهة من العالم وليست بداخلة في ابدانها ولا خارجة عن ابدانها قال الحكماء ليسوا بمتحيزين وقال اهل
السنة والجماعة الارواح اجسام متحيزة وكذلك الملائكة بدليل قوله تعالى والنازعات غرقا الاية وقوله ونفخت فيه من روحي والانبياء
عليهم السلام اخبروا ان الملائكة سكان السموات والدلائل الظاهرة لنا متكاثرة والشيخ احمد الغزالي رحمه الله رد ذلك على اخيه
ذكره في كتاب سراج العقول في اصول الدين فقول الغزالي والحكماء ليس بشيء وما اوتيتم من العلم الا قليلا اي في جنب علم
الله تعالى فان علم العباد متناه وعلم الله لا نهاية له والمتناهي بالنسبة الى غير المتناهي قليل كقطرة بالاضافة الى بحر عظيم والخطاب
لم فوجب ان يكون الخطاب عاما ويؤيده ما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قال لهم ذلك قالوا نحن مختصون بهذا الخطاب
ام انت معنا فيه فقال بل نحن وانتم لم تؤتوا من العلم الا قليلا فقالوا ما اعجب شأنك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد اوتي
خيرا كثيرا وساعة هذا فنزلت ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام وما قالوه باطل مردود بما ذكرنا وان العلم الذي اوتيه العباد
خير كثير في نفسه ينال به الخير كله في الدارين الا انه اذا اضيف الى علم القديم فهو قليل وقيل هو خطاب لليهود خاصة لانهم قالوا
للنبي صلى الله عليه وسلم قد اوتينا التورية وفيها الحكمة وقد تلوت ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا فقيل لهم ان علم التورية
قليل في جنب علم الله وقيل هذا خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وهو ضعيف جدا كما لا يخفى ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا
اليك اللام الاولى موطئة للقسم المحذوف والثانية لام الجواب وهذا الجواب سادّ مسد الجوابين جواب القسم والشرط والمعنى
ان شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه من الصدور والمصاحف فلم نترك له اثرا وبقيت كما كنت لا تدري ما الكتاب وهذا الكلام
وارد على سبيل الفرض والتقدير فرضه لغرض فكيف ما ليس بمحال ثم لا تجد لك به علينا وكيلا لا تجد لك بعد الذهاب
من يتوكل علينا باسترداده واعادته محفوظا مسطورا وقيل اي من يتوكل برد القرآن اليك الا رحمة من ربك الا ان يرحمك ربك
فيرده عليك كان رحمته تتوكل عليك بالرد او ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به امتنانا ببقائه محفوظا بعد المنة العظيمة في تنزيله
وتحفيظه ويجب على كل عالم ان يقوم بشكر منة الله عليه بحفظ العلم ومنته عليه ببقاء المحفوظ في صدره ان فضله كان عليك كبيرا بارساله
وانزال القرآن العظيم عليه وابقائه في حفظه وعن ابن مسعود اقرؤا القرآن قبل ان يرفع فانه لا تقوم الساعة حتى يرفع قيل
هذه المصاحف ترفع فكيف بما في صدور الناس قال يسرى عليه ليلا فيرفع ما في صدورهم فيصبحون لا يحفظون شيئا ولا
يجدون في المصاحف ثم يفيضون في الشعر وقال عبد الله بن عمرو بن العاص لا تقوم الساعة حتى يرجع القرآن من حيث نزل له
دوي حول العرش كدوي النحل فيقول الرب ما لك فيقول يا رب اتلى ولا يعمل بي اتلى ولا يعمل بي قل لئن اجتمعت الانس

وتحفيظه

ولجني

هو والجن

ولجني على ان ياتوا بمثل هذا القرآن اي لو تظاهروا على ان ياتوا بمثل هذا القرآن في نهاية البلاغة وحسن النظم وكمال المعنى وفيهم العرب العرباء
وارباب البيان لا ياتون بمثله لعجزوا باسرهم عن الاتيان بمثله وهو جواب قسم محذوف دل عليه اللام الموطئة ولولا هي لجاز ان يكون
جواب الشرط بلا جزم لوقوع الشرط ماضيا كقوله وان اتاه خليل يوم مسئلة يقول لا غائب مالي ولا حرم ثم اعلم بان القرآن
غير مخلوق لانه صفة الله تعالى وصفاته باسرها ازلية غير مخلوقة ولا محدثة قال ابو حنيفة رح من قال انها مخلوقة او
محدثة او وقف فيها او شك فيها فهو كافر بالله تعالى وقال رح في اثبات الصفات ان الله تعالى لم يزل ولا يزال بصفاته
واسمائه لم يحدث له صفة ولا اسم ولاستحالة قيام الحوادث بذاته تعالى وما ذكر من الوجوه الدالة على حدوث اللفظ فهو غير
المتنازع فيه عند الاشعرية والمنصورية ايضا الا من قال بان كلامه تعالى حرف وصوت يقومان بذاته ومع ذلك قديم والعجب من
من هذا قولهم الجلد والغلاف قديمان ايضا ونحوه ما وقع سمعي ورايت عيني من خطيب كيلان في جامع قومس في مجلس القاضي من الخلق بقدم
حرف المكتوب في يده متغولا في عصره وذلك انه فتح السجل المطوي ثم نظر الى ما فيه من الحروف ثم قال بحق هذا الحرف القديم انه كذا مشيرا
بيده الى الحرف المكتوب في السجل ملتفتا الى القاضي وبيده موضوعة على الخط والقاضي يطلع اليه فالفكرة بلمعا شر الاحلام والعبرة لاولي
الابصار ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا مظاهرا ومعاونا في الاتيان به وذكر الانس والجن دون الملائكة اشارة الى
ان من شان الثقلين ان يجتمعوا على المحال بخلاف الملائكة اذ ليس من شانهم ذلك وقيل لعله لم يذكر الملائكة لان اتيانهم بمثله لا
يخرج عن كونه معجزة ولانهم كانوا وسايط في اتيانه ويجوز ان يكون تكريرا لقوله ثم لا تجد لك به علينا وكيلا ولقد صرفنا رددنا
وكررنا بوجوه مختلفة زيادة في التقرير والبيان للناس في هذا القرآن من كل مثل من كل معنى كالمثل في غرابته وحسنه وقيل من كل نوع
من العبر والاحكام والوعد والوعيد وغيرها فابى اكثر الناس الا كفورا الا جحودا وانما جاز ذلك ولم يجز ضربت الا زيدا لانه متاول بالنفي كانه
قيل فلم يابوا الا كفورا وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا تعنتا واقتراحا بعد ما لزمتهم الحجة وغلبوا ببيان الاعجاز
القرآن لهم وانضمام المعجزات الاخر اليه وقرا الكوفيون حتى تفجر بالتخفيف والباقون بالتشديد مطابقة للثاني المجمع عليه وهو فتفجر
الانهار والارض ارض مكة والينبوع عين غزيرة ينبع ماؤها ولا يقطع يفعول من نبع الماء اذا خرج من الارض كيعبوب
من عب الماء اذا ذخر وهو النهر الشديد الجري او تكون لك جنة من نخيل وعنب بستان مشتمل على الاشجار المثمرة
وهما اسم جمع لنخلة وعنبة فتفجر الانهار خلالها تفجيرا فتجري الانهار وسطها سهلا لا يمتنع عليه وقيل تفجيرا اتفجير تشقيقا وقراد الاعمش فتفجر
من الافجار او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا من السماء يعنون قوله تعالى او نسقط عليهم كسفا من السماء وهو كقطع لفظا
ومعنى جمع كسفة وقطعة وقرا نافع وابن عامر وعاصم بفتح السين والباقون باسكانها وهو اما مخفف من المفتوح كسدرة وسدر
وفعل بمعنى مفعول كالطحن بمعنى المطحون وقرا الاشهب كسفا بفتح الكاف وسكون السين او تاتي بالله والملائكة قبيلا كفيلا
بما تدعي اي شاهدا على صحته ضامنا لدركه او مقابلا كالعشير بمعنى العاشر وهو حال من الله وحال الملائكة محذوفة
لدلالة المذكور عليها اي تاتي بالله قبيلا والملائكة قبيلا كقوله كنت منه ووالدي بريا واني وقيار بها لغريب او جماعة
حالا من الملائكة وقرا ابي بها او تسقط السماء بفتح التاء ورفع السماء او تاتي بكون الياء او يكون لك بيت من زخرف
من ذهب وقد قرئ به واصل الزينة او ترقى في السماء في معارج السماء على حذف المضاف يقال رقي في السلم وفي الدرجة ولن
نؤمن لرقيك لاجل رقيك اي صعودك في السماء حتى تنزل علينا كتابا من السماء نقرؤه وكان فيه تصديقك وعن ابن
عباس قال عبد الله بن امية وهو ابن عمته عاتكة بنت عبد المطلب لن نؤمن لك حتى تتخذ الى السماء سلما ثم ترقى فيه وانا
انظر اليك حتى تاتيها ثم تاتي معك بصك منشور معه اربعة من الملائكة يشهدون لك انه كما تقول وايم الله لو فعلت ذلك
لظننت اني لا اصدقك وما كان قصدهم بهذه الاقتراحات الا العناد واللجاج لا الاسترشاد لانهم لو كانوا في صدد الاسترشاد

يعني لما

والوعيد لما

فتفجر

وكان الترسل

كانت آية واحدة مما اوتي بكافية في رشادهم قل سبحان ربي تعجبا من اقتراحاتهم او تنزيها لله من ان ياتي او يتحكم عليه او يشاركه
احد في القدرة هل كنت الا بشرا كسائر الناس رسولا كسائر الرسل لا ياتون قومهم الا بما يظهره الله عليهم من الآيات ولم يكن
امر الآيات اليهم ولا لي حتى اتخير وانما هو الى الله فما بالكم تتخيرونها علي هذا هو الجواب المجمل واما التفصيل فقد ذكر في آيات اخر
كقوله ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون وقرا ابن عامر وابن كثير قال سبحان اخبارا
عن الرسول صلى الله عليه وسلم بما قال في جوابهم وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا ان قالوا ان الاولى نصب مفعول
ثان لمنع والثانية رفع فاعل له والهدى الوحي اي وما منعهم الايمان بالقرآن ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم الا قولهم ابعث الله
بشرا رسولا اي الا انكارهم ان يرسل الله البشر وهذه شبهة تلجلجت في صدورهم والهمزة للانكار وما انكروه خلاف ما هو
منكر عند الله لان قضية حكمته ان لا يرسل ملك الوحي الا الى امثاله او الى الانبياء ثم قرر ذلك بقوله قل جوابا لشبهتهم لو
كان في الارض ملائكة يمشون على اقدامهم كما يمشي الانس ولا يطيرون باجنحتهم الى السماء فيسمعوا من اهلها ويعلموا
ما يجب علمه مطمئنين ساكنين فيها قارين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا يبين لهم ما يحتاجون اليه من امور الدنيا و
الدين لان الجنس الى الجنس اميل ولما كان اهل الارض بشرا قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم على اني رسول اليكم باظهار المعجزة
على وفق دعواي او على اني بلغت ما ارسلت به اليكم وانكم كذبتم وعاندتم وشهيدا مفعول او تمييز انه كان بعباده خبيرا بصيرا يعلم
احوالهم جميعا فيجازيهم عليها وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديد للكفار ومن يهد الله ومن يخلق الله فيه الاهتداء
لمن اراد فهو المهتدي لا غير ومن يضلل ومن يخلق فيه الضلالة فلن تجد لهم اولياء انصارا يهدونه امرهم اليهم ويهدونهم
يهدونهم منهم الضلالة من دونه في موقع الصفة اي كائنين من دونه ويجوز ان يكون حالا ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم
يسحبون عليها او يمشون عليها فان الذي امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم عميا وبكما وصما كما انهم في الدنيا لا
يستبصرون بالآيات والعبر ولا ينطقون بالحق ويتصامون عن استماعه كذلك في الآخرة لا يبصرون ما يقر اعينهم ولا يسمعون
ما يلذ مسامعهم ولا ينطقون بما يقبل منهم ويجوز ان يحشروا بعد الحساب من الموقف الى النار مؤفي الحواس فقد اخبر عنهم
انهم يرون ويتكلمون ويسمعون بقوله وراى المجرمون النار وقوله ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك وقوله سمعوا لها تغيظا وزفيرا
سمعوا لها شهيقا الى قوله ما كنا في اصحاب السعير ماواهم جهنم منزلهم ومسكنهم جهنم والماوى كل مكان ياوي اليه شيء ليلا او نهارا
كلما خبت كلما سكن لهيبها بان اكلت جلودهم ولحومهم زدناهم سعيرا توقدا بان نبدل جلودهم ولحومهم فتعود ملتهبة مستعرة
كانهم لما كذبوا بالاعادة بعد الافناء جزاهم الله بان سلط النار على اجزائهم تاكلها وتفنيها ثم يعيدها لا يزالون على الافناء
والاعادة وعليه دل بقوله ذلك جزاؤهم بانهم كفروا باياتنا الآية اي استمروا وثبتوا على الكفر بالقرآن وما فيه من البعث والحساب
وغير ذلك وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا الرفات الحطام وهو الفتات المكسر وقال مجاهد رفاتا اي ترابا ائنا لمبعوثون خلقا
جديدا خلقا مصدر من غير لفظه او حال اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض قادر على ان يخلق مثلهم اي قد
علموا بدليل العقل والعادة ان من قدر على خلق السموات والارض وهو خلق عظيم لا يقادر وخلق الناس بالقياس اليه قليل
مهين قادر على خلق امثالهم من الانس لانهم ليسوا باشد خلقا منهن فلا الاعادة اصعب عليه من الابتداء وجعل لهم اجلا لا
ريب فيه هو الموت او القيمة والجملة عطف على قوله اولم يروا فابى الظالمون فامتنعوا عن الانقياد للحق ولم يرضوا الا كفورا جحودا
واراد بالظالمين هؤلاء الكفرة باعيانهم فاقام المظهر مقام المضمر ليسجل عليهم بالظلم فيما قالوا قل لو انتم تملكون خزائن رحمة
ربي خزائن رزقه وسائر نعمه وانتم ليس بمتحمل لان لو تدخل الا على الفعل بل هو فاعل فعل محذوف يفسره ما بعده
والاصل لو تملكون فحذف الفعل احترازا عن العبث لوجود المفسر ثم ابدل من الضمير المتصل ضمير منفصل عليها

هو القاعدة

هو القاعدة عند حذف العامل واما بالنظر الى علم البيان ففيه دلالة على الاختصاص وان الناس هم المختصون بالشح المتبالغ لان
الفعل الاول لما سقط لاجل المفسر برز الكلام في صورة المبتدا والخبر ونحوه قول حاتم لو ذات سوار لطمتني وقول المتلمس ولو غير
اخوالي ارادوا نقيصتي وقيل هو لاهل مكة الذين اقترحوا الينبوع والانهار وغيرها وانهم لو ملكوا خزائن الارزاق لبخلوا بها
اذا لامسكتم خشية الانفاق اي لبخلتم مخافة النفاد بالانفاق من قولك للبخيل ممسك فلا يقدر له مفعول وقال قتادة
لبخلتم وصح خشية الانفاق وقيل لخفتم مخافة النفاد بالانفاق اذ لا احد الا ويختار النفع لنفسه ولو اثر غيره بشيء فانما
يؤثر لعوض يفوقه فهو اذن بخيل بالاضافة الى جود الله وكرمه هذا وان البخلاء اغلب منهم وقيل لامسكتم عن الانفاق
خشية الفقر وكان الانسان قتورا ضيقا بخيلا حيث لم يسمح وجب عليه ان يسمح لان بناء امره على الحاجة والضنة بما
يحتاج اليه وملاحظة العوض فيما يبذله وفيه دليل على ان الخطاب المتقدم عام فخلاف عدول عنه الظاهر ولقد اتينا
موسى تسع آيات بينات واضحات الاعجاز لم يقدر احد على معارضتها او مبينات المقاصد حججا وبراهين على صدق
نبوته وحقية رسالته وهي حال مؤكدة عن ابن عباس هي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم والحجر والبحر والطور
الذي نتق على بني اسرائيل وعن الحسن الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان الثلاثة الاخيرة وعن عمر بن عبد العزيز انه سال محمد
بن كعب فذكر اللسان والطمس فقال له عمر كيف يكون الفقيه الا هكذا اخرج يا غلام ذلك الجراب فاخرجه فنفضه فاذا بيض مكسور نصفين
وجوز مكسور وفوم وحمص وعدس كلها حجارة وعن صفوان بن عسال ان يهوديا سال النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال ان
لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق وان لا تسحروا ولا تاكلوا الربا ولا تمشوا ببريء
الى ذي سلطان ليقتله ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا من الزحف وانتم يا يهود خاصة لا تعدوا في السبت فقبل اليهودي يده و
قال اشهد انك نبي فعلى هذا المراد بالآيات الاحكام العامة للملل الثابتة في كل شرائع سميت بذلك لانها تدل على حال من
يتعاطى متعلقها في الآخرة من السعادة والشقاوة وانتم يا يهود خاصة حكم مستانف زائد على الجواب ولذلك غير فيه سياق الكلام
فاسال بني اسرائيل اي فقلنا له سل بني اسرائيل من فرعون ليرسلهم معك او سلهم عن ايمانهم وعن حال دينهم او سلهم ان يعاضدوك
وتكون قلوبهم وايديهم معك ويدل عليه قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسال بني اسرائيل على لفظ الماضي بغير همز وهو
لغة قريش وقراءة ابن عباس وابن جبير فسال بالماضي والهمزة اي سالهم موسى او فاسال يا محمد المؤمنين من بني اسرائيل عبد الله
بن سلام واصحابه عن الآيات لتزداد يقينا وطمانينة قلب لان الادلة اذا تظاهرت كان ذلك اقوى واثبت كقول ابراهيم
ولكن ليطمئن قلبي وعلى هذا قوله اذ جاءهم نصب باتينا او باضمار يخبروك على انه جواب الامر او باضمار اذكر على الاستئناف
وعلى الاول فيتعلق بالقول المقدر او بسال في قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له فرعون اني لاظنك يا موسى مسحورا سحرت
فتخبط عقلك وقال ابن عباس مخدوعا وقيل مصروفا عن الحق وقال الفراء وابو عبيدة ساحرا فوضع المفعول موضع الفاعل
كمحوه المستور عنه قال لقد علمت وقرا الكسائي بالضم على اخباره عن نفسه ما انزل هؤلاء الآيات الا رب السموات والارض
العالم بما لكم بصائر نصب على الحال اي بينات مكشوفات تبصرك صدقي ولكنك معاند مكابر واني لاظنك يا فرعون مثبورا مغلوبا قاله
ابن عباس وقال قتادة مهلكا وقال الفراء مصروفا ممنوعا من الخير من قولهم ما ثبرك عن هذا الامر اي ما صرفك ومنعك عنه
وقال مجاهد هالكا فارع الظن بظنه كانه قال ان ظننتني مسحورا فانا اظنك هالكا وشتان ما بين الظنين فان ظن موسى
اقوى واثبت لتظاهر اماراته من انكار ما عرف حقيقته وممانعته الآيات البينة بعد وضوحها وظن فرعون انما هو كذب بحت لان
قوله مع علمه بحقية امره وصحته اني لاظنك يا موسى مسحورا قول كذاب وقرا ابي بن كعب وان اخالك يا فرعون لمثبورا على ان المخففة
واللام هي الفارقة فاراد فرعون ان يستفزهم ان يستخف موسى وقومه ويخرجهم او ينفيهم من الارض من وجه الارض بالقتل والا

فأغرقناه ومن معه جميعا فانزلنا عليهم مكره بان استفززناه وقومه بالاغراق وفي هذه الفاء دلالة على ارادة استفزازه اياهم كان
سببا لاغراقه مع قبطه كان كما ظن موسى والذين وقلنا من بعده من بعد اغراق فرعون لبني اسرائيل اسكنوا الارض التي اراد فرعون
ان يستفزكم منها وهي ارض مصر او الارض مطلقا وقيل ارض مصر والشام فاذا جاء وعد الآخرة يعني قيام الساعة وقيل الكرة او الحياة
او الساعة او الدار الآخرة يعني قيام القيمة جئنا بكم لفيفا قيل اي جميعا الى موقف القيمة وقيل جميعا مختلطين اياكم واياهم ثم نحكم بينكم ونميز بين
سعدائكم واشقيائكم واللفيف الجماعات من قبايل شتى وقال الكلبي فاذا جاء وعد الآخرة يعني مجيء عيسى من السماء جئنا بكم لفيفا قيل
اي لفيفا اي انواعا من كل قوم من ههنا ومن ههنا لفوا جميعا وبالحق انزلناه وبالحق نزل اي وما انزلنا القرآن الا ملتبسا بالحق المقتضي له
نزاله وما نزل الا ملتبسا بالحق الذي اشتمل عليه او وما انزلنا من اسباده الا بالحق محفوظا بالرصد من الملائكة وما نزل على الرسول الا محفوظا
بهم من تخليط الشياطين ووسوستهم حتى يبلغ ما اوحي اليه كما هو من غير زيادة ولا نقصان ولعل المراد نفي اعتراض البطلان له اول الامر وآخره
وما ارسلناك الا مبشرا لاهل الايمان والطاعة بالجنة والثواب ونذيرا لاهل الكفر والعصيان بالنار والعذاب فلا عليك الا التبشير
والانذار وقرآنا فرقناه وقرآنا منصوب بفعل يفسره فرقناه والاصل وفرقنا قرآنا فرقناه فحذف الاول احترازا عن العبث لوجود المفسر
والمعنى نزلنا مفرقا منجما وقيل فرقناه فيه الحق من الباطل فحذف الجار كقوله ويوما شهدناه وقرأ ابي فرقناه بالتشديد اي جعلنا نزوله مفرقا
منجما وعن ابن عباس انه قرأ بالتشديد وقال لم ينزل في يومين او ثلثة بل كان بين اوله وآخره عشرون سنة يعني ان فرق اوثلثة
بالتخفيف يدل على فصل متقارب لتقرأه على الناس على مكث على مهل وتؤدة وتثبت فانه ايسر للحفظ واعون في الفهم وقرئ بفتح الميم
وهو لغة فيه ونزلناه تنزيلا على حسب الحوادث وجوابات السائلين وايضا بعضه منسوخ وبعضه ناسخ فلم يكن بد من النزول مفرقا
منجما قل آمنوا به او لا تؤمنوا فان ايمانكم بالقرآن لا يزيده كمالا وكفركم به لا يورثه نقصا وقوله ان الذين اوتوا العلم من قبله تعليل
له اي ان لم تؤمنوا به وانتم اهل جاهلية وشرك فان خيرا منكم وافضل قد آمنوا به وهم العلماء الذين قرؤوا الكتب وعلموا الوحي والشرايع
بحقيقتها وتحقق عندهم نعته وانه النبي الامي الموعود في كتبهم ورأوا صفته ما انزل اليه فيها او تعليل لقل على وجه التسلية كأنه
قيل تسل بايمان العلماء عن ايمان الجهلة ولا تكترث بايمانهم واعراضهم اذا يتلى عليهم القرآن يخرون للاذقان سجدا اي
يسقطون على وجوههم تعظيما لامر الله ولانجازه ما وعده في تلك الكتب من بعثة محمد صلى الله عليه وسلم وانزال القرآن عليه واللام للا
ختصاص كأنه قيل يجعلون اذقانهم للخرور ويختصونها به والخرور للذقن السقوط على الوجه وذكر الذقن وهو مجمع اللحيين لانه اول
ما يلقى الارض من وجه الساجد ويقولون سبحان ربنا عن خلف الوعد لانه نقص وهو محال على الله تعالى ان كان وعد ربنا
لمفعولا ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية اي انه كان وعده منجزا لا محالة ويخرون
للاذقان يبكون لاختلاف الحالين وهما خرورهم في حال كونهم ساجدين وخرورهم في حال كونهم باكين وقيل كرره لاختلاف
الحال والسبب فان الاول للشكر عند انجاز الوعد والثاني لما اثر فيهم من مواعظ القرآن حال كونهم باكين من خشية الله
وعن عبد الله بن عمر وقال النبي صلى الله عليه وسلم تضرعوا وابكوا فان السموات والارض والشمس والقمر والنجوم تبكون من خشية الله
تعالى وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يلج النار من بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع ولا يجتمع
غبار في سبيل الله ودخان جهنم في منخري مسلم ابدا وعنه عليه السلام حرمت النار على ثلثة اعين عين بكت من خشية الله تعالى
وعين سهرت في سبيل الله وعين غضت عن محارم الله تعالى ويزيدهم سماع القرآن خشوعا خضوعا لربهم عابدين ربهم خوفا
من الله وشوقا اليه وايمانا قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن عن ابن عباس رضي الله عنهما سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة
ذات ليلة فجعل يقول في سجوده يا الله يا رحمن فقال ابو جهل ان محمدا ينهانا ان نعبد الهين وهو يدعو الها آخر فنزلت و
قيل ان اليهود قالوا انك لتقل ذكر الرحمن وقد اكثره الله في التورية هذا الاسم فنزلت والمراد على الاول التسوية بين الكلمتين

بانهما

بانهما مطلقان على ذات واحدة وان اختلف معناهما واعتبار اطلاقهما والتوحيد انما هو للذات الذي هو المعبود وعلى الثاني
انهما سيان في حسن الاطلاق وافضائه الى المقصود والدعاء في الآية بمعنى التسمية لا بمعنى النداء وهو متعدي الى مفعولين تقول
دعوته زيدا ثم يحذف احدهما استغناء عنه فيقال دعوت زيدا والمراد بالله والرحمن الاسم لا المسمى واو للتخيير فمعنى ادعوا الله او ادعوا
الرحمن سموا بهذا الاسم او بهذا واذكروا اما هذا واما هذا وقرأ يعقوب قل ادعوا الله بكسر لام الامر وادعوا بضم الواو
وقد قرئ ذلك عن ابي عمرو ايا ما تدعوا التنوين في ايا عوض من المضاف اليه وما صلة لتاكيد ابهام في اي اي هذين الاسمين
سميتم وذكرتم فله الاسماء الحسنى الضمير في له ليس للمسمى هذين الاسمين وهو ذات الله عز وجل لان التسمية للذات لا للاسم وكان
اصل الكلام ايا ما تدعون فهو حسن فاقيم مقامه فله الاسماء الحسنى لانه اذا حسنت اسماؤه كلها حسن هذان الاسمان لا
نهما منها والحسنى تانيث الاحسن وصفت بها الاسماء لان حكمها حكم المؤنث نحو الجماعة الحسنى ومعنى كونها احسن الاسماء انها مستقلة
بمعاني التقديس والتمجيد والتعظيم والربوبية والالهية والافعال التي هي النهاية في الحسن وقرأ يعقوب تدعوا بالنون
ولا تجهر بصلاتك بقراءة صلاتك على حذف المضاف لان الجهر والمخافتة صفتان تعتقبان على الصوت لا غير والصلوة افعال
واذكار كان رسول الله يرفع صوته بقراءته فاذا سمعها المشركون سبوا القرآن ومن انزله ومن جاء به فامره الله بان يخفض من صوته
والمعنى ولا تجهر بقراءة صلاتك حتى يسمع المشركون فان ذلك يحملهم على السب واللغو فيها ولا تخافت بها حتى لا تسمع من خلفك من المؤ
منين وابتغ بين ذلك سبيلا بين الجهر والمخافتة سبيلا وسطا فان الاقتصاد في جميع الامور محبوب روي ان ابا بكر رضي الله عنه
كان يخفي صوته بالقراءة في صلاته ويقول اناجي ربي وقد علم حاجتي وعمر كان يجهر ويرفع صوته ويقول اطرد الشيطان واو
قظ الوسنان فامر النبي عليه ابا بكر ان يرفع قليلا وعمر ان يخفض قليلا وقيل معناه ولا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها
كلها وابتغ بين ذلك سبيلا بان تجهر بصلاة الليل وتخافت بصلاة النهار وقيل الآية في الدعاء وهو قول عائشة
والنخعي ومجاهد ومكحول وعن عبد الله بن شداد كان اعراب من بني تميم اذا سلم النبي صلى الله عليه وسلم قالوا اللهم ارزقنا
مالا وولدا يجهرون فنزلت وذهب قوم الى انها منسوخة بقوله ادعوا ربكم تضرعا وخفية وابتغاء السبيل مثل لا
تخاذ الوجه الوسط في القراءة وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك في ملك العالم لاختصاصه بانه
تعالى لانه خالقه وموجده من العدم من غير شركة احد ولم يكن له ولي من الذل ناصر من الذل ومانع له منه لاعتزازه
به او ولي يواليه من اجل مذلة به ليدفعها بموالاته نطقت الآية الكريمة وشهدت بامور ثلث هو حق يقيني لا ريبة في ذلك لكل ذي
عقل سليم احدها انتفاء الولد عن الله وانه مما لا يصح ولا يتصور في العقول وليس ممكن اذ من المحال غير المستقيم ان
يكون ذات تخترع الاجسام جمعا حتى يكون والد الله لان الولادة من صفات الاجسام لا غير وايضا الولد انما يطلبه المحتاج ومن
هو غني عن العالمين والحاجة عنه منتفية مما سواه كان مستغنيا عن اتخاذ احد منهم ولدا وفيه تكذيب اليهود والنصارى وتبكيت
لهم حيث زعموا الولدية واتخاذ الولد وثانيها انتفاء الشريك عنه وان شركته في ملكه محال فان كل من سواه من الملائكة وا
لثقلين وغيرهم عبيد له وفي ملكه وهو سبحانه وتعالى مالكهم وخالقهم فمحال ان يفلح احد منهم للربوبية وان يكون شريكا
له في ملكه وفيه تكذيب للمشركين ثالثها انتفاء الولي عنه وانه مما لا ينبغي ولا يتصور وليس بجائز عليه اذ من المحال غير
المستقيم ان يذل فيحتاج الى احد يتعزز به ويدفع عنه مذلته اذ له العزة كلها ولا يعتز احد الا بعزته فمن المذلة عنه منتفية
والولي منها منتفيا عنه وهذه المحالات الثلث وقعت في الموصول والمعنى قل جميع المحامد مختصة بالله الذي لم يلد
ولم يستقم واستحال ان يتخذ ولدا وان يكون له شريك في الملك وان يوالي احدا من الذل وكبره تكبيرا عظمه تعظيما او قل
الله اكبر من ان يتخذ ولدا وان يشاركه احد ويوالي احدا من الذل ونظيره سبحه اي قل سبحان الله عن كل سوء وفي الحديث

هذا القول دليل على التعجب من غير لفظ تعجب الا يرى ان المعنى فلما اكبر من هذه صفاته وما اعلاه عما يضاف اليه من الولد
والشريك وغير ذلك مما استحال وامتنع اطلاقه عليه وهذا هو القول الجزل فليرجع اي تعقل ما قيل ههنا قال الزجاج
لحسني كيف رتب الحمد على نفي الشريك والولد والذل واجاب بان من هذا وصفه هو الذي يقدر على ايلاء كل نعمة فهو الذي
يستحق جنس الحمد وقال القاضي نفى عنه ان يكون له ما يشاركه من جنسه ومن غير جنسه اختيارا واضطرارا وما يعاونه ويقويه
ورتب الحمد عليه للدلالة على انه الذي يستحق جنس الحمد لانه الكامل الذات المنفرد بالايجاد المنعم على الاطلاق وما عداه ناقص
فهو مملوك نعمة او منعم عليه ولذلك عطف عليه قوله وكبره تكبيرا وفيه تنبيه على ان العبد وان بالغ في التنزيه والتحميد واجتهد
في العبادة والتمجيد ينبغي ان يعترف بالقصور عن حقه في ذلك وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا افصح الغلام من بني عبد
المطلب علمه هذه الاية وكان يسميها اية العزة وعنه عليه السلام من قرا سورة بني اسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوا
لدين كان له قنطار في الجنة والقنطار الف وقية ومايتا اوقية وروي ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم اني كثير الهم
والدين فقال عليه السلام له اقرا اخر سورة بني اسرائيل قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن حتى تختم ثم قل توكلت على الحي
الذي لا يموت سورة الكهف مائة واحدى عشرة اية وهي مكية وقيل الا قوله واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم الاية و
عن عائشة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اخبركم بسورة ملا ذلك عظمتها ما بين السماء والارض ولقاريها من الاجر مثل
ذلك ومن قراها غفر له ما بينه وبين الجمعة الاخرى وزيادة ثلثة ايام قالوا بلى قال سورة الكهف وعنه عليه السلام من قرا
العشر الاواخر من الكهف عصم من فتنة الدجال ذكره مسلم وابو داود والنسائي بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي انزل على
عبده الكتاب اي جميع المحامد مختصة بالله الذي انزل القران من اللوح المحفوظ على عبده محمد صلى الله عليه وسلم ورتب الحمد
على انزاله تنبيها على انه اجزل نعمائه واجلها وتنويها بحاله ودعاء الناس الى التصديق بذكر المعجز هو الكتاب الهادي الى ما هو سبب
الفوز بجميع السعادات الدنيوية والاخروية وفي اضافة العبد الى الضمير العايد الى الله تعالى دلالة على عظمته ورفعة محله
من الله سبحانه وتقديم الظرف للاهتمام لا للاختصاص كما يتبادر الى الوهم لقوله لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم وقوله
قولوا امنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم هذا بالنظر اليه والى سائر الانبياء فيجوز ان يكون للاختصاص ايضا كما لا يخفى فان نزول القران
مختص به لم يبعثه الى نبي سواه لان انزاله كان عليه خاصة وان لم يعده الى غيره ولم يتجاوزه الى من سواه ولم يجعل له عوجا اي ولم
يجعل شيئا من العوج وهو الاختلاف والتناقض في المفاهيم والمعاني وقيل شيئا من العوج باختلال في اللفظ وتناف في المعنى وا
نحراف من الدعوة الى جناب الحق والعوج في المعاني كالعوج في الاعيان وقيل عوجا اي مختلفا وقيل مخلوقا وعن ابن عباس
انه قال في قوله قرانا عربيا غير ذي عوج اي غير مخلوق قيما مستقيما بريا من التناقض والاختلاف وخروج شيء منه من
الحكمة والاصابة فيه وقال ابن عباس عدلا وقال الفراء قيما على الكتب كلها مصدقا لها شاهدا بصحتها ناسخا لشرايعها
وقيل قيما بمصالح العباد وما لا بد لهم منه من الشرايع فيكون وصفا له بالتكميل وانتصابه بمضمر تقديره جعله كان المعطوف فاصلا
بين ابعاض المعطوف عليه ولذلك قيل فيه تقديم وتاخير وقرى قيما لينذر باسا شديدا اي لينذر الذين كفروا عذابا شديدا
فحذف المفعول الاول اكتفاء بدلالة القرينة التي هي تكرير الانذار في قوله وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا واقتصارا
على المنذر لكونه الغرض الذي سيق له الكلام فوجب ان يقتصر عليه والباس في الاصل الشدة من يؤس الرجل باسا وباسة
ومنه قوله بعذاب بئيس اي شديد مبالغ في الشدة من لدنه في موقع الحال اي صادرا من عنده وقرا ابو بكر من لدنه بسكون الدال
مع اشمام الضمة وكسر النون والهاء معا والباقون بضم الدال وسكون النون وضم الهاء مراعاة للاصل وانما تكسر لمجاورة الكسرة او الياء
ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا اي ويخبرهم بان لهم اجرا حسنا وهو الجنة ماكثين خالدين مقيمين فيه

فيه ابدا

فيه ابدا او انقطاع فصارت الاية دالة على كمال البشارة والسرور بان لا لحوق الزوال بالابد وينذر الذين قالوا اتخذ الله
ولدا اي ويخوفهم بالعذاب المتعلق بقولهم المنكر والانذار التخويف من عقاب لتم بالزجر عن المعاصي وقيل الابلاغ مع التخويف
وفي الصحاح الانذار تخويف مع دعوة وخصهم بالذكر وكرر الانذار متعلقا بالمنذرين استعظاما لكفرهم ولم يذكر المنذر به استغناء بتقدم
ذكره ما لهم به من علم اي بالولد او باتخاذه او بالقول والمعنى انهم يقولونه عن جهل مفرط وتقليل لابائهم من غير علم بمعنى ما سموه
منهم فانهم كانوا يطلقون الاب والابن ويريدون بهما المؤثر والاثر او بالله اذ لو علموه لما جوزوا نسبة اتخاذ الولد اليه ولا لابائهم الذين
قالوا هذا القول وقد استملوه من الشيطان وتسويله فان قلت علام عطف قوله وينذر الذين قالوا قلت الجمهور على انه عطف على ويبشر
المؤمنين عطف الجملة على الجملة وقيل هو عطف على لينذر باسا شديدا عطف جزئي على كلي وعادة القران جارية بانه اذا ذكر كليا
عطف عليه جزئيا من جزئياته تنبيها على انه اعظم جزئيات ذلك الكلي كما في وملائكته وجبريل وميكائيل فكذا ههنا تنبيه على ان اقبح
انواع الكفر اتخاذ الولد يعني القول به لان فيه الشركة وزيادة كبرت كلمة عظمت مقالتهم هذه في الكفر لما فيها من الوصف بصفات الاجسام
من الولادة واللحم والشركة وغير ذلك وضمير كبرت عائد الى قولهم اتخذ الله ولدا وسميت كلمة كما سموا القصيدة بها وكلمة نصب على الحال
وقيل على التمييز وقرئت بالرفع على الفاعلية والنصب اقوى وابلغ وفيه معنى التعجب كانه قيل ما اكبرها كلمة تخرج من افواههم
صفة للكلمة تفيد استعظام اجترائهم على اخراجها من افواههم فان كثيرا من وساوس الشيطان في قلوب الناس لا يتمالكون ان يتلفظوا
بها السنتهم بل يكظمون عليها تشورا من اظهارها فكيف بمثل هذا المنكر وقال القاضي الخارج بالذات هو الهوى الحامل لها وقيل
صفة محذوف هو المخصوص بالذم لان كبر ههنا بمعنى بئس وقرئ كبرت بسكون الباء مع اشمام الضمة ليدل على اصله ان يقولون
الا كذبا اي ما يقولون الا قولا ذا كذب او وصف بالمصدر مبالغة كما يقال هو الكذب بعينه والزور بذاته وهو ابلغ لدلالته
على انه نفس الكذب وعينه وهو تحرير لقولهم المنكر المتقدم وقرا ابو البرهسم الا كذابا جمع كاذب ونصبه على الحال اي الا
كاذبين كذا قال صاحب الغرايب فلعلك باخع نفسك البخع ان يبلغ بالذبح النخاع وهو عرق في القفا واما النخاع بالنون فهو
خيط ابيض في جوف الفقار والاول هو المراد ههنا ولعل للاشفاق اي اشفق على نفسك ان تقتلها غما وحسرة على ما فاتك
من ايمان قومك وقال الجوهري يقال بخع نفسه بخعا اي قتلها غيظا وغما ومنه قوله تعالى فلعلك باخع نفسك على اثارهم اذا
اعرضوا عن الايمان شبه حاله معهم في وجده واسفه على توليهم بحال رجل فارقه احبته وهو يتحسر على اثارهم ويبخع
نفسه وجدا عليهم وتلهفا على فراقهم فهو استعارة تمثيلية وعن قتادة باخع نفسك على الاضافة اي قاتلها ومهلكها
هو للاستقبال فمن قرا ان لم يؤمنوا بالكسر لان للاستقبال اي لا تبخع نفسك ان لم يؤمنوا للمضي ففي قراءة بالفتح بمعنى لان لم
يؤمنوا وهو ماض فيكون باخع حكاية حال ماضية والا لا يجوز اعماله كانه قيل بخعت نفسك لاجل انهم ما امنوا
وجيء باسم الفاعل قصدا الى تصوير تلك الحالة واستحضارها في ذهن السامعين وقرئ باخع نفسك على الاصل وهو
المشهورة بهذا الحديث بهذا القران اسفا اي سريع الحزن مفعول له اي لفرط الحزن او حال اي متاسفا عليهم والاسف
المبالغة في الحزن والغضب يقال اسف واسيف اي سريع الحزن والبكاء وقيل الاسف بغير ياء الغضبان انا جعلنا ما على
الارض من الحيوان والنبات والمعادن زينة لها ولاهلها وقال مجاهد ما على الارض الرجال خاصة وهم زينة
الارض وقيل العلماء والصلحاء لنبلوهم ايهم احسن عملا اي ايهم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة
الله وهو تفسير النبي صلى الله عليه وسلم وفيه دليل على ان الاصوب والافضل ان يسارع في الاعمال الحسنة ويؤدي
في اول اوقاتها لان فضل السرعة وزيادتها انما يكون فيه كما لا يخفى ويعضده قوله عليه السلام افضل الاعمال في اول
وقتها ثم بر الوالدين رزقنا الله رضاه وقيل ايهم اترك للدنيا وفيه دليل على ان ترك الدنيا من احسن الاعمال واصعبها

الى الله تعالى كما ان حبها من اقبح الاعمال وابغضها اليه وفي الحديث اكبر الكبائر حب الدنيا فان قلت ما معنى ترك الدنيا قلت
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك الدنيا امر من الصبر واشد من حطم السيوف في سبيل الله ولا يتركها احد الا اعطاه الله
مثل ما يعطي الشهداء وتركها قلة الاكل والشبع وبغض الثناء من الناس فانه من احب الثناء من الناس احب الدنيا
ونعيمها ومن سره النعيم فليدع الدنيا والثناء من الناس ومعنى لنبلوهم لنعلمهم وقوله ايهم احسن عملا واقع موقع الثاني

كل النعيم

من مفعوليه كقولك علمته هو احسن عقلا وسمى ذلك بلوى وخبرة هو عالم بما سيكون من اعمال العالمين قبل وجودهم
لانه في صورة البلوى والاختبار والمعنى زينة ما على الارض فعل من يريد ان يعلم من الاحسن عملا منهم من غير الاحسن عملا

انا فعل

وان الله تعالى لم يزل عالما بالاشياء قبل كونها وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا الصعيد وجه الارض ترابا كان او
غيره قال الزجاج لا اعلم في ذلك اختلافا بين اهل اللغة وقيل هو التراب والجرز ارض لا نبات بها من الجرز وهو القطع وا
المعنى انا لنميط ما عليها من الزينة والبهجة ونجعلها مثل ارض بيضاء لا نبات فيها وانا لنعيد ما عليها من الزينة ترابا مستويا
بالارض ونجعله كصعيد املس لا نبات فيه وقرا ابن ابي عبلة جرزا بسكون الراء ام حسبت اي ظننت وام منقطعة ومعنى الهمزة
فيها انكار الحسبان بمعنى ما كان ينبغي ان تحسب ولم حسبت ويجوز ان يكون الخطاب لكل من يأتي منه الحسبان من قومه وغيرهم يعني ان انك
من اشتك بالحمد لو حسبوا ان قصة اصحاب الكهف عجيب وهي بعض من اياتنا فتلك الايات الكلية التي ذكرناها اعجب احق بان يتعجب
منها لكن عادة الانسان ان يتعجب من شيء يقل وقوعه اكثر من كثير الوقوع وان كان اعظم في نفسه واعجب وروي ان القوم كانوا
يتعجبون من قصة اصحاب الكهف حتى سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها على سبيل التعجب فنزلت والتقدير بل احسبت ان اصحاب الكهف
والرقيم في ابقائهم مدة طويلة كانوا من اياتنا عجبا بديعا بل سائر الايات في الاستحقاق بزيادة التعجب والبلوغ في مرتبة العجب
الاعاجيب وعجب مصدر وضع موضع العجيب وفيه مبالغة وهو ما خرج عن حد اشكاله ونظايره والكهف الغار الواسع في الجبل
والرقيم هو اسم الوادي الذي فيه اصحاب الكهف قاله ابن عباس وقيل اسم الجبل الذي فيه الكهف وقيل اسم قريتهم وقيل اسم
كلبهم قال امية بن ابي الصلت وليس بها الا الرقيم مجاورا وصيدهم والقوم في الكهف هجد وقيل هو لوح من رصاص رقمت
وكتبت فيه اسماؤهم وقصصهم ثم وضع على باب الكهف وقيل هو من حجارة وقيل ان الناس رقموا حديثهم نقرا في الجبل وقيل
مكانهم بين غضبان وايلة دون فلسطين وقيل اصحاب الرقيم قوم آخرون كانوا ثلثة خرجوا يرتادون لاهلهم فاخذتهم
السماء فاووا الى الكهف فانحطت صخرة فسدت بابه فقال احدهم اذكروا ايكم عمل حسنة لعل الله يرحمنا ببركته فقال واحد
استعملت اجراء ذات يوم فجاء رجل وسط النهار وعمل في بقيته مثل عملهم فاعطيته مثل اجرهم فغضب احدهم وترك
اجره فوضعته في جانب البيت ثم مر بي بقرة فاشتريت به فصيلة فبلغت ما شاء الله تعالى فرجع الي بعد حين شيخا ضعيفا لا
اعرفه وقال ان لي عندك حقا وذكره حتى عرفته فدفعتها اليه جميعا اللهم ان كنت فعلت ذلك لوجهك فافرج عنا فانصدع
الجبل حتى رأوا الضوء وقال آخر كان بي فضل واصابت الناس شدة فجاءتني امرأة فطلبت مني معروفا فقلت والله ما هو دون
نفسك فابت ثم رجعت ثلثا ثم ذكرت لزوجها فقالت اجبني له واغث عيالك فاتت وسلمت الي نفسها فلما تكشفتها وهممت اي
اضطربت بها ارتعدت فقلت مالك فقالت اخاف الله فقلت لها خفتيه في الشدة ولم اخفه في الرخاء فتركتها واعطيتها ملتمسها
اللهم ان كنت فعلته لوجهك فافرج عنا فانصدع حتى تعارفوا وقال الثالث كان لي ابوان هرمان وكانت لي غنم وكنت اطعمهما وا
سقيهما ثم ارجع الى غنمي فحبسني ذات يوم غيث فلم ارح حتى امسيت فاتيت اهلي واخذت محلبي فحلبت فيه ومضيت اليهما فو
جدتهما نائمين فشق علي ان اوقظهما فتوقفت جالسا ومحلبي على يدي حتى ايقظهما الصبح فسقيتهما اللهم ان فعلته لوجهك
فافرج عنا ففرج الله عنهم فخرجوا وقد رفع ذلك نعمان بن بشير اذ اوى الفتية الى الكهف اذ صار الفتية اليه يعني فتية من

اشراف الروم

اشراف الروم اراد دقيانوس على الشرك فابوا وهربوا الى الكهف وهي جمع الفتى وهو الشاب القوي الحدث ويستعار للمملوك وان كان
شيخا كالغلام ونهى النبي عليه السلام لا يقل احدكم عبدي وامتي ولكن ليقل فتاي وفتاتي وعن ابي يوسف من قال انا فتى فلان
كان اقرارا منه بالرق فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة اي رحمة من خزائن رحمتك وهي المغفرة وهي الرزق والامن من الاعداء وهيئ
لنا من امرنا من الامر الذي نحن عليه من مفارقة الاوطان والاهل ومقاتلة الكفار ومن امرنا رشدا حتى نكون بسببه راشدين
مهتدين او اجعل امرنا كله رشدا كقولك رأيت منك اسدا واصل التهيئة احداث هيئة الشيء والمراد به ههنا تسهيل امرنا
وفي الصحاح هيأت الشيء اصلحته والاصلاح نقيض الافساد وقرا الزهري وهي بغير همز فضربنا على آذانهم اي ضربنا عليها حجابا
يمنع سماعها يعني انمناهم انامة ثقيلة لا تنبههم فيها الاصوات فحذف المفعول الذي هو الحجاب كما يحذف في قولهم بنى على امرأته يعنون بنى
عليها القبة في الكهف سنين ظرف لضربنا عددا اي ذوات عدد وصف السنين به يحتمل ارادة الكثرة وارادة القلة فان الكثير قليل
عند الله تعالى كقوله لم يلبثوا الا ساعة من نهار وقيل ذكر العدد ليدل على الكثرة لان القليل لا يعد في العادة والغالب وقال الزجاج اذا
قل فهم مقدار عدده فلم يحتج ان يعد واذا كثر احتاج الى ان يعد وقال صاحب الغرايب من طلحة سنين عدد بغير الف
ولا تنوين ثم بعثناهم من نومهم اي ايقظناهم وفيه دليل على ان النوم اخ الموت في اللوازم من البعث وتعطيل الحياة والالتحاق
بالجمادات لنعلم هو من باب التمثيل والمعنى ثم فعلنا ذلك البعث فعل من يريد ان يعلم وقرا الزهري ليعلم بالياء على البناء للمفعول اي
الحزبين المختلفين منهم او من غيرهم في مدة لبثهم احصى لما لبثوا امدا ضبط امد الزمان لبثهم والا فانه تعالى لم يزل عالما بالاشياء
قبل كونها ووجودها وقيل لنعلم علم المشاهدة اي الطايفتين احصى لما لبثوا امدا فان اهل القرية تنازعوا في مدة لبثهم في الكهف وفيه
نظر لانه لو كان لله تعالى وجود الاشياء علم بالمشاهدة لم يكن قبل وجودها لزم التغير في علم الله تعالى وان يكون ذاته محلا للحوادث
وانه محال والحق ان علمه تعالى متعلق بالكاينات كلها مشاهدة وان لم توجد لانها موجودة في ازمنتها حاضرة له سواء كانت موجودة في
الماضي والحال والمستقبل فليس علم الا الشهود بعلم المغيبات المحض ونسبة الازمنة اليه على السوية لا يتغير بتغيرها لاستحالة قيام الحوادث بذاته
تعالى وقيل لنعلم ولم يعمل فيه لفظا وهو مبتدا واحصى خبره وهو فعل ماض وامدا مفعوله اي غاية يقال ما امدك اي منتهى عمرك
ولما لبثوا حال منه او مفعول له وقيل انه المفعول واللام مزيدة وما موصولة اي للذي لبثوا وامدا تمييز وقيل احصى اسم تفضيل من الاحصاء على ما
يراه سيبويه من بناء افعل التفضيل من افعل قياسا كقول امرئ القيس الله انجح ما طلبت به والبر خير حقيبة الرحل وفي امثالهم
افلس من ابن المذلق واحمق من هبنقة وامدا نصب بفعل دل عليه احصى كقوله واضرب منا بالسيوف القوانسا على نضرب القوانس نحن
نقص عليك نبأهم بالحق بالصدق والنبأ الخبر انهم فتية شبان آمنوا بربهم وزدناهم هدى بالتثبيت وقيل ايمانا وبصيرة
وربطنا على قلوبهم وقويناها بالصبر على هجر الوطن والاهل والمال والفرار بالدين الى بعض الغيران اذ قاموا بين يدي دقيانوس
الجبار من غير مبالاة به حين عاتبهم على ترك عبادة الصنم فقالوا ربنا رب السموات والارض رب العالم ومالكه وخالقه والصنم
جزء من العالم فهو مخلوق والمخلوق لا يصلح للعبادة من شيء لن ندعوا لن نعبد من دونه الها قالوا ذلك لان قومهم كانوا
يعبدون الاصنام لقد قلنا اذا شططا اي لو دعونا غيره لقد قلنا قولا ذا شطط وهو الافراط في الظلم والابعاد فيه من شط اذا بعد
ومنه اشط في السوم وفي غيره وقال ابن عباس شططا جورا وقال قتادة كذبا واصل الشطط مجاوزة القدر والحد وقال القاضي ذا شطط اي
ذا بعد عن الحق مفرط في الظلم هؤلاء مبتدا وقومنا عطف بيان اتخذوا من دونه آلهة خبره وهو اخبار في معنى انكار اي عبدوا الاصنام
وجعلوها آلهة جهلا منهم لولا يأتون عليهم على عبادتهم فحذف المضاف بسلطان بين برهان ظاهر يعني يعبدون آلهة لم تمسكوا في
صحة عبادتها برهان سماوي من جهة الوحي والسمع ولا الهم فيها علم ضروري ولا دليل عقلي ثنايه من دين ما الخشية ومن ضلاله
ما ابينه وفيه دليل على ان ما لا دليل عليه من الديانات مردود وقال الزمخشري وهو تبكيت لان الاتيان بالسلطان على عبادة

الاوثان حجة وهو دليل على فساد التقليد ولانه لابد في الدين من الحجة حتى يصح ويثبت فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا اي فمن اشنع ظلما ممن
تقول على الله مالم يقل بنسبة الشريك اليه ومعنى الاستفهام فيه من انكار ان يكون في الظلام كلهم ابلغ ظلما من المشركين عابدي الاوثان حيث
تركوا عبادة السميع المجيب الخالق لكل شيء القادر على كل شيء ومراجعه دوا من دونه صورا وتماثيل يستحيل منها
ان يستجيب لهم وان تقدر على شيء من افعال العباد ووصفوها بالالهية التي تقتضي الاقتدار على الخلق وبان كلها والاحاطة بالمعلومات
عن آخرها تشبيها بالله تعالى فجعلوا غير الخالق مثل الخالق في تسميته باسمه والعبادة له واذا اعتزلتموهم خطاب من بعضهم لبعض حين
صممت عزيمتهم على الفرار بدينهم والاعتزال والتفرد بمعنى واحد وما يعبدون الا الله عطف على الضمير المنصوب اي واذا اعتزلتم
وهو استثناء متصل فانهم كانوا يعبدون الله والاصنام كسائر المشركين او منقطع ويجوز ان يكون ما مصدرية على معنى واذا اعتزلتموهم
وعبادتهم الا عبادة الله وان يكون نافية على انه كلام معترض بين اذ وجوابه لتحقيق اعتزالهم اخبار من الله تعالى عن الفتية بالتوحيد
وانهم لم يعبدوا غيره فأووا الى الكهف فالجأوا اليه ينشر لكم ربكم جواب الامر اي يبسطكم ويوسع عليكم من رحمته من تفضله وانعامه في الدارين
ويهيئ لكم ويسهل من امركم مرفقا ما ترتفقون به اي ينتفع فالواو لكم جزما باجابة دعائهم السابق وايقانا بها كما قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ادعوا الله تعالى وانتم موقنون بالاجابة الحديث وقرأ نافع وابن عامر مرفقا بفتح الميم وكسر الفاء والباقون
بكسر الميم وفتح الفاء وهما بمعنى ومن اما صلة يهيئ او تجريدية كانه قيل ويجعل امركم كله مرفقا مبالغة في نفعه وترى الشمس لو رأيتها
والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يتأتى منه الرؤية اذا طلعت تزاور عن كهفهم تميل عنه ولا يقع شعاعها عليهم
فيؤذيهم لان الكهف كان جنوبيا او لان الله تعالى زورها عنهم واصله تتزاور فادغمت التاء في الزاي وقرأ الكوفيون بحذفها وابن
عامر تزور كتحمر وقرئ تزوار كتحمار وقراءة قتادة واهل الشام تزور بوزن تفعل وكلها من الزور وهو الميل ومنه زاره
اذا مال اليه والزور الميل عن الصدق ذات اليمين جهة اليمين وحقيقتها الجهة ذات اسم اليمين واذا غربت تقرضهم تقطعهم وتعدل عنهم
قيل اي تتركهم وتعدل عنهم وروى ابو عبيدة عن بعض عن عاصم غربت تقرضهم بالاظهار وقرأ الباقون بالادغام ذات الشمال
يعني يمين الكهف وشماله وهم في فجوة منه اي وهم في متسع من الكهف يعني انهم في ظل نهارهم كله لا يقطع عليهم الشمس لولا ان الله
يحرفها ويحجبها عنهم بقدرته ويحول بينها وبينهم وقيل في متسع من غارهم وفي وسط بحيث ينالهم فيه روح الهواء وبرد النسيم
ولا يحبون كرب الغار ولا يؤذيهم حر الشمس وذلك لان باب الكهف في مقابلة بنات نعش واقرب المشارق والمغارب الى محاذاة
ذلك مشرق راس السرطان ومغربه والشمس اذا كان مدارها مداره تطلع مائلة عنه مقابلة لجانبه الايمن وهو يلي المغرب و
تغرب محاذية لجانبه الايسر فيقع شعاعها على جنبتيه وتحلل عفونته وتعدل هواءه ولا تقع عليهم فتؤذي اجسادهم وتبلي ثيابهم
وفيه نظر لان ذلك كله بفعل الله وقدرته وكلهم لا بالشمس وتأثيره والا لكان كل من هو في ذلك الموضع على صفتهم وليس كذلك
ذلك من آيات الله اشارة الى تزاور الشمس وقرضها طالعة وغاربة فان ذلك دلالة من الدلالات الواضحة على القائم
وعظم قدرته وباهر حكمته هذا على القول الاول واما على الثاني فهو اشارة الى شأنهم وحديثهم وايوائهم الى الكهف وقيل الى انجائه
تخليص الله اي اخبار قصتهم من آيات الله من يهد الله بالتوفيق والتثبيت فهو المهتدي الذي اصاب الفلاح واهتدى
الى السعادة كلها وهو ثناء عليهم بانهم جاهدوا في الله حق جهاده واخلصوا له فوفقهم لوجوه السلامة وارشدهم الى نيل الكرامة
الكلية والاقتصار بالآية القطعية ويجوز ان يكون تنبيها على ان من سلك طريقة المهتدين الراشدين فهو الظافر بالاهتداء والرشاد
وان امثال هذه الآيات كثيرة ولكن المنتفع بها من وفقه الله للتأمل فيها والاستبصار بها ومن يضلل ومن يخذله بخلق الضلالة فيه
فلن تجد له وليا مرشدا من يلي امره ويرشده بعد خذلان الله تعالى والآية نص قاطع بان الهداية والضلالة من الله وانه هدى
بعض دون بعض وانها مستلزمة للاهتداء لكن الاهتداء يهتدي الى طريق الصواب وتحسبهم ايقاظا اي متنبهين جمع يقظ كانكاد

في نكد قيل

في نكد قيل عيونهم منفتحة وهم نيام فيحسبهم الناظر لذلك ايقاظا وقيل لكثرة تقلبهم وقيل لانفتاح عيونهم وانهم يتنفسون ولا يتكلمون وهم
رقود نيام وهو مصدر بمعنى المفعول يجمع فعول وقد ورد بان الفاعل لم يجمع على فعول وهذا غلط لحصول اجماع العلماء على ان قوله تعالى في
سورة مريم بكيا وجثيا جمع باك وجاث وان اصلهما بكوي وجثوي اجتمعت الواو والياء فادغمت في الياء ونقلبهم في رقودهم ذات اليمين
وذات الشمال جهة اليمين وقيل مرة للجنب الايمن ومرة للجنب الايسر وقال ابو هريرة لهم تقلبتان في كل سنة وقال ابن عباس تقليبة واحدة
من جانب الى جانب لئلا تأكل الارض لحومهم وذلك في يوم عاشوراء وقرئ ويقلبهم بالياء والضمير لله تعالى وقرأ الحسن وتقلبهم على المصدر
مرفوعا بانه مبتدأ خبره محذوف وقد مر ذكره وقيل خبره ذات ولكن نصبه لانه ظرف وهذا القول مما لا يعجبني وتقلبهم على المصدر
منصوبا بفعل يدل عليه وتحسبهم اي وترى وتشاهد تقلبهم والخطاب في ترى الشمس في احتمال العموم والخصوص وكلبهم هو كلب مروا به
فتبعهم فطردوه فانطقه الله فقال انا احب احباء الله فناموا وانا احرسكم او كلب راع مروا به فتبعهم وتبعه الكلب ويؤيده قراءة جعفر الصادق
وكالبهم اي وصاحب كلبهم وعن ابن جريج انه كان اسدا ومن تسمية الاسد كلبا دعاء النبي عليه السلام على عتبة بن ابي لهب اللهم
سلط عليه كلبا من كلابك فافترسه اسد والمشهور انه كان من جنس الكلاب باسط ذراعيه حكاية حال ماضية ولذلك عمل اسم الفاعل والذراع
من المرفق الى اطراف الاصابع بالوصيد اي بفناء الكهف وقيل الوصيد الباب وقيل العتبة لو اطلعت عليهم لو اشرفت عليهم ونظرت
اليهم وقرئ لو اطلعت بضم الواو لوليت منهم فرارا اي لهربت منهم وفرارا يحتمل المصدر لانه نوع من التولية والعلة والحال ولملئت منهم
رعبا خوفا يملأ صدرك لما البسهم الله من الهيبة وقيل لوحشة مكانهم وقيل لكثرة شعورهم وطول اظفارهم وعظم اجسامهم وتقلبهم من غير حس
ولا شعور وقال الكلبي لان عيونهم مفتحة كالمستيقظ الذي يريد ان يتكلم وهم نيام وقيل ان الله تعالى منعهم بالرعب
لئلا يراهم احد وعن معاوية انه غزا الروم فمر بالكهف فقال لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقال له ابن عباس رضي الله عنه ليس لك ذلك قد
منع الله تعالى من هو خير منك فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فقال معاوية لا انتهي حتى اعلم علمهم فبعث ناسا وقال لهم اذهبوا
فانظروا ففعلوا فلما دخلوا الكهف جاءت ريح فاحرقتهم وقيل فاخرجتهم وقرأ نافع وابن كثير ولملئت بتشديد اللام للمبالغة والباقون
بتخفيفها لان الاصل واخوه ابن عامر والكسائي ويعقوب رعبا بالتثقيل والباقون بالتخفيف وكذلك بعثناهم وكما انمناهم
في تلك النومة كذلك بعثناهم اذكارا بقدرته على الانامة والبعث جميعا ليتساءلوا بينهم اي ليسأل بعضهم بعضا فيتعرفوا حالهم
وما صنع الله بهم فيزدادوا يقينا على كمال قدرة الله ويستدلوا على امر البعث ويشكروا ما انعم به عليهم قال قائل منهم اي
احدهم وقيل هو رئيسهم واسمه مكسلمينا كم لبثتم في نومكم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم جواب مبني على غالب الظن لان النائم لا يحصي
مدة نومه وفيه دليل على جواز الاستشهاد والقول بالظن الغالب المجيبين وان الله اعلم بما لبثتم كانه هؤلاء قد علموا
بالادلة او بالهام الله ان المدة متطاولة وان مقدارها بهم لا يعلمه الا الله وقد روي انهم دخلوا الكهف غدوة وانتبهوا بعد
الزوال فظنوا انهم في يومهم فلما نظروا الى طول اظفارهم واشعارهم قالوا هذا ثم لما علموا ان الامر ملتبس لا سبيل لهم الى علمه
شرعوا فيما يهمهم وقالوا فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة الورق الفضة مضروبة كانت او غير مضروبة ومنه الحديث
ان عرفجة اصيب انفه يوم الكلاب فاتخذ انفا من ورق فانتن فامره رسول الله ان يتخذ انفا من ذهب وقرأ حمزة وابو بكر وابو عمرو
بورقكم بسكون الراء تخفيفا والباقون بكسرها وهو الاصل وقرئ بورقكم بكسر الواو واسكان الراء وقرئ بورقكم بكسر الراء وادغام
القاف في الكاف وعن ابن محيصن انه كسر الواو واسكن الراء وادغم فيه فالواو وهو غير جائز لالتقاء الساكنين على غير حده وروى
العباس عن ابي عمرو انه فتح الواو واسكن الراء وادغم القاف في الكاف وقرأ علي رضي الله عنه بوارقكم بالالف كتامر ولابن اي صاحب
ورقكم وابو عبيدة بورقكم بفتح الراء وروى يحيى بن آدم عن ابي بكر بورقكم بفتح الواو وكلها لغات في الفضة وفي حملهم الورق
دليل على ان التزود فعل الصالحين ودأب المنقطعين الى الله تعالى والمدينة طرسوس وكان اسمها في الجاهلية افسوس و
قيل احدكم يعني يمليخا فلينظر ايها اي اهلها على حذف المضاف كقوله واسأل القرية ازكى طعاما احل حتى لا يكون من غصب

او سبب حرام وقال الضحاك اطيب وقال عكرمة اكثر وقال مقاتل بن حيان اجود وقيل ارخص فليأتكم برزق منه وليتلطف وليتكلف
التلطف في التخفي حتى لا يعرف او في المبايعة والمعاملة حتى لا يغبن وقيل وليترفق في الطريق والمدينة ولا يكن في سر وكتمان ولا يشعرن بكم ولا يخبرن
احدا ولا يخبرن بمكانكم احدا من اهل المدينة او ولا يفعلن ما يؤدي الى الشعور بنا من غير قصد منه فسمى ذلك اشعارا منه بهم لانه
سبب فيه وقرأ الحسن ولا يشعرن بكم احد بالياء ولا يشعرن بفتح بنوة انهم ان يظهروا عليكم ان يطلعوا عليكم او يظفروا بكم و
الضمير عائد الى الاهل المقدر في ايها يرجموكم يقتلوكم بالرجم وهو اخبث القتلة وكان من عادتهم وقيل يضربوكم وقيل يشتموكم ويؤذوكم
بالقول او يعيدوكم في ملتهم او يصيروكم الى ملتهم بالاكراه العنيف من العود بمعنى الصيرورة وملتهم الكفر وقيل كانوا اولا
على دينهم فامنوا ولن تفلحوا اذا ابدا ان دخلتم الى ملتهم ودينهم وقرأ زيد بن علي وعبيد بن عمير انه يظهروا مبنيا للمفعول وكذا
لك اعثرنا عليهم وكما انمناهم وبعثناهم من تلك النومة لما في ذلك من اظهار القدرة الباهرة والحكمة البالغة وازدياد بصيرتهم و
يقينهم اطلعنا عليهم ليعلموا ليعلم الذين اطلعناهم على حالهم وهم قوم بيدوسيس الذين انكروا البعث ان وعد الله بالبعث او
الموعود الذي هو البعث حق صدق لا امرية لان نومهم وانتباههم بعدها كحال من يموت ثم يبعث وان الساعة لا ريب
فيها وان القيامة لا شك في امكانها ولا شبهة في وقوعها فان من قدر على توفي نفوسهم وامساكها ثلثمائة سنة وحفظ ابدانها
عن التحلل والتفتت ثم على ارسالها اليها قادر على ان يتوفى نفوس جميع الناس ويمسكها الى ان يحشر ابدانها فيردها
اليها اذ يتنازعون ظرف لاعثرنا اي اعثرناهم عليهم حين يتنازعون بينهم امرهم اي امر دينهم ويختلفون في حقيقة
البعث فكان بعضهم يقول تبعث الارواح دون الاجساد وبعضهم يقول يبعثان معا ليرتفع الخلاف وليتبين ان البعث للا
جساد والارواح معا وقيل اي يتذاكر الناس بينهم امر اصحاب الكهف ويتكلمون في قصتهم وما اظهر الله من الاية فيهم او
يتنازعون بينهم تدبير امرهم حين اماتهم الله ثانيا بالموت كيف يخفون مكانهم وكيف يسدون الطريق اليهم فقالوا ابنوا
عليهم بنيانا اي على باب كهفهم لئلا يتطرق اليهم الناس ضنا بتربتهم ومحافظة عليهم كما حفظت تربة رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالحظيرة وقرأ ابو البرهسم عليها بنادرتهم اعلم بهم اعتراض اما من الله رد لقول الخائضين في امرهم من اولئك المتنازعين او
او من المتنازعين للرد الى الله بعد ما تذاكروا امرهم وتناقلوا الكلام في انسابهم واحوالهم ومدة لبثهم فلم يتحقق لهم ذلك
او من المتنازعين فيهم على عهد رسول الله من اهل الكتاب قال الذين غلبوا على امرهم من المسلمين وملكهم لنتخذن عليهم اي
على باب كهفهم مسجدا يصلي فيه المسلمون ويتبركون بمكانهم روي ان اهل الانجيل عظمت فيهم الخطايا وطغت ملوكهم حتى عبدوا
الاصنام واكرهوا على عبادتها وممن شدد في ذلك دقيانوس وكان ينزل قرى الروم فلا يترك في القرية احدا الا فتنه حتى
يعبد الاصنام ويذبح للطواغيت او يقتله حتى نزل مدينة يقال لها افسوس فلما نزل اكره فتية من اشراف اهلها على الشرك
وتوعدهم بالقتل فابوا الا الثبات على الايمان والتصلب فيه ثم هربوا الى الكهف ودخلوه وكانوا يعبدون فيه ثم ضرب الله
على اذانهم وقيل ان يبعثهم الله ملكا من بينهم رجل صالح مؤمن وقد اختلف اهل مملكته في البعث معترفين وجاحدين فد
خل الملك بيته واغلق بابه ولبس مسحا وجلس على رماد وسأل ربه ان يبين لهم الحق فالقى الله في نفس رجل من رعيانهم
تهدم ما سد في الكهف ليتخذه حظيرة لغنمه ولما دخل المدينة من بعثوه لابتياع الطعام واخرج الورق وكان عليها اسم دقيانوس
اتهموه بانه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك وكان نصرانيا موحدا فقص عليه القصة فقال بعضهم ان اباءنا اخبرونا ان فتية
فروا بدينهم من دقيانوس فلعلهم هؤلاء فانطلق الملك واهل المدينة معه وابصروهم وكلموهم ثم حمدوا الله على الاية على البعث
ثم قالت الفتية نستودعك الله ونعيذك به من شر الجن والانس ثم رجعوا الى مضاجعهم وماتوا فالقى الملك عليهم
ثيابه وامر فجعل لكل واحد تابوتا من ذهب فرآهم في المنام كارهين للذهب فجعلها من الساج وبنى على باب الكهف مسجدا

وقيل

وقيل لما انتهوا الى الكهف قال لهم الفتى المبعوث مكانكم حتى ادخل اولا لئلا يفزعوا فدخل فقبض الله روحه واعمي عليهم اثرهم والمدخل فلم
يهتدوا اليهم فبنوا ثم مسجدا سيقولون الضمير لمن كان يخوضون في قصتهم في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل الكتاب والمؤمنين سألوا رسول الله
عنهم فاخر الجواب الى ان يوحى اليه فيهم فنزلت اخبارا بما سيجري بينهم من اختلافهم في عددهم وان المصيب منهم من يقول سبعة وثامنهم
كلبهم ثلثة رابعهم كلبهم اي هم ثلثة رجال يربعهم كلبهم بانضمامه اليهم روي ان السيد والعاقب واصحابهما من اهل نجران
كانوا عند النبي صلى الله عليه وسلم فجرى ذكر اصحاب الكهف فقال السيد وكان يعقوبيا كانوا ثلثة رابعهم كلبهم وقيل هو قول
اليهود ويقولون خمسة سادسهم كلبهم قاله العاقب وكان نسطوريا رجما بالغيب رميا بالخبر الخفي عليهم واتيانا به كقوله ويقذفون
بالغيب اي يأتون به او ظنا بالغيب من قولهم رجم بالظن اذا ظن وانما لم يجئ بالسين اكتفاء بعطفه على ما هو فيه وانتصابه على المصدر اي يرجمون
رجما او العلة او الحال وقرأ ابن محيصن خمسة بكسر الخاء والميم ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم انما قاله المسلمون باخبار رسول الله لهم عن لسان
جبريل وايماء الله اليه بان اتبعه قوله قل ربي اعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل واتبع الاولين قوله رجما بالغيب بان اثبت العلم بهم
لطائفة بعدما حصر اقوال الطوائف في الثلثة المذكورة فان عدم ايراد رابع في مثل هذا المحل دليل العدم مع ان الاصل بنفيه وبان ادخل
فيه الواو على الجملة الواقعة صفة للنكرة تشبيها لها بالواقعة حالا عن المعرفة لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على ان اتصافه
بها امر ثابت مستقر وقال ابن عباس حين وقعت الواو وانقطعت العدة اي لم يبق عدة عاد يلتفت بها وثبت انهم سبعة وثامنهم
كلبهم قطعا وجزما وعن علي رضي الله عنه هم سبعة وثامنهم كلبهم اسماؤهم يمليخا ومكشلينا ومشلينا هؤلاء اصحاب يمين الملك ومرنوش
ودبرنوش وشاذنوش اصحاب يساره وكان يستشير هؤلاء الستة في امره والسابع الراعي الذي وافقهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس
واسم مدينتهم افسوس واسم كلبهم قطمير او ذيابه وقال السدي اسم كلبهم نور وقال كعب صهبا وقال الاوزاعي تنور وقال خالد بن
معدان ليس في الجنة من الدواب سوى كلب اصحاب الكهف وحمار بلعم وعن ابن عباس انه قال اسماؤهم مكسلمينا ويمليخا ومرطوس و
ينبوس وسادنوس ودونواس وكفشيططيوس وهو الراعي وقيل كفشيططيونس وقال اسم كلبهم قطمير وكان المرقوق القلطي ودني
الكردي وقال مقاتل اصفر وقال القرطبي كانت صفرة تضرب الى الحمرة وقال الكلبي لونه كالخليج وقيل لون الحجر وقال السدي كان اصحاب
الكهف اذا انقلبوا انقلب الكلب معهم فاذا انقلبوا الى اليمين كسر اذنه اليمنى ورقد عليها واذا انقلبوا الى الشمال كسر اذنه اليسرى ورقد عليها
وفيه عبرة للمتبعين في الاتباع كيلا يكونوا اقل من الكلب في اتباع من امروا باتباعه ولا يخالفوه في شيء وقيل الاقوال الثلثة لا
هل الكتاب والقليل منهم اي سيقول اهل الكتاب في اصحاب الكهف كذا وكذا ولا علم بذلك الا في قليل منهم واكثرهم على ظن وتخمين فلا
تمار فيهم الا مراء ظاهرا فلا تجادل اهل الكتاب في شان اصحاب الكهف الا جدالا ظاهرا غير متعمق فيه وهو ان تقص عليهم
ما في القرآن من غير تجهيل لهم ولا تعنيف بهم في الرد عليهم كما قال ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن ولا تستفت فيهم
منهم احدا ولا تسأل احدا منهم عن قصتهم سؤال متعنت له حتى يقول شيئا فترده عليه وتزيف ما عنده لان ذلك خلاف مكارم
الاخلاق ولا سؤال مسترشد لان ما اوحيناه اليك من قصتهم كاف في رشادك وفيه مندوحة عن غيره وقيل اي ولا ترجع
الى قولهم بعد ان اخبرناك ولا تقولن لشيء تعزم عليه اني فاعل ذلك غدا اي فيما يستقبل من الزمان ولم يرد الغد خاصة الا ∴ اي لا اجل شي
ان يشاء الله الا ملتبسا بمشيئة الله قائلا ان شاء الله او الا وقت ان يشاء الله يقوله وبان لك فيه وعلى
الوجهين الاستثناء متعلق بالنهي ولا يجوز ان يتعلق بقوله فاعل لبعده عن المراد بان لا مدخل فيه للنهي مع انه
المقصود من الاية هو النهي عن القول بترك الاستثناء في كل ما قال اني افعل غدا فوجب الاستثناء فيه ومن ثم قال عليه السلام
ان من تمام ايمان العبد ان يستثني في كل في حديثه ويجوز ان يكون الاستثناء في معنى التأبيد تاكيدا للنهي ومبالغة فيه كانه قيل
ولا تقولن ذلك القول ابدا كقوله وما كان لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله لان عودهم في ملتهم مما لن يشاء الله وهذا نهي تاديب

من الله للنبي حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح واصحاب الكهف وذي القرنين فسالوه فقال اخبركم غدا ولم يستثن فابطا عليه الوحي
بضعة عشر يوما حتى شق عليه وكذبته قريش واذكر ربك اي مشيته وقل ان شاء الله كما روي انه لما نزل قال عليه السلام ان شاء الله
اذا نسيت اذا فرط منك نسيان لذلك والمعنى اذا نسيت كلمة الاستثناء ثم تنبهت عليها فتداركها بالذكر وعن ابن عباس ولو بعد سنة ما لم
يحنث ولذلك جوز تاخير الاستثناء عنه وعن سعيد بن جبير ولو بعد يوم او اسبوع او شهر او سنة وعن طاوس هو على ثنياه ما
دام في مجلسه وعن الحسن نحوه وعن عطاء يستثني على مقدار حلب ناقة غزيرة وعامة الفقهاء على انه لا اثر له في الاحكام ما لم يكن موصولا
ولو صح ذلك لم يتقرر اقرار ولا طلاق ولا عتاق ولم يعلم صدق ولا كذب وحكي انه بلغ المنصور ان ابا حنيفة خالف ابن عباس
في الاستثناء المنفصل فاستحضره لينكر عليه فقال ابو حنيفة هذا يرجع عليك انك تاخذ البيعة بالايمان افترضى ان يخرجوا
من عندك فيستثنوا فيخرجوا عليك فاستحسن كلامه ورضي عنه وليس في الاية والخبر ان الاستثناء المتدارك به من القول السابق بل هو
من مقدر مدلول به عليه ويجوز ان يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت كلمة الاستثناء مبالغة في الحث عليها
وتشديدا وتغليظا كان تركها ذنب لزم الاستغفار واذكر ربك اذا تركت بعض ما امرك به او اذكره اذا اعتراك النسيان ليذكرك
المنسي وقال الضحاك والسدي هذا في الصلوة ويؤيده قوله عليه السلام من نسي صلوة فليصلها اذا ذكرها وقال عكرمة معنى الاية
واذكر ربك اذا غضبت وفي الانجيل ابن ادم اذكرني حين تغضب اذكرك حين اغضب وقل عسى ان يهدين ربي لاقرب من
هذا رشدا كلمة هذا اشارة الى نبا اصحاب الكهف والمعنى لعل الله يؤتيني من الحجج على صحة نبوتي ما هو ادل لكم من نبا اصحاب
الكهف وقد فعل ذلك حيث اتاه من قصص الانبياء والاخبار بالغيوب التي لا يعلمها الا الله ما كان وما يكون في الدارين ما هو ادل
من ذلك واعظم ويجوز ان يكون المعنى اذا نسيت شيئا فاذكر ربك عند نسيانه ان تقول عسى ربي ان يهديني لشيء آخر بدل
هذا المنسي اقرب منه رشدا وادنى خيرا ومنفعة وقيل عسى ان يثبتني على طريق هو اقرب وارشد ولبثوا في كهفهم ثلث مائة سنين
يعني لبثهم في الكهف احياء مضروبا على اذانهم هذه المدة وهو بيان لما اجمل في قوله فضربنا على اذانهم في الكهف سنين عددا وقيل انه حكاية
عن كلام اهل الكتاب حيث اختلفوا في مدة لبثهم كما اختلفوا في عدتهم فقال بعضهم ثلثمائة وقال بعضهم ثلثمائة وتسع سنين و
تؤيده قراءة عبد الله وقالوا لبثوا وسنين عطف بيان لثلثمائة وقيل بدل منه وكذلك قوله اثنتي عشرة اسباطا امما ورد بانه يلزم منه
ان لا يكون عدد السنين مقصودا وليس كذلك وفيه نظر لعدم الفرق بينه وبين بدل الكل وقال الزجاج لو انتصب سنين على التمييز
لوجب ان يكونوا قد لبثوا تسعمائة سنة كما قرئ بافراد سنة ويحتمل ان علامة الجمع ههنا فيه جبر لما حذف من الواحد وان
الاصل في العدد اضافته الى الجمع والباقون بالتنوين وقرأ الضحاك ثلثمائة سنون اي هي سنون وعن الكسائي ثلثمائة سنين با
دغام التاء في السين وازدادوا تسعا عن علي رضي الله عنه قال عند اهل الكتاب انهم لبثوا ثلثمائة شمسية والله تعالى ذكر ثلثمائة قمرية
والتفاوت بين الشمسية والقمرية في كل مائة سنة ثلث سنين فيكون في ثلثمائة تسع سنين فلذلك قال وازدادوا تسعا اي
تسع سنين لان ما قبله يدل عليه وعن ابي عمرو تسعا بفتح التاء رواه روح عن احمد عنه وقال الكلبي ان نصارى نجران قالت
اما الثلثمائة فقد عرفنا واما التسع فلا علم لنا بها فنزل قوله قل الله اعلم بما لبثوا وقيل ان هذا حكاية قالوا ان المدة من يوم
خلوا الكهف الى يومنا ثلثمائة وتسع سنين فرد الله عليهم بقوله قل الله اعلم بما لبثوا يعني ان تلك المدة لا يعلمها الا الله
علام الغيوب ثم قرر اعلميته واختصاصه بذلك بقوله له غيب السموات والارض اي يختص به علم جميع ما غاب فيهما وخفي
من احوال اهلها ومن غيرها فكيف يخفى عليه احوال اصحاب الكهف ابصر به واسمع ذكر بصيغة التعجب تاكيدا لما تقدم ودلالة
على ان امره في الادراك خارج عما عليه ادراك السامعين والمبصرين فانه تعالى يدرك جميع الاشياء باجناسها وانواعها
واصنافها واوصافها ادراكا تاما كاملا لا بطريق التخيل والتوهم ولا على طريق تاثر حاسة ووصول هواء وهو اغني ادراكه

قد يحدث

قد يحدث له تعلقات بالكوائن والحوادث وبه فاعل ابصر عند سيبويه والباء زائدة دخلت على الفاعل كقوله وكفى بالله شهيدا الا انها
لازمة ههنا اليدل على الانشاء وكان اصله ابصر اي صار ذا بصر فالهمزة للصيرورة ثم نقل عن لفظ الخبر الى لفظ الامر وليس بامر لانه
معنى للامر ههنا فلم يكن فيه ضمير لان الضمير المذكور بعده فاعل له ومفعول له عند الاخفش اذ هو المتعجب منه والفاعل ضمير المخاطب وهو
كل احد والباء مزيدة للتاكيد ان كانت للصيرورة وقيل ابصر به واسمع اي ما ابصر الله بكل موجود واسمعه لكل مسموع لا يغيب عنه
بصره وسمعه شيء ما لهم الضمير لاهل السموات والارض من دونه من ولي من متولي له امورهم او ناصر يلي امرهم ويرفع عنهم ومن الاولى
متعلق بولي على الحال والثانية للاستغراق كانه قيل ما لهم من دونه ولي ولا يشرك في حكمه في قضائه وقيل في علم غيبه احدا منهم
من تولى لامورهم اي ولا يجعل الله فيه احدا منهم شريكا وقرأ ابن عامر ولا تشرك بالتاء والجزم على النهي والباقون بالياء والرفع
على النهي وقرأ ابو رجاء بالياء والجزم واتل ما اوحي اليك من كتاب ربك من القراءة ولا تسمع لقولهم ائت بقرآن غير هذا او بدله
لا مبدل لكلماته اي لا يقدر احد على تبديلها وتغييرها انما يقدر على ذلك هو وحده واذا بدلنا آية مكان آية ولن تجد من دونه
ملتحدا ملجا تعدل اليه ان هممت بذلك وقال ابن عباس حرزا وقيل مهربا واصبر نفسك واحبسها وثبتها قال ابو ذويب
فصبرت عارفة لذلك حرة ترسو اذا نفس الجبان تطلع مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي دائبين على الدعاء في كل وقت
وقيل المراد صلوة الفجر والعصر وقرأ ابن عامر بالغدوة والباقون بالغداة وهو اجود لان غدوة علم في الاكثر فيكون اللام فيه على تاويل
التنكير كما قال والزيد زيد المعارك ونحوه قليل في كلام العرب يريدون وجهه يعبر به عن الذات والحقيقة وهذا بيان وكشف عن اخلاقهم
وصحة نيتهم واخلاصهم في ذكر الله ودعوته في جامع اوقاتهم او في طرفي النهار وقال قتادة نزلت في اصحاب الصفة وكانوا
سبعمائة رجل فقراء في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم لا يرجعون الى تجارة ولا زرع ولا ضرع بل يصلون صلوة وينتظرون اخرى فلما
نزلت الاية قال عليه السلام الحمد لله الذي جعل في امتي من امرت ان اصبر معهم وقيل ان عيينة بن حصين اتى النبي صلى الله عليه
وسلم قبل ان يسلم وعنده الفقراء منهم سلمان وعليه شملة قد عرق فيها وبيده خوصة يشقها ثم ينسجها فقال عيينة
للنبي صلى الله عليه وسلم اما يؤذيك ريح هؤلاء ونحن سادات مضر واشرافها فان اسلمنا اسلم الناس وما يمنعنا من اتباعك
الا هؤلاء فنحهم حتى نتبعك او اجعل لنا مجلسا ولهم مجلسا فنزلت وقيل قال قوم من رؤساء الكفرة لو نحيت هؤلاء الموالي الذين
كان ريحهم ريح الضان حتى نجالسك كما قال قوم نوح انؤمن لك واتبعك الارذلون فنزلت ولا تعد عيناك عنهم اي ولا تتجاوز نظرك
الى من سواهم وتعديته بعن لتضمنه معنى نبا علي وهو اقتحم اي ولا تقتحمهم عيناك مجاوزتين اي غيرهم كقوله ولا تاكلوا اموالهم
الى اموالكم اي ولا تضموها اليها اكلين لها وقرئ ولا تعد ولا تعد عينيك من اعداه وعداه فعل عما ترى اذ لا ارتجاع
له اي فعدى عما ترى والمراد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يزدري بفقراء المؤمنين وان تنبو عيناه عن رثاثة زيهم طموحا الى
طراوة زي الاغنياء وحسن شارتهم تريد زينة الحيوة الدنيا في موقع الحال من الكاف في المشهورة ومن المستتر في الفعل في
غيرها ان لا تطلب ما هو حظ زينة الحيوة الدنيا وهو مجالسة الاغنياء والاشراق والنظر الى اهل الدنيا وصحبتهم وفي افنا
منها الى الحيوة الدنيا اذ ازداد بها ويحقر شانها وتنفير عنها ولا تطع من اغفلنا قلبه من جعلنا قلبه غافلا عن ذكرنا مثل
عيينة بن حصين واضرابه في دعائك الى طرد الفقراء عن مجلسك لصناديدهم واكابرهم وفيه دلالة على ان الداعي له الى هذا الاستدعاء
وسببه اغفال قلبه عن ذكر الله واشتغاله بالباطل الفاني عن الحق الباقي وقيل فيه تنبيه على ان الداعي له الي هذا الاستدعاء
غفلة قلبه عن المعقولات وانهماكه في المحسوسات حتى خفي عليه ان الشرف بحلية النفس لا بزينة الجسد وانه لو اطاعه كان مثله
في الغباوة والمعتزلة لما غاظهم اسناد الاغفال الى الله قالوا انه مثل اجنبته واحمدته وابخلته اذا وجدته كذلك او نسبته
اليه او من اغفل ابله اذا تركها بغير سمة اي لم نسمه بالذكر ولم نجعله من الذين كتبنا في قلوبهم الايمان واحتجوا على ان المراد
نحمه

لا يغيب عنه

الوجه

المعارك بها

ابدا ولا تحقرهم

ليس ظاهر ماذكرا ولا بقوله واتبع هواه وجوابه ما مر غير مرة وقتلى العباد من اتباع الهدى واتباع الهوى المبنيين على الطاعة
والمعصية وغير ذلك مقاصد منهم بالاختيار وغيره كلها باخلق الله تعالى علم قطعا ان الخالق هو الله واخره وان كل الممكنات
مستندة اليه بلا واسطة وان السبب الحقيقي في الكل هو مشيئة الله تعالى وايضا اتباع الهوى ينبئ عن كون الشيء بعد ان لم يكن و
خروجه الى الوجود من العدم وذلك لا يليق الا بايجاد من له القدرة الباهرة على تكوين الاشياء واخراجها من العدم الى الوجود
والعلم الكامل بتفاصيلها وذلك هو الله خالق كل شيء والهوى مصدر هواه اذا احبه واشتهاه ثم سمي به المهوي المشتهى
محمودا كان او مذموما ثم غلب على غيره المحمود فقيل فلان اتبع هواه اذا اريد ذمه ومنه فلان من اهل الاهواء اذا زاغ عن
عن السنة متعمدا وحاصله ميلان النفس الى ما تشتهيه وتستلذه من غير داعية الشرع وقرئ اغفلنا قلبه باسناد الفعل الى القلب
على معنى حسبنا قلبه غافلين عن ذكرنا اياه بالمؤاخذة من اغفلته اذا وجدته غافلا وكان امره فرطا متقدما للحق والصواب
نابذا له وراء ظهره من قولهم فرس فرط متقدم للخيل ومنه الفرط وقال الاخفش مجاوزا للحد وقال الفراء متروكا وقيل باطلا
وقرئ فرطا بكون الزاد وقل الحق من ربكم ما يكون من جهة الله لا ما يقتضيه الهوى ويجوز ان يكون الحق خبر مبتدا محذوف ومن
ربكم حالا اي هو الحق او هذا الحق اشارة الى الكتاب في قوله من كتاب ربكم وتحريره وقل جاء الحق وزاح العلل فلم يبق الا اختياركم
لانفسكم ما شئتم مما فيه النجاة او الهلاك وقرا فقعنب وابان بن تغلب وقل الحق بفتح اللام قالوا هي لغة لبعض العرب اذا اجتمع
الساكنان يحركون الاول بحركة ما بعده وههنا بعده الف مفتوحة وروى البخاري عن ابي السمال قل الحق بضم القاف اتباعا
فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر فمن شاء الايمان فليصرف قدرته وارادته الى كسب الايمان وهو ان يصدق بقلبه
بجميع ما جاء من عند الله ومن شاء عدمه فليختره فاني لا ابالي بكليهما وفيه دلالة بينة على ان للعبد في ايمانه وفي كفره مشيئة
وقصدا واختيارا فيهما فعلان متحققان بخلق الله وفعل العبد معا وكذا سائر افعاله الاختيارية كالصلوة والصوم مثلا فان كل
واحد منها لا يحصل الا بمجموع ايجاد الله وكسب العبد وهو الحق الوسط بين الجبر والقدر ولولا ذلك لما يترتب عليه استحقاق العقاب
على الكفر بقوله انا اعتدنا هيأنا للظالمين نارا اي لكل ظالم ظلم نفسه بارادة الكفر واختياره على الايمان احاط بهم سرادقها
السرادق ما يدار حول الخيمة من شقق بلا سقف شبه به النار التي تحيط بهم وقيل السرادق الحجرة التي تكون حول الفسطاط وبيت
مسردق وسرادق وقيل سرادقها فسطاطها وقيل دخانها الذي يحيط بالكفار قبل دخولهم النار وقال ابن عباس هو حائط
من نار وقال الكلبي هو عنق يخرج من النار فيحيط بالكفار كالحظيرة وعن ابي سعيد قال النبي صلى الله عليه وسلم سرادق النار
اربعة جدر كثف كل جدار مسيرة اربعين سنة وان يستغيثوا من العطش يغاثوا بماء كالمهل قال النبي صلى الله عليه وسلم اي
كعكر الزيت فاذا قرب منه سقطت فروة وجهه منه وقيل كدردي الزيت وقيل كالجوهر المذاب من جواهر الارض وقال مجاهد
هو القيح والدم وبعضده قوله ويسقى بماء صديد يتجرعه وهو على اسلوب قوله فاعتبوا بالصيلم اي يجعل المهل لهم مكان الماء الذي
طلبوه كان الشاعر جعل الصيلم لهم مكان العتاب الذي يجري بين الاحباب يشوي الوجوه اذا قدم ليشرب انشوى الوجه من فرط
حرارته وقيل ينضج الوجوه وهو صفة ثانية لماء او حال من المهل والضمير في الكاف بئس الشراب المهل وساءت النار مرتفقا
متكأ واصل الارتفاق نصب المرفق تحت الخد وهو لمقابلة قوله حسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق لاهل النار ولا تكاد الا
ان يكون من قوله اي ارقت فبت الليل مرتفقا كان عيني فيها الصاب مذبوح وقال ابن عباس مرتفقا اي منزلا وقال مجاهد
مجتمعا قال عطاء مقرا وقال القتيبي مجلسا ان الذين امنوا وعملوا الصالحات جمعا بين عمل القلب وعمل الاركان انا لا نضيع اجر من
احسن عملا الجملة باسرها خبر ان الاولى والعائد محذوف وهو منهم كقولك السمن منوان بدرهم او وضع من احسن عملا موضع
الضمير واعتراض والخبر قوله اولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الانهار وهما خبران معا وعلى الاول اولئك استئناف وقع بيانا

للاجر المهم

للاجر المهم وجنات عدن فاعل الظرف او مبتدا خبره الظرف والجملة خبرا اولئك وتجري خبر بعد خبر او حال من اسم الاشارة كقوله فتلك
بيوتهم خاوية وقوله هذه ناقة الله لكم اية يحلون فيها من اساور من ذهب من حليت المراة اذا لبست الحلي وهي ما تحلى به من ذهب
وفضة وغير ذلك من الجواهر ومن الاولى ابتدائية والثانية بيانية وتنكير اساور للتكثير والتعظيم عن سعيد بن جبير يحلى كل واحد
منهم ثلثة اساور واحد من ذهب وواحد من لؤلؤ وواحد من يواقيت ويدل عليه قوله يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤا
ولباسهم فيها حرير وقوله وحلوا اساور من فضة وهم يسورون بالاجناس الثلثة على المعاقبة او على الجمع كما تزاوج نساء الدنيا
بين انواع الحلي وتجمع بينهما وهو جمع اسورة واسوار في جمع سوار وقرا ابان عن عاصم وابن ابي عبلة عن عاصم من اساور بفتح الياء من حلي الرجل
يحلى اذا لبس حليه ويلبسون ثيابا خضرا لان الخضرة من احسن الالوان واكثرها طراوة واحبها الى الله تعالى من سندس هو
الديباج الرقيق واستبرق هو الديباج الغليظ وهو تعريب استبره واجمع المحققون على ذكره انه ليس مسمى باستفعل من
البريق كما زعم بعض الناس لانه معرب مشهور تعريبه واصله استبره واللفظ الاعجمي بالتعريب يخرج من العجمية ويصير من جنس
كلمات العرب والفاظهم المقبولة عندهم فان معنى التعريب ان يجعل عربيا بالتصرف فيه وتغييره عن منهاجه واجرائه على اوجه الا
عراب وجمع بين النوعين للدلالة على ان فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين متكئين فيها على الارائك الارائك الاسرة في الحجال جمع
اريكة وخص الاتكاء لانه هيئة المتنعمين والملوك على اسرتهم نعم الثواب ذلك اشارة الى جنات عدن ونعيمها وحسنت الارائك مرتفقا
متكأ او وحسنت جنات عدن منزلا ومقرا ومجتمعا واضرب لهم مثلا رجلين اي مثل حال الكافرين والمؤمنين بحال رجلين
مقدرين او موجودين هما اخوان من بني اسرائيل احدهما مؤمن اسمه يهوذا في قول ابن عباس وقال مقاتل عليخا والاخر
كافر اسمه فطروس وقال وهب قطفير وهما المذكوران في سورة والصافات في قوله قال قائل منهم اني كان لي قرين ورثا من ابيهما
ثمانية الاف دينار فتقاسماها بينهما فاشترى الكافر ارضا بالف وتزوج امراة بالف واشترى خدما ومتاعا بالف فقال المؤمن اللهم ان اخي
اشترى ارضا بالف دينار وانا اشتري منك ارضا في الجنة فتصدق وان اخي تزوج امراة بالف وانا اجعل صداقها للحور فتصدق بها
وان اخي اشترى خدما ومتاعا وانا اشتري منك الولدان المخلدين بالف فتصدق به ثم اصابته حاجة فجلس لاخيه على طريقه فمر به في حشمه
فقام اليه فنظر اخوه فقال ما شانك قال اصابتني حاجة فاتيتك لتصيبني بخير قال فما فعل مالك وقد اقتسمنا مالا واخذت شطره فقص عليه القصص
فقال انك لمن المصدقين بهذا اذهب فلا اعطيك شيئا فطرده ووبخه على التصدق بماله وقيل الممثل لهما اخوان من بني مخزوم مؤمن وهو ابو سلمة
عبد الله بن عبد الاشد زوج ام سلمة قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكافر وهو الاسود بن عبد الاشد جعلنا لاحدهما جنتين بستانين من اعناب من كروم
لاحدهما والجملة بتمامها بيان التمثيل او صفة لرجلين وحففناهما بنخل وجعلنا النخل محيطا بالجنتين ملفوفا بها كرومهما يقال حفه القوم اذا
طافوا به وحففته بهم اي جعلتهم حافين حوله هو متعد الى مفعول واحد فتزيده الباء مفعولا ثانيا مثل غشيه وغشيته وجعلنا بينهما وسطهما
زرعا ليكون كل منهما جامعا للاقوات والفواكه متواصل العمارة على الشكل الحسن والترتيب الانيق كلتا الجنتين اتت اكلها وافراد الضمير
في اتت للحمل على لفظ كلتا لان لفظه مفرد ولو قيل اتتا على المعنى لجاز وقرا عبد الله كل الجنتين اتى اكله برد الضمير على كل ولم تظلم منه ولم
تنقص من اكلها شيئا يعهد في سائر البساتين فان الثمار تتم في عام واحد وتنقص في عام غالبا وفجرنا خلالهما نهرا وشققنا وسطهما نهرا
ليدوم شربهما فانه الاصل ويزيد بهاؤهما وبهجتهما وعن يعقوب وفجرنا بالتخفيف والفجر الشق والنتح يقال فجر الماء اذا فتحه وقرا طلحة بن
سليمان الثمان ثمر بالاسكان الهاء وكان له ثمر انواع من المال سوى الجنتين من ثمر ماله اذا كثره وقال مجاهد المراد بالثمر الذهب و
الفضة اي كانت له مع الجنتين الموصوفتين الاموال الكثيرة من الذهب والفضة وغيرهما فكان وافر اليسار من كل وجه متمكنا من عمارة الارض
كيف شاء وقرا عاصم ثمر بفتح الثاء والميم وكذا في واحيط بثمره وابو عمرو بضم الثاء وسكون الميم والباقون بضمهما معا والكل بمعنى واحد ولا يلزم
تكرار الثمر معنى في الاية من غير فائدة فقال لصاحبه اي لاخيه المسلم وهو يحاوره يراجعه من حار اذا رجع وسال الله فما احار كلمة يعني يخاطبه ويجاريه

انا اكثر منك مالا يعني محمد بن الحسن المال كله مما يتمكن الناس من دراهم او دنانير او ذهب او فضة او قطن او خز او حبوب او نبات او سلاح او غيره والمال العيني هو المضروب واعز نفرا اي خدما وانصارا وقال مقاتل ولدا وبعضده قوله انا اقل منك مالا وولدا والنفر عشيرة الرجل من الثلثة الى العشرة من الرجال ولا يقال فيما فوق العشرة قاله ابو الليث ودخل جنته اي دخل فطروس جنته بصاحبه يطوف به فيها ويريه ثمارها ويفاخره بها وانما افرد الجنة بعد التثنية لان المراد ما هو جنته وهو ما متع به من هذه الدنيا اشعارا بانه لا جنة له غيرها ولا نصيب له في الجنة التي وعد المؤمنون فاملكم في اكثر من الجنتين لا غير او لا تصال كل واحدة من جنتيه بالاخرى او لان الدخول يكون في واحدة واحدة وهو ظالم لنفسه ضار لها بعجبه وكفره بالمبدا والمعاد وهو اقبح الظلم قال ما اظن ان تبيد ان تفنى هذه اشارة الى جنته ابدا لطول امله واستيلاء الحرص عليه وتمادي غفلته واغتراره بمهلته وغفلة ما ملكه في عواقب امثاله والظن الحسبان وكثيرا ما يستعار للعلم لان الظن الغالب يداني العلم ويقام مقامه في العادات والاحكام ومنه المظنة المعلم والابد الدهر وانتصابه على الظرف وما اظن الساعة قائمة كائنة ولئن رددت الى ربي بالبعث على الفرض والتقدير وكما زعمت لاجدن خيرا منها من جنته في الدنيا وهو قراءة ابي عمرو والكوفيين وقرا الباقون منهما باثبات الميم اي من الجنتين منقلبا اي مرجعا وعاقبة وانتصابه على التمييز اي منقلب تلك خير من منقلب هذه لانها فانية وتلك باقية وانما اقسم على ذلك اذعاء لكرامته على الله ومكانته عنده ولظنه انه ما اولاه ما اولاه الا لاستحقاقه اياه لذاته وهو معه اينما يتوجه ويلقاه قال له صاحبه وهو يحاوره من حاورته فلانا اذا راجعته الكلام اكفرت بالذي خلقك من تراب اي قدر له جسدا من طين او خلقك اصلك وهو آدم من طين وخلق اصله سبب في خلقه فكان خلقه خلقا له وهمزة الاستفهام للتقرير والانكار يعني ما كان ينبغي ان تكفر وكم كفرت عن اوجدك من تراب اولا ثم من نطفة ثانيا وهي مادتك القريبة ثم سواك رجلا ثم عدلك وجعلك انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال جعله كافرا بالله بالبعث جعله كافرا بالله لتلازم الكفرين او لاتحادهما على ما قيل فان الكفر بالمعاد كفر بالمبدا لتضمن الشك في كمال قدرته ولذلك رتب الانكار على خلقه اياه من التراب والنطفة فان من قدر على خلقه من تراب اولا ثم من نطفة ثانيا ولا تناسب بين التراب والماء وقدر على ان يجعل النطفة بالتدريج انسانا في احسن تقويم وبينهما تباين ظاهر قدر على اعادة ما ابداه بل هذا ادخل في القدرة من تلك واهون فان من قدر على الانشاء كان على الاعادة اقدر لكنا هو الله ربي ولا اشرك بربي احدا اصله لكن انا فحذفت الهمزة بنقل حركتها الى النون لكن اوردت النون فالتقى النونان فكان الادغام ونحوه وتقليني لكن اياك لا اقلي اي لكن انا لا اقليك وقرا ابن عامر لكنا باثبات الالف في الوصل لتعويضها من الهمزة او لاجراء الوصل مجرى الوقف والباقون بحذفها ولا خلاف في اثباتها في الوقف للجميع وعن ابي عمرو انه وقف بالهاء لكنه وقرا الاخفش لكن الله ربي والحسن والقاسم لكن هو الله ربي لا يرى آفة في ماله وولده دون الحق وعن عروة الزبير انه كان يثلم حائطه ايام الرطب فيدخل من شاء وكان اذا دخله ردد هذه الآية حتى يخرج وعن ابن مسعود قلت عند النبي صلى الله عليه وسلم لا حول ولا قوة الا بالله بسكون النون وحذف انا وقرا ابي لكن انا على الاصل وفي قراءة عبد الله لكن انا لا اله الا هو ربي وهو ضمير الشان والله ربي والجملة خبر انا والراجع منها اليه ياء الضمير وعن الكسائي هذا من تقديم القرآن وتاخيره ذهب الى ان الله متصل بلكن الله هو ربي والاستدراك من الكفر كانه قال لا فيه انت كافر بالله لكني مؤمن به موحد فوقع لكن بين الجملتين في النفي والاثبات ولولا اذ دخلت جنتك قلت اي وهلا قلت عند دخول جنتك ما شاء الله ما هو موصولة وقعت خبر مبتدا محذوف اي الامر ما شاء الله او مبتدا وخبر محذوف اي ما شاء الله كائن ويجوز ان يكون شرطية منصوبة المحل والجواب محذوف بمعنى اي شيء شاء الله كان اقرارا بانها وما فيها بمشيئة الله وفضله ان شاء تركها عامرة وان شاء خربها لا قوة الا بالله وقلت لا قوة الا بالله اعترافا بالعجز وان القدرة لله وان ما تيسر له من عمارتها وتدبير امرها فبمعونة الله واقداره اذ لا يقوى احد في بدنه وملكه الا بالله عن النبي صلى الله عليه وسلم من راى شيئا فاعجبه فقال ما شاء الله لا قوة الا بالله لم يضره وعن انس قال النبي صلى الله عليه وسلم من قال ما شاء الله لا قوة الا بالله فقال هل تدري ما تفسيرها قلت الله ورسوله اعلم فقال لا حول عن معاصي الله الا بعصمة الله ولا قوة على طاعة الله الا بالله بل كل خبر في جبرائيل عن الله تعالى وفي نسخة الا بمعونة الله مكان الا بالله وروي انها كنز من كنوز الجنة وتسعة وتسعين داء ايسرها الهلع ان ترن انا اقل منك مالا وولدا انا اما فصل واما تاكيد للمفعول الاول وقرى اقل بالرفع

ان

على انه خبر انا والجملة مفعول ثاني لترن فعسى ربي ان يؤتين خيرا من جنتك جواب الشرط والمعنى ان ترني افقر منك فانا اطمع من كرم الله وفضله ان يقلب فقري وفقرك فيرزقني لايماني جنة خيرا من جنتك ويسلبك لكفرك ويخرب جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء قال ابن عباس اي نارا من السماء وقال قتادة عذابا وقال قتيبي مرامي جمع حسبانة وهو مثل صاعقة وقيل الحسبان مصدر بمعنى الحساب كالغفران والبطلان اي مقدارا ما قدره الله تعالى وحسبه وهو الحكم بتخريبها وقال الزجاج عذاب حسبان وذلك الحسبان حساب ما كسبت يداك فتصبح صعيدا زلقا ارضا بيضاء يزلق عليها الملاسة باستيصال بنائها واشجارها وقال مجاهد رملا هائلا والاصباح بمعنى الصيرورة او يصبح ماؤها غورا غائرا ذاهبا في الارض لا تناله الايدي والدلاء غورا وغورا كلاهما وصف بالمصدر كعدل ورضا فلن تستطيع له طلبا للماء الغائر ترددا وردا وقيل ان طلبته لم تجده واحيط بثمره فاهلك امواله على ما توقع صاحبه ما خوذ من احاط به العدو لانه اذا احاط به فقد غلبه واستولى عليه فيهلكه ومنه قوله الا ان يحاط بكم ونحوه اتى عليه اذا اهلكه من اتى عليهم العدو اذا جاءهم مستعليا عليهم فاصبح يقلب كفيه ظهرا لبطن تاسفا وتحسرا تقليب الكفين وعض الكف والانامل والسدين واكل البنان وحرق الاسنان ونحوها كنايات عن الندم والحسرة لانها من روادفهما فتذكر الرادفة ويدل بها على المردوف فيرتقي الكلام به الى الذروة العليا ويزيد الرونق والحسن والقبول في نقل السامع وكذا نه في معنى الندم عدي تعديته بعلى كانه قيل فاصبح يندم على ما انفق فيها اي في عمارتها ويجوز ان يكون حالا اي متحسرا على ما انفق فيها وهي خاوية على عروشها يعني ان كرومها المعرشة سقطت عروشها على الارض وسقطت فوقها الكروم قيل ارسل الله عليها نارا فاكلتها ويقول يا ليتني لم اشرك بربي احدا تذكر موعظة اخيه فعلم انه اتى من جهة شركه فتمنى لو لم يكن مشركا حتى لا يهلك الله بستانه ويجوز ان يكون توبة من الشرك وندما على ما سبق منه ودخولا في الايمان والجملة عطف على يقلب او حال من ضميره ولم تكن له فئة وقرا حمزة والكسائي ولم يكن بالياء لان تانيث الفئة غير حقيقي ولوجود الفصل والباقون بتاء التانيث ينصرونه يقدرون على نصره بدفع الاهلاك او رد المهلك او الاتيان بمثله من دون الله فانه وحده القادر على نصره بذلك لا غيره وما كان منتصرا وما كان ممتنعا بقوته عن انتقام الله منه وقيل اي لا يقدر على الانتصار لنفسه وقيل لا يقدر على رد ما ذهب عنه هنالك اي في ذلك المقام وتلك الحال الولاية لله الحق النصرة لله وحده لا يقدر عليها غيره تقريرا لقوله ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله او ينصر فيها اولياءه المؤمنين على الكفرة وينتقم لهم كما نصر فيما فعل بالكافر اخاه المؤمن وحقق ما قدره ويؤيده قوله هو خير ثوابا وخير عقبا اي لاوليائه وقرا حمزة والكسائي الولاية بكسر الواو ومعناها السلطان والملك اي هنالك السلطان والملك لله لا يغلب ولا يمتنع منه ولا يعبد غيره كقوله واذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فيكون تنبيها على ان قوله يا ليتني لم اشرك بربي احدا كان عن اضطرار وجزع مما دهاه من شؤم كفره وقيل هنالك اشارة الى القيامة وقرا ابو عمرو والكسائي برفع الحق صفة للولاية والباقون بالجر صفة لله وفي مصحف ابن مسعود بنصب الحق على المدح او الحال من اسم الاشارة لما في هنالك من معنى الاشارة كانه قيل اشير الى الولاية الحق ولعلم بيان لمن هي له والحق يكون في هذه ناقة الله لكم آية بيان لمن الناقة له آية وقرا عاصم وحمزة عقبا بسكون القاف والباقون بضمها وهما لغتان بمعنى واحد كالقدس والقدس وقيل الضم هو الاصل والاسكان تخفيف وقرئ عقبى وكلها بمعنى العاقبة واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا اجمع المحققون على ان الآية من جملة التمثيلات المركبة وان المشبه به مركب اذ ليس المراد تشبيه حال الدنيا بالماء ولا بمفرد آخر يتمحل لتقديره بل المراد تشبيه حالها في قلة بقاء زهرتها وسرعة فنائها بحال النبات الحاصل من الماء يكون اخضر قليلا ثم يتسارع اليه اليبس فتطيره الرياح كان لم يكن اي تعويد قوله كماء كمثل ماء على حذف المضاف لان اعتبار الكيفية المذكورة مغن عنه وقيل اذكر لهم على ما يشبهها صورة الدنيا في نضرتها وسرعة زوالها وصفتها الغريبة كما هي ويجوز ان يكون مفعولا ثانيا لاضرب على انه بمعنى صير هذا الكلام والصحيح الذي عليه هو الائمة المعنى ومثل حال الدنيا بحال النبات قصدا اي تشبيه قلة بقاء زهرتها بقلة بقائه فاذكره القائل لا يخلو عن ضعف انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فاشتبك والتف بسببه حتى خالط بعضه بعضا او نجع في النبات الماء فاختلط به حتى روي ورف رفيفا وعلى هذا التفسير كان حق اللفظ فاختلط بنبات الارض لكن لما كان كل واحد من المختلطين موصوفا بصفة صاحبه

عكس للمبالغة في كثرته وتكاثفه فاصبح هشيما مهشوما مكسورا من الهشم وهو كسر الشيء الرخو وقال ابن عباس يابسا وقال الكلبي كسيرا الواحدة هشيمة
تذروه الرياح تفرقه قاله ابن عباس وقيل تنسفه وعنه تذريه الرياح من اذرى وعن زيد بن علي تذريه بتشديد الراء ومن القراء وابن ابي
عبلة تذريه بفتح التاء واسكان الذال وكان الله على كل شيء مقتدرا اي على كل شيء من الانشاء والابقاء والافناء وغير ذلك قادرا لا يعجزه شيء
المال والبنون زينة الحيوة الدنيا لما افاد ان الدنيا بحذافيرها قليلة البقاء سريعة الفناء عقبه على انه ان المال والبنين زينة الحيوة الدنيا
اي يتزين بها الناس في دنياهم وحياتهم العاجلة ويضمحل عنهم ويفنى عن قريب والباقيات الصالحات والاعمال الباقية الصالحات لا فناء الخير
او اعمال التي تبقى ثمراتها ابد الاباد وكل من هذين التفسيرين عام يشمل سائر تفسيراتها وقيل هي الصلوة الخمس وقيل سبحان الله والحمد لله
ولا اله الا الله والله اكبر يعضده قول النبي صلى الله عليه وسلم استكثروا من الباقيات الصالحات التسبيح والتهليل والتكبير والتحميد ونص
الاول قول علي رضي الله عنه المال والبنون حرث الدنيا والاعمال الصالحة حرث الاخرة وقد يجمعهما الله لاقوام وقيل هو ذكر الله وقال قتادة
هو كل شيء اريد به وجه الله فهو من الباقيات الصالحات خير عند ربك من الفانيات الفاسدات من المال والبنين ثوابا جزاء لانه تنتفع بعوده
الى المجزي وقيل عائدا وخير املا رجاء لان صاحبها يأمل في الدنيا ثواب الله ونصيبه في الاخرة يقال امل خيره اذا رجاه يأمل املا
ويوم نسير الجبال واذكر يوم نقلعها عن مقارها وننزعها عن مضاجعها حتى تسير في الجو سير السحاب او تذهب بها فنجعلها كالعهن
المنفوش ويجوز عطفه على عند ربك اي الباقيات الصالحات خير عند الله ويوم القيمة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر تسير الجبال بالتاء والبناء للمفعول
وبعضدها قراءة ابن مسعود ويوم سيرت الجبال والباقون بالنون اعتبارا للسباق وقرئ تسير من سارت كقوله تسير الجبال سيرا وترى الارض
بارزة ظاهرة خرجت من تحت الجبال ليس عليها ما يسترها من جبل ولا شجر ولا بناء وقرئ وترى الارض مبنيا للمفعول وحشرناهم جمعناهم
الى الموقف والحساب ومجيئه ماضيا بعد نسير الذي للتحقيق الحشر او للدلالة على ان حشرهم قبل التسيير ليعاينوا ويشاهدوا ما وعد لهم وعلى هذا
يكون الواو للحال باضمار قد فلم نغادر منهم احدا يقال غادره واغدره اذا تركه ومنه الغدر ترك الوفاء والغدير ما غادره السيل وقرئ
بالياء وهو قراءة ابي عمرو في رواية الحلواني وقد روي ايضا عن قتادة فلم تغادر بالتاء اي لم تغادر الارض منهم احدا وقرأ الضحاك فلم
نغدر وعرضوا على ربك شبه حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان ليحكم فيهم بما اراد لا ان العرض على الله هو العرض الاكبر
قال من عرض ما اصعبه وما اشده وما اعظم وقال عتبة الخواص بات عتبة الغلام عندي فبكى حتى غشي عليه فقلت ما يبكيك
قال ذكر العرض على الله قطع اوصال المحبين صفا مصطفين ظاهرين لا يحجب احد احدا وقيل قياما لقد جئتمونا اي نقول
لهم لقد جئتمونا وهذا المضمر اما ان يكون حالا او عاملا في يوم نسير والمعنى لقد بعثناكم من مرقدكم كما خلقناكم اول مرة حفاة عراة
او عراة لا شيء معكم من المال والولد كما خلقناكم اولا كقوله ولقد جئتمونا فرادى وقيل غرلا عن ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم
انكم تحشرون حفاة عراة غرلا كما بدانا اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين ومن حديث عائشة قلت يا رسول الله كيف يحشر الناس
يوم القيمة قال حفاة عراة قلت والنساء قال والنساء قلت يا رسول الله انستحي قال يا عائشة الامر اشد من ذلك ان يهمهم اي
يلتفت بعضهم الى بعض بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا وقتا لانجاز ما وعدتم من البعث والحساب على السنة انبيائكم وبل للخروج من
قصة الى اخرى والنوع الثاني الادعاء بالكذب ووضع الكتاب اي صحف الاعمال في الميزان او في الايدي والشمائل وقيل هو
كناية عن وضع الحساب وقيل معناه يوضع بين يدي الله تعالى وقرأ زيد بن علي ووضع الكتاب مبنيا للفاعل وهو الله تعالى فترى المجرمين
المتناهين في الاجرام والاثام مشفقين خائفين خوفا شديدا رق قلوبهم مما فيه من السيئات ويقولون يا ويلتنا ينادون
هلكتهم التي هلكوها خاصة من بين الهلكات كانهم يقولون يا هلكتنا احضري فهذا اوانك مال هذا الكتاب تعجبا من شأنه
لا يغادر لا يترك صغيرة ولا كبيرة الا احصاها الا ضبطها وحصرها وقيل الا عدها وقيل كتبها واثبتها وقيل حفظها والحقيقة
هو الاول بخلاف الباقي فانها مجاز وعن ابن عباس الصغيرة التبسم والكبيرة القهقهة وعن سعيد بن جبير الصغيرة المسيس والكبيرة

الزنا

بالكلكرسا

ذا الاسم اشارة وتم الله
فاعل لحاجة

الزنا وعن الفضيل كان اذا قرأها قال ضجوا والله من الصغائر قبل الكبائر وقيل لم يجتنبوا الكبائر فكتب عليهم الصغائر وهي المناقشة وعنه عليه السلام
اياكم ومحقرات الذنوب فان محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا بطن واد فجاء ذا بعود وجاء ذا بعود حتى طبخوا خبزهم وان محقرات الذنوب متى يؤ
خذ بها صاحبها تهلكه رواه سهل بن سعد وعن انس قال النبي عليه الصلوة والسلام اياكم ومحقرات الذنوب فانها تجيء يوم القيمة كامثال الجبال
ولعلها الصدقة ووجدوا ما عملوا حاضرا في الصحف عتيدا او جزاء ما عملوا ولا يظلم ربك احدا ولا يكتب عليه ما لم يعمل ولا يزيد في عقاب
المجرم لعلمه ولا ينقص من اجر احد عمل خيرا وقال الضحاك لا يأخذ بجرم احد بعمل واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا
الا ابليس ذكره في مواضع ولعل في كل موضع فائدة فهنا لما شنع على المفتخرين بالاموال والبنين على فقراء المسلمين قرره بان طريقة ابليس او لما
ذكر المجرمين واشار الى تناهيهم في الاجرام بارتكاب الصغائر والكبائر عقبه على انه قضية ابليس وفسقه تنبيها على ان اساس امر هؤلاء على الاقتدا
ء به واتباعهم في الفسق واتخاذه وليا وعرفهم رسوخ في ذلك او لما اخبر بانه لا يفعل لمنافاته الحكمة لا القدرة او لكونه نقصا منافيا للالوهية والغنى
المطلق قدره بذلك بانه سنن ابليس ومن يتخذه وذريته اولياء تسجيلا عليهم بانهم هم الذين يظلمون انفسهم بنوم اتباعهم واتخاذهم اولياء من
دون الله او لما بين حال المفتخرين بالدنيا والمعرض عنها وكان سبب الافتخار بها حب الشهوات وتسويل الشيطان زهدهم اولا في زخا
رف الدنيا بانها قليلة البقاء سريعة الفناء والاعمال الصالحة خير جزاء ورجاء من ذلك ثم نفرهم من الشيطان بتذكير ما بينهم من
العداوة القديمة واذ منصوب بمضمر اي واذكر وقت ما جرى على ابيك آدم من معاداة ابليس ووسوسته اليه وطاعته له في الاكل مما نهي عنه وتوعد
في ارتكابه بالدخول في جملة الظالمين لتبين لكم ان اساس امر بينه على ذلك كان من الجن قال ابن عباس كان من حي من الملائكة يقال لهم
الجن خلقوا من نار السموم وقال الحسن كان من الجن ولم يكن من الملائكة فهو اصل الجن كما ان آدم اصل الانس وانما صح استثناء ابليس
من الملائكة وهو من الجن لانه امر بالسجود معهم فغلبوا عليه في قوله فسجدوا ثم استثني كما يستثنى الواحد منهم استثناء متصلا كقولك
خرجوا الا فلانة لامرأة بين الرجال وهو كان باضمار قد او استيناف في موقع التعليل بعد استثنائه عن الساجدين كان قائلا قال
ما له لم يسجد فقيل كان من الجن ففسق عن امر ربه فخرج عما امره ربه من السجود بتركه او فصار فاسقا كافرا بسبب امر ربه الذي هو قوله اسجدوا
لادم والفاء للتسبيب ايضا جعل كونه من الجن سببا لفسقه يعني انه لو كان ملكا لم يفسق عن امر الله لان الملائكة معصومون
البتة لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون افتتخذونه اعقيب ما وجد منه تتخذونه وذريته واولاده واتباعه سماهم ذريته مجازا
والهمزة للانكار والتعجيب فان اتخاذ ابليس وذريته اولياء بعد ما علم عداوتهم القديمة قطعا منكر غاية الانكار مقتض منه العجب حقيق بان
يتعجب منه اولياء من دوني فتستبدلونهم بي فتطيعونهم بدل طاعتي وهم لكم عدو والعدو يجيء في معنى الوحدة والجماعة تشبيها بالمصادر للموا
زنة كالقبول والولوع فحقهم ان يكاشفوهم بالعداوة ويظهروا لهم العصيان ويظهروا البغضاء والمقت ابدا بئس للظالمين بدلا بئس البدل
من الله ابليس لمن استبدله واطاعه بدل طاعته وقال قتادة بئس ما استبدلوا طاعة ابليس وذريته بعبادة ربهم جل وعلا ما اشهدتهم
خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم يعني ما احضرت ابليس وذريته خلقها لاعتضد بهم في خلقها وقال الكلبي يعني ما اشهدت
الملائكة خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم فاستعين بهم على خلقها او اشاورهم عليها وفيه ان ما اشهدناهم وقوله ولا خلق انفسهم
اي ولا اشهدت بعضهم خلق بعض كقوله ولا تقتلوا انفسكم وفي نفي الاحضار دلالة على نفي الاعتضاد بهم في خلقها وخلقهم كما صرح
به بقوله وما كنت متخذ المضلين عضدا اي اعوانا رد لاتخاذهم اولياء من دون الله شركاء له في العبادة فان استحقاق العبادة من
توابع الخالقية والاشتراك فيه يستلزم الاشتراك فيها فوضع المضلين موضع الضمير استبعاد الاعتضاد بهم وذمهم بالاضلال وقيل
الضمير للمشركين والمعنى ما اشهدتهم خلق ذلك ولا خصصتهم بعلوم لا يعرفها غيرهم حتى لو آمنوا تبعهم الناس كما يزعمون فلا تلتفت
الى قولهم طمعا في نصرتهم للدين فانه لا ينبغي ان اعتضد بالمضلين لديني ويعضده قراءة من قرأ وما كنت بالفتح على خطاب الرسول وما
صح لك الاعتضاد بهم وما ينبغي لك ان تعتز بهم وقرأ علي رضي الله عنه متخذا المضلين بالتنوين على الاصل وقرأ الحسن عضدا بسكون الضاد

ونقد فوها الى العين وقرئ بعضها بالفتح وسكون العين وعقدا جوي ما فتحكم ورصيح خادم وواحد من عضده اذا قواه واعانه ويوم
يقول اي الله تعالى للكفار وفاحشة بالنون ناد واشركائي الذين زعمتم انهم شركائي او شفعاؤكم ليدفعوا عنكم عذابي وادعوا فهم اليه على
زعمكم تهكما بهم وتقريعا لهم واراد الاوثان او الجن او ابليس وذريته او ما عبد من دون الله من الملائكة وعيسى وعزير ومريم فدعوهم فنادوهم
للاغاثة فلم يستجيبوا لهم فلم يجيبوهم وفعل الاستجابة يتعدى الى الداعي بنفسه والى المدعو باللام ويحذف الدعاء اذا عدي الى الداعي غالبا
يقال استجاب دعاءه واستجاب له ومن الاول قوله فلم يستجيب له من ذاك مجيب ومن الاخير الاية وجعلنا بينهم بين الالهة وعبدتها
موبقا مهلكا يشتركون فيه وهو النار من وبق يبقوا وبقا ووبق يوبق وبقا اذا هلك بيني وجعلنا بينهم واديا من اودية جهنم هو مكان الهلاك
والعذاب الشديد مشتركا يهلكون فيه جميعا او مسافة بعيدة وعن الحسن موبقا عداوة هي في شدتها هلاك كقول عمر لا يكن حبك كلفا ولا
بغضك تلفا وقال الفراء البين الوصل اي وجعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكا يوم القيمة وعلى الوجه الاخير ابن الموبق البرزخ البعيد
اي وجعلنا بينهم امدا بعيدا تهلك فيه الاشواط بعده لانهم في قعر جهنم وهم في اعلى الجنان وقال عكرمة الموبق نهر في النار يسيل نارا
على حافتيه حيات مثل البغال الدهم وراى المجرمون النار فظنوا فايقنوا انهم مواقعوها مخالطوها واقعون
فيها ولم يجدوا عنها مصرفا معدلا وقال ازهير شيئة من مصرف لانها احاطت بهم من كل جانب وقيل انصرافا او مكانا ينصرفون
اليه والوجود يحتمل ان يكون بمعنى العلم ومفعولان عنها مصرفا وان يكون نقيض العدم كانه قيل ولم يصيبوا عنها مصرفا وهو عطف على
مواقعوها وقرا ابن مسعود ملافوها بتشديد الفاء المضمومة وعلقمة ملافوها بتخفيف الفاء وقرا زيد بن علي مصرفا بفتح الراء
ولقد صرفنا في هذا القران للناس اي واقسم قسما لقد كررنا في هذا القران لنوع الانسان من كل مثل من كل معنى كالمثل غرابته
وحسنه اي من كل صنف من الوعد والوعيد والحكم والموعظة وغيرها او من كل جنس يحتاجون اليه وكان الانسان اكثر شيء اكثر الاشياء التي يتاتى منها
الجدل اي فصلتها واحدا بعد واحد جدلا خصومة بالباطل وانتصابه على التمييز يعني ان جدل الانسان اكثر من جدل كل شيء ونظيره
فاذا هو خصيم مبين وما منع الناس ان يؤمنوا هو نصب اي الايمان وجه من الاباء وكذا المعطوف عليه اذ جاءهم الهدى هو القران العظيم
او الرسول الكريم ويستغفروا ربهم اي والاستغفار وان الاستغفار عن الذنوب الا ان تاتيهم سنة الاولين وهي الاهلاك فحذف المضاف وا قيم المضاف
اليه مقامه او ياتيهم العذاب او انتظار ان ياتيهم عذاب الاخرة قبلا عيانا من المقابلة وقال مجاهد فجاة وانتصابه على الحال من العذاب
او من الضمير وقرا الكوفيون بضم القاف والباء وهو لغة فيه او جمع قبيل بمعنى انواع وقرئ بفتحتين وهو ايضا لغة يقال لقيته مقابلة وقبلا و
قبلا وما نرسل المرسلين الا مبشرين للمؤمنين بالجنة والثواب ومنذرين لاهل الكفر والعصيان بالنار والعقاب فان دابهم الوصول الى
الاول والخروج عن الثاني مما لا يستقل به العقل فكان من لطف الله ورحمته ارسال الرسل لبيان ذلك ويجادل الذين كفروا بالباطل من
الطعن في ايات الله والقصص الجيد خاصة من الحق واطفاء نور الله وقيل باقتراح الايات بعد ظهور المعجزات والسوال عن قصة اصحاب
الكهف ونحوها تعنتا ليدحضوا به ليزيلوا ويبطلوا بالجدال الحق عن مقره من ادحض القدم وهو ازلاقها عن موطئها وذلك مثل
قولهم للرسل ما انتم الا بشر مثلنا ولو شاء الله لانزل ملائكة ونحو ذلك واتخذوا اياتي كتبي او القران وما انذروا اما مصدرية اي وانذارهم
او موصولة اي وما انذروه من العذاب القريب هزوا استهزاء وقرئ هزوا بالسكون اي اتخذوها موضع استهزاء ومن اظلم
ممن ذكر وعظ بايات ربه بالقراءة ولذلك رجع اليه الضمير مذكرا في قوله ان يفقهوه فاعرض عنها لم يتدبرها ولم يتذكر بها ونسي ما قدمت
يداه من الكفر والمعاصي ولم يتفكر في عاقبتها ولم ينظر في ان المسيء والمحسن لا بد لهما من جزاء وكان الانسان يباشر الكفر والمعاصي بيديه فغلب العمل باليدين
على الاعمال التي يباشر بغيرهما حتى في عمل القلب هو مما عملت يداك وحتى قيل لمن لا يد له بيداك اوكتا انا جعلنا على قلوبهم اكنة تعليل لاعراضهم ونسيانهم
بانهم مطبوع على قلوبهم وانما جمع الضمير وتوحيده فللحمل على لفظ من تارة وعلى معناه اخرى ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا
ثقلا يمنعهم ان يستمعوه حق استماعه وكان صما بهاء صمموا وان تدعهم الى الهدى الى الاسلام والهادي الى الجنة فلن يهتدوا اذا ابدا فلا يكون منهم اهتداء

البتة مدة التعليق

البتة مدة التعليق لما علم الله تعالى منهم او فلا يكونوا اهتدوا حيث تكون الدعوة الا ممتنعا كالمحال لشدة تمكنهم في الضلال وتصميمهم عليه واذا
جزاء وجواب للرسول على تقدير قوله ما لي لا ادعوهم فان حرصهم على اسلامهم يدل عليه فقيل وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا وربك الغفور
البليغ المغفرة ذو الرحمة الموصوف بالرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب استشهاد على ذلك بترك مؤاخذة قريش عاجلا من غير
امهال مع افراطهم في عداوة رسول الله والمؤاخذة المعاقبة بل لهم موعد وهو يوم بدر ويوم القيمة والساعة ادهى وامر لن يجدوا
من دونه موئلا اي منجى ولا ملجا يقال وال اذا نجا ووال اليه اذا لجا اليه وتلك القرى يريد قرى ثمود وقوم لوط ونحوهم اشار لهم انها
ليعتبروا وتلك مبتدا والقرى صفته لان اسماء الاشارة توصف باسماء الاجناس وخبره اهلكناهم وتلك نصب باضمار اهلكنا على شريطة
التفسير اي وتلك اصحاب القرى اهلكناهم لما ظلموا مثل ظلم قريش بالتكذيب والمراد وانواع المعاصي وجعلنا لمهلكهم لاهلاكهم موعدا وقتا معلوما
لا يستاخرون عنه كما ضربنا لقريش يوم بدر وقرا عاصم لمهلكهم بفتح الميم واللام على انه مصدر بمعنى الهلاك واسم زمانه اي لوقت هلاكهم وكذا قراءة
حفص بكسر اللام مع فتح الميم والباقون بضم الميم وفتح اللام على انه مصدر بمعنى الاهلاك والموعد وقت او مصدر واذ قال موسى واذ منصوب بمقدر
اي واذكر وقت قول موسى لفتاه لتلميذه وفي الحديث لا يقل احدكم عبدي وامتي ولكن ليقل فتاي وفتاتي وقال ابو يوسف من قال انا فتى
فلان فهذا اقرار منه بالرق وقيل هو يوشع بن نون بن افرايم بن يوسف عليهم السلام وانما قيل فتاه لانه كان يخدمه ويتبعه وقيل كان ياخذ
منه العلم وعن شعبة من كتبت عنه اربع احاديث فانا عبده الى ان اموت لا ابرح لا ازال اسير فحذف الخبر لدلالة الحال به وهو حال السفر
والكلام وهو قوله حتى ابلغ مجمع البحرين فانه غاية يستدعي ذا غاية او يكون الخبر قوله حتى ابلغ واصله لا يبرح مسيري اي لا يزال سيري حاصلا او واقعا
حتى ابلغ فحذف المضاف واقيم المضاف اليه وهو ضمير المتكلم فانقلب الفعل عن لفظ الغائب الى لفظ المتكلم ويجوز ان يكون لا ابرح بمعنى لا ازال القلم
محذوفة اي لا ازال ما انا عليه من السير والطلب ولا افارقه حتى ابلغ فلا يستدعي الخبر ومجمع البحرين ملتقى بحري فارس والروم مما يلي المشرق وهو المكان
الذي وعد فيه موسى لقاء الخضر عليهما السلام وقيل مجمع البحرين طنجة وقال ابي بن كعب افريقية وقيل انه البحرين موسى وخضر لان موسى
كان بحر علم الظاهر وخضر كان بحر علم الباطن وقرئ مجمع بكسر الميم على الشذوذ من يفعل كالمشرق والمطلع من يفعل او امضي حقبا اي او اسير زمانا
طويلا والمعنى حتى يقع اما بلوغ المجمع او مضي الحقب او حتى ابلغ الا ان امضي زمانا اتيقن معه فوات المجمع والحقب الدهر وقيل ثمانون سنة وقيل
سبعون وقرا الحسن والاعمش حقبا باسكان القاف وروي انه لما ظهر موسى على مصر مع بني اسرائيل واستقروا بها بعد هلاك القبط امره الله ان يذكر قومه فقام
خطيبا فسئل اي الناس اعلم قال انا فعتب الله عليه اذ لم يرد العلم اليه فاوحى اليه ان لي عبدا بمجمع البحرين هو اعلم منك وهو الخضر وكان الخضر في ايام
افريدون وكان على مقدمة ذي القرنين الاكبر وبقي الى ايام موسى وقيل ان موسى سال ربه اي عبادك احب اليك قال الذي يذكرني ولا ينساني قال
فاي عبادك اقضى قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى فاي عبادك اعلم قال الذي يبتغي علم الناس الى علمه عسى ان يصيب كلمة تدله على هدى
او ترده عن ردى ان كان في عبادك اعلم مني فدلني عليه قال اعلم منك الخضر قال اين اطلبه قال على ساحل البحر عند الصخرة قال يا رب كيف لي به قال
تاخذ حوتا في مكتل فحيث فقدته فهو هناك فقال لفتاه اذا فقدت الحوت فاخبرني فذهبا يمشيان فرقد موسى فاضطرب الحوت ووقع
في البحر فلما جاء وقت الغداء طلب موسى الحوت فاخبره فتاه بوقوعه في البحر فاتيا الصخرة فاذا رجل مسجى بثوبه فسلم عليه موسى فقال
واني بارضنا السلام فعرفه نفسه فقال يا موسى انا على علم علمنيه الله لا تعلمه انت وانت على علم علمكه الله لا اعلمه انا فلما ركبا السفينة
جاء عصفور فوقع على حرفها فنقر في الماء فقال الخضر ما ينقص علمي وعلمك من علم الله مقدار ما اخذ هذا العصفور من البحر فلما بلغا
مجمع بينهما اي مجمع البحرين وبينهما ظرف اضيف اليه على الاتساع او بمعنى الوصل نسيا حوتهما نسيا تفقد امر الحوت وما يكون
منه امارة على الظفر بالمطلوب او نسي موسى ان يطلبه ويتعرف حاله ويوشع ان يذكر له ما راى من حياته ووقوعه في البحر وقيل كان الحوت
سمكة مملوحة وقيل ان يوشع حمل الحوت والخبز في المكتل فنزلا ليلة على شاطئ عين تسمى عين الحياة ونام موسى فلما اصاب السمكة روح الماء وبرده
عاشت وروي انهما اكلا منها وقيل توضا يوشع من تلك العين فانتضح الماء على الحوت فعاش ووثب في الماء فاتخذ سبيله في البحر سربا

فاتخذ الحوت طريقه في البحر مسلكا من قوله وسارب بالنهار وقيل امسك الله جرية الماء على الحوت فصار عليه مثل الطاق وحصل منه في مثل السرب معجزة
لموسى او الخضر وانتصابه على المفعول الثاني وفي البحر حال منه او من السبيل ويجوز تعلقه باتخذ وعن ابي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انجاب
الماء عن مسلك الحوت فصار كوة لم تلتئم فدخل موسى الكوة على اثر الحوت فاذا هو بالخضر وقال ابن عباس جعل الحوت لا يمس شيئا من البحر الا
يبس حتى صار صخرة فلما جاوزا الموعد وهو مجمع البحرين قال لفتاه آتنا غداءنا اي ما نتغدى به والغداء طعام الغداة كما ان العشاء
طعام العشي لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا تعبا وشدة قيل لم ينصب حتى جاوز الموعد فلما جاوزه وسار الليلة والغد الى الظهر القي عليه
النصب والجوع ولم ينصب ولا جاع قبل ذلك فتذكر الحوت وطلبه وذلك بعد مجاوزة الصخرة وقوله من سفرنا هذا اشارة الى سيرهما وراءها
وقرئ نصبا بضمتين قال يوشع لموسى ارايت اذ اوينا اي اخبرني ما دهاني اذ اوينا الى الصخرة يعني الصخرة التي رقد عندها موسى
وقيل هي الصخرة التي دون نهر الزيت فاني نسيت الحوت فقدته او نسيت ان اذكر لك امر الحوت وما رايت منه وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره
اي وما انساني ذكره الا الشيطان فان ان اذكره بدل من الهاء في انسانيه وقراءة حفص بضم الهاء وكذا عليه الله في سورة الفتح والباقون با
لكسر فيهما وقرا عبد الله ان اذكره وهو اعتذار عن نسيانه الى تلك الغاية قد شغله الشيطان بوساوسه والحال وان كانت عجيبة لا ينسى
مثلها لكنه لما ضري بمشاهدة امثالها عند موسى من العجائب واستانس باخواتها والفها اعان الالف على قلة اهتمامه بها ولعله نسي
ذلك لاستغراقه في الاستبصار وانجذاب شراشره الى جناب القدس بما عراه من مشاهدات الايات الباهرة وهي حياة السمكة مملوحة الما
كول منها وقيل ما كانت الا شق وقيام الماء وانتصابه مثل الطاق ونفوذها في مثل السرب منه وانما نسبه الى الشيطان هضما للنفس او لان عدم
احتمال القوة للجانبين واشتغالها باحدهما عن الاخر يعد من نقصان واتخذ سبيله في البحر عجبا هو ثاني مفعولي اتخذ مثل سربا
اي واتخذ سبيله سبيلا عجبا وهو كونه كالسرب او اتخاذا عجبا والمفعول الثاني هو الظرف وقيل هو مصدر لفعل محذوف اي قال عجبا
في اخر كلامه او موسى في جوابه تعجبا من تلك الحال وقيل الفعل للحوت سربا ولموسى عجبا وقيل الفعل لموسى اي اتخذ موسى سبيل الحوت في
البحر عجبا اي واي شيء اعجب من حوت يؤكل منه دهرا ثم صار حيا بعدما اكل بعضه وقرا ابو حيوة واتخاذ سبيله بالاضافة قال موسى ذلك
ما كنا نبغ ذلك اشارة الى اتخاذ الحوت سبيلا وما موصولة اي ذلك الذي كنا نطلب لانه امارة الظفر بالمطلوب من لقاء الخضر وقرا ابو عمرو
ونبغي باثبات الياء وهي احسن من تركها في الوصل واما الوقف فالاكثر فيه طرح الياء اتباعا للخط المصحف فارتدا على اثارهما فرجعا في ادراجهما
وطريقهما التي جاءا فيها قصصا مصدر فعل محذوف اي يقصان قصصا يتبعان اثارهما اتباعا او حال اي مقتصين حتى اتيا الصخرة فوجدا
عبدا من عبادنا هو الخضر عند الجمهور واسمه بليا بن ملكان وقيل اليسع وقيل الياس وعن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انما سمي الخضر لانه جلس على فروة بيضاء فاذا هي تهتز تحته خضراء وفي رواية الفردوس فاهتزت تحته خضراء وكل نبات يابس مجتمع
فهو فروة وقال مجاهد سمي خضرا لانه كان اذا صلى اخضر ما حوله وعنه عليه السلام الياس والخضر اولاد ابوهما من الفرس وامهما
من الروم اتيناه رحمة من عندنا هي الوحي والنبوة وعلمناه من لدنا علما اي طائفة من العلم عظيمة او علما شيئا غزيرا مما يختص وهو الا
خبار بالغيوب وانما قال من لدنا مع ان العلوم كلها من لدنه لان بعضها بتعليم الخلق فلا يسمى ذلك علما لدنيا بل العلم اللدني هو
الذي ينزل الله في القلب من غير واسطة احد ولا سبب مالوف من خارج كما كان لعمر وعلي رضي الله عنهما ولكثير من اولياء الله المرتاضين الذين
فازوا بالتوق والزهد على كل من سواهم كما قال سيد الاولين والاخرين عليه السلام نفس من انفاس المشتاقين خير من عبادة الثقلين وقال عليه
السلام ركعتان من رجل واحد قلبه في ابواب الله خير من عبادة المتعبدين الى اخر الدهر سرمدا وقد صدق لكنه قليل ما هم كما قال وقليل
من عبادي الشكور وقال ولكن اكثر الناس لا يعلمون ومن ههنا يتبين لك معرفة رفعة الصحابة وعظمهم رتبة ومكانا من الله فانهم الجمة
المشتاقين والزاهدين الشاكرين وجلهم مهتدون بهم ثم لا غضاضة بالنبي في اخذ العلم من نبي مثله وانما يغض منه ان ياخذ ممن دونه
وعن سعيد بن جبير انه قال لابن عباس ان نوفا ابن امراة كعب يزعم ان الخضر ليس بصاحب موسى وان موسى هو موسى بن ميشا فقال كذب

بالشوق

والزاهدين بعد

عدو الله قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمن على شرط ان تعلمني وهو في موضع الحال من الكاف مما علمت رشدا وقرا ابو عمرو ويعقوب رشدا بفتح الراء
والشين والباقون بضم الراء وسكون الشين وهما لغتان اي علما ذا رشد ارشد به في ديني وهو افادة الخبر وقيل رشدا اي صوابا وهو مفعول
تعلمني ومفعول علمت العائد المحذوف وكلاهما منقولان من علم الذي له مفعول واحد ويجوز ان يكون علة لاتبعك او مصدرا
باضمار فعله ولا ينافي نبوته وكونه صاحب شريعة ان يتعلم من غيره ما لم يكن شرطا في ابواب الدين فان الرسول ينبغي ان يكون اعلم ممن ارسل اليه
فيما بعث به من اصول الدين وفروعه لا مطلقا وقد راعى في ذلك غاية التواضع والادب فاستجهل نفسه واستاذن ان يكون تابعا له وسال
منه ان يرشده وينعم عليه بتعليم بعض ما انعم الله عليه وفي بعض الاخبار انه لما قال موسى هذا قال له الخضر كفى بالتورية علما وبني اسرائيل شغلا
فقال له موسى ان الله امرني بهذا فحينئذ قال الخضر انك لن تستطيع معي صبرا نفى عنه استطاعة الصبر معه على وجه التاكيد كانها مما لا يصح
ولا يستقيم وعلل ذلك واعتذر عنه بقوله وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا اي كيف تصبر وانت نبي على ما اتولى من امور ظواهرها منا
كير وبواطنها لم يحط بها خبرك وخبرا اي علما وانتصابه على التمييز اي لم يحط به خبرك او على المصدر لان لم تحط به بمعنى لم تخبره وقرا الاعمش
خبرا بضمتين قال ستجدني ان شاء الله صابرا معك غير منكر عليك ولا اعصي لك امرا عطف على صابرا اي ستجدني صابرا وغير عاص او على
ستجدني وتعليق الوعد بمشيئة الله اما طلبا للتوفيق في الصبر ومعونته او تيمنا به او علما منه بشدة الامر وصعوبته فان الصبر من مثله عند مشاهدة
الفساد شديد جدا لا يكون الا بتاييد من الله الخالق القدوس القوي والقدر وفيه دليل على ان افعال العباد واقعة بمشيته وهي صفة قديمة
تقتضي تعيين احد المقدورين في احد الاوقات بالوقوع مع استواء نسبة القدرة الى الكل وكون تعلق العلم تابعا للوقوع ولا يلزم من قدمها قدم بالوقوع
تعلقاتها كسائر الصفات مثل السمع والبصر والعلم مثلا لانها صفات قديمة يحدث لها تعلقات بالحوادث وهي غير الشيء والارادة بمعنى واحد
والصبر الحبس يقال صبرت نفسي على كذا اي حبستها وقيل انما استثنى موسى لانه لم يثق بالنفس بالصبر ويقال ان امر جميع الانبياء ابلغ من امر موسى
فانه زاحم كان امره قال فان اتبعتني فلا تسالني عن شيء فلا تفاتحني بالسؤال عن شيء انكرته وخفي عليك وجه صحته حتى احدث لك منه ذكرا حتى ابتدئ
بذكره لك او حتى اكون انا الفاتح عليك وهذا من ادب المتعلم مع العالم والمتبوع مع التابع وقرا نافع وابن عامر فلا تسالني بالنون الثقيلة
والباقون بالخفيفة يقال اتبعت فلانا وتبعته اذا مشيت خلفه او مر بك فمضيت معه فانطلقا على الساحل يطلبان السفينة حتى اذا ركبا في
السفينة خرقها روي انهما ركبا قال اهل السفينة هما من اللصوص وامروهما بالخروج فقال صاحب السفينة ارى وجوه الانبياء وقيل عرفوا
الخضر فحملوهما بغير نول فلما لججوا اخذ الخضر الفاس فخرق السفينة بان قلع لوحين من الواحها مما يلي الماء فجعل موسى يسد الخرق بثيابه قال اخرقتها
لتغرق اهلها فان خرقها سبب لغرق اهلها بدخول الماء فيها وروي ان الخضر لما خرق السفينة لم يدخلها الماء وانه اخذ قدحا من زجاج
ورقع خرق السفينة وقرا حمزة والكسائي ليغرق اهلها بفتح الياء والراء ورفع اهلها والباقون لتغرق اهلها من الاغراق وقرئ ليغرق
بالتشديد للتكثير لقد جئت شيئا امرا اي عظيما من امر الامر اذا عظم قال داهية دهياء اذا امر وقال القتيبي امرا اي عجبا وقيل منكرا
قال الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا ما تقدر ان تصبر معي البتة تذكير لما ذكره قال موسى لا تؤاخذني بما نسيت بالذي نسيته من
وصيتك او بنسياني اياها وعلى الوجهين يراد النسيان الذي هو نقيض الذكر وانه لم يعن بالوصية العناية الصادقة ولم يستوثق منها بعقد
القلب عليها حتى غفل او ترك من ذلك النسيان وهو اعتذار بالنسيان اخرجه في معرض النهي عن المؤاخذة به مع قيام المانع منها ويجوز ان يراد
به الترك اي لا تؤاخذني بما تركت من وصيتك اول مرة وقال ابن عباس انه لم ينس ولكنه من معاريض الكلام فكانه نسي شيئا اخر وعن
ابي قال النبي صلى الله عليه وسلم كانت الاولى من موسى نسيانا والوسطى شرطا والثالثة عمدا ولا ترهقني من امري عسرا ولا تغشني عسرا من
امري وهو اتباعه اياه يعني ولا تعسر علي متابعتك ويسرها علي بالاغضاء وترك المناقشة وعسرا مفعول ثان لارهق يقال رهقه
اذا غشيه وارهقه اياه وقيل من ارهقه عسرا كلفه اياه اي ولا تكلفني مشقة وعاملني باليسر وترك العسر وقرا ابو جعفر عسرا بضمتين فانطلقا
بعد ما خرجا من السفينة حتى اذا لقيا غلاما فقتله قيل قتل عنقه وقيل ضرب براسه الحائط وعن سعيد بن جبير انه اضجعه ثم ذبحه

بالسكين وقيل رضخ راسه بالحجارة قلت اقتلعه بيده كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرجا من السفينة فبينما هما يمشيان على الساحل اذا ابصر
الخضر غلاما يلعب مع الغلمان فاخذ الخضر براسه فاقتلعه بيده فقتله كذا في الصحيحين برواية ابي بن كعب رضي الله عنه والفاء للدلالة
على انه لما لقيه قتله من غير توقف واستكشاف حال ولذلك قال اقتلت نفسا زكية اي طاهرة من الذنوب ووصفها بالطهارة لانه لم يرها
اذنبت او لانها صغيرة لم تبلغ الحنث بغير نفس يعني لم تقتل نفسا فيقتص منها وعن ابن عباس ان نجدة الحروري كتب اليه كيف
جاز قتله وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل الولدان فكتب عليه ان علمت من حال الولدان ما علمه عالم موسى فلك ان تقتل وقرأ
ابن كثير ونافع وابو عمرو زاكية والباقون زكية فعيلة للمبالغة في ذكونها وطهارتها وقال الحسن لم يكن صبيا بل رجلا وقال شعيب اسمه حيسور
وقيل الحسين وقال الكلبي كان فتى يقطع الطريق وياخذ المتاع ويلجأ الى ابويه وقال الضحاك كان غلاما يعمل بالفساد ويتأذى منه ابواه وعن ابن
عباس عن ابي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الغلام الذي قتله الخضر طبع كافرا ولو عاش لارهق ابويه طغيانا وكفرا والهمزة للانكار
بمعنى ما كان ينبغي لك ان يقتل ولم قتلت نفسا زكية وقال الفراء والكسائي معنى الزكية والزاكية واحد مثل القسية والقاسية
ووفق بينهما ابو عمرو بان الزاكية التي لم تذنب قط والزكية التي اذنبت ثم تابت وانما جعل في قصة السفينة خرقها جواب اذا واعتراض موسى
مستانفا وهو قال اخرقتها وفي قصة قتل الغلام جعل القتل جزء الشرط بالفاء وجعل اعتراض موسى جواب الشرط لان القتل اقبح والاعتراض
عليه ادخل فكان جديرا بان يجعل في عمدة الكلام ومن ثم قال فيه لقد جئت شيئا نكرا وفي الخرق شيئا امرا ولان خرق السفينة ما
كان عقيب ركوبها وقد كان قتل الغلام عقيب لقائه وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب وابو بكر نكرا بضم النون والكاف وهو المنكر
وقيل النكر اقل من الامر لان قتل نفس واحدة اهون من اغراق اهل السفينة وقيل معناه جئت شيئا انكر من الاول لان
ذلك كان خرقا يمكن تداركه بالسد وهذا لا سبيل الى تداركه قال الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا زاد فيه لك لا
قتضاء المقام مزيد تقرير وتثبيت وتذكير وذلك ان الخضر قال لموسى اولا انك لن تستطيع معي صبرا ابدا فلما قال موسى
هل اتبعك على ان تعلمن مما علمت رشدا ثم لما اعترض وانكر عليه خرق السفينة اقتضى المقام تقريرا لما قدمه له من عدم استطاعة
الصبر ولما اعترض ثانيا وانكر عليه قتل الغلام اقتضى المقام مزيد تقرير لذلك لتكرر الاعتراض وترك الصبر والثبات
وقال الطيبي معنى زيادة لك زيادة المكافحة بالعتاب على رفض الوصية والوسم بقلة الصبر عند الكرة الثانية قلت لما ان زاد
موسى الاعتراض على الخضر بتكرره حتى بالغ فيه بقوله زكية بغير نفس ازداد الخضر لفظ لك مقابلة مطابقة مبالغة في التحقيق على عدم
التصبر والتثبت الموصى به ولذا قال النبي صلى الله عليه وسلم هذه اشد من الاولى قال ان سالتك عن شيء بعدها اي بعد هذه الكرة او
المسئلة فلا تصاحبني فلا تقارني وان سالت صحبتك فلا تتابعني على ذلك وعن يعقوب فلا تصحبني من الصحبة فلا تجعلني صاحبك
صحبك وقرأ الاعرج فلا تصاحبني او يصيبه وعيسى فلا تصحبني من الاصحاب وهو الدعوة للصحبة قد بلغت من لدني عذرا قد وجدت
عذرا من قبلي لما خالفتك ثلث مرات وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي موسى استحيا فقال ذلك وقال رحمة الله علينا وعلى موسى
لو لبث مع صاحبه لرأى اعجب الاعاجيب وقرأ نافع لدني بضم الدال وتخفيف النون وابو بكر لدني باسكان الدال واشمامها الضم وتخفيف
النون والباقون بضم الدال وتشديد النون فانطلقا بعد قتل الغلام والانطلاق الذهاب حتى اذا اتيا اهل قرية قيل هي انطاكية
قاله ابن عباس وقال ابن سيرين هي الايلة وهي ابعد الارض من السماء وقيل برقة وعن ابي هريرة بلدة بالاندلس
استطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما بفتح الياء وابو رجاء وابن الزبير وعطية العوفي يضيفوهما يقال ضافه اذا نزل به ضيفا
واضافه وضيفه انزله وجعله ضيفا وحقيقته مال اليه من ضاف السهم عن الغرض اذا مال وعن النبي صلى الله عليه وسلم كانوا اهل قرية لئاما
وروي انهما طافا في القرية فاستطعماهم فلم يطعموهما فلم يضيفوهما وقيل شر القرى التي لا يضاف ضيف فيها ولا يعرف لابن
السبيل حقه وقرأ الاعمش يطعموهما فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض يداني ان يسقط فاستعيرت الارادة للمداناة

والمشارفة

والمشارفة كما استعير لذلك الهم والعزم قال الراعي في مهمه قلقت به هاماتها قلق الفؤوس اذا اردن نصولا وقال يريد الرمح
صدر ابي براء ويعدل عن دماء بني عقيل وقال حسان ان دهرا يلف شملي بجمل لزمان يهم بالاحسان وقالوا عزم السراج ان يطفأ و
طلب ان يطفأ وداري ينظر الى دار فلان وجعل الضمير للخضر يفسد ظاهره وانقض اذا اسرع سقوطه انقضاض الطائر والكواكب وهو
وهو انفعل مطاوع قضضته اذا افعل من النقض كاحمر من الحمرة وقرئ ان ينقض من النقض وان ينقاص بالصاد المهملة من انقاصت السن اذا انشقت
طولا قال ذو الرمة منقاص ومنكثب فاقامه بعمارة او بعمود عمده به وقيل اقامه بيده وقيل مسحه بيده فقام واستوى وقيل نقضه وبناه وقال
نبينا صلى الله عليه وسلم سائل فقال الخضر بيده فاقامه وقال السدي جعل طينا وجعل يبني الحائط كان طول الجدار في السماء مائة ذراع
كانت الحال حال اضطرار وافتقار الى المطعم وقد لزتهما الحاجة الى اخر كسب المرء وهو مسئلة الطعام عن اللئام فلم يجدا مواسيا فلما
اقام الجدار لم يتمالك موسى لما راى من الحرمان ومساس الحاجة ان قال لو شئت لاتخذت عليه اجرا تعريضا بانه فضول واشتغال بما لا
طائل تحته او تحريضا على اخذ الجعل لينتعشا ويستدفعا به الضرورة وقال النبي صلى الله عليه وسلم قال موسى قوم اتيناهم فلم يطعمونا
ولم يضيفونا لو شئت الاية وهو اما ان يكون كلاما مستانفا والجزاء استطعما واما ان يكون جزائيا واستطعما صفة قرية واتخذ افتعل من
تخذ كاتبع من تبع وليس من الاخذ عند البصريين وقرأ ابن كثير وابو عمرو لتخذت بتخفيف التاء وكسر الخاء من تخذ يتخذ والباقون
لاتخذت بتشديد التاء وفتح الخاء من الاتخاذ وهما لغتان بمعنى واحد قال هذا فراق بيني وبينك هذا اشارة الى الفراق الموعود بقوله
فلا تصاحبني او الى السؤال الثالث اي هذا الاعتراض سبب الفراق او الى الوقت اي هذا الوقت وقت الفراق بيننا والاصل هذا
فراق بيني وبينك فاضاف الفراق الى البين اضافة المصدر الى الظرف على الاتساع وقد قرأ ابن ابي عبلة على الاصل وقال الزجاج معناه هذا
فراق اتصالنا وكرر بيني تاكيدا سانبئك ساخبرك بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا بتفسيره وشرحه والدلالة على مواضع الحكم وقيل بالخبر البا
طن فيما لم تستطع الصبر عليه لكونه منكرا من حيث الظاهر اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر لمحاويج وهو دليل على ان المسكين يطلق
على من يملك شيئا وقيل سموا مساكين لعجزهم عن دفع الملك ولزمانتهم فانها كانت لعشرة اخوة خمسة منهم زمنى وخمسة يعملون في البحر اي يؤاجرونه
ويكسبون بها وقرأ ابن عباس لمساكين جمع مساك اي ملاحين الذين يمسكون السفينة فاردت ان اعيبها اجعلها ذات عيب وكان وراءهم
قدامهم كقوله ومن ورائهم برزخ وقيل خلفهم ملك هو جلندى بن كركر وهو ابن جلندا الازدي او هدد بن بدد على اختلاف الاقوال
وكان كافرا كان طريقهم في رجوعهم عليه وما كان عندهم خبره فاعلم الله به الخضر ياخذ كل سفينة هو من قبيل ايجاز الحذف فان المعنى كل
سفينة صحيحة او صالحة او يجوز ذلك بدليل ما قبله وقد صرح به بعض القراء قال ابن جبير كان ابن عباس رضي الله عنهما يقرأ كل سفينة
صالحة وهي قراءة ابي وابن مسعود رضي الله عنهما غصبا من اصحابها فالغصب اخذ الشيء ظلما وقد يسمى المغصوب غصبا وقدم المسبب وهو
قوله فاردت ان اعيبها على السبب وهو كون الملك الغاصب وراءهم للعناية او لان السبب لما كان مجموع الامرين خوف الغصب ومسكنة الملاك
رتبه على اقوى الجزئين وادناهما وعقبه بالاخر على سبيل التقييد والتتميم وقرأ ابن عباس وكان امامهم ملك وهو يؤيد الوجه الاول
واما الغلام فكان ابواه مؤمنين فخشينا فخفنا ان يرهقهما ان يغشيهما طغيانا عليهما وكفرا لنعمتهما بعقوقه وسوء صنيعه فيلحق
بهما شرا او يقرنه بايمانهما طغيانه وكفره فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر وقال الكلبي ان يكلفهما طغيانا وكفرا فيتابعانه
وانما خشي ذلك لان الله اعلمه بحاله واطلعه على سر امره فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه ان يرزقهما بدله ولدا خيرا منه زكاة طهارة
من الذنوب رحما وعطفا على الوالدين روي انه ولدت لهما جارية فتزوجها نبي فولدت نبيا هدى الله به امة من الامم وقيل ولدت سبعين
نبيا وقيل ابدلهما ابنا مؤمنا مثلهما وقرأ نافع وابو عمرو يبدلهما بالتشديد وابن عامر ويعقوب رحما بالتخفيف وعن ابن عباس رحما بكسر
الحاء وانتصابه على التمييز والعامل اسم التفضيل وكذا زكاة واما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة قيل اسمهما اصرم وصريم وكان تحته كنز لهما
من ذهب وفضة روي ذلك مرفوعا وقيل من كتب العلم وقيل هو لوح من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن

يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها
باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وفي الجانب الآخر مكتوب انا الله لا اله الا انا وحدي لا شريك لي خلقت الخير والشر فطوبى لمن خلقته
للخير واجريته على يديه والويل لمن خلقته للشر واجريته على يديه وهو قول الجمهور وروي ذلك مرفوعا وقال الزجاج الكنز اذا اطلق
ينطلق على كنز المال وعن قتادة احل الكنز لمن قبلنا وحرم علينا والغنيمة بالعكس اراد قوله الذين يكنزون الذهب والفضة الآية وكان ابوهما
صالحا ملاحظ بان سعيهما في ذلك كان لصلاح ابيهما وعن جعفر بن محمد كان بين الغلامين وبين الاب الذي حفظا فيه سبعة اباء وقيل كان بينهما
حاويهم لا نسخ وكان من الاتقياء وقال محمد بن المنكدر ان الله يحفظ بصلاح العبد ولده وولد ولده وعترته واهله دويرات حوله وقال ابن المسيب
انى اصلي فاذكر ولدي فازيد في صلاتي وعن الحسين بن علي رضي الله عنهما انه قال لبعض الخوارج في كلام جرى بينهما بم حفظ الله الغلامين قال
بصلاح ابيهما قال فابي وجدي خير منه فقال قد انبأنا الله انكم قوم خصمون فاراد ربك ان يبلغا اشدهما الاشد في اللغة جمع شدة كانعم
في نعم على تقدير حذف التاء وقيل لا واحد لها وبلوغ الاشد بالادراك وقيل ان يونس منه الرشد مع ان يكون بالغا وآخره ثلث وثلثون سنة وقيل
ثمانية عشر سنة ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك انتصاب رحمة على المفعول له او المصدر باراد ذلك لانه في معنى رحمهما او الحال اي مرحومين من ربك
ويجوز ان يكون متعلقا بمحذوف تقديره فعلت ما فعلت من ربكم تماما الخضر عليه السلام في تاويل خرق السفينة فاردت ان اعيبها
الاسناد الى نفسه لظاهر القبح وفي تاويل قتل الغلام فخشينا بلفظ الخشية والاسناد الى الله لان الكفر مما يجب ان يخشاه كل احد وجوز ان يكون
فخشينا حكاية قول الله تعالى بمعنى فكرهنا كقوله لاهب لك ويؤيده قراءة ابي فخاف ربك اي فكره ربك كراهة من خاف سوء عاقبة الامر فغيره وقال
في تاويل اقامة الجدار فاراد ربك ان يبلغا اشدهما الاسناد الى الله وحده لانه لا بلوغ الاشد وتكامل السن ليس الا بمحض ارادته من غير دخل
واثر لارادة العبد فالاول في نفسه شر قبيح والثالث خير محض والثاني ممتزج وما فعلته وما فعلت ما رأيته عن امري عن رأيي واجتهادي
وانما فعلته بامر الله ومبنى ذلك على انه اذا تعارض ضرران يجب ان يتحمل اهونهما لدفع اعظمهما وهو اصل ممهد غير ان الشرائع في تفا
صيله مختلفة ذلك تاويل ما لم تسطع عليه صبرا اي ما لم تستطع فحذف التاء تخفيفا وروي ان موسى لما اراد ان يفارقه قال له الخضر اطلب
العلم لتحدث به واطلبه لتعمل به واختلفوا فيه هل هو حي ام لا فقيل ان الخضر والياس حيان يلتقيان كل سنة بالموسم وكان سبب حياته فيما
يحكى انه شرب من عين الحيوة وذلك ان ذا القرنين دخل الظلمة لطلب عين الحيوة وكان الخضر على مقدمته فوقع على العين فنزل فاغتسل وشرب وصلى
شكرا لله تعالى واخطأ ذو القرنين في الطريق وذهب آخرون الى انه ميت لاستدلالهم بقوله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد وقال النبي عليه السلام
بعدما صلى العشاء ليلة ارأيتكم ليلتكم هذه فان رأس مائة سنة لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الارض احد ولو كان الخضر حيا لكان لا يعيش بعده وقيل من فوائد
هذه القصة ان لا يعجب المرء بعلمه ولا يبادر الى انكار ما لا يستحسنه فلعل فيه سرا لا يعرفه وان يداوم على التعلم ويتذلل للمعلم ويراعي الادب والمقال
وان ينبه المجرم على جرمه ويعفو عنه حتى يتحقق اصراره ثم يهاجره ويسألونك عن ذي القرنين اختلفوا في اسمه فقيل اسمه مرزبان بن مرزبة اليو
ناني من ولد يونان بن يافث بن نوح وقيل اسمه الاسكندر بن فيلبوس الرومي وهو المشهور وهو ممن ملك الدنيا قيل ملكها مؤمنان ذو القرنين وسليمان
وكافران نمرود وبخت نصر وكان بعد نمرود واختلفوا ايضا في نبوته فقيل كان نبيا وقيل ملكا [illegible] وروي عن عمر انه سمع رجلا يقول
يا ذا القرنين فقال اللهم غفرا اما رضيتم ان تسموا باسماء الانبياء حتى تسميتم باسماء الملائكة وقيل كان عبدا صالحا ملكه الله الارض واعطاه
العلم والحكمة والبسه الهيبة وسخر له النور والظلمة فاذا سرى يهديه النور من امامه وتحوطه الظلمة من ورائه وعن علي رضي الله عنه سخر له السحاب و
مدت له الاسباب وبسط له النور وسئل عنه فقال احب الله فاحبه وسأل ابن الكواء ما ذو القرنين املك ام نبي فقال ليس بملك ولا نبي ولكن كان عبدا
صالحا ضرب على قرنه الايمن في طاعة الله فمات ثم بعثه الله فضرب على قرنه الايسر فمات فبعثه الله فسمي ذا القرنين وفيكم مثله يعني نفسه وقيل كان يدعوهم
الى التوحيد فيقتلونه فيحييه الله وعن النبي صلى الله عليه وسلم سمي ذا القرنين لانه طاف قرني الدنيا يعني جانبي شرقها وغربها وقال الزهري لانه
بلغ قرني الشمس شرقها وغربها وقال وهب لانه ملك الروم وفارس وروي الروم والترك وعنه كانت صفحتا رأسه من نحاس وقيل لانه دخل النور والظلمة

او لانه كان له قرنان اي ضفيرتان وقيل لانقراض [illegible] في وقته قرنان من الناس

وقيل لانه

وقيل سمي [illegible]

وقيل لانه راى في المنام كانه اخذ بقرني الشمس وقيل لانه كانت له ذوابتان حسنتان وقيل كان له قرنان تواريهما العمامة وقيل كان لتاجه قرنان
ويحتمل ان يكون لقب بذلك لشجاعته كما يسمى الشجاع كبشا كانه ينطح اقرانه والسائلون هم اليهود سألوه على جهة الامتحان او قريش
قل سأتلوا عليكم منه ذكرا الخطاب للسائلين والهاء لذي القرنين وقيل لله انا مكنا له في الارض اي جعلنا له مكنة يتصرف فيها بامره و
نهيه وقيل مكنا له امره من التصرف فيها كيف شاء فحذف المفعول وعلى الاول لا حاجة الى هذا الحذف وكذا قيل اي انا ملكناه فيها واقدرنا
على التصرف فيها واتيناه من كل شيء يحتاج اليه الناس ويستعين به الملوك على مقاصدهم سببا طريقا موصلا اليه والسبب ما يتوصل
به الى المقصود من العلم والقدرة والآلة فاتبع سببا اي فاراد بلوغ المغرب فاتبع سببا يوصله اليه اي فسلك وسار طريقا يوصله اليه حتى اذا بلغ
مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة قرأ ابن عامر والكسائي وحمزة وابو بكر حامية اي حارة والباقون حمئة من حمئت البئر اذا صارت فيها
الحمأة وهي الطين الاسود ومنه قوله من حمأ مسنون وعن ابن عباس انه سمع معاوية يقرأ حامية فقال ابن عباس حمئة فقال معاوية
لعبد الله بن عمرو كيف تقرأ قال كما يقرأ امير المؤمنين ثم وجه الى كعب الاحبار كيف تجد الشمس تغرب قال في ماء وطين كذلك نجده في التورية
وروي في ثاط فوافق قول ابن عباس وكان ثم رجل فانشد في تقوية قول ابن عباس شعر تبع فرأى مغيب الشمس عند مآبها في عين ذي خلب
وثاط حرمد فقال ابن عباس ما الخلب قال الطين قال ما الثاط قال الحمأة قال ما الحرمد قال الاسود اي في عين ماء ذي طين وحمأ اسود
وقوله تعالى في عين حمئة اي في عين ذي طين اسود ولا تنافي بين القراءتين لجواز ان تكون العين جامعة للوصفين وقراءة عكرمة في طين حمأة
كذا في غرائب القرآن فان قيل قد ورد في الحديث ان الشمس تشرق من السماء الرابعة ظهرها الى الدنيا ووجهها مشرق لاهل السموات وعظمها
مثل الدنيا ثلثمائة مرة او ما شاء الله فكيف يمكن دخولها في عين من عيون الارض قلنا ان قدرة الله باهرة وحكمته بالغة فالله تعالى قادر
على ان يدخل السموات السبع والارضين السبع في اصغر شيء واصغره فما ظنك بما فيها من الشمس وغيرها وقيل لعله بلغ ساحل المحيط فرآها كذا
لكن اذ لم يكن في مطمح بصره غير الماء ولذلك قال وجدها تغرب ولم يقل كانت تغرب وتوجيهها انه ان كان نبيا ونقل النبي ثاقب يرى الاشياء
على ما هي عليها كما رأى نبينا عليه السلام نعش النجاشي من المدينة وصلى عليه وان لم يكن نبيا فذلك الوجه انه يجب حمله لكن قوله وجد
عندها وما يؤيد الاول كما لا يخفى ووجد عندها عند تلك العين قوما امة قال ابن جريج مدينة لها اثنى عشر الف باب لولا ضجيج اهلها
لسمعتم وجبة الشمس حين تجب اي تغرب وقيل كان لباسهم جلود الوحش وطعامهم ما لفظه البحر وكانوا كفارا فخيره الله بين ان يعذبهم بالقتل
وان يدعوهم الى الاسلام كما حكى بقوله قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب بالقتل على ظلمهم وشركهم واما ان تتخذ فيهم حسنا بالعفو والصفح و
قيل بالارشاد وتعليم الشرائع وقيل خيره الله بين القتل والاسر وسماه احسانا في مقابلة القتل ويؤيد الاول قوله قال اما من ظلم فسوف نعذبه
ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا اي فاختار الدعوة وقال اما من دعوته فثبت ودام على ظلمه العظيم الذي هو الشرك فنعذبه نحن في الدنيا بالقتل
ثم يعذبه الله في الآخرة عذابا نكرا لم يعهد مثله واما من آمن وعمل صالحا اي ما يقتضيه الايمان فله في الدارين جزاء الحسنى اي يجازى المثوبة
الحسنى او جزاء الفعلة الحسنى وقرأ حمزة والكسائي وحفص جزاء الحسنى بالتنوين والنصب على الحال اي فله الحسنى مجزيا بها او على انه مصدر مؤكد لفعله
المقدر حال اي يجزى بها جزاء او التميز وقال الفراء هو منصوب على التفسير والباقون جزاء الحسنى بالرفع والاضافة الحسنى اي فله جزاء الجنة كقوله ولدار الآخرة
والدار الآخرة هي الجنة او فله جزاء الكلمة الحسنى او جزاء الخصلة الحسنى وهي كلمة الايمان وخصلته وقيل اي جزاء الاعمال الصالحة وعن قتادة كان
يطبخ من كفر في القدور وهو العذاب المنكر ومن آمن اعطاه وكساه وقرئ منصوبا غير منون على ان تنوينه حذف لالتقاء الساكنين ومنونا مرفوعا
على انه المبتدأ والحسنى بدله ويجوز ان يكون اما واما للتقسيم دون التخيير اي ليكن شأنك معهم اما التعذيب واما الاحسان فالاول لمن
اصر على الكفر والثاني لمن تاب عنه ونداء الله اياه ان كان نبيا فوحي وان كان غير نبي فبالالهام او على لسان نبي وسنقول له من امرنا ما نامره يسرا سهلا
متيسرا من الزكاة والخراج وغير ذلك وتقديره ذا يسر كقوله قولا ميسورا وقرئ يسرا بضمتين فاراد المشرق ثم اتبع سببا ثم سلك وسار طريقا
يوصله اليه حتى اذا بلغ مطلع الشمس يعني الموضع الذي تطلع الشمس عليه اولا من الارض وقرئ مطلع بفتح اللام على اضمار مضاف اي مكان مطلع

الشمس فانه مصدر بمعنى الطلوع ونظيره مقدم الحاج وخفوق النجم قوله كان بجنب الاسان وجدها تطلع على قوم قبلهم الزنج لم
نجعل لهم من دونها سترا من اللباس والبناء لان ارضهم لا تمسك الابنية او لانهم اتخذوا الاسراب بدل الابنية فاذا طلعت الشمس دخلوا
هاوا اذا ارتفع النهار خرجوا الى معايشهم وقال الحسن فاذا طلعت الشمس دخلوا الماء واذا ارتفعت عنهم خرجوا افترعوا كالبهائم وقال
الكلبي هم قوم عراة يفترش احدهم احدى اذنيه ويلتحف الاخرى وعن مجاهد من لا يلبس الثياب من السودان عند مطلع الشمس اكثر من
جميع اهل الارض كذلك اي امر ذي القرنين كذلك اي كما وصفناه في رفعة المكان وبسطة الملك ويجوز ان يكون صفة قوله سترا اي لم نجعل لهم
من دونها سترا مثل ذلك الستر الذي جعلنا لكم من الجبال والحصون والابنية والاكنان من كل جنس والثياب من كل صنف وان يكون صفة مصدر
محذوف لبلغ او وجد او نجعل اي بلغ مطلع الشمس بلوغا مثل ذلك اشارة الى مغربها وان يكون صفة قوم مثل ذلك القوم الذين تغرب
عليهم يعني كفرة مثلهم وحكمهم مثل حكمهم في تعذيبه لمن كفر منهم واحسانه الى من آمن منهم وقد احطنا بما لديه من الجنود والالات
والاسباب الملك خبرا علما تعلق بظواهره وخفاياه والمراد ان كثرة ذلك بلغت مبلغا لا يحيط به الا علم اللطيف الخبير او للدي
من التعجب من حالهم ومن التعب والنصب في بلوغه اليهم ومن سعي التحير من تعذيبهم والاساءة اليهم ثم اتبع سببا اي فاراد بلوغ السدين
ثم سلك طريقا ثالثا معترضا بين المشرق والمغرب اخذا من الجنوب الى الشمال حتى اذا بلغ بين السدين اي بين الجبلين المبني بينهما سده
وهما جبلا ارمينية واذربيجان وقيل جبلان في اخر الشمال في منقطع ارض الترك منيفان من ورائهما ياجوج وماجوج وقرا ابن عامر و الكوفيون
فاتبع ثم اتبع ثلثتها بقطع الهمزة على معنى اتبع سببا سببا واتبع امره وما هو عليه سببا لحذف احد المفعولين كما في قوله فاتبعوهم مشرقين
اي فاتبعوهم جنودهم مشرقين والباقون بوصل الهمزة والتشديد بمعنى تبع بمعنى مشى وسار وحفص وابن كثير وابو عمرو بين السدين
بفتح السين والباقون بضمها وهما لغتان كالفقر والفقر والضعف والضعف وقيل المفتوح لما عمله الناس والمضموم لما خلقه الله لان السد
بالفتح مصدر حدث يحدثه الناس والسد بالضم فعل بمعنى مفعول اي هو ما فعله الله وخلقه وقيل بالعكس وانتصب بين على
انه مفعول به لبلغ وهو من الظروف التي تستعمل اسماء وظروفا وجد من دونهما قوما الترك او غيرهم لا يكادون يفقهون قولا قال ابن
عباس لا يفقهون كلام احد ولا يفهم الناس كلامهم وقال الزمخشري لا يكادون يفهمونه الا بجهد ومشقة من اشارة ونحوها كما
يفهم البكم وقرا حمزة والكسائي لا يكادون يفقهون بضم الياء وكسر القاف اي لا يفهمون السامعين كلامهم ولا يبينونه لان لغتهم غريبة
مجهولة والباقون بفتح الياء والقاف قالوا يا ذا القرنين قيل كلم عنهم مترجم بدليل قراءة ابن مسعود قال الذين من دونهم يا ذا القرنين
ان ياجوج وماجوج اسمان اعجميان بدليل منع الصرف للتعريف والعجمة وقيل هما عربيان لا ينصرفان للتعريف والتانيث لانهما
اسمان لقبيلتين فمن قراهما بالهمزة وهي قراءة عاصم جعلهما عربيين ايضا والفهما اصلية على وزن يفعول ومفعول من اج الظليم
اذا اسرع او من اجيج النار وهو ضوؤها وشررها شبهوا به لكثرتهم وشدتهم ومن قراهما بترك الهمزة وهي قراءة الباقين جعل الفهما زائدة على وزنه فا
هول لانه ياجوج من يج وماجوج من مج او من ماج اذا اضطرب ومنه الموج فيكون الفه منقلبة عن واو وجعلهما اعجميين ايضا على هذا الاشتقاق
لهما كطالوت وتابوت وقرئ في رؤبة آجوج وماجوج وهما من ولد يافث بن نوح وقيل ياجوج من الترك وماجوج من الجيل والديلم وقال السدي
سرية ياجوج وماجوج خرجت فضرب ذو القرنين السد فبقيت خارجه فجميع الترك منهم وعن قتادة انهم اثنان وعشرون قبيلة بنى ذو
القرنين السد على احدى وعشرين قبيلة وبقيت واحدة وهم الترك سموا الترك لانهم تركوا خارجين وقال ان اولاد نوح ثلثة سام و
حام ويافث فسام ابو العرب والعجم والروم وحام ابو الحبشة والزنج والنوبة ويافث ابو الترك والجيل والصقالبة وياجوج وماجوج مفسدون في الارض
اي في ارضنا بالقتل والتخريب وقيل افسادهم انهم يأكلون الناس وقال الكلبي فسادهم انهم كانوا يخرجون ايام الربيع الى ارضهم فلا يدعون
شيئا اخضر الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه وكانوا يلقون منهم قتلا واذى شديدا وقيل معناه سيفسدون في الارض عند خروجهم وقال ابن عباس
الناس عشرة اجزاء تسعة منها ياجوج وماجوج وروي عن حذيفة مرفوعا ان ياجوج امة وماجوج امة كل امة اربعمائة الف امة لا يموت الرجل منهم

حتى ينظر الف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح وهم من ولد آدم يسيرون الى الدنيا فقال هم ثلثة اصناف صنف منهم امثال شجر الارز وهو شجر بالشام طوله عشرون
ومائة ذراع في السماء وصنف منهم عرضه وطوله سواء عشرون ومائة ذراع وهؤلاء لا يقوم لهم جبل ولا حديد وصنف منهم يفترش احدهم اذنه
ويلتحف بالاخرى لا يمرون بوحش من فيل ولا خنزير الا اكلوه ومن مات منهم اكلوه مقدمتهم بالشام وساقتهم بخراسان يشربون انهار المشرق
وبحيرة طبرية وعن علي رضي الله عنه منهم من طوله شبر ومنهم مفرط في الطول وقال كعب هم نادرة في ولد آدم وذلك ان آدم احتلم ذات يوم وامتزجت
نطفته بالتراب فخلق الله من ذلك الماء ياجوج وماجوج واعلم ان هذا مخالف لقوله عليه السلام ما احتلم نبي قط فهل نجعل لك خرجا قرا حمزة
والكسائي خراجا بالالف والباقون خرجا بغير الف وهما بمعنى واحد اي جعلا نخرجه من اموالنا ونظيرهما النول والنوال وقيل الخرج على الارض والخراج
على الرقاب على ان تجعل بيننا وبينهم سدا حاجزا يمنع خروجهم علينا وقرا حمزة والكسائي وحفص وابن كثير وابو عمرو سدا بفتح السين والباقون
بضمها وهما بمعنى كما ذكر قال ما مكني فيه ربي خير اي ما جعلني فيه مكينا من كثرة المال والملك خير مما تبذلون لي من الخراج فلا حاجة لي اليه كما قال
سليمان فما آتاني الله خير مما آتاكم وقرا ابن كثير مكنني بالاظهار لانه الاصل والباقون بالادغام لاجتماع المثلين فاعينوني بقوة اي بقوة ابدانكم
او بفعلة وصناع يحسنون البناء والعمل او الات تقوى بها من الالة اجعل بينكم وبينهم ردما حاجزا حصينا موثقا والردم اكبر من السد من
قولهم ثوب مردم اذا كان رقاعا فوق رقاع آتوني زبر الحديد قطعة جمع زبرة هي القطعة الكبيرة وهو لا ينافي رد الخراج والاقتصار على المعونة
لان الايتاء بمعنى المناولة وتدل عليه قراءة ابي بكر ردما ايتوني بهمزة ساكنة من اتى يأتي اي جيئوني زبر الحديد والباء محذوفة كما في امرتك الخير
ولان اعطاء الالة من الاعانة بالقوة دون الخراج على العمل فاتوه بها حتى اذا ساوى بين الصدفين اي بين جانبي الجبلين بتنضيدها
وجعل بعضها مضموما ببعض وقرا ابن مسعود ساوى الصدفين وقتادة سوى بين الصدفين من التسوية وفي مصحف انس سوى بين
الصدفين وقرا الاعمش ساوى بالامالة والخليل الصدفين باسكان الدال قال انفخوا اي قال للعمال انفخوا بالاكوار والحديد حتى
اذا جعله اي جعل المنفوخ فيه نارا كالنار بالاحماء قال آتوني افرغ عليه قطرا اي آتوني قطرا اي نحاسا مذابا افرغ عليه قطرا فحذف الاول
لدلالة الثاني عليه وبه تمسك البصريون على ان اعمال الثاني من العاملين الطالبين لمعمول واحد اولى اذ لو كان قطرا معمول آتوني لاضمر مفعول افرغ حذرا
من الالباس وقرا ابن كثير وابن عامر وابو عمرو بين الصدفين بضم الصاد والدال وابو بكر بضم الصاد وسكون الدال والباقون بفتحهما وقرئ
بفتح الصاد وضم الدال وكلها لغات من الصدف وهو الميل لان كلا منهما منعزل عن الاخر ومنه التصادف والتعاند ويروى ابن جابر
عن مجاهد الصدفين القدفين راس الجبلين وقرا حمزة وابو بكر قال ايتوني بوصل الهمزة والباقون بقطعها من الايتاء فما اسطاعوا بحذف
التاء للخفة اذ التاء قريبة المخرج من الطاء وقرئ بادغام التاء في الطاء جامعا بين ساكنين على غير حده وقال الزجاج من قرا بذلك فهو لاحن
مخطئ والباقون بالتخفيف وقرئ فما اصطاعوا بقلب السين صادا لمجاورة الطاء ان يظهروه ان يعلوه بالصعود لارتفاعه واملاسه وما
استطاعوا له نقبا لثخانته وصلابته وقيل حفر للاساس حتى بلغ الماء وجعل الاساس من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينها الحطب و
الفحم حتى لزم بين الجبلين الى اعلاهما ثم وضع المنافيخ حتى اذا صارت كالنار صب النحاس المذاب على الحديد المحمى فاختلط والتصق بعضه
ببعض وصار جبلا صلدا وقيل بناه من الصخور مرتبطا بعضها ببعض بكلاليب من حديد ونحاس مذاب في تجاويفها وقيل بعد ما بين السدين مائة
فرسخ وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا اخبره به فقال كيف رايته قال كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء قال قد رايته قال هذا اي هذا
السد وهذا الاقدار على تسويته وقرا ابن عيلة هذه بالتانيث رحمة من ربي نعمة من الله على عباده فاذا جاء وعد ربي فاذا دنا مجيء يوم
القيامة وشارف ان ياتي او وقت وعد ربي بخروج ياجوج وماجوج جعله جعل السد دكا مدكوكا مستويا بالارض مصدر بمعنى
مفعول وكلاهما اسما بعد ارتفاع فقد اندك ومنه جمل ادك لمنبسط السنام وقرا الكوفيون دكاء بالمد اي ارضا مستوية والباقون على
المصدر وكان وعد ربي حقا كائنا لا محالة وهو اخر حكاية ذي القرنين وعن ابي هريرة رفعه ان ياجوج وماجوج يحفرون السد حتى اذا
كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم ارجعوا فستحفرونه غدا فيعيده الله كما كان حتى اذا بلغ مدتهم حفروا حتى اذا كادوا يرون شعاع

الشمس قال الذين عليهم ارجعوا فستحفرونه غدا ان شاء الله واستثنى فيعودون اليه وهو كهيئته حين تركوه فيحفرونه ويخرجون على الناس فينشفون
المياه ويتحصن الناس في حصونهم منهم فيرمون بسهامهم الى السماء فيبعث الله تعالى عليهم نغفا في اقفائهم فيهلكون وان حيوانات الارض لتسمن وتشكر
من لحومهم سكرا وتركنا وجعلنا بعضهم يومئذ اي بعض ياجوج وماجوج حين يخرجون مما وراء السد يموج في بعض يزدحم في بعض كموج
الماء والدراية ازدحامهم بعد افراطا لكثرتهم وتباعد اطراف عددهم او يموج بعض الخلق في بعض اي يضطربون ويختلطون انسهم وجنهم حيارى
وعن النواس بن سمعان الكلابي ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظنناه في طائفة النخل فلما رحنا اليه
عرف ذلك فينا فقال ما شانكم قلنا يا رسول الله ذكرت الدجال غداة فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه في طائفة النخل فقال غير الدجال
اخوفني عليكم ان يخرج وانا فيكم فانا حجيجه دونكم وان يخرج ولست فيكم فكل امرئ حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم انه شاب قطط كان عينه عنبة طافية خلقي رسام
كاني اشبهه بعبد العزى بن قطن فمن ادركه منكم فليقرا عليه فواتح سورة الكهف انه خارج خلة بين الشام والعراق فعاث يمينا وعاث شمالا يا عباد الله
فاثبتوا قلنا يا رسول الله وما لبثه في الارض قال اربعين يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وساير ايامه كايامكم قلنا يا رسول الله ارايت اليوم
الذي كسنة يكفينا فيه صلوة يوم قال لا ولكن اقدروا له قلنا يا رسول الله فما اسراعه في الارض قال كالغيث استدبرته الريح فياتي القوم فيدعوهم
فيكذبونه ويردون عليه قوله فينصرف عنهم فيتبعه اموالهم ويصبحون ليس بايديهم شيء ثم ياتي القوم فيدعوهم فيستجيبون له ويصدقونه فيامر
السماء ان تمطر فتمطر ويامر الارض ان تنبت فتنبت فتروح عليهم سارحتهم كاطول ما كانت ذرى وامده خواصر وادره ضروعا ثم ياتي
الخربة فيقول لها اخرجي كنوزك فينصرف منها فيتبعه كنوزها كيعاسيب النحل ثم يدعو رجلا شابا فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية
الغرض ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه يضحك فبينما هو كذلك اذ بعث الله المسيح بن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين
مهرودتين واضعا يديه على اجنحة ملكين اذا طاطا راسه قطر واذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ ولا يجد ريح نفسه الا مات يعني من هو
من اتباع الدجال وريح نفسه منتهى بصره فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله فيلبث كذلك ما شاء الله ثم يوحي الله تعالى اليه ان حرز عبادي الى الطور
وفي بعض النسخ ان حرز فاني قد اخرجت عبادا لي الا يدان لاحد بقتالهم ويبعث الله ياجوج وماجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر
اوايلهم على بحيرة طبرية فيشربون ماءها ثم يمر آخرهم فيقولون لقد كان بهذه مرة ماء ويحاصر عيسى واصحابه حتى يكون راس الثور يومئذ
خيرا لاحدهم من مائة دينار لاحدكم اليوم فيرغب عيسى واصحابه الى الله تعالى فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم فيصبحون فرسى موتى النغف جمع نغفة وهو دود في انوف الابل والغنم
كموت نفس واحدة ثم يهبط عيسى واصحابه فلا يجدون في الارض موضع شبر الا قد ملاه زهمهم ونتنهم فيرغب عيسى واصحابه
الى الله تعالى فيرسل عليهم طيرا كاعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله وفي بعض النسخ فتطرحهم بالمهبل ثم يرسل الله مطرا
لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الارض حتى يتركها كالزلفة ثم يقال للارض انبتي ثمرك وردي بركتك فيومئذ تاكل العصابة
من الرمانة ويستظلون بقحفها ويبارك في الرسل حتى ان اللقحة من الابل لتكفي الفئام من الناس واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس
من الغنم لتكفي الفخذ من الناس فبينما هم كذلك اذ بعث الله ريحا طيبة فتاخذهم تحت اباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى
شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة وزاد مسلم بن الحجاج بعد قوله لقد كان بهذه مرة ماء ثم يسيرون حتى
ينتهون الى جبل الخمر اي الشجر الملتف وهو جبل بيت المقدس فيقولون لقد قتلنا من في الارض فلنقتل من في السماء فيرمون بنشابهم الى
السماء فيرد الله عليهم نشابهم مخضوبة دما وقال وهب انهم ياتون البحر فيشربون ماءه وياكلون دوابه ثم ياكلون الخشب والشجر ومن
ظفروا به من الناس ولا يقدرون ان ياتوا مكة والمدينة وبيت المقدس ثم يبعث الله نغفا في اقفائهم فيدخل اذانهم فيموتون وعن
ابي سعيد قال النبي صلى الله عليه وسلم ليحجن البيت وليعتمرن بعد خروج ياجوج وماجوج ونفخ في الصور لقيام الساعة فخروج ياجوج
وماجوج من اشراط قيام الساعة فجمعناهم جمعا في صعيد واحد للحساب والجزاء وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا وابرزناها
واظهرناها لهم فراوها جهرة الذين كانت اعينهم في غطاء عن ذكري عن اياتي التي اليها فاذكر بالتوحيد والتعظيم او عن القران وتامل
ينظر

معاينة

بالكلية

معاينة وتبصرها وهم صم وبكم عمي وقيل عن الايات والقران وعن الهدى والبيان والقطا بما يفعل النبي الله وسيرته وكانوا لا يستطيعون سمعا استماعا
بالكلية وكلا في لا فراطهم من الحق لانه الاصح قد يستطيع السمع اذا صيح به وهولاء كانهم اصمت اسماعهم بالكلية فلا استطاعة بهم للسمع
من تبع الحسب الذين كفروا افظنوا والهمزة استفهام للانكار ان يتخذوا عبادي من دوني اولياء يريد بالعباد عيسى وعزيرا والملائكة يعني
انهم لا يكونون لهم اولياء بل هم لهم اعداء فان قلت الحسبان لا يقتضي تعليقه بمعاني المفردات ولكن بمضامين الجمل فان الكلام دال
على المضمون الذي يقتضيه الحسبان قلت اشتمال صلة ان على مسند ومسند اليه نابهما مناب المفعولين ويجوز ان يضمن حسب معنى قدر وقيل
احد المفعولين محذوف تقديره افظنوا انه ينفعهم ان يتخذوا عبادي من دوني اولياء او افظنوا اتخاذهم الملائكة والمسيح نافعهم
او لا اعذبهم به وقرا ابن مسعود افظن الذين وقرا علي افحسب الذين كفروا اي افكافيهم ومحسبهم في النجاة وان يتخذوا عبادي
اولياء مرتفع بانه فاعل حسب لان النعت اذا اعتمد على الهمزة ساوى الفعل في العمل كقولك اقائم الزيدان والمعنى ان ذلك لا يكفيهم
ولا ينفعهم عند الله كما حسبوا او بانه خبر له وهي قراءة محكمة جيدة انا اعتدنا جهنم هياناها للكافرين نزلا اي مثوى لهم قال ابن عباس
وقيل النزل ما يهيا للتنزيل وهو الضيف وفيه تهكم بهم كقوله فبشرهم بعذاب اليم ووضع الكافرين موضع الضمير اظهارا للغضب عليهم ودلالة
على ان هذا الحسبان لا يجري عليهم الا الكافرون المعتمدون على الكفر العظيم المتوغلون فيه قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا نصب على التمييز و
جمع لانه من اسماء الفاعلين او لتنوع اعمالهم الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا ضاع وبطل لاشترائهم الضلالة بالهدى وايثارهم الفاني على
الباقي وهم اليهود والنصارى قال ابن عباس وسعد بن ابي وقاص وقيل هم الرهبان وعن علي هم اهل حروراء ومحله الرفع او النصب على الذم
او الجر على الصفة او البدل وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وهم يظنون انهم يحسنون لاعتقادهم انهم على الحق اولئك الذين كفروا
بايات ربهم بالقران او بالدلايل الموجبة للتوحيد ولقائه بالبعث على ما هو عليه او لقاء عذابه فحبطت اعمالهم فبطلت اعمالهم لبطلان
سعيهم وكفرهم فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا فنزدري بهم ولا يكون لهم عندنا وزن ومقدار او لا نضع لهم ميزانا يوزن به اعمالهم لحبوطها وعن
ابي سعيد الخدري ياتي ناس باعمال يوم القيمة هي عندهم في العظم كجبال تهامة فاذا وزنوها لم تزن شيئا وقرئ فلا يقيم بالياء وقرا مجاهد فلا
يقوم لهم وزن وقرا عبد الله بن عبيد بن عمير فلا تقوم بالتاء اي لا تقوم الاعمال لهم وزنا ذلك خبر مبتدا محذوف اي الامر ذلك وقوله
جزاؤهم جهنم جملة مبينة له او ذلك مبتدا والجملة خبره والعايد محذوف اي جزاؤهم به او جزاؤهم بدله وجهنم خبره او جزاؤهم خبره وجهنم عطف
بيان للخبر ويجوز ان يكون ذلك بمعنى الذي وجزاؤهم خبر مبتدا محذوف والجملة صلته وجهنم خبره ويجوز ان ينتصب ذلك على فعل يدل
عليه جزاؤهم اي يجزيهم ذلك الذي ذكرنا من حبوط اعمالهم وخسة قدرهم ثم ابتدا وقال جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا اياتي ورسلي هزوا
بسبب ذلك واتخذ يتعدى الى مفعولين هما المبتدا والخبر كحسب وصح وقوع المصدر خبرا عن الجماعة فلا بد من التاويل بانه بمعنى وجعلوا اياتي ورسلي
مكان هزو او اهل هزو او مهزوا بها او الهزو نفسه لفرط الاستهزاء والهزو والسخرية ان الذين امنوا وعملوا الصالحات جمعوا بين الايمان الذي
هو التصديق القلبي وبين الاعمال الصالحات المتعلقة بالجوارح واستمروا على ذلك كانت لهم جنات الفردوس نزلا فيما سبق من حكم الله و
وعده والفردوس اعلى الجنان وهو البستان وهو بستان الواسع الجامع لاصناف الثمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه اذا سالتم الله فاسئلوا الفردوس فانه
اوسط الجنة واعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر انهار الجنة وقال عليه السلام ان الله تعالى كبس عرصة جنة الفردوس بيده ثم بناها لبنة من
ذهب مصفى ولبنة من مسك مذرى وغرس فيها من طيب الفاكهة وطيب الريحان وفجر فيها انهارها ثم اوفى ربنا على عرشه فنظر
اليها فقال وعزتي لا يدخلك مدمن خمر ولا مصر على زنا وقال مجاهد هو البستان بالرومية وقال عكرمة هي الجنة بلسان الحبش وقال
الزجاج هو بالرومية منقول الى لفظ العربية خالدين فيها حال مقدرة اي مقدرين الخلود فيها لا يبغون عنها حولا لا يطلبون عنها
تحولا الى غيرها اذ لا مزيد عليها ولا يرون ارفع منها حتى تنازعهم انفسهم الى ما هو اجمع لاغراضهم ولامانيهم ويجوز ان يراد نفي التحول
وتاكيد الخلود وقال ابن عباس لا يريدون ان يتحولوا عنها كما ينتقل الرجل من دار اذا لم توافقه الى دار اخرى واصل التركيب دال على التحول

والنقل ح

والتفريع منه التحويل وهو نقل الشيء من محل الى آخر قل لو كان البحر مدادا يكتب به وهو اسم ما يمد به الشيء كالحبر للدواة والسليط للسراج ويقال السماد
مداد الارض لكلمات ربي لكلمات علمه وحكمته يعني لو كتبت كلمات علم الله وحكمته وكان البحر مدادا لها لنفد البحر لنفد جنس البحر باسره لان كل جسم متناه
قبل ان تنفد كلمات ربي لانها غير متناهية لا تنفد كعلمه وانما اضاف جمع القلة على الكثرة وهي الكلم تنبيها على ان ذلك لا يقابل
بالقليل فكيف بالكثير وقرا حمزة والكسائي ينفد بالياء ان تنفد كلمات ربي وطلحة قبل انقضاء كلمات ربي ولو جئنا بمثله بمثل البحر الموجود مددا للنفد
ايضا والكلمات غير نافدة لعدم تناهيها وحذف جزاء الثاني لدلالة الاول عليه والمعنى مدادا زيادة ومعونة لان مجموع المتناهين متناه بل
مجموع ما يدخل في الوجود من الاجسام لا يكون الا متناهيا للدلائل القاطعة على تناهي الابعاد والمتناهي ينفد قبل ان تنفد غير المتناهي لا
محالة ويجوز ان يكون التقدير ولو جئنا بمثله مددا اما نفدت كلمات الله وهو احسن لكونه اوفق بقوله ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده
من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله ولانه يدل به على تحقق نفاد البحر وعدم تحقق نفاد كلمات الله صريحا فيكون مؤيدا لكون الكلام وقرا حمزة
والكسائي ان ينفد بالتذكير لان تانيث الكلمات غير حقيقي ولانه في معنى الكلام والباقون بالتانيث نظرا الى لفظ الكلمات وقرا ابن عباس بمثله
مدادا وهما جمع واحده مدة وهو ما يمد به وقرا الاعرج بمدد بكسر الميم جمع مدة وهو ما يستمده الكاتب فيكتب به وانتصابه على التمييز وقيل قال
حيي بن اخطب في كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ثم تقرؤون وما اوتيتم من العلم الا قليلا فنزلت يعني ان ذلك خير كثير ولكنه
قطرة من بحر كلماته قل انما انا بشر مثلكم اي بشر مساويكم في صفات يشترك فيها نوع البشر في جميع الصفات لانه عليه بني رسول يوحي اليه
ولا نبوة لكم ولا رسالة فلكم فلما ادعي الاحاطة على كلماته يوحى الي انما الهكم اله واحد صفة مميزة لكم اي تميزت عنكم بالوحي الدال على صحة
نبوتي وحقية رسالتي وحيا الي ان الهكم اله واحد فاتبعوني في ذلك فمن كان يرجوا لقاء ربه اي رؤية ربه والنظر الى عيني وجهه
الكريم المراد به ذاته وقيل من كان يامل حسن لقاء ربه وان يلقى لقاء رضى وقبول او من كان يخاف سوء لقائه فان الرجاء مستعمل في المعنيين
فليعمل عملا صالحا يرتضيه الله ولا يشرك بعبادة ربه احدا ولا يرائي بعمله فان قلت ما معنى الرياء قلت العمل لغير الله تعالى بدليل قوله عليه
السلام ان اخوف ما اخاف على امتي الاشراك بالله اما اني لا اقول تعبدون شمسا ولا قمرا ولا حجرا ولا وثنا ولكن اعمالا لغير الله الحديث
وعنه عليه السلام ان الله حرم الجنة على كل مرائي ليس البر في حسن اللباس والزي ولكن البر سكينة والوقار روي ان جندب بن زهير قال لرسول
الله صلى الله عليه وسلم اني اعمل العمل لله فاذا اطلع عليه سرني وقال ان الله لا يقبل ما شورك فيه فنزلت تصديقا له وروي انه قال لك اجران
اجر السر واجر العلانية وذلك اذا قصد ان يقتدى به وقرا ابو عمرو ولا تشرك بالتاء خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم وعنه عليه السلام اتقوا الشرك الاصغر
قالوا وما الشرك الاصغر قال الرياء وعن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى انا اغنى الشركاء عن الشرك من
عمل عملا اشرك فيه غيري فانا منه بريء وهو للذي عمله قال عليه السلام لان ادنى الرياء الشرك وقال عليه السلام ان في جهنم واديا تستعيذ
جهنم من ذلك الوادي في كل يوم مائة مرة اعد ذلك الوادي للمرائين من امة محمد لحامل كتاب الله والمتصدق في غير ذات الله والحاج
الى بيت الله والخارج في سبيله وعن ابي الدرداء قال النبي صلى الله عليه وسلم من حفظ عشر ايات من اول سورة الكهف
عصم من فتنة الدجال وفي سنن النسائي وصحيح المستدرك من قرا سورة الكهف كانت له نورا يوم القيامة من مقامه الى مكة ومن قرا
عشر ايات من اخرها ثم خرج الدجال لم يسلط عليه وعنه عليه السلام من قرا سورة الكهف من اخرها كانت
له نورا من قرنه الى قدمه ومن قراها كلها كانت له نورا من الارض الى السماء وعنه عليه السلام من قرا عند مضجعه قل انما انا بشر مثلكم
كان له في مضجعه نورا يتلالا الى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم وان كان مضجعه بمكة كان له نورا يتلالا
من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ **سورة مريم ثمان وتسعون آية مكية** بسم الله
الرحمن الرحيم كهيعص قرا ابو عمرو بكسر الهاء وفتح الياء وابن عامر وحمزة بفتح الهاء وكسر الياء وعاصم بكسرهما وابن كثير وحفص
بفتحهما والحسن بضمهما وروى خارجة عن الحسن كاف بالضم وقرا نافع بين بين بالامالة والاعرج هو بضم الهاء وقال ابن عباس هو اسم

من اسماء الله

من اسماء الله وقال قتادة اسم من اسماء القرآن وقيل اسم السورة وقيل قسم اقسم الله به وعن ابن عباس في رواية
سعيد بن جبير الكاف من كريم وكبير والهاء من هاد والياء من رحيم والعين من عليم وعظيم والصاد من صادق وقال الكلبي معناه كاف لخلقه
هاد لعباده يده فوق ايديهم عالم ببريته صادق في وعده ذكر رحمة ربك خبر ما قبله ان اول بالسورة او القرآن لاشتماله عليه او خبر محذوف اي
هذا المتلو ذكر رحمة ربك او مبتدا حذف خبره اي فيما يتلى عليك ذكر رحمة ربك وقرا الحسن ذكر رحمة ربك على الماضي وقرئ وذكره على الامر عبده مفعول الامر
الرحمة او الذكر على ان الرحمة فاعله على الاتساع كقولك ذكرني جود زيد زكريا بدل منه او عطف بيان له وقرا ابن يعمر زكريا بالرفع على انه خبر محذوف
اي زكريا اذ نادى ربه نداء خفيا لانه سنة الله في اخفاء دعوته لان الجهر والاخفاء عند الله سيان والاخفاء ابعد من الرياء وادخل في الا
خلاص وعن الحسن نداء لا رياء فيه او اخفاه لئلا يلام على طلب الولد في ابان الكبرة والشيخوخة او لئلا يطلع عليه مواليه الذين خافهم او
خفت صوته لضعفه وهرمه كما جاء في صفة الشيخ صوته خفات وسمعه تارات واختلف في سنه حينئذ فقيل ستون وقيل خمس وستون وقيل سبعون
وقيل خمس وسبعون وقيل خمس وثمانون قال رب اني وهن العظم مني استئناف وقع بيانا للنداء والوهن الضعف يقال وهن اذا ضعف و
هنا لم يجئ لازما متعديا وانما ذكر العظم لانه عمود البدن وقوام واصل بنائه فاذا وهن تداعى وتساقطت قوته ولانه اصلب ما فيه فاذا و
هن كان ما وراءه اوهن ووحده لان الواحد هو الدال على معنى الجنسية وقصده الى ان هذا الجنس الذي هو العمود والقوام اصابه الوهن ولو جمع لقصد
الى معنى آخر وهو انه لم يهن منه بعض عظامه ولكن كلها لان القيد في الكلام ينفي ما يقابله والمقابل للكلية والشمول هو البعضية مثلا انه
يقال جاءني القوم كلهم لمن يتوهم ان الجائي بعضهم لا كلهم فكذا وهنت العظام بصيغة الجمع وقصد اصابة الوهن كل عظم انما يقال لمن يتوهم ان
الواهن بعض العظام لا كلها وهذا لا يناسب المقام وقيل ترك الجمع الى الافراد لصحة حصول المجموع بوهن البعض دون كل فرد فلا بد
بان لا يتم صحته ذلك وهذا ممنوع لا دخول نعم العظم في وهن العظم من حيث انه يصدق على عظم يفيد نسبته اليه اجمالا ومن تفصيله وقرئ
وهن بالحركات الثلاث ونظيره كمل فيهم واشتعل الراس شيبا تشبيه الشيب بالنار استعارة مكنية وذكر الاشتعال تخييل او تشبيه انتشار
الشيب وبياضه في الراس باشتعال النار فيكون استعارة تصريحية تبعية جارية في الاشتعال وهذا اصلح لكونها تمثيلا بمعنى تشبيه
حال الشيب بحال النار في بياضه وانارته وانتشاره واسناد الاشتعال الى الراس لافادة شمول الشيب الراس بحيث
لم يبق من السواد شيء ولا يبقى مثلا الا ما يعتد به وهو مثل وهن العظم منه في افادة الاجمال والتفصيل لان الراس في واشتعل
الراس باعتبار انه يصدق على راس يفيد نسبته اليه اجمالا ومن تفصيله فيحصل نقيض ان المشتعل راسه ولم يضف الراس اكتفاء بالاول عن الا
ضافة وعلم المخاطب انه راس زكريا فيكون الفم لفظا دالا عليه اي مني راسي وفيه تنبيه على ادب ربه وسلوك وقيل ترك لفظ مني لقرينة
عطف اشتعل الراس على وهن العظم مني لمزية التقرير وهو ايهام حوالة تادية مفهومه على العقل دون اللفظ بمعنى انه ليس في الكلام لفظ
يؤدي معنى بل عطفه على وهن العظم الواقع جزاء يقتضي ذلك وهو معنى فيحكم بذلك واما مزية التقرير فلان في ارتباطه منه فيه مؤيد للمزية
وتنكير شيبا لافادة المبالغة وادغم السين في الشين ابو عمرو ولم اكن بدعائك رب شقيا بل كلما دعوتك استجبت لي ولم تخيبني وهو
توسل بما سلف له معه من الاستجابة وتنبيه على ان المدعو وان لم يكن معتادا فاجابته معتادة وانه تعالى عوده بالاجابة
واطمعه فيها ومن حق الكريم ان لا يخيب من اطمعه وقيل معناه ما دعوتني الى الايمان فامنت ولم اشق بترك الايمان واني خفت الموالي
يعني بني عمه وكانوا اشرار بني اسرائيل فخاف ان لا يحسنوا خلافته على امته ويبدلوا عليهم الدين ويغيروه فطلب عقبا من صلبه
صالحا يقتدى به في احياء الدين ويرتسم مراسمه فيه وقال مجاهد مواليه عصبته وقال الكلبي الورثة وقال ابو صالح الكلالة من ورائي
بعد موتي وعن ابن كثير من وراي بالقصر وفتح الياء وهو لا يتعلق بخفت لفساد المعنى بل بمحذوف او بمعنى الولاية في الموالي اي خفت
فعل الموالي وهو سوء خلافتهم وتبديلهم من ورائي وقرا عثمان ومحمد بن علي وعلي بن الحسين خفت
الموالي من ورائي اي قلوا وعجزوا عن اقامة الدين بعدي فسال ربه تقويتهم ومظاهرتهم بولي الامر زفهم او خفوا ودرجوا

تحمل ٨١

فاني ذو ولم يبق منهم من به تقوى واعتضاد فعلى هذا الكلام الذي متعلق بمحذوف وكانت امرأتي عاقرا لا تلد فهب لي من لدنك فاعطني من محض
فضلك وواسع قدرتك او من عندك اضطرارا بلا سبب فاني وامرأتي لا نصلح للولادة وليا ابنا يليك لا ارث يرثني ويرث من آل يعقوب
صفتان له وقرأ ابو عمرو والكسائي بجزمهما على انهما جواب الدعاء والباقون برفعهما على الصفة او الاستئناف وهو اولى منهما
فكانه لما قال فهب لي من لدنك وليا قيل ما تصنع فقال يرثني فلم يكن داخلا في المطلوب بالدعاء وانما هو اولى لانه لو حمل على
الوصفية يلزم ان دعوته ما كانت مستجابة حيث انه توهب وليا موصوفا بصفتيه انه يكون وارثا منه لخروجه من الدنيا قبل زكريا عليهما
السلام والمراد بالارث الشرع والعلم والنبوة لان الانبياء لا يورثون المال وقيل يرثني الحبورة فانه كان رأس الاحبار ويرث
من آل يعقوب الملك وقال الحسن يرثني مالي ويرث من آل يعقوب النبوة والحبورة ورثت منه وقيل من للتبعيض
لا للتعدية لان آل يعقوب لم يكونوا كلهم انبياء ولا علماء والمراد بيعقوب في الآية يعقوب بن اسحق بن ابراهيم خليل الرحمن عليهم
السلام من نسله وقيل هو يعقوب بن ماثان اخو زكريا وقيل اخو عمران بن ماثان من نسل سليمان بن داود عليهما وقرأ علي رضي
وجماعة يرثني وارث من آل يعقوب اي يرثني به وارث على انه فاعل يرثني ويسمى التجريد في البيان جرد من الولي وارثا وهو نفسه وقرأ ابن
والجحدري يرثني وأرث آل يعقوب بالنصب على انه حال من احد الضميرين او يرث بالتصغير لصغره وقال غلام صغير واجعله
رب رضيا مرضيا ترضاه قولا وعملا وتكرير النداء لزيادة التذلل لربه في التضرع اليه والالتجاء الذي هو سيما العبودية والافتقار
فاستجاب له فقال يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى فانه جواب لندائه ووعد باجابة دعائه واني تولى تسميته تشريفا له والبشارة الاخبار
بما يظهر سرورا في المخبر به لم نجعل له من قبل سميا لم نسم احدا بيحيى قبله وهو شاهد بان الاسامي الشنيعة جديرة بالاثرة والاختيار
واياها كانت العرب تنتحي في التسمية لكونها انبه وانوه وانزه من النبز حتى قال القائل في مدح قوم شنع الاسامي مسبلي ازر حمر تمس الارض
بالهدب وقيل لم نجعل له مثلا وشبيها كقوله هل تعلم له سميا اي مثلا قال سعيد بن جبير وعطاء وابو وانما قيل للمثل سمي لصاحبه لان كل
انه يحيى وان كان عربيا لمنقول من فعل كيعيش وقد سموا بيموت ايضا وهو يموت بن المزرع قالوا لم يكن له مثل في انه لم يعص ولم
يهم بمعصية قط وانه ولد من شيخ هرم وعجوز عاقر وانه كان حصورا لم يقرب النساء وقيل سمي يحيى لانه حيي به رحم امه او لان
دين الله حيي بدعوته قال رب انى يكون لي غلام استبعاد من حيث العادة وكانت امرأتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا اي وكانت
على صفة العقر حين انا شاب وكهل فما رزقت الولد لاختلال احد السببين افحين اختل السببان جميعا ارزقه واني استبعد الولد
حكم اعترافا بان المؤثر كمال قدرته وان الوسائط عند التحقيق ملغاة وعتيا بكسر العين قراءة حمزة والكسائي وحفص وبضمها قراءة الباقين
ومعناهما واحد هو اليبس والجساوة في المفاصل والعظام كعود قحل من عتا الشيخ يعتو عتيا وعتيا اذا هرم وهو من قولهم عتا العود
اذا يبس واصله عتوو كقعود وقرأ عبد الله بفتح العين وفي قراءة ابي عسيا بالسين ومن ابتدائية اي من اجل الكبر
والطعن في السن العالية او تجريدية اي بلغت مبلغا هو الكبر ومراتبه بالغا عتيا جرد منها مرتبة سميت عتيا والمعنى كبرت حتى ادركه مرتبة
جنس الكبر يبس وكان له تسع وتسعون سنة ولامرأته ثمان وتسعون قال الله او الملك المبلغ للبشارة تصديقا له كذلك اي الامر كذلك
يجوز ان يكون الكاف نصبا بقال في قال ربك وذلك اشارة الى مبهم يفسره هو علي هين كقوله وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر
الا وقرأ الحسن وهو علي هين اي الامر كما قلت وهو على ذلك يهون علي او اشارة الى ما وعد الله وهو انا نبشرك اي الامر كما وعدت وهو
هين لا احتاج الى اسباب وقال المحذوف في قلب الفراتين اي قال هو علي هين قال وهو علي هين ويجوز ان لا يقدر القول الثالث ويكون
بقال الاول لان الله هو القائل في الكل والمعنى قال ذلك ووعده وقوله الحق وقد خلقتك من قبل يحيى ولم تك شيئا اي وانت اذ كنت معدوما
صرفا والمراد الشيء معنا يختص بالموجود فكل شيء موجود وبالعكس ونفي كون الشيء تقدير العدم فالآية دليل على ان المعدوم ليس بشيء وقرأ
حمزة والكسائي وقد خلقناك من قبل بنون العظمة ليكون على وفق قوله انا نبشرك لم نجعل له والباقون وقد خلقتك بالتوحيد على قوله علي هين

قال رب

قال رب اجعل لي آية علامة على حبل امرأتي لاتلقى النعمة بالشكر اذا اتت قال آيتك ألا تكلم الناس اي لا تقدر على تكليم الناس
ثلاث ليال سويا حال من فاعل تكلم اي والحال انك سوي الخلق سليم الجوارح ما بك خرس ولا بكم وقيل حال من ثلث ليال اي ثلث
ليال متتابعات وفي ذكر الليالي ههنا والايام في آل عمران دلالة على ان المنع من كلام الناس مع تجرد الذكر والشكر استمر به ثلث ايام
ولياليهن وهي من الآيات الباهرة وقرأ زيد بن علي وابن ابي عبلة الا تكلم بالرفع اي انه لا تكلم فخرج على قومه من المحراب من المصلى او من
الغرفة وكان قوم من ورائه ينتظرون ان يفتح لهم الباب فيدخلوا ويصلوا اذ خرج عليهم زكريا من المحراب متغيرا لونه فانكروه فقالوا مالك
يا زكريا فاوحى اليهم بشهادة قوله الا رمزا وعن ابن عباس كتب على الارض ان سبحوا صلوا وقولوا سبحان الله ونزهوه وان مفسرة او
مصدرية وقرأ طلحة ان سبحنه بالنون الثقيلة وذكر ابو حاتم انه قرأ ان سبحوه بزيادة الهاء بكرة وعشيا ابتين على التسبيح في كل وقت او
طرفي النهار والبكرة من طلوع الشمس الفجر الى وقت الضحى والعشي من وقت زوال الشمس الى ان تغرب وقيل معناه انه كان يخرج على قومه بكرة وعشيا فيا
مرهم بالصلوة فلما آن وقت حملها ومنع الكلام خرج اليهم فامرهم بالصلوة اشارة يا يحيى اي فلما ولد يحيى وتقرير القول ليس بتعقيب القرآن خذ
الكتاب وهو التورية بقوة بجد واستظهار بالتوفيق والتأييد وآتيناه الحكم اي الحكمة وفهم التورية والفقه في الدين ومنهج والحكم والحكمة
الحق يقال حكم حكما وحكمة وقيل الحكم والحكمة في اللغة بمعنى واحد وهو المنع يقال حكم حكما اي يقال نحل نحلة وذل ذلة ومنه الحاكم لانه يمنع الظالم من الظلم
وقوله وآتيناه الحكم صبيا اي الحكمة وهي ما يمنع الشخص من السفه قال في الغريبين والعرب تقول حكمت واحكمت وحكمت بمعنى رددت ومنعت ومنه قول
ابي حنيفة احكموا سفهاءكم وقيل للنبوة لان الله احكم عقله في صباه واوحى اليه وعن معمر العقل صبيا لكونه صبيا وهو ابن ثلث سنين
وروي انه دعاه الصبيان الى اللعب وهو صبي فقال ما للعب خلقنا وقرئ صبيا بكسر الصاد للاتباع وحنانا من لدنا ورحمة منا عليه او رحمة لا
بويه وغيرهما وتعطفا وشفقة انشد سيبويه وقالت حنان ما اتى بك ههنا اذو نسب ام انت بالحي عارف وحنانا معناه ارتياح واشتياق ثم تستعمل
في العطف والرأفة وقيل لله حنان كما قيل رحيم على وجه الاستعارة حيث جعل مجازا عن نفس النعم الذي هو لازم العطوف الذي هو معناه الحقيقي وهو
عطف على الحكم وزكوة وطهارة من الذنوب او صدقة تصدق الله به على ابويه او طاعة واخلاصا قاله ابن عباس او عملا صالحا قاله قتادة والضحاك
اي يطيع الله ويخلص في طاعته ويعمل عملا صالحا ويدعو الناس الى ذلك وكان تقيا وكان من صغره متقيا يفعل الطاعات عن آخرها ويجتنب عن
المنكرات باسرها وهما مبالغة في التقوى وابهام امره في سلوك سبيلها نكره كانه قيل تقيا من افضل الاتقياء وقيل تقيا اي مسلما مخلصا
مطيعا وكان من تقواه انه لم يعمل خطيئة ولم يهم بها وبرا بوالديه وبرا بهما محسنا اليهما ولم يكن جبارا متكبرا وقيل الجبار الذي يضرب ويقتل
على الغضب لا ينظر في العواقب وقيل المتعظم لا يتواضع لامر الله عصيا عاقا او عاصيا لربه وسلام عليه اصله وسلمنا عليه في هذه الاحوال
وهي اوحش المواطن لكن عدل الى الجملة الاسمية للدلالة على ثبات السلام واستقراره فان وحشتها لا تكاد تزول الا بثبات السلام فيها ودوامه
وهو عطف على وآتيناه الحكم يوم ولد اي وسلام الله عليه يوم ولد من ان يناله الشيطان بما ينال به بني آدم ويوم يموت من اهوال الموت وشدائد
ما بعده ويوم يبعث حيا من هول البعث وسائر محن يوم القيمة وفتنته وقال ابن عيينة اوحش ما يكون الانسان في هذه الاحوال يوم ولد
فيخرج مما كان فيه ويوم يموت فيرى قوما لم يكن عليهم ويوم يبعث فيرى نفسه في محشر لم ير مثله فخص يحيى بالسلام في هذه المواطن واذكر في
الكتاب مريم في القرآن مريم اي قصتها اذ انتبذت ظرف المضاف اذا انتبذت اعتزلت وانفردت واذ بدل من مريم بدل الاشتمال لان الاحيان
مشتملة على ما فيها او بدل الكل لان المراد بمريم قصتها او بالظرف الامر الواقع فيه وهما واحد او ظرف للمضاف مقدرا ولا يجوز ان يكون ظرفا لا
ذكر لان الذكر ليس في ذلك الوقت وقيل اذ بمعنى ان المصدرية كقولك اكرمتك اذ لم تكرمني فيكون بدلا من مريم من اهلها مكانا شرقيا في مكان
من شرقي البيت المقدس او شرقي دارها قال الحسن ومن ثم اتخذ النصارى المشرق قبلة ومكانا ظرف وهو الاظهر المشهور وقيل مفعول لانتبذت
متضمنة معنى اتت فاتخذت من دونهم حجابا سترا قال ابن عباس وقال مقاتل جلست وراء جبل وقيل جدارا وانما احتجبت تخليا للعبادة
وقيل لتفلي راسها وقيل لتقعد في مشرقة للاغتسال من الحيض محتجبة بشيء يسترها وكان موضعها المسجد فاذا حاضت تحولت الى بيت خالتها

فاذا طهرت عادت الى المسجد فبينا هي في مغتسلها اتاها جبرائيل في صورة شاب امرد وضيء الوجه جعد الشعر سوي الخلق لتستانس بكلامه ولا تنفر عنه
ولعله ليهيج شهوتها فتنحدر نطفتها الى رحمها فارسلنا اليها روحنا يعني جبرائيل سمي روحا لانه الذي يحيي به دينه ويوحيه وحملا على
المجاز محبة له وتقريبا كقولك انت روحي لمن تحبه وقرا بو حيوة روحنا بفتح الراء لانه سبب لما فيه روح العباد وهو الوحي بكلام له واصابة
الروح الموعود للمقربين في قوله فاما ان كان من المقربين فروح وريحان او لانه من المقربين وهم الموعودون بالروح اي ذا روحنا على حذف
المضاف وقرا بو حيوة روحنا بتشديد النون فتمثل لها بشرا سويا فتشبه لها بشرا سوي الخلق لم ينقص من صورة البشر شيئا ومعناه
بالفارسية ما نند شد ازبراي مريم اي بادمي تمام افريده شده است لان الخلق ههنا بمعنى المخلوق فانتصاب بشرا على المفعولية وكذا انتصاب
رجلا في قوله عليه السلام واحيانا يتمثل لي الملك رجلا وسمعت بعض الفضلاء يقول ان حمل رجلا في قوله عليه السلام على المفعولية والحالية
او المصدرية بمعنى يتمثل رجل بعيد المعنى فصار لها مثل بشر في صورته لتستانس بكلامه او قيد لها في صورة بشر حسن الصورة مستوي الخلق او
فطاهر وطبع وعلى هذين يكون تمثل بمعنى اللازم وميل الزمخشري الى انه تمثل في الاية بمعنى مثل لان هذا الفعل لا يصلح الا له ومن ثم
قال وانما مثل لها في صورة الانسان لتستانس بكلامه ولا تنفر عنه ولو بدا لها في الصورة الملكية لنفرت ولم تقدر على استماع كلامه وقيل تبدى لها
في صورة ترب لها اسمه يوسف من خدم بيت المقدس قالت اني اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا جواب الشرط محذوف يدل عليه ما قبله اي ان كان
يرجى منك ان تتقي الله وتخافه وتحتفل بالاستعاذة به فاني عائذة به منك او فتتعظ بتعوذي منك او فلا تتعرض لي كقوله بقيت الله خير لكم ان
كنتم مؤمنين او ان كنت متقيا من الله متورعا فاني اعوذ منك فكيف اذا لم تكن كذلك او ان كنت متقيا فتعوذ منه في تعوذه من حرمة التقوى
اي ينبغي ان يكون اتقاؤك مانعا عما فيه هتك حرمة التقوى وما كان تعوذها بالله من تلك الصورة الجميلة الا من غاية عفتها وورعها
ومثل لها على تلك الصورة الفائقة الحسن ابتلاء لها وسبر العفتها قال انما انا رسول ربك الذي تعوذت به لاهب لك غلاما اي
لاكون سببا في هبة الغلام بالنفخ في الدرع وفي بعض المصاحف انما انا رسول ربك امرني ان اهب لك روحي حكاية لقول الله تعالى ويؤيده قراءة نا
فع وابي عمرو ليهب لك بالياء اسنادا الى الله لانه هو الواهب حقيقة واما الباقون فبالالف وهو المسوخ في الامام زكيا طاهرا من الذنوب
والمعاصي فلقيا او ناميا على الخير والتقوى قالت انى يكون لي غلام من اين وكيف يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم يقربني رجل بالحلال
فان المس كناية عن الوطء الحلال اما الزنا فانما يقال فيه خبث بها وفجر بها وما اشبه ذلك فلا اهل بالعبارة المبتذلة عن الا
دب ولم اك بغيا فاجرة تبغي الرجال تريد نفي الوطء مطلقا ونفي الولد اما من النكاح الحلال او الحرام اما الحلال فلانها لم يمسسها
واما الحرام فلانها لم تك بغيا فاذا انتفى السببان جميعا انتفى الولد وقيل المس كناية عن مطلق الوطء وانما اعادة ذكر البغي ههنا لانه اعظم
ما فيه ما يكون في الملاءمة وهي ثنا والبغي اصله بغوي عند المبرد على وزن فعول اجتمعت الواو والياء فقلبت الواو ياء وادغمت فيه ثم كسرت
العين اتباعا ولذلك لم يلحقه تاء التانيث كما في امراة صبور وشكور ولو كان فعيلا بمعنى الفاعلية فلا بد من الحاق التانيث وقيل لم يلحقه التاء
لانه للمبالغة او للنسب كطالق وحائض وقال ابن جني في كتاب التمام هي فعيل ولو كانت فعولا لقيل بغو كما قيل فلان نهو عن
المنكر قال كذلك اي الامر كما قلت تصديقا لها قال ربك هو اي ذلك الفلاح او الموهوب هين وهب الفلام الزكي من غير اب
علي هين لا احتاج فيه الى الاسباب وقيل هو عائد الى الخلق ولد بلا اب ولنجعله تعليل معلله محذوف اي ونفعل ذلك لنجعله اية او
هو عطف على تعليل مضمر اي لنبين به قدرتنا ولنجعله اية كقوله وخلق الله السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس وقوله ولنعلمه من تأويل الاحاديث وقيل
عطف على ليهب لك على طريقة الالتفات اية للناس دلالة واضحة لهم على كمال قدرتنا وبالغ حكمتنا ورحمة منا لك ولغيرك ونعطفا
وشفقة فيهتدوا الناس الى رحمتنا او على العباد يهتدون بارشاده وكان امرا مقضيا مقدرا مسطورا في اللوح ومتعلقا به قضاء الله في
الازل لا بد لك من جريه عليك او كان امرا حقيقيا بان يقضى ويفعل لكونه اية ورحمة قال الزمخشري والمراد بالاية العبرة والبرهان
على قدرة الله وبالرحمة الشرائع والالطاف وما كان سببا في قوة الاعتقاد والتوصل الى الطاعة والعمل الصالح فهو جدير بالتكوين وقيل ثم

بالنخ

مناي نم لمن تبعه على دينه مقضيا اي محكوما مفروغا منه لا يرد ولا يبدل فحملته عن ابن عباس فاطمانت الى قوله فدنا منها فنفخ في جيب
درعها ووصلت النفخة اي بطنها فحملت وقيل ان جبرائيل رفع درعها فنفخ في جيب فحملت حين لبست وقيل من جيب درعها باصبعه
ثم نفخ في الجيب وقيل نفخ في كم قميصها وقيل في فيها وقيل نفخ نفخا من بعيد فوصل الريح اليها فحملت بعيسى في الحال وقيل المراد من
الروح في قوله فارسلنا اليها روحنا عيسى جاء في صورة بشر فحملت به والمشهور ان المراد به جبرائيل واختلف في مدة حملها فقال ابن عباس
كانت مدة الحمل والولادة ساعة واحدة وقيل كانت مدة الحمل ثلث ساعات وقيل حملته في ساعة وصور في ساعة ووضعته في ساعة
حين زالت الشمس من يومها وقيل كان مدة الحمل ستة اشهر وعن عطاء وابي العالية والضحاك سبعة اشهر وقيل ثمانية ولم يعش مولود وضع
لثمانية الا عيسى وكان ذلك اية اخرى وقيل تسعة اشهر كحمل النساء وقيل حملته وهي بنت ثلث عشرة سنة وقيل بنت عشر وقد حاضت حيضتين
قبل ان تحمل وقالوا ما من مولود الا يستهل غيره فانتبذت به فالجار والمجرور في موضع الحال اي فاعتزلت وهو في بطنها كقوله تعالى تنبت
بالدهن اي تنبت ودهنها فيها ومنها تدوس بنا الجماجم والتريبا اي تدوس الجماجم ونحن على ظهره في الباء للملابسة مكانا قصيا بعيدا
من اهلها وراء الجبل وقال ابن عباس اقصى الوادي وهو وادي بيت لحم فرارا من قومها ان يعيروها بولادتها من غير زوج وقيل كانت
سميت لابن عم لها اسمه يوسف فلما قيل حملت من الزنا خاف عليها قتل الملك فهرب بها فلما كان ببعض الطريق حدثته نفسه بان يقتلها
فاتاه جبرئيل فقال انه من روح القدس فلا تقتلها فتركها وقرئ اليماني وابن ابي علية مكانا قاصيا فاجاءها المخاض اي فالجاها قيل اجاء
منقول من جاء لكنه بعد النقل خص بالالجاء في الاستعمال كاتى حيث لم يستعمل الا في الاعطاء وهذا خالف ما قاله الجوهري من ان اجاءه
يستعمل بمعنى جئت به وبمعنى الجاته واضطررته اليه ثم قال في باب الياء اتاه بمعنى اعطاه وبمعنى اتى به ومنه قوله تعالى آتنا غداءنا اي ايتنا به
وفيه تصريح بان الايتاء يستعمل في غير الاعطاء لان موسى طلب من يوشع ان يحضر عنده الطعام الذي كان لهما لا ان يعطيهما
الطعام والمخاض وجع الولادة ومنه ماخض وهي حامل ضربها الطلق وعن ابن كثير انه قرا بكسر الميم وهو مصدر مخضت الحامل
اذا طلقت او تحرك الولد في بطنها فهو لازم فالاولى ان يفسر بالازم وقد فسره المطرزي بالمتعدي فقال مخضت الحامل مخاضا
او مخضا اخذها وجع الولادة ثم قال فاجاءها المخاض الى جذع النخلة وقيل معناه وغشيها الطلق وهو ايضا متعد والمعنى فالجاء
ها وجع الطلق واضطرها وقرا فني فالجاها بزيادة لام وقتادة فاجاءها فالجاءها والحسن فاجادها بغير همز اي الجاها
وفي مصحف ابي فلما اجاءها من المفاجاة وعن عاصم فجاءها الى جذع النخلة لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة وكان جذع نخلة
يابسة في الصحراء لا راس لها ولا ثمرة ولا خضرة وكان الوقت شتاء والتعريف للعهد كالنجم والصعق وغير ذلك من الاسماء الغا
لبة كانها كانت في تلك الصحراء كالمتعالم عند الناس بحيث لم يفهم من ذكرها الغير او للجنس اي جذع هذه النخلة خاصة ولعله تعالى
الجاءها النخلة اليابسة التي لا راس لها قد اثمرت في الشتاء وهي اقل شيء صبرا على البرد وثمارها انما هو من جمارها بعد اللقاح والجذع
اصل الشجرة قالت يا ليتني مت قبل هذا تمنت الموت لغاية الحياء ولشدة الامر عليها او لخوفها على الناس ان يلوموها او يقتلوها
فيعصوا الله بسببها وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وابو بكر مت بضم الميم من مات يموت والباقون بكسرها من مات يمات قال الراجز بنيتي
سيدة البنات عيشي ولا نامن ان تماتي وكنت نسيا ما من شانه ان ينسى ولا يطلب كخرقة الطامث ونظيره الذبح في قوله بذبح عظيم وهو
اسم ما من شانه ان يذبح وقرا حمزة وحفص بفتح النون قال الفراء هما لغتان كالوتر والوتر والجسر والجسر ويجوز ان يكون مسمى بالمصدر كالحمل
وعن يونس العرب اذا ارتحلوا عن الدار قالوا انظروا انساءكم اي الشيء اليسير كالعصا والقدح والشظاظ فلعل قراءة محمد بن كعب القرظي نسئا
بالهمزة وهو الحليب المخلوط بالماء ينساه اهله لقلته ونزارته وقال صاحب الغرائب القراءة عن محمد بن كعب القرظي نسئا بكسر النون والهمزة
وعن قرابتي النساي نسا بفتح النون والهمزة وروى عبد الوارث عن بكر بن حبيب نسا بفتح النون وتشديد السين بغير همز وقال بكر نسئت
المراة اذا حاضت وعن ابي البرهسم نسيا منسيا بكسر النون والميم منسيا متروكا بحيث لا يخطر بالبال وقيل شيا دنا فهالا يؤبه له من شانه

وصح ان ينسى العادة وقد نسي واطرح فوجد فيه النسيان الذي هو حقه وقرأ الاعمش منسيا بكسر الميم على الاتباع كالمغيرة والمنخر فناداها
من تحتها قرأ نافع وحمزة وحفص والكسائي بكسر الميم والتاء على ان الجار والمجرور في موقع الحال من الفاعل والباقون بفتحهما على ان من
والجمهور على ان المنادي وهو جبريل كان يقبل الولد كالقابلة وقال الحسن ومجاهد عيسى خرج من بطن امه ناداها الا تحزني وقيل تحتها
اسفل من مكانها كقوله تجري من تحتها الانهار وقيل اسفل منها تحت الاكمة فصاح بها الا تحزني وعن قتادة الضمير في تحتها للنخلة
وقيل تشبيها بها اذ كان المنادي عيسى لان تحت ثيابها موضع ولادتها وقرأ زر وعلقمة فخاطبها من تحتها الا تحزني ان مفسرة او بمعنى
اي او مصدرية على حذف الباء وتقديره بان لا تحزني والحزن غم يلحق لوقوع من فوات نافع او حصول ضار وقيل ترقب محبوب
يزول في المستقبل نحو وقرأ الكوفي لا تحزني بحذف ان قد جعل ربك تحتك سريا سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن السري فقال هو الجدول
قال لبيد فتوسطا عرض السري فصدعا مسجورة متجاورا قلامها وعن ابن عباس ضرب جبرائيل وقيل عيسى برجله الارض فظهرت
فظهرت عين ماء وجرى وقيل كان هناك نهر يابس اجرى الله فيه الماء وحييت النخلة اليابسة فاورقت واثمرت وارطبت و
قيل هو من السرو وهو السؤدد اي سيدا جليلا والمراد به عيسى وعن الحسن كان والله عبدا سريا وقرأ عمر بن ميمون تحتك بكسر التاء كانه
يريد من تحتك فيخفف بعض المضمر وهزي اليك بجذع النخلة اي وحركيه اليك او اميليه اليك والباء مزيدة للتأكيد كقوله ولا تلقوا
بايديكم الى التهلكة او افعلي الهز به كقوله يجرح في عراقيبها نصلي يعني فعل الجرح او هزي الثمرة بهزه والهز تحريك بجذب ودفع تساقط
عليك وقرأ حفص تساقط بضم التاء وكسر القاف من ساقطت بمعنى اسقطت وحمزة تساقط بفتح وتخفيف السين اصله تتساقط تائين
فحذف احداهما للتخفيف والباقون تساقط بفتح التاء وتشديد السين فان اصله تتساقط بتائين فادغمت التاء الثانية
في السين وقرئ في الشواذ تتساقط بتائين على الاصل ويساقط بالياء وادغام التاء في السين ويساقط بفتح الياء وتخفيف
السين وكسر القاف وتسقط بالياء وتسقط بالتاء وكلاهما من الاسقاط ويسقط بالياء وتسقط بالتاء وهي من السقوط فالتاء للنخلة
والياء للجذع رطبا تمييز ان كان الفعل لازما ومفعول ان كان متعديا وجوز المبرد انتصابه بهزي وهو ضعيف لانه لا يلزم ان يكون محمول
الاعراب خاليا عن جواب جنيا مجتنى وقيل الجني ما بلغ الغاية وجاء اوان اجتنائه روي انها كانت نخلة يابسة لا رأس لها و
لا ثمر وكان الوقت شتاء فلما هزته جعل الله لها رأسا وخوصا ورطبا قالوا التمر للنفساء عادة من ذلك الوقت وكذلك التحنيك وقالوا كان
من العجوة وعن ابي هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا ولدت امرأة فليكن اول ما تأكل الرطب فان لم يكن رطب فتمر فانه
لو كان شيء افضل منه لاطعمه الله تعالى مريم بنت عمران حين ولدت عيسى عليهما السلام وقال الربيع بن خثيم ما للنفساء عندي
خير من الرطب ولا للمريض خير من العسل وقيل اذا عسر ولادها لم يكن لها خير من الرطب ولتسليتها بالشيء جوز الرطب عما فيها من
المعجزات على طهارتها وبراءة ساحتها وان مثلها فرقوها بعقول وان لها امورا الهية خارقة للعادة فقوا عنادا واحتج نبي للمرأة
من فعل على انها النخلة اليابسة في الشتاء قد ان يجنيها من غير نخل وانه ليس ببدع من شانها وقرأ طلحة بن سليمان جنيا بكسر الجيم
للاتباع اي جمعنا لك في السري والرطب فائدتين احديهما الاكل والشرب والثانية سلوة الصدر لكونهما معجزتين وهو معنى قوله
فكلي واشربي اي من الرطب وماء السري او من الرطب وعصيره والصحيح عندنا ان ذلك ارهاص لعيسى او كرامة لامه و
ليس بمعجزة لفقد شرطها وهو التحدي على ما تقرر في علم الكلام وقري عينا وطيبي نفسك وارفضي عنك ما احزنك وقيل قري
عينك برؤية عيسى وقرئ وقري بكسر القاف وهو لغة نجد واشتقاقه من القرار فان العين اذا رأت ما يسر النفس سكنت اليه
من النظر الى غيره او من القر فان دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة ولذلك يقال قرة العين وسخنتها للمحبوب والمكروه
فاما ترين من البشر احدا اي فان ترى آدميا وما مزيدة بالتأكيد معنى الشرط وهي بمنزلة لام القسم في انها اذا دخلت على الفعل
دخلت معها النون المؤكدة وقرئ ترئن بالهمزة على من يقول لبأت بالحج وحلأت السويق لتآخ بين الهمزة وحرف اللين

في الابدال

في الابدال وهذه القراءة مما رواه ابن الرومي عن اليزيدي عن ابي عمرو وقرأ طلحة ترين بغير همزة وتخفيف النون فقولي اني نذرت للرحمن صوما اي صمتا و
قرأ عبد الله وانس رضي الله عنهما صمتا وقيل اي صياما وكانوا لا يتكلمون في صيامهم وقد قرئ صمتا وقال السدي من اراد ان يجتهد من بني اسرائيل
صام من الكلام كما يصوم عن الطعام فلا يتكلم حتى يمسي وقد نهى رسول الله عليه السلام عن صوم الصمت لانه نسخ في امته فلن اكلم اليوم انسيا بعد
ان اخبرتكم بنذري وانما اكلم الملائكة واناجي ربي وقيل اخبرتهم بنذرها بالاشارة وقيل امرها الله بان نذر الصوم لكراهة جدال
السفهاء والاكتفاء بكلام عيسى فانه قاطع في قطع الطاعن وارتياب في براءة ساحتها وفيه ان السكوت عن السفيه واجب ومن اذل الناس
سفيه لم يجد مسافها فاتت به قومها تحمله اي راجعة بولدها ثم حملته في الحال الى قومها وقيل احتمل يوسف النجار مريم وابنها الى غار فلبثوا فيه اربعين يوما حتى
طهرت من النفاس ثم جاءت تحمله الى قومها فكلمها عيسى في الطريق فقال يا اماه ابشري فاني عبد الله ومسيحه فلما دخلت به على قومها وهم اهل
بيت صالحون بكوا وحزنوا ثم قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا بديعا منكرا من فرى الجلد اذا قطعه لا صلاح وقال ابو عبيدة فكل امر فائق
من عجيب او عمل فهو فري ومنه قوله عليه السلام في عمر فلم ار عبقريا يفري فريه اي يعمل عمله وقرأ ابو حيوة فريا بالسكون يا اخت هارون عن النبي صلى الله
عليه وسلم انهم عنوا هارون النبي وكانت من اعقاب من كان معه في طبقة الاخوة وذلك بان يكون من اخت هارون واخيه وكان بينهما
وبينه الف سنة واكثر وقيل بين العمرانين اي هارون وابي مريم الف وثمانمائة سنة وقال السدي كانت من اولاد هارون وقيل اخت
هارون كما يقال يا اخا همدان اي واحدا منهم ومن الكلبي كان هارون اخا مريم من ابيها وكان امثل رجل في بني اسرائيل عظيم الفسق فشبهوها
به وقيل هو رجل صالح او طالح في زمانها شبهوها به تهكما او لما رأوا قبل من صلاحها ان كنت عندنا مثله في الصلاح او شتموها به وروي انه
الشيب روي ان هارون الصالح تبع جنازته اربعون الفا كلهم يسمى هارون تبركا به وباسمه سوى سائر الناس فقالوا كنا نشبهك بهارون هذا ما كان ابوك
عمران امرأ سوء اي زانيا قال ابن عباس وما كانت امك بغيا وما كانت حنة زانية وفيه تقرير لان ما جاءت به فري وتنبيه على ان الفواحش من
اولاد الصالحين افحش فاشارت اليه الى عيسى اي هو الذي يجيبكم اذا كلمتموه وناطقوه وقال ابن مسعود رضي لما لم تكن لها حجة اشارت اليه ليكون
كلامه حجة لها وعن السدي لما اشارت اليه غضبوا وقالوا لسخريتها بنا اشد علينا من زناها وروي انه كان يرضع فلما سمع ذلك ترك الرضاع
واقبل عليهم بوجهه واتكأ على يساره واشار بسبابته وقيل بيمينه فقال اني عبد الله قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا ولم
نعهد صبيا في المهد كلمه عاقل وكان زائدة وصبيا بدل من من اي كيف نكلم صبيا في المهد وقيل كان زائدة في الظرف صلته منصوب
حال من المستكن فيه او تامة او دائمة كقوله وكان الله عليما حكيما او بمعنى صار قال اني عبد الله انطقه الله به اولا لانه اول ما تكلم
لانه اول المقامات ورد لقول من يزعم ربوبيته ولكلام الهوام من وهب جاءها زكريا عند مناظرة اليهود فقال لعيسى انطق
بحجتك ان كنت امرت بها فقال عند ذلك عيسى وهو ابن اربعين يوما فقال انه لو بل يوحى ولدان عيسى آتاه الله الانجيل والنبوة في طفو
ليته وكان يعقل عقل الرجال وعن الحسن الى عبد الله وقيل كلمهم بذلك ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغا يتكلم فيه الصبيان آتاني الكتاب اعطاني
الانجيل والجمهور على ان عيسى آتاه الله الانجيل والنبوة في طفوليته وكان يعقل عقل الرجال وعن الحسن ان عيسى الهم التورية وهو في
بطن امه وجعلني نبيا التعبير بلفظ الماضي للاخبار بان ذلك معلوم به قضاء الله في الازل وقدر في اللوح او جعل الآتي لا محالة كانه
قد وجد وجعلني مباركا اينما كنت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نفاعا حيث كنت وقال مجاهد معلما للخير وقيل ادعو الى الله و
توحيده وعبادته وقيل مباركا على من تبعني واوصاني وامرني بالصلوة والزكوة زكوة المال ان ملكته او تطهير النفس عن الرذائل ما دمت
حيا فيه دلالة بينة على ان العبد ما دام حيا لا يسقط عنه التكاليف والعبادات الظاهرة فالقول بسقوطها كما نقل عن بعض المباحية
كفر وضلال وقرأ التيمي وطلحة مادمت بكسر الدال وبرا بوالدتي وبارا بها عطف على مباركا وقرئ بكسر الباء على انه مصدر وصف به
للمبالغة كانه مجسم من البر او منصوب بفعل في معنى اوصاني اي وكلفني برا ويؤيده قراءة الجر عطفا على الصلوة والزكوة ولم يجعلني جبارا
شقيا متكبرا عاصيا لربي وقيل الشقي الذي يذنب ولا يتوب والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا
في هذه الاحوال والمواطن كما هو على يحيى فالتعريف للعهد لتقدم النكرة قبله والاولى ان يكون الاستغراق او للجنس لافادتها

وانما ينفع ... قومها ما لم ... عنها ظهرت منا بنا سما
كلام ... صح

التعريض فانه اذا قال كل السلام علي وعلى اتباعي فلم يبق للاعداء الا اللعن واذا قال جنس السلام علي خاصة فقد عرض بان ضده على اعدائه كقوله والسلام على من اتبع الهدى لانه تعريض بان العذاب على من كذب وتولى ولما كلمهم عيسى بهذا علموا براءة مريم وانها من اهل العصمة والبعد من الريبة وقرا زيد بن علي يوم ولدت ذلك عيسى بن مريم اي الذي قال اني عبد الله هو عيسى بن مريم وقيل الذي تقدم نعته هو عيسى بن مريم لا ما تصفه النصارى وهو تكذيب لهم فيما يصفونه على وجه الابلغ والطريق البرهاني حيث جعله موصوفا باضداد ما يصفونه ثم عكس الحكم قول الحق قرا عاصم وابن عامر بنصب القول على المدح ان فسر بكلمة الله وعلى انه مصدر مؤكد لمضمون الجملة ان اريد بالحق الثبات والصدق اي قول الثبات والصدق كقولك هو عبد الله الحق لا الباطل والباقون بالرفع على انه خبر محذوف اي هو قول الحق الذي لا ريب فيه والاضافة للبيان والضمير للكلام السابق او لتمام القصة وقيل صفة عيسى او بدل او خبر ثان ومعناه كلمة الله وقرا ابن مسعود قال الحق وقال الله وقرا الحسن قول الحق بضم القاف وكذلك في سورة الانعام قوله الحق والحق هو الله تعالى والقول والقال والقول بمعنى واحد كالرهب والرهب والرهب الذي فيه يمترون اي امره حق يقيني وهم فيه يشكون او يتنازعون فيه ويختلفون فقالت اليهود ساحر كذاب وقالت النصارى ابن الله وثالث ثلثة وقرا علي رضي الله عنه تمترون بتاء الخطاب وعن ابي بن كعب قول الحق الذي كان الناس فيه يمترون ثم صرح بانتفاء الولد عنه واستحالة ذلك بقوله ما كان لله ان يتخذ من ولد تكذيبا للنصارى وتبكيتا لهم والمعنى ما صح لله وما استقام في حكمه وحكمته اتخاذ الولد لانه محال خارج عن الصحة اما الولادة المعروفة فلا مقال في استحالتها واما التبني فلا يكون الا فيما هو من جنس المتبنى وليس للقديم سبحانه جنس واذ لا جنس له لا ولد له ولذلك قالوا ان الولد فصل له لان الحاجة الموجود الفصل معلقة بوجود الجنس فهما موقوفان في التحقق فلم تحقق ولانه تعالى لا يجانس صاحبة فيتوالد قال انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وايضا كل ولد محدث وجسم وهو قديم لا اول لوجوده وليس بجسم لان كل جسم متركب ومتحيز وذلك امارة الحدوث والافتقار سبحانه تنزيه له عن اتخاذ الولد والمعنى بتنزيهه تنزيها من ان يتخذ ولدا وتعجب من كلمتهم الحمقاء ووصفهم بالعجز عليه اي ما ابعد من هذه قدرته وما اعلاه عما ينسب اليه من الولادة والشركة وما شابهها من الاحتياج اذا قضى امرا اذا اراد ان يحدث امرا فانما يقول له كن فيكون فانه يكونه من غير كلفة ولا معاناة والقول ههنا مجاز عن سرعة الايجاد كانه قال اذا قضى امرا كان اهون شيء واسرعه والمعنى انه تعالى اذا اراد تكوين الاشياء لم تمتنع عليه ووجدت كما ارادها على الفور من غير ريث وكانت في ذلك كالمامور المطيع الذي اذا ورد عليه امر الامر المطاع كان المامور به مفعولا لا حبس ولا ابطاء وهو من المجاز الذي يسمى التمثيل ويجوز ان يكون حقيقة القول المراد بان اجرى الله تعالى سنته في تكوين الاشياء ان يكونها بهذه الكلمة لكن المراد هو الكلام النفسي المنزه عن الحروف والاصوات وقيل هذه الشرطية تبكيت للنصارى بانه اذا اراد شيئا من الاجناس كلها اوجده بكن كان منزها من شبه الخلق في الحاجة في اتخاذ الولد باحبال الاناث وما قبلها تكذيب لهم وتنزيه لله عن بهتهم وقرا ابن عامر فيكون بالنصب على الجواب وان الله ربي وربكم فاعبدوه قرا ابن عامر والكوفيون وان بكسر الهمزة على انه عطف على قوله اني عبد الله او استئناف لبيان نبوته او ابتداء الكلام وابو عمرو والمدنيون بفتحها عطفا على الصلوة او تعليلا لقوله فاعبدوه ومن الفاء في الكلام من معنى الشرط كانه قال ولان الله ربي وربكم فاعبدوه كقوله وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا وفي حرف ابي ان الله بالكسر بغير واو وبان الله اي بسبب ذلك فاعبدوه يعني ان نعم الله عليكم لا تعد ولا تحصى وان لم تعبدوه بسائر نعمه فاعبدوه بسبب هذه الواحدة التي هي اشرف النعم واجلها فان نعمة التوحيد افضل النعم الواصلة الى العباد واعظمها وقيل ما بعد فاء السببية يعمل فيما قبلها بخلاف الجزائية هذا صراط مستقيم اي الجمع بين التوحيد والعبادة او اختصاص الله بالربوبية هو الطريق المشهود له بالاستقامة وقيل قل يا محمد ان الله ربي وربكم بعد ظهور البراهين في ان عيسى عبد الله وقوله هذا اي هذا الذي ادعوكم اليه صراط مستقيم طريق بين استقامته لا عوج فيه فاختلف الاحزاب اي الفرق المتحزبة بعد عيسى وهم الكفار من اليهود والنصارى والكفار الذين كانوا في زمان محمد صلى الله عليه وسلم وبعض هذا المعنى هو المطابق لتعريف الجمع بالاحزاب وقال الكلبي هم اليهود والنصارى وقيل النصارى تحزبوا ثلث فرق نسطورية قالوا هو ابن الله اظهره ثم رفعه ويعقوبية قالوا هو الله هبط الى الارض ثم صعد الى السماء وملكانية قالوا هو عبد الله ونبيه من بينهم اي من بين هؤلاء المخاطبين بقوله ربكم فاعبدوه وهم قوم المبعوث

اليهم وفي

اليهم ومن لحق الاحزاب الذين تحزبوا على الانبياء في عليهم قصة عيسى اختلفوا فيه من بين الناس فعلى هذا التفسير فويل للذين كفروا وعيد للاحزاب بالويل وهو الهلاك وهو نكرة وقعت مبتدا خبره ما بعده ونظيره سلام عليكم فانه اصله مصدر منصوب نائب مناب فعله لكنه عدل به الى الرفع على الابتداء للدلالة على معنى ثبات الهلاك ودوامه للمدعو عليه ووضع المظهر موضع المضمر حيث قال للذين كفروا ولم يقل لهم اظهارا للغضب عليهم ودلالة على عظم اختلافهم وانهم في اختلافهم هذا منغمسون في الكفر العظيم المستحق به الويل كل الويل من مشهد يوم عظيم اي من شهودهم هول الحساب والجزاء في يوم القيمة او من وقت الشهود او من مكانه فيه وهو الموقف او من شهادة ذلك اليوم عليهم وهو ان تشهد الملائكة والانبياء والسنتهم وارجلهم بالكفر والمعاصي او من وقت الشهادة او من مكانها او من شهادتهم في عيسى وامه واضافته الى يوم في الكل بمعنى في مثل ضرب اليوم اسمع بهم وابصر فعلا تعجب وهو استعظام الشيء مع الجهل بسببه والله متعال عن مثله فمعناه ان اسماعهم وابصارهم يوم ياتوننا اي يوم القيمة جديران بان يتعجب منهما بعد ما كانوا صما وعميا في الدنيا وقيل معناه التهديد بما سيسمعون وسيبصرون يومئذ مما يسوءهم ويصدع قلوبهم وقيل امر بان يسمعهم ويبصرهم مواعيد ذلك اليوم وما يحيق بهم فيه فعلى الاول الجار والمجرور في موقع الرفع وتعلق الاسماع والابصار معنى ليقع كلا منهما وعلى انه يسمع ويبصر على الناس في موقع النصب وقال الكلبي لا احد يوم القيمة اسمع منهم ولا ابصر حين يقول الله تعالى لعيسى ءانت قلت للناس الاية لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين اقام الظالمون مقام الضمير اشعارا بانهم ظلموا انفسهم حيث اغفلوا الاستماع والنظر حين ينفعهم وسجل على اغفالهم بانه ضلال مبين وخطاء ظاهر بين وانذرهم يوم الحسرة يوم يتحسر المسيء على اساءته والمحسن على قلة احسانه اذ قضي الامر اي فرغ من الحساب وتصادر الفريقان الى الجنة والنار روي انه يذبح الموت وسئل عنه النبي صلى الله عليه وسلم فقال حين يذبح الكبش والفريقان ينظران وان بدل من يوم الحسرة او ظرف للحسرة وهم في غفلة وهم لا يؤمنون حال متعلق بقوله في ضلال مبين وبينهما اعتراض او بقوله انذرهم اي وانذرهم على هذه الحالة فعلى غير مبين فيكون حالا متضمنة للتعليل انا نحن نرث الارض ومن عليها بان نميت سكان الارض جميعا ونخرب ديارهم وان نفني اجسادهم ونفني الارض ونذهب بها وقيل لا يبقى لاحد غيرنا عليها وعليهم ملك ولا ملك او نتوفى الارض ومن عليها بالافناء والاهلاك توفي الوارث لارثه وقيل عنهم ونهلكهم جميعا ونبقى الارض وحدنا فيرثهم وقرا ابو البرهسم نحن الوارثون الارض واهلها والينا يرجعون يردون للجزاء بما عملوا من الحسنات والسيئات فهو وعد ووعيد وتهديد وقرا السلمي وابن ابي اسحق بحذف النون للاضافة يرجعون بفتح الياء والاعرج ترجعون بفتح التاء واذكر في الكتاب في القرآن ابراهيم قصته انه كان صديقا هو من ابنية المبالغة كالسكيت والنطيق اي ملازما للصدق كثير الصدق لكثرة ما صدق به من غيوب الله واياته وكتبه ورسله وكان الرجحان في هذه التصديق للكتب والرسل اي كان مصدقا لجميع الانبياء وكتبهم وكان نبيا في نفسه كقوله بل جاء بالحق وصدق المرسلين او كان بليغا في الصدق لانه يوجب ان يكون صادقا في كل خبر لان الله صدقه باياته ومعجزاته ومصدقه حري ان يكون كذلك لئلا يلزم الكذب في كلام الله تعالى نبيا عاليا في الرتبة باستنباء الله اياه والمراد بذكر الرسول اياه في الكتاب ان يتلو ذلك على الناس ويبلغه اياهم والا فالله تعالى ذاكره في التنزيل اذ قال بدل من ابراهيم بدل الاشتمال لان الاحيان مشتملة على ما فيها او بدل الكل وما بينهما اعتراض ويجوز ان يكون انه متعلق بكان او بصديقا نبيا اي كان جامعا لخصائص الصديقين والانبياء حين قال تلك الاقوال لابيه آزر وهو يعبد الاصنام يا ابت التاء عوض من ياء الاضافة ولا يجوز اجتماعهما ومن ثم لا يقال يا ابتي وجوز يا ابتا لان الالف بدل من الياء وشبه سيبويه بانيق وتعويض الياء فيه عن الواو الساقطة فان اصله انوق جمع ناقة فحذف الواو وابدل عنها الياء قبل النون فحكم العوض يخالف حكم المعوض عنه وذكر هذه الكلمة للاستعطاف ولذلك كررها لم تعبد هي لام الاضافة التي دخلت على ما الاستفهامية كما دخل عليها غيرها من حروف الجر في قولك بم وفيم ولم وعلام وحتام وحذفت الالف لان ما والحذف كشيء واحد وقل استعمال الاصل ما لا يسمع ولا يبصر فيعرف حالك ويسمع ذكرك ويرى خضوعك ولا يغني عنك شيئا اي ولا ينفعك شيئا وهو مصدر اي شيئا من الاغناء وهو القليل منه ويجوز ان يقدر مثله في الفعلين السابقين اي شيئا من السماع والابصار او مفعول به اي ولا يدفع عنك شيئا من عذاب الله من قولهم اغن عني وجهك اي

نحو وبعده منه قال لتغني عني ذا انا لك اجدا وعليه حديث عثمان في صحيفة الصدقة التي بعثها على رضي علي بن محمد بن الحنفية اغنها عنا
وهو في الحقيقة من باب القلب كقولهم عرضت الناقة على الحوض فان مقتضى الظاهر عرض الحوض على الناقة اي اظهره عليها للشرب و
ما في ما لا يسمع موصولة او موصوفة اي صورا او تماثيل ليس بها استماع ولا ابصار على ان مفعول لا يسمع ولا يبصر منسي غير منوي اراد
ان يطلع اباه على شناعة امره وخطائه العظيم وركاكة عقله وضلالته عن الصراط المستقيم ويهدم مذهبه بالبراهين والحجج القاطعة وان
الكلام معه رشق ساق ورتبه في ابلغ اتساق مع فايله ورفق ولين واداب جميل وخلق عظيم منتهيا في ذلك بنصيحة ربه قال النبي صلى الله
عليه وسلم اوحى الله الى ابراهيم انك يا خليلي حسن خلقك ولو مع الكفار وتدخل مدخل الابرار فان كلمتي سبقت لمن حسن خلقه اظله تحت عرشي واسكنه
حظيرة القدس وادنيه من جواري وقال عليه السلام فيما روي ابن عمر اوحى الله الى ابراهيم انك حسن الله خلقك فاحسن خلقك فلم يصرح بضلاله
بل طلب العلة التي يدعوه الى عبادة ما يستخف به العقل الصريح ويابى الركون اليه فضلا عن عبادته التي هي غاية التعظيم ولا تحق الا لمن
له غاية الانعام والقدرة والاستغناء وهو الخالق الرازق المحيي المميت المثيب المعاقب الذي منه جلايل النعم ودقايقها تنبيها له على تمادي
دم وتبيينا لافراطه وتناهيه لان الشيء لو كان حيا مميزا سميعا بصيرا مقتدرا على النفع والضر الا انه ممكن لاستنكف العقل القويم عن عبادته و
لجعله من اهله للعبادة ووصفه بالربوبية ولشهد عليه بالغي المبين والضلال العظيم وان كان اشرف الخلق واعلاهم كالملائكة والنبيين لما
يراه مثله في الحاجة والانقياد للقدرة الواجبة فكيف اذا كان جمادا ليس به حس ولا شعور فلا يسمع من عابده ذكره وثناءه ولا يرى هيئات
خضوعه وخشوعه فضلا ان يغني عنه بان يستدفع بلا دفعه او ينجح له حاجة فيكفيها ثم دعاه الى اتباعه في سلوك الطريق السوي لعدم
استقلاله بالعلم والنظر السوي فقال يا ابت اني قد جاءني من العلم ما لم ياتك فاتبعني اهدك صراطا سويا ثم وقفاه وتلطفا فلم يسم
اباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفايق بان قال ان معي طايفة من العلم وشيئا منه ليس معك فلا تستنكف وهب اني رفيق لك في مسير
هو اعلم بالطريق فاتبعني انجك من ان تضل وتتيه ثم ثبطه وكفه عما كان عليه بانه مع خلوه عن نفع مستلزم للضر فانه في الحقيقة عبادة الشيطان
من حيث انه الامر به فقال يا ابت لا تعبد الشيطان واستهجن وبين وجه الضر فيه بان الشيطان قد استعصى على ربك المنعم بجل النعم بقوله
ان الشيطان كان للرحمن عصيا ومعلوم ان طاعة العاصي يورث النقم وزوال النعم ولذا اتبعه بتخويفه سوء العاقبة وما يجر اليه فقال يا ابت
اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا قرينا من العذاب يليه ويليك او ثانيا في موالاة فانه اكبر من العذاب لان
ولاية الشيطان في مقابلة رضوان الله وهو اكبر من الثواب المقابل للعذاب فولايته اكبر من العذاب وتنكير العذاب للتهويل جعل الشيء هايلا مخوفا
وهو كالتعبير للتعظيم المعتبر ههنا او للتقليل اي اخاف ان يصيبك قدر يسير من عذاب الرحمن وقيل التعليل ارجح لانه انسب بالعطف
التي يجعله من الرحمن ويحال اعتقاد الولد بالنسبة الى الوالد بان استعمال المس في العذاب العظيم شايع والعذاب من الحليم الرحيم يكون
اشد واعظم لانه لا يقدم عليه الا عند كمال الاستحقاق وشدة الغضب للمصر على الكفر اولى بان يعتقدها النبي الخليل لربه الجليل والى التحكيك
قيل الذي يحشري فان ذكر ان ابراهيم لم يخل هذا الكلام من حسن الادب مع ابيه حيث لم يصرح فيه ان العذاب لاحق له لا محالة ولكنه قال
اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن فذكر الخوف والمس ونكر العذاب ولم يذكر ابراهيم من جنايات الشيطان الا عصيان الرحمن ولم يلتفت
الى ذكر معاداته لنوع الانسان لان ملاك جناياته اولا ارتفاعه في الربانية او لانه من حيث انه ينتجه معاداة انه لادم وذريته فنبه عليها وقرا
عبيد بن عمير كان للرحمن عاصيا من كان عصيا قال اراغب انت عن الهتي يا ابراهيم لما بنى صورة ابيه امره ونصحه بالنصايح الاربع مصدرا
كلا منها بقوله يا ابت استعطافا وتلطفا في الارشاد قابلهما الشيخ بغلاظة الكفر وغلظة العناد فناداه باسمه ولم يقابل يا ابت
بيابني واخره وقدم الخبر على المبتدا لانه كان عنده اهم وانعم وصدره بالهمزة لانكار رغبته عن الهة على ضرب من التعجب كانها
ما لا يرغب عنها عاقل وقيل اراغب مبتدا وانت فاعله اغنى عن الخبر وجاز الابتداء بالنكرة لاعتمادها على الهمزة ثم هدده فقال
لئن لم تنته عن الرغبة عنها او عيبك اياها ومقالك في دفعها لارجمنك لارمينك بلساني اراد الشتم والذم ومنه الرجيم المرمي باللعن
او لاقتلنك من رجم الزاني او لاطردنك رميا بالحجارة واصل الرجم الرمي بالرجام وقال الحسن لاقتلنك بالحجارة وبه قرا ابو هيثم الحجري

واجنبني وف

واجنبني وفارقني وهو عطف على محذوف يدل عليه لارجمنك اي فاحذرني واهجرني مليا زمانا طويلا من الملاوة وهو الدهر او مليا بالذهاب
عني والهجران قبل ان اثخنك بالضرب حتى لا تقدر ان تبرح فلان ملي بكذا اذا كان مطيقا له مضطلعا به وقال ابن عباس اعتزلني سالما لا يصيبك مني
معرة وقيل سالما وقيل دهرا وقال مجاهد وعكرمة حينا وعن الحسن ومجاهد وابن جبير مليا اي دهرا طويلا فانتصابه على الظرف او الحال
او على انه صفة مصدر محذوف تقديره هجرانا مليا اي طويلا كما فسره الكلبي من غير ذكر الزمان قال ابراهيم سلام عليك توديع ومتاركة لا اجاهلك
ومتاركة لا في بيني وبينك ولا تتاخر اي اسلم منك بشيء فاقيم سلام عليك مقام تسلم منك وذلك لان ترك المقابلة ادخل في المرفقة واقرب برعاية
حق الابوة وانسب بادب الولد واسلم للعرض والورع على انه لم يؤمر بقتاله على كفره ولا هو مما قال الله تعالى وقل لهما قولا كريما واخفض
لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا ولكن ان تقول انه كلمة حلم من كلامه نحو من ولى لك يرد الكلام ويجوز
ان يجري على السنتهم الا سهوا وجوز ان يكون قد دعا لابيه بالسلامة استمالة له لا دعوى الى قوله ساستغفر لك ربي اي الى الاستقبال او
لمجرد التاكيد اي استغفر لك ربي البتة وقد استغفر له بشهادة الكتاب والسنة اعلم ان الاستغفار للكفر وقد كان جائزا وغير منهي
في شرع من قبلنا وانما نهي في شريعتنا بدليل قوله عليه السلام لابي طالب لا ازال استغفر لك ما لم انه عنه فانزل الله تعالى ما كان
للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين الاية وروي انه لما ذكر انه استغفر لفلان قال قتادة قال عليه السلام لاستغفرن
لابي كما استغفر ابراهيم لابيه فنزل ما كان للنبي الاية وحقيقة الاستغفار للكافر طلب توفيقه الايمان الذي يوجب مغفرته فالمعنى سا
سال الله لك التوفيق للايمان تنال به المغفرة انه كان بي حفيا بليغا في البر والالطاف وقال الكلبي عالما يستجيب اذا دعوته قال الزمخ
شري فان قلت كيف جاز له ان يستغفر للكافرين وان يعده ذلك اجيب بانهم قالوا اراد باشتراط التوبة عن الكفر كما يراد الاوامر
والنواهي الشرعية على الكفار والمراد اشتراط الايمان كما يؤمر المحدث والفقير بالصلوة والزكوة ويراد اشتراط الوضوء والنصاب وقالوا
انما استغفر له بقوله فاغفر لابي انه كان من الضالين لانه وعده ان يؤمن واستشهدوا بقوله تعالى وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة
وعدها اياه ولقايل ان يقول الذي منع من الاستغفار للكافر انما هو السمع فاما القضية العقلية فلا تاباه فيجوز ان يكون الوعد بالاستغفار
والوفاء به قبل ورود السمع بناء على قضية العقل والذي يدل على صحته قوله تعالى الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك فلو كان شارطا للايمان
لم يكن مستنكرا ومستثنى عما وجبت فيه الاسوة واما عن موعدة وعدها اياه فالواعد هو ابراهيم لا آزر اي ما قال فاغفر لابي الا عن قوله لا
ستغفرن لك وتشهد له قراءة حماد الراوية وعدها اباه والله اعلم والشارح رحمه في هذا المقام كلام ليس للناظر فيه الا التعجب او السكوت واعتزلكم
وما تدعون من دون الله اراد بالاعتزال المهاجرة الى الشام واراد بالدعاء العبادة لانه منها ومن وسايلها ومنه قوله
عليه السلام الدعاء هو العبادة ويدل عليه قوله فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وما فيهما موصولة او موصوفة اي اصنا
ما تدعونها وتعبدونها او التوحيد اي ووحده اي واتي او الدعاء الذي حكاه الله في سورة الشعراء عسى الا اكون بدعاء ربي شقيا خائبا
ضايع السعي مثلكم في دعاء الهتكم او عسى ان لا اشقى بدعائه وعبادته كما تشقون انتم بعبادة الاصنام وفي تصدير الكلام بعسى تواضعا
لله وهضما لنفسه وتعليل لعنه وجواب الترجي بين الخوف والرجاء وان الاجابة تفضل غير واجب وان ملاك الامر خاتمته وهو غيب
فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله فلما هاجر الى الشام فترك الكفار والفتهم لوجه الله ووهبنا له اسحق ويعقوب عوض
من اعتزلهم وفارقهم وقيل انه لما قصد الشام اتى اولا حران وتزوج بسارة فولدت له اسحق وولد منه يعقوب ولعل تخصيصهما
بالذكر لانهما شجرة الانبياء او لانه اراد ان يذكر اسمعيل بفضله على انفراده وكلا جعلنا نبيا اي كلا منهما او منهم فتنوينه
عوض عن المضاف اليه ووهبنا لهم من رحمتنا يعني النبوة والكتاب والولد وجعلنا لهم لسان صدق عليا لسان الصدق
هو الثناء الحسن وتنويه الله بذكرهم حتى ليس من اهل دين الا وهم يتولونهم ويثنون عليهم ويفتخرون بهم فاريد باللسان ما
يوجد به ولسان العرب لغتهم وكلامهم اجاب الله دعوته واجعل لي لسان صدق في الاخرين فصيره قدوة للناس وكذلك
ذريته فاعلى ذكرهم واثنى عليهم قال الله تعالى وجعلناهم ايمة يهدون بامرنا وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب فقد آتينا آل ابراهيم

الكتاب والحكم والنبوة وآتيناهم ملكا عظيما واضافة اللسان الى الصدق من اضافة الموصوف الى الصفة ونظيره مقعد صدق اي مكان حسن مرضي الا
ان لا اضافة فيما نحن بصدده تتضمن التحريض على اكرامهم وابنائهم وان الاثنيا بعليتهم لسنية المرضية وقيل اضافته الى الصدق وتوصيفه بالعلو
للدلالة على انهم احقاء بما يثنون عليهم وان محامدهم لا تخفى على تباعد الاعصار وتحول الدول وتبدل الملل واذكر في الكتاب موسى انه كان
مخلصا قراءة الكوفيين بفتح اللام اي الذي اخلصه الله من الدنس والباقون بكسرها اي موحدا اخلص العبادة عن الشرك والريا او اخلص نفسه
عما سوى الله واسلم وجهه له وكان رسولا ارسله الله الى الخلق لتبليغ الاحكام نبيا انبأهم عنه والنبي منقول في العرف من معناه اللغوي
الى العرفي فقيل اشتقاقه من النبأ وهو الخبر وقيل من النبوة وهو الارتفاع من نبي فلان اذا ارتفع وعلا وقيل من النبي وهو الطريق لان
النبي وسيلة الى الله واما معناه العرفي فهو عند من قال له الله تعالى ارسلتك الى قوم كذا او الى الناس جميعا او بلغهم عني او بعثتك و
نحوه من الالفاظ وقيل الرسول من الانبياء من له كتاب والنبي من لا كتاب له وقيل الرسول من يأتيه الملك بالوحي والنبي يقال له ولمن
يوحى اليه في المنام وقيل الرسول من بعثه الله بشريعة يجدده يدعو الناس اليها والنبي من بعثه لتقرير شرع سابق كانبياء بني اسرائيل
الذين كانوا بين عيسى وموسى عليهما السلام ولذلك شبه النبي صلى الله عليه وسلم امته بهم والنبي اعم من الرسول ويدل عليه ما روي عنه عليه
السلام انه سئل عن الانبياء فقال مائة الف واربعة وعشرون الفا قيل فكم الرسل منهم قال ثلثمائة وثلاثة عشر جما غفيرا وناديناه من جانب
الطور الايمن هو من اليمين اعني يمين موسى اي من ناحية الطور الايمن او من اليمن صفة للطور او للجانب اي من الطور اليمون وذلك
ان الايمن في الاصل خلاف الايسر وهو جانب اليمين او من يمنه او من يمن فلان على قومه فهو ميمون اذا صار مباركا عليهم ومنه التيمن وهو
التبرك والطور الجبل الذي كلم الله عليه موسى وناداه وهو بمدين وقيل بين مصر ومدين ويقال اسم الزبير وذلك حين اقبل من
مدين وراى النار فنودي يا موسى اني انا الله رب العالمين وقربناه تقريب تشريف شبهه من قربه بعض العظماء للمناجاة حيث كلمه
بغير واسطة ملك وعن ابي العالية قربه حتى سمع صرير القلم الذي كتبت به التوراة نجيا اي مناجيا وهو حال من احد الضميرين
وقيل مرتفعا من النجوة وهو الارتفاع لما روي انه رفع فوق السموات حتى سمع صرير القلم ووهبنا له من رحمتنا من اجل رحمتنا
او بعض رحمتنا كما في قوله ووهبنا لهم من رحمتنا اخاه هو على الاول مفعول وعلى الثاني بدل وهو بدل البعض من الكل لانه بعض
الرحمة التي وهب موسى وكان هرون اكبر من موسى فوقعت الهبة على معاضدته وموازرته استجاب الله دعوته واجعل لي وزيرا من اهلي فارسله
معي ردءا يصدقني اي اخونا هرون فطى بيانه له كون هرون بنيا حال منه واذكر في الكتاب اسمعيل واتل عليهم
قصة جدك اسمعيل وبلغها اليهم انه كان صادق الوعد ذكره بصدق الوعد وان وجد في ساير الانبياء تشريفا له واكراما كالتلقيب
نحو الحليم والاواه والصديق ولانه المشهور والموصوف باشياء في هذا الباب لم تعهد من غيره عن ابن عباس والكلبي وعد صاحبا له ان
ينتظره في مكان فانتظره سنة وناهيك انه وعد الصبر على الذبح بقوله حيث قال ستجدني ان شاء الله من الصابرين ووفى حث على الصدق
في الوعد والوفاء به والاصل فيه نية تقول عليه السلام اذا وعد الرجل اخاه ومن نيته ان يفي فلم يف ولم يجئ للميعاد فلا اثم عليه وكان رسولا نبيا
ارسله الله الى جرهم فانبأهم عنه وفيه دليل على ان رسول الله لا يجوز ان لا يكون صاحب كتاب ولا صاحب شريعة فان اسمعيل كان على شريعة
ابيه ابراهيم ولم يكن له كتاب انزل اليه باجماع العلماء وكذلك لوط واسحق ويعقوب وكان يأمر اهله بالصلوة والزكوة لان اهله
احق بالتقديم والامر بالصلاح والعبادة قوا انفسكم واهليكم نارا وامر اهلك بالصلوة وانذر عشيرتك الاقربين ولان اهل
النبي وكبير القوم اذا كانوا على الصلاح والسداد تتبعوا الصدور فيرهم وسادهم ووادهم وشايعوهم على البر والتقوى الا يرى ان اهل
من العلماء والعظماء اذا صلحوا كيف يصلح بهم الناس ويانسون بهم ويتزيون بزيهم في الخير والصلاح وقيل اهله امته كلهم من
القرابة وغيرهم لان الانبياء آباء الامم ومنه ان من حق الصالح ان لا يالو نصحها للاجانب فضلا عن الاقارب والمتصلين به وان
يخطبهم بالفوائد الدينية ولا يفرط في ذلك وكان عند ربه مرضيا لاستقامة اقواله واحواله وافعاله وقيل مرضيا قائما لله
بطاعته وقيل رضيه الله للنبوة والرسالة وقرأ ابن ابي عبلة واليماني مرضوا بالواو واذكر في الكتاب ادريس هو سبط شيث وجد ابي

نوح وكان اسم اخنوخ ومنع صرف ادريس للعجمة والتعريف كيعقوب واسرائيل وابليس ومشتقها من الدرس والعقب والابلاس كما توهم
في المنا والا بعد ان يكون معنى ادريس في تلك اللغة قريبا من ذلك فلقب به لكثرة درسه اذ روي انه تعالى انزل عليه ثلثين صحيفة وانه اول من خط
بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب واول من خاط الثياب ولبسها وكانوا يلبسون الجلود واول من اتخذ السلاح وقاتل الكفار انه كان صديقا نبيا
ورفعناه مكانا عليا المكان العلي شرف النبوة والزلفى عند الله ومن انس يرفعه انه رفع الى السماء الرابعة قال النبي صلى الله عليه وسلم ادم
في السماء الدنيا ويحيى وعيسى في الثانية ويوسف في الثالثة وادريس في الرابعة وهرون في الخامسة وموسى في السادسة وابراهيم في السابعة
وعن ابن عباس الى السماء السادسة وعن الحسن الى الجنة لا شيء اعلى من الجنة ويؤيده قول النابغة قوله بلغنا السماء مجدنا وسناؤنا وانا لنرجو
فوق ذلك مظهرا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اين يا ابا ليلى قال الى الجنة ويعضد قول الحسن ما رواه الطبراني باسناده الى النبي صلى
الله عليه وسلم قال ان ادريس كان صديقا لملك الموت فسأله ان يريه الجنة والنار فصعد فاراه النار ففزع منها وكاد يغشى عليه فا
لتفت عليك ملك الموت بجناحيه قال اليس قد رايتها قال بلى ولم ار كاليوم قط فانطلق به حتى اراه الجنة فدخلها فقال له ملك الموت
اليس قد رايتها قال بلى هذه والله الجنة قال فانطلق قد رايتها قال الى اين قال حيث كنت قال ادريس لا والله لا اخرج منها بعد
ان دخلتها فقيل لملك الموت اليس انت ادخلته اياها وليس لاحد ان يخرج منها اذا دخلها فالاية والحديث دليلان على ان الجنة مخلوقة
الان فاختلف انه مخلود بان في السماء اهو حي ام ميت فالجمهور على انه حي وهو الصحيح وقالوا اربعة من الانبياء في الاحياء اثنان في الارض
وهما الخضر والياس واثنان في السماء ادريس وعيسى وقرا ابو البرهسيم مكانا عاليا اولئك اشارة الى المذكورين في السورة من زكريا الى ادريس
الذين انعم الله عليهم من عليهم وتفضل بانواع النعم الدينية والدنيوية من النبيين بيان للموصول ونظيره في سورة النور وعد الله الذين
امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم وسورة الفتح وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة من ذرية آدم بدل منه باعادة
الجار ويجوز ان يكون من فيه للتبعيض لان المنعم عليهم اعم من الانبياء واخص وممن حملنا مع نوح اي ومن ذرية من حملنا خصوصا
وهم من عدا ادريس فان ابراهيم من ذرية سام بن نوح ومن ذرية ابراهيم الباقون واسرائيل عطف على ابراهيم اي ومن ذرية اسرائيل وهم
موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى وفيه دليل على ان اولاد البنات من الذرية وممن هدينا ومن جملة من هدينا الى الحق المستقيم فالوا
ومن فيه للتبيين ان عطف على من النبيين وللتبعيض ان عطف على من ذرية آدم واجتبينا واخترنا واصطفينا للنبوة والكرامة اذا تتلى
عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا خبر لاولئك ان كان الذين صفة والاستيناف وان كان خبره لبيان خشيتهم لله وخشيتهم منه مع قربهم منه وفضل
واصل البكي بكوي جمع باك كشهود وسجود وقعود في جمع شاهد وساجد وقاعد اجتمعت الواو والياء فادغمت في الياء وقرا حمزة والكسائي
بكسر الباء اتباعا لكسرة الكاف والباقون بضم الباء على الاصل وقرا عمر رضي بكيا بضم الباء واسكان الكاف عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم اتلوا القران وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا يقال تباكى فلان اذا تكلف البكاء ووجه التوفيق بينه وبين قوله عليه السلام انا وصالحوا
امتي براء من التكلف ظاهر وعن صالح المري قرأت القران على رسول الله في المنام فقال لي يا صالح هذه القراءة فاين البكاء وعن ابن عباس
اذا قرأتم السجدة سبحان فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا فان لم تبك عين احدكم فليبك قلبه وعن النبي عليه السلام ان القران نزل بحزن فاذا قراتموه
فتحازنوا وقالوا يدعوا في سجدة التلاوة بما يليق باياتها فان قرا آية تنزيل السجدة قال اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك
واعوذ بك من ان اكون من المستكبرين عن امرك وان قرا سجدة سبحان اللهم اجعلني من الباكين الخاشعين لك وان قرا هذه قال اللهم اجعلني
من عبادك المنعم عليهم المهتدين الساجدين لك الباكين عند تلاوة اياتك وقرا عبد الله بن عباد المكي يتلى بالتذكير لان التانيث غير حقيقي
مع وجود الفاصل فخلف من بعدهم خلف فعقبهم وجاء بعدهم عقيب سوء والخلف بفتح اللام عقب الخير وبه قرا قربي وابن جبير وبسكونها
عقب السوء كان الوعد ضمان الخير والوعيد ضمان الشر وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من نبي بعثه الله في امة الا
كان له في امته حواريون واصحاب ياخذون بسنته ويقتدون بامره ثم انها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون
فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل

بحث أوقات الصلوة

ذكره مسلم قال ابن عباس هم اليهود اضاعوا الصلوة تركوا الصلوة المفروضة واتبعوا الشهوات وشربوا الخمر واستحلوا نكاح الاخت من الاب
وقال قتادة هم هذه الامة وعن ابن مسعود وابراهيم اضاعوا بالتاخير عن وقتها وقال ابن مسيب هو ان لا يصلي الظهر حتى ياتي العصر ولا
العصر حتى تغرب الشمس وعندنا تاخير العصر الى وقت اصفرار الشمس والمغرب الى اشتباك النجوم والعشاء الى ما زاد على نصف الليل يكره
كراهة تحريم وعن علي رضي الله عنه واتبعوا الشهوات من بنى المشيد وركب المنظور ولبس المشهور وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اوحى الله تعالى الى داود يا داود مثل الدنيا كمثل جيفة اجتمعت عليها الكلاب يجرونها افتحب ان تكون كلبا مثلهم فتجر معهم يا داود طيب
الطعام ولين اللباس والصيت في الناس وفي الاخرة الجنة لا يجتمعان ابدا وعنه كرم الله وجهه من اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات
في الدنيا وقال جعفر بن محمد اجتمعت العلماء والحكماء على ان النعيم لا يدرك الا بترك النعيم قلت ان الاصل فيه قول النبي صلى الله عليه

مطلب

وسلم لمعاذ اياك والتنعم فان عباد الله ليسوا بالمتنعمين فعلم من هذه الاية والاخبار ان تيسر اسباب الشهوات ان ليس للمكارمة الخير
وعلامة النجاح في الاخرة ومن ثمة امتنع عمر رضي الله عنه من شرب ماء بارد بعسل قال اعزلوا عني حسابها وقال وهب بن منبه التقى ملكان في السماء
الرابعة فقال احدهما للاخر بسوق حوت من البحر اشتهاه فلان اليهودي وقال الاخر امرت باهراق زيت اشتهاه فلان العا
بد وقال مجاهد هؤلاء قوم يظهرون في آخر الزمان ينزون بعضهم على بعض في الاسواق والازقة والشهوة في الاصل التمني ومعناها
بالفارسية ارزو خواستن كذا في المصادر وجمعها الشهوات والمراد بها في الاية المشتهيات المذمومة شرعا كشرب الخمر واكل الحرام ونحوها
مما يذم في الشريعة وقد قال الامام الغزالي رحمه الله فان قلت هل من فرق بين الهوى والشهوة قلنا لا فرق في العبادات ولكنا نعني
بالهوى المذموم من جملة الشهوات دون المحمودة فالمحمودة من فعل الله تعالى وهي قوة جعلت في الانسان لينبعث بها النفس لنيل
ما فيه صلاح بدنه اما بقاء بدنه او نوعه او باصلاحهما والمذموم من فعل النفس الامارة بالسوء وهي استجابتها لما فيه لذتها البدنية
وهذه الشهوة اذا غلبت سميت هوى فانها يستتبع الفكرة وتستخدمها لتستوفي وقتها في الاحتيال لاجله والفكرة مترددة بين
الشهوة والعقل يجذبها العقل فوقها والشهوة تحتها فمتى مالت الفكرة نحو العقل ارتفعت وشرفت هو اولها الحابس واذا مالت الى الشهوة
انضعت الى اسفل السافلين وكذا مقامح وقال في موضع آخر اللذة ادراك المشتهى والشهوة انبعاث النفس لنيل ما تتوقع لذة عقلية او بدنية
مشتركة مع الحيوانات او بدنية مشتركة مع بعض الحيوانات في الكل عبارته بالجملة فلا عبادة اعظم ولا اشرف من مخالفة الهوى والشهوات
وترك اللذات قال الله تعالى ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي الماوى وقال اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى اي نزع منها
محبة الشهوات وقال عليه السلام كن اذا كنت في نفسك ولا تتابع هواها في معصية الله اذن تخاصمك يوم القيمة فيلعن بعضك بعضا
الا ان يغفر الله ويستر وقرا ابن مسعود والحسن والضحاك اضاعوا الصلوة بالجمع وقرا الضحاك واتبعوا بهمزة القطع فسوف يلقون غيا شرا
كقوله فمن يلق خيرا يحمد الناس امره ومن يغو لا يعدم على الغي لائما او جزاء غي كقوله يلق اثاما اي مجازات اثام او غيا من طريق الجنة
وقال ابن عباس هو واد في جهنم تستعيذ من حره اوديتها اعد للزاني المصر عليه ولشارب الخمر المدمن عليها ولاكل الربوا الذي
لا ينزع عنه ولاهل العقوق ولشاهد الزور وقال عطاء هو واد في جهنم يسيل قيحا ودما وقال كعب ووهب هو واد في جهنم ابعدها
قعرا واشدها حرا فيه بئر يسمى البهيم كلما خبت جهنم فتح الله تعالى تلك البئر فتسعر بها جهنم وقال الضحاك غيا اي خسرانا وقيل هلا
كا وقيل عذابا وقيل يلقون ليس معناه يرون فقط بل معناه الاجتماع والملابسة مع الرؤية للذي يدل عليه ان الاية في الكفرة قوله الا
من تاب وآمن وعمل صالحا لانه لا يقال امن الا لمن كان كافرا الا بحسب التغليظ هكذا قيل والاحسن ان يحمل الاية على
العموم وتناول الكافرين وعصاة المؤمنين لاطلاقها والتقييد باحد الفريقين عدول عن الظاهر اي الا من تاب عن المعاصي وعمل
صالحا ومن آمن اي اختار الايمان مكان الكفر وعمل صالحا فحذف الاول بقرينة الثاني اختصارا فعلى هذا تكون شاملة للاقوال كلها و
تحقيق الا من ترك المعاصي وندم عليها ومن دخل في الايمان والعمل الصالح فاولئك يدخلون الجنة قرا ابو عمرو وابن كثير وابو بكر يدخلون
على البناء للفاعل من دخل وقرا ... والاعمش سيدخلون ولا يظلمون شيئا اي ولا ينقصون شيئا من جزاء اعمالهم ولا يمنعون

للمفعول من ادخل والباقون يدخلون على البناء ح

بل يضاعف

بل يضاعف لهم بيانا لان كفرهم ومعاصيهم السابقة لا يضرهم ولا ينقص اجورهم اذا تابوا عنها وندموا عليها ويجوز ان يكون شيئا في موضع المصدر اي
ولا يظلمون البتة شيئا من الظلم وعلى الاول مفعول به والظلم بمعنى النقص والمنع جنات عدن بدل من الجنة بدل البعض لاشتمالها عليها كقوله
البدل واد ذكره القاري والعلامي او منصوب على المدح وقرئ جنات عدن وجنة عدن بالرفع على انه خبر محذوف او على الابتداء وعدن علم للعدن
وهو الاقامة كما فيه علم للفينة وسحر واس للتسحر والامس او علم الارض الجنة لانها مكان اقامة قالوا ولولا ذلك لما ساغ الابدال لان النكرة
لا تبدل من المعرفة الا موصوفة ولما صح وصفها بالتي وهو خطاء بل الصواب جواز ذلك لورود ذلك في استعمال الفصحاء كما في قول معد يكرب
قوم اذا لبسوا الحديد تنمروا حلقا وقدا اي اذا لبسوا الحديد حلقا وقدا تنمروا قال الامام المرزوقي حلقا بدل من الحديد مع ان حلقا نكرة غير
موصوفة التي وعد الرحمن عباده بالغيب اي وعدها اياهم وهي غايبة عنهم غير حاضرة او هم غايبون عنها لا يشهدونها او و
عدهم بسبب ايمانهم بالغيب انه ان الله كان وعده الذي هو الجنة ماتيا اي ياتيها اهلها لا محالة او مفعولا منجزا من اتى اليه احسانا
اذا فعل وقيل اي اتيا على انه مفعول بمعنى فاعل وهو خطاء لان المراد بوعده الجنة كما ذكرنا والجنة لا تاتي بل تؤتى لا يسمعون فيها لغوا فضول
كلام ومالا طائل تحته وقال مقاتل هو اليمين الكاذبة الا سلاما لكن يسمعون سلاما اي قولا يسلمون فيه من العيب والنقيصة او الا تسليم الله والملائكة
عليهم وتسليم بعضهم على بعض على الاستثناء المنقطع او على معنى ان التسليم ان كان من جنس اللغو فلا يسمعون الا ذلك كقوله ولا عيب فيهم غير ان
سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب او على معنى السلام الدعاء بالسلامة واهلها لانها دار السلامة اغنياء عنه فهو من باب اللغو ظاهرا وانما
فائدته الاكرام ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا على العادة الوسطى المحمودة بين الوجبة والنهم وليس في الجنة ليل ولا نهار ولكن يؤتون بارزاقهم
على مقدار طرفي النهار وقيل يعرفونه وقت النهار برفع الحجب ووقت الليل بارخائها او على عادة المتنعمين فان التنعم عند العرب من وجد
غداء وعشاء وعن الحسن كانت العرب لا تعرف من العيش افضل من الرزق بالبكرة والعشي فوصف الله تعالى جنته بذلك وقيل المراد دوام
الرزق ودروره كما تقول انا عند فلان صباحا ومساء وبكرة وعشيا تريد الديمومة ولا تقصد الوقتين المعلومين تلك الجنة التي بناء تلك تعظيم
لها وتفخيم لشانها يريد تلك التي بلغك وصفها وسمعت بذكرها نورث من عبادنا من كان تقيا اي نبقيها عليهم كما يبقى على الوارث اي المورث
فشبه الابقاء بالايراث او فشبهت الجنة في بقائها على اهلها بالميراث الباقي على الورثة وقيل يورث المتقين من الجنة المساكن التي كانت لاهل النار
لو اطاعوا زيادة في كرامتهم وعن يعقوب نورث بتشديد الراء والمراد ان تلك اشارة الجنة المذكورة المتقدمة وهو المبتداء والجنة خبره والتي نورث صفة
الجنة او الجنة صفة للمبتداء الذي هو اسم الاشارة والتي نورث خبر المبتداء او الجنة مبتداء ثان والتي نورث خبره والجملة خبر المبتداء الاول والضمير العايد
اليه محذوف وما نتنزل الا بامر ربك حكاية قول جبريل حين استبطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن قصة اصحاب الكهف وذي القرنين والروح ولم
يدر ما يجيب ورجا ان يوحى اليه فيه وابطا عليه اربعين يوما وقيل خمسة عشر فشق ذلك عليه شقة شديدة وقال المشركون ودعه ربه وقلاه فلما
نزل جبريل قال له النبي عليه السلام ابطات حتى ساء ظني واشتقت اليك قال اني كنت اشوق ولكني عبد مامور اذا بعثت نزلت واذا حبست
احتبست وانزل الله هذه الاية وسورة والضحى والتنزل النزول على مهل لانه مطاوع وقد يطلق بمعنى النزول مطلقا كما يطلق نزل بمعنى انزل كقوله
فلست لانسي ولكن لملاك تنزل من جو السماء يصوب والاول هو الاليق هنا والمعنى وما نتنزل في الاحايين وقتا غب وقت الا بامر الله
على ما يقتضيه حكمته وقرئ يتنزل بالياء والضمير للوحي وعن ابن مسعود الا بقول ربك له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك ولم ما قدامنا وما وراءنا
من الجهات والاماكن وما نحن فيها فلا ننتقل في مكان الى مكان ولا ننتزل في زمان دون زمان الا بامره ومشيته وهو الحفيظ العليم بكل شيء فانى لنا ان
نتقلب في ملكوته الا اذا اذن لنا فيه وقيل ما سلف لنا من امر الدنيا وما يستقبل من امر الاخرة وما بين ذلك ما بين النفختين وهو اربعون سنة
وقيل ما مضى من اعمارنا وما غبر منها والحال التي نحن فيها وقيل ما قبل وجودنا وما بعد فنائنا وقيل الارض التي بين ايدينا اذا نزلنا و
السماء التي وراءنا وما بين السماء والارض يعني ان ذلك كله لله وهو من ورائه محيط فلا نقدر على شيء الا بامره واذنه وما كان ربك نسيا
النسي كالبغي والنفوس اما فعول او فعيل بمعنى فاعل وهو اما من النسيان الذي هو نقيض الذكر وما صح وما استقام وما استحال ان يكون ربك غافلا
ويجوز عليه الغفلة لانه المحيط بكل شيء لا يخفى عليه شيء في العالم فهو مطلع على كل شيء فاذا لا نقدر على ان نقدم على فعل الا باذنه او بمعنى الترك اي ما

فعول لما

وتحيتهم سلاما

وما نتنزلنا

كان ربك ناسيا لك كقوله ما ودعك ربك وما قلى يعني ما كان عدم النزول إلا لعدم الأمر به ولم يكن ذلك عن ترك الله لك وتوديعه إياك كما زعمت الكفرة بل لحكمة رآها فيه وقيل أول الآية حكاية قول المتقين حين يدخلون الجنة أي وما ننزل الجنة إلا بأمر الله ولطفه وهو المالك لرقاب الأمور كلها السالفة والمترقبة والحاضرة الموفق لها والمجازي عليها فما لنا من شيء إلا من لطفه وتفضله وقوله وما كان ربك نسيا تقرير لقولهم أي وما كان ناسيا لأعمال العاملين وما وعد لهم من الثواب عليها وقوله رب السموات والأرض وما بينهما بيان لامتناع النسيان عليه يعني كيف يجوز النسيان على ذي ملكوت السموات والأرض وما بينهما وهو بدل من ربك أو خبر مبتدأ محذوف أي هو وذلك رب السموات والأرض لقوله وقابلته خوله فالنجح فيما يتهم وعلى هذا يجوز أن يكون وما كان ربك نسيا من كلام المتقين وما بعده من كلام رب العزة فاعبده واصطبر لعبادته خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم مرتب عليه أي لما عرفت ربك على هذه الصفة وأنه لا ينساك وأعمال العاملين فأقبل على عبادته واصطبر عليها ولا تتشوش بإبطاء الوحي واستهزاء الكفرة ولهذا تبجح بك وإنما عدي باللام لتضمنه معنى الثبات للعبادة فيما يورده عليه من الشدائد والمشاق كقولك للمحارب اصطبر لقرنك أي اثبت له فيما يورده عليك من شداته وحملاته وقيل أي اصبر على أمره ونهيه فحمله على حقيقته وجعل الأمر يجمع على والعبادة قيام العبد بما تعبد به وكلف من امتثال الأوامر والنواهي هل تعلم له سميا مثلا يستحق أن يسمى إلها وأحدا يسمى الله فإن المشركين وإن سموا الصنم إلها لم يسموه الله قط فإن هذا الاسم اسم معرفة دون غيره من الأسماء وهو تقرير للأمر بالعبادة والاصطبار أي إذا صح أن لا معبود بالحق سواه ولا حقيق بالعبادة ما علمه لم يكن بد من عبادته والاصطبار على مشاقها وعن ابن عباس لا يسمى أحد الرحمن غيره واعلم أنهم أجمعوا على أن هل تخصص المضارع بالاستقبال كالسين والسوف فلا يصح لإنكار الفعل الواقع في الحال وليس ههنا للاستفهام عن وقوع العلم في المستقبل أيضا إذ لا معنى لحقيقة الاستفهام ههنا كما لا يخفى بل المراد إنكار العلم المعني به النفي كأنه قيل لا يكون ولم يكن تعلم له سميا ويقول الإنسان أريد به الجنس فإن هذه المقالة موجودة فيما بينهم فلما لم يقبل به كلهم فيكون من نسبة الشيء الملتبس بالبعض إلى الجميع المذكور ونظيره قوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وإنما يخرج من الملح ومنه قولهم بنو فلان فعلوا كذا وإنما فعل نويس منهم وقول الفرزدق فسيف بني عبس وقد ضربوا به نبا بيدي ورقاء عن رأس خالد فقد نسب الضرب إلى بني عبس مع قوله نبا بيدي ورقاء وهو ورقاء بن زهير بن جذيمة العبسي أو بعضهم المعهود وهم الكفرة وأبي بن خلف فإنه أخذ عظاما بالية ففتها وقال يزعم محمد أنا نبعث بعد ما نموت أإذا ما مت لسوف أخرج حيا من الأرض أو من حال الموت والفناء إلى الحيوة والعامل في إذا ما دل عليه أخرج لا هو لأن ما بعد اللام لا يعمل فيما قبلها وهي ههنا مخلصة للتأكيد مجردة عن معنى الحال كما أخلصت الهمزة واللام في يا الله للتعويض واضمحل عنهما معنى التعريف فساغ اقترانها بحرف الاستقبال ثم لما كانت هذه اللام هي لام الابتداء المؤكدة لمضمون الجملة ولام الابتداء لا يدخل إلا على الجملة من المبتدأ والخبر وجب تقدير مبتدأ وخبر وأن يكون أصله لأنا سوف أخرج حيا وما في إذا ما للتوكيد أيضا وتكرير التوكيد إنكار على إنكار وجحود في جحود ودليل على كفر مؤكد مبالغ فيه فكأنهم قالوا حقا أنا سنخرج أحياء حين يتمكن فينا الموت والهلاك على وجه الاستنكار والاستبعاد ويجوز أن يكون من قولهم خرج فلان بن عالمه خرج شجاعا إذا كان نادرا في ذلك يريد ساخرج حيا نادرا على سبيل الهزؤ وقرأ الحسن وأبو حيوة لسوف أخرج وعن طلحة بن مصرف لساخرج كقراءة عبد الله ولسيعطيك وتقديم الظرف وإيلاؤه حرف الإنكار لأن المنكر كون ما بعد الموت وقت الحيوة ومنه جاء الخارج ونحوه قولك للمسيء أي المحسن حين تمت عليك نعمة فلان أساءت إليه أولا يذكر الإنسان عطف على يقول وتوسطت همزة الإنكار بين المعطوف عليه وحرف العطف مع أن الأصل أن يتقدمها دلالة على أن المنكر بالذات هو المعطوف وأن المعطوف عليه إنما نشأ منه يعني أيقول ذلك ولا يتذكر حال النشأة الأولى فإنه لو تذكر أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا لأنه كان عدما صرفا لم يقل ذلك فإنه أعجب وأغرب من جمع المواد بعد التفريق وإيجادها أن منها الأعراض على أن الله تعالى يسوي عليه النشأتان لا يتفاوت في قدرته الصعب والسهل وفيه تنبيه للإنسان وتنديد بأنه لفرط غفلته وقلة فكره في بدء خلقه يتهالك على اتباع شهواته وبطلانه كأنه لا يعرف أول أمره وحاله عدم حتى ترك القياس الصحيح أن من قدر على إخراج الجواهر والأعراض من العدم إلى الوجود قدر على إعادة ما أبداه بل هذا أدخل في القدرة من ذلك وأهون في القياس وفي هذا دليل على صحة القياس حيث أنكر عليه وجعله في ترك قياس النشأتين الأخرى على الأولى فيستدل به على البعث والإعادة وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب.

ولما تتبع لها

يذكر من

يذكر من الذكر المراد به التفكر وقرأ أي يتذكر على الأصل وقوله من قبل الحالة قبل التي هو فيها وهي حالة بقائه فوربك لنحشرنهم أقسم الله باسمه مضافا إلى رسوله تقريرا لأمر وتفخيما لشأن رسول الله وتنويها به والحشر الجمع أي لنجمعنهم والشياطين الواو للعطف أو بمعنى مع وهذا أوقع لما روي أن الكفرة يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين أغووهم يقرن كل كافر مع شيطان في سلسلة هذا سواء أريد بالإنسان الكفرة أو الجنس بأسره فإنهم إذا حشروا حشروا جميعا وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين فقد حشروا مع الشياطين كما حشروا مع الكفرة على أنه لم يفرق بين السعداء وبين الأشقياء في الحشر ثم لنحضرنهم حول جهنم ليشاهد السعداء ما نجاهم الله منه وخلصهم فيزدادوا لذلك غبطة وسرورا إلى سرور ويشمتوا بأعداء الله وأعدائهم فيزداد مساءتهم وحسرتهم وما يغيظهم من رجوع السعداء عنهم إلى دار السلام وشماتتهم بهم جثيا جثاة على ركبهم غير مشاة على أقدامهم لما يدهمهم من شدة الأمر التي لا يطيقون معها القيام على أرجلهم فيجثون فيبركون بروكا على ركبهم جثوا أو لأنه من توابع التواقف للحساب قبل التوصل إلى الثواب والعقاب وأهل الموقف وصفوا بالجثو قال الله عز من قائل وترى كل أمة جاثية على العادة في مواقف التقاول والتخاصم من تجاثي أهلها على الركب وإذا أريد بالإنسان الكفرة فلعلهم يقبلون من المحشر إلى شاطئ جهنم عتلا على حالهم التي كانوا عليها في الموقف جثاة على ركبهم إذلالا لهم وطول الهم إليها بالهوان والعنف كما يفعل بالخارجين على السلطان إذا سيقوا إلى حبس أو قتل ويعجزهم عن القيام لما لزمهم من الهول والهموم والأحزان وعن ابن عباس جثيا جماعات جثوة وهي المجموع وقال الحسن والضحاك جمع جاث أي جاثين على الركب وقال السدي قائمين على الركب لضيق المقام ثم لننزعن لنخرجن قال البغوي والنزع الجذب وكذا الانتزاع من كل شيعة من كل أمة شاعت دينا وقال الزمخشري المراد بالشيعة وهي فعلة كفرقة وفئة الطائفة التي شاعت أي تبعت غاويا من الغواة قال الله تعالى إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا يريد نمتاز من كل طائفة من طوائف الغي والفساد أيهم أشد على الرحمن عتيا أعتاهم فأعتاهم أعصاهم فأعصاهم وإذا اجتمعوا طرحناهم في النار على الترتيب هذا إذا خص ذلك بالكفرة وأما إذا عم بالجنس كلهم فالمراد به التميز من كل طائفة من كان أعتى وأطلق منهم فنطرحهم في النار وفي ذكر الأشد تنبيه على أنه يعفو كثيرا من أهل العصيان وقال مجاهد عتيا فجورا وقال الكلبي قائدهم ورأسهم في الشر ومنه قول الزمخشري ويجوز بأن يريد بأشدهم عتيا رؤساء الشيع وأئمتهم لتضاعف جرمهم بكونهم ضلالا مضلين وقال الله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم وقال الخليل أيهم أشد مرفوع على الحكاية تقديره لننزعن الذين يقال فيهم أيهم أشد فهو جملة من المبتدأ والخبر وقال سيبويه هو مبني على الضم لأن حقه أن يبنى كسائر الموصولات لكنه أعرب حملا على كل وبعض للزوم الإضافة فإذا سقط صدر الجملة التي هي صلته زاد نقصه فعاد إلى حقه ويجوز أن يكون منصوب المحل بننزعن ويدل عليه قراءة طلحة بن مصرف ومعاذ بن مسلم الهراء أستاذ الفراء أيهم أشد بالنصب وأن يكون استئنافا والنزع واقع على من كل شيعة كقوله ووهبنا لهم من رحمتنا أي لننزعن بعض كل شيعة فكأن قائلا قال من هم فقيل أيهم أشد عتيا وعلى للبيان أو متعلق بأفعل أي عتوهم أشد على الرحمن كما يقال هو أشد على خصمه وكذا الباء في قوله ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا أي لنحن أعلم بالذين هم أولى بالصلي أو صليهم أولى بالنار كقولهم هو أولى بكذا ويجوز أن يكونا متعلقين بالمصدرين على القبيح وما قاله الزمخشري من أن تعلقهما بالمصدرين لا سبيل إليه فليس بشيء وكذا تعليل شارحه علامة الرازي بقوله لأن معمول المصدر ما هو كالصلة به أي الفعل وأن موصول كالذي ومعمول الصلة لا يتقدم على الموصول لكونه كتقدم جزء من الكلام المرتب الأجزاء عليه والحق أنه يتقدم معمول المصدر جائز إذا كان المعمول ظرفا أو شبهه قال الله تعالى فلما بلغ معه السعي ولا تأخذكم بهما رأفة وليس كل ما أول بشيء حكمه ما أول به على أن الظرف مما يكفيه رائحة من الفعل يقال عتا علي فلان إذا تجاوز الحد في الظلم وفي وصف العتو بالشدة مبالغة في إفراطهم يعني لننزعن الذين بلغوا غاية العتو وأقصاه ويقال صلي يصلى صليا مثل لقي يلقى لقيا وصلى يصلي صليا كمضى يمضي مضيا بالقوا مكعبه إذا دخل النار وذاق حرها وقرأ حمزة والكسائي وحفص عتيا وصليا بكسر العين والصاد وكذا جثيا بكسر الجيم والباقون بضمها وقرأ ابن مسعود عتيا وصليا بفتح العين والصاد وإن منكم وما منكم التفات إلى الإنسان تؤيده قراءة ابن عباس وعكرمة وإن منهم أو خطاب للناس من غير التفات إلى المذكور وإن تأملها فجميع الجنس وبعضها فإنه إن أريد الجنس كله فمعنى الورود دخولها وفي قوله

الا واردها دخولها فيها وهي جامدة فيعبرها المؤمنون من الجن او يلوح وسا قطا وتنهار بغيرهم عن ابن عباس يردونها كأنها اهالة وروي
دوأية وعن جلدة تعلو اللبن والمرق وعن جابر انه سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال اذا دخل اهل الجنة الجنة قال بعضهم
لبعض اليس وعدنا ربنا ان نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهي جامدة وعنه رضي انه سئل عن هذه الآية فقال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول الورود الدخول لا يبقى بر ولا فاجر الا دخلها فتكون على المؤمنين بردا كما كانت على ابراهيم حتى ان للنار ضجيجا من بردها واما قوله
اولئك عنها مبعدون فالمراد عن عذابها وعن ابن عيينة عن عمرو بن دينار ان نافع بن الازرق قال مارى ابن عباس انكم وما تعبدون من دون
الله حصب جهنم انتم لها واردون ادخلها هؤلاء ام لا ثم قال يا نافع اما والله انا وانت سنردها وانا ارجو ان يخرجني الله وما ارى
ان يخرجك منها بتكذيبك وعن ابن مسعود والحسن وقتادة هو الجواز على الصراط لان الصراط ممدود عليها وعن ان ضمير التانيث للقيامة وعن
ابن عباس قد يرد الشيء الشيء ولم يدخله كقوله ولما ورد ماء مدين ووردت القافلة البلد وان لم تدخله ولكن قربت منه وعن مجاهد ورود
المؤمن النار هو مس الحمى جسده في الدنيا لقوله الحمى من فيح جهنم فابردوها بالماء وفي الحديث الحمى حظ كل مؤمن من النار وقيل المراد بالو
رود جثوهم حولها وان اريد الكفار خاصة فالمعنى بين وقال عكرمة الآية في الكفار فانهم يدخلونها ولا يخرجون منها كان على ربك حتما
مقضيا الحتم مصدر حتم الامر اذا اوجبه فسمي به الموجب كقولهم خلق الله وضرب الامير اي كان ورودهم واجبا اوجب الله على نفسه وقضى
به وعزم على ان لا يكون غيره وقيل اقسم عليه وقيل القسم مضمر اي والله ما منكم الا واردها والورود هو موافاة المكان ثم ننجي الذين اتقوا
ان اريد بقوله منكم الجنس فالمعنى الكل يردون النار ثم تتخلص منهم الذين اتقوا منها وان اريد الكفرة فلا يكون ننجي بمعناه الحقيقي بل بمعنى
السوق الى الجنة يعني ان المتقين يساقون الى الجنة عقيب ورود الكفار الا انهم يردون فيها ثم يتخلصون وقرأ الكسائي ويعقوب ننجي بالتخفيف
والباقون بالتشديد وفي قراءة ابن مسعود وابن عباس والجحدري وابن ابي ليلى ثم ننجي بفتح الثاء اي هناك وقرأ ابن ابي ليلى ثمة باثبات
الهاء وقال الاخفش قال عبد الله المضارب سمعت ابن عباس يقرأ الذين اتقوا منها فقلت له ليس فيها منها قال بلى ولكن الناس تركو
ها ولكن اذا ذكر منها يضعف فتح الثاء في ثم وفي مصحف عبد الله ثم ننجي بنون واحدة وقرئ ينجي بالمجهول وننجي بالحاء المهملة ونذر الظالمين
فيها جثيا منهارة منهم كما كانوا قالوا وهو دليل على ان المراد بالورود الجثو حولها وان المؤمنين يفارقون الكفرة الى الجنة بعد نجاتهم
ويبقى الكفرة في مكانهم جاثين وقيل فيه دليل على ان الكل دخلوها ثم اخرج الله منها المتقين وترك فيها الظالمين وهم المشركون وكلا
القولين لا يخلوان عن ضعف يرشدك اليه تقابلهما بعض الارشاد وقالت حفصة رضي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لارجو
ان لا يدخل النار ان شاء الله احد شهد بدرا والحديبية قالت قلت يا رسول الله ليس قد قال الله تعالى وان منكم الا واردها كان
على ربك حتما مقضيا قال افلم تسمعيه يقول ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا فقد دل الحديث على ان بعض الناس لا يدخلون
واشار الى ان من لم يشهدها يدخلها والقول الجامع في هذه المسألة ان من الناس من لم يدخلها ومنهم من يدخلها ولم يعذب فيجعل عليهم
بردا وسلاما ومنهم من يدخل ويعذب وعلى كل من هذه الاقسام دليل قاطع واذا تتلى عليهم آياتنا بينات مرتلات الالفاظ
ملخصات المعاني مبينات المقاصد بنفسها او بالرسول قولا او فعلا او واضحات الاعجاز تحدى بها فلم يقدر على معارضتها او حجاجا و
هي وانتصابها على انها حال مؤكدة للزومها الذي هو حال لا ينفك عنها في آيات الله لا ينفك عنها الوضوح والحجة فلا تكون الا واضحة
بينات قال الذين كفروا يعني النضر بن الحارث وشيعته من قريش للذين آمنوا لاجلهم او معهم اي الفريقين انسائل بها عن طالب لتميز احد
المتشاركين في امر يعمهما مثلا بقول القائل عندي كتب فتقول اي الكتب هي فتطلب منه وصفا يميزها عندك عما يشاركها في الكتابية
وقوله اي الفريقين خير مقاما اي انحن ام اصحاب محمد فان المؤمنين والكافرين قد اشتركا في الفريقية فالواقع يتميز احدهما عن الآخر
والاصل الامر المشترك فيه معلوم وهو ما اضيف اليه اي خير مقاما مكانا او مكانة قياما وقرأ ابن كثير بضم الميم وهو موضع الاقامة والمنزل وقيل اي
خير اقامة على انه مصدر من اقام واحسن نديا اي مجلسا ومجتمعا والمعنى انهم اذا سمعوا الآيات الواضحات وعجزوا عن معارضتها قالوا اي
الفريقين من المؤمنين بالآيات والكافرين بها اوفر حظا من الدنيا حتى يجعل ذلك عيارا على الفضل والنقص والرفعة والضعة

استدلالا بذلك على فضلهم وحسن حالهم عند الله ولم يعرفوا ان ذلك تسجيل عليهم بقصور نظرهم وشهادة بقلة رويتهم وعقلهم وانهم الذين
لا يعلمون الا ظاهرا من الحيوة الدنيا ويروى ان المشركين كانوا يرجلون شعورهم ويدهنون ويتطيبون ويتزينون بالزين الفاخرة ثم
يدعون مفتخرين على فقراء المسلمين انهم اكرم على الله منهم ثم اخبرهم سبحانه بانه دمر كثيرا من القرون من هو اقوى منهم واغنى واوفر حظا الكثر
ينفقوا بتقدمهم ووفور حظوظهم فقال وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم احسن اثاثا ورئيا كم مفعول اهلكنا ومن بيان لابهامها اي كثيرا من القرون
اهلكنا وكل اهل عصر قرن لمن بعدهم لانهم يتقدمونهم وهم احسن في محل النصب صفة لكم ولو ترك هم لكان منصوبا وصفا له او مجرورا وصفا لقرن
والاثاث متاع البيت وقيل هو ما جد من الفرش والخرثي ما لبس منها ورث وانشد حسن بن علي الطوسي تقادم العهد
من ام الوليد بنا دهرا وصار اثاث البيت خرثيا ومنه حديث عمر اعطاه من خرثي المتاع يعني من سقطه ورديه وقال مقاتل اثاثا
اي لباسا وثيابا وقرأ قالون وابن ذكوان ريا بالتشديد على قلب الهمزة ياء لسكونها وانكسار ما قبلها ثم ادغمت او من الري الذي
هو النعمة والترفه والباقون رئيا وهو المنظر والهيئة فعل بمعنى مفعول من الرؤية كالطحن والخبز وقرئ ريئا على القلب كقولهم
راء في رأى وريا بحذف الهمزة ووجهه ان تخفيف المقلوب وهو ريئا بحذف همزته والقاء حركتها على الياء الساكنة قبلها وقرأ سعيد بن
جبير والضحاك وزيا من الزي وهو الجمع لان الزي محاسن مجموعة والمعنى احسن من هؤلاء ثم اخبر بان نعم الله على امثالهم مع تماديهم
في الضلالة وافراطهم في الجحود وتصميمهم على الكفر ليست بانه منه وتقريب وتفضيل على غيرهم وانما هي خذلان منه وتبعيد وتذليل ليزدادوا
بذلك بطرا ويتمادوا في المعاصي وينهمكوا في الهلاك فقال قل من كان في الضلالة ثم ثبت في الكفر والمعاصي فليمدد له الرحمن مدا فامهله بطول
العمر وفسحه بهواه اخرج الخبر في صورة الامر ايذانا بان امهاله مما ينبغي ان يفعله استدراجا وقطعا لمعاذيره كقوله انما نملي لهم ليزدادوا
اثما وكقوله اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر والنعم والعافية والمد في العمر احسان من الله تعالى وافضال يوجب عليهم الشكر والطاعة لكنهم
من امهالهم في الضلالة جعلوه ذريعة ومتسعا الى اتباع شهواتهم وبطرهم وازدياد كفرهم ومعاصيهم او فليمد الرحمن على انه دعاء بان يمهله
الله وينفس في مدة حياته وعلى هذا قوله فليمدد وارد على اصله لان الاصل في الدعاء ان يكون بلفظ الامر اذا رأوا ما يوعدون غاية المد وقيل
ان الذين في الضلالة امهلهم الله في ضلالتهم يعمهون عليها لا ينفكون عنها الى ان يروا ما يوعدون من عذاب الدنيا والآخرة والمراد بالضلالة
جهلهم وغلوهم في كفرهم او الداعيان لهم الى قولهم الذي قالوه او غاية قولهم والايتان اعتراض بينهما اي قالوا اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا حتى
اذا رأوا ما يوعدون اي لا يبرحون يقولون هذه المقالة ويتولعون به لا يتكلفون عنه الى ان يشاهدوا الموعود راي عين اما العذاب واما الساعة
تفصيل للموعود فانه اما العذاب في الدنيا وهو غلبة المسلمين عليهم وتعذيبهم اياهم قتلا واسرا واظهار الله دينه على الدين كله على ايديهم
واما يوم القيمة وما ينالهم فيه من الخزي والنكال فسيعلمون من هو شر مكانا من الفريقين بان عاينوا الامر على عكس ما قدروه وانهم شر مكانا
اذ لا مكان شر من النار ومن جهنم وهو جواب الشرط والجملة من الشرط والجزاء محكية بعد حتى فانها هي التي يحكى بعدها الكلام الحكي وجعلت
الشرارة للمكان ليفيد ثبوتها لاهله لانه اذا ثبت الامر في مكان الرجل وحيزه فقد ثبت له كما في قولهم المجد بين ثوبيه والكرم بين برديه
واضعف جندا اي فئة وانصارا قابل به احسن نديا لان مقامهم هو مكانهم ومسكنهم والندي المجلس الجامع لوجوه
قومهم واعوانهم وانصارهم ويزيد الله الذين اهتدوا هدى عطف على موضع فليمدد لانه في معنى الخبر تقديره من كان في الضلالة يمد
ويمد له الرحمن في ضلالته ويزيد المهتدين هداية وقيل عطف على الشرطية المحكية بعد القول كانه لما بين ان امهال الكافر وتمتيعه با
الحيوة الدنيا ليس لفضله اراد ان يبين ان قصور حظ المؤمن منها ليس لنقصه بل لان الله تعالى اراد به ما هو خير وعوضه منه والمراد
بالهدى الايمان والاعمال الصالحة والباقيات الصالحات اعمال الآخرة كلها وقيل الصلوات الخمس وقيل سبحان الله والحمد لله ولا اله
الا الله والله اكبر خير عند ربك ثوابا من مفاخرات الكفار والثواب الجزاء لانه نفع يعود الى المجزي وهو اسم من الاثابة او التثويب
وخير مردا اي مرجعا وعاقبة لان مآلها رضوان الله والنعيم الدائم ومآل هذه السخط والعذاب المقيم او منفعة من قولهم ليس لهذا
الامر مرد وهل يرد بكاي زندا والخير هاهنا لمجرد الزيادة ليس لمفاخراتهم ثواب حتى يكون ثواب الصالحات خيرا منه ويكون الاشتراك

فيه مكانه فيدخلونهم النار كقوله فاحتسبوا بالتصلي وقوله نجعلها جرتها الزميل نكون اصلا اذا راح المطي غرثانا وقوله تحية بينهم ضرب وجيع ثم
بين عليه ضربا ثم وهو تهكم هو ابلغ للمتهدد من ان يقال له عقابك النار وهو على اسلوب قولهم الصيف احر من الشتاء اي ابلغ في حره من الشتاء
في برده فلما قيل الصالحات في الثواب من خاصرتهم في العقل افرايت الذي كفر باياتنا وقال لاوتين مالا وولدا انزلت في العاص بن
وائل كان لخباب بن الارت عليه دين فتقاضاه وقال له لا حتى تكفر بمحمد فقال والله لا اكفر بمحمد حيا ولا ميتا ولا حين تبعث قال فاني
اذا مت بعثت قال نعم قال اذا بعثت جئتني وسيكون لي ثم مال وولد فاعطيك وقيل صاغ له خباب حليا فاقتضاه الاجر فقال انكم تزعمون
انكم تبعثون وان في الجنة ذهبا وفضة وحريرا فانا اقضيك ثم فاني اوتى مالا وولدا حينئذ ولما كانت رؤية الاشياء وشاهدتها
طريقا الى الاحاطة علما وصحة الاخبار عنها استعملوا ارايت بمعنى اخبر والفاء على اصلها الذي هو التعقيب والمعنى اخبر بقصة هذا الكافر واذكر
حديثه عقيب حديث اولئك وقرا حمزة والكسائي ولدا بضم الواو وسكون اللام وهو جمع ولد كاسد في اسد ويعني الولد كالعرب والعرب
وعن يحيى بن يعمر ولدا بكسر الواو وهو لغة في الولد اطلع الغيب ايضا اطلع الغيب من قولهم اطلع الجبل اذا ارتقى الى اعلاه وطلع الثنية قال
جرير لاقيت مطلع الجبال وعورا ويقولون مر مطلعا لذلك الامر اي عاليا له مالكا له يعني او قد بلغ من عظم شانه ان ارتقى الى علم الغيب الذي
توحد به الواحد القهار حتى ادعى ان يؤتاه في الاخرة مالا وولدا وتالى عليه ام اتخذ عند الرحمن عهدا او اتخذ من عالم الغيب عهدا بذلك
فانه لا يتوصل الى العلم به الا باحد هذين الطريقين علم الغيب وعهد من علام الغيوب وقيل العهد كلمة الشهادة وقال قتادة عملا صالحا قدمه
فهو يرجو بذلك ما يقول وانما سميا عهدا لان وعد الله بالثواب عليهما كالعهد الموثق عليه وعن الكلبي هل عهد الله اليه ان يؤتيه ذلك كلا
ردع وتنبيه على انه مخطئ فيما يصوره لنفسه ويتمناه سنكتب ما يقول اي سنظهر له ونعلمه انا كتبنا قوله على طريقة قوله اذا ما انتسبنا
لم تلدني لئيمة اوتبين وعلم بالانتساب اي لم تلدني لئيمة او سننتقم منه انتقام من كتب جريمة جريمة العدو وحفظها عليه فان نفي الكتبة
لا يتاخر من القول لقوله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد ونمد له من العذاب مدا اي ونطول له من العذاب ما يستاهله
ونعذبه بالنوع الذي يعذب به الكفار المستهزئون او نزيد له من العذاب ونضاعف له من المدد للكفرة واستهزائه ولذلك اكده بالمصدر دلالة
على فرط غضبه عليه يقال مده وامده بمعنى ويدل عليه قراءة علي رضي الله عنه ونمد له بضم النون ونرثه ما يقول من المال والولد وياتينا يوم
القيمة فردا بلا مال ولا ولد كان له في الدنيا فضلا ان يؤتى ثم زائدا او رافضا لهذا القول منفردا عنه غير قائل له وقال الزمخشري اي نزوي
عنه ما زعم انه يناله في الاخرة اي ننتفي عنه ما يقول او لا ننسى قول هذا ولا نلغيه بل نثبته في صحيفته لنضرب به وجهه في الموقف ونعيره به
وياتينا على فقره ومسكنته فردا من المال والولد لم نوله سؤله ولم نؤته متمناه فيجتمع عليه الخطبان تبعة قوله ووباله وفقد المطموع فيه وفردا حال مقدرة
على الوجوه كلها مثل فادخلوها خالدين اي وياتينا معدرا الانفراد من المال والولد وغير ذلك واتخذوا من دون الله الهة ليكونوا
لهم عزا اي يتعززون بالالهة حيث يكونون لهم وصلة الى الله تعالى وشفعاء عنده وانصارا ينقذونهم من العذاب كلا ردع لهم وانكار لتعززهم بها سيكفرون بعبادتهم اي يجحد الالهة عبادتهم ويقولون ما عبدتمونا وانتم كاذبون قال الله تعالى الذين اشركوا
فزيلنا بينهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون او سينكر المشركون لسوء العاقبة انهم
عبدوها القول ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين ويكونون عليهم ضدا يقال للواحد اذا فسر الضد بضد العز وهو
الذل والهوان اي ويكونون عليهم ذلا لا لهم عزا او يكونون عليهم عونا على معنى انها تكون معونتهم في عذابهم بان يوقد بها نيرانهم
وان جعلت الواو في سيكفرون ويكونون للمشركين فان المعنى ويكونون عليهم اي اعدائهم ضدا اي كافرين بهم بعد ان كانوا يعبدونها
وتوحيده توحيد قوله وانتم يد على من سواهم لاتفاق كلمتهم وانهم كشيء واحد لفرط تضامنهم وتوافقهم وقرا ابن نهيك كلا على اضمار
فعل يفسرها ما بعده اي سيجحدون كلا سيكفرون بعبادتهم اي كلا الالهة او كل واحد منها فهو من باب الاضمار على شريطة التفسير مثل
زيدا مررت بغلامه اي جزت زيدا مررت بغلامه وفي المحتسب ابن جني كلا بفتح الكاف والتنوين على قلب الالف نونا في الوقف قلب الف
الاطلاق في قوله من قول جرير اقلي اللوم عاذل والعتابن اوعلى معنى كل نهذا الرا د كلا المرتاى فقد علمت انا ارسلنا الشياطين على الكافرين بان

سلطناهم عليهم او قيضناهم لهم قرناء تؤزهم ازا تهزهم تغريهم على المعاصي وتهيجهم لها بالوساوس والتسويلات والمراد تعجيب رسول الله صلى الله
عليه وسلم من اقاويل الكفرة وتماديهم في الغي وافراطهم في العناد واصرارهم على الكفرة واجتماعهم على دفع الحق بعد وضوحه وانتفاء الشك عنه على
ما نطقت به الايات المذكورة من قبل فلا تعجل عليهم بان يهلكوا حتى تستريح انت والمسلمون من شرورهم وتطهر الارض من فسادهم يقال
عجلت عليه بكذا اذا استعجلته منه انما نعد لهم ايام اجالهم عدا والمعنى لا تعجل بهلاكهم فانهم لم يبق اليهم الا ايام محصورة وانفاس معدودة كانها
في سرعة تقضيها الساعة التي تعد فيها لو عدت ونحوه قوله ولا تستعجل لهم كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار وكان ابن عباس
اذا قراها بكى وقال اخر العدد خروج نفسك اخر العدد دخول قبرك وكان ابن السماك عند المامون فقراها فقال اذا كانت
الانفاس بالعدد ولم يكن لها مدد فما اسرع ما تنفد وقال الكلبي يعد الليالي والايام والشهور والاعوام يوم نحشر المتقين الى الرحمن اذكر
يوم نجمعهم الى ربهم الذي غمرهم برحمته وخصهم برضوانه وكرامته وفدا جمع وافد كما يفد الوفاد على الملوك منتظرين لكرامتهم عندهم وعن علي رضي الله عنه
ما يحشرون والله على ارجلهم ولكن على نوق رحالهم ذهب وعلى نجائب سروجها ياقوت واعلم ان الرحمن اسم تفرد به الباري تعالى ولفظ سدره
اخص ولذلك لا يسمى به غير الله تعالى والرحيم قد يطلق على غيره واجمعوا على ان اشتقاقهما من الرحمة ولكن اختلفوا فيها فقال كثير من المحققين
الرحمة من صفات الذات وهي ارادة ايصال الخير ودفع الشر وارادته تعالى ازلية فينبغي ان يكون المعنى يوم نحشر المتقين الى ربهم الذي اراد في
الازل ان ينعم عليهم بايصال الخير ودفع الشر فيما لا يزال وقال الاخرون هي من صفات الفعل وهي ايصال الخير ودفع الشر وعلى
هذا كان المعنى يوم نحشرهم الى ربهم الذي اعطاهم جلائل النعم ودقائقها بان جعلهم متقين اي مؤمنين فان الايمان هي النعمة وبه ينال جميع
السعادات الدنيوية والاخروية ورضا خالقها وقيل لاختيار هذا الاسم في هذه السورة شان ولعله لان مساق الكلام فيها لتعداد
نعم الجسام وشرح حال الشاكرين لها والكافرين بها وعن ابن عباس رضي الله عنهما ايضا وفدا ركبانا ونسوق المجرمين كما يساق
نعام الى جهنم وردا عطاشا فان من يرد الماء لا يرده الا لعطش او كالدواب التي ترد الماء وحقيقة الورد المسير الى الماء قال رؤي
ردي ردي ورد قطاة صما كدرية اعجبها برد الماء فتقمح والمراد ههنا العطاش فانظر الى عظمة اهل الايمان وحسن حالهم كيف يفدون
على الرحمن والى حقارة اهل الكفران وسوء مالهم كيف يساقون الى دار النيران مهانين مستخفين كانهم بهائم عطاش تساق الى الماء عطاش
تساق الى الماء نعوذ بالله الرحمن من الكفر والنيران ونسأله بوجهه الكريم ان يجعلنا من المتقين الوافدين اليه ابد الابدين وقرا
الحسن يحشر المتقون ويساق المجرمون لا يملكون الشفاعة الضمير فيه للعباد الدال عليه ذكر المتقين والمجرمين لانهم على هذه القسمة ويجوز
ان تكون علامة للجمع كما في اكلوني البراغيث والفاعل من اتخذ لانه في معنى الجمع الا من اتخذ عند الرحمن عهدا الا من اتخذ من التمكن فيها
لقوله لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن من عهد الى الامير في كذا اذا امره به وقيل الا من تحلى بما يستحق به وتيسر ان
يشفع العصاة من الايمان والعمل على ما وعد الله وهذا معنى ما قيل اتخاذ العهد الاستظهار بالايمان والعمل وقال ابن عباس العهد
هو قول لا اله الا الله ويدل عليه قوله اوفوا بعهدي اوف بعهدكم والمراد منه عهد الايمان بدليل قوله وامنوا بما انزلت مصدقا
لما معكم فانه تعالى ذكر العهد وهو مجمل ثم عقبه بالايمان علمنا ان المراد بذلك العهد هو الايمان وايضا قوله الا من اتخذ عند الرحمن
عهدا دال على ان تلك الشفاعة تحصل بعهد واحد وكل ما سوى الايمان لا يفيد هذا الحكم اجماعا فوجب ان يكون المفيد لهذا
الحكم هو عهد الايمان وقوله ومن اوفى بعهده من الله فاستبشروا فان هذا العهد من جانب العبد عهد الايمان والاقرار بالعبودية
ومن جانبه تعالى عهد كرم الربوبية وعن ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه ذات يوم ايعجز احدكم ان يتخذ كل صباح
ومساء عند الله عهدا قالوا وكيف ذلك قال يقول كل صباح ومساء اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة اني اعهد
اليك باني اشهد ان لا اله الا انت وحدك لا شريك لك وان محمدا عبدك ورسولك وانك ان لا تكلني الى نفسي تقربني من الشر وتباعدني
من الخير واني لا اثق الا برحمتك وجعل لي عندك عهدا توفينيه يوم القيمة انك لا تخلف الميعاد فاذا قال ذلك طبع عليه بطابع ووضع
تحت العرش فاذا كان يوم القيمة نادى مناد اين الذين لهم عند الرحمن عهد فيدخلون الجنة وليس للعهد ذكر في هذا الحديث فهو يؤتى

وافرين

السورة

قوله ابن عباس رضي الله عنهما ومحل من اتخذ رفع على البدل او الاستثناء على تقدير كون الواو ضميرا لانه مستثنى في كلام تام غير موجب او على الفاعلية
على ان الواو علامة للجمع او نصب على تقدير مضاف اي الا شفاعة من اتخذ والمراد لا يملكون ان يشفع لهم او على الاستثناء على ان يكون الواو
ضميرا وقيل الضمير للمجرمين والمعنى لا يملكون الشفاعة فيهم الا من اتخذ عند الرحمن عهدا يستعد به ان يشفع له بالاسلام وقالوا اتخذ الرحمن ولدا
الضمير للعباد فكلهم فان هذه المقالة لما كانت موجودة فيما بينهم صح اسناده الى الجميع كما يقال بنو فلان قتلوا فلانا
وانما القاتل رجل منهم ومنه قولهم بنو تميم فيهم شاعر مجيد او شجاع بطل او للمجرمين من اليهود والنصارى ومن زعم ان الملائكة بنات الله
سبحانه وتعالى عما يقولون وقرأ حمزة والكسائي ولدا بضم الواو وسكون اللام والباقون بفتح الواو واللام وهي لغتان بمعنى واحد كالعرب والعرب والعدم والعدم
لقد جئتم شيئا ادا على الالتفات من الغيبة الى الخطاب مبالغة في الزجر والتسجيل عليهم بالجراءة على الله والتعرض لسخطه وتنبيها على عظم ما قالوا
والاد بفتح الهمزة وكسرها العجب قال ابن خالويه وقيل العظيم المنكر الفظيع والادة الشدة وادني الامر وادني اثقلني وعظم علي في الصحاح
الاد والادة الداهية والامر الفظيع ومنه قوله تعالى لقد جئتم شيئا ادا وقرأ ابو عبد الرحمن السلمي آدا بهمزة ممدودة تكاد السموات قرأ نافع
والكسائي بالتذكير لان تأنيث السموات غير حقيقي والباقون بالتأنيث مراعاة للفظها يتفطرن منه وقرأ ابو عمرو وحمزة وابن عامر وابو
بكر ويعقوب ينفطرن من فطره اذا شقه والاول من الانفطار الانشقاق والباقون يتفطرن من فطره اذا شققه والتفطر التشقق فكان قيل
يكون يتشققن من قولهم واقدام اهل الشرك على تلك الشنعاء والتفعل ابلغ من الانفعال لما فيه من معنى التكثير ولان اصل التفعيل للتكثير
انسب بهذا المعنى لانه موضع مبالغة واستعظام كقولهم وقرأ ابن مسعود ينصدعن وتنشق الارض وتخر الجبال هدا مفعول مطلق اي تهد
هدا او حال اي مهدودة او مفعول له اي لانها تهد والمعنى ان الله تعالى يكاد يفعل ذلك بهذه الاجرام العظام عند وجود هذه الكلمة
غضبا منه على من تفوه بها لولا حلمه عن اهل الارض وانه لا يعاجلهم بالعذاب او اريد به الاستعظام للكلمة والتهويل من فظاعتها والتصوير
لاثرها في هدم الدين وقواعده وان مثال ذلك في المحسوسات ان يصيب هذه الاجرام التي هي قوام العالم ما تنفطر منه وتنشق وتخر وقيل ان يكون
المعنى ان السموات يسقطن عليهم وتنخسف الارض بهم وتنطبق الجبال عليهم من قولهم لله ولكن يبطل دلالتها على العظم المراد منها فكانه ابطل
وجودها واستمرارها وهو انفطارها وانشقاقها وخرورها فبقي دلالتها استعارة تمثيلية تبعية ان دعوا للرحمن ولدا منصوب
على انه علة لتكاد او لهدا بتقدير حذف اللام وافضاء الفعل اليه الفعل اي هدا لان دعوا علة الخرور بالهد والهد بدعاء الولد للرحمن
ونظيره في تداخل العلة قوله حزنا الا يجدوا ما ينفقون او مجرور باضمار اللام او بالابدال من الهاء في منه كقوله على حالة لو ان في القوم
حاتما على جوده لضن بالماء حاتم او مرفوع بانه خبره محذوف تقديره الموجب لذلك ان دعوا او فاعل هدا اي هدها دعاء الولد للرحمن
وهو من دعا بمعنى سمى المتعدي الى مفعولين فاقتصر على احدهما الذي هو الثاني طلبا للعموم والاحاطة بكل ما دعي له
ولدا ومن دعى بمعنى نسب الذي مطاوعه ادعى فخرج عليه السلام من ادعى الى غير مواليه اي من انتسب اليه وفي قول الشاعر انا بني
نهشل لا ندعي لاب اي لا ننتسب اليه وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا ينبغي مطاوع بغى اذا طلب اي لا يليق به اتخاذ الولد ولا يطلب
له لو طلب مثلا لانه محال غير مستقيم اذ لا يتأتى ولا يتصور في المعقول ان يكون ذاته كذات من يشاء منه الولد لان الولادة من خواص الاجسام
فكل ما يحدث ويصح وكذا كل مولود والله سبحانه وتعالى قديم الاول لوجوده وليس بجسم فحقيقته مخالفة لحقائق الاجسام والاعراض
وايضا السبب في اتخاذ الولد الحاجة لمن كان له الحاجة عنه منتفية كان اتخاذ الولد منه منتفيا وقيل لعل ترتيب الحكم بصفة الرحمانية للاشعار
بان كل ما عداه نعمة ومنعم عليه فلا يجانس من هو مبدأ النعم كلها ومولي اصولها وفروعها فكيف يمكن ان يتخذه ولدا ثم صرح به في قوله
ان كل من في السموات والارض اي ما منهم احد منهم ومن موصوفة لانها وقعت بعد كل نكرة ووقوعها بعده في قوله رب من
انضجت غيظا صدره الا آتي الرحمن عبدا الا وهو مملوك له يأوي اليه بالعبودية والانقياد وقرأ ابن مسعود وابو حيوة آت الرحمن
على اصله قبل الاضافة لقد احصيهم حصرهم بعلمه واحاط بهم بحيث لا يخرج احد منهم من حيطة علمه وقبضة قدرته وملكوته وعدهم عدا
وعد اشخاصهم وانفاسهم وافعالهم وجميع ما يتعلق بهم فلا يخفى عليه شيء من ذلك وفيها تنبيه على كمال علمه وقدرته وقال الزمخشري الذين اعتقدوا

فيه قوله ان خلقت السموات والارض والجبال وسائر الامور على ما قدرها الله تعالى عليه قبل ان لا فرق بين الولد والعبد فانهم اعتقدوا ان الله ولد

في الملائكة وعيسى وعزيرا منهم اولاد الله كانوا بين كفرين احدهما القول بان الرحمن يصح ان يكون والدا والثاني اشراك الذين زعموهم لله اولادا
في عبادته كما يخدم الناس ابناء الملوك خدمتهم لآبائهم فهدم الله الكفر الاول فيما تقدم من الآيات ثم عقبه بهدم الكفر الآخر والمعنى
ما من معبود لهم في السموات والارض من الملائكة والناس الا وهو يأتي الرحمن اي يأوي اليه ويلتجئ الى ربوبيته عبدا منقادا مطيعا خاشعا
خاشعا راجيا كما يفعل العبيد وكما يجب عليهم لا يدعي لنفسه ما يدعيه له هؤلاء الضلال ونحوه قوله اولئك الذين يدعون
يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه وكلهم متقلبون في ملكوته مقهورون بقهره وهو مهيمن عليهم محيط بهم
وبجمل امورهم وتفاصيلها وكيفيتهم لا يفوته شيء من احوالهم وكلهم وكل واحد منهم آتيه يوم القيامة فردا وحيدا ليس معه
من الدنيا شيء ومن هؤلاء المشركين احد منفردا من الاتباع والانصار فلا يجانسه شيء من ذلك حتى يكون له من جنسه صاحبة
فيتوالد ولا يناسبه ولا يشاركه ليشركه به ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات الايمان هو تصديق محمد صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من عند الله
تعالى فمن اوتي بهذا التصديق فهو مؤمن فيما بينه وبين الله تعالى والاقرار يحتاج اليه ليقف عليه الخلق فيجري عليه احكام الاسلام قال
الشيخ ابو المعين في التمهيد هذا هو المروي عن ابي حنيفة رضي الله عنه واليه ذهب الشيخ ابو منصور الماتريدي رحمه الله عليه وهذا
هو اصح الروايتين عن ابي الحسن الاشعري رحمة الله عليه ثم حرف العطف دليل التغاير بين الايمان والاعمال الصالحة وقصر اسم الايمان
على التصديق سيجعل لهم الرحمن ودا سيحدث لهم في القلوب مودة ويزرعها لهم منهم لاسباب بها من قرابة او صداقة او غير ذلك والسين
لان السورة مكية وكان المؤمنون حينئذ ممقوتين بين الكفرة فوعدهم ذلك اذا دجا الاسلام او لان الموعود يوم القيامة تحببهم الى خلقه
بما يعرض من حسناتهم وينشر من ديوان اعمالهم وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي رضي الله عنه يا علي قل اللهم اجعل
لي عندك عهدا واجعل لي في صدور المؤمنين مودة فانزل الله هذه الآية وعن ابن عباس ومجاهد يعني يحبهم الله ويحببهم الى
خلقه وعباده المؤمنين وعن النبي عليه السلام اذا احب الله عبدا قال لجبرائيل قد احببت فلانا فاحببه فيحبه جبريل ثم ينادي في اهل
السماء ان الله قد احب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء ثم يوضع له القبول في الارض وعن هرم بن حيان ما اقبل عبد بقلبه الى الله
تعالى الا اقبل الله بقلوب اهل الايمان اليه حتى يرزقه مودتهم وعن ابن سماك من اقبل على الله بقلبه اقبل عليه برحمته واقبل بجميع
وجوه الخلق اليه فانما يسرناه بلسانك يعني ذكرهم بهذا المنزل او بلغهم فانما يسرناه اي سهلناه حيث انزلناه عربيا بلغتك وهو اللسان العربي
المبين وقيل الباء بمعنى على او على اصله لتضمن يسرناه معنى انزلناه بلغتك لتبشر به المتقين المتصفين بالتقوى الثابتين عليه او الصائرين
اليه وتنذر به قوما لدا شدادا في الخصومة بالباطل آخذين في كل لديد شق من المراء والجدال لفرط لجاجهم يريد اهل مكة وهو جمع الد
وقال الحسن لدا صما عن الحق وقال مجاهد الالد الظالم الذي لا يستقيم وقال ابو عبيدة الالد الذي لا يقبل الحق ويدعي الباطل وكم اهلكنا
قبلهم من قرن اي كثيرا من القرون اهلكناهم بعد ان انذرهم انبياؤهم بآيات الله وحذرهم عذابه وتدميره فانك ان انت ايضا قومك وفيه
تخويف لهم وحث لرسول الله على انذارهم هل تحس منهم من احد هل تشعر باحد منهم وتراه وقرئ تحس من حسه اذا شعر به ومنه الحواس
والمحسوسات وقيل هل تجد منهم من احد او تسمع لهم ركزا وقرأ حنظلة تسمع مضارع اسمعت وقرأ طلحة هل تحس او تسمع بضم التاء
فيهما وكسر الحاء والميم كانه يريد هل يحس احد منهم شيئا او يسمع من نفسه حركة والركز الصوت الخفي ومنه ركز الرمح اذا غيب طرفه
في الارض والركاز المال المدفون وفي الحديث في الركاز الخمس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة مريم اعطي عشر حسنات بعدد
من كذب زكريا وصدق به ويحيى ومريم وعيسى وابراهيم واسحق ويعقوب وموسى وهرون واسمعيل وادريس وعشر حسنات بعدد
من دعا الله في الدنيا وبعدد من لم يدع الله سورة طه مكية وهي مائة واربع وثلثون آية بسم الله الرحمن الرحيم
قال ابو هريرة وانس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى قرأ طه ويس قبل ان يخلق آدم بالفي عام فلما سمعت الملائكة القراءة
قالوا طوبى لامة ينزل هذا عليها وطوبى لاجواف تحمل هذا وطوبى لالسن تتكلم بهذا رواه الطبراني وصاحب الفردوس وعن ابن عباس
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطيت السورة التي ذكرت فيها البقرة من الذكر الاول واعطيت طه وطواسين من الواح موسى واعطيت

فواتح القرآن وخواتيم السورة التي ذكرت فيها البقرة من تحت العرش واعطيت المفصل نافلة طه هو اسم من اسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل
احمد ويس ويدل على ذلك ما رواه الطبراني باسناده عن ابي الطفيل عامر بن واثلة عن النبي عليه السلام انه قال انا محمد وانا احمد
والفاتح والقاسم والحاشر والعاقب والماحي وطه ويس وتوثيقه قوله عليك القرآن لتشقى خطابا له وفخم الطاء وحده ابو عمرو لاستعلائه وامال
الهاء وفخمها ابن كثير وابن عامر وحفص ويعقوب على الاصل واما لهما الباقون وقرا الحسن طه على انه امر للنبي عليه السلام بان يطأ الارض بقدميه فانه كان يقوم في تهجده على احدى رجليه وان اصله طا فقلبت همزته هاء او قلبت في يطأ الفا كما يقال في هنا كهنا كه
قال لا هناك الموضع ثم بني عليه الامر وضم اليه هاء السكت فصار طه كما في قدوره وعلى هذا يجوز ان يكون اصل طه طأها والالف
مبدلة من الهمزة والهاء كناية الارض لكن يرد ذلك كتبتها على صورة الحروف وكذا التفسير بيا رجل وان يكتفي بشطري الاسمين وهما
الدالان بلفظهما على المسميين وقيل هو اسم من اسماء الله تعالى وقال الحسن ومجاهد وعطاء والضحاك معناه يا رجل بلسان السريانية
وقال عكرمة بلسان الحبشة وقال سعيد بن جبير بلسان النبطية وقال الكلبي معناه يا انسان بلغة عك وعنه ايضا يا رجل في لغتهم وانشد لشاعرهم
ان السفاهة طاها في خلائقكم لا قدس الله اخلاق الملاعين يعني يا رجل وهو ضعيف لجواز ان يكون طاها قسما مثل قوله عليه السلام حم
لا ينصرون وان صح فلعل اصله يا هذا فتصرفوا فيه بقلب الياء طاء وبحذف ذا وقال القرظي اقسم الله بطوله وهدايته وقيل الطاء من طاهر
والهاء من هادي ما انزلنا عليك القرآن لتشقى خبر طه ان جعلت اسماء للسورة او لله او للنبي او للقرآن ظاهر في موقع الضمير وجواب لها ان
كانت قسما او منادى له ان كانت نداء او استئناف ان كانت تعديدا للحروف على طريق التحدي او جملة فعلية او اسمية باضمار مبتدا والشقاء
يجيء بمعنى التعب ومنه اشقى من رائض مهر والمعنى ما انزلنا عليك القرآن لتتعب بفرط تأسفك على كفرهم وتحسرك على ان يؤمنوا انما
عليك ان تبلغ وتذكر بالتي هي احسن او ما انزلناه لتنهك نفسك بالعبادة وتذيقها المشقة الفادحة انما بعثت بالحنيفية
السمحة روي انه عليه السلام صلى بالليل حتى اسمغدت قدماه فقال له جبريل ابق على نفسك فان لها عليك حقا ويجوز ان يكون ردا وتكذيبا لهم على ما قيل ان ابا جهل والنضر بن الحارث قالا له انك شقي لانك تركت دين ابائك وان القرآن انزل عليك لتشقى به فاريد رد ذلك بان
دين الاسلام وهذا القرآن هو السلم الى نيل كل فوز والسبب في درك كل سعادة وما فيه الكفرة هو الشقاء بعينها وقرئ ما نزل عليك القرآن لتشقى
وقوله ما انزل الا تذكرة لمن يخشى نصب على الاستثناء المنقطع اي لكن تذكيرا او موعظة لمن يعلم الله منه ان يخشى بالتذكرة فانه المنتفع بها
وقيل لمن في قلبه خشية ورقة يتأثر بالانذار او على الحال من لتشقى اي ما انزلناه لتتعب في حال من الاحوال الا في حال التذكرة او على المفعول
له من انزلنا على ان لتشقى داخل في حيز النفي والا لم يجز لان الفعل الواحد لا يتعدى الى علتين اي ما انزلنا عليك هذا القرآن المتعب الشاق لعلة
من العلل الا لعلة واحدة وهي ان يكون تذكرة فهو استثناء من اعم العام في الحال وفي المفعول له وقيل حال من الكاف او القرآن او مفعول له على ان لتشقى
متعلق بمحذوف هو صفة للقرآن اي ما انزلنا عليك القرآن المنزل لتتعب بتبليغه ولا يجوز ان يكون نصبه على البدل من محل لتشقى لاختلاف الجنسين
فان التذكرة ليس جنس الشقاوة تنزيلا نصب باضمار فعله او بانه مفعول يخشى اي انزل الله تذكرة لمن يخشى تنزيل الله او نصب بانزلناه لان
معنى ما انزلناه الا تذكرة او على البدل من تذكرة اذا جعل حالا لا اذا كان مفعولا له لان الشيء لا يعلل بنفسه ولا بنوعه وقرئ تنزيل بالرفع
على خبر مبتدا محذوف ممن خلق الارض والسموات العلى مع ما بعده الى قوله له الاسماء الحسنى تفخيم لشأن المنزل لنسبته الى من هذه افعاله
وصفاته وذكرها على الترتيب العقلي فبدا بخلق الارض والسموات التي هي قوام العالم واصوله وفي لفظة خلق دلالة على ان العالم محدث مخترع
وليس بمتجوز لان الخلق والاحداث والاختراع بمعنى واحد وهو الاخراج من العدم الى الوجود وفي طي ذلك وصفه تعالى بانه واحد اذ لو كان للعالم
خالقان لوقع وخرب كما قال تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وفي ذلك وصفه بانه عالم قادر لان الخلق يستلزم العلم والقدرة لكونه موجودا
على غاية الاحكام والنظام وفي ذلك وصفه بانه حي سميع بصير مريد على ان بديهة العقل قاضية جزما بان حصول هذا العالم البديع
المنظوم سورة المؤسس على الاحكام والاتقان صفة لا يكون من موجد بدون هذه الصفات ولا يتصور ذلك من موات ولا عاجز ولا جاهل
وايضا لو لم يكن موصوفا بهذه الصفات لكان موصوفا باضدادها لانها لا تخلو عنها واضدادها نقائص من امارات الحدث فيجب تنزيه الله القديم عنها لان القديم

لا يكون محلا

لا يكون محلا للحوادث لان قيام الحادث بذات دليل حدوث تلك الذات وقدم الارض على السموات لتقدم خلق الارض قال ابن عباس ومجاهد
خلق الارض اولا ثم السماء بدليل قوله استوى الى السماء ولان الارض اقرب الى الحس واظهر عنده من السموات وايضا لو تقدمت السموات لفاتت
رعاية الفاصلة بتقديم صفتها والعلى جمع العليا تأنيث الاعلى والانتقال من التكلم الى الغيبة للافتنان في الكلام وما يعطيه من الروعة والاطناب
وتفخيم المنزل من وجهين اسناد انزاله الى ضمير الواحد العظيم الشأن ونسبته الى المختص بصفات الجلال والاكرام والتنبيه على انه واجب الايمان والانقياد له
من حيث انه كلام من هذا شأنه على ان هذه الصفات انما ساغت مع لفظ الغيبة ويجوز ان يكون انزلناه حكاية لكلام جبريل والملائكة النازلين معه
الرحمن على العرش استوى له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى اتبعها هذه الجمل لزيادة الدلالة على الكبرياء والعظمة
وانه مالك العرش العظيم ومدبر امر ملكوته وربوبيته وهو من المتشابهات عند المحققين قال القاضي الامام ابو زيد رحمه الله من المتشابه قوله تعالى الرحمن
على العرش استوى وسع كرسيه والكرسي اسم لما يجلس فيه والعرش ما يستقر عليه والاستواء عليه الاستقرار وفيه دلالة على العلو والعظمة
فقد وسع كرسيه السموات والارض وعلى عرشه حتى ان تعرج الملائكة اليه الا في يوم قدره خمسون الف عام ودلالة انه معلوم لقصد العباد اليه
بجوارحهم لكن بمكان واستقرار وهذا كله دلالة على الحدث فوجب ابتناء اصله على نفي حدثه وتوقف في محكم تأويله الى الله تعالى هذا الكلام منا غير
تغيير وقرا جناح ابن حبيش الرحمن بدلا من المجرور في ممن خلق وقيل ثم اي بعد خلق الارض والسموات اشارة الى وجه احداث الكائنات وتدبير امرها
بان قصد العرش واجرى منه الاحكام والنفاذ وانزل منه الاسباب على ترتيب ومقادير حسب ما اقتضته حكمته وتعلقت به مشيئته فقال الرحمن على العرش
الى قوله تحت الثرى ليدل بذلك على كمال قدرته وارادته ولما كانت القدرة تابعة الارادة وهي لا تنفك عن العلم عقب ذلك باحاطة علمه تعالى بجليات
الامور وخفياتها على سواء فقال وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى وان تجهر بذكر الله ودعائه فاعلم انه غني عن جهرك فانه يعلم السر واخفى
منه وهو ضمير النفس وفيه تنبيه على ان شرع الذكر والدعاء والجهر فيهما ليس لاعلام الله بل لتصوير النفس بالذكر ورسوخه فيها ومنعها عن الاشتغال
بغيره وهضمها بالتضرع والجوار ثم لما ظهر بذلك انه المستجمع لصفات الالوهية بين انه المتفرد بها والمتوحد بمقتضاها فقال الله لا اله
الا هو له الاسماء الحسنى ومن ممن خلق صلة لتنزيلا او صفة له وقوله الرحمن مرفوع على المدح اي هو الرحمن او على الابتداء واللام فيه للعهد خبره
الى من خلق وعلى العرش استوى خبره او خبر مبتدا محذوف ويجوز ان يكون مع الرحمن خبرين للمبتدا وقرئ الرحمن صفة لمن خلق فيكون على العرش
استوى خبر محذوف والاستواء على العرش كناية عن الملك لانه من لوازمه وتوابعه فيذكر اللازم ويراد به الملزوم وينتفع الكلام به في طبقة الفصاحة
ويجد السامع عند نفسه من الروعة والاستحسان ما لا يجده عند لفظ المكنى عنه وذلك ان مبنى الكناية على الانتقال من اللازم الى الملزوم والمراد
باللازم ههنا ما هو بمنزلة التابع والرديف كطول النجاد التابع لطول القامة في قولهم فلان طويل النجاد يريدون طويل القامة وان لم يكن له
نجاد قط ولما كان الاستواء على العرش التابع للملك في قولهم استوى فلان على العرش وهو سرير الملك وان لم يقعد على السرير البتة قالوه ايضا
لشهرته في ذلك المعنى ومساواته ملك في مؤداه وان كان اشرح وابسط وادل على صورة الامر واعلم ان ههنا فائدة جليلة لابد من بيانها
تكملة لتفسير هذه الآية فنقول ان صانع العالم تعالى وتقدس لا يوصف بكونه متمكنا في مكان والا لزم قدم مكان وقد دل الدليل القاطع
على ان لا قديم سوى الله تعالى وعليه الاتفاق من المتخاصمين وايضا اذا كان الله غير متمكن في الازل ولا في مكان ثا للعرش فلو تمكن في المكان
بعد ما خلقه او ما هذا العرش بعد ان اوجده واخرجه من العدم الى الوجود لتغير عما كان عليه ولحدثت فيه مماسته وتغير وقبول الحوادث من امارات
الحدث يجب تنزيه الله عن ذلك وايضا لو كان متمكنا في العرش فلا يخلو من ان يكون مقدار العرش يجب ان ينتقص منه ولم ينفصل
منه او يكون اكبر منه او اصغر منه والاقسام الثلاثة باسرها باطلة لانها توجب كونه تعالى متجزيا منقسما اي ذي اجزاء وابعاض بعضها متمكن على
العرش وبعضها غير متمكن وهو ينافي التوحيد وتوجب كونه محدودا اي ذي حد ونهاية وهو من امارات الحدث وثبوت شيء منها على القديم
محال واذا لم يكن في مكان لم يكن في جهة لا علو ولا سفل ولا غيرها لانها اما حدود او اطراف للامكنة او نفس الامكنة باعتبار عروض
الاضافة واستدل الخصوم بظواهر الموهمة بالتجسيم من الدلائل السمعية نحو قوله الرحمن على العرش استوى وقوله تعالى هل ينظرون الا ان يأتيهم
الله في ظلل من الغمام وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله أأمنتم من في السماء ان يخسف بكم الارض الى غير ذلك والجواب انها ظواهر ظنية لا تعارض

اليقينيات الدالة على نفي المكان والجهة ومهما تعارض دليلان وجب الجمع بينهما ما امكن فاما ان نصرفها على وجه من الصحيح من التاويل يليق بالربوبية ويوافق التوحيد ولا يناقض حجة الله تعالى العقل ولا يعارض ليس كمثله شيء فان هذه الاية محكمة لا يحتمل تاويلا وهي تنفي المماثلة بينه وبين شيء ما والمكان والتمكن فيه يماثلانه في القدر اذ حقيقة المكان قدر ما يتمكن فيه المتمكن لا ما فضل عنه وكان في الاية نفي المكان وما تمسكت به الخصوم ايات متشابهة محتملة لوجوه كثيرة غير ممكن حملها على ظواهرها واما ان نفوض تاويلها الى الله ولا نشتغل بذلك كما هو راي من يقف على الا الله وعليه اكثر السلف من ائمة الكبار من علماء الملة كما روي عن مالك واحمد الاستواء معلوم والكيفية مجهولة والبحث عنها بدعة وما كان مقصود الامامين الاجلين بذلك الا المنع من الجدال وقد احسنا حيث حسما بذلك باب الجدال وكذلك فعل جمهور السلف لان في فتح باب الجدال ضررا عظيما على اكثر عباد الله وقد روي ان رجلا سال عمر عن آيتين متشابهتين فعلاه بالدرة فلنرجع الى المقصود فنقول معنى قوله تعالى له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى ان جميع ما في السموات والارضين وغيره من الكائنات مختلفة به خلقا وملكا وعلما فهو يملك امورها ويدبرها ويجريها على حسب مشيته فلا يخفى عليه شيء منها والثرى هو التراب الندي وما تحته هو الصخرة التي تحت الارض السابعة قاله السدي وعن محمد بن كعب ما تحت الثرى ما تحت سبع الارضين وعن ابن عباس ان الارضين على ظهر النون والنون على بحر وراسه وذنبه يلتقيان تحت العرش وفي البحر صخرة خضراء خضرة السماء منها وهي الصخرة المذكورة في سورة لقمان وهي على قرن ثور والثور على الثرى وما تحت الثرى لا يعلم الا الله وذلك الثور فاغر فاه فاذا جعل الله البحار بحرا واحدا سالت في جوفه فاذا وقعت في جوفه يبست وقوله وان تجهر بالقول اي وان تعلن به فانه يعلم السر واخفى يعني فلا حاجة الى الجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى اي علمهما منه مستمر دائم وذلك ان علمه تعالى لتنزهه عن الزمان كما تنزه عن المكان باسره فالتغير على المعلوم لا على العلم ...
يلقيه الله في قلبك من بعد ولا تعلم انك ستحدث به نفسك وقال مجاهد السر العمل الذي يستره من الناس واخفى الوسوسة وقيل السر هو العزيمة واخفى ما يخطر على القلب ولم يعزم عليه وقيل السر ما اسررته الى غيرك واخفى ما اخطرته ببالك او السر ما اسررته في نفسك واخفى منه ما ستسره فيها وقال زيد بن اسلم ان اخفى فعل فقال اي يعلم اسرار العباد واخفى سره من عباده فلا يعلمه احد وقد مهد بان الشرط لا يلايم فوده على الوهمية بقوله الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى فان هو كناية عن غايب موجود والغايب عن الحواس الموجود في الازل هو الله تعالى وفيه معنى حسن وهو التعالي عن درك الحواس حتى استحق اسم الكناية عن الغايب من غير غيبة اي الذات الواجب الوجود الذي يكون وجوده من ذاته ولا يحتاج الى شيء اصلا هو المتوحد بالالهية المختص بالاسماء الحسنى تانيث الاحسن وصفت بها الاسماء لان حكمها حكم المؤنث كقولك الجماعة الحسنى ونظيرها مارب اخرى ومن آياتنا الكبرى وفضل اسماء الله في الحسن على سائر الاسماء لدلالتها على معاني التقديس والتمجيد والتعظيم والربوبية والافعال التي هي النهاية في الفضل والحسن على ان مسماها ابلغ من الحسن والفضل والشرف والعلو مما لا يكتنه كنهه ولا يحيط به الوصف وهل اتيك حديث موسى قفاه بقصة موسى ليأتم به في تحمل اعباء النبوة وتبليغ الرسالة والصبر على مقاساة الشدائد فان هذه السورة من اوائل ما نزل وقيل عنه قد في الاستفهام حاقه ولا اصل وهل فالمعنى او قد اتيك قصة موسى على التقرير وهو تحريض للحديث وتنبيه على انه ليس من علم رسول الله وانه عرفه بالوحي اذ راى نارا ظرف للحديث لانه حدث او المضمر اي حين راى فاعليه تا ركاه كيت وكيت او مفعول لاذكر روي انه استاذن شعيبا عليهما السلام في الخروج الى امه واخيه وخرج باهله فلما وافى وادي طوى وفيه الطور ولد له في الطريق ابن في ليلة شاتية مظلمة مثلجة وكانت ليلة الجمعة وقد ضل الطريق وتفرقت ماشيته ولا ماء عنده وقدح فصلد زنده فراى من جانب الطور نارا فقال لاهله امكثوا اقيموا في مكانكم الجمع عنها بالاهل اني آنست نارا ابصرتها ابصارا لا شبهة فيه وقيل الايناس ابصار ما يونس به لعلي آتيكم منها بقبس شعلة من النار والقبس قطعة من النار تقتبس في راس عود او فتيلة او غيرهما ومنه قيل المقبسة ما تقتبس فيه من شعلة او غيرها او اجد على النار هدى او اجد عند النار هاديا يهديني الطريق ويدلني عليه او يهديني ابواب الدين لان افكار الابرار مغمورة بالهمة الدينية متوجهة اليها في جميع احوالهم

لا يشغلهم عنها شاغل ولما كان الاتيان بهما متحققا حققهم بان على التاكيد والتحقيق ليوطن انفسهم عليه ولما كان الاتيان بالقبس ووجود الهدى مترقبين من الامر فيهما على الرجاء والطمع ولم يقطع ومعنى الاستعلاء في على النار ان اهلها مشرفون عليها ومنه قول الاعشى وبات على النار الندى والمحلق او مستعلوة المكان القريب منها كما قال سيبويه في مررت بزيد انه لصوق بمكان يقرب من زيد فلما اتاها اي النار نودي يا موسى اني انا ربك قرا ابو عمرو وابن كثير اني بالفتح اي باني وكسر الباقون باضمار القول اي نودي فقيل يا موسى او باجراء النداء مجراه وتكرير الضمير لتاكيد الدلالة وتحقيق المعرفة واماطة الشبهة روي ان موسى لما نودي قال من المتكلم قال الله اني انا ربك فوسوس اليه ابليس لعلك تسمع كلام شيطان فقال انا عرفت انه كلام الله باني اسمعه بجميع جهاتي الست بجميع اعضائي وعن وهب لما نودي اجاب سريعا ما يدري من دعاه فقال اني اسمع صوتك ولا ادري مكانك فاين انت قال انا فوقك ومعك وامامك وخلفك واقرب اليك من نفسك فعلم ان ذلك لا ينبغي ان يكون الا لله تعالى وروي انه لما اتاها راى شجرة خضراء من اسفلها الى اعلاها كانها نار بيضاء تتقد فوقف متعجبا من شدة ضوء تلك النار وسمع تسبيح الملائكة وراى نورا عظيما فخاف وبهت فالقيت عليه السكينة والطمانينة ثم نودي وكانت الشجرة سمرة خضراء قاله ابن مسعود وقيل كانت من العوسج وقيل من العليق وقيل كانت شجرة العناب قاله ابن عباس رضي الله عنهما وروي كلما دنا او بعد لم يختلف ما كان يسمع من الصوت وعن ابن اسحق لما دنا استاخرت عنه فلما راى ذلك رجع واوجس في نفسه خيفة فلما اراد الرجعة دنت منه ثم كلم فاخلع نعليك امره بخلعهما لان الحفوة تواضع لله ولذلك طاف السلف بالكعبة حافين وقيل لنجاسة نعليه فانهما كانتا من جلد حمار ميت غير مدبوغ روي ذلك عن قتادة والسدي وقيل ليباشر الوادي بقدميه متبركا به وقيل ذلك احترام للبقعة وتعظيم لها وتنزيه لقدسها وروي انه خلع نعليه والقاهما من وراء الوادي وقيل معناه فرغ قلبك من الاهل والمال وقيل فيه رمز الى ترك الدنيا والآخرة وعدم الالتفات اليهما انك بالواد المقدس تعليل الامر باحترام البقعة كانه قال فاخلع نعليك لانك بالواد المقدس كذا قيل وفيه نظر وتقريره ان ان الواقعة بين الكلامين لتعليل الاول بالثاني وهو واقع في الكتاب والسنة واما كونها للتعليل بتقدير اللام فبعيد عن الصواب لانه انما يكون في ان بالفتح والمقدس المطهر والمتبرك من السوء طوى بدل من الوادي او عطف بيان له ونونه ابن عامر والكوفيون على انه اسم للمكان والباقون قرؤوا بغير تنوين على انه اسم للبقعة فلم ينصرف للتعريف والتانيث او للتعريف والعدل لانه كان معدولا عن طاو كعمر عن عامر وقيل هو مثل ثني من الطي يقال ناديتهم طوى وثنى مرتين فعلى هذا يكون مصدرا لنودي او المقدس اي نودي نداءين او قدس الوادي كرة وقرئ طوى بكسر الطاء مع التنوين وعن الجحدري من طريق الحلواني طوي بضم الطاء وتشديد الياء مع الرفع والتنوين مع المقدس الطوى بكسر الطاء المنونة وانا اخترتك اصطفيتك للنبوة وقرا حمزة وانا اخترناك نصرا به الى التعظيم روي ان حمزة قرا القران على الله في المنام وفي وصل الى ههنا قال نادت اودي فقال يا حمزة قل وانا اخترناك فاستمع لما يوحي ما موصولة او مصدرية واللام متعلق باستمع او باخترتك انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني بدل من ما يوحي دال على انه مقصور على علم المبدا والمعاد وما يتعلق بهما وقوله فاعبدني اي فخصني بالعبادة والتوحيد ولا تشرك بعبادتي احدا واقم الصلوة من عطف الخاص على العام لذكري لتذكرني فان ذكري ان اعبد ويصلي لي او لتذكرني فيها لاشتمال الصلوة على الاذكار وهو ما قال مجاهد او لاني ذكرتها في الكتب وامرت بها او لان اذكرك بالمدح والثناء او لان تذكر بالثناء واجعل لك لسان صدق او لذكري خاصة لا تشوبه بذكر غيري او لاخلاص ذكري وطلب وجهي لا ترائي بها ولا تقصد بها غرضا آخر او لتكون لي ذاكرا غير ناس فعل المخلصين في جعلهم ذكر ربهم على بال منهم وتوكيل هممهم وافكارهم به كما قال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ويجوز ان يكون اللام لام التاريخ بمعنى في كما في قوله تعالى يا ليتني قدمت لحياتي وقولك جئتك لوقت كذا وكان ذلك لعشر ليال خلون من رمضان اي في اوقات ذكري وهي مواقيت الصلوة كقوله ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا وقيل لذكر صلوتي لما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من نام عن صلوة او نسيها فليصلها اذا ذكرها لا كفارة لها الا ذلك وقرا رسول الله للذكرى ان الساعة آتية اكاد اخفيها اي الساعة كائنة لا محالة اريد اخفاها وقيل من التطوع وقطع الاعذار لما فيه به او الكاد اظهرها من اخفاه اذا سلب خفاه وتعضده قراءة ابي الدرداء وسعيد بن جبير اخفيها بفتح الهمزة من خفاه اذا اظهره اي قرب اظهارها كقوله

اقتربت الساعة وقد جاء اخفاه بمعنى خفاه كما في قول امرئ القيس فان تدفنوا الداء لا نخفيه والجمهور على ان معناه اكاد اخفيها من نفسي كما في مصحف
عبد الله ومصحف ابي وفي بعض المصاحف اكاد اخفيها من نفسي فكيف اظهركم عليها وقيل اكاد صلة والمعنى ان الساعة آتية اخفيها لتجزى
كل نفس بما تسعى متعلق بآتية او باخفيها على المعنى الخبر وما مصدرية اي بسعيها او موصولة والعائد اليه محذوف اي بالذي تعمل من خير وشر كما
قال فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فلا يصدنك عنها فلا يصرفنك عن تصديق الساعة او عن الصلوة
من لا يؤمن بها نهي الكافر ان يصد موسى عنها والمراد نهي موسى عن التكذيب بها وامره بالتصديق بها على اطلاق السبب وارادة المسبب
فان صد الكافر عن التصديق بها سبب للتكذيب او على العكس فان صد الكافر انما هو بسبب ضعف اعتقاده في الدين فذكر المسبب الذي
هو الصد واريد السبب الذي هو الضعف فكانه قيل لا تكن رخوا في الدين لين الشكيمة ضعيف العقيدة فيه فيصدك عنه الكافر ونظيره قولهم
لا ارينك ههنا فان المراد نهيه عن مشاهدته والكون بحضرته وذلك سبب رؤيته اياه فذكر المسبب وهو عدم رؤيته ومشاهدته ليدل على
السبب وهو رؤيته والصد عنه المنع واتبع هواه مراده المبني على ميل النفس الذي لا يعضده برهان سماوي ولا دليل عقلي وقيل
ميل نفسه الى اللذات المحسوسة المخدجة فتردى فتهلك بالانصداد بصده وقرأ يحيى بن وثاب فتردى بضم التاء وقرأ الاعمش
بكسر التاء على لغة تميم وما تلك بيمينك ما استفهامية وهي مبتدأ خبره تلك اشارة الى العصا وبيمينك في موقع الحال اي ما التي قارة او مأخوذة
بيمينك كقوله وهذا بعلي شيخا فان حال يعمل فيها معنى الاشارة وجوز ان يكون تلك موصولة صلته بيمينك وقيل قال بيمينك ولم يقل بيدك لانه كان في
يساره خاتم ولو اجمل لحصل الريب والاشتباه وقد كان ما هذه استفهامية والاستفهام سؤال الفهم وطلبه وهو على الله عالم الغيب والشهادة محال
اختلفوا فيه فقال الجمهور انه سأله ليبسطه ويقلل هيبته الحاصلة من استماع ذلك الكلام الذي لم يشبه كلام الخلق ومشاهدة تلك النار
وتلك الشجرة وسماع تسبيح الملائكة وقيل لينبهه ويوقفه على انها خشبة حتى اذا قلبها حية لا تخافها واعلم انه معجز عظيم وقيل لوجهين الاول ان
يريه عظم ما يخترعه عز وعلا في الخشبة اليابسة من قلبها حية نضناضة وليقرر في نفسه المباينة البعيدة بين المقلوب والمقلوب اليه
وينبهه على قدرته الباهرة كما يريك الزراد زبرة من حديد ويقول لك ما هي فتقول زبرة حديد ثم يريك بعد ايام لبوسا مسردا فيقول لك هي تلك
الزبرة صيرتها الى ما ترى من عجيب الصنعة وانيق السرد الثاني انه يعدد المنافع الكثيرة المتعلقة بالعصا ويستعظمها ثم يريه منفعة اعظم منها
كانه يقول اين انت عن هذه المنفعة العظمى والمأربة الكبرى المنسية عندها كل منفعة ومأربة كنت تعتد بها وتحتفل بشانها يا موسى تكرير
لزيادة الانبساط والاستئناس وازالة تلك الهيبة والوحشة ومن ثم زالت بذلك الطيب في الجواب قال هي عصاي بسط الكلام بذكر المسند اليه
اما لزيادة الاهتمام من جانبي بشانه او افتراضا لان اصل السامع مطلوب والا كان الجواب يتم بمجرد ان يقول عصاي او وهما لان السؤال
بما تلك عن ماهية المسمى اي حقيقته التي هو بها هو كقولك ما زيد تعني ما حقيقة مسمى هذا اللفظ فيجاب بانه انسان لا غير وقيل السؤال
عن الماهية النوعية التي لتلك العصا المنحصرة في شخصها الممتازة عن سائر انواع العصا بما فيها من الروحانية التي هي منشأ العجائب
فموسى عليه السلام اتى ببيان تمام الجواب فضلا عن الزيادة ورد هذا القول بان تلك الخواص التي هي العوارض يخلقها الله تعالى في فرد
من افراد العصا مساو لسائر الافراد في تمام الماهية ليتحقق معنى الاعجاز واظهار كمال القدرة وقيل كان المراد بالسؤال عن الجنس
اظهار ماهيتها بصفاتها ليظهر المباينة البعيدة بين المقلوب عنه والمقلوب اليه وهذه القدرة الباهرة فلما فطن موسى لذلك
اجاب بانه خشبة من جنس العصا متصفة بما يتصف به افراد جنسها من الاتكاء عليها والهش بها وما يناسبها فليس هنا كان بسط الافتراض
الذي ربما يعده جراءة في تلك الحضرة فعلى هذا يكون البسط لما ذكرنا من زيادة الاهتمام بشانه وروي عن ورش عصاي بسكون الياء
وقرأ ابن ابي اسحق عصي على لغة هذيل ونظيره يا بشري اراد ذو الكسرة قبل ياء المتكلم فلم يقدروا عليه فقلبوا الالف الى اخت الكسرة وقرأ الحسن
عصاي بكسر الياء لالتقاء الساكنين كقراءة حمزة بمصرخي وعن ابن ابي اسحق سكون الياء اتوكأ عليها اعتمد عليها اذا اعييت او وقفت على
راس القطيع وعند الطفرة واهش بها على غنمي هش الورق خبطه اي اخبط على رؤس غنمي كما في كلام وعن لقمان بن عاد اكلت حقا وابن لبون
وجذع وهشة تحت وسيل دفع والحمد لله من غير شبع وقيل معنى اهش بها اضرب بها الشجر فيسقط ورقه فيأكل الغنم وقرأ النخعي

ذنبها

استماع

اهش

٢٧

اهش وكلاهما من هش الخبز يهش اذا انكسر لهشاشته وقرأ عكرمة اهس بالسين اي انحى عليها زجرا لها والهس زجر الغنم وعن مجاهد
ههوا هوش من هاش ان صح ذلك عنه وقرأ الحسن وابو عمرو على غنمي ساكنة النون ولي فيها مآرب اخرى حاجات اخرى جمع مأربة
بفتح الراء وضمها ولم يقل اخر رعاية للفاصلة قالوا انما اجمل موسى ليسأله ربه عن تلك المآرب فيزيد في الكرامة ويسمع كلامه مرة اخرى ويزيد
بطول المكالمة بذلك وانقطع لسانه بالهيبة والدهشة فاجمل وقالوا اسم العصا نبعة وقيل في المآرب انه كان يحمل عليها زاده وسقاءه
فجعلت تماشيه وتحدثه وكان يضرب بها الارض فيخرج ما يأكل يومه ويركزها فيخرج الماء فاذا رفعها غار ويركزها فتورق وتحمل اية ثمرة
اشتهى واذا اراد الاستقاء من البئر ادلاها فطالت الى الماء وتصير شعبتاها دلوا فيستقي بها وتكونان شمعتين بالليل واذا ظهر عدو
حاربت عنه وكان تقيه الهوام وتطردها وكانه عليه السلام فهم ان المقصود من السؤال ان يذكر حقيقتها وما يرى من منافعها حتى اذا
راها بعد ذلك على خلاف تلك الحقيقة ووجد منها خصائص اخرى خارقة للعادة علم ان ذلك آيات باهرة ومعجزات قاهرة احدثها الله
تعالى لاجله وليست من خواصها فذكر حقيقتها ومنافعها مفصلة ومجملة على معنى انها من جنس العصا تنفع منافع امثالها ليطابق
جوابه الغرض الذي فهمه وقيل كانت لها شعبتان ومحجن فاذا طال القصر جناه بالمحجن واذا طلب كسره لواه بالشعبتين واذا سار القاها
على عاتقه فعلق بها ادواته من القوس والكنانة والحلاب وغيرها واذا كان في البرية ركزها وعرض الزندين على شعبتيها والقى عليها الكساء
واستظل واذا قصر رشاؤه وصله بها وكان يقاتل بها السباع عن غنمه قال القها يا موسى فالقاها اطرحها فطرحها والالقاء
والطرح والنبذ بمعنى واحد فاذا هي حية تسعى اي تمشي بسرعة وخفة حركة قيل لما القاها انقلبت حية صفراء بغلظ العصا ثم تورمت
وعظمت فلذلك سماها جانا تارة نظرا الى اول حالها وثعبانا باعتبار مآلها ومنتهاها وحية اخرى بالاسم الذي يعم الصغير
والكبير والذكر والانثى وقيل كانت في ضخامة الثعبان وسرعة حركة الجان وهو الدقيق من الحيات والدليل عليه قوله فلما رآها تهتز
كانها جان قال خذها ولا تخف قيل كان لها عنق وعرف كعرف الفرس وعيناها تتقدان كالنار وكان بين لحييها اربعون ذراعا
ويسمع لاسنانها صريف فلما رأى ذلك فزع ونفر كما هو طبع الجبلة البشرية وانه لا يكاد يمكن المخلوق مثله عند الاهوال والمخاوف
وعن ابن عباس ومحمد بن اسحق انقلبت ثعبانا ذكرا يبتلع الصخر والشجر فلما رآه يبتلع كل شيء خاف ونفر وعن بعضهم انما خاف لانه
عرف ما لقي آدم منها حين دخل ابليس فيها ووسوسه حتى اخرجه ولما قال له ربه لا تخف بلغ من ذهاب خوفه وطمأنينة نفسه ان ادخل
يده في فمها واخذ بلحييها سنعيدها سيرتها الاولى هيئتها وحالتها السابقة والسيرة من السير كالركبة من الركوب يتجوز بها للطريقة
والمذهب والهيئة فاصلها حالة السير وانتصابها على الظرف اي سنعيدها في طريقتها الاولى اي في حال ما كانت عصا او على
المفعول المطلق باضمار فعلها اي سنعيدها بعدما ابها تسير سيرتها الاولى فتكون خشبة تنتفع بها بالاتكاء عليها والهش
بها وغيرهما من المآرب التي عرفتها او على نزع الخافض كقوله واختار موسى قومه او المفعول الثاني له على ان اعاد منقول من عاد اليه
كما في قول زهير يعاد كان تلاقيها عداها وقرأ اليماني وابو البرهسم سيرتها الاولى واضمم يدك الى جناحك الى جنبك تحت العضد يقال
لكل ناحيتين جناحان كجناحي العسكر لمجنبتيه الميمنة والميسرة استعارة من جناحي الطائر سميا جناحين لانه يجنحهما اي يميلهما
عند الطيران وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان المراد بالجناح الصدر وبعض الاول قوله تخرج بيضاء نيرة مشرقة يكاد شعاعها يغشي الابصار
من غير سوء من غير رداءة وقبح كني بالسوء عن البرص كما كني بالسوأة عن العورة لان الطباع تعافه وتنفر عنه وكان جذيمة صاحب الزباء
ابرص فكنوا عنه بالابرش روي انه كان آدم فادخل يده اليمنى تحت ابطه واخرجها بيضاء لها شعاع كشعاع الشمس يغشي البصر ويبس
الافق آية اخرى معجزة ثانية وهي حال من ضمير تخرج كبيضاء او من ضميرها او مفعول باضمار نحو خذ ودونك وقرأ ابو البرهسم والجاني
تخرج بالتاء والبناء للمفعول لنريك من آياتنا الكبرى بهذا المفضل اي خذ هذه الآية ايضا بعد قلب العصا حية لنريك بها تين الآيتين
بعض آياتنا الكبرى او بما دل عليه آية والقصة اي دللنا بها بعد ذلك افعلنا ذلك لنريك من آياتنا الآية الكبرى دليله
ابن عباس من كان يد موسى اكبر آية وقد يناقش فيه بانه ليس في اليد الا تغير اللون واما العصا ففيها تغير الذات والآثار فهي اكبر من اليد

قطعها وصلو ويمكن ان يقال دفعا ان زيادة البكر عنده ليست بزيادة التغير بل يجب للافضلية والاغربية وعدم التغير والتطاير اما الافضلية فلا كلام فيها واما الاغربية وعدم الشبه فلان يد موسى لم يشبهه يد من ايد الناس في البياض والنور والشعاع الغالب على شعاع الشمس على ما قد روي ارى فرعون يده وقال ما هذه فقال يدك ثم ادخلها جيبه وعليه مدرعة صوف ونزعها فاذا هي بيضاء بياضا نورانيا غلب شعاعها شعاع الشمس وكان عليه السلام شديد الادمة على ان يده يد نبي الله ورسوله وهو اعظم واجل من العصا وما ظهر في يد مثله من خرق العادة اعظم وافضل مما ظهر في نحو العصا مما هو خارج عن العادة وان كان من الايات الباهرة والمعجزات القاهرة اذهب الى فرعون بهاتين الايتين وادعه الى العبادة انه طغى جاوز الحد في العصيان والتكبر قال رب اشرح لي صدري ويسر لي امري لما امره بالذهاب الى فرعون الطاغي القايل بكلمة انا ربكم الاعلى عرف انه كلف امرا جسيما وخطبا عظيما فسأل ربه ان يشرح صدره ليتحمل اعباء الرسالة ومشاق التكليف والتبليغ ورد اخلاق فرعون وان يسهل عليه امره الذي هو خلافة الله في ارضه وما يصاحبها من اجراء احكامه وتبليغ رسالته كما هو حق ذلك وقد عدوا لي من الاطناب وكان الاصل رب اشرح صدري والنكتة في هذا الاطناب انه يفيد زيادة تاكيد الطلب لانشراح الصدر رعاية المقام من كمال الاحتياج الى ذلك اما الاول فلما في الاجمال ثم التفصيل من زيادة التاكيد والتقرير واما الثاني فلان هذا الدعاء كان وقت ارساله الى كفرة معاندين وفيه من تلقي المكاره وضروب الشدائد ما لا يخفى وقيل في ابهام المشروح والميسر اولا ثم رفعه بذكر الصدر والامر تاكيد ومبالغة واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي فان التبليغ احسن من البليغ وكان في لسانه رتة من جمرة ادخلها فاه وذلك ان موسى كان في حجر فرعون فلطم اللطمة واخذ بلحيته ونتفها وفي رواية كان يلعب بين يدي فرعون وبيده قضيب فضرب به راس فرعون فغضب وامر بقتله فقالت اسية انه صبي لا يعقل جربه ان شئت فجاء بطشتين في احدهما الجمر وفي الاخر الجوهر فوضعتهما بين يدي موسى فاراد ان ياخذ الجوهر فاخذ جبريل يده فوضعها في النار فاخذ جمرة فوضعها في فيه فاحرق لسانه وصار عليه عقدة وكان تبيض يده لكان يد ذلك وروي ان يده احترقت واجتهد فرعون في علاجها فلم تبرأ ولما دعاه قال الى اي رب تدعوني قال الى الذي ابرأ يدي وقد عجزت عنها وعن بعضهم انما لم تبرأ يده لئلا يدخلها مع فرعون في قصعة واحدة فتنعقد بينهما حرمة المواكلة واختلف في زوال العقدة بكمالها فمن قال به استدل بقوله قد اوتيت سؤلك ومن قال ببقاء بعضها تمسك بقوله هو افصح مني لسانا وقوله ولا يكاد يبين وقوله عليه السلام في رتة لسان الحسين بن علي رضي الله عنهما ورثها من عمه موسى واجاب عن الاول بانه لم يسال حل عقدة لسانه مطلقا بل عقدة تمنع الافهام ولذلك نكر العقدة ولم يقل عقدة لساني وجعل يفقهوا جواب الامر ومن لساني صفة للعقدة كانه قيل من عقد لساني او صلة لاحلل واجعل لي وزيرا من اهلي هرون اخي يعينني على ما كلفتني واشتقاق الوزير من الوزر وهو الحمل الثقيل لانه يحمل الثقل عن ملكه او من الوزر وهو الملجأ لان الملك يعتصم برايه ويلتجي اليه في اموره او من الموازرة وهي المعاونة وقيل اصله ازير من الازر وهو القوة فعيل بمعنى مفاعل كالعشير والجليس والخليل والقعيد والنديم والتديم فقلبت همزتها الى الواو وكقلبها في موازر ومؤازر واخوات ومفعولا اجعل وزيرا وهرون قدم ثانيهما على اولهما عناية بمن الوزارة ولي صلة او حال اولي وزيرا مفعولاه وهرون عطف بيان للوزير او من اهلي ولي تبيين كقوله ولم يكن له كفوا احد اخي على الوجوه بدل من هرون او عطف بيان للوزير او مبتدا خبره اشدد به ازري واشركه في امري على لفظ الامر وقراهما ابن عامر اشدد بلفظ الخبر على انهما جواب الامر وفي مصحف ابن مسعود اخي واشدد وعن ابي بن كعب اشركه في امري واشدد به ازري اي قوتي ومنه آزره اذا قواه اي اجعله شريكي في الرسالة وقرا الحسن بن ميع عمر واشركه بهمزة الوصل كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا كي نتعاون على عبادتك وذكرك فان التعاون يهيج الرغبات ويؤدي الى تزايد الخير وتكاثره وقال الكلبي كي نصلي لك كثيرا ونحمدك ونثني عليك بما اوليتنا من نعمك انك كنت بنا بصيرا عالما باحوالنا وبان التعاون مما يصلحنا وان هرون نعم المعين والشد لعضدي بانه اكبر مني سنا وافصح لسانا وكان اكبر من موسى باربع سنين او بسنة على اختلاف الروايات قال قد اوتيت سؤلك يا موسى السؤل الطلبة فعل بمعنى مفعول اي مسؤلك كالخبز والاكل بمعنى المخبوز والماكول والامتنان

الاعطاء وقرا ابن قطيب قد اعطيت ولقد مننا عليك مرة اخرى انعمنا عليك في وقت آخر اذ اوحينا الى امك على لسان نبي في وقتها او ملك لا على وجه النبوة كما اوحينا الى مريم او بطريق الالهام او في المنام ما يوحى ما لا يعلم الا بالوحي او ما يجب ان يوحى ولا يخل به لانه امر عظيم لا سبيل الى معرفة المصلحة فيه الا بالوحي ان اقذفيه في التابوت ان مفسرة بمعنى اي لان الوحي بمعنى القول ويجوز ان يكون مصدرية على حذف الباء اي بان اقذفيه على معنى طلب حصول القذف لان مجرد معنى المصدر ليس بمراد فاقذفيه في اليم القذف يجيء بمعنى الالقاء والوضع ومنه قوله تعالى وقذف في قلوبهم الرعب وكذلك الرمي كقوله تعالى ويقذفون بالغيب اي حصل فيه الحس ووضعه فيه وبمعنى الرمي والازالة ومنه قولهم الحرم التي هي من ماء العنب اذا غلا واشتد وقذف بالزبد اي رماه وازاله فالكيفيتان عنه وسكن فليلقه اليم بالساحل لما علم في حفظه وسلامته لزواله ودلالة على عظيم اقتداره وان البحر مع عظمته وهيبته على الغرق من غير ريب وهو المجاز الذي سمي ليطل الامر ويتمثل رسمه وشوعليه التمثيل ها في الطرفين من اعتبار التركيب وقيل استعارة مكنية وليس بذلك كما لا يخفى على من له قدم راسخ في صنعة البيان وعليك ان تجعل الضماير كلها لموسى وان يتنافر عليك النظم الذي هو ام اعجاز القرآن والقانون الذي عليه التحري ومراعاته اهم ما يجب على المفسر والمقذوف في البحر والملقى الى الساحل وان كان التابوت بالتوى موسى بالعرض باخذه عدو لي وعدو له جواب فليلقه وتكرير عدو للمبالغة لان الاول باعتبار الواقع والثاني باعتبار المتوقع روي انها جعلت في التابوت قطنا محلوجا فوضعته فيه وجصصته وقيرته ثم القته في اليم وكان يشرع منه الى بستان فرعون نهر كبير فبينا هو جالس على راس بركة مع آسية اذا بالتابوت فامر به فاخرج ففتح فاذا صبي اصبح الناس وجها فاحبه عدو الله حبا شديدا لا يكاد يصبر عنه كما قال والقيت عليك محبة مني اي محبة كائنة مني قد زرعتها انا في القلوب فلذلك احبك فرعون ومن ابصرك يروى انه كانت على وجهه مسحة جمال وفي عينيه ملاحة لا يكاد يصبر عنه من رآه ويجوز ان يتعلق مني بالقيت على معنى احببتك ومن احبه الله احبته القلوب واليم والبحر المراد به نيل مصر وقيل ظاهر اللفظ على ان البحر القاه بساحله وهو شاطئه لان الماء يسحله اي يقشره وقذف به ثم انقطع من الساحل الى ان يكون قذف القاء اليم بموضع من الساحل فيه فوهة نهر فرعون ثم اداه النهر الى حيث البركة قالوا ومعنى محبة الله عباده ان يريد بهم الخير والنفع وقيل ان يرضى عنهم ويحمد فعلهم ولتصنع على عيني اي ولتربى ويحسن اليك وانا مراعيك وراقبك كما يراعي الرجل الشيء بعينه اذا اعتنى به قالوا ولما كان ابناء الجارحة ممتنعا والحمل على التجوز عن صفة لا نعرفها يوجب الاجمال وجب ان يجعل مجازا عن البصر او عن الحفظ والكلاءة وبه يفسر العين في قوله عليه السلام اذا دهن قرادكم اموالكم وخطمه صاحب الدنيا والمال مقتنعا الله وستطمع من عينه وهو عطف على علة مضمرة مثل ليتعطف عليك ولتصنع او على الجملة السابقة باضمار فعل معلل اي ولتصنع فعلت ذلك وقرئ ولتصنع ولتصنع بكسر اللام وسكونها والجزم على انه امر وقرئ ولتصنع بفتح التاء والنصب اي وليكون عملك ونشوك على عيني اذ تمشي اختك ظرف لالقيت او لتصنع او بدل من اذ اوحينا على ان المراد بذلك وقت متسع واسم اخته مريم فتقول هل ادلكم على من يكفله على امرأة ترضعه وتضمه اليها روي انه فشت وجاءت متعرفة خبره فصادفتهم يطلبون له مرضعة يقبل ثديها وذلك انه كان لا يقبل ثدي امرأة فقالت هل ادلكم فجاءت بامه فقبل ثديها وروي ان آسية استوهبته من فرعون وتبنته وهي التي اشفقت عليه وطلبت له المراضع فرجعناك الى امك وفاء بقولنا انا رادوه اليك كي تقر عينها برجوعك وردك اليها ولا تحزن هي بفراقك وانت على فراقها وفقد اشفاقها يقال قرت عينه اذا بردت نقيض سخنت هذا اصله ثم استعمل للسرور وهو المراد هاهنا وقتلت نفسا نفس القبطي الذي استغاثه عليه الاسرائيلي فنجيناك من الغم من غم قتله وهو ابن اثني عشرة سنة اغتم بسبب القتل خوفا من عقاب الله ومن اقتصاص فرعون فنجاه الله من ذلك الغم بالمغفرة باستغفاره حين قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي ونجاه من فرعون ان يشب فيه اظفاره حين هاجر به الى مدين وفتناك فتونا اختبرناك اختبارا قال له ابن عباس رضي الله عنهما وقال الضحاك ومقاتل ابتليناك ابتلاء وقال مجاهد اخلصناك اخلاصا ونظيره الشكور والكفور والثبور في انه مصدر على فعول من المتعدي ويجوز ان يكون جمع فتن او فتنة على ترك الاعتداد بتاء التانيث كحجور وبدور في حجرة وبدرة اي فتناك انواعا من الفتن سأل سعيد بن جبير ابن عباس عنه فقال خلصناك من محنة بعد محنة ولد في عام كان يقتل فيه الولدان فهذه فتنة يا ابن جبير والقته امه في البحر وهم فرعون بقتله وقتل قبطيا واجر نفسه عشر سنين وضل الطريق وتفرقت غنمه في ليلة مظلمة وكان يقول عند كل واحدة فهذه فتنة يا ابن

فتناك فتونا اي خلصناك ... [illegible] ... بعد محنة [illegible]

جنيرة والفتنة المحنة وكل ما يصيب الانسان من الشر والخير فتنة فلبثت سنين في اهل مدين لبث فيهم عشر سنين لرعي الاغنام والعقاد
او في الاجلين ومدين بلدة شعيب على ثمان من اهل مراحل من مصر وعن وهب انه لبث عند شعيب ثمانيا وعشرين سنة عشر منها
منها مهر ابنته وثمانية عشر سنة اقام عنده حتى ولد له ثم جئت على قدر قدرته اي سبق في قضائي وقدري ان اكلمك واستنبئك في وقت معين
لي فما جئت الاجل ذلك القدر غير مستقدم ولا مستأخر او على مقدار من الزمان يوحي فيه الى الانبياء وهو راس اربعين سنة وقال مقاتل على موعد
ولم يكن هذا الموعد مع موسى واتماما له وعدا في تقديره الله تعالى يا موسى كرره اكراما له وقصدا الى زيادة الايناس والاستيناس ومراعاة الفا
صلة وقيل كرره عقيب ما هو غاية الحكايات للتنبيه على ذلك واصطنعتك لنفسي واستخلصتك لنفسي واصطفيتك لمحبتي غبتهم فيما هو له من منزلة التقريب
والتكريم بمن قربه بعض العظماء واستخلصه لنفسه لجوامع خصاله وقال الزجاج اخترتك لامري وجعلتك القائم بحجتي اذهب انت واخوك باياتي
برسالتي او بمعجزاتي وانت من التاكيد الذي لا يصح الكلام مع الاضلال به لان العطف على ضمير هو في حكم بعض الفعل ممتنع ولا تنيا ولا
تفترا وتقصرا وقيل ولا تضعفا في ذكري اي لا تنسياني حيثما تقلبتما فان امرا من الامور لا يتمشى لكما الا بذكري فالفتور في الامور بسبب
الفتور في ذكر الله او في تبليغ رسالتي فان تبليغ الرسالة من اعظم العبادات واشرفها فهو حقيق باطلاق اسم الذكر عليه وقيل في تبليغ ذكري والذكر
الحقوف لا طلم ولا تنيا بكسر التاء والنون لاتباع او على لغة تميم اذهبا الى فرعون انه طغى امر به اولا موسى وههنا اياه واخاه فلا تكرير وقيل اوحي
الله الى هرون وهو بمصر ان يتلقى موسى وقيل الهم وقيل سمع باقباله فاستقبله فقولا له قولا لينا اي وكلماه باللين والرفق من غير خشونة ولا تعنيف
تنفير وجادلهم بالتي هي احسن وقيل القول اللين مثل هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى لانه ظاهره الاستفهام والمشورة وعرض ما فيه
الفوز العظيم وقيل عداه على قبول الايمان شبابا لا يهرم بعده وملكا لا ينزع منه الا بالموت ولذة لا تنقطع لذة المطعم والمشرب والمنكح الى حين موته و
قيل كنياه فقولا يا ابا العباس يا ابا الوليد يا ابا المرة وقيل لا تجبهاه بما يكره والطفا له في القول لما له من حق تربية موسى وانما امرهما بالذهاب
الى فرعون وبالرفق في الدعوة الى الايمان الزاما للحجة وقطعا للمعذرة حتى اذا اهلكم بترك الايمان لا يكون ذلك الاهلاك الا بعد تأكيد الحجة ولا
تمام ببعثة الرسل كما قال وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في امها رسولا يتلوا عليهم آياتنا الآية على ان الله تعالى قد علم كل شيء
على ما هو عليه والعلم تبع للمعلوم وعلم بان فرعون لا يؤمن باختياره لا يخرجه من حيز الامكان ولذلك امرهما بدعوته والرفق فيها وقيل امره
ان يخاطبه بالرفق ان يخاطبه بالرفق رعاية لحقوقه ولان المخاطبة بترك الرفق يزداد عتو الظالم فنكبته فيمنع حصول النفع الذي هو المقصود
من البعثة لعله يتذكر او يخشى فيه دلالة ظاهرة على ان لقدرة العبد تأثيرا في افعاله وفي افعال غيره وانه ليس مجبورا فيها كما زعم الاشعري
حيث قال لا تأثير لقدرة العبد في افعاله بل هو مجبور والا لم يثبت له التذكر والخشية بقوله وهو متعلق باذهبا او فقولا اي اذهبا وباشرا الا
مر على رجائكما وطمعكما انه يثمر عملكما ولا يخيب سعيكما فان الراجي يجتهد بطوقه ويحتشد باقصى وسعه وقوله لعله يتذكر اي يتعظ بوعظكما
ويتأمل فيرتقي من مرتبة البهائم الى مرتبة العقلاء او يخشى اي يخاف الكفر وسوء عاقبته فيؤمن وقال ابو بكر الوراق لعل من الله
واجب ولقد تذكر فرعون وخشي حين لم ينفعه وذلك حين الجمه الغرق قال آمنت انه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين
وقيل التذكر للمتحقق والخشية للمتوهم ولذلك قدم الاول اي ان لم يتحقق صدقكما ولم يتذكر فلا اقل من ان يتوهمه فيخشى وفي الآية
اشارة الى ان اساس الكفر عدم التذكر والخشية فابتلى الله عبدا بشيء اشد منهما وقرا رجل بهذه الآية عند معاذ الرازي فبكى معاذ وقال الهي
هذا رفقك بمن يقول انا الله فكيف رفقك بمن يقول انت الله قالا ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا اي ان يتعجل علينا بالعقوبة ولا يصبر
الى ابلاغ الرسالة واظهار المعجزة من فرط اذا سبق وتقدم ومنه الفارط المتقدم للواردة وفرس فرط يسبق الخيل وقرئ يفرط من افرط
غيره اذا حمله على العجلة اي نخاف ان يحمله حامل على المعاجلة بالعقاب من شيطان او من استكبار او خوف على الملك او حب الرياسة وقرئ يفرط من
الافراط في الاذية اي نخاف ان يحول بيننا وبين تبليغ الرسالة بالمعاجلة او يجاوز الحد في معاقبتنا ان لم يعاجل بناء على ما عرف من شراسة
وعتوه وقرا ابو يحيى وابو نوفل يفرط من التفريط او ان يطغى ان يزداد طغيانا فيتجاوز ويتعدى الى ان يقول فيك ما لا ينبغي لجراءته عليك
وقسوة قلبه وابداه مطلقا من حسن الادب قال لا تخافا انني معكما بالحفظ والتصرف والعلم اسمع وارى ما يجري بينكما وبينه من قول وفعل

فالفعل

فافعل في كل حال ما يدفع شره عنكما او يوجب حفظي ونصري لكما ويجوز ان لا يقدر شيء على معنى انني حافظكما ناصر سامع مبصر والحافظ اذا
كان كذلك تم الحفظ والنصرة وذهب المبالاة بالعدو فأتياه فقولا انا رسولا ربك فارسل معنا بني اسرائيل اي فاطلقهم وخلهم يذهبوا
معنا الى فلسطين وكانا مسكنهما ولا تعذبهم بتكليف الاعمال الشاقة من الحفر والبناء ونقل الحجارة والتسخرة في كل شيء مع قتل الولدان واستخدام النساء
فانهم كانوا في ملكة فرعون والقبط يعذبونهم بذلك وتعقيب الاتيان بذلك دليل على ان تخليص المؤمنين من الكفرة اهم من دعوتهم الى الايمان و
يجوز ان يكون للتدريج في الدعوة قد جئناك باية من ربك جملة جارية مجرى البيان والتفسير للجملة المتقدمة لان دعوى الرسالة انما تثبت
ببينتها التي هي المجيء بالآية والمعجزة وانما وحد الآية وهو آيتان لان المراد اثبات الدعوى ببرهانها من غير التعرض الى وحدة البينة وتعدد
ها فكانه قال جئناك بالمعجزة وبرهان وحجة على ما ادعيناه من الرسالة وكذلك قوله قد جئتكم ببينة من ربكم فات باية او لو جئتك بشيء مبين وقيل
لما موسى قد جئتك باية من ربك قال فرعون ما هي فاخرج يده لها شعاع كشعاع الشمس والسلام على من اتبع الهدى وسلام الله او المؤمنين
او الملائكة وخزنة الجنة على المهتدين والسلامة في الدارين لهم والامر على الوجهين لتعريف الماهية لا غير انا قد اوحي الينا ان العذاب
اي كل العذاب لانه في مقابلة السلام اي كل السلام وقيل عذاب المشركين على من كذب وتولى على جميع المكذبين لرسل الله وقيل الجملة استيناف
للتعليل وردت بانه كلمة على تنافيه وقيل لعل تغيير النظم والتصريح بالوعيد والتوكيد فيه لان التهديد في اول الصراحة والمجيء بالواقع
اليق وقيل المعنى انما يعذب الله من كذب بما جئناه واعرض وهذا المصرح انه لا تفيده الآية غير صحيح على ما لا يخفى قال فمن ربكما يا موسى
اي قال بعد ما بلغاه رسالات الله فمن الهكما الذي ارسلكما ولدلالة الحال والسوال حذف ذكره وانما خاطب الاثنين ووجه النداء الى
احدهما وهو موسى لانه الاصل في النبوة وهرون وزيره وتابعه او لانه عرف انه له رتة في لسانه ولهرون فصاحة فاراد ان يفحمه ويدل عليه قوله ام
انا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين قال ربنا الذي اعطى كل شيء اي كل نوع من الانواع خلقه صورته وشكله الذي يطابق كماله عليه
البواقي ويجوز ان يكون خلقه مفعولا اول بمعنى اعطى خليقته كل شيء يحتاجون اليه ويرتفقون به وقدم المفعول الثاني لانه المقصود بيانه وقيل اعطى كل
حيوان زوجه الذي هو نظيره في الخلق والصورة حيث جعل الرجل والمراة زوجين والبعير والناقة والحصان والحجر قال سعيد بن جبير وقرئ خلقه
صفة للمضاف او المضاف اليه فيكون المفعول الثاني محذوفا اي اعطى كل مخلوقه ما يطابقه ويحتاج اليه وقرا زيد بن علي قال الا ربنا بزيادة الف
التثنية ثم هدى اي عرفه كيف يرتفق بما اعطي وكيف يتوصل اليه وهذا الجواب مع كمال بيانه واختصاره فيه دلالة على وجود الصانع وجوده باحواله
المخلوقات وانه ما من شيء منها الا وهو محتاج اليه منعم عليه في ذاته وصفاته وافعاله فخاف فرعون ان يزيد في الاستدلال فيبين لقومه صدقه
فلم يرد الا ان يصرف الكلام عنه ويشغله بالحكايات وقيل اي في الالهام كيف تاتي الذكر والانثى قال فما بال القرون الاولى اي في حال القرون الخالية بعد
مرتهم من السعادة والشقاوة قال علمها عند ربي يعني ان ذلك غيب وقد استأثر الله بعلمه لا يعلمه الا هو وما انا الا عبد مثلك لا اعلم منه
الا ما اخبرني به وقيل علمها عند ربي اي اعمالهم محفوظة عند الله يجازي بها وقرا زيد بن علي قال علمها عند الله في كتاب مكتوب
في اللوح المحفوظ لا يضل ربي ولا ينسى لا يجوز على ربي ان يخطئ شيئا او ينساه يقال ضللت الشيء اذا اخطأته في مكانه فلم تهتد اليه كقولك ضللت
الطريق والمنزل ويقال نسيت الشيء اذا ذهلت عنه بحيث لا يخطر ببالك ويجوز ان يكون تعريضا لفرعون وانه قد نازعه في احاطة علمه بكل شيء فتعنت
وقال ما تقول في تلك القرون الغابرة مع كثرتهم كيف احاط بهم وباجزائهم وجواهرهم فاجاب بان علمه قد احاط بكل ذلك وهو مثبت في كتاب
ولا يجوز عليه الخطاء والنسيان كما يجوز ان عليك ايها العبد الضعيف الناس حيث ادعيت الربوبية الموجبة للعلم بكل شيء والقدرة
على كل شيء ولم تعلم ان ذلك لا يصلح للعبد الذليل والبشر الضئيل بنسي اي لا يتركه فينتقم من المؤمن ويجازي الكافر وقرا الحسن وقتادة وعيسى الجحدري
لا يضل بضم الياء وفسر الحسن لا يضل ربي ذلك الكتاب ولا ينساه وقرا السلمي الفعلين بالبناء للمفعول اي لا ينسب ربي الى الضلال والنسيان
وابن ابي عبلة لا يضل بفتح الياء والضاد من ضل يضل الذي جعل لكم الارض مهدا اي فراشا تتقلبون عليها كما يتقلب الرجل على فراشه وهم
والموصول مرفوع صفة لربي او خبر محذوف او منصوب على المدح وهو من مقالة موسى ومحاورته وقرا الكوفيون مهدا اي مهدها مهدا او كالمهد يتمهدونها
وهو مصدر سمي به مهد الصبي فعلى الاول جعل بمعنى خلق وعلى الثاني بمعنى صير والباقون مهادا وهو اسم ما يمهد كالفراش او جمع مهد وهو ما يمهد للصبي

سيمي ٢

فيتوهم عليه تسمية للمعهود بالمصدر كضرب الامير ويجوز ان يكون المعنى في قراءة الكوفيين ذات مهد وسلك لكم فيها سبلا اي حصل لكم فيها سبلا بين
الجبال والاودية والبوادي تسلكونها من ارض الى ارض لتبلغوا مقاصدكم ولعلكم تهتدون وقال ابن عباس سهل لكم فيها طرقا وقيل السلك ادخال
الشيء في الشيء والمعنى ادخل في الارض لاجلكم طرقا تسلكونها والاصح ان يفسر سلك بجعل كما صرح به في سورة الزخرف والقراءة يفسر بعضها بعضا وتنكير
سبلا للتكثير كقولهم ان له لابلا وان له لغنما وانزل من السماء ماء مطرا وتنكيره قصدا الى معنى البعضية اي انزل من السماء بعض الماء فاخرجنا به التفاتا
الى الحكاية للافتنان وللدلالة على زيادة الاختصاص وان ذلك منه ولا يقدر عليه الا هو وحده والماء سبب ومادة كماء الفحل في خلق الولد على
انه قادر على ان يخرج الاجناس والاصناف بلا اسباب ولا مواد كما اخرج نفوس الاسباب والمواد والايذان بانه مطاع تنقاد الاشياء المختلفة لامره
وابى من ذلك ان نقول ان النكتة في نقل الاخبار عن لفظ الغيبة الى لفظ التكلم من ذاته تاكيد بمعنى اختصاص الفعل بذاته والايذان بان اخراج النبات
المختلف الاصناف والالوان والطعوم والمنافع والاشكال مع نفاذها وبهجتها بماء واحد لا يقدر عليه الا هو وحده ازواجا اصنافا سميت
بذلك بانها مزدوجة مقترنة بعضها ببعض من نبات بيان وصفة لازواجا وكذلك شتى جمع شتيت مثل مريض ومرضى ويجوز ان يكون صفة
للنبات فانه مصدر سمي به النابت كما سمي بالنبت فاستوى فيه الواحد والجمع يعني انها مختلفات في الصور والاعراض والمنافع بعضها يصلح للناس
وبعضها للبهائم ومن ثم قال الله تعالى ان ارزاق العباد تحصل بعمل الانعام وقد جعل علفها مما يفضل عن حاجتهم ولا يقدرون على اكله
قال عصمة سمعت الاعمش يقرا من نبات شتى وهو في مصحف ابن مسعود كلوا وارعوا انعامكم حال من ضمير فاخرجنا بتقدير القول اي اخرجنا
اصناف النبات قائلين كلوا وارعوا والمعنى اخرجناها اذنين في الانتفاع بها مبيحين ان تاكلوا بعضها وتعلفوا بعضها ان في ذلك اشارة الى
مصادر الافعال المذكورة اي ان في جعل الارض مهدا وسلك السبل فيها وانزال الماء واخراج اصناف النبات لايات اي ايات بينة لا
دلالة واضحة على الصانع ووحدته وعظيم قدرته وباهر حكمته او اشارة الى الازواج او الى الكل اي ان فيما ذكر من الافعال والازواج لايات
لاولي النهى لذوي العقول الناهية عن اتباع الباطل وارتكاب المنهيات جمع نهية وهي العقل وقال الضحاك للذين ينتهون عما حرم الله تعالى عليهم
وقال قتادة لذوي الورع منها منها خلقناكم على حذف المضاف اي خلقنا اباكم وهو آدم عليه السلام وقال عطاء الخراساني ان الملك لينطلق
فياخذ من تراب المكان الذي يدفن فيه فيذره على النطفة فيخلق من التراب والنطفة معا وفيها نعيدكم بالموت وتفكيك الاجزاء ومنها نخرجكم تارة
اخرى بتاليف اجزائكم المتفرقة المختلطة بالتراب ورد الارواح اليها كما كنتم احياء ذوي الاجسام والارواح ولقد اريناه آياتنا يعني الآيات المختصة
بموسى وهي اليد والعصا والفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والسنون ونقص الثمرات والطمس وهي احدى عشر وقيل الآيات التسع
وهي العصا واليد وفلق البحر والحجر والجراد والقمل والضفادع والدم ونتق الجبل وتسع هذه الآيات اتبعناها وهي من الآيات المختصة ببني اسرائيل ورد بها
فرعون لانه كان بعد هلاكه والمعنى بصرنا فرعون تلك الآيات العظام وعرفناه صحتها وقوله كلها تاكيد لتلك الآيات المعهودة بالتعريف
الاضافي فانه يجري مجرى التعريف باللام فيفيد تعريف العهد والاشارة الى الآيات المعهودة المختصة بموسى عليه السلام فيكون تاكيدا
لشمول الانواع ويجوز ان يكون تاكيدا لشمول الافراد على ان موسى قد اراه اياته وعدد عليه ما اوتيه غيره من آيات الانبياء ومعجزاتهم وما ادعوه
عليه فكانه اراه لانه نبي صادق لا فرق بين ما يخبر عنه وبين ما يشاهده فكذب بها جميعا وابى واستنع ان يقبل شيئا منها وقيل فكذب
الآيات وابى قبول الحق وقيل فكذب موسى من فرط عناده وابى الايمان والطاعة لعتوه قال ابي الايمان اذا لم يرض وابى عليه الامر اذا امتنع
وكذا ابى عليه الامر ومنه قول محمد بن الشيخ يبيع السلمي اذا ابوا على اهل الحصن ما طلبوا قال اجئتنا لتخرجنا من ارضنا ارض مصر بسحرك
يا موسى فيه دلالة على ان فرعون قد تحير وارتعدت فرائصه وانتفخ سحره خوفا مما جاءه به موسى عليه السلام حتى قال قوله بان هذا تخلب
وتمحل اذا انزعج وخاف منه على ملكه وارضه وذلك لعلمه وايقانه انه على الحق وان المحق لو اراد شيئا ينصر ولا يخذل وانه غالب على ملكه لا
محالة على ان ساحرا لا يقدر ان يخرج ملكا مثله من ارضه ويغلبه على ملكه بالسحر والجملة استئناف يقرر تكذيب فرعون وابائه فلناتينك
بسحر مثله مثل سحرك فاجعل بيننا وبينك موعدا اي وعدا القول لا نخلفه نحن ولا انت يقال اخلف وعده ولا يقال اخلف زمانه ولا مكانه
والجملة صفة لموعدا وقرا ابو جعفر لا نخلفه بالجزم على جواب الامر وانتصاب مكانا سوى بانه بدل من موعدا على تقدير مكان مضاف اليه اي مكانه

موعد فيكون طباق الجواب في قوله قال موعدكم يوم الزينة من جهة المعنى لان اجتماعهم يوم الزينة او بفعل دل عليه المصدر كما زعم الزمخشري
لانه موصوف وقرا الحسن يوم الزينة بالنصب وهو ظاهر في ان المراد بهما المصدر وقرا حمزة وعاصم وابن عامر ويعقوب سوى بضم السين و
الباقون بكسرها وهي لغتان بمعنى واحد وهو العدل اي مكانا عدلا بيننا وبينكم لا يكون فيه احد الفريقين ارجح من الآخر وعن مجاهد معناه
منصفا بيننا وبينكم وهو من الاستواء لان المسافة من الوسط الى الطرفين مستوية لا تفاوت فيها وقرئ بكسر السين وضمها بلا تنوين فيهما على اجراء
الوصل مجرى الوقف وقرا ابن ابي عبلة سواء بفتح السين وقيل يوم الزينة يوم عاشوراء قاله ابن عباس وابن جبير وقيل هو يوم النيروز وقال مجاهد
ومقاتل وقتادة والسدي يوم عيد كان لهم في كل عام يتزينون فيه ويجتمعون وانما عينه ليظهر الحق والباطل على رؤوس الاشهاد ويشيع ذلك
في الافطار وقرا الحسن وجماعة يوم الزينة بالنصب على الظرف اي في يوم الزينة قال صاحب الغرايب عن الحسن والجحدري وابن عمير وسلام وابي
البرهسم وابي حيوة والعلاء بن سيابه وابن ابي عبلة يوم الزينة وان يحشر الناس عطف على اليوم او الزينة وقرئ وان تحشر الناس وقرئ بالتاء
خطابا لفرعون وبالياء ليكون الضمير المستتر عائدا الى اليوم او الى فرعون ذكره بلفظ الغيبة اما على العادة التي يخاطب بها الملوك او خاطب القوم
بقوله موعدكم وجعل يحشر لفرعون وقرا الجحدري برواية هارون يحشر الناس بالنون وقوله ضحى نصب على الظرف اي وقت الضحى وهو صدر النهار حين
ترتفع الشمس ويلتقي شعاعها وقيل اي وقت الضحوة نهار الا فهارا ليكون ابعد من الريبة وقيل الضحوة ارتفاع النهار والضحى فوق ذلك وقال الاحد
صاحب اللؤلؤي قال عمرو ضحى بالتنوين وغيره سواء فتولى فرعون فانصرف واعرض فجمع كيده ما يكاد به من السحرة وآلاتهم ثم اتى بالموعد
او الى الميعاد قال لهم موسى ويلكم ويحكم اصلها الدعاء بالهلاك والمراد به ههنا الزجر والردع والحث والتحريض على ترك الافتراء لا تفتروا
على الله كذبا اي لا تدعوا اياته ومعجزاته سحرا فيسحتكم بعذاب فيهلككم به ويستاصلكم وقرا حمزة والكسائي وحفص ويعقوب بضم الياء من
الاسحات وهو لغة اهل الحجاز وهما بمعنى وقد خاب من افترى كما خاب فرعون فانه افترى واحتال ليبقى الملك عليه فلم ينفعه يقال خاب
الرجل اذا لم ينل ما طلب والافتراء التقول والكذب عن عمد فتنازعوا امرهم بينهم التنازع التخاصم والتشاور اي تنازعت السحرة في امر موسى
حين سمعوا كلامه لا تفتروا على الله كذبا فقال بعضهم لبعض ما هذا بقول ساحر وقال الكلبي قالوا سرا ان غلبنا موسى اتبعناه وقيل تناظروا وتشاوروا
ودبروا في امر موسى سرا من فرعون واسروا النجوى وبالغوا في اخفاء النجوى او جعلوها بحيث لا يفطن احد لتناجيهم ولا يعلم انهم متناجون
والنجوى التناجي وقيل اسم من التناجي وعن ابن عباس ان نجواهم ان غلبنا اتبعناه وعن قتادة ان كان ساحرا فسنغلبه وان كان من السماء فله امر
وقيل الضمير لفرعون وقومه وظاهر انهم تشاوروا في السر وتجاذبوا اهدابه فتنبطها الناس وقرا ابن كثير ان هذان بكون النون الاولى وتشديد
النون الاخرة وحفص بكون الاولى وتخفيف الاخيرة وان في القراءتين هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بين ان المحققة والنافية
اي ان الشان والحديث هذان لساحران وابو عمرو ان هذين وهو ظاهر والباقون ان هذان على لغة بلحارث بن كعب فانهم جعلوا الالف للتثنية
واعربوا المثنى تقديرا كالاسماء المقصورة ومنه قوله ان اباها وابا اباها وعليه ورد قول ابي حنيفة رضي الله عنه لا ولو رماه بابا قبيس وقيل
اسمها ضمير الشان المحذوف وهذان خبرها وقيل ان بمعنى نعم وساحران خبر مبتدا محذوف واللام داخلة على الجملة تقديره لهما ساحران وعجب
الزجاج وقيل اصله انه هذان لهما ساحران وفيه ان المؤكد باللام لا يليق به الحذف وقرا ابي ان ذان الا ساحران وابن مسعود ان هذان الا
ساحران وابن مسعود ان هذان الا ساحران بفتح ان وبغير لام على البدل من النجوى وفي المصحف انس وابي صالح ما كان الا ساحران كذا
في غرايب القراء يريدان ان يخرجاكم من ارضكم بالغلبة والاستيلاء عليها بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى بمذهبكم الذي هو افضل المذا
هب سموا مذهبهم بها للزيادة بسرورهم وكمال فرحهم بذلك وانه الذي تطمئن به نفوسهم كما قال تعالى كل حزب بما لديهم فرحون وقيل
اراد واهل طريقتكم المثلى وهم بنو اسرائيل لقول موسى ارسل معنا بني اسرائيل وكانوا اكثر القوم عددا واموالا وعلما وقيل الطريقة اسم لوجوه
الناس واشرافهم الذين هم قدوة لغيرهم وروي الشعبي عن علي رضي الله عنه انه قال ويصرفا وجوه الناس اليهما فاجمعوا كيدكم قرا ابو عمرو
فاجمعوا بوصل الهمزة من جمع ضد فرق ويعضده قوله فجمع كيده والباقون فاجمعوا بقطعها من اجمع الامر اذا احكمه وعزم عليه اي فاحكموا كيدكم واعزموا
عليه وحقيقته جعله راى عليه ومنه قوله عليه السلام من لم يجمع الصيام قبل الفجر فلا صيام له وقيل جمع واجمع بمعنى واحد وقيل المعنى فاجمعوا على كيدكم

مطلب خلق الانسان وتفكيك الاجزاء

فحذف الجار ونصب الكيد بالفعل وعن الاخفش انه يقال اجمعوا اذا قيل لي كذا ويعني اجمعوا على الامر اتفقوا عليه ومنه قولهم المسئلة المجمع عليها
ثم ائتوا صفا مصطفين لانه اهيب في صدور الرائين روي انهم كانوا ثمانين الفا وقيل سبعين الفا وقيل بضعة وثلثين الفا وقيل اثنين وسبعين وقيل
اربعمائة وقال كعب اثني عشر الفا مع كل واحد منهم حبل وعصا او قد اقبلوا اقبالة واحدة وقال مقاتل والكلبي صفا اي جمعا وعن ابي عبيدة ان الصف
المصلى لان الناس يجتمعون فيه لعيدهم وصلاتهم مصطفين اي ائتوا مصلى من المصليات اي مجمعا معينا عندهم او المكان الموعود وقد
افلح اليوم من استعلى اعترض يعني وقد فاز بما اراده من غلب قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون اول من القى ان بما بعده منصوب
بفعل مضمر اي اختر القاءك اولا او القاءنا او مرفوع بانه خبر مبتدأ محذوف اي الامر القاؤك او القاؤنا وتخييرهم اياه ادب حسن معه وتواضع له وخفض
جناح واظهار النصفة من انفسهم كي يفعل اهل الصناعة ان يتفقوا قال بل القوا مقابلة ادب بادب بعد ازدياد لشأنهم وقلة مبالاة بهم واسعافا
اليما اوهموا من الميل الى الالقاء قبله بذكر الاول في شقهم وتغيير النظم الى وجه ابلغ ولان يبرزوا ما بيد سحرهم ويستنفدوا اقصى طوقهم وجهدهم ثم
يظهر الله سلطانه فيقذف بالحق على الباطل فيدمغه ويسلط المعجزة على السحر فتمحقه ويكون آية للناظرين وعبرة للمعتبرين ولكن انه تقول
سوغ موسى لهم ذلك واختاره ثقة بنصر الله وتأييده ان المعجزة لن يغلبها سحر ابدا فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى
اي فالقوا فاذا حبالهم واذا هي المفاجأة بمعنى الوقت تطلب ناصبا لها وجملة تضاف اليها وقد خصت في بعض المواضع بان
يكون ناصبها فعل المفاجأة والجملة ابتدائية والمعنى فالقوا ففاجأ موسى وقت تخييل سعي حبالهم وعصيهم من سحرهم وذلك بانهم لطخوها بالزيبق
فلما ضربت عليها الشمس اضطربت واهتزت فخيلت انها حيات تسعى وتتحرك وقرئ وعصيهم بضم العين وهو الاصل والكسر اتباع ومثله دلي ودلي
وقسي وقسي وقرأ ابن ذكوان تخيل بالتاء على اسناده الى ضمير الحبال والعصي وابدال انها تسعى منه بدل الاشتمال كقولك اعجبني زيد كرمه وقرئ
تخيل بفتح التاء على معنى تتخيل وانها تسعى بدل من ضميره كما في قراءة ابن ذكوان وقرأ ابو حنيفة نخيل بالنون وقرئ يخيل على اسناده الى
الله وانه هو المخيل للمحنة والابتلاء فاوجس في نفسه خيفة موسى فاضمر فيها خوفا من مفاجأته على ما هو طبع الجبلة البشرية او من ما راها
امثال الحيات وظن انها تقصده وقال مقاتل خاف ان يلتبس على القوم الامر فيشكوا في امره فلا يتبعوه وقيل فاوجس اي فوجد قلنا لا تخف
ما توهمت انك انت الاعلى تعليل للنهي وتقرير لغلبته وتوكيد بالاستئناف وحرف التحقيق وتكرير الضمير ولام التعريف ولفظ العلو المنبئ
عن الغلبة القاهرة والتفضيل والق ما في يمينك لم يقل عصاك تحقيرا لها يعني لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم والق العويدة الفرد الصغيرة التي
في يمينك او تعظيما اي لا تحتفل بكثرة هذه الاجرام ونظمها فان في يمينك شيئا اعظم منها كلها فالقه تلقف ما صنعوا تبتلعه وتلتقمه بقدرة
الله تعالى واصله تتلقف فحذفت احدى التاءين وتاء المضارعة تحتمل التأنيث والخطاب على اسناد الفعل الى المسبب وهو موسى لان التلقف
لما كان بسبب القائه العصا اسند اليه مجازا وقرأ ابن ذكوان تلقف على الحال او الاستئناف انما صنعوا اي ان الذي زوروا وافتعلوا
كيد ساحر قرئ بالرفع على ان ما موصولة وبالنصب على ان ما كافة وهو مفعول صنعوا وقرأ حمزة والكسائي سحر بمعنى ذي سحر او ذوي سحر
او بتسمية الساحر سحرا على المبالغة كأنه نفس السحر او باضافة الكيد الى السحر للبيان كقولهم علم فقه وعلم نحو ووحد ساحر قصدا الى معنى الجنسية
لانه لو قيل كيد جنس الساحر ولذلك قال ولا يفلح الساحر اي هذا الجنس ونكر الاول لتنكير المضاف كقول العجاج يوم ترى النفوس ما اعدت
في سعي دنيا طالما قد مدت وقول عمر رضي الله عنه لا في امر دنيا ولا في امر آخرة كأنه قيل انما صنعوا كيد سحري وفي سعي دنيوي
وامر دنيوي اخروي حيث اتى حيث كان واين اقبل وقيل حيث احتال قال ابن عباس لا يسعد الساحر حيث كان وقرأ علي رضي الله
عنه حيث اتى بالياء فالقي السحرة سجدا اي فخروا ساجدين كأنه القاهم ملق لشدة خرورهم وانه عبر عن الخرور بالالقاء ليشاكل الالقاء
ويدل على انهم لم يتمالكوا انفسهم مما رأوا كأنهم اخذوا فطرحوا طرحا وانه تعالى القاهم بما خولهم من التوفيق وقيل اي فالقي فتلقف
فتحقق عند السحرة انه ليس بسحر وانه من آيات الله ومعجزة من معجزاته فالقاهم ذلك على وجوههم سجدا لله توبة عما صنعوا وتعظيما لما راوا من
مكروه روي انهم خروا سجدا اراهم الله في سجودهم منازلهم التي يصيرون اليها في الجنة وانتصاب سجدا على الحال قالوا آمنا برب هرون وموسى روي
انهم قالوا ان يك ما جاء به موسى سحرا فلن تغلب وان يك من عند الله فلن يخفى علينا فلما قذف عصاه فتلقفت ما اتوا به علموا انه من الله

فآمنوا كانوا اذا اصبحوا كفرة سحرة وامسوا ابرارا شهداء وقالوا حال باضمار قد او بدل من القي بدل الاشتمال وقدم هرون لكبر سنه او لرعاية الفاصلة او لان
فرعون ربى موسى في صغره فلو اقتصر على موسى او قدم ذكره فربما توهم ان المراد فرعون وذكر هرون على الاستتباع ومعنى اضافة الرب اليهما انه هو الذي يدعوان
اليه واجرى على ايديهما ما اجرى قال آمنتم له اي لربهما على ان اللام بمعنى الباء والدليل القاطع عليه قوله قال فرعون آمنتم به قبل ان آذن لكم في سورة
الاعراف وقيل اي لموسى واللام لتضمين الفعل معنى الاتباع وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر وخلف وروح أآمنتم بهمزتين اولهما للاستفهام المراد به
الانكار والاستبعاد حفص وقنبل ورويس آمنتم بالمد على الاخبار اي فعلتم هذا الفعل توبيخا لهم والباقون آمنتم بهمزتين ثانيتهما ممدودة
قبل ان آذن لكم في الايمان انه لكبيركم لمعلمكم واستاذكم او لعظيمكم واعلمكم بالسحر ومنه الذي علمكم السحر فعلمكم شيئا دون شيء ولذا غلبكم او فوا
عدكم ذلك وتواطأتم عليه اراد بهذا الكلام التمويه والتلبيس على الناس لئلا يتبعون السحرة في الايمان ولا يعتقدوا ان ايمانهم عن ايقان
وبصيرة وتحقيق فلأقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف من كل شق طرفا من اليد اليمنى والرجل اليسرى ومن ابتدائية لان القطع ابتداء من مخالفة العضو
العضو لا من وفاقه اياه وهي مع المجرور في محل النصب على الحال اي لاقطعنها مختلفات لانها اذا خالف بعضها بعضا بان هذا يد وذاك رجل وهذا
يمين وذاك يسار فقد اتصفت بالاختلاف وقرئ لاقطعن ولاصلبنكم بالتخفيف ولاصلبنكم في جذوع النخل شبه تمكن المصلوب في الجذع بتمكن المظروف
في الظرف ولذلك قيل في جذوع النخل وهو اول من قطع من خلاف وصلب ولتعلمن اينا يريد نفسه ورب موسى اشد عذابا انا على ايمانكم به او رب موسى
على ترك الايمان به وابقى ادوم عذابا حذف لدلالة الحال مع محافظة الفاصلة وقيل يريد بقوله اينا نفسه وموسى لقوله آمنتم له واللام مع الايمان
في كتاب الله لغير الله اراد به علوه واقتداره على تعذيب الناس بانواع العذاب وتوضيع موسى واستضعافه مع الهزء به لانه لم يكن قط من
التعذيب في شيء وسياق الآية بعده ادل على ما ذكرنا اولا قالوا لن نؤثرك لن نختارك على ما جاءنا ربنا وموسى به والضمير لما من البينات من المعجزات
الواضحة العظيمة التي عهدناها وشهدناها نحن وانت والذي فطرنا عطف على ما جاءنا او قسم وقيل لما القوا سجدا ما رفعوا رؤسهم حتى راوا
الجنة والنار وثواب اهلها ومنازلهم فيها فعند ذلك قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما انت قاض فاصنع كما انت
صانعه انما تقضي هذه الحيوة الدنيا انما تصنع ما تراه في هذه الدنيا والآخرة خير وابقى فهو كالتعليل لما قبله والتمهيد لما بعده وقرئ تقضى
هذه الحيوة الدنيا كقولك صيم يوم الجمعة والحيوة في المشهورة منتصبة على الظرف انا آمنا بربنا فيه دلالة على ان المراد بالايمان في قوله آمنتم له
الايمان بالله على ابلغ وجه ليغفر لنا خطايانا من الكفر والمعاصي وما اكرهتنا عليه من السحر في معارضة المعجزة روي ان السحرة يعني رؤسهم
كانوا اثنين وسبعين الاثنان من القبط والسائر من بني اسرائيل وكان فرعون اكرههم على تعلم السحر وروي انهم قالوا لفرعون ارنا موسى نائما
ففعل فوجدوه تحرسه عصاه فقالوا ما هذا بسحر فان الساحر اذا نام بطل سحره فابى الا ان يعارضوه والله خير وابقى جزاء او خير ثوابا وابقى
عقابا وقال محمد بن كعب خير منك ان اطيع وابقى منك عذابا ان عصي وهذا جواب لقوله ولتعلمن اينا اشد عذابا وابقى ففيه ايضا
دليل على الوجه الاول انه ان الشان والحديث من يأت ربه مجرما متوغلا في اجرامه منهمكا فيها بان يموت على كفره وعصيانه فان له جهنم
لا يموت فيها فيستريح ولا يحيى حيوة تنفعه ومن يأته مؤمنا بان يموت على الايمان قد عمل الصالحات في الدنيا فاولئك لهم الدرجات العلى المنازل
الرفيعة جنات عدن بدل من الدرجات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها حال عاملها معنى الاشارة او الاستقرار وذلك
جزاء من تزكى ذلك تعظيم لها وتفخيم لشانها يعني تلك الجنات التي سمعت بذكرها وبلغك وصفها جزاء من تطهر من ادناس الكفر والذنوب
وقال ابن عباس من قال لا اله الا الله وقال الكلبي من اعطى زكوة نفسه وقال لا اله الا الله وعن ابي سعيد قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان اهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما يرون الكوكب الدري في افق من آفاق السماء وان ابا بكر وعمر منهم وانعما والآيات الثلث
اما حكاية قولهم او خبر من الله تعالى لا على وجه الحكاية ولقد اوحينا الى موسى ان اسر بعبادي سر ببني اسرائيل ليلا من ارض مصر فاضرب
لهم طريقا فاجعل لهم طريقا من قولهم ضرب له في ماله سهما او فاعمل لهم من ضرب اللبن اذا عمله في البحر يبسا يابسا مصدر وصف به يقال يبس
يبسا ويبسا كعدم عدما وعدما ولذلك وصف به المؤنث فقيل شاة يبس وناقة يبس اذا جف لبنها وقرئ يبسا وهو مخفف عن اليبس او
وصف على فعل كصعب او جمع يابس كصحب جمع صاحب وصف به الواحد مبالغة كقوله ومعا جياعا جعله لفرط جوعه كجماعة جياع او لتعدده

معنى فانه جعل لكل سبط منه طريقا وقرا الاعمش يبسا بكسر الباء لا تخاف دركا حال من ضمير فاضرب اي امنا من ان يدرككم العدو او صفة ثانية
والعايد محذوف وقرا حمزة لا تخف على انه جواب الامر وقرا ابو حيوة دركا بسكون الراء والدرك والدرك اسمان من الادراك اي لا يدركك فرعون وجنوده
ولا يلحقونك ولا تخشى استيناف كانه قيل وانت لا تخشى اي ومن شانك انك امن لا تخشى او عطف عليه والالف ليست منقلبة عن الياء التي لام الفعل
بل زايدة للاطلاق من اجل الفاصلة كقوله فاضلونا السبيلا وتظنون بالله الظنونا ويجوز ان يكون مثل قوله كان لم ترى قبلي اسيرا يمانيا اثبات
الحرف لم يعمل فلم يحذف الالف او حال بالواو والمعنى لا تخشى الغرق فاتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا وقوله فاتبعوهم مشرقين وذلك ان
موسى خرج بهم اول الليل من مصر وكان فرعون غافلا عن ذلك فلما سمع انهم خرجوا خرج هو وجنوده على اثارهم فلحقوهم وقت اشراق الشمس
وهو اضاءتها وقيل المعنى فاتبعهم فرعون بنفسه ومعه جنوده فحذف المفعول الثاني وقيل فاتبعهم بمعنى فاتّبعهم ويؤيده القراءة به و
الباء للتعدية وقيل وجنوده اي تبعوا موسى وقومه وكان هو فيهم فغشيهم من اليم ما غشيهم يقال غشيه اذا ستره والنكتة في ايراد الفاعل هنا
اسم موصول التفخيم المعنى به التعظيم والتهويل كانه قيل غشيهم ما لا يعلم كنهه الا الله وقرئ فغشاهم من اليم ما غشاهم اي غطاهم والفاعل هو الله
او الموصول او فرعون لانه الذي ورّط جنوده بالهلاك وتسبب وقيل الضمير الا في لقوم نوح اي ما نجى قوم نوح وهو ضعيف جدا واضل
فرعون قومه وسوّل لقومه الضلالة فاقتدوا به وما هدى وما ارشدهم وهو تهكم به وتكذيب له في قوله وما اهديكم الا سبيل الرشاد او اضلهم
وما نجى وقرا اليماني واضل فرعون قومه بنصب فرعون ورفع قومه وما هدى مجهولا يا بني اسرائيل خطاب لهم بعد انجائهم من البحر واهلاك ال
فرعون على اضمار القول او للذين كانوا منهم في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الله عليهم بما فعل باباءهم والنبات ... على الوجه
الاول قد انجيناكم من فرعون وقومه والعدو يجي بمعنى الواحد والجماعة كالصديق قال وقوم على ذوي مبرة اراهم عدوا وكانوا صديقا
وواعدناكم جانب الطور الايمن ناحيته اليمنى لمناجاة موسى وانزال التورية عليه وانما عدي المواعدة اليهم مع انها لموسى اولا وللسبعين المختارين
لانها ابتهم واتصلت بهم حيث قام بها دينهم وشرعهم وقرا ابن ابي قطيب وابن مسعود جانب الطور الايمن بالجر قال احمد بن عمر
النصب والجر سواء والجر للجوار نحو جحر ضب خرب ونزلنا عليكم المن والسلوى في التيه وقرا عبد الله وانزلت كلوا من طيبات ما رزقناكم
من لذايذه او حالا لانه وقرا حمزة والكسائي انجيتكم وواعدتكم ما رزقتكم بالتاء على التوحيد والباقون بالنون على التعظيم وقرا نافع وابن كثير
وعاصم وابن عامر وواعدناكم من المواعدة وابو عمرو ووعدناكم من الوعد وتحقيقهما قد مر في سورة البقرة ولا تطغوا فيه اي فيما رزقناكم
بالتعدي لحدود الله فيه بالكفر والمعاصي وقال ابن عباس ولا تظلموا وقال الكلبي ولا تكفروا النعم فتكونوا ظالمين وقيل لا تنفقوا في
معصية وقيل لا تتقووا به على معاصي وقيل لا تدخروا ثم ادخروا وقرا زيد بن علي ولا تطغوا من طغا يطغوا فيحل عليكم غضبي فيجب لكم
عذاب ويلزمكم من حل الدين اذا وجب اداؤه ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى فقد تردى وهلك واصله ان يسقط من جبل فيهلك قالت
هوى من راس مرقبة ففتت تحتها كبده ويقال هوت امه اذا سقط سقوطا لا نهوض بعده وقيل فقد وقع في الهاوية وقرا الكسائي
فيحل ويحلل بضم الحاء وبضم اللام من حل يحل اذا نزل والباقون بكسرهما اي يجب وينصر الكسر اجماعهم عليه في قوله ام اردتم ان يحل
عليكم غضب ومن عبد الله لا يحلن عليكم غضبي وقرا قتادة يحلل مبنيا للمفعول واني لغفار ستور محاء لمن تاب لذنوب من تاب
عن الكفر وامن وصدق بما يجب التصديق به وعمل صالحا وادى حقوق الله ولم يتعد حدوده وقيل وادى الفرايض ثم اهتدى
ثم استقام وثبت على الهدى المذكور وهو التوبة والايمان والعمل صالحا وثم لتراخي الاستقامة على الخير عن الخير نفسه وفضلها عليه لانها
اعلى منه واجل لان الشان كله فيها وهي منزلة اقدام الرجال وقال عطاء عن ابن عباس ثم علم ان ذلك بتوفيق الله وقال ابن جبير ثم اقام
على السنة والجماعة وقال قتادة وسفيان لزم الاسلام حتى مات عليه وقال الشعبي ومقاتل والكلبي علم ان لذلك ثوابا وقال ثم تعلم
العلم ليهتدي به كيف يعمل وما اعجلك عن قومك يا موسى اي ما سبب العجلة وما حملك عليها فهو سؤال عن سبب العجلة يتضمن انكارها
من حيث انها نقيصة انضم اليها اغفال القوم وايهام التعظيم عليهم وذلك ان موسى لما اختار منهم سبعين رجلا يعافون ربه سار بهم
الى الطور فتعجل عن بينهم وتقدمهم شوقا الى ربه وكلامه وتنجز ما وعد به بناء على اجتهاده وظنه ان ذلك اقرب الى رضاه فالمراد بالقوم

هؤلاء

هؤلاء السبعون بدليل قوله قال هم اولاء على اثري ما تقدمتهم الا بخطى يسيرة لا يعتد بمثلها في العادة يحتفل به وليس بيني وبينهم الا
مسافة قريبة يتقدم بها الوفد راسهم ومقدمهم وهو جواب الانكار وقدمه لانه اهم الامرين ثم اجاب السؤال عن سبب المستنكر والحامل عليه بقوله
وعجلت اليك رب لترضى لتزداد رضى في المبادرة بالعجلة الى امتثال امرك والوفاء بعهدك وتنجز موعدك مظنة لزيادة مرضاتك ولعله عليه السلام تحير ودهش لما احاط
به من التهيب لعتاب الله فاذهله ذلك عن الجواب المنطبق المرتب على حدود الكلام وقرا الحسن والضحاك اولاي باثبات الياء ويروي ابن
على اولاي بسكون الياء ومثل بشراي وهي لغة تميم وقرا عيسى على اثري بكسر الهمزة قال فانا قد فتنا قومك من بعدك قد ابتليناهم بعبادة العجل بعد
خروجك من بينهم واراد بالقوم المفتونين الذين خلفهم مع هرون وكانوا ستمائة الف ما نجا من عبادة العجل منهم الا اثنا عشر الفا واضلهم
السامري وسول لهم الضلالة باتخاذ العجل والدعاء الى عبادته وقرئ واضلهم السامري اي واشدهم ضلالا لكونه ضالا مضلا وان صح
انهم اقاموا على الدين بعد مفارقته عشرين ليلة وحسبوها اربعين بايامها وقالوا قد اكملنا العدة ثم كان امر العجل بعد ذلك وان هذا الخطاب
كان له عند مقدمه اذ ليس في الاية ما يدل عليه كان ذلك اخبارا من الله عن الفتنة المترقبة بلفظ الموجودة الكاينة على عادته وقيل افترص
السامري غيبته فعزم على اضلالهم عند انطلاقه واخذ في تدبير ذلك فكان بدؤ الفتنة موجودا والسامري منسوبا الى قبيلة من بني اسرائيل
يقال لها السامرة وقيل قوم من اليهود يخالفونهم في بعض دينهم وقيل كان علجا من كرمان وقيل كان من اهل باجرما واسمه موسى
بن ظفر وكان منافقا قد اظهر الاسلام وكان من قوم يعبدون البقر فرجع موسى الى قومه بعدما استوفى الاربعين ذا القعدة وعشر ذي الحجة
واخذ التورية غضبان متماديا في الغضب عليهم اسفا حزينا بما فعلوا وشديد الغضب ومنه قوله عليه السلام في موت الفجاءة
رحمة للمؤمنين واخذة اسف للكافر قال يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا متناهيا في الحسن فانه تعالى وعدهم ان يعطيهم التورية التي فيها
هدى ونور ولا وعد احسن من ذلك واجل قالوا انها كانت الف سورة كل سورة الف اية يحمل اسفارها سبعون جملا افطال عليكم العهد
اي الزمان يريد مدة مفارقته لهم يقال طال عهدي بكذا اي طال زماني بسبب مفارقتك ام اردتم ان يحل عليكم ان يجب لكم غضب من ربكم
عذاب منه بسبب عبادة ما هو مثل في الغباوة والبلادة فاخلفتم موعدي وعدكم اياي وعدوه ان يثبتوا على امره والايمان بالله فاخلفوا
موعده بعبادتهم العجل وقيل هو من اخلفت وعده اذا وجدت الخلف فيه اي فوجدتم الخلف في وعدكم لي بالعود بعد الاربعين وهو لا يناسب الترتيب
على الترديد ولا على الشق الذي يليه ولا جوابهم له قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا بان ملكنا امرنا اذ لو ملكنا امرنا وخلينا وراينا لما
يضلنا السامري لما اخلفناه ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم احمالا من حلي القبط التي استعرناها منهم حين خرجنا من مصر وقيل
لما اغرق ال فرعون نبذ البحر حليهم على الساحل فاخذوها وسموها اوزارا لانها اثام وتبعات فانهم كانوا معهم في حكم المستامنين في
دار الحرب وليس للمستامن اخذ مال الحربي ولان الغنايم لم تكن تحل لهم في ذلك الزمان وقيل سموها اوزارا لانهم اخذوها عارية
ولم يردوها عند الخروج مخافة ان يعلموا به فقذفناها فالقيناها في النار وقدها السامري في الحفرة وامرنا ان نطرحها فيها وقرا
نافع وعاصم بملكنا بفتح الميم وحمزة والكسائي بضمها والباقون بكسرها وثلثتها مصدر ملكت الشيء وقيل الفتح مصدر والضم السلطان والكسر
لكسر ما حازته اليد تقول هذا ملك يميني وقرا حمزة والكسائي وابو بكر وروح حملنا بفتح الميم المخففة والباقون بكسر الميم المشددة على ان غيرهم
حملهم اياه فكذلك القى السامري ما كان في يده روي انهم لما حسبوا ان العدة قد كملت قال لهم السامري انما اخلف موسى ميعادكم لما
معكم من حلي القوم وهو حرام عليكم فالراي ان نحفر حفيرة ونوقد فيها نارا ونلقي كل ما كان معنا فيها ففعلوا فاما هم ان يلقي حليا في يده
مثلها فالقوا والقى التربة التي اخذها من موطئ حافر فرس جبريل وقيل وسوس اليه الشيطان انها اذا خالطت مواتا صار
حيوانا وقال السدي قال لهم هرون ان تلك لا تحل فاحفروا حفيرة والقوها فيها حتى يرجع موسى فيرى رايه فيها ففعلوا وقال
ابن عباس اوقد هرون نارا وقال اقذفوا ما معكم فيها ثم القى السامري ما كان معه من تربة حافر فرس جبريل فاخرج لهم عجلا جسدا
فاخرج لهم السامري من الحفرة عجلا من تلك الحلي التي اذابتها النار له خوار مثل خوار العجاجيل يقال خار العجل خوارا اذا صاح وجسدا بدنا
من لحم ودم وقرا الحسن له جؤار بالجيم وهو شدة الصوت فقالوا اي السامري وغيره من المفتونين هذا الهكم واله موسى فنسي اي فنسي موسى ان

يطلبه ههنا وذهب يطلبه عند الطور او فنسي السامري انه ترك ما كان عليه من الايمان الظاهر وقيل اخطاء الطريق وضل افلا يرون افلا يعلمون
ان لا يرجع اليهم قولا انه لا يرجع اليهم كلاما ولا يرد عليهم جوابا يعني انه لا يكلمهم ولا يجيبهم اذا دعوه ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا ولا يستطيع
لهم دفع ضرر عنهم ولا جلب نفع اليهم وفيه تنبيه على فرط جهلهم وضلالتهم وافلالهم بالنظر حيث وصفوا بالالهية التي يقتضي الاقتدار
على المقدورات كلها صورة تستحيل منها ان تقدر على شيء من افعال الله ولا من افعال العباد حيث لا تكلم ولا تجيب ولا تقدر على شيء
من الضر والنفع وهم يكلمونه ويجيبونه ويستطيعون وقرئ يرجع بالنصب على ان ان ناصبة للافعال ورد بانه لا تقع بعد افعال اليقين
ومن رفع فعلى انها مخففة من الثقيلة كما في قوله ان لا يقدرون على شيء من فضل الله ولقد قال لهم هرون من قبل من قبل رجوع موسى
او قول السامري كانه بادر تحذيرهم اول ما وقعت عليه ابصارهم حين طلع من الحفرة يعني يا قوم او قول السامري انما فتنتم به
ابتليتم بالعجل وان ربكم الرحمن المنعم بجلائل النعم ودقائقها كلها لا غير وقرا عيسى بن عمر انما فتنتم به وان ربكم بفتح الهمزة فيهما فاتبعوني
واطيعوا امري فاتبعوا هداي واطيعوا ما امركم به من اتباع الحق وترك الباطل وقيل فاتبعوني على ديني وعبادة الله واطيعوا امري في ترك
عبادة العجل قالوا لن نبرح عليه على عبادته عاكفين مواظبين ملازمين غير زائلين عن ذلك حتى يرجع الينا موسى وهذا الجواب يؤيد الوجه الاول
روي ان موسى رجع فسمع الصياح والجلبة وكانوا يرقصون حول العجل فقال للاصحاب الذين معه هذا صوت الفتنة ولما راى هرون اخذ هرون
قال يا هرون ما منعك اذ رايتهم ضلوا بعبادة العجل ان لا تتبعني لا مزيدة اي ما منعك ان تتبعني في الغضب لله وشدة الزجر على الكفر
والمعاصي والمقاتلة مع من كفر بمن امن وان تاتي عقبي وتلحقني وغير مزيدة على ان منعك مجاز عن دعاك والمعنى ما دعاك الا ترك اتباعي
وعدم في شدة الغضب لله ولدينه ونظيره هذه قوله ما منعك ان لا تسجد في الوجهين افعصيت امري همزة الانكار دخلت على
الفاء لانكار ان يقع منه العصيان لامره بعدما امره باطاعته واتباعه والمعنى ما كان ينبغي ان تعصي امري بالتصلب في الدين والمهاجرات
عليه والغضب لله بعدما امره باطاعته واتباعه وقيل المعنى ما منعك من اللحوق بي واخباري بضلالتهم فيكون مفارقتك زجرا لهم عن
ما احدثوا افخالفت امري قال ابن ام خص الام بالذكر استعطافا وتدقيقا واعتدادا بنسبها فتذكيرا لحقها لانها هي التي قاست فيه المخاوف والشدائد
واشارت الى انهما من بطن واحد قيل لانه كان اخاه من الام والجمهور على انهما كانا من اب وام لا تاخذ بلحيتي ولا برأسي ولا بشعر رأسي قبض على
شعره وهم يجره اليه لشدة غضبه لله وحمية لدينه وظنا باخيه انه فرط وكفهم من عبادة العجل وكان بنفسه حديدا شديد الغضب مجبولا
على الخشونة والتصلب في كل شيء فلم يتمالك حين راى قوما يعبدون عجلا من دون الله بعدما راوا من ايات العظام وقرئ بلحيتي بفتح اللام
وهي اهل الحجاز اني خشيت ان تقول فرقت بين بني اسرائيل اي خشيت لو قاتلت بعضهم ببعض لتفرقوا وصاروا احزابا يقتل بعضهم بعضا
فتقول انت فرقت بينهم ولم ترقب قولي حين قلت اخلفني في قومي واصلح فان الاصلاح في حفظ الدهماء والمداراة بهم الى ان ترجع
اليهم وترى فيهم ما ترى فتكون انت المتدارك لهم بنفسك المتصرف برايك وقرا جعفر بن محمد ولم ترقب من الارقاب قال فما خطبك يا سامري
اي ثم اقبل اليه فقال له منكرا ما خطبك اي ما طلبك له وما الذي حملك عليه وهو مصدر خطب الامر اذا طلبه قال بصرت بما لم يبصروا به قرا حمزة والكسائي
بما لم تبصروا بالتاء اي علمت ما لم تعلموه وفطنت لما لم تفطنوا له وهو ان الرسول الذي جاءك روحاني محض لا يمس اثره شيئا الا احياه او رايت
ما لم تروه وهو ان جبرائيل جاءك على حيزوم فرس الحياة وقيل انما عرفه لان امه القته في كهف حين ولدته حذرا من فرعون وكان جبريل
يغذوه حتى يستقل وقرا زيد بن علي وعبيد بن عمير بصرت بما لم تبصروا بكسر الصاد فيهما وقال ابو شبيل قراءة اهل واسط بصرت بكسر
الصاد تبصروا بفتح الصاد وقرئ بصرت بما لم تبصروا فقبضت قبضة من اثر الرسول من تربة موطئ فرسه والقبضة بالفتح المرة من
القبض واريد بها المقبوض تسمية للمفعول بالمصدر كضرب الامير وقرا الحسن بضم القاف وهو اسم المقبوض كالمضغة والغرفة
بمعنى الممضوغ والمغروف وقرا ايضا فقبصت قبصة بالصاد والقبض بالضاد الاخذ بجميع الكف والقبص بالصاد الاخذ باطراف الاصابع ونحوهما
الخضم والقضم الخاء بجميع الفم والقاف بمقدمه وقرا عبد الله من اثر فرس الرسول وهو جبريل وسماه الرسول دون جبريل وروح القدس
لانه لم يعرف انه جبريل او تنبيها على الوقت وهو حين حلول ميعاد الذهاب الى الطور ارسل اليه جبريل راكب حيزوم ليذهب به اليه

فابصره السامري

فابصره السامري فقال ان لهذا لشانا فقبض قبضة من اثره فلما سال موسى عن قبضته قال قبضت من اثر فرس المرسل اليك يوم حلول الميعاد
فنبذتها فالقيتها في الحلي المذابة او في فم العجل روي ان السامري لما صاغ العجل طرح في فمه من تراب فرس جبرئيل فصار حيا وكذلك سولت لي نفسي
الكاف في محل النصب على انه مفعول به لسولت اي ومثل ما ذكرته من قبض قبضة من اثر الرسول ثم نبذها سولت نفسي لاجلي فقرر ان ذلك
من تسويلات نفسه ويجوز ان يكون ذلك اشارة الى مصدر سولت اي ومثل ذلك التسويل العجيب سولت لي نفسي اي زينته وحسنته قال موسى
له فاذهب فان لك في الحيوة اي ما دمت حيا ان تقول لا مساس خوفا من ان يمسك احد فيأخذ كما الحمى روي انه ماس احدا ذكرا او انثى حمي
الماس والممسوس جميعا فتحامى الناس وتحاموه واذا لقي احدا يصيح لا مساس فصار وحيدا طريدا يهيم في البرية مع الوحوش والسباع وقيل امر موسى بني
اسرائيل ان لا يخالطوه ولا يقربوه وقال ابن عباس لا مساس لك ولا لولدك اي لا مخالطة وقرئ لا مساس بوزن فجار فهو علم للمسة ونحوه عباب
واياب علمان للغبة والاوبة وهي المرة من الاب وهو الطلب وان لك موعدا في الاخرة قال الاصمعي سمعت نافعا يقرأ وانك بفتح الهمزة لن تخلفه
لن يخلفك الله موعده الذي وعدك على الشرك والافساد وينجزه لك في الاخرة بعد ما عاقبك في الدنيا بعقوبة لا شيء اطم منها واوحش
وقرا ابو عمرو وابن كثير لن تخلفه بكسر اللام اي لن تخلف الوعد اياه وستوافيه لا محالة فحذف المفعول الاول لان المقصود هو الموعد اولن
تجده خلفا من اخلفت الموعد اذا وجدته خلفا قال الاعشى فمضى واخلف من قتيلة موعدا وقرا ابن مسعود نخلفه بالنون اي لن يخلفه الله
كانه حكى قول الله كما مر في لاهب لك وقرا ابن ابي نهيك لن تخلفه بفتح التاء وضم اللام اي ان تغيب عنه وانظر الى الهك الذي ظلت عليه
عاكفا ظللت على عبادته مواظبا ملازما فحذف اللام الاولى تخفيفا ونقلت حركتها الى الظاء فمن قرأ بكسر الظاء ومن لم ينقل قرأه بفتح الظاء وهو
المشهور وقرأ ابن يعمر ظللت بضم الظاء وفتحها وكسرها وكلها لغات والظلول بمعنى الصيرورة كما يستعمل اكثر الافعال الناقصة بمعناها
لنحرقنه بالنار ويعضده قراءة ابي جعفر لنحرقنه او بالمبرد على انه مبالغة في حرق اذا برد بالمبرد وينصره قراءة علي رضي الله عنه لنحرقنه فانه
بمعنى لنبردنه بالمبرد وهذا اختيار صاحب الغريب حيث قال امير المؤمنين علي رضي الله عنه وكذا ابن عباس لنحرقنه وقال لنبردنه بالبارد وكذا
عن ابي جعفر وعن نهيك لنحرقنه بفتح النون وكسر الراء وعن قومي لنحرقنه بضم التاء وكسر الراء مخففا بالسامري وعن الحسن لنحرقنه بفتح الياء وضم
حرف عبد الله لنذبحنه ثم لننسفنه لنذرينه رمادا او مبرودا من نسفت الريح التراب اذا ذرته في اليم نسفا فلا يصادف منه شيء روي ان
موسى اخذ العجل فذبحه فسال منه دم لانه قد صار لحما ودما ثم حرقه بالنار ثم ذراه في البحر وفيه زيادة عقوبته حيث اهدر سعيه واستوهل
ما افتتن به وفتن واظهر غباوة المفتنين به وبلادتهم وقرا ابو عمرو برواية ابي رجاء وابي زيد لنسفنه من النسف وقرا ابو رجاء لننسفنه
بضم السين انما الهكم معبودكم المستحق للعبادة الله الذي لا اله الا هو الذات الواجب الوجود الذي هو المستاثر بالالوهية المختص بها
اذ لا يماثله احد في الالوهية التي تقتضي القدرة على الاشياء كلها والعلم بجميعها والغنى عنها والاشياء كلها ولا يدانيه في ذلك وقوله الذي لا اله الا
هو يفيد الاختصاص بالالهية ونحوه قولك القبلة الكعبة التي لا قبلة الا هي وقرا طلحة الله الذي لا اله الا هو الرحمن رب العرش وسع كل شيء علما
انما قيل وسع كل شيء مع ان الله متعال عن المكان كله لان العلم هو الذي وسع كل شيء في المعنى والاصل وسع علمه كل شيء وعلما الا ان الكلام ازيل
عن اصله باسناد الفعل الى صاحب العلم واخرج منصوبا على التمييز للاغراق في وصفه بالعلم كان ذاته علم واسع كل شيء وقيل وسع كل شيء ما يفيح
ان يعلم العجل الذي يصاغ ويحرق وان كان حيا في نفسه كان مثلا في الغباوة وقرا مجاهد وقتادة وسع بمعنى ان علما منصوب على المفعولية لانه
وان انتصب على التمييز في المشهورة لكنه فاعل في المعنى فلما نقل الفعل نقلت تعديته الى مفعولين فصار مفعوله كقولك في خاف زيد عمرا
خوفت زيدا عمرا وافترد بالنقل جعل فاعله مفعولا وفي غرائب القراءة عن ابي رجاء وسع مثقلا وقال ملأ كل شيء علما كذلك الكاف
في موضع النصب وهو وعد من الله للرسول اي مثل ذلك الاقتصاص ونحو ما قصصنا عليك قصة موسى وفرعون نقص عليك من انباء
ما قد سبق من اخبار الامم الخالية وقصصهم واحوالهم تكثيرا لمعجزاتك وزيادة في بصيرتك وعلمك وعبرة للسامعين وللمستبصرين وتاكيدا
للحجة على المعاندين والكابرين ولقد اتيناك من لدنا ذكرا قرآنا مشتملا على هذه الاقاصيص والاخبار الحقيقية بالتفكر والاعتبار
نكره للتعظيم اي ذكرا عظيما وقرا كريما يفوض به جنبا السعادات من اتبعه واقبل عليه وقيل ذكرا جميلا وصيتا عظيما بين الناس من اعرض عنه

من الذكر الذي هو القرآن الجامع لوجوه السعادة والنجاة وقيل هو الله فانه يحمل يوم القيمة وزرا عقوبة ثقيلة باهظة على اعراضه وتركه الايمان به سماها
وزرا تشبيها لثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها بالحمل الذي يفدح الحامل وينقض ظهره ويلقي عليه بهره او لانها جزاء الوزر وهو الاثم وقرئ يحمل
وقرا داود بن رفيع يحمل يوم القيمة وزرا خالدين فيه اي في حمله واما جمع خالدين وتوحيد ضمير اعرض فللحمل على معنى من تارة وعلى لفظه
اخرى وساء لهم يوم القيمة حملا ساء في حكم بئس وفيه ضمير مبهم يفسره حملا والمخصوص بالذم محذوف لدلالة الوزر المذكور عليه اي ساء حملا
وزرهم واللام في لهم للبيان كما في هيت لك ولو كان ساء بمعنى احزن وضميره للوزر اشكل امر اللام وحملا نصب ولو لم تفد مزيد معنى يوم ينفخ
في الصور قرا ابو عمرو ننفخ بالنون على اسناد النفخ الى الامر تعظيما له او النافخ تنبيها على كرامته وقربه منه والباقون بالياء المضمومة على ان في الصور
اقيم مقام الفاعل وقرئ بياء مفتوحة على ان الضمير فيه لله تعالى او لاسرافيل عليه السلام وان لم يجر ذكره لانه المشهور بذلك وقرئ
في الصور بفتح الواو جمع صورة وفي الصور بسكون الواو قولان انه جمع الصورة وهذه القراءة تدل عليه والثاني انه القرن ونحشر المجرمين يومئذ
ونبعث المتوغلين في الاجرام وان تام المنهمكين فيها وهم الكفرة والمشركون وقرا الحسن يحشر المجرمين وقرا ابو عمرو برواية هرون ينفخ
بفتح الياء ونحشر بالنون والحسن والاعمش ينفخ ويحشر بفتح الياء فيهما وقراها السلمي بفتح الياء زرقا قيل عميا كقوله ونحشرهم
يوم القيمة على وجوههم عميا الاية وقيل زرق العيون سود الوجوه وقيل عطاشا وقرا عيسى بن عمر زرقا بضمتين يتخافتون بينهم التخافت
اسرار المنطق واخفاؤه اي يقول بعضهم لبعض خفية وسرا من غيرهم لما يملأ صدورهم من الرعب والهول وقيل يخفضون
اصواتهم والخفت خفض الصوت واخفاؤه وقيل يتشاورون بينهم ويتكلمون خفية ان لبثتم ما مكثتم في الدنيا الا عشرا عشر ليال
او عشرة ايام وقال مقاتل عشر ساعات وقيل في القبور لقوله ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون الى اخر الايات يستقصرون مدة
لبثهم فيها لزوالها او لتوافيها او لاستطالتهم الاخرة وانها ابدا يدوم وهو لا ينقطع اجلها ولبث اهلها او لما عاينوا الشدائد التي
تذكرهم ايام السرور فيتأسفون عليها ويصفونها بالقصر لان ايام السرور قصار وقيل بين النفختين وهو اربعون سنة وهو ضعيف جدا
نحن اعلم بما يقولون وهو مدة لبثهم اذ يقول امثلهم طريقة اعدلهم رايا واكثرهم عملا وقيل اوفاهم عقلا واعدلهم قولا ان لبثتم الا يوما استر
جاع لقوله من يكون احق مقالا واستقلالا منهم ويسئلونك عن الجبال عن مال امرها قال ابن عباس سال رجل من ثقيف فقال كيف
تكون الجبال يوم القيمة فنزلت فقل ينسفها ربي نسفا يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها كما يذرى الطعام وقيل النسف
القلع اي يقلعها من اصلها ويجعلها هباء منثورا فيذرها فيذر مقارها ومراكزها او الارض وان لم يجر لها ذكر كقوله ما ترك على ظهرها
من دابة قاعا صفصفا قيل قاعا اي صفصفا قيل اي ارضا فان القاع ما انبسط من الارض وقيل فالبا صفصفا ملساء مستوية
اجزاؤها على صف واحد لا نبات فيها وقال الجوهري القاع المستوي من الارض والصفصف المستوي من الارض هذه عبارته من
غير تغيير والظاهر انه خطاء وقع في صحاحه لا ترى فيها عوجا ولا امتا اعوجاجا ولا نتوا يسيرا ان تاملت فيها بالقياس الهندسي
وثلثتها احوال مترتبة فالاولان باعتبار الاحساس والثالث باعتبار القياس ولذلك قال عوجا بكسر العين وهو مختص بالمعاني
دون الاعيان ويجوز ان يكون لا ترى استينافا مبينا للحالين وقال الحسن لا ترى واديا ولا رابية فان العوج ما انخفض من الارض
والامت ما نشز من الروابي وقال قتادة صدعا ولا اكمة وقال مجاهد ارتفاعا ولا انخفاضا يومئذ اي يوم اذ نسفت على ان اليوم
اضافه الى وقت نسف الجبال ويجوز ان يكون بدلا ثانيا من يوم القيمة يتبعون الداعي داعي الله او داعيهم الى المحشر قالوا هو اسرافيل
قائما على صخرة بيت المقدس يضع الصور في فيه ويقول ايتها العظام البالية والجلود المتمزقة واللحوم المتفرقة هلموا الى عرض الرحمن
فيقبلون من كل اوب الى صوته لا عوج له لا يعوج له مدعو ولا يعدل عنه بل يستوي اليه من غير انحراف متبعا لصوته وخشعت الاصوات
خفضت الاصوات من شدة الفزع وخفتت لمهابته فلا تسمع الا همسا اي صوتا خفيا ومنه الحروف المهموسة وقيل هو من هميس الابل
وهو صوت اخفافها اذا مشت اي لا تسمع الا خفق الاقدام ونقلها الى المحشر وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس الهمس تحريك
الشفاه من غير منطق وقال مجاهد تخافت الكلام وخفض الصوت يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن من مرفوع

على انه بدل من الشفاعة بتقدير حذف المضاف اي لا تنفع الشفاعة الا شفاعة من اذن له فيكون الاستثناء من الشفاعة او منصوب
على انه مفعول به تنفع اي لا تنفع الشفاعة احدا من الخلق الا شخصا اذن له الرحمن فيكون الاستثناء من اعم المفاعيل واذن من الاذن
وهو الاستماع ومنه قوله عليه السلام ما اذن الله لشيء كاذنه لنبي يتغنى بالقرآن واراد بالتغني تحزين القرآن وترقيقها والمراد هنا الا
سماع الانفراد بشفاعة الشافع وبقراءة النبي وتوقيته ثوابها والتفضل على الثاب ورضي له قولا اي ورضي قوله لاجله وفي شانه او رضي لاجل
قول الشافع او رضي لمكانه عند الله قوله في الشفاعة او رضي قولا من اقواله وهو ان قال لا اله الا الله فوجب ان تكون الشفاعة نافعة للفاسق ايضا
لانه تعالى قد ارتضى قولا من اقواله وهو كلمة التوحيد قال الله تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى فاذا ارتضى له قولا فقد حصل له الاذن في
الشفاعة يعلم ما بين ايديهم ما تقدمهم من الاحوال وما خلفهم وما بعدهم مما يستقبلونه وقيل ما بين ايديهم من الاخرة وما
خلفهم من امر الاخرة وما خلفهم من الاعمال وقال مجاهد ما بين ايديهم من امر الدنيا والاعمال وما خلفهم من امر الاخرة والثواب
والعقاب وقال الكلبي ما بين ايديهم من امر الملائكة وما خلفهم من امر الدنيا وقال الضحاك يعلم ما مضى وما بقي ولا يحيطون به علما
ولا يحيط علمهم بمعلوماته او بذاته وقيل الضمير لاحد الموصولين او لمجموعهما فانهم لا يعلمون جميع ذلك ولا تفصيل ما علموا منه وذلك
لان الاحاطة بالشيء علما ان يعلم من جميع جهاته لا يخفى منه معلوم وهو لا يمكن لغير علام الغيوب وعنت الوجوه للحي القيوم وذلت وخشعت
له خضوع العناة وهم الاسارى واللام للجنس اشارة الى الوجوه كلها عاصيها ومطيعها او للعهد اشارة الى وجوه الظالمين ويعضده قوله وقد
خاب من حمل ظلما نكر ظلما لانه ظلم مخصوص وهو الكفر والشرك ولذلك قال ابن عباس من اشرك بالله وهو يحتمل الحال والاستقبال وليانه
ما لاجله عنت وجوههم وقال جار الله هو اعتراض كقولك خابوا وخسروا وكل ظالم فهو خايب خاسر وقيل في عنت الوجوه اي وسجدت
على الجبهة للحي القيوم والتي قيل عنت دون تعنو اشعارا بتحقق العنوة وثبوته وانه كائن من كل بد وواقع جار عليهم لان الفعل الماضي يدل
على وجود الفعل وثبوته مقطوعا قطعا فصعق من في السموات ومن في الارض ومن يعمل من الصالحات بعض الطاعات وهو مؤمن والحال
انه ذو ايمان وتصديق فانه شرط في صحة الطاعات وقبول الخيرات فلا يخاف ظلما ان يمنع ثواب المستحق بالوعد وقال ابن عباس ان يزاد
عليه في سيئاته وقال الحسن ان ينقص من ثواب حسناته وقال الضحاك ان يؤخذ بذنب لم يعمله ولا هضما ولا ان يكسر بنقصانه اذ
جزاء ظلم لانه لم يظلم غيره ولم يهضم حقه وقرا ابن كثير فلا يخف بالجزم على النهي للغائب والباقون بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف
والجملة جواب للشرط وكذلك عطف على كذلك نقص وذلك اشارة الى الايات السابقة المتضمنة للوعيد والوعد لانه مما انزل الله و
كرره في كتابه في مواضع جمة فالكاف مفعول به لقوله انزلناه وقوله قرانا عربيا حال من المفعول به اي انزلنا تلك الايات وهو قرآن
عربي لا لبس فيه عليك لتفهم ما يقال لك ولتبشر وتنذر ويجوز ان يكون ذلك اشارة الى المصدر انزلنا اي ومثل ذلك الانزال البين المفهم
انزلناه اليك قرانا عربيا كله على هذه الوتيرة وصرفنا فيه من الوعيد مكررين فيه ايات الوعيد لعلهم يتقون ارادة ان يجعلوا عمل التقوى
في التذكير بايات الوعيد والاتعاظ بها او يتقوا المعاصي وينتظموا في زمرة المتقين وقيل ليكونوا بحيث يراد منهم ترك المعاصي وفعل الخير
والطاعة وقيل اي يجتنبون الشرك او يحدث لهم ذكرا ويجدد لهم موعظة وتذكيرا وقيل عظة واعتبارا حين يسمعونها فيثبطهم عنها ولهذه
النكتة اسند التقوى اليهم والاحداث الى القرآن وقيل طاعة وعبادة وقيل انزلنا القرآن ليتقوا ويحترزوا عما لا ينبغي فان لم يحصل
ذلك فلا اقل من ان يحدث القرآن لهم ذكرا وشرفا وصيتا حسنا وقرئ نحدث بالنون وبالتاء اي تحدث انت وسكن بعضهم
الثاء للتخفيف كما في فاليوم اشرب غير مستحقب ومنه قراءة زيد بن علي تاكل منها في سورة الفرقان قال صاحب الغرائب القرآن عن مجا
هد او يحدث بالياء والجزم وقال هناك عن زيد بن علي تاكل منها جزم ولا تعلم له وجها فلعله من جزم المرفوع فقد سكنه تخفيفا فتعالى
الله فاستعلى على كل شيء بقدرته او فكبر عن المخلوقين وتعالى عنهم في ذاته وصفاته وافعاله لا يماثل كلامه كلامهم كما لا يماثل ذاته ذا
تهم او فاعلى الذات الواجب الوجود المستجمع بجميع صفات الكمال وما اجله عما يضاف اليه من الشركاء ومماثلة المخلوقين وقيل جل الله
عن الحاد الملحدين وعما يقول المشركون وتعالى تفاعل من العلو وليست مرتبة شرعية الا والحق تعالى وتقدس في اعلى الدرجات منها

وارفعها وذلك لانه مؤثر وواجب لذاته وكل ماسواه اثر وممكن ولمناسبة بين الواجب والممكن وجعل هذا نتيجة من قدرته على جزاء
الكافر والمؤمن الدال على الاحياء والاماتة وانزل الفرقان الحق وسايرما ذكرمن افعاله الدالة على انه مقدور لا يمتنع عليه كانه قال فلذلك
من الاقتدار علت ذات الواجب المعبود بالحق وصفاته عن مماثلة الاجسام وصفاتها ومشاكلتها الملك اي الذي يعز من يشاء ويذل
من يشاء ويمتنع اذلاله او الغني يستغني في ذاته وصفاته عن كل موجود ويحتاج اليه كل شيء في ذاته وعوارضه او التام القدرة الذي
كل شيء سواه مملوك له في ذاته وصفاته او النافذ امره ونهيه الحقيق بان يرجى وعده ويخشى وعيده وحق الثابت الملك الحق
الذي يحق له الملك او الثابت في ذاته وصفاته وذلك انه تعالى واجب لذاته فلا يقبل العدم في ذاته وصفاته فكان حقا من كل الوجوه
والاعتبارات وما عداه ممكن لذاته والممكن يقبل العدم فلم يكن غيره حقا البتة بل باطلا كما قال الا كل شيء ما خلا الله باطل ولا تعجل قيل لما
بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه نهي عن الاستعجال في تلقي الوحي من جبريل ومساوقته في القراءة حتى يتم وحيه بعد ذكر القران وانزاله
على سبيل الاستطراد اي ولا تعجل بالقراءة وقراءته من قبل ان يفرغ جبريل من الابلاغ والتلقين وقيل لا تبلغ ما كان منه
مجملا قبل ان يأتيك بيانه وقرئ يقضي نقض اليك بالنون وقل رب زدني علما قيل علما بالقران ومعانيه وقيل علما الى ما علمت وكان ابن مسعود اذا قراها قال اللهم زدني ايمانا ويقينا وقيل اي سل الله زيادة العلم بدل الاستعجال فان ما اوحي اليك
تنالهم لا محالة وقيل هو متضمن للتواضع لله والشكر له عندما علم من ترتيب التعلم اي علمتني يا رب لطيفة في باب التعلم واداب
جملا ما كان عندي فزدني علما الى علم فان لك في كل شيء حكمة وعلما وقيل ما امر الله رسوله بطلب الزيادة في شيء الا
في العلم ولقد عهدنا الى ادم ولقد امرناه ووصيناه ان لا يقرب الشجرة يقال تقدم الملك اليه واوعز اليه وعزم عليه وعهد
اليه اذا امره ووصاه واللام جواب قسم محذوف وعطف قصة ادم على قوله وصرفنا فيه من الوعيد تنبيها على ان اساس بني ادم
على العصيان وعرقهم راسخ في النسيان من قبل من قبل وجودهم او من قبل هذا الزمان فنسي النسيان يجيء بمعنى عدم التذكر اي فلم
يذكر العهد ولم يعن به العناية الصادقة حتى غفل عنه بمعنى الترك اي فترك ما وصي به من الاحتراس عن الشجرة واكل ثمرتها وقيل نسي
عقوبة الله وظن انه نهي تنزيه وقرئ فنسي اي نساه الشيطان ولم نجد له عزما تصميم راي وثباتا على الصبر اذ لو كان ذا عزيمة وتصلب
لم يزله الشيطان ولم يستطع تغريره ولعل ذلك كان في بدء امره وقيل ان يجرب الامور وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو وزنت حلم ادم بحلم
جميع ولده لرجح حلمه وقد قال الله تعالى ولم نجد له عزما وقيل عزما على الذنب لانه اخطا ولم يتعمد وقال الحسن صبرا عن ما نهي عنه وقيل
حفظا لما امر به والوجود بمعنى العلم ومفعولاه له عزما او نقيض العدم كانه قال وعدمنا له عزما وله اما حال من عزما او متعلق بنجد
واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم واذ نصب بمضمر اي واذكر وقت امرنا الملائكة بالسجود لادم على وجه التكرمة والتبجيل بعد ان اتممناه
باتمام خلقه ونفخ فيه في احسن تقويم هذا هو المعنى المطابق للواقع وقيل اي واذكر وقت ما جرى عليه من معاداة ابليس ووسوسته اليه بالقاء
وتزيينه له الاكل من الشجرة والطاعة له بعدما تقدمت معه النصيحة والموعظة البليغة والتحذير من كيده حتى يتبين لك انه لم يكن من اولي العزم
والثبات وهذا المعنى مما لا يدل عليه قول الله لا بطريق المطابقة ولا بالتضمن ولا بالالتزام كما لا يخفى على من له ادنى تامل وانصاف وهكذا
ما ذكره القاضي من قوله اي اذكر حاله في ذلك الوقت ليتبين لك انه نسي ولم يكن من اولي العزيمة والثبات فسجدوا الا ابليس اي فسجدوا
كلهم اجمعون تعظيما لامر ربهم وامتثالا له واعظاما لخطابه واجلالا له من غير التفات الى التفاوت بين الساجد والمسجود الا ابليس فانه لم
يسجد لم يطرح اردية الكبر ولم يخفض جناحه وهو استثناء متصل لانه كان جنيا معهم مغمورا بهم مامورا بالسجود معهم فغلبوا عليه في قوله فسجدوا
ثم استثني كما يستثنى الواحد منهم استثناء متصلا كقولك خرج اهل البلد كلهم الا فلانة لامراة بين الرجال او منقطع بمعنى لكن ابليس اي
لما امروا بالسجود والتواضع لادم فسجدوا له وتواضعوا امتثالا لامر ربهم للتكريم لادم كان هو مع سفله من درجاتهم وانحطاطه عن
مراتبهم احق بان يتواضع ويقتفي اثرهم ويقتدي بهم في اتباع امر الله وجعله نصب العين مع ما في السجود من طرح الكبرياء وخفض الجناح
لكنه لم يسجد وذهب عن التواضع واستنكف من السجود اي امتنع مما امر به وهو استيناف على تقدير سؤال سائل بقوله هلا سجد ولم

يسجد وقيل

يسجد وقيل ابى ذلك واستكبر عنه ويجوز ان لا يقدر له مفعول وهو السجود المدلول عليه بقوله فسجدوا وان يكون معناه اظهر الاباء عن المطاوعة
وتوقف وتثبط وتقدير المفعول هو الوجه لقوله ابى ان يكون مع الساجدين فقلنا يا ادم ان هذا الحقير الابي الخالف لامرنا عدو لك ولزوجك
الزوج اسم للفرد بشرط ان يكون معه الساجدين معه اخر من جنسه ذكرا كان او انثى فلا يخرجنكما اي فلا يكونن سببا لاخراجكما والمراد نهيهما
من اتباع وسوسته فيما يزينه لهما من الاقدام على ما لا ينبغي من الجنة فتشقى اسند الشقاء الى ادم وحده بعد اشراكهما في الخروج اكتفاء بذكره
لانها تبع له واستلزام شقائه شقاها من حيث انه قيم عليها ولرعاية الفاصلة ولان المراد بالشقاء التعب في طلب القوة وذلك مما ينسب الى الرجل
ويختص به غالبا وقال السدي يعني الحرث والزرع والحصيد والطحن والخبز وعن سعيد بن جبير اهبط الى ادم ثور احمر فكان يحرث عليه ويمسح
العرق عن جبينه فذلك شقاؤه ابتداء لكم ان لا تجوع فيها ولا تعرى جملة مستانفة لبيان ما خلق له في الجنة من اسباب كما له العيش واقطا
ب الكفاف التي هي الشبع والري والكسوة والكن مكفيا غير محتاج الى تحصيلها واكتسابها كما يحتاج الى ذلك في الدنيا وذكرها بذكر نقايضها ليطرق
سمعه باصناف الشقاوة التي حذره منها حتى يتحامى السبب الموقع فيها كراهة لها وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى من ضحي فلان بكسر الحاء اذا
برز للشمس واما المحدثون فيروونه بفتح الالف وكسر الحاء من اضحيت وضعفه الاصمعي وقال انما هو بكسر الالف وفتح الحاء اي ولا تبرز للشمس فيؤذيك
حرها وقال عكرمة لا تصيبك الشمس واذاها اذ ليس في الجنة شمس واهلها في ظل ممدود وقرا ابو البرهسم واليمان الا تجاع ولا تعرى ولا تظمأ ولا
تضحى اربعتها بالبناء للمفعول وقرا نافع وابو بكر وانك بكسر الهمزة عطفا على قوله ان لك والباقون بفتحها عطفا على ان لا تجوع اي ان لك فيها انتفاء
الجوع والعري والظماء والضحو وجاز عطف ان على اسم ان وان لم يجز دخولها عليه لان الوجود الفاصل بينهما وايضا الواو وان كانت نائبة عن
ان لكنها نابت من حيث العمل لا من حيث انها حرف تحقيق مثل ان فلا يمتنع دخولها على ان كما امتنع دخول ان فوسوس اليه الشيطان
اي فانتهى وابلغ الى ادم وسوسته والوسوسة الصوت الخفي ومنها وسواس الحلي لاصواتها وهو فعل لازم كولولت المولدة ووعوع الذئب و
وقت الدجاجة ومنه وسوس المبرسم ورجل موسوس بالكسر ولا يقال بالفتح ولكن موسوس له او اليه او ملقى اليه الوسوسة وانشد ابن الا
كما في وسوسى بدعو مخلصا رب الفلق وقال الليث الوسوسة حديث النفس وانما قيل موسوس لانه يحدث بما في ضميره واذا قيل وسوس
له بالاداة فمعناه لاجله كقوله اجرس لها يا ابن ابي كباش واذا عدي بالى فمعناه ما ذكرناه في التفسير قال يا ادم هل ادلك على شجرة الخلد
انما فصل هذه الجملة عما قبلها لانها تفسير له وتبيين كما في قوله اقسم الله ابو حفص عمر هل تختص المضارع بالاستقبال كالسين و
الكناية اضافة الشجرة الى الخلد وهو الخلد لانها سببه بزعمه وان من اكل منها خلد ولم يمت ابدا كما قيل للحيزوم فرس الحياة لانه سببها وملك
لا يبلى اي لا يزول ولا يضعف وهو دليل على قراءة الحسن بن علي وابن عباس رضي الله عنهم الا ان تكونا ملكين بكسر اللام فاكلا منها
فبدت لهما سواتهما فظهرت لهما عوراتهما وعن ابي بن كعب قال عليه السلام ان اباكم ادم كان رجلا طويلا كالنخلة السحوق كثير
الشعر موارى العورة فلما واقع الخطيئة بدت سواته فانطلق في الجنة هاربا فمر بشجرة فاخذت بناصيته فاجلسته فناداه ربه افرارا مني
يا ادم قال لا يا رب ولكن حياء منك وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وشرعا يلزقان ورقة ورقة فوق ورقة من ورق الجنة على سواتهما
للستر وهو ورق التين وقيل كان مدورا فصار على هذا الشكل من تحت اصابعهما وطفق واخذ وجعل وكرب تستعمل استعمال
كاد تقول طفق يفعل واخذ يفعل وكرب يفعل ذلك وطفق وكاد متقاربا المفهوم الا ان طفق للشروع في اول الامر وكاد لمشارفته و
الدنو منه تقول كادت الشمس تغرب تريد ان قربها من الغروب قد حصل واختلف في لباسهما فقيل كان نورا وقيل حلة وقيل كان لباسهما الظفر
فلما اصابا الخطيئة نزع عنهما وتركت هذه البقايا في اطراف الاصابع وقرئ يخصفان للتكثير والتكرير من خصف النعل اذا خرز عليها
وعصى ادم ربه بارتكاب المنهي اكل الشجرة فغوى قيل فضل عن المطلوب وخاب حيث طلب الخلد باكل الشجرة او عن المامور او عن الرشد
حيث اغتر بقول العدو وقال اهل الحق هذه الواقعة الى التوبة قبل النبوة وقال ابن الاعرابي اي فسد عليه عيشه وصار من العز الى الذل
ومن الراحة الى التعب والفرق بين الضلالة والغواية ان الضلالة عدم الاهتداء الى الشيء والغواية الجهل وفساد العيش كذا قيل وقيل
الغواية خلاف الرشاد فالواو في النعي على النبي المعصوم بالعصيان والغواية مع وصف زلته تعظيم للزلة وزجر بليغ لاولاده عنها وموعظة

صغر

كافة وعن بعضهم ففدى فبشم من كثرة الاكل وهذا تفسير خبيث وان صح على لغة بني طي فانهم يقلبون الياء المكسورة ما قبلها الفا فيقولون
في فني ودعي فنا وبقا من طاوس سمع ابا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احتج ادم وموسى فقال يا موسى يا ادم انت ابونا
اخرجتنا من الجنة فقال ادم يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك التورية بيده تلومني على امر قدره الله على قبل ان يخلقني با
ربعين سنة فحج ادم موسى رواه الاعرج عن ابي هريرة وزاد قال ادم بكم وجدت الله تعالى كتب لك التورية قبل ان اخلق قال موسى
اربعين عاما قال ادم فهل وجدت فيها وعصى ادم ربه فغوى قال نعم قال أفتلومني على ان عملت عملا كتب الله على ان اعمله قبل ان
يخلقني باربعين سنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فحج ادم موسى ثم اجتبيه ربه اختاره واصطفاه بان قبله بعد التوبة وقربه اليه
وقيل اصطفاه وقربه بالحمل على التوبة والتوفيق له من جبي الى كذا فاجتبيه ونحوه جليت على العروس فاجتليتها ومنه قوله واذا لم تاتهم
باية قالوا لولا اجتبيتها اي هلا اجتبيت اليك فاجتبيتها واصل الكلمة الجمع ويقولون اجتبت الفرس اذا اجتمعت نفسها راجعة بعد
النفار فتاب عليه فرجع عليه بالرحمة والقبول لما تاب وهدى وفلق فيه فعل الاهتداء الى اسباب الاجتهاد والعتول وقيل وفقه
لحفظ التوبة وغيره من اسباب التظهير العصمة والتقوى وقيل هداه الى التوبة حتى قال ربنا ظلمنا انفسنا قال اهبطا منها جميعا
من هبط هبوطا اذا نزل والخطاب لادم وحوا ولهم ولابليس ولما كانا اصل البشر وسببي نشوهم وتفرعهم جعلهما كانهما البشر في
انفسهما فخاطبهما مخاطبتهم فقال بعضكم لبعض عدو في موضع الحال اي متعادين يعادي قوم قوما ويعادونهم لامر المعاش كما عليه
الناس من التجاذب والتجاذب اولا اختلاف حال كل من النوعين بواسطة الاخر ويؤيد الاول قوله فاما ياتينكم مني هدى بكتاب انزله
اليكم ورسول ابعثه اليكم واصل الكلام فان ياتكم وما مزيدة لتاكيد معنى الشرط وما هو منه مثل لام القسم لانها اذا دخلت دخلت معها
النون المؤكدة الا تراك لا تقول ان تكرمني اكرمك ولكن اما تكرمني اكرمك وانما جئ بكلمة الشك ايذانا بان اتيان الهدى بطريق الكتاب والرسول
ليس بقطعي الوقوع وانه تعالى ان شاء هدى وان شاء ترك لا يجب عليه شئ اي ان شاء اتيهم منه هدى وهو الكتاب والرسول وان شاء
لم ياتيهم ولكن ان تقول اتيان الكتاب والرسول لما يكن لازم التحقق والوقوع ابرز في معرض الشك واكد حرف الشرط بما والفعل بالنون
دلالة على تحقق جهة الوقوع والتحقق وقرا ابو البرهسيم قال اهبطوا بالجمع لقوله بعضكم ولم يقل بعضكما فمن اتبع هداي اتباع الهدى
عبارة عن الايمان والتصديق بالكتاب والرسول اي فمن امن وصدق بهما فلا يضل في الدنيا عن طريق الدين القوي ولا يشقى في
الاخرة بالعقاب وعن ابن عباس رضي الله عنه لمن اتبع القران ان لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الاخرة ثم تلا الاية وروي عن سعيد بن
جبير ثم قال من قرا القران واتبع ما فيه هداه الله من الضلالة ومن عقابه ومن اعرض عن ذكري الذكر من اسماء القران قال الله تعالى
انا نحن نزلنا الذكر واضافه الى نفسه تعظيما لشانه واظهارا لفضله اي ومن اعرض عن القران بان لم يؤمن به ولم يتبعه وقيل عن علمه بان
نسيه ولم يعمل به وقيل عن الهدى الذاكر لي والداعي الى عبادتي فان له معيشة ضنكا ضيقا مصدر يستوي في الوصف به المذكر والمؤنث
وقرئ ضنكى على فعلى بالتانيث صفة للمعيشة وذلك لان المعرض عن ذكر الله مسلط عليه الشيطان الذي هو عدوه المبين لكل هلاك
وخزي ونكال وعدو ابيه ادم وابناء جنسه كلهم ملزوز في قرن كحزبه ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين ما زوزيه
يعزيه من الضلالة كلها ويورطه فيها بالوساوس والتسويلات كما قال الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين توزهم ازا
فلا يكون احد اشد عيشا واظلم حالا منه واضل واشقى وقيل لان مجامع همته ومطامح نظره يكون الى اعراض الدنيا متهالكا على
ازديادها خائفا من انتقاصها بخلاف المؤمن الطالب الاخرة وقال الزمخشري ومعنى ذلك ان مع الدين التسليم والقناعة
والتوكل على الله وعلى قسمته فصاحبه ينفق ما رزقه بسماح وسهولة فيعيش عيشا رافعا كما قال تعالى فلنحيينه حيوة طيبة والمعرض عن
الدين مستول عليه الحرص الذي لا يزال يطمح به الى الازدياد من الدنيا مسلط عليه الشح الذي يقبض يده عن الانفاق فعيشه
ضنك وحاله مظلمة كما قال بعض الصوفية لا يعرض احد عن ذكر ربه الا اظلم عليه وقته وتشوش عليه رزقه ومن الكفرة من ضرب الله
عليه الذلة والمسكنة لكفره كما قال وضربت عليهم الذلة ولو انهم اقاموا التورية والانجيل ولو ان اهل القرى امنوا فقلت استغفروا

مجامع همته

ربكم انه

ربكم انه لو استقاموا على الطريقة الايات وعن ابن مسعود وابي هريرة وابي سعيد الخدري هو عذاب القبر قال ابو سعيد يضغط حتى
تختلف اضلاعه وروي يلتئم عليه القبر حتى تختلف اضلاعه وعن الحسن هو الزقوم والضريع والغسلين في النار وقال عكرمة هو الحرام وقال الضحاك الكسب
الخبيث وقال ابن عباس هو الشقاء وعنه انه قال كلما اعطى العبد قل ام كثر فلم يتق فلا خير فيه وهو الضنك في المعيشة وان قوما اعرضوا عن
الحق فكانوا في سعة من الدنيا فكبرت فكانت معيشتهم ضنكا وذلك انهم يرون ان الله ليس بمخلف لهم فاشتدت معايشهم من سوء ظنهم
بالله وقال ابن جبير يسلبه القناعة حتى لا يشبع ونحشره يوم القيمة بمعنى البعث والجمع والاول هو المراد ههنا وقرئ بالجزم عطفا على محل فان
له معيشة لانه جواب الشرط وقرئ بسكون الهاء على لفظ الوقف يوم القيمة اعمى قال ابن عباس اعمى البصر وقيل اعمى القلب وقال مجاهد اعمى عن الحجة قال
رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا بصير العين والقلب او بصيرا بالحجة وامالهما حمزة والكسائي لان الالف من الياء وفرق ابو عمرو
بان الاول راس الاية ومحل الوقف فهو جدير بالتغيير ولام لم لام الاضافة دخلت على ما الاستفهامية وانما حذفت الالف تخفيفا قال كذلك
اي مثل ذلك فعلت انت ثم فسره فقال اتتك اياتنا واضحة مستنيرة فنسيتها فعميت عنها وتركتها غير منظور اليها بعين الاعتبار و
كذلك ومثل تركك اياها اليوم تنسى تترك في العمى والعذاب وقيل تترك على عماك ولا نزيل غطاءه عن عينيك وقدم الظرف وقصر الى الاختصاص
مع رعاية الفاصلة وكذلك اي مثل ذلك الجزاء القطيع نجزي من اسرف في عصيانه والاسراف مجاوزة الحد وقيل هو بمعنى الاشراك ههنا وقيل
من اسرف بالانهماك في الشهوات والاعراض عن الايات ولم يؤمن بايات ربه من كتبه المنزلة وغيرها وفيهما معنى الثبوت والدوام مطردة كانه
قيل من ثبت على الاسراف وعدم الايمان بها ودام عليهما ولما اوعد المعرض عن ذكره بعذابين المعيشة الضنك في الدنيا وحشره اعمى في
الاخرة ختم ايات الوعيد بقوله ولعذاب الاخرة اي وللحشر على العمى الذي لا يزول ابدا وقيل للنار بعد ذلك اشد وابقى منه
ضنك العيش الزائل او منه ومن العمى ولعله اذا دخل النار زال عماه ليرى محله وحاله او لتركنا اياه في العمى اشد وابقى من تركه لاياتنا افلم
يهد لهم فاعل الهداية اما الله بدليل القراءة بالنون او الرسول او الجملة بعده بمضمونها وهي كم اهلكنا قبلهم من القرون يهد افلم
يهد لهم اهلاكنا كثيرا من القرون المتقدمة عليهم وقيل فاعله القران اي افلم يبين لهم القران يعني كفار مكة يمشون في مساكنهم يعني
ان قريشا يتقلبون في بلاد عاد وثمود وفرعون ويمشون في مساكنهم وينظرون الى اثار عذاب الله ونكاله وتدميره وتنكيره وقرئ يمشون
وهو حال الهالك وعن عيسى ابن عمر يمشون بفتح الياء والشين ان في ذلك اشارة الى مصدر اهلكنا كانه قال ان في اهلاك هولاء
القرون لايات لدلالة واضحة على باس الله واخذه الاليم وعذابه الشديد لاولي النهى لذوي العقول الناهية عن التغافل والتعامي
ولولا كلمة سبقت من ربك وهي تاخير جزاء هذه الامة الى يوم القيمة يعني لولا العدة لكان لزاما لكان مثل هلاك عاد وثمود وغيرهم
لازما لهولاء الكفرة وهو مصدر وصف به او اسم اله سمي به اللازم لفرط لزومه كقولهم لزاز خصم واضمر اسم كان ولم يذكره للاختصار
والتهويل والدلالة على انه شئ لا يحيط به الوصف واجل مسمى عطف على كلمة اي ولولا العدة بتاخير عذابهم واجل مسمى لاعمارهم او لعذابهم
وهو يوم القيمة او يوم بدر لكان العذاب لزاما والفصل للدلالة على استقلال كل منهما بنفي العذاب او على الضمير في كان اي لكان الاخذ
العاجل واجل مسمى لازمين لهم كما كانا لازمين للقرون المهلكة ولم ينفرد الاجل المسمى دون الاخذ العاجل فاصبر على ما يقولون على
ما يحكيه قومك من القصص فان العاقبة والنصرة لك وقيل نسختها اية القتال وسبح ودم على عبادة ربك والثناء عليه وقيل و
صل بحمد ربك في موضع الحال اي وانت حامد لربك على ان هداك واعانك على عبادته او نزهه عما يضاف اليه من الشركاء وساير صفات
الاجسام حامدا له على نعمه التي من جملتها التوفيق للتسبيح والتحميد قبل طلوع الشمس يعني الفجر وفي الخبر ان الذكر والتسبيح الى طلوع الشمس
افضل من اعتاق ثمانين رقبة من ولد اسماعيل عم وقيل غروبها يعني الظهر والعصر لانهما بين زوال الشمس وغروبها او العصر
وحده ومن اناء الليل ومن ساعاته قال الاخفش واحدها اني مثل معي وقال ابو عبيدة واحدها اني مثل نحي والجمع اناء مثل انحاء
والشق الهذلي في كل اني قضاه الله ممضى يفعل وقيل واحدها اني يقال مضى اناه من الليل واناء فسبح يعني المغرب والعشاء و
قدم الزمان فيه لاختصاصه بمزيد الفضل لان افضل التسبيح والصلوة ما كان بالليل لانه ابعد من الرياء واجمع على الصلاح واشغل

خصه

واغلظ من صلوة النهار واوفق بما يراد من الخشوع والاخلاص قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل الصلوة عند الله صلوة المغرب الحديث
وقال عليه السلام افضل بعد الفريضة صلوة الليل قالوا وذلك ان الليل اشد موافقة بين السر والعلانية لانقطاع روية الخلايق و
واجمع للقلب واسع للذكر والقراة لهدوء الرجل وخفوت الصوت والخلو بالرب واضح للنشاط من النهار لانه وقت تفرق الهموم والتقلب
في المهمات وحوايج المعاش والمعاد ولذلك قال الله تعالى ان ناشئة الليل هي اشد وطاء واقوم قيلا ان لك في النهار سبحا طويلا
وقال امن هو قانت اناء الليل ساجدا وقائما واطراف النهار تكرير لصلاتي الفجر والمغرب ايذانا باختصاصهما بمزيد الفضل كما قال المفسرين وقال اطراف النهار بلفظ
الجمع مع انهما طرفان كما قال اقم الصلوة طرفي النهار لامن الالباس وفي التثنية زيادة بيان ونظيره مجيء الامرين في الاتيين بجيئهما في قوله ظهراهما
مثل ظهور الترسين او امر بصلوة الظهر فانه طرف النصف الاول من النهار انتهاء وطرف النصف الاخير ابتداء وجمع باعتبار
النصفين او لان النهار جنس او بالتطوع في النهار وقرئ واطراف النهار بالجر عطف على اناء الليل لعلك ترضى نفسك وبه قلبك و
قيل ترضى بالشفاعة كما قال ولسوف يعطيك ربك فترضى وقيل ترضى ثوابه في المعاد وقرا ابو بكر والكسائي ترضى مبنيا للمفعول اي يرضيك
ربك وقيل اي يرضاك ربك كما قال وعند ربه مرضيا ولا تمدن عينيك اي نظر عينيك ولا تطمح ببصرك طموح راغب وقيل ولا تنظر وقال
الزمخشري ومد النظر تطويله وانه لا يكاد يرده استحسانا للمنظور اليه واعجابا به وتمنيا ان يكون له كما فعل نظارة قارون حين قالوا يا ليت لنا
مثل ما اوتي قارون انه لذو حظ عظيم حتى واجههم اولوا العلم والايمان بويلكم ثواب الله خير لمن امن وعمل صالحا وفيه ان النظر غير الممدود
معفو عنه وذلك نظر من بادة الشيء بالنظر ثم غض الطرف ولما كان النظر الى الزخارف كالمركوز في الطباع وان من ابصر منها شيا احب ان يمد
اليه نظره ويملأ منه عينيه قيل ولا تمدن عينيك اي لا تفعل ما انت معتاد له وضار به ولقد شدد العلماء من اهل التقوى في وجوب غض
البصر عن ابنية الظلمة وعدد الفسقة في اللباس والمراكب في غير ذلك لانهم انما اتخذوا هذه الاشياء لعيون النظارة فالناظر اليها محصل
لغرضهم وكالمغري لهم على اتخاذها الى ما متعنا به اعطينا ازواجا منهم اصنافا من الكفرة فانه مستحق بالنسبة اليها ودينه من النعمة
التي هي نعمة وان عظم فهي اليها ضيلة ويجوز ان يكون حالا من حاد الضمير والمفعول منهم اي الى الذي متعنا به وهو اصناف بعضهم
وناسا منهم زهرة الحيوة الدنيا نصب على الذم او على تضمين متعنا معنى اعطينا وخولنا وكونه مفعولا ثانيا له او على البدل من محل به او من
ازواجا بتقدير ذوي زهرة ويجوز ان يكون نصبا بفعل محذوف دل عليه متعنا والزهرة الزينة والبهجة وقراها يعقوب بفتح الهاء
وهو لغة كالجهر والجهرة فيمن قرا ارنا الله او جمع زاهر وصف لهم بانهم زاهرون في الدنيا لصفاء الوانهم بتنعمهم وتهلل وجوههم
وبهاء زيهم وشارتهم بخلاف ما عليه المؤمنون الزهاد من شحوب الالوان والتقشف في الثياب لنفتنهم فيه لنبلوهم حتى يستوجبوا العذاب بان
ازيد لهم النعمة فيزيدوا كفرا وطغيانا او لنعذبهم في الدنيا بسببه كقوله فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها
في الحيوة الدنيا ورزق ربك وما ادخره لك في الاخرة او ما رزقك من نعم الاسلام والنبوة خير مما منحهم في الدنيا وابقى وادوم فانه
لا ينقطع وقيل والحلال خير وابقى من اموالهم الغالب عليها الغصب والسرقة والحرمة وعن عبد الله بن قسيط عن رافع نزل برسول الله
ضيف فبعثني الى يهودي فقال قل له يقول لك رسول الله اقرضني الى رجب فقال والله لا اقرضه الا برهن فاخبرت رسول الله فقال
اني لامين في السماء واني لامين في الارض اذهب بدرعي الحديد اليه فنزلت الاية فلا تمدن عينيك وامر اهلك بالصلوة اي واقبل
انت مع اهلك على عبادة الله والصلوة واستعينوا بها على خصاصتهم ولا تهتموا بامر الرزق والمعيشة ولا تلتفتوا لفت ارباب
الثروة والمراد بالاهل اهل بيته او التابعين من امته او امته امرهم ان يامرهم بالصلوة بعد امره بها ليتعاونوا على الاستعانة على
خصاصتهم واصطبر عليها وداوم الصبر عليها لا نسألك رزقا ان ترزق نفسك ولا اهلك نحن نرزقك واياهم ففرغ بالك لامر الاخرة
والعاقبة للتقوى اي والعاقبة المحمودة لاهل التقوى وعن ابن عباس للذين صدقوك واتبعوك واتقوني روي عن النبي
صلى الله عليه وسلم اذا اصاب اهله ضر امرهم بالصلوة وتلا هذه الاية وعن عروة بن الزبير انه كان اذا راى ما عند السلاطين قرا ولا
تمدن عينيك الاية ثم ينادي الصلاة الصلاة رحمكم الله وقرا ابن وثاب نرزقك بادغام القاف في الكاف وقالوا لولا ياتينا باية من ربه

ايادواية

ايادو اية كاينة من عند الله يدل على صدقه في ادعاء النبوة او اية من الايات التي كانوا يقترحونها وكانوا لا يعتدون بما اتيهم به من الايات
الباهرة المتكاثرة التي اوتيها وانزلت عليه ولم يؤتها احد من الانبياء قبله وكفى بالقران وحده اية وان كل اية باقية على وجه الدهر بديعة غريبة
في الايات خارجة عن العادات فايقة على المعجزات فانما جحدوها ولم يعتدوا بها وجعلوا اتيانها كلا اتيان وكانه لم ياتهم باية فلذلك قالوا
لولا ياتينا باية واحدة من ربه وذلك لفرط عنادهم وشدة شكيمتهم في الكفر وتماديهم في الغي والضلال وافراطهم في تشبثهم لدفع الحق بما امكنهم
بعد وضوحه وانتفاء الشك والمنع وهلا ياتينا باية مما اقترحنا نحن وتعنتنا به فقيل لهم اولم ياتهم بينة ما في الصحف الاولى اي قد اتيهم
اية هي ام الايات واعظمها في باب الاعجاز زوا دق في السلك في المعجزات يعني القران من قبل ان القران برهان ما في ساير الكتب السماوية المنزلة
على الانبياء ودليل صحته لانه معجزة وتلك ليست بمعجزات فهي مفتقرة الى شهادته على صحة ما فيها افتقار المحتج عليه الى شهادة الحجة وذلك
انه كونه برهانا على ما فيها للاحاطة بزبدة ما فيها من العقايد والاحكام الكلية وقرا ابن كثير بالجمع وقرئ الصحف بسكون الحاء للتخفيف
وقرا حفص ونافع وابو عمرو اولم تاتهم بالتاء لتانيث البينة والباقون بالياء لان تانيث البينة غير حقيقي ولانها في معنى البرهان و
مع وجود الفصل بالضمير ونظيره قوله فمن جاءه موعظة من ربه ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله من قبل محمد واتيان البينة وقيل الضمير
للبينة والتذكير لانها في معنى البرهان والمراد بها القران واعلم ان اصله ولو اهلكنا اهلكناهم لان لو انما تدخل على الفعل فحذف الفعل
الاول احترازا عن العبث لوجود المفسر ثم ابدل من الضمير المتصل وهو الفاعل ضمير منفصل وهو انا لتعذر الاتصال لسقوط ما يتصل
به فانا فاعل فعل المحذوف لا مبتدا ولا تاكيدا لنا اذ لم يبق ضمير المؤكد والعامل مع بقاء الحق التاكيد لقالوا ربنا لولا ارسلت
الينا رسولا اي لقالوا وفي الا هلاكهم او يوم القيمة هلا ارسلت رسولا يدعونا الى ما فيه النجاة من العذاب فنتبع اياتك من
قبل ان نذل ونخزى بالقتل والسبي في الدنيا وبدخول النار في الاخرة وقرئ نذل ونخزى بالبناء للمفعول وقرا الحسن نذل
مجهولا ونخزى معلوما قل كل اي كل واحد منا ومنكم متربص منتظر للعاقبة وما يؤول اليه امرنا وامركم وروي ان المشركين قالوا
نتربص بمحمد حوادث الدهر فاذا مات تخلصنا قال الله تعالى فتربصوا وقرئ فتمتعوا فستعلمون اذا جاء امر الله وقامت القيمة
من اصحاب الصراط السوي السواء يعني الوسط الجيد او المستوي والسوء والسوءى اي الشر والسوي وهو تصغير السوء وقرا ابن يعمر
والجحدري السوي بضم السين وفتح الواو المشددة وبناء التانيث كذا في الفوايد ومن اهتدى من الضلالة او من الصراط السوي ومن
في الموضعين للاستفهام ومحلها بالابتداء والثانية موصولة دون الاولى لعدم العايد فتكون عطفا على محل الجملة الاستفهامية المعلق
عنها الفعل على ان العلم بمعنى المعرفة او على اصحاب او على الصراط على ان المراد به النبي عليه السلام او من رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة طه اعطي يوم القيمة ثواب المهاجرين والانصار وقال لا يقرأ اهل الجنة من القران الا طه ويس

سورة الانبياء مكية وهي مائة واثنا عشر آية

بسم الله الرحمن الرحيم اقترب للناس حسابهم بالاضافة الى ما سلف من
الدنيا قال ابن عمر قال النبي صلى الله عليه وسلم انما بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الامم كما بين صلوة العصر الى غروب الشمس وقال عليه
السلام بعثت انا والساعة كهاتين واشار الى اصبعيه السبابة والوسطى وقال بعثت في نسم الساعة قال ابن الاعرابي اي في ضعف
هبوبها واول اشراطها والنسم اول هبوب الريح وقال غيره اي في ذوي ارواح خلقهم الله قبل اقتراب الساعة كانه قال في اخر النشء
من بني ادم ويروى في نفس الساعة وفي خطبة بعضهم ولت الدنيا حذاء ولم يبق الا صبابة كصبابة الاناء او عند الله لقوله
انهم يرونه بعيدا ونريه قريبا وقوله ويستعجلونك بالعذاب وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون او لان كل ات قريب وانما
البعيد ما انقضى ومضى واللام صلة لاقترب او تاكيد للاضافة وحساب الناس واصله اقترب حساب الناس ثم اقترب للناس حسابهم
ونظيره قولك ازف للحي رحيلهم على ان اصله ازف رحيل الحي ثم ازف للحي رحيلهم ومنه قولهم لا ابا لك لان اللام مؤكدة لمعنى الاضافة والمراد
بالناس المشركون على اطلاق اسم الجنس على بعضه لتقييدهم بقوله وهم في غفلة معرضون اي في غفلة من الحساب معرضون عن التفكر فيه
وهما خبران للضمير او الظرف حال من الضمير في معرضون ما ياتيهم من ذكر من وعظ وتذكير ينبههم عن سنة الغفلة والجهالة او طايفة

من القراءة ما ربهم محدث صفة اي ذكر كاين من ربهم او حال منهم او صلة ليا تيهم او متعلق بمحدث او حال من الضمير فيه محدث تنزيله اي يجدد
وانما يجدد لهم الذكر وقتا فوقتا ويحدث لهم الاية بعد الاية والسورة بعد السورة ليجددوا عند استماع كل منزل اذكارا وايقاظا ويتانفوا تنبيها
واستيقاظا وليقرع لهم العصا مرات ويقعقع لهم الشن تارات كي يتولى عليهم الغفلة والسهو وقرا زيد بن علي واليماني محدثا بالنصب على الحال
وقرا ابن ابي عبلة محدث حملا على المحل الا استمعوه وهم يلعبون يستهزءون ويسخرون لتمادي غفلتهم وافراطهم في الاعراض عن التامل
في الامور والنظر في العواقب لاهية قلوبهم حال لان مترادفا استمعوه جامعين بين الاستهزاء والذهول من التامل والنظر فيه او
متداخلا على ان الثانية حال من ضمير يلعبون وقرئت لاهية بالرفع على انه خبر بعد خبر لقوله وهم ومن لهى عنه اذا ذهل وغفل يعنى انهم
وان فطنوا فهم في غفلة قلة جدوى كانهم لم يفطنوا اصلا وثبتوا على راس غفلتهم وذهولهم عن التامل والتبصر بقلوبهم واستدل المعتزلة
بالاية على حدوث القرآن فقالوا القرآن ذكر لقوله تعالى وهذا ذكر مبارك انزلناه وقوله انا نحن نزلنا الذكر ثم ان هذه الاية والتي في سورة
الشعراء تدلان على ان الذكر محدث فيكون القرآن محدثا وايضا اتصاف القرآن بالانزال والتنزيل وكونه عربيا مسموعا منسوخا
منسوخا الى غير ذلك مما هو من لوازم المخلوق والمحدث يوجب حدوثه والجواب انها تدل على حدوث اللفظ وهو مما لا ينازع فيه احد
من الحنفية والشافعية والمالكية لان هؤلاء متفقون على حدوث النظم المتلو المؤلف من الحروف والاصوات خلافا للحنابلة فانهم
قائلون بتقدم اللفظ المؤلف وقدمه الفوا في حتى قال كثير منهم جهلا وعنادا ان الجلد والعلاقة قديمان فان الادلة على حدوث
اللفظ انما تقوم حجة على الحنابلة لا علينا وانما القديم عندنا المعنى القائم بذات الله تعالى فالقرآن اسم مشترك يطلق على الكلام الازلي هو صفة
الله تعالى وهو الكلام النفسي القديم ويطلق ايضا على ما يدل عليه وهو النظم المتلو الحادث فمن قال بحدث الاول فقد كفر على ما قال المشايخ
القرآن كلام الله غير مخلوق اصلا من قول عليه السلام القرآن غير مخلوق ومن قال انه مخلوق فهو كافر بالله العظيم ومن قال
بعدم الثاني وهو النظم المفرق المؤلف من الاصوات والحروف فقد سجل على كمال جهله وسخافة عقله واسروا النجوى اي وبالغوا في اخفاء
النجوى او جعلوها بحيث لا يفطن احد لتناجيهم بها والنجوى اسم من التناجي وهو السر بين اثنين فصاعدا يقال تناجي القوم اذا
تساروا وتكلموا سرا عن غيرهم وقيل النجوى مصدر بمعنى التناجي او الانتجاء وجوز ان يكون اسما للمتناجين وعلى هذا يجوز ان يكون
الذين بدلا منه الذين ظلموا بدل من واو اسروا النجوى للايذان بانهم ظالمون فيما اسروا به والمعنى وهو لا اسروا به او فاعل له
والواو لعلامة الجمع كقولهم اكلوني البراغيث او مبتدا خبره اسروا النجوى قدم عليه الذم وهو النصب على الاختصاص وقيل فاعل
لفعل محذوف اي يقول الذين ظلموا ومنصوب على الذم منصوب بمحذوف هل هذا الا بشر مثلكم الى آخره في محل النصب بدلا من النجوى
ليس له وصف الرسالة التي يدعيها افتاتون السحر انتم تبصرون افتحضرون السحر وانتم تعلمون انه سحر وتشاهدون ارادوا انه بالطلاوة
يطلان كبطلان السحر الذي لا يكون الا موهوما واطلا تشبيها له به ولذلك جاء بهمزة الانكار المغني بهما السوق والفاء للتعقيب والهمزة
مقحمة بين المعطوف والمعطوف عليه لانكار المعطوف كانهم قالوا ابعد ما علمتم انه بشر مثلكم او عقيب ما وجدتموه بشرا ما يكون لكم وما يفتح
ان تاتوا السحر ارادوا به القرآن المتقدم ذكره في قوله ما ياتيهم من ذكر من ربهم لان القرآن هو الناطق بحقيقة نبوته ورسالته وانه رسول
من الله يتلو صحفا مطهرة فاذا جعلوه سحرا فقد انتج تحته انكار ما فيه من رسالة البشر وغيرها من الحساب والثواب والعقاب مثلا
او الرسول صلى الله عليه وسلم فانهم كانوا يجيئون عنده ويحضرون مجلسه ويستمعون كلامه ويتناجون فيما بينهم وجعلوه نفس السحر للمبالغة
ونظيره انه عمل غير صالح وهذا الكلام كله في موضع النصب بدلا من النجوى اي واسروا هذا الحديث او مفعولا للقول مضمر وقرا الضحاك
افتاتون الساحر ولما اعتقدوا التنافي بين البشرية والرسالة وان رسول الله لا يكون الا ملكا جعلوا كل من ادعى الرسالة من البشر
بالمعجزة ساحرا ومعجزته سحرا حتى انكروا حضوره وانما اسروا هذا الحديث وبالغوا في اخفائهم تشاوروا في استنباط ما يهدم امره
ويشتطون وعادة المتشاورين في خطب ان لا يشركوا اعداءهم في شوراهم ويتجاهدوا في طي سرهم عنهم ما امكن واستطيع ومنه قوله
واستعينوا على انجاح الحوائج بالكتمان فان كل ذي نعمة محسود ويجوز ان يسروا نجواهم بذلك ثم يقولوا

الرسول الله والمؤمنون ان كان ما تدعونه حقا واخبرونا بما اسررناه قال ربي يعلم القول في السماء والارض اي يعلم كل قول فيهما
سرا كان او جهرا فضلا مما اسروا به لان من علم بعض الاقوال بغير سبب فقد علمها كلها لان كونها عالما بغير سبب ثابت لهم في كل معلوم فكيف
بالاقوال فهو اي قوله يعلم القول اكد في بيان الاطلاع على نجواهم من ان يقول يعلم السر كما في قوله قل انزله الذي يعلم السر في السموات
والارض ولذلك اختير ههنا وليطابق قوله واسروا النجوى فان العلم بالقول الشامل للسر والجهر العلم بما اسروه من النجوى غير محتاج
الى بل هو زيادة اذ العام هو الخاص مع الزيادة وقرا حمزة والكسائي وحفص قال ربي حكاية لقول الرسول لهم والباقون
قل امرا له بذلك ثم بني ذلك بقوله وهو السميع لكل مسموع ومما من شانه ان يسمع العليم بكل معلوم جزئيا كان او كليا فلا يخفى عليه ما يسرون
عباده وما يعلنون فهو مجازيهم على ذلك بل قالوا اضغاث احلام بل افتريه بل هو شاعر اضراب لهم عن قولهم هو سحر الى انه تخاليط
احلام ثم الى انه كلام افتراه واختلقه ثم الى انه قول شاعر وهكذا الباطل لجلج والمبطل متحير رجاع غير ثابت على قول واحد وقيل الظاهر
ان بل الاول لتمام حكايته والابتداء باخرى او للاضراب عن تجاوزهم في شان الرسول وما ظهر عليه من الآيات الى تقاولهم في امر القرآن
والثانية والثالثة لاضرابهم عن كونه اباطيل خيلت وخلطت عليه الى كونه مفتريا بان اختلقها من تلقاء نفسه ثم الى انه كلام شعري يخيل
الى السامع معاني لا حقيقة لها ويرغبه فيها ويجوز ان يكون الكل من الله تنزيلا لاقوالهم في درج الفساد لانه تعالى كونه شعرا ابعد من
من كونه مفتري لانه مشحون بالحقائق والحكم ليس فيها ما يناسب قول شاعر الشعر وهو من كونه احلاما لانه يشتمل على مغيبات كثيرة
طابقت الواقع والمفترى لا يكون كذلك بخلاف الاحلام ولانهم جربوا رسول الله نيفا واربعين سنة وما سمعوا منه كذبا وهو
من كونه سحرا لانه يجانسه من حيث انهما من الخوارق فلياتنا باية كما ارسل الاولون اي كما ارسل به الاولون مثل الناقة واليد
البيضاء واحياء الموتى مثلا وصحة التشبيه من حيث ان الارسال في معنى الاتيان بالآيات لتضمنه اياه بدليل انه لا فرق بين قولك
ارسل محمد او بين قولك اتى محمد بالآية ما آمنت قبلهم قبل مشركي مكة من قرية من اهل قرية اتتهم الآيات اهلكناها بالتكذيب
او باقتراح الآيات لما جاءتهم افهم يؤمنون ان جاءتهم آية اقترحوها وهم اعتى منهم يعني ان الاولين اقترحوا على انبيائهم الآيات
وعهدوا انهم يؤمنون عندها فلما جاءتهم عتوا عن امر ربهم ورسله بنكث العهد ومخالفة فاهلكهم الله وقطع دابرهم فلو جاء
قومك ما يقترحون لكانوا انكى لانهم اشد نكثا فاستوجبوا عذاب الاستيصال كمن قبلهم قال الله تعالى اكفاركم خير من اولئكم
او ينبغي الكفار المعدودين قوم نوح وهود وصالح ولوط وال فرعون بل شر منهم وفيه اشعار بان عدم الاتباع اشبه باتباع
بعقوبتهم لا تقادهم عليهم وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم جواب لقولهم هل هذا الا بشر مثلكم يعني انا لم نرسل
الملائكة الى الاولين انما ارسلنا رجالا نوحي اليهم ثم امرهم فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون ان يستعلموا اهل الكتاب
وسائلوهم عن حال الرسل المتقدمة ليعلموهم ان هؤلاء الرسل انما كانوا بشرا لا ملائكة كما زعموا فيزول عنهم الشك
وتزاح الشبهة وذلك ان اهل الكتاب لا ينكرون ان الرسل الموحى اليهم كانوا بشرا وان انكروا نبوة بعض الانبياء قال
حاله اليهم اما للالزام فان المشركين كانوا يشاورونهم وان كانوا كفارا وقرا حفص نوحي بالنون والباقون بالياء والبناء
للمفعول وما جعلناهم جسدا قال جسدا ولم يقل اجسادا لانه اسم الجنس كانه قال ذوي ضرب من الاجساد او لانه مصدر
في الاصل او على حذف المضاف او تاويل الخبر لكل واحد وهو جمع ذو لون ولذلك لا يطلق على الماء والهواء ومنه الجساد للزعفران
وقيل جسم ذو تركيب لان اصله لجمع الشيء واشتداده لا ياكلون الطعام صفة لجسد اي وما جعلنا الانبياء قبل محمد ذوي
جسد غير طاعمين وهو جواب لقولهم ما لهذا الرسول ياكل الطعام وما كانوا خالدين في الدنيا وهو تاكيد وتقرير له فان
التعيش بالطعام من توابع التحليل المؤدي الى الفناء وما جعلناهم جسدا الى آخره تحقيق لما اعتقدوا انها من خواص
الملك عن الرسول تحقيقا لانهم كانوا ابشارا مثلهم ثم صدقناهم الوعد اي في الوعد او للعهد اي الوعد الذي وعدناهم با
نجاتهم ومن معهم وباهلاك اعدائهم فانجيناهم ومن نشاء يعني المؤمنين بهم ومن في ابقائه حكمة كمن سيؤمن هو او واحد

من ذريته ولذلك حيث العرب عن عذاب الاستيصال واهلكنا المسرفين المتوغلين في الاسراف المنهمكين في الغي والضلال وهم الكافرون بهم لقد انزلنا اليكم كتابا اي كتاب لا يوازيه كتاب في كماله في الهداية والبلاغة وحسن النظم وهو القرآن فيه ذكركم اي شرفكم وصيتكم كقوله وانه لذكر لك ولقومك او موعظتكم او مكارم الاخلاق التي تطلبون بها حسن الذكر كحسن الجوار والوفاء بالعهد وصدق الحديث واداء الامانة والسخاء وما اشبه ذلك وقال مجاهد فيه حديثكم وقال الحسن فيه ذكر ما تحتاجون اليه من امر دينكم وقيل ذكركم مضاف الى المفعول اي ذكرنا اياكم او الى الفاعل اي ما ذكرتم من الشرك وتكذيب النبي فيكون المفعول محذوفا افلا تعقلون افلا تعقلون على قضية عقولكم فتؤمنون فان قضية العقل الايمان بما فيه شرف وقبول وكم قصمنا من قرية واردة عن غضب شديد ومنادية على سخط عظيم لان القصم افظع الكسر وهو الكسر الذي يبين تلاؤم الاجزاء بخلاف الفصم واراد بالقرية اهلها ولذلك قال كانت ظالمة كافرة كصفة لو وصفت بها لما اقيمت مقام وانشأنا بعدها بعد اهلاك اهلها والانشاء والاحداث والاختراع والتكوين والتخليق والخلق والايجاد اسماء مترادفة يراد بها معنى واحد وهو اخراج المعدوم من العدم الى الوجود قوما آخرين مكانهم وعن ابن عباس ان المراد بالقرية في هذه الآية حضور وهي وسحول قريتان باليمن ومنه كفن النبي عليه السلام في ثوبين سحوليين او حضوريين وكان اهلها من العرب فبعث الله اليهم نبيا فقتلوه فسلط الله عليهم بخت نصر كما سلط على اهل ايليا وقتلهم وسباهم وروي انه لما اخذتهم السيوف ونادى مناد من السماء يا لثارات الانبياء ندموا واقروا بالخطاء حين لم ينفعهم الندم وظاهر الآية على الكثرة لان كم للتكثير ومن تبيين لابهامها اي وكثيرا من القرى قصمنا ولعله رضي الله عنه حضور بانها احدى القرى التي ارادها الله بهذه الآية فلما احسوا باسنا فلما علموا وادركوا شدة عذابنا علم حس ومشاهدة والضمير لاهل المحذوف اذا هم اذا للمفاجاة وهم مبتدأ خبره يركضون واذا ظرف للخبر منها يركضون يهربون منها راكضين دوابهم او مسرعين كالراكبين الراكضين دوابهم من فرط اسراعهم والركض ضرب الدابة بالرجل وقيل اي يسرعون هاربين لا تركضوا على تقدير القول اي قيل لهم لا تركضوا تهكما بهم واستهزاء والقائل بعض الملائكة لينفعهم في دينهم او يلهمهم ذلك فيحدثون في نفوسهم وارجعوا الى ما اترفتم فيه من العيش الرافه والحال الناعمة والاتراف ابطار النعمة وهي الترفة ومساكنكم التي كانت لكم لعلكم تسألون توبيخ لهم اي ارجعوا الى نعيمكم ومساكنكم لعلكم تسألون غدا عما جرى عليكم ونزل باموالكم ومساكنكم وقال ابن عباس عن قتل نبيكم وقال قتادة عن دنياكم شيئا او ارجعوا الى ذلك لعلكم تقصدون فان السؤال من مقدمات الغرام او تقصدون للسؤال في نوازل الخطوب والمهام والعوارض وقيل او يسألكم الوافدون عليكم والطماع ويستمطرون سحاب اكفكم ويمترون اخلاف معروفكم وايا ديكم اما لانهم كانوا اسخياء ينفقون اموالهم رياء الناس وطيب الثناء او كانوا بخلاء فقيل لهم ذلك تهكما الى تهكم وتوبيخا الى توبيخ قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين لما رأوا العذاب ولم يروا وجه النجاة فلذلك لم ينفعهم اعترافهم بظلمهم وندمهم فما زالت تلك دعواهم تلك اشارة الى يا ويلنا لانها دعوى اي فما زالت تلك الدعوى دعواهم اي فما زالوا يرددونها والدعوى بمعنى الدعوة قال الله تعالى وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين وانما سماها دعوى لان المولول كانه يدعو الويل فيقول يا ويل تعال فهذا وقتك وكل من تلك ودعواهم يحتمل الاسمية والخبرية حتى جعلناهم حصيدا مثل الحصيد وهو الزرع المحصود ولهذا لم يجمع شبههم به في استيصالهم واصطلامهم كقولك جعلناهم رمادا اي مثل الرماد خامدين ميتين خمدت النار وهو صفة للحصيد او حال من ضميره او هما في حكم المفعول الثاني كقولك جعلته حلوا حامضا اي جعلته جامعا للطعمين لان المعنى جعلناهم جامعين للمماثلة بالحصيد والخمود وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين اي وما سوينا الخيمة المطنبة والارض التي هي كالفراش والبساط وما بينهما من الخلائق التي هي كالقبة المضروبة والبين وهو انه سويناها ليكون للناس ذلك معتبرا ومتسلقا الى النقل الموصل الى وجود صانعها ووحدته وقدرته الباهرة وحكمته البالغة وليجزي كل نفس منهم على حسب اعمالها الفاسدة والصالحة فيتيقنوا عند ذلك ان لا بد لهم من مبدأ ومعاد وعاقبة

وجزاء

وجزاء ويشفي عنهم اللبس ويزاح الشكوك ويتفصوا في دينهم ودنياهم ولتذكروا ما ذكرها هنا فقال الذي تحرى اي وما سوينا هذا السقف المرفوع وهذا المهاد الموضوع وما بينهما من اصناف الخلائق مشحونة بضروب البدائع والعجائب كما يسوي الجبابرة سقوفهم وفرشهم وساير زخارفهم للهو واللعب وانما سويناها للفوائد الدينية الربانية لتكون مطارح افتكار واعتبار واستدلال ونظر لعبادنا مع ما يتعلق بهم من المنافع التي لا تعد والمرافق التي لا تحصى وقيل وانما خلقناها مشحونة بضروب البدائع تبصرة للنظار وتذكرة لذوي الاعتبار وتسبيبا لما ينتظم به امور العباد في المعاش والمعاد فينبغي ان يتسلقوا بها الى تحصيل الكمال ولا يغتروا بزخارفها فانها سريعة الزوال وقال الامام محيي السنة لاعبين اي عبثا وباطلا وقال القاضي عبد الجبار دلت الآية على ان اللعب ليس من فعله اذ لو كان كذلك لكان لاعبا فان اللاعب في اللغة اسم لفاعل اللعب فنفي الاسم الموضوع للفعل يقتضي نفي الفعل واجيب بان ذلك يبطل بمسألة خلق الداعي والقدرة لو اردنا ان نتخذ لهوا ما يتلهى به ويلعب لاتخذناه من لدنا من جهة قدرتنا لتعلقها بكل شيء من المقدورات وقيل من عندنا من الحور العين لا من اهل الارض وقيل من عندنا مما يليق بحضرتنا من المجردات لا من الاجسام المرفوعة والاجرام المبسوطة كعادتكم في رفع السقوف وتزويقها وتسوية الفرش وتزيينها وقال ابن عباس والحسن وقتادة اللهو المرأة وقيل الولد قاله السدي ورواه الكلبي عنه وقيل من لدنا اي من الملائكة لا من الانس ردا لولادة المسيح وعزير وقيل معناه لو كان ذلك جائزا في صفتنا لم نتخذه بحيث يظهر لهم بل يستر ذلك حتى لا يطلعوا عليه فان ولد الرجل وزوجته يكونان عنده لا عند غيره ان كنا فاعلين ذلك وان للشرط على سبيل الفرض والتقدير كقوله لئن اشركت وان كنت في شك وجوابه محذوف لدلالة الجواب المتقدم عليه وقيل ان للنفي والجملة كالنتيجة للشرطية بل نقذف بالحق على الباطل اضراب عن اتخاذ اللعب واللهو وتنزيه منه لذاته كانه قال سبحاننا ان نتخذ اللهو واللعب بل من شأننا وعادتنا ان نغلب ~~واللهو وتنزيه منه لذاته كانه قال~~ الحق الذي من جملة الجد والايمان على الباطل الذي من جملة اللهو والكفر وقيل الحق قول الله لا ولد له والباطل قولهم اتخذ الله ولدا فيدمغه فيهلكه ويعدمه وانما استعار لذلك القذف وهو الرمي المستلزم لصلابة المرمي والدمغ وهو كسر الدماغ الموجب لزهوق الروح تصويرا لابطاله به ومحقه فشبه الحق بجرم صلب كالحجارة او ياقوتة مثلا قذف به على زجاجة اجوف من قوارير او تراب فحطمه واعدمه وقرئ فيدمغه بالنصب على وجه ضعيف ليس بجيد الكلام ولا وجه سائغ كقوله سأترك منزلي لبني تميم والحق بالحجاز فاستريحا وقرئ فيدمغه بضم الميم والنقيض فاذا هو زاهق هالك والزهوق ذهاب الروح وذكره لترشيح المجاز ولكم الويل تقديم المسند للاختصاص اي يختص بكم الويل فكل الويل او الويل كله مختص بكم او مجرد الاهتمام بشأن المقدم مما تصفون اي من اجل وصفكم اياه بما يمتنع ولا يجوز عليه ونظيره مما خطاياهم اغرقوا وقيل هو في موضع الحال وما مصدرية او موصولة او موصوفة وله من في السموات والارض يعني ان جميع من في العالم مختص به خلقا وملكا وعلما فهو يملك امورهم ويدبرها ويجريها على حسب ما يصلحهم وهو اعلم بما يعملون ويجازيهم على ذلك ومن عنده هم الملائكة الكرام المنزلون لكرامتهم عليه منزلة المقربين عند الملوك على التمثيل والبيان لشرفهم وفضلهم على اكثر خلقه لا على جميعهم كما زعم ابو بكر الباقلاني وجمع المعتزلة وهو داخل في من في السموات وانما افرد ليعطف عليه على طريق الاختصاص بيانا لفضلهم واستبدادهم بمزية الزلفى والمكانة والكرامة على غيره من ملائكة السموات وقيل افرده للتعظيم او لانه اعم منه من وجه او المراد منه نوع من الملائكة متعال عن التبوء في السماء والارض او مبتدأ خبره لا يستكبرون عن عبادته لا يأنفون من عبادته ولا ينقطعون عنها ولا يستحسرون ولا يعيون يقال حسر واستحسر اذا تعب واعيا وانما جيء بالاستحسار الذي هو ابلغ من الحسور اشعارا بان عباداتهم بالصفة الدائمة توجب غاية الحسور واقصاه وانهم احقاء بان يستحسروا منها وما يستحسرون وقال السدي لا ينقطعون عن العبادة يسبحون الليل والنهار ينزهونه عن الانداد ويعظمونه متصلا دائما في جميع اوقاتهم لا يفترون لا يتخللهم فترة بفراغ او بشغل آخر وهو حال من ضمير يسبحون وهو استيناف او حال من ضمير قبله او خبر بعد خبر وقيل لا يفترون اي لا يضعفون وقال كعب الاحبار التسبيح لهم كالنفس لبني آدم ام اتخذوا آلهة من الارض صفة لآلهة او متعلقة بالفعل على معنى الابتداء وفائدتها ام منقطعة بمعنى بل والهمزة لانكار اتخاذهم آلهة

التقذف وهو

الانسي او الكسر

السماء

اعطى

التحقير دون التخصيص هم ينشرون اي يبعثون الموتى ومن اعظم المنكرات ان يبعث الموتى بعض الاموات والكفار وان لم يصرحوا بانشار الصنم الموتى لكن باعتقادهم لها الالهية يلزمهم ان يدعوا لها الانشار لان من لوازم الالهية الاقتدار على كل مقدور والانشار من جملة المقدورات وفيه ضرب من التهكم بهم والتوبيخ والتجهيل واشعار بان المختص بالانشار هو الله وحده وزاد الضمير لافادة معنى الخصوصية اي ام اتخذوا آلهة لا يقدرون على الانشار الا هم وحدهم وقيل للمبالغة في تجهيلهم والتهكم بهم زيد الضمير الموهم لاختصاص الانشار بهم وقرأ الحسن ينشرون بمعنى انشر الله الموتى ونشرهم اذا بعثهم لو كان فيهما آلهة الا الله غير الله ونظيره الا هذه الا في قوله انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني اي براءة من آلهة تعبدونها غير الذي فطرني والا صفة لآلهة لكونها تابعة لجمع منكور غير محصور وليست للاستثناء لعدم تناول ما قبلها لما بعدها ولا يجوز ان يكون مرفوعا على البدل لان الكلام مع حرف الشرط موجب والبدل انما يجوز في كلام غير موجب كقوله تعالى ولا يلتفت منكم احد الا امرأتك وذلك لان اعم العام يصح نفيه ولا يصح ايجابه واعلم ان لو عند ائمة العربية لانتفاء الجزاء في الماضي بسبب انتفاء الشرط كقوله تعالى ولو شاء لهداكم اجمعين يعني انتفاء هداية الكل بسبب انتفاء المشية وعند المنطقيين الاستدلال بانتفاء الجزاء على انتفاء الشرط من غير دلالة على تعيين زمان وانما يستعملونها في القياسات لاكتساب العلوم والتصديقات وحصول العلم بالنتائج لا لبيان ان سبب انتفاء الجزاء علة وفي الخارج ما هو في قولنا الخ لو كان العالم قديما لكان غير متغير فهي عندهم للدلالة على ان العلم لانتفاء الجزاء سبب العلم بانتفاء الشرط ضرورة انتفاء الملزوم بانتفاء اللازم وعلى هذه القاعدة ورد قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا استدلالا بعدم الفساد على عدم تعدد الآلهة اذ المراد منه العلم والتصديق بانتفاء تعدد الآلهة لا بيان سبب انتفاء الفساد والمعنى لو تعدد الآلهة في السموات والارض التي هي اصول العالم وقوامه لفسدتا ولخرجتا عن هذا النظام الشاهد بوجود التمانع والتعارض والتخالف من الآلهة لانها اما ان يحصل مرادها في المحل فيجتمع المتنافيات وهو محال او لا فيلزم عجز من لم يحصل مراده وهو من امارات الحدوث والامكان لما فيه من الاحتياج المنافي للالهية الموجبة للاقتدار على كل مقدور والاستغناء عن كل شيء وتحقيق صورة ان نقول لو كان للعالم الهان لفسد فهذا اصل وعلم قطعا ويقينا انه لم يفسد وهو اصل آخر فيلزم منهما نتيجة ضرورية وهي نفي الالهين فينتج ان العلم به قطعا ويقينا وقيل لتخالفت فيه تعاوقت عنه وقيد المعنى لو كان يتولاهما ويدبر امرهما آلهة شتى غير الواحد والنتيجة ان لا يكون ذلك الواحد الذي هو فاطرهما لفسدتا وفيه دلالة على امرين احدهما وجوب ان لا يكون مدبرهما الا واحدا والثاني ان لا يكون ذلك الواحد الا اياه وحده لقوله الا الله وانما وجب الامران لعلمنا ان الرعية تفسد بتدبير الملكين لما يحدث بينهما من التغالب والتناكر والاختلاف وان التدبير لا ينتظم في دار واحدة عند تدبيرين فكيف ينتظم في تدبير العالم فانه قد علم لكل احد بمشاهدة وتجربة وعادة اهل زمان قطعا ويقينا ان اجتماع المدبرين في دار او بلد او ملك سبب الفساد ومن ثم عبد الملك بن مروان حين قتل عمرو بن سعيد الاشدق كان والله اعز علي من دم ناظري ولكن لا يجتمع فحلان في شول وهذا ظاهر لان هذه الافعال محتاجة الى تلك الذات المتميزة بتلك الصفات حتى تثبت وتستقر وخلاصته ما قاله المتكلمون في امتناع تعدد الاله ما ذكرناه سابقا فانهم قالوا التعدد مستلزم لاحد المحالات الاربع اما اجتماع الضدين واما ارتفاعهما واما وقوع مقدور بين قادرين واما الترجيح بلا مرجح ونعم ما قال من قال ان اثبات الوحدانية يمكن بالدلائل النقلية لعدم توقف صحتها على التوحيد ثم نزه نفسه بقوله فسبحان الله سبحان من المصادر التي قال سيبويه نصبت بافعال لا يستعمل اظهارها تقديره فاسبح الله سبحان ثم نزل منزلة فعله فناب منابه ودل على التنزيه البليغ من جميع صفات الخلق والاجسام والجواهر والاعراض رب العرش مالك العرش المحيط بجميع الاجسام الذي ولو كان الله جسما لم يقدر على خلق العالم وتدبير امره ولم يكن مبتدأ لان على ان الجسم مركب ومتحيز وذلك من علامة الحدوث وجواز الوجود وواجب الوجود متعال عن ذلك لا يسأل عما يفعل يفعل لا انه رب مالك على الاطلاق لا نهاية لعلمه وكل من سواه مربوب مملوك جاهل لا يعلم شيئا الا بتعليم كما قال ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء وعلمكم ما لم تكونوا تعلمون فليس للمملوك الجاهل ~~الا بتعليم~~ ان يعترض على سيده العليم بكل شيء فيما يفعل به ويقول لم فعلت و

وهلا فعلت

وهلا فعلت مثلا والاعتراض شوم يسخط الرب ويوجب عقابه وغضبه وبشوم الاعتراض على الله في فعله لعن ابليس وصار من مردة الكافرين فانه تعالى لما امره بالسجود فقال لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال الآية وقال ااسجد لمن خلقت طينا وبشوم الاعتراض في شان الخالق وبالاعتراض على الله والتعمق في الخوض في صفاته هلك الهالكون من اهل الاهواء وارباب الآراء فتعمقوا فيما لم يتعمق فيه اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعون وتبعهم من اهل الحق وتكلموا الخوض فيه فوقعوا في الشبهات فضلوا واضلوا ولو لم يتعمقوا لسلموا ولانه تعالى هو الحق وكذا كل ما يفعله وما سواه باطل كما قال لبيد الا كل شيء ما خلا الله باطل والاعتراض على الحق كفر فما ينبغي للباطل ان يقول للحق لم فعلت وقد اتفقت كلمة اهل الحق على ان الاعتراض على الله الملك الحق في فعله وما يحدثه في خلقه كفر فلا يجترئ عليه الا كافر وجاهل ضال وكذا الاعتراض على النبي صلى الله عليه وسلم فانه انما يقول عن الحق لا عن الهوى فالاعتراض عليه اعتراض على الحق تعالى وتقدس وفيه الهلاك قال ابو هريرة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا ايها الناس كتب عليكم الحج فقام عكاشة بن محصن فقال الحج كل عام يا رسول الله فقال صلعم لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت ثم تركتموها لضللتم اسكتوا عني ما سكت عنكم فانما هلك من كان من قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم فانزل الله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم الآية واما الاعتراض على الاولياء والمشايخ من العلماء فانه يحرم الخير ويقطع بركة الصحبة وزيادة العلم يدل على ذلك شان موسى وما لم ينهاه من الاعتراض عليه فيما يفعل بقوله فلا تسألني عن شيء حتى احدث لك ذكرا فاعترض عليه حتى قال لو شئت لاتخذت عليه اجرا فناداه بالفراق بقوله هذا فراق بيني وبينك فحرم بركة صحبته وانقطعت بركة الزيادة من علمه والخير الذي جعل الله له فيه ومعه قال ابن عباس قال ابي بن كعب قال النبي صلعم يرحم الله موسى لو كان صبر لقص علينا من امرهما ومن شوم الاعتراض ما كان من امر الخوارج اعترضوا على علي رضي الله عنه بانه حكم حين امره بالحكمين فلم يستسلموا لامره ولم ينقادوا له مع طواعيتهم له وقتالهم اعداءه ومعرفتهم بانه على الحق ولذا قاتلوا اعداءه ومن خالفه فادتهم شوم اعتراضهم الى ان خرجوا عليه وشهدوا على انفسهم وعلى علي واصحابه بالكفر وقتلوا خيار الناس وفارقوا المسلمين فمرقوا من الدين كما يمرق السهم من الرمية وصاروا كلاب النار وشر قتلى تحت اديم السماء قاله ابو امامة عن النبي صلعم وقيل لعظمته وقوة سلطانه وتفرده بالوهية والسلطنة الذاتية وهم يسألون لانهم مملوكون مستعبدون خطاؤون فما اخلقهم بان يقال لهم لم فعلتم في كل شيء فعلوه والضمير للآلهة او للعباد او للكل وهو الاصح ام اتخذوا من دونه آلهة كرره استفظاعا لامرهم واستعظاما لكفرهم او زيادة في تجهيلهم والتهكم بهم او ضما للانكار ما يكون لهم سندا من النقل الى الانكار ما يكون دليلا من العقل على معنى اوجدوا آلهة ينشرون الموتى فاتخذوهم آلهة لما وجدوا فيهم من خواص الالوهية ووجدوا في الكتب الالهية فاتخذوهم منابعة للامر ويعضد ذلك انه رتب على الاول ما يدل على فساده عقلا وعلى الثاني ما يدل على فساده نقلا قل هاتوا برهانكم هاتوا من اسماء الافعال يقال هات الشيء اي اعطنيه والمعنى اعطوني حجتكم على ذلك من جهة العقل ومن جهة الوحي والسمع لان القول بلا برهان غير صحيح كيف وقد توافقت البراهين القاطعة من العقل والنقل على بطلانه هذا ذكر من معي وذكر من قبلي اي الوحي الوارد في توحيد الله تعالى ونفي الشرك عنه فقد ورد على جميع الانبياء فهو ذكر اي عظة للذين معي من امتي وذكر للذين قبلي من امم الانبياء وعن ابن عباس المراد بالذكر الاول هو القرآن وبالثاني التوراة والانجيل يعني راجعوا القرآن والتوراة والانجيل هل تجدون فيها الا الامر بالتوحيد والتنزيه عن الانداد والنهي عن الاشراك والتوعد عليه ولما لم يتوقف التوحيد على صحة بعثة الرسل وانزال الكتب صح الاستدلال فيه بالنقل وقرئ ذكر من معي وذكر من قبلي بالتنوين ومن منصوب بالذكر مفعولا مثل او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما وهو الاصل والاضافة من اضافة المصدر الى المفعول كقوله من غلبهم سيغلبون وقرئ من الجارة على ان اسم وهو ظرف مثل قبل وبعد وعند ولدن ونحوها فدخل عليه من كما يدخل على اخواته وقرئ ذكر معي وذكر قبلي بل اكثرهم لا يعلمون الحق كان قيل بل عندهم اصل الفساد كله وهو الجهل وعدم التمييز بين الحق والباطل فمن ثم جاء الاعراض ومن هناك ورد الانكار وقرئ الحق بالرفع

على انه خبر محذوف وسط للتوكيد بين السبب والمسبب والمراد اعراضهم بسبب الجهل هو الحق لا الباطل ويجوز ان يكون المنصوب
ايضا على هذا المعنى كقولك هذا عبد الله الحق لا الباطل فهم معرضون عن الحق وهو التوحيد واتباع رسوله وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحي
اليه انه لا اله الا انا فاعبدون تعميم لما سبق من اي التوحيد وتعميم بعد تخصيص فان ذكر من قبلي من حيث انه خبر لاسم الا
شارة مخصوص بالموجود بين اظهرهم وهو الكتب الثلثة وقرا حمزة وحفص عن عاصم نوحي بالنون وكسر الحاء والباقون
بالياء والبناء للمفعول وقرا يعقوب فاعبدوني باثبات الياء في الحالين وقالوا اتخذ الرحمن ولدا نزلت في خزاعة حيث
قالوا الملائكة بنات الله سبحانه نزه ذاته عن ذلك بقوله سبحانه ويجوز ان يكون تعجبا من كلمتهم الحمقاء اي ما ابعد من يتخذ ولدا بل
النعوت قائلها وما اعلاه عما يضاف اليه من اتخاذ الولد والصاحبة والشريك بل عباد بل هم عباد من كثير من العباد وفيه تنبيه على
مدخض الشبهة وقرئ بتشديد الراء وقرا الضحاك بل عبادا بالنصب على اضمار فعل يدل عليه المذكور وعلى هذا يكون مكرمون خبر مبتداء
محذوف تقديره بل اتخذهم عبادا مكرمون لا يسبقونه بالقول لا يقولونه حتى يقوله الا بعد اذنه بقوله كالعبيد المؤدبة بني فلا يسبق
قولهم قوله واللام عوض عن المضاف اليه كما في واشتعل الرأس لان المعنى بقولهم اي لا يتقدمون قوله بقولهم كقولك سبقت بفرسي
فرسه فنسب القول اليهم وانما جعل القول محله واداته اشارة الى استهجان السبق المعرض به للقائلين على الله ما لم يقله وقرئ
لا يسبقونه بضم الباء من سابقته فسبقته اسبقه وهم بامره يعملون لا يعملون عملا الا انه بعد امرهم به فهم يتبعون قوله وامره
ولا يخالفونه قولا ولا عملا يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم لا يخفى عليه شيء مما قدموا واخروا وهو كالعلة لما قبله والتمهيد لما بعده
فانهم لاحاطتهم بذلك يضبطون انفسهم ويراعون احوالهم ويعمرون اوقاتهم وقوله ولا يشفعون الا لمن ارتضى تنبيه على ضبطهم
اي ومن ضبطهم وتحفظهم انهم لا يجترؤن ان يشفعوا الا لمن ارتضاه الله واهله للشفاعة في شان العفو عن التبعات كلها
صغايرها وكبايرها لان الكباير اذا كانت معفوة بالشفاعة والصغاير اولى بان تعفى بها قال رسول الله صلعم شفاعتي لاهل
الكباير من امتي وهو من الاخبار المستفيضة والاحاديث المشهورة بل الاحاديث في باب الشفاعة متواترة المعنى وما كان
اصل العفو عن الصغاير مطلقا وعن الكباير بعد التوبة وبالشفاعة لزيادة الثواب وكلاهما فاسدان اما الاول فلان التايب
ومرتكب الصغيرة المجتنب عن الكبيرة لا يجوز ان يعذبهم فلا معنى للعفو عن الجناية واما الثاني فلان النصوص دالة على ان الشفاعة بمعنى
طلب العفو وهم من خشيته عظمته ومهابته مشفقون مرتعدون واصل الخشية خوف مع تعظيم ولذلك خص بها العلماء والاشفاق
خوف مع اعتناء فان عدي بمن فمعنى الخوف فيه اظهر وان عدي بعلى فبالعكس هكذا قيل وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان اسرافيل
له جناح بالمشرق وجناح بالمغرب والعرش على جناحه وانه ليتضاءل الاحيان لعظمة الله حتى يعود مثل الوصع اي ليتصاغر والوصع
العصفور الصغير من التضاؤل وقيل طاير يشبه العصفور في صغره وقيل مشفقون خائفون لا يأمنون مكره وقيل متوقعون من امارة
ضعيفة كانوا على حذر ورقبة لا يأمنون مكر الله وعن رسول الله صلعم انه راى جبريل ليلة المعراج ساقطا كالحلس من خشية
الله واحتجت المعتزلة بقوله ولا يشفعون الا لمن ارتضى على ان الشفاعة لا تنال صاحب الكبيرة لان قوله الا لمن ارتضى معناه الا لمن رضي الله قوله
من اقواله وهو اقراره بوحدانية الله ورسالة رسوله فوجب ان تكون الشفاعة نافعة له وقال ابن عباس والضحاك الا لمن ارتضى اي لمن قال
لا اله الا الله وهو مؤمن بما ذكرنا ومن يقل منهم من الملائكة او الخلايق اني اله من دونه وقال قتادة عنى بهذا القائل ابليس حين
دعاه الى عبادة نفسه وامر بطاعة نفسه فان احدا من الملائكة لم يقل اني اله من دون الله فذلك نجزيه جهنم يريد به نفي النبوة وادعا
ذلك عن الملائكة وتهديد المشركين بتهديد من ادعى الربوبية كذلك مثل الجزاء الفظيع نجزي الظالمين اي كل من ظلم بالاشراك
وادعاء الالهية وقيل الواضعين الالهية والعبادة في غير موضعهما وقال القاضي عبد الجبار قوله كذلك نجزي الظالمين يدل
على ان كل ظالم يجزيه الله جهنم كما توعد الملائكة به وذلك يوجب القطع بانه تعالى لا يغفر لاهل الكباير في الآخرة والجواب ان
هذا عام مخصوص بما ذكرنا جمعا بين الادلة على ثبوت العفو والمغفرة لاهل الكباير وقال اهل الحق ان النصوص في العفو كثيرة فوجب

وتخصيص المذنب المغفور من عمومات الوعيد أولم ير الذين كفروا الهمزة للانكار اي للنفي اثبات والواو للعطف والمعطوف عليه في مثله
مختلف فيه فقيل مذكور قبله وقيل مقدر يصح بعده والمعنى وقد عملوا وقرا ابن كثير بغير واو وعلى ان الكلام استيناف وليس بمعطوف على شيء و
الباقون بالواو وعطفا على المذكور او المقدر وهو موافق لجميع المصاحف الا مصاحف مكة فانه فيها بغير واو ان السموات والارض كانتا رتقا
قرئ رتقا بفتح التاء وكلاهما في معنى المفعول كالخلق والنفض اي كانتا موتقتين او على تقدير مضاف اي ذات رتق او موصوف اي
كانتا شيئا رتقا اي ملاصقة لا فضاء بينهما والرتق السد وقيل الضم والالتيام وعن ابن عباس كانتا شيئا واحدا ملتزقين ففتقناهما
قيل فرجنا بينهما بعدا اي كانتا ملاصقة لا فرج بينهما وقيل فصلنا بينهما بالهواء والفتق في اللغة الشق وقيل كانتا رتقا بلا شق
لا تمطر السماء ولا تنبت الارض ففتق السماء بالمطر والارض بالنبات والشجر واعترض عليه بان المطر لا ينزل من السموات بل من السماء
الدنيا فكيف يكون هذا اجيب بان اطلاق لفظ الجمع عليه انما هو باعتبار ان كل قطعة سماء كما يقال ثوب اخلاق وقيل فتقهما بالتنويع
والتمييز وكانت السموات واحدة ففتقت بالتحريكات المختلفة حتى صارت افلاكا وكانت الارضون واحدة فجعلت باختلاف كيفياتها واحوالها طبقات واقاليم وانما قيل كانتا دون كن مع ان المرجوع اليه مجموع لان المراد جماعة السموات وجماعة الارض ومثله لقاحان سودا
وان اي جماعتان فعلنا في المضمر نحو ما فعله في المظهر والكثرة على ما ذكر بالعقل لان تباينهما اثر من الاثار فلا بد له من موثر واجب ابتداء او بوسط
او بالاستفسار بالعلماء او باستماع الوحي المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم او بمطالعة الكتب واعلم ان الفتق صفة الله كالعلم والقدرة و
ساير الصفات العليا وكل صفة من صفات الله ليست بعرض ولا مستحيل البقاء ولا ضروري ولا مكتسب بل ازلية لاستحالة قيام الحوادث بذاته
انه اذ لا معنى لصفة الشيء الا ما يقوم به فالفتق باق ازلا وابدا والمفتوق حادث بحدوث التعلق كما في العلم وغيره من الصفات القديمة التي لا
يلزم من قدمها قدم متعلقاتها لكون تعلقاتها حادثة وبهذا علم قطعا وجزما ان القول بان الفتق عارض كما وقع في تفسير البيضاوي خطاء باطل وما كان ينبغي ان يخفى ذلك على مثله وذلك لان العارض انما يقال للحادث قال الله تعالى فلما راوه عارضا مستقبل اوديتهم قالوا هذا
عارض ممطرنا يعني السحاب الذي يعرض في افق من السماء من عرض له امر كذا اذا ظهر وجعلنا من الماء كل شيء حي من هذا الجنس الذي هو
جنس الماء يأتي في الروايات ان الله تعالى خلق الملائكة من ريح خلقها من الماء وادم من تراب خلقه منه والجن من نار خلقها منه وجعل ان
عدي الى واحد يكون بمعنى خلق وان تعدى الى اثنين يكون بمعنى صير وكلاهما محتمل ههنا من الماء كل حيوان كقوله والله خلق كل دابة من
ماء او كانما خلقناه من الماء لفرط احتياجه اليه وحبه له وقلة صبره عنه كقوله خلق الانسان من عجل او صيرنا مبدأ كل حيوان هذا الجنس
او بعض هذا الجنس الذي هو جنس الماء او بسبب من الماء لا يحيى منه ونظيره من على الاخير من في قوله عليه السلام ما انا من دد ولا الدد
مني وقرئ حيا على انه صفة كل او مفعول ثان والظرف لغو والشيء مخصوص بالحيوان وقيل من الماء اي من الحيوان وقيل من النطفة
وكلاهما ضعيف على ما لا يخفى افلا يؤمنون مع ظهور الآيات وجعلنا في الارض رواسي جبالا ثوابت رواسخ جمع راسية من رسى
اذا ثبت قال الاخفش ان تميد بهم كراهة ان تميد بهم وتضطرب او لان لا تميد بهم فحذف اللام ولا وجاز حذف لا لعدم الالتباس
كما يراد لذلك في نحو قوله لئلا يعلم اهل الكتاب وهو مذهب الكوفيين ولا يرضاه البصريون لبعده وقلته بالنسبة الى حذف المضاف
وجعلنا فيها في الارض او في الرواسي فجاجا سبلا اي طرقا واسعة جمع فج وهو طريق واسع وقدم فجاجا على سبلا مع انها صفة
لتكون حالا فيدل على انه حين خلقها خلقها على هذه الصفة او ليبدل منها سبلا فيدل ضمنا على انه خلقها ووسعها للسابلة مع
ما يكون فيه من التوكيد لعلهم يهتدون ارادة ان يهتدوا الى مقاصدهم وجعلنا السماء سقفا محفوظا حفظا بالامساك بقدرته من
ان يقع على الارض ويتزلزل او يفسد او ينحل الى الوقت المعلوم او بالشهب عن تسمع الشياطين على سكانه من الملائكة كما قال وحفظناها
من كل شيطان رجيم وهم عن آياتها عن ادلتها الواضحة التي خلقها الله فيها وجعلها علامات نيرة على وجوده ووحدته وكمال
صنعه وعظيم قدرته وباهر حكمته وقيل احوالها الدالة على وجود الصانع ووحدته وكمال قدرته وتناهي حكمته يحس ببعضها ويبحث
عن بعضها في علم الطبيعة والهيئة وقرا ابن ابي عبلة سقفا محفوظة ومجاهد عن آيتها بالتوحيد معرضون لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون

وضعها وقرئ ايها على التوحيد اكتفاء بالواحدة في الدلالة على الجنس اي هم متفطنون لما يرد عليهم من السماء من المنافع الدنيوية كالاستضاءة

بنورها والاهتداء بكواكبها وحيوة الارض والحيوان بامطارها وهم عن كونها آية بينة على الخالق معرضون وهو الذي خلق الليل والنهار

والشمس والقمر اوجدها واخرجها من العدم الى الوجود وهو بيان لبعض تلك الآيات كل في فلك التنوين عوض من المضاف اليه اي كل واحد منهما

وقال سيبويه الفلك بفتح الفاء واحد افلاك النجوم قالوا والمراد به في الآية الجنس كقولهم كساهم الامير حلة وقلدهم سيفا اي هذين الجنسين

وقال الامام محيي السنة الفلك في كلام العرب كل شيء مستدير وجمعه افلاك ومنه فلكة المغزل وقال الحسن الفلك طاحونة كهيئة فلكة

المغزل يريد ان الذي يجري فيه ذلك الكواكب فكل كوكب يجري في السماء الذي قدر فيه ومعنى قول قتادة وقال الكلبي الفلك استدارة السماء

وقال آخرون الفلك موج مكفوف دون السماء تجري فيه الشمس والقمر والنجوم يسبحون يسيرون بسرعة كالسابح في الماء وقيل يسرعون على الفلك

اسراع السابح على سطح الماء وهو خبر كل والجملة حال من الشمس والقمر كقولك رايت زيدا وهندا متبرجة ونحوه اذا كانت صفة تختص ببعض ولان

لا لبس والفعل كقوله وهبنا له اسحق ويعقوب نافلة او استيناف لا حظ لها من الاعراب وانما جمع باعتبار المطالع وهو السبب في جمعها

بالشموس والاقمار والا فكل منهما واحد وجعل واو العقلاء لانه وصفهما بما هو خاص بهم وهو السباحة اجرى عليهما حكمهم كانهما

عاقلة وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد دوام البقاء في الدنيا وبه استدل من قال بان الخضر مات وليس بحي في الدنيا مع ان المشايخ باسرهم

وكثيرا من العلماء قائلون بانه حي حتى اخبر بعضهم برؤيته اياه ومكالمته معه والله اعلم وان صح ذلك فيكون من العام المخصوص منه مع اطلاق

النفس عليه في قوله تعالى تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك وكذلك من يقول في الجنة ومن يخلق فيها بعد دخول اهلها كما نطق به الحديث و

كذا البهائم كلها وغيرها من الدواب كلها في التسبيح فاذا انقضى تسبيحها اخذ الله ارواحها وليس الى ملك الموت من ذلك شيء وقيل كذا

الجمادات لها نفوس وهي لا تذوق الموت فيبقى معموله بقيا عن الخصوص واعلم انما يدل على ان الخضر كان حيا في عهد النبي صلعم وبعده ما ذكر في

صحيح المستدرك من انه عليه السلام لما توفي عزتهم الملائكة السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ان في الله عزاء من كل مصيبة وخلفا من كل

فائت فبالله فثقوا واياه فارجوا فانما المحروم من حرم الثواب والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ودخل رجل اشهب اللحية جسيم صبيح فتخطا

رقابهم فبكى ثم التفت الى الصحابة فقال ان في الله عزاء من كل مصيبة وعوضا من كل فائت وخلفا من كل هالك فالى الله انيبوا واليه فارغبوا

ونظره اليكم في البلاء فانظروا فانما المصاب من لم يجبر وانصرف فقال ابو بكر وعلي هذا الخضر عليه السلام افان مت فهم الخالدون نزلت

حين قالوا نتربص بمحمد ريب المنون تخلدا بشر فلا احد الا وهو عرض للموت فاذا كان الامر كذلك فان مت انت فلا يخلد هؤلاء وفي

معناه قول فقل للشامتين بنا افيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا والفاء لتعليق الجملة الشرطية بالجملة قبلها على وجه التسبيب والهمزة

للانكار اي يجعلوا هلاك البشر قبلهم سبب الخلود بعد موته مع علمهم ان عدم خلودهم ايضا اي لا ينبغي ان يجعلوا ذلك سبب الخلود

بعد هلاكهم بل سبب الهلاكهم وفنائهم ايضا لان حكمهم حكم سائر البشر فكانهم زعموا انه يموت وهم يخلدون بعده ومثل هذا الزعم

ليس ببدع من الكفار الذين هم اضل من الانعام والمراد بالخلود هنا المكث الطويل سواء كان معه دوام او لا والدوام الذي هو احد

قسميه بدلالة الحال هو الوصول يريدوا انهم يهلكون قبله وقد هلكوا في قليب بدر وهو قد بقي بعدهم باعوام وسنين كثيرة ولذلك جيء به

بالشرطية التي لا تقتضي تحقق الطرفين فلم يوصف عليه الصلوة والسلام بالموت قبلهم بل فرض موته قبلهم كما يفرض المحال وذلك لما

علم انهم يموتون قبله ولم يبق بعدهم بمدة وقال سيبويه الهمزة في موضعها والفاء دخلت على تعلق الشرط بما قبله وقال يونس الهمزة

في مثل هذا احقها ان تدخل على جواب الشرط تقديره افهم الخالدون فان مت لان الغرض التنبيه او التوبيخ على هذا الفعل المشروط وقيل

الحق ما قاله سيبويه لانه لو قدم الجواب لم يكن للفاء وجه ان لا يصح ان تقول اتزورني فان زرتك على ان الهمزة لها صدر الكلام فقد

وقعا في موضعهما والمعنى يتم بدخول الهمزة على جملة الشرط والجزاء لانهما كالشيء الواحد وقرا ابن ابي عبلة هم الخالدون بدون الفاء

كل نفس ذائقة الموت ذائقة مرارة مفارقتها جسدها وقيل هو يبطل قول الفلاسفة في ان الارواح البشرية والعقول المفارقة والنفوس

الفلكية لا تموت والذوق هنا لا يمكن اجراؤه على ظاهره لان الموت ليس من جنس المطعوم حتى يذاق بل الذوق ادراك خاص ويجوز جعله

مجازا عن

مجازا عن اصل الادراك واما الموت فالمراد منه مقدماته من الآلام العظيمة لان الموت قبل وجوده يمتنع ادراكه وحال وجوده يصير الشخص ميتا

والميت لا يدرك شيئا وانت خبير بان هذا قول من انكر عذاب القبر وهم الروافض وكثير من المعتزلة فانهم قالوا تعذيب الميت محال لان الميت

جماد لا حيوة ولا ادراك واجاب اهل الحق بانه يجوز ان يخلق الله تعالى في جميع الاجزاء او في بعضها نوعا من الحيوة قدر ما يدرك الم العذاب

على ان الآيات والاحاديث الصحيحة الدالة على عذاب القبر اكثر من ان يحصى بحيث تواتر القدر المشترك وان لم يبلغ احادها حد التواتر و

لولا ادراك الميت لما كان لتعذيبه معنى ونبلوكم هو من تسمية المسبب باسم السبب فانه تجوز بالبلاء عن العرفان لانه مسبب عنه كانه قيل

ونعرفكم وبه فسر قوله تعالى ونبلوا اخباركم وعليه ورد قول عمرو بن كلثوم الا لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا الجهل الاول حقيقة والثاني

مجاز عبر به عن مكافات الجهل وقيل ونعاملكم معاملة المختبر وقيل نختبركم بالشر والخير بالبلاء والنعم وقيل بما تحبون وما تكرهون فتنة

اي بلاء وتجربة مصدر مؤكد لنبلوكم من غير لفظه وعن ابي امامة قال النبي صلعم ان الله تعالى يجرب احدكم بالبلاء كما يجرب احدكم ذهبه بالنار

فمنه ما يخرج كالذهب الابريز فذاك الذي حماه الله من الشبهات ومنه يخرج دون ذلك فذاك الذي يشك بعض الشك ومنهم من يخرج كالذهب

الاسود فذاك الذي افتتن والينا ترجعون فنجازيكم على حسب ما يوجد منكم من الصبر والشكر والشر والخير وقيل البلاء الامتحان والاختبار و

يكون سيئا ويكون حسنا والله تعالى يبلو عبده بالبلوى الذي يكرهه ليمتحن صبره ويبلوه بالصنع الجميل ليمتحن شكره وقيل فيه ايماء بان

المقصود من هذه الابتلاء والتعريض للثواب والعقاب تقريرا لما سبق واذا راك الذين كفروا ان يتخذونك الا هزوا ما يتخذونك الا موضع

هزؤ او مهزوا به قال السدي نزلت في ابي جهل مر به النبي صلى الله عليه وسلم فضحك فقال بني عبد مناف اهذا الذي يذكر الهتكم يحكي بعض

القول المضمر يقولون اهذا الذي يذم الهتكم ويعيبها وانما اطلق الذكر لدلالة الحال فان ذكر العدو لا يكون الا بذم وسوء وهم بذكر الرحمن

بالتوحيد او بارشاد الخلق ببعث الرسول وانزال الكتب رحمة عليهم او بالقرآن هم كافرون منكرون لا يقرون به اصلا فهم احق بان يهزا بهم

وقيل ذلك انهم كانوا يقولون لا نعرف الرحمن الا مسيلمة الكذاب وتكرير الضمير للتاكيد والتخصيص ولحيلولة الصلة بينه وبين الخبر خلق الانسان من

عجل سياق وسباقه يدل لان على ان المراد بالانسان الكافر فانه الذي يستعجل بالعذاب استهزاء ويستعجل الى آيات الله ونقماته وهو طبعه وسجيته

وقيل المراد به الجنس فان البشر لا يبارح العجلة وتمكنها منه ورسوخها فيه كانه مجبول عليها مطبوع وكانها امر خلقي وضروري غير اختياري

وعن ابن عباس انه اراد به آدم وانه حين بلغ الروح صدره ولم يتبالغ فيه اراد ان يقوم قال سعيد بن جبير والسدي انه لما دخل الروح الى

رجله عجلان الى ثمار الجنة فوقع وقيل خلق الله آدم في آخر نهار يوم الجمعة قبل غروب الشمس فاسرع في خلقه قبل مغيبها وقال مجاهد

لما احيا الروح راسه قال رب استعجل بخلقي قبل غروب الشمس وعن ابن عباس انه النضر بن الحرث كما في قوله وكان الانسان عجولا وقيل العجل

الطين قال الشاعر والنبع في الصخرة الصماء منبته والنخل ينبت بين الماء والعجل وعن الاخفش من عجل اي من تعجيل من الامر وهو قوله كن

وقال قوم من تعجيل في خلق الله اياه لان خلقه كان بعد كل شيء في آخر النهار يوم الجمعة وقرئ خلق الانسان سأريكم آياتي نقماتي في الدنيا من

القتل والاسر فيريد لكم في الآخرة عذاب النار وقيل مواعيدي فلا تستعجلون بالاتيان بها وانما نهاهم عن الاستعجال الذي طبعت

عليه نفوسهم ليقعدوها عن مرادها وقرا يعقوب فلا تستعجلوني بالياء في الحالين ويقولون متى هذا الوعد وقت وعد العذاب

او القيمة استبعادا لما وعدوا به من العذاب واستهزاء به ان كنتم صادقين يعنون النبي واصحابه لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون

عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون جواب لو محذوف وحين مفعول به ليعلم اي لو يعلمون الوقت الذي يستعجلون

منه بقولهم متى هذا الوقت وهو وقت يحيط بهم النار من كل صوب بحيث لا يقدرون على دفعها ومنعها من انفسهم ولا يجدون

ناصرا ينصرهم لما كانوا بتلك الصفة من الكفر والاستعجال والاستهزاء وجزاءه بكلمة مفعول يعلم متروكا وحين منصوبا بمضمر

يعني لو كان لهم علم لما استعجلوا وحين لا يكفونها عنهم يعلمون انهم كانوا على الباطل واقام المظهر مقام المضمر ليدل على ان ذلك العذاب

الفظيع لحقهم لكفرهم بل تاتيهم بغتة بل تفاجئهم النار او الساعة او العدة وانتصابها على المصدر او الحال وقرا الاعمش بفتح الغين فتبهتهم

فتغلبهم او تحيرهم وقرا ايضا الفعلين بالياء والضمير للوعد او الحين وكذا في قوله فلا يستطيعون ردها لان الوعد في معنى النار والتي

وعدوها او على تأويل العزة وقرا ابن مسعود والاعمش ردته بالتذكير وهو في مصحفه كذا قاله النيسابوري في غرائب القران والحين في معنى
الساعة ويجوز ان يكون النار او البغتة ولا هم ينظرون تذكير بانظاره اياهم وامهاله وتفسيح الصفا لهم ووقت التذكر عليهم اي لا يمهلون
بعد طول الامهال ولقد استهزئ برسل من قبلك تسلية لرسول الله عن استهزائهم به والتنكير للتعظيم والتكثير فحاق بالذين سخروا
منهم فاحاط بهم ما كانوا به يستهزؤن العذاب الذي كانوا به يستعجلون ووضع يستهزؤن موضع يستعجلون لان استعجالهم كان على
جهة الاستهزاء وهو وعيد لما يفعلونه به يحيق بهم كما حاق بالمستهزئين بالانبياء ما فعلوا قل من يكلؤكم بالليل والنهار من يحفظكم من
الرحمن من باسه وعذابه وقال ابن عباس من يمنعكم من عذابه وقيل في لفظ الرحمن تنبيه على ان لا كالئ غير رحمته العامة وان اتفاعهم بها بل هم عن ذكر ربهم
معرضون لا يخطرونه ببالهم فضلا ان يخافوا باسه حتى اذا ذاقوا الكلاءة منه عرفوا من الكالئ وصلحوا للسؤال عنه والمراد انه امر رسوله بسؤالهم عن الكالئ ثم بين
انهم لا يصلحون لذلك لاعراضهم عن ذكر من يكلؤهم ام لهم الهة تمنعهم من دوننا اضراب عن الامر بالسؤال اي بل الهم الهة تمنعهم من العذاب تتجاوز منعنا
وحفظنا او من عذاب يكون من عندنا على ان الهمزة الحاكلا ن يكون لهم ذلك واستبعاد وتعجيب كانه قال دع سؤالهم وانظر الى شانهم المستنكر الحقيق بـ
التعجب ذلك ان الهتهم عجزة لا تحمي ابين من مجرم لا يقدرون على دفع شيء من القدر عن انفسهم والعاجز عنه كانوا من دفعه عن غيرهم اعجز وقيل الاضراب
عن الامر بالسؤال عن الترتيب فانه عن الموصل الى فهل عن الشيء بعيد وعن المعتقد لنقيضه ابعد لا يستطيعون نصر انفسهم ولا هم منا يصحبون
استيناف يبين بطلان ما اعتقدوه فان ما ليس بقادر على نصر نفسه ومنعها ولا يصحبه نصر من الله كيف ينصر غيره ويمنعه وقال ابن عباس يصحبون يمنعون وقال
مجاهد ينصرون بل متعنا هؤلاء واباءهم حتى طال عليهم العمر اضراب عن توهم ببيان ما هو الداعي الى حفظهم وكلاءتهم وهو الاستدراج والتمتيع بما
بالتنعم في الرزق حتى اغتروا بالامهال وشغلوا بالتنعم واتباع شهواتهم ووساوسهم وطاعة الشيطان من الاقبال الى ذكر الله وكلمة التوحيد
واراد بذلك الاطناب في الخارج وتوبيخهم لانه اذا نعمهم بزيادة النعم وجب عليهم ان يجعلوا ذلك ذريعة الى زيادة الشكر والثبات على التوحيد
ومقتضياته او عن الوكالة على بطلانه ببيان ما اوهمهم ذلك وهو انه تعالى متعهم بالحيوة الدنيا وامهلهم حتى طال عليهم الامد واستدت ايام الروح
والطمانينة فحسبوا ان لا يزالوا كذلك لا يغط عنهم ردية امتنعهم واستماعهم وذلك طمع فارغ وامل كاذب ولذلك عقبه بقوله افلا يرون
انا ناتي الارض ننقصها من اطرافها اما خبر بعد خبر او حال او بدل اي افلا يعلمون انا ننقص من الكفرة التي هي دار الحرب ونحذف اطرافها
بتسليط المسلمين عليها والنكتة في ناتي الارض تصويرها يجري به الله على ايدي المسلمين وان عساكرهم تغزو ارض الكفرة وتاتيها غالبة عليها
فناقصة من نواحيها حتى طرق بالتحريك وهو ناحية من النواحي وطائفة من الشيء ويجوز ان يراد باطرافها اهاليها واشرافها انه يقول تعالى
فلان كريم الطرفين اذا اريد به نسب ابيه ونسب امه واطراف ابواه واخوته واعمام وكل قريب له محرم وهذا تفسير حسن رواشكاله وانشد ابو
زيد فكيف بالطرفي اذا ما شتمتني وما بعد شتم الوالدين صلوح ومعنى نقص الارض من اهلها ان يجعلها الله مع اهلها مغانم للمسلمين فيأخذوا
ما فيها من الذهب والفضة ونحو ذلك ويستاسروا اهلها الى بلاد الاسلام ويقتلوا بعضهم وفي ذلك من النقص ما لا يخفى وقرا الضحاك
ننقصها بتشديد القاف افهم الغالبون ام نحن او افهم الغالبون رسول الله والمؤمنين الذين هم حزب الله قل انما انذركم بالوحي اخوفكم
بالقرآن الذي اوحي الي ولا يسمع الصم الدعاء وقرا ابن عامر ولا تسمع بضم التاء وكسر الميم خطابا للنبي ومفعوله الصم الدعاء والباقون ولا يسمع
بفتح الياء والميم اسناد له الى الصم وقرئ لا يسمع اي لا يسمع رسول الله ولا يسمع الصم من اسمع وشبهوا بالصم وهم صحاح الحواس لانهم اذا
سمعوا ما ينذرون به من آيات الله لا تعيه اذانهم وكان سماعهم كلا سماع فكانت حالهم لا تسفابهم جدوى السماع كحال الذين عدموا
مصحح السماع وينعق بهم فلا يسمعون ووضع الصم موضع الضمير ليدل على تصامهم وعدم انتفاعهم بما يسمعون اذا ما ينذرون منصوب بيسمع
او بالدعاء والتقييد به لان الكلام في الانذار او للمبالغة في تصامهم من آيات الانذار وتجاسرهم ولئن مستهم نفحة ادنى شيء من هذا
الذي ينذرون وتنكيرها للتحقير وان للنفح وبناء المرة مدخلا في افادة التحقير فيتقوي بهما وتزداد لانه ما من شانه الزيادة و
الصحيح قالوا وفيه مبالغات ثلث ذكر المس وبناء المرة ونفي الكلمة لانها اما من نفحته الدابة اذا ضربته بحد حافرها اي ضربة او من نفحت
الريح اذا هبت اي هبة او من نفح الطيب اذا فاح اي فوحة كما يقال شمة وبالجملة فهي مصبوبة في قالب القلة وقال ابن عباس نفحة اي طرف

حافرها

وقال ابن

وقال ابن جريج نصيب من نفح فلان لفلان من ماله اذا اعطاه حظا منه وقيل قليل من عذاب ربك اضاف العذاب الى نفسه على سبيل
التفخيم والتعظيم كما صرح به في قوله عذاب عظيم وذلك لان المضاف الى العظيم يعظم بالاضافة اليه ليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين لدعوا على انفسهم
بالويل ودلوا واقروا عليها بالظلم حين تصاموا واعرضوا ونضع الموازين القسط وصف الموازين الحقيقية التي يوزن بها صحائف الاعمال عن
الحسن هو ميزان له كفتان ولسان وروي ان داود عليه السلام سأل ربه ان يريه الميزان فاراه كل كفة ما بين المشرق والمغرب ولما رآه غشي عليه ثم
افاق فقال يا الهي من الذي يقدر ان يملأ كفته حسنات قال يا داود اني اذا رضيت عن عبدي ملأتها بتمرة وقال الغزالي الميزان حق ووجهه
ان الله تعالى يحدث في صحائف الاعمال وزنا بحسب درجات الاعمال عند الله تعالى فتصير مقادير اعمال العباد حتى يظهر لهم العدل في العقاب
او الفضل في العفو وتضعيف الثواب واجمع المسلمون على حقيقة الميزان قبل ظهور المخالف لما نطق به الكتاب والسنة اما الكتاب فظاهر
واما السنة فقد قال صلى الله عليه وسلم التسبيح نصف الميزان والحمد لله يملأه الحديث وقال صلعم كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان
في الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله العظيم وبحمده سبحان الله وبحمده والاحاديث فيه اكثر من ان يحصى وانكره المعتزلة كلهم
فحملوا ما ورد في القران من الوزن والميزان على رعاية العدل والانصاف بحيث لا يقع فيه تفاوت اصلا لا الالة الوزن الحقيقي لان الا
عمال اعراض قد عدمت فلا يمكن اعادتها وان امكن فلا يمكن وزنها لعدم اتصافها بالخفة والثقل ولانها معلومة لله تعالى
فوزنها عبث واجاب اهل الحق بانه قد ورد في الحديث ان كتب الاعمال هي التي توزن قال عليه حين سئل كيف توزن الاعمال على انه يجوز
ان يكون في الوزن حكمة لا نطلع عليها وعدم اطلاعنا عليها لا يوجب العبث وقيل وضع الموازين تمثيل لارصاد الحساب السوي والجزاء على
حسب الاعمال بالعدل والنصفة وفيه من الميل الى مذهب الاعتزال ما لا يخفى على من تامل ما ذكرنا ليوم القيمة لجزاء يوم القيمة
او لاهله اي لاجلهم او فيه كقولك جئته لخمس ليال خلون من الشهر ومنه قوله عليه السلام انزل الله تعالى صحف ابراهيم في اول ليلة من شهر
رمضان وانزل التورية لست خلون من شهر رمضان وانزل الزبور لاثني عشر خلون من شهر رمضان وانزل الانجيل لثمان عشر خلون
من شهر رمضان وانزل الفرقان من اللوح المحفوظ الى سماء الدنيا جملة واحدة لاربع وعشرين خلون من شهر رمضان رواه ابن عبا
س وانس وواثلة بن الاسقع فلا تظلم نفس شيئا من حقها او من الظلم وان كان مثقال حبة من خردل اي وان كان العمل او الظلم
او ما يوضع في الميزان مقدار حبة وقرا نافع مثقال بالرفع على كان التامة مثل وان كان ذو عسرة اتينا بها احضرناها للمجازي بها وقرا ابن
عباس ومجاهد آتينا بها بمعنى جازينا بها من الايتاء فانه قريب من اعطينا او من المواتاة لانهم اتوه بالاعمال واتاهم بالجزاء
وقرا حميد اثبنا من الثواب وابي جئنا بها والضمير للمثقال وتانيثه لاضافته الى الحبة كقولهم ذهبت بعض اصابعهم وكفى بنا حاسبين
عادين من حسب الى ان اذا عده وقال ابن عباس عالمين حافظين لان من حسب شيا علمه وحفظه وقال السدي محصين ولقد آتينا موسى وهرون
الفرقان وضياء وذكرا للمتقين اي آتيناهما التورية واتيناه بها ضياء وذكرا للمتقين يعني انه في نفسه ضياء وذكرى او واتيناهما بما فيه من الشرائع
والمواعظ ضياء وذكرى ويجوز ان يراد بالفرقان جميع ما اتاهما في باب الدين من المعجزات والتورية والشرائع الفارقة بين الحق والباطل وعن ابن
عباس الفرقان الفتح والنصر على الاعداء كقوله يوم الفرقان وعن الضحاك فلق البحر وعن محمد بن كعب المخرج من الشبهات والياء في ضياء
منقلبة عن واو ضوء لكسرة ما قبلها وقرا ابن عباس ضياء بغير واو على انه حال من الفرقان اي سراجا فيستضاء به في ظلمات الحيرة والجهالة وقرا
قنبل ضئاء بهمزتين بينهما الف على انه جمع ضوء كحياض في جمع حوض او مصدر ضاء يضوء ان شبه ضياء ثم قلب بتقديم الهمزة وتاخير الياء
فصارت الياء طرفا بعد الف فقلبت همزة كسقاء وكساء وخرجها خلاع وضعفها بعضهم بان قياس اللغة الفرار من اجتماع همزتين فكيف يتوصل
الى الجمع اجيب بان المحذور تلاصقهما كما في الخليل منه اليه لاجتماعهما في كلمة كبراء للفاصل والباقون ضياء بالياء بعد الضاد من غير
تقديم ولا تاخير على الاصل وهو ايضا يحتمل الوجهين السابقين ووزنه فعال والضياء والضوء والضوء بمعنى واحد والذكر والذكرى نقيض
النسيان وقرا ثبت في جميع المصاحف بالياء قالوا والمراد به ههنا الموعظة او ذكر ما يحتاجون اليه في دينهم ومصالحهم او الشرف الذين يخشون ربهم

علي

يخافونه مجرور على انه صفة للمتقين او منصوب او مرفوع على المدح بالغيب حال من الفاعل اي غايبين عنه او المفعول اي غايبا
عنهم غير مرئي بابصارهم او صفة لمصدر محذوف وهم من الساعة مشفقون خائفون خوفا شديدا وقيل في تصدير الضمير وبناء الحكم عليه مبالغة وتعريض
وهذا ذكر يعني القرآن مبارك كثير خيره ومنافعه وقرا ابن ابي عبلة مباركا بالنصب على الحال والعامل فيه ما في هذا من معنى الاشارة كانه قيل
اشير اليه انه مبارك انزلناه على محمد صلعم افانتم له منكرون جاحدون وغير معترفين ومعنى الهمزة فيه التوبيخ كانه قيل ابعد ما علمتم انه منزل من عندنا
تنكرون ان تنكروه ولقد اتينا ابراهيم رشده اهتداءه لوجوه الصلاح او صوابه من التوحيد والايمان وقال محمد بن كعب اي صلاحه وقال كثير منهم
اي هداه ومعنى اضافته اليه انه رشد مثله وان له رشدا له شان وقرئ رَشَده وهو لغة كالعُرْب والعَرَب والقُدْم والقَدَم من قبل
من قبل موسى وهرون او محمد وقيل من قبل استنبائه او بلوغه وهو حين خرج من السرب وهو صغير يعني هديناه صغيرا كما قال ليحيى
واتيناه الحكم صبيا وكنا به عالمين علمنا انه اهل للرشد والنبوة او جامع لمحاسن الاوصاف ومكارم الخصال التي بها يحق لمن التفتنا
الى لقيتنا وفيه دلالة بينة على انه تعالى عالم بالجزئيات واشارة الى انه فعل باختيار وحكمة وتقديم الظرف لمجرد الاهتمام مع رعاية
الفاصلة اذ قال لابيه وقومه متعلق باتينا او برشده او بمحذوف اي اذكر من اوقات رشده وقت قوله لهم ما هذه التماثيل التي
انتم لها عاكفون تجاهل لهم وتغاب ليحقر شان الهتهم ويوبخهم على تعظيمها فان التي تمثل صور الاموات لها لا تستطيع لا نفسها
ان تنفعها او تدفع عنها ضرا فكيف تستطيع لغيرها وقد اثروها على الخالق العليم الرازق المثيب المعاقب فما ابين جهلهم وضلالهم
واللام للاختصاص لا للتعدية لان تعدية العكوف بعلى والمعنى وانتم فاعلون العكوف لها او واقفون لها على تنزيلها منزلة اللام
وجوزان يؤول بعلى او يضمن العكوف معنى العبادة وقيل لها عاكفون اي على عبادتها مقيمون فاقيل اللام بعلى وقدر اعطاف
قالوا وجدنا اباءنا لها عابدين فقلدناهم في عبادتها وهو جواب عما لزم الاستفهام من السوال عما اقتضى عبادتها وحملهم
عليها وكان ابراهيم يعلم انها اصنام افتعلوها بالنحت والتصوير لا تنفع ولا تضر ولكنه سالهم ليريهم ما يعكفون له لا يستحق العبادة
من شيء وانهم بذلك متورطون في الخطا العظيم والضلالة التي ليس بعدها قال لقد كنتم انتم واباؤكم في ضلال مبين يعني ان
المقلدين والمقلدين جميعا منخرطون في سلك ضلال لا يخفى على عاقل لعدم استناد الفريقين الى دليل والتقليد ان جاز
فانما يجوز لمن علم في الجملة انه على حق وانتم تاكيد للمستكن في كنتم ليصح العطف عليه لان العطف على المرفوع المتصل بلا فصل ممتنع
غير ثابت في فصيح الكلام قالوا اجئتنا بالحق ام انت من اللاعبين لما فلهم كانهم بقوا مستبعدين تضليلهم اباءهم متعجبين منه
وظنوا انه قاله على وجه الملاعبة والمزاح دون الجد فقالوا اهذا الذي جئتنا به من القول الجد ام تلعب به قال بل ربكم رب السموات
والارض الذي فطرهن اضراب عن كونه لاعبا باقامة البرهان على ما ادعاه وهن للسموات والارض او للتماثيل او للجميع
وهو ادخل في تضليلهم وانسب للاحتجاج عليهم ومعنى فطرهن خلقهن واوجدهن من العدم الى الوجود فمن افضل واجهل
ممن يوثر المخلوق الجائز الوجود على خالقه الواجب الوجود وقرا عيسى وابراهيم فطرها وانا على ذلكم اي على انه ربكم رب العالمين لكم
الذي لا خالق الا هو وقيل اي على انه لا اله الا الذي لا يستحق العبادة غيره من الشاهدين من المبرهنين والمقيمين الحجة عليه كما
يبرهن على الدعاوي بالشهادات لاني لست مثلكم واقول ما لا حجة لي عليه استمسك بها كما لا حجة لكم تتمسكون بها الا قولكم وجدنا اباءنا
لها عابدين وهو قول باطل لا شبهة فيه وقول من الشاهدين مثل قولهم فلان من القوم معناه من الرجال الذين حقوا ان يطلق عليهم
هذا الاسم لاستكمالهم شرائط الرجولية وقيل من المحققين او المبرهنين عليه وان الشاهد من تحقق الشيء وحققه والشهادة خبر
قاطع من شهد الرجل على كذا اذا اخبر بصحته عن مشاهدة وعيان وتالله وقرا معاذ بن جبل بالله بالباء على الاصل والتاء
بدل من الواو والمبدلة منها وفيها زيادة معنى وهو التعجب لاكيدن اصنامكم لاجتهدن في كسرها ولفظ الكيد وما في التاء
من التعجب لصعوبة الامر وتوقفه على نوع من الحيل بل مثل ذلك الامر وهو تسهل الكيد وتاتيه على يد رجل واحد في غاية
الصعوبة ونهاية التعذر في كل زمان خصوصا في زمن نمرود مع فرط عتوه واستكباره وقوة سلطانه وتهالكهم على نصرة دينه

ولكن انا

ولكن اذا الله سنى عقد شيء تيسر بعد ان تولوا مدبرين الى عيدكم وقيل اي بعد ان تذهبوا منطلقين الى عيدكم والادبار نقيض الاقبال وهو
الذهاب الى الخلف وقال مجاهد وقتادة انما قال ابراهيم ذلك سرا من قومه ولم يسمع ذلك الا رجل واحد فافشاه عليه وقرئ تولوا بمعنى
تتولوا ويعضدها قوله فتولوا عنه مدبرين فجعلهم جذاذا قطاعا فعال بمعنى مفعول كالحطام من الجذ وهو القطع ومنه عطاء غير مجذوذ
وقرا الكسائي بكسر الجيم وهو لغة او جمع جذيذ كخفاف وخفيف وقيل المضموم جمع جذاذة وقرئ جذاذا بالفتح وهو لغة ايضا او مصدر كالحصاد
للمبالغة اي على تقدير ذوي جذاذ وقرئ جذذا جمع جذيذ كقلب وقليب وجذذا جمع جذة كعدد وعدة وجذاذ كقطاع وجذذا كخدم الا كبيرا
لهم للاصنام روي ان ازر خرج به في يوم عيد لهم فدخلوا بيت الاصنام اقبلوا وسجدوا لها ووضعوا بينها طعاما كان معهم وقالوا الى ان
نرجع بركت الالهة على طعامنا فذهبوا وبقي ابراهيم فنظر الى الاصنام وكانت اثنين وسبعين صنما وقيل سبعين بعضها من ذهب وبعضها
من فضة وبعضها من حديد ورصاص وشبه وخشب وحجر وثم صنم عظيم مستقبل الباب وكان من ذهب مكلل بالجواهر وفي عينيه جوهرتان
تضيئان بالليل فكسرها كلها بفاس في يده حتى لم يبق الا الكبير علق الفاس في عنقه ثم خرج وانما استبقاه لعلهم اليه يرجعون اي لانهم يرجعون
الى الكبير فيسالونه عن كاسرها لان من شان المعبود ان يرجع اليه في حل المشكل فيبين جهلهم ويبكتهم بذلك او يرجعون على ابراهيم لاشتهاره با
نكاره دينهم وسب الهتهم عداوتهم فيبكتهم بالجواب لهم بقول بل فعله كبيرهم هذا وابعد من هذا جدا ما قيل او الى الله يرجعون الى توحيده عند
تحققهم عجز الهتهم وفي تقديم الظرف للاختصاص او لمجرد الاهتمام مع رعاية الفاصلة ثم لما رجعوا من عيدهم الى بيت الهتهم وراوها جذاذا
كسرا قالوا من فعل هذا بالهتنا انه اي ان من فعل هذا الكسر والحطم لمن الظالمين لمن المتناهين في الظلم المبالغين فيه لجراته على الالهة الحقيقة
عندهم بالاعظام او لافراطه في حطمها وتماديه في الاستهانة بها او لتعريضه نفسه في الهلاك قالوا اي الذين سمعوا قول ابراهيم المذكور قبل الايتين
سمعنا فتى يذكرهم يعيبهم ويسبهم واطلق ولم يقيد لانه لما كان فاذكر بكسر ابراهيم وسبه ويبغضه انما يكون بذم ونظيره قولك سمعت فلانا
يذكرك فان كان الذاكر صديقا فهو ثناء وان كان عدوا فذم ويذكر حال او بدل بناء وقيل الفصل اي سمعنا ذكر فتى اياهم يقال له ابراهيم يقال حال
من فتى او بدل من البدل او صفة بعد صفة وابراهيم خبر مبتدا محذوف او منادى او فاعل يقال لان المراد به الاسم لا المسمى وقيل يذكر ثاني
مفعولي سمع والمحققون لا يرضونه في قولك سمعت رجلا يقول كذا وسمعت زيدا يتكلم بكذا قالوا فاتوا به على اعين الناس وهو في موقع الحال
بمعنى معاينا مشاهدا اي بمراى من الناس بحيث يثبت اثباته في اعينهم ويتمكن ثبات الراكب على المركوب وتمكنه منه لعلهم يشهدون عليه بما سمع
منه وبما فعله او يحضرون عقوبتنا له روي ان الخبر بلغ نمرود واشراف قومه فامروا باحضاره فلما اتي به واحضروه قالوا ءانت فعلت هذا اشارة
الى الكسر والحطم بالهتنا يا ابراهيم استهزاء او سخريا او تبكيتا لهم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسالوهم ان كانوا ينطقون اسند الفعل الى كبيرهم اسنادا
مجازيا لانه غيظ لما راى من زيادة تعظيمهم له مشتبب لكسره وحطمه لها واستهانته بها او الفعل كما يسند الى مباشره يسند الى الحامل عليه او قصدا
الى تقريره لنفسه واثبات لها على اسلوب تعريضي يبلغ فيه غرضه من الزامهم الحجة وتبكيتهم كما لو قال لك من لا يحسن الخط فيما كتبته بخط رشيق
انت كتبته فقلت بل كتبته انت كان قصدك بهذا الجواب تقريره لك مع الاستهزاء به لا نفيه عنك واثباته له او حكاية لما يلزم من مذهبهم جوازه
كانه قال لهم ما تنكرون ان يفعله كبيرهم هذا غضب ان يعبد معه هذه الصغار وهو اكبر منها وقال القتيبي معناه بل فعله كبيرهم ان كانوا ينطقون على
سبيل الشرط اي ان قدروا على النطق قدروا على الفعل فاراهم عجزهم عن النطق وفي ضمنه انا فعلت ذلك وعن الكسائي انه يقف في قوله بل فعله
ويقول معناه فعله من فعله كبيرهم مبتدا خبره هذا لما روى ابو هريرة ان النبي صلعم قال لم يكذب ابراهيم الا ثلث كذبات هي قوله اني سقيم وقوله بل
فعله كبيرهم هذا وقوله لسارة هي اختي سميت بها كذبا بطريق الاستعارة لمشابهتها الكذب من حيث انها في الظاهر اخبار بغير مطابق للواقع لكنها في
التحقيق تخيلات للكفرة ومعاريض كلام وتعريضات كما تقرر في سورة البقرة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان في المعاريض لمندوحة عن
الكذب وعن عمر ان في المعاريض لغنى الرجل العاقل عن الكذب والتعريض تورية الكلام عن الشيء بالشيء وهو ان يشير بالكلام الى شيء والغرض
منه شيء اخر فالغرض من قوله بل فعله كبيرهم الاعلام بان من لم يستطع دفع المضرة عن نفسه كيف يستطيع دفع المضرة عن غيره فكيف يصلح الها وقرا
محمد بن السميفع فعله كبيرهم يعني فلعله اي فلعل الفاعل كبيرهم فرجعوا الى انفسهم فلما اجابهم بذلك الجواب والقمهم الحجر واخذ بمخانقهم راجعوا

حقوقهم فقالوا بعضهم لبعض انكم انتم الظالمون بهذا السؤال او بعبادة ما لا ينطق ولا يملك الضر والنفع لا من ظلمتموه بقولكم من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين ثم نكسوا على رؤسهم ثم انقلبوا الى المجادلة بالباطل بعد ما استقاموا بالرجعة الى انفسهم وجيئهم بالفكرة الصالحة شبه ردهم الى الباطل بصيرورة اسفل الشيء مستعليا على اعلاه وانقلبوا عن كونهم مجادلين لابراهيم الى مجادلتهم عنه حين نفوا عنها القدرة على النطق او قلبوا على رؤسهم حقيقة لفرط اطراقهم خجلا وانكسارا وانخذالا مما بهتهم وغلبهم به ابراهيم فما احاروا جوابا الا ما هو حجة عليهم يقال نكسته اذا قلبته فجعلت اسفله اعلاه وانتكس اذا انقلب وقرئ نكسوا بتشديد الكاف ونكسوا مبنيا للفاعل اي نكسوا انفسهم على رؤسهم لقد علمت على ارادة القول وقالوا لقد علمت ما هؤلاء ينطقون فكيف تسألهم ولما قالوا هذا القول قال لهم ابراهيم افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم توبيخ لهم ولما لعبادتهم لها بعد اعترافهم بانها جمادات مما تشاهد حالها من حال الحيوان الناطق لا تقدر على شيء من النفع والضر فانه ينافي الالهية التي تقتضي الاقتدار على المقدورات كلها والاحاطة بالمعلومات عن آخرها وتجهيل لهم واستركاك لعقولهم تيقظا عنه قوله اف لكم ولما تعبدون من دون الله اف صوت اذا صوت به الانسان علم انه متضجر كما اذا قال حس علم انه متوجع ضجر مما رأى من ثباتهم على عبادتها واستمرارهم عليها بعد وضوح الحق وانقطاع عذرهم وزهوق الباطل ومعناه قبحا ونتنا واللام لبيان المتأفف به اي لكم ولآلهتكم هذا التأفف لا لغيركم او هذا التأفف لكم ولآلهتكم خاصة ولاجلكم جميعا دون غيركم وفي كتب النحو ان اف من اسماء الافعال بمعنى اتضجر افلا تعقلون توبيخ عظيم بمعنى افلا تفطنون لقبح ما تصنعون حتى يصدكم استقباحه عن ارتكابه وكانكم في ذلك مسلوبوا العقل لان المعقول تأباه وتدفعه وقالوا لزمتهم الحجة وغلبوا وعجزوا عن الجواب قالوا حرقوه اتفقت كلمتهم واجمعوا رأيهم باهلاكه باحراقه رجل من اعراب العجم يعني من الاكراد ولعمري انهم لفي فسادهم وجفائهم وغلوهم في تعذيب الناس بعد يعقوبون لا يتكافؤن عن ذلك ما ترى الاسلام الذي هو دين ابراهيم الخليل عليهم انه في خلق ولا عمل والله ما هو ينطق صومهم واضاعة حدوده التي هي حقوق الله وحقوق عباده فخلقهم نهب اموال المسلمين وعملهم ظلم وسرق وقتل وقطع الطريق والله ما هؤلاء باهل الملة الغراء لا كثر الله في الناس مثل هؤلاء ابتاكم والمصاحبة باصلحهم والمورد ببلادهم وقيل اسمه هيزن جاته هيبون فخسف الله الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيمة وقيل قاله نمرود وانصروا آلهتكم بالانتقام لها ان كنتم فاعلين ان كنتم ناصرين آلهتكم نصرا موزرا قلنا يا نار كوني بردا وسلاما ينبغي ذات برد وسلام اي ابردي بردا غير ضار وعن ابن عباس لو لم يقل سلاما لمات ابراهيم من بردها وفيه مبالغات جعل النار المطاوعتها فعل الله كالحي المأمور المطيع اذا ورد عليه فعل الامر المطاع وهو من المجاز الذي يسمى التمثيل وهل يجوز ان يكون تخييلا فيه بحث واقامته كوني ذات برد مقام ابردي ثم حذف المضاف ليدل على ان ذاتها كانها برد وسلام وقيل نصب سلاما بفعله اي وسلمنا سلاما عليه روي انهم حين اتفقوا باحراقه حبسوه ثم بنوا حظيرة بكوثى وجمعوا شهرا اصناف الحطب الصلاب حتى ان كان الرجل يمرض فيقول ان عافاني الله لاجمعن حطبا لابراهيم وكان يوصي بشراء الحطب والقائه فيها وكانت المرأة تنذر في بعض ما تطلب لئن اصابته لتحطبن في نار ابرهيم وكانت المرأة تغزل وتشتري الحطب بغزلها فتلقيه احتسابا ثم اشعلوا نارا عظيمة كادت تحترق في الجو من وهجها واوقدوا عليه سبعة ايام ولم يعلموا كيف يلقونه فيها فاتى ابليس عليه اللعنة وعلمهم عمل المنجنيق فوضعوه فيه مقيدا مغلولا فرموا به فيها فقال خازن المياه ان اردت اطفأت النار وخازن الرياح ان شئت طيرت النار في الهواء وقال جبرئيل هل لك حاجة فقال ابرهيم اما اليك فلا قال جبرئيل فسل ربك قال حسبي من سؤالي علمه بحالي وعن ابن عباس انما نجا بقوله حسبي الله ونعم الوكيل وعن ابي بن كعب قال ابرهيم حين اوثقوه ليلقوه فيها لا اله الا انت سبحانك رب العالمين لك الحمد ولك الملك لا شريك لك واطلع عليه نمرود من الصرح فرآه جالسا في روضة ومعه جليس له من الملائكة فقال اني ... بعث الله ملكا ملك الظل في صورة ابراهيم فجلس فيها الى جنب ابراهيم يونسه قالوا بعث الله تعالى جبريل بقميص من حرير الجنة وطنفسة فالبسه القميص واجلسه على الطنفسة وقعد معه يحدثه ويقول يا ابراهيم ان ربك يقول لك اما علمت ان النار لا تضر احبائي فناداه نمرود يا ابراهيم كبير الهك الذي بلغت قدرته ان حال بينك وبين ما ارى يا ابراهيم هل تستطيع ان تخرج منها قال نعم قال تخشى ان اقمت فيها ان تضرك قال لا قال فقم فاخرج منها فقام ابراهيم يمشي فيها حتى خرج منها فلما خرج اليه قال من الرجل الذي رايته معك في صورتك قاعدا الى جنبك قال ذلك ملك الظل ارسله الي ربي ليونسني فيها فقال اني مقرب الى الهك وذابح له اربعة الاف بقرة قال اذا لا يقبل الله منك ما كنت على دينك حتى تفارقه الى ديني قال نمرود لا استطيع ترك ملكي ولكن سوف اذبحها له فذبح اربعة الاف بقرة وكف عن ابراهيم وكان اذ ذاك ابن ست عشرة سنة وقيل انقلاب النار هواء طيبة ليس

تحيها

ببدع فيران هكذا على خلاف المعتاد فهو اذن من معجزاته وقيل كانت النار بحالها لكنه تعالى نزع عنها طبعها الذي خلقها عليه من الحر والاحراق وابقاها على الاضاءة والاشراق والاشتعال كما كانت والله على كل شيء قدير ودفع عن ابراهيم اذى حرها كما يفعل بخزنة جهنم وبالسمندل ويدل عليه قوله تعالى على ابراهيم ففي بعض الاثارات انه لم يبق يومئذ نار في الارض الا طفئت فلم ينتفع في ذلك اليوم بنار في العالم ولو لم يقل على ابراهيم لبقيت ذات برد ابدا وارادوا به كيدا مكرا في اضراره فجعلناهم الاخسرين اشد الناس خسرانا حيث جعل آلهتهم جذاذا واياهم مغلوبين مقهورين في نصرتها فخسروا ذلك مع خسران النجاة والثواب الله تعالى فلا يرى احد ابين خسرانا منهم وقيل اضرهم كل خاسر عاد سعيهم برهانا قاطعا على انهم على الباطل وابراهيم على الحق وموجبا للمزيد درجة واستحقاقهم اشد العذاب وقيل معناه انهم خسروا السعي والنفقة ولم يحصل لهم مرادهم وقيل معناه ان الله ارسل على نمرود وقومه البعوض فاكلت لحومهم وشربت دماءهم ودخلت واحدة في دماغه فاهلكته ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين اي ونجيناهما من ارض العراق الى ارض الشام التي بارك الله فيها ببعث اكثر الانبياء فيها ونشر شرائعهم التي هي البركات الحقيقية الموصلة للعالمين الى الكمالات والسعادات الدينية والدنيوية وبكثرة الماء والشجر والثمر والخصب والطيب عيش الفقير والغني وقال ابي بن كعب سماها مباركة لانه ما من ماء عذب الا وينبع اصله من تحت الصخرة التي ببيت المقدس وعن قتادة قال عمر لكعب الا تتحول الى المدينة فان فيها مهاجر رسول الله صلعم وقبره قال يا امير المؤمنين اني وجدت في كتاب الله المنزل ان الشام كنز الله من ارضه وبها كنز من عباده وعن شهر بن حوشب قال عبد الله بن عمرو سمعت رسول الله صلعم يقول انها ستكون هجرة بعد هجرة فخيار الناس الى مهاجر ابراهيم عليه السلام وروي انه نزل بفلسطين ولوطا بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة او اقرب وقوله للعالمين اي لجم الغفير من الناس ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة عطية فهي حال من اسحق ويعقوب او ولد ولد او زيادة على ما سأله وهو اسحق فهي حال من يعقوب خاصة وقال ابن عباس وابي وابو زيد وقتادة النافلة الزيادة هو يعقوب لان الله تعالى اعطاه اسحق بدعائه رب هب لي من الصالحين واعطاه يعقوب نافلة وقال الحسن والضحاك فضلا وكلا اي وكل واحد من هؤلاء الاربعة جعلنا صالحين اي دعوناهم الى موجبات الصلاح وحملناهم عليها فصاروا كاملين فيه من قولهم جعلته كريما اذا دعاه وجعلناهم ائمة يهدون اي ودعوناهم ائمة يدعون الناس الى موجبات الهداية من الايمان والطاعة حتى صاروا متكملين وبه فسر الجعل في قوله تعالى وجعلناهم ائمة يدعون النار وقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا ويجوز ان يكون على حقيقته واوحينا اليهم فعل الخيرات ليحثوهم عليها فيتم كمالهم بانضمام العمل واصله ان تفعل الخيرات وكذلك قوله واقام الصلوة وايتاء الزكوة وهو من عطف الخاص على العام دلالة من تبعهما لانهما اصل الخيرات المتعلقة بالاعمال وكانوا لنا عابدين موحدين مخلصين في العبادة ولذلك قدم الصلة ولوطا آتيناه حكما حكمة وهو ما يجب فعله او فصلا بين الخصوم او نبوة لان النبي ذو حكمة وذو حكم بين عباد الله وعلما بما ينبغي للانبياء ونجيناه من القرية هي سدوم التي كانت تعمل الخبائث يعني اتيان الذكران والتضارط في انديتهم وغير ذلك من اعمالهم الخبيثة وصفها بصفة اهلها واسندها اليها على حذف المضاف واقامتها مقامه ويدل عليه انهم كانوا قوم سوء فاسقين فانه كالتعليل له اي منهمكين في الكفر والمعاصي متوغلين في ذلك وادخلناه في رحمتنا في اهل رحمتنا او في جنتنا التي هي محل الرحمة ومنه الحديث هذه رحمتي ارحم بها من اشاء انه من الصالحين الذين سبقت لهم منا الحسنى ونوحا اذ نادى اذ دعا الله على قومه بالهلاك من قبل من قبل هؤلاء الانبياء فاستجبنا له دعاءه والاستجابة الاجابة لكن الاستجابة تتعدى الى الدعاء بنفسه والى الداعي باللام ويحذف الدعاء اذا عدي الى الداعي في الغالب فيقال استجاب الله دعاءه او استجاب له ولا يكاد يقال استجاب له دعاءه وفيه دليل على ان النداء المذكور يعني الدعاء لان الاستجابة تقتضي دعاء فنجيناه واهله من الكرب العظيم من الطوفان او من الغرق قال ابن عباس او من اذى قومه والكرب الغم الشديد وقيل اشد الغم ونصرناه مطاوع انتصر اي جعلناه منتصرا ومنه دعاء الهذلي على السارق اللهم انصرهم منه اي اجعلهم منتصرين منه من القوم الذين كذبوا بآياتنا فاعلم ان تكذيبهم لها في آخر اعمارهم المتطاولة لتكذيبهم في اوائلها وقيل معناه منعناه منهم ان يصلوا اليه بسوء وقيل من بمعنى على انهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم اجمعين لاجتماع الامرين تكذيب الحق والانهماك في الشر ولم يجتمعا في قوم الا واهلكهم الله وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث في الزرع وقيل في كرم قد تدلت عناقيده وهو قول الاكثرين وانتصابهما بمضمر اي واذكر وابدل منهما اذ نفشت فيه غنم القوم اي رعته ليلا فافسدته والنفش الرعي في الليل بلا راع من نفشت الابل والغنم نفوشا ونفشا اذا رعت ليلا

الى النار

بلا راع وكنا لحكمهم اي لحكم الحاكمين والمتحاكمين شاهدين عالمين وما قال الفراء من ان الضمير لداود وسليمان وجمع لان الاثنين جمع وهو مثل قوله فان كان له اخوة فلامه السدس يعني اخوين فهو ميل الى المذهب المرجوح ولا يرضى به المحققون من اهل الاصول والعربية وقرأ ابن عباس وسعيد بن جبير وابن ابي عبلة وكنا لحكمهما يعنون داود وسليمان عليهما السلام ففهمناها سليمان الضمير للحكومة او الفتوى وقرئ فافهمناها روي ان غنم قوم وقعت ليلا في زرع جماعة فافسدته فتخاصموا عند داود فحكم داود بالغنم لصاحب الحرث فقال سليمان وهو ابن احدى عشرة سنة غير هذا ارفق بالفريقين فعزم عليه ليحكمن فقال اري ان تدفع الغنم الى اهل الحرث ينتفعون بالبانها واولادها واصوافها والحرث الى ارباب الشاة يقومون عليه حتى يعود كهيئته يوم افسد ثم يترادان فقال القضاء ما قضيت وامضى الحكم بذلك واختلف في ان الحكمين كان بوحي او باجتهاد فقيل حكما جميعا بالوحي الا ان حكومة داود نسخت بحكومة سليمان وقيل حكما جميعا بالاجتهاد فجاء اجتهاد سليمان اشبه بالصواب اما وجه حكومة داود فان الضرر وقع بالغنم فسلمت الى المجني عليه كما في العبد الجاني يدفعه المولى بذلك او يفديه وعند الشافعي يبيعه في ذلك او يفديه واما وجه حكومة سليمان فانه جعل الانتفاع بالغنم بازاء ما فات من الانتفاع من الحرث من غير ان يزول ملك المالك عن الغنم واوجب على صاحب الغنم ان يعمل في الحرث حتى يزول الضرر والنقصان مثاله قول الشافعي في العبد المغصوب اذا ابق يضمن غاصبه القيمة فينتفع بها المغصوب منه بازاء ما فوته الغاصب من منافع العبد فاذا ظهر ترادا وحكمه في شرعنا عند ابي حنيفة واصحابه لا ضمان على صاحب البهيمة الا ان يكون معها حافظ لقوله عليه السلام جرح العجماء جبار وعند الشافعي يوجب الضمان بالليل اذ المعتاد ضبط الدواب ليلا ولذلك قضى النبي صلعم لما دخلت ناقة البراء حائطا وافسدته فقال على اهل الاموال حفظها بالنهار وعلى اهل الماشية حفظها بالليل واعلم ان هذه الآية دليل مبني على ان المجتهد يخطئ ويصيب وان الحق واحد في المسائل الاجتهادية اذ لو كان كل من الاجتهادين صوابا وحقا لكان كل منهما قد اصاب الحكم وفهمه ولم يكن لتخصيص سليمان خلافه بالذكر جهة فانه في المقام يدل على نفي الحكم عما عداه وعلى ان للانبياء اجتهادا كما للعلماء على انه لو كان كل مجتهد مصيبا لزم اتصاف الفعل الواحد بالنقيضين من الصحة والفساد والوجوب وغيره والحظر والاباحة وهو ممتنع وكلا آتيناه حكما وعلما دليل على ان خطاء المجتهد لا يقدح فيه وقيل على ان كل مجتهد مصيب وهو مخالف مفهوم قوله ففهمناها ولولا النقل لاحتمل توافقهما على ان قوله ففهمناها لاظهار ما تفضل عليه في صغره وقيل فهم منه اصابتهما في فصل الخصومات والعلم بامور الدين ويقصده قول سليمان غير هذا ارفق بالفريقين كانه قال هذا حق لكن غيره احق ولنا ايضا الاحاديث والآثار في ترديد الاجتهاد بين الصواب والخطاء متواترة المعنى وان لم يبلغ احادها حد التواتر وسخرنا مع داود الجبال التسخير تذليل الشيء وجعله طايعا منقادا وسفن سواخر اذا طاعت وطابت لها الريح يسبحن يقدسن الله مع داود بلسان الحال او بصوت يتمثل له او يخلق الله التسبيح فيها قال وهب كانت الجبال تجاوبه بالتسبيح وكذلك الطير وقيل يسرن معه حيث سار من السباحة وقال قتادة يصلين معه اذا صلى ولقائل ان يقول اسند التسبيح اليها اسنادا مجازيا لانها هي التي تسبب للتسبيح من راها ومباشرة اياه والفعل كما يسند الى المباشر يسند الى الحامل عليه وهو حال بمعنى مسبحات وانما اختار الفعل على الاسم ليدل على حدوث التسبيح شيئا فشيئا او استيناف كان قائلا قال كيف سخرهن فقال يسبحن ومع متعلق بسخرنا او بيسبحن والطير عطف على الجبال روي ان داود كان اذا مر يسمعه الله تعالى تسبيح الجبال والطير لينشط في التسبيح ويشتاق اليه او مفعول معه وانما قدمت الجبال على الطير لان تسخيرها وتسبيحها اعجب وادل على القدرة وادخل في الاعجاز لانها جماد والطير حيوان ناطق وقرئ والطير بالرفع على الابتداء او العطف على الضمير على ضعف والخبر محذوف يدل عليه المذكور وكنا فاعلين اي قادرين على ان نفعل هذا وان كان عجبا عندكم وقيل وكنا نفعل ذلك بالانبياء وعلمناه صنعة لبوس عمل الدرع واللبوس في الاصل اللباس قال البس لكل حالة لبوسها قال قتادة اول من صنع الدرع وحلقها داود وكانت صفائح فجمعت الخفة والتحصين وقرئ اليماني صنعة لباس وفيه دلالة على ان جميع الصنائع بخلق الله وتعليمه كما قال النبي صلعم ان الله تعالى يخلق كل صانع وصنعته لكم متعلق بعلم او صفة لبوس لتحصنكم من باسكم بدل منه بدل الاشتمال باعادة الجار ويجوز ان يكون بمنزلة اللام في قولك وهبت له ثوبا لقميصه وقرأ ابو بكر ورويس لنحصنكم بالنون على وفق قوله وعلمناه وحفص وابن عامر بالتاء للتانيث والضمير للصنعة او للبوس على تاويل الدرع والباقون بالياء لداود او للبوس او لله وهو ابلغ لما فيه من الالتفات من التكلم الى الغيبة

وقيل للتعليل

وقيل للتعليل لولا ان علمناه عليه وقرأ ابو عمرو برواية يحيى واحد لنحصنكم بضم الياء وتشديد الصاد وعاصم برواية ابان لنحصنكم بفتح الياء وضم الصاد والباس العذاب والشدة في الحرب وقيل من باسكم اي حرب عدوكم وقال السدي من وقع السلاح فيكم فهل انتم شاكرون ذلك امر اخرجه في صورة الاستفهام للمبالغة والتقريع بل هو من ابلغ ما يؤمر به كما لا يخفى على من له معرفة بخواص التراكيب كانه قيل قد ثبت عليكم النعم الموجبة للشكر فهل انتم شاكرون نعمه في تعليم ما يحرزكم ويسهل عليكم التحرج من السؤال بعد الخطاب اما لداود واهل بيته او لاهل مكة او لهم ولغيرهم ممن هو منعم بتلك النعم ولسليمان الريح اي سخرنا لسليمان قيل ولعل اللام فيه دون الاول لان الخارق فيه عائد الى سليمان نافع له وفي الاول امر يظهر في الجبال والطير مع داود وبالاضافة اليه الريح عاصفة شديدة الهبوب بحيث تبعد بكرسيه في مدة يسيرة على ما قال غدوها شهر وكانت رخاء في نفسها طيبة كالنسيم فكان جمعها بين الرخاوة في نفسها وعصفها في عملها وحالا عنها لسليمان وهبوبها حسب ما يريد يحكم بحجة مع معجزة ويجوز ان يكون الرياح مسخرة له وبعضها رخاء وبعضها عاصفة وقرأ الحسن وابي جعفر ولسليمان الرياح بالجمع وقرأ الاعرج الريح بالرفع على الابتداء والخبر ولسليمان وقيل كانت في وقت رخاء وفي وقت عاصفة حسب الارادة تجري بامره بمشيئته حال ثانية او بدل من الاولى او حال من ضميرها الى الارض التي باركنا فيها الى الشام رواحا بعد ما سارت به بكرة وقيل انها كانت تجري لسليمان واصحابه الى حيث شاء سليمان ثم يعود الى منزله بالشام يروى ان سليمان سار من العراق غاديا فقال بمرو وصلى العصر ببلخ ثم سار من بلخ متخللا بلاد الترك وارض الصين ثم عطف يمنة على مطلع الشمس على ساحل البحر حتى اتى قندهار وخرج منها الى مكران وكرمان حتى اتى فارس فنزلها اياما وغدا منها فقال بكسكر ثم راح الى الشام وكان مستقره بمدينة تدمر وكنا بكل شيء عالمين فنجريه على ما يقتضيه علمنا وحكمتنا وفيه دليل على انه تعالى عالم بالجزئيات كلها ومن الشياطين من يغوصون له في البحار ويخرجون الجواهر والدرر ومن عطف على الريح او مبتدأ خبره ما قبله وهي نكرة موصوفة ويعملون عملا دون ذلك ويتجاوزون ذلك الى اعمال اخر كبناء المدائن والقصور واختراع الصنائع العجيبة كما قال يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وكنا لهم حافظين ان يزيغوا عن امره ويفسدوا على ما هو جبلتهم وفي القصة ان سليمان عليه السلام كان اذا بعث شيطانا مع انسان ليعمل له عملا قال له اذا فرغ من عمله قبل الليل اشغله بعمل آخر لئلا يفسد ما عمل وكان من عادة الشياطين انهم اذا فرغوا من العمل ولم يشغلوا بعمل آخر خربوا ما عملوا او افسدوه وايوب اذ نادى ربه دعاه اني مسني الضر باني مسني وقرئ اني بالكسر على اضمار القول او لتضمين النداء معناه وقرأ ابن محيصن مسني الضر بحذف الياء في الوصل والضر بفتح الضاد الضر في كل شيء وبضمها الضر في النفس خاصة كمرض وهزال وانت ارحم الراحمين وصف ربه بغاية الرحمة بعد ما ذكر نفسه بما يوجبها ولم يصرح بالمطلوب الطافا في السؤال ويحكى ان عجوزا تعرضت لسليمان بن عبد الملك فقالت يا امير المؤمنين مشت جرذان بيتي على العصي فقال لها الطفت في السؤال لاجرم لاردنها تثب وثب الفهود وملا بيتها حبا قال وهب كان ايوب روميا ابن اموص بن رازح بن روم بن عيص بن اسحق بن ابراهيم وقد استنباه الله وكثر اهله وماله كان له سبعة بنين وسبع بنات وقال وهب ثلاثة بنين وسبع بنات وله اصناف البهائم وخمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امرأة وولد ونخيل فابتلاه الله بهلاك اولاده بهدم البيت عليهم وبذهاب امواله والمرض في بدنه ثماني عشرة سنة وعن انس ثلاث عشرة قال قتادة او سبع سنين او سبعة اشهر وسبع ساعات وقال وهب ثلاث سنين وقال كعب سبع سنين وروي ان امرأته ماخير بنت ميشا بن يوسف او رحمة بنت افرائيم بن يوسف قالت له يوما لو دعوت الله فقال لها كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال انا استحيي من الله ان ادعوه وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي فاستجبنا له دعاءه فكشفنا ما به من ضر بالشفاء من مرضه وقال ابن عيينة تأوه ايوب من بلاء قال يا رب لم ابتليتني وما خيرت بين امرين قط الا اخترت احدهما لك فيه رضى والآخر صلاح حتى الا اخترت رضاك على صلاحي فاوحى الله اليه امنك كان ذاك او مني قال لا بل منك يا سيدي ووضع التراب على راسه واتيناه اهله ومثلهم معهم بان ولد له ضعف ما كان وبعضه ما روى الضحاك عن ابن عباس ان الله تعالى رد الى امرأته شبابها فولدت له ستة وعشرين ذكرا او بان احيى اولاده باعيانهم واعطاه مثلهم معهم وهو قول اكثر المفسرين رحمة من عندنا نعمة انعمنا بها على ايوب وذكرى للعابدين عظة وعبرة لغيره من العابدين وانتصابهما على المفعول له او المعنى ان الايتاء كان للرحمة له وللتذكير للعابدين لانهم اذا سمعوا بما انعمنا به عليه بصبره صبروا على

البلايا فيثابوا كما اثيب في الدنيا والآخرة وقيل رحمة تامة على ايوب وتذكرة لغيره من العابدين او لرحمتنا العابدين فانا نذكرهم بالاحسان ولا ننساهم
وروي عن ابن عباس يرفعه انه كان له اندران اندر للقمح واندر للشعير فبعث الله سحابتين فافرغت احدهما على اندر القمح الذهب وافرغت الاخرى
على اندر الشعير الورق حتى فاض وروي ان الله تعالى بعث اليه ملكا وقال ان ربك يقريك السلام بصبرك فاخرج الى اندرك فخرج اليه فارسل الله عليه
جرادا من ذهب فطارت واحدة فاتبعها وردها الى اندره فقال له الملك اما يكفيك ما في اندرك فقال هذه بركة من بركات ربي ولا اشبع من بركاته
وعن ابي هريرة قال رسول الله صلعم بينما ايوب يغتسل عريانا خر عليه جراد من ذهب فجعل ايوب يحثي في ثوبه فناداه ربه يا ايوب الم اكن اغنيتك
عما ترى قال بلى يا رب لا غناء بي عن بركتك وقيل معنى الآية وآتيناه اهله في الآخرة ومثلهم معهم في الدنيا واراد بالاهل اولاده رحمة واسمعيل
وادريس هو اخنوخ وذا الكفل هو ابن عم اليسع البشر بن ايوب او الياس او يوشع بن نون او ذكريا على اختلاف الاقوال سمي بذلك لانه
ذو الحظ من الله او تكفل منه او كان له ضعف عمل الانبياء في زمانه وضعف ثوابهم والكفل بمعنى النصيب والكفالة والضعف وعن عطاء ان نبيا
من انبياء اسرائيل اوحى الله اليه اني اريد قبض روحك فاعرض ملكك على بني اسرائيل فمن تكفل لك انه يصلي بالليل لا يفتر ويصوم بالنهار
ولا يفطر ويقضي بين الناس ولا يغضب فادفع ملكك اليه ففعل ذلك فقال شاب انا اتكفل لك بهذا فتكفل ووفى به وشكر الله له ونبأه
فسمي ذا الكفل وقيل ان ذا الكفل كفل اي تكفلهم ان يصلي كل ليلة مائة ركعة الى ان يقبضه الله فوفى به والتنوين في كل عوض من المضاف اليه
اي كلهم من الصابرين الكاملين في الصبر على تجرع الغصص واحتمال البلايا في طاعة الله تعالى وازدياد الخير وادخلناهم في رحمتنا يعني
النبوة او نعمة الآخرة انهم من الصالحين الكاملين في الصلاح الكملين وهم الانبياء الذين عصم صلاحهم من كدر الفساد وصلح بهم غيرهم
وشايعوهم على فعل الخيرات وذا النون اي وصاحب الحوت وهو يونس بن متى وقيل خمسة من الانبياء ذووا اسمين اسرائيل ويعقوب والياس
وذو الكفل عيسى المسيح يونس وذو النون محمد احمد اذ ذهب بدل منه بدل اشتمال مغاضبا لقومه لما برم بهم لطول ما ذكرهم فلم يتذكروا واشتد
شكيمتهم في الكفر والجحود والتكذيب وتصميمهم عليه مهاجرا عنهم قبل ان يؤمر فابتلي ببطن الحوت عن انس عن النبي صلعم قال يونس يا رب كيف تعنتني
الحلوم جحدوا كتابك وكذبوا رسلك قال يا يونس كانك تحسد هل توبتي عليهم اما علمت اني اهدي القلوب واتوب عليها وافتق القلوب و
اختم عليها وقيل مغاضبا لربه اذ كشف عنهم العذاب بعد ما وعدهم به وكره ان يكون بين قوم قد جربوا عليه الخلف فيما وعدهم واستحيا منهم ولم يعلم
السبب الذي به رفع العذاب عنهم وكان غضبه انفة من ظهور خلف وعده وان يسمى كذابا لا كراهة لحكم الله تعالى وقال الحسن انما غاضب ربه
من اجل انه امره بالمسير الى قومه لينذرهم بأسه ويدعوهم اليه فسأل ان ينظر وكان في خلقه ضيق فذهب مغاضبا وقيل مغاضبا لشعيا لقوم
وذلك ان يونس وقومه كانوا يسكنون فلسطين فغزاهم ملك وسبى منهم تسعة اسباط ونصفا وبقي سبطان ونصف فاوحى الله الى
شعيا النبي ان سر الى حزقيا الملك فقل له حتى يوجه نبيا قويا فاني القي في قلوب اولئك حتى يرسلوا بني اسرائيل فقال له الملك فمن ترى وكان في
مملكته خمسة من الانبياء فقال يونس انه قوي امين فدعاه الملك وامره ان يخرج فقال يونس هل امرك الله باخراجي قال لا قال فهل سماني
لك قال لا قال فهنا غيري انبياء اقوياء فالحوا عليه فخرج من بينهم مغاضبا للنبي والملك وقومه فركب بحر الروم وقال ابن عباس قال له
جبريل انطلق الى اهل نينوى فانذرهم قال التمس دابة قال الامر اعجل من ذلك فغضب فانطلق الى السفينة وقرأ ابو شرف مغضبا
فظن ان لن نقدر عليه اي لن نضيق عليه او لن نقضي عليه عقوبة من القدر وهو التقدير ويؤيده قراءة عمر بن عبد العزيز والزهري لن نقدر
بالتشديد او لن نعمل فيه قدرتنا او هو تمثيل لحاله بحال من ظن ان لن نقدر عليه في مراغمته قومه من غير انتظار لامر الله او خطرة شيطانية
سبقت الى وهمه ثم ردعها وردها بالبرهان كما يفعل المتقي بنزغات الشيطان وما يوسوس اليه في كل وقت فسمي ظنا للمبالغة وقرئ يقدر
بالياء وقرأ يعقوب على البناء للمفعول وقرئ به مثقلا اي فظن ان لن نعاقب ولن نقضي عليه عقوبة رفقة كذا فسره الحلبي فنادى
في الظلمات اي في الظلمة الشديدة المتكاثفة في بطن الحوت كقوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات وقوله يخرجونهم من النور الى الظلمات
اي في ظلمة مبهمة لا ابتداء فيها تبين او الى ظلمات الفلك على ان اللام عوض عن المضاف اليه او في ظلمات بطن الحوت والبحر والليل وقيل
ابتلع حوته حوت اكبر منه فحصل في ظلمتي بطن الحوتين وظلمة البحر والليل والله اعلم ان تلك الظلمات كانت من جهات الست كما قال

بيناصلعم

بينا صلعم ورأيت رجالا من امتي من بين يديه ظلمة ومن خلفه ظلمة وعن يمينه وعن يساره ظلمة ومن فوقه ظلمة ومن تحته ظلمة فهو متحير في الظلمات
الحديث كما في سورة البقرة واختلف في مكثه في بطنه فقال عطاء مكث سبعة ايام وقيل اربعين وقيل ثلاثة ايام وقيل سبع ساعات وقيل ذهب به الحوت مسيرة ستة آلاف
سنة وقيل بلغ تخوم الارض السابعة ان لا اله الا انت اي بانه لا اله الا انت او ان مفسرة بمعنى اي سبحانك ان يعجزك شيء اني كنت من الظالمين لنفسي
بالمغاضبة وترك المصابرة وعدم انتظار الاذن منك في المهاجرة او بذلك الظن الذي صدر منها والبحوح وعن النبي صلعم ما من مكروب يدعو بهذا
الدعاء الا استجيب له وعن الحسن ما نجاه والله الا اقراره على نفسه بالظلم وفي صحيح المستدرك قال النبي صلعم اسم الله الاعظم الذي اذا دعي به اجاب
واذا سئل به اعطى لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين ونجيناه من الغم بان قذفه الحوت الى الساحل بعد مدة كان في بطنه والغم
غم الانتقام او غم الخطيئة او غم لبثه في بطن الحوت وانه لا يكون ان يلبث فيه الى يوم يبعثون وقيل من الغم من تلك الظلمات وعن ابي هريرة
يرفعه اوحى الله الى الحوت ان خذه ولا تخدش له لحما ولا تكسر له عظما فاخذه ثم هوى به الى مسكنه في البحر فلما انتهى به الى اسفل البحر سمع يونس حسا
فقال في نفسه ما هذا فاوحى الله اليه ان هذا تسبيح دواب البحر فسبح هو في بطنه فسمع الملائكة تسبيحه فقالوا يا ربنا نسمع صوتا ضعيفا بارض
غريبة وفي رواية صوتا معروفا من مكان مجهول فقال ذاك عبدي يونس عصاني فحبسته في بطن الحوت فقالوا العبد الصالح الذي كان يصعد
اليك منه في كل يوم وليلة عمل صالح قال نعم فشفعوا عند ذلك فامر الحوت فقذفه في الساحل وكذلك ننجي المؤمنين من
كل غم اذا دعونا واستغاثوا بنا وقرأ ابن عامر وابو بكر بحذف النون الثانية وتشديد الجيم وسكون الياء على ان اصله ننجي فحذفت النون الثانية
كما حذفت الثانية في تظاهرون وضعف بوجهين احدهما ان الثانية اصل فحذفها بعيد جدا والثاني ان حركتها تخالف حركة النون الاولى
بخلاف تظاهرون وقيل اصله ننجي بسكون النون الثانية فادغمت في الجيم ورد بان النون لا تدغم في الجيم في كلام العرب لبعد مخرجهما وقيل هو ماضي
مجهول اسند الى ضمير مصدره وسكن آخره تخفيفا ورد بان الفعل لا يسند الى المصدر والمفعول مذكور والماضي لا يسكن آخره واجيب بجواز
اقامة المصدر مطلقا مرجوحا عند الكوفية ومنه قراءة ابي جعفر من ائمة العشرة ليجزي قوما وقوله ولو ولدت قفيرة جرو كلب لسب بذلك الجرو و
الكلابا وبجواز تسكين الياء في الماضي الناقص كقراءة الحسن البصري وهو من افصح الفصحاء وذروا ما بقي من الربا باسكان الياء وقوله
هو الخليفة فارضوا ما رضي لكم ماضي العزيمة ما في حكمه حنف واجيب ايضا بجواز ادغام المثلين على لغة تخفيف المضاعف فقول الزمخشري لا يجوز
ادغام النون في الجيم لبعد مخرجهما مردود بالمثبت وقد ادغمت النون في الجيم فهلا بعد وقول ابي علي الفارسي اخفاءها الامام فحسبها الراوي
ادغاما فاسد لان الاخفاء لا تشديد معه وقرأ اهل مشدديها والباقون باثبات النون الثانية وتخفيف الجيم من الانجاء واختلف في رسالة
يونس متى كانت فعن ابن عباس انها كانت بعد ان اخرجه الله من بطن الحوت استدلالا بقوله فنبذناه بالعراء الى وارسلناه الى مائة الف
او يزيدون وقال الآخرون انها كانت من قبل ذلك بدليل قوله وان يونس لمن المرسلين اذ ابق الى الفلك المشحون وزكريا اذ نادى ربه
رب لا تذرني فردا اي رب هب لي ولدا يرثني ولا تدعني وحيدا بلا ولد يرثني وانت خير الوارثين اي وان لم ترزقني من يرثني فلا ابالي به فلا
فانك خير وارث ترث كل شيء في السموات والارض لا يبقى منه باق لا حي سواك من مال وغيره فهو ثناء على الله بانه الباقي بعد فناء الخلق وانه خير
من بقي حيا فاستجبنا له ووهبنا له يحيى واصلحنا له زوجه اي جعلناها صالحة للولادة بعد ما كانت عاقرا عقيما وجعلناها حسنة الخلق بعد ما
كانت سيئة الخلق انهم كانوا يعني المتوالدين والمذكورين من الانبياء يسارعون في الخيرات يبادرون ابواب الخير ويجدون في تحصيلها ويدعوننا
رغبا ورهبا ذوي رغب او راغبين في الثواب راجين الاجابة او في الطاعة او خائفين العقاب او المعصية وقرأ طلحة ويدعونا بالادغام و
قرأ ابو حيوة رغبا ورهبا بسكون الغين والهاء وكانوا لنا خاشعين متواضعين او ذللا لامر الله قال الحسن وقتادة او دائمين الخوف وهو
معنى قول مجاهد حيث قال الخشوع هو الخوف الدائم في القلب وعن الاعمش سالت ابراهيم فقال الا ندري قلت افدني قال بينه وبين الله
اذا ارخى ستره فاغلق بابه فليرى الله منه الخير لعلك ترى انه يأكل خشنا ويطأطئ رأسه المعنى انهم استحقوا الاجابة من الله الى طلبتهم
ونالوا منه بهذه الصفات الثلاث الحميدة المرضية عنده فليفعل من اراد الاجابة منه الى طلبته مثل ما فعلوا وليتخلق بتلك الاخلاق والتي احصنت
فرجها اي حفظته حفظا كليا من الحلال والحرام جميعا كما قالت ولم يمسسني بشر ولم اك بغيا فنفخنا فيها اي في عيسى فيها اي احييناه في جوفها

او فعلنا النفخ فيها من روحنا من الروح الذي هو بامرنا او من جهة روحنا وهو جبرائيل لانه نفخ في جيب درعها فوصل النفخ الى جوفها واضاف
الروح الى نفسه تفخيما له وتشريفا وقيل تشريفا لعيسى بن مريم وجعلناها وابنها اي حالهما او مجموعهما آية للعالمين اي علامة لهم وبرهانا على كمال قدرتنا
وباهر حكمتنا فان من نظر في ولادتها اياه من غير فحل نظرا صحيحا علم قطعا ويقينا عظم قدرة الصانع تعالى وتقدس وبالغ حكمه وقرا ابن ابي عبلة آيتين
للعالمين لانهما آيتان لكافة العالم ويجوز ان يراد بالعالمين بكسر اللام ان هذه امتكم اي ان ملة الاسلام والتوحيد هي ملتكم التي يجب ان تكونوا
عليها فكونوا عليها امة واحدة اي ملة واحدة غير مختلفة فيما بين الانبياء اذ لا مشاركة لغيرها في صحة الاتباع وقرا الحسن امتكم بالنصب على البدل
من هذه وامة بالرفع على الخبر وقرا برفعهما جميعا على انهما خبران لهذه او نوى للثاني مبتدا والخطاب للناس كافة وانا ربكم وانا الهكم لا اله لكم
غيري فاعبدون لا غيري ولا تشركوا علي بعبادتي احدا وتقطعوا امرهم بينهم قطعا موزعة بتقطيعهم فعلهم الى غيرهم والمعنى اختلفوا في الدين فصاروا فرقا
واحزابا شتى وقال الكلبي فرقوا دينهم بينهم يلعن بعضهم بعضا ويتبرا بعضهم من بعض كل من الفرق المختلفة الينا راجعون فنحاسبهم ونجا
زيهم وهو تهديد ووعيد لهم ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن بالله وسائر ما جاء من عند الله فلا كفران لسعيه فلا تضييع عمله بل يشكر ويثاب
عليه والكفران استعارة لمنع الثواب كما ان الشكر استعارة لاعطائه اذا قيل لله شاكر او شكور وقد نفي نفي الجنس للمبالغة وانا له كاتبون اي نحن
مثبتوا ذلك السعي في صحيفة عمله وما نحن مثبتوه فهو غير ضائع ومثاب عليه صاحبه وحرام على قرية وممتنع اهلها اهلكناها اي عزمنا على
اهلاكها او قدرنا اهلاكها وقرا السلمي وقتادة اهلكتها بالتاء انهم لا يرجعون من الكفر والمعاصي الى الايمان والتوبة ولا اصلح والمعنى ان قوما عزم الله على
اهلاكهم غير متصور ان يرجعوا وينيبوا الى ان تقوم الساعة ويروا العذاب الاليم او غير صلة كانه قيل وحرام على قرية اهلكناها ذلك العمل
الصالح والسعي المشكور ثم علل فقيل انهم اي لانهم لا يرجعون عن الكفر فكيف لا يمتنع ذلك وفي الوجه حرام خبر مبتدا محذوف وبالعكس وتفصيل قراءة
من قرا انهم بالكسر واما على الاول فحرام مبتدا خبره انهم لا يرجعون وجوز كونه فاعلا سد مسد الخبر وقال ابن عباس اي وحرام على اهل قرية حكمنا
باهلاكهم ان تتقبل اعمالهم انهم لا يرجعون اي لا يتوبون وقيل حرام عزم وموجب عليهم انهم لا يرجعون وروى سليمان بن خلاد عن اليزيدي لا ترجعون
اي لا يرجعون بالتاء والبناء للمفعول وقرا الكسائي وابو بكر حرم بكسر الحاء وسكون الراء والباقون بفتح الحاء والراء بالالف بينهما وهما لغتان بمعنى
واحد كحل وحلال وهما مثلا للممتنع وجوده وقرئ حرم بكسر الراء وضمها على انه فعل ماض بمعنى امتنع وقال ابن عباس حرم بمعنى عزم ثم قال
وجب عليهم انه لا يرجع منهم راجع ولا يتوب منهم تائب واما حرم فقال حرم علينا الشعر اي حرم وحرم بفتح الحاء وسكون الراء وحرم مجهول
من التحريم حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج متعلق بحرام او بمحذوف دل الكلام عليه او بلا يرجعون اي يستمر الامتناع او الهلاك او عدم الرجوع
الى وقت قيام الساعة وظهور اماراتها فهو فتح السد ياجوج وماجوج وهي حتى التي يحكى الكلام بعدها والكلام المحكي الجملة من الشرط والجزاء
وحذف الى ياجوج وماجوج وهو سدهما كما حذف المضاف في القرية وهو اهلها وانث الفعل في فتحت كما انث في اهلكناها وقرا ابن عامر ويعقوب
فتحت بتشديد التاء وقرئ اجوج وهما قبيلتان من جنس الانس يقال الناس عشرة اجزاء تسعة منها ياجوج وماجوج وهم ياجوج وماجوج
او الناس كلهم من كل حدب نشز من الارض وقرا ابن عباس جدث وهو القبر الثاني لمجازنة وابا دخية ينسلون يسرعون
من نسلان الذئب اذا اسرع في مشيه وقرئ بضم السين واقترب الوعد الحق يعني القيمة فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا جواب الشرط واذا للمفاجاة تسد
مسد الفاء الجزائية كقوله اذا هم يقنطون فاذا جاءت الفاء معها تعاونتا على وصل الجزاء بالشرط فيتاكد والضمير للقصة او مبهم تفسره الابصار كما
في الذين ظلموا واسروا وقال الكلبي شخصت ابصار الذين كفروا فلا تكاد تطرف من شدة ذلك اليوم وهوله تخمني بصره فهو شاخص اذا فتح عينيه
وجعل لا يطرف يا ويلنا متعلق بقول مقدر هو في موضع الحال من الذين كفروا اي يقولون يا ويلنا لا نفسنا بالاخلال بالنظر وعدم الاعتداد بالنذر فكا
نهم ينادونه ويلتهم وهلكتهم يقولون لها تعالى فهذا اوانك قد كنا في غفلة من هذا من هذا اليوم لم نعلم انه حق بل كنا ظالمين جاحدين به غير معترفين
او واضعين العبادة في غير موضعها انكم وما تعبدون من دون الله يحتمل الاوثان وابليس واعوانه لانهم بطاعتهم لهم واتباعهم خطواتهم
في حكم عبدتهم لما روي ان رسول الله صلعم قرا الآية على قريش فامتعضوا من ذلك امتعاضا شديدا فقال له عبد الله بن الزبعرى قد خصمتك ورب الكعبة
اليس اليهود عبدوا عزيرا والنصارى عبدوا المسيح والملائكة ومع هذا عموم الخطاب ويكون ما مؤولا بمن او بما يعم ويدل عليه ما روي ان ابن الزبعرى

قال بني

قال هي لا لهتنا خاصة او لكل من عبد من دون الله فقال عليه السلام بل لكل من عبد من دون الله ويكون قوله ان الذين بيانا للتجوز او للتخصيص
تاخر عن الخطاب واعلم ان ما تعبدون لم يتناول عزيرا او عيسى حقيقة لان ما لغير العقلاء فان قلت لو كان لغير العقلاء لما اورد ابن الزبعرى ذلك السؤال
المتقدم وهو من الفصحاء والعارفين باللغة ولما سكت النبي عم والجواب ان ابن زبعرى بحث وخاصم وخبث دخلته لما راى كلام الله محتملا ظاهر العموم
مع علم بان المراد اصنامهم لا غير وجد للحيلة مساغا فصرف معناه الى الشمول بكل معبود غير الله واورد السؤال مكابرة وتعنتا بطريق المجاز والتغليب
فان اكثر معبوداتهم الباطلة من غير ذوي العقول فغلب جانب الكثرة والتغليب ايضا نوع من المجاز وقد روي ان النبي عليه قال له ما اجهلك
بلغة قومك اما علمت ان ما لا يعقل فعلى هذا يكون ان الذين سبقت لدفع احتمال المجاز لا للتخصيص العام والجمهور على ان ما موضوع على العموم للعقلاء
وغيرهم ولهذا يقولون من لا يعقل وهذا مرجع ينبه به تجهيل النبي عليه السلام ابن الزبعرى بقوله ما اجهلك الخ فوجب ان يحكم الحديث ان
نقول ما اجهل الجمهور بلغة القوم انما علموا ان ما لا يعقل حصب جهنم الحصب المحصوب به اي يحصب بهم ويرمى في النار وقرا عبد الله بن
ستيرة حطاب جهنم كل ما تهيج به النار فقد حصبتها به وقال عكرمة هو الحطب بلغة الحبشة وبه فسره مجاهد وقتادة وهو في قراءة علي رضي الله
عنه وقرئ حصب بسكون الصاد وصفا بالمصدر وحضب بالضاد متحركا وساكنا انتم لها واردون اي فيها داخلون وهو استيناف او بدل من حصب
جهنم واللام لتقوية العمل لما في اسم الفاعل من الضعف في العمل لا سيما اذا تاخر عن معموله فانه يزداد ضعفا وذلك ان الفعل مع قوته في العمل اذا تاخر عن معموله
يكسب ضعفا كما في قوله لربهم يرهبون وللرؤيا تعبرون فكيف باسم الفاعل وقيل اللام معوضة من على الاختصاص والدلالة على ان ورودهم لاجلها
لو كان هؤلاء اشارة الى الاصنام آلهة على الحقيقة ما وردوها ما دخلوها لان الالهية تنافي الدخول في النار فكيف يكون الموضع المعذب بها الها
وكل اي وكل هؤلاء الآلهة او وكل من العابدين والمعبودين فيها خالدون لا خلاص لهم عنها وقرا طلحة لو كان هؤلاء آلهة بالرفع قال
الاعشى زعمت الكل لا تلحن فقال ماذا لحنت جعلت اسم كان آلهة وخبره هؤلاء لهم فيها زفير انين وتنفس شديد وهو من اضافة فعل البعض الى الكل
للتغليب ان اريد بما يعبدون الاصنام وهم فيها لا يسمعون من شدة شهيقها وفورها وغليانها بهم او من الهول وشدة العذاب وقيل لا يسمعون
ما يسرهم وعن ابن مسعود يجعلون في توابيت اخرى ثم تلك في اخرى عليها مسامير من النار فلا يسمعون شيئا ولا يرى احد منهم ان في النار احدا
يعذب غيره ويجوز ان يصمهم الله كما يعميهم ونحن نعوذ بوجه الله الكريم من ذلك كله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الخصلة المفضلة في الحسن وهي السعادة
او التوفيق للطاعة او البشرى بالجنة اولئك عنها اي عن جهنم مبعدون لانهم يرفعون الى اعلى عليين روي ان عليا رضي الله عنه خطب وقرا
هذه الآية ثم قال انا منهم وابو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وابن الجراح ثم اقيمت الصلوة فقام يجر رداءه ويقول
لا يسمعون حسيسها بدل من مبعدون او حال من ضميره سيق للمبالغة في ابعادهم عنها او من اولئك كقوله ناقة الله لكم آية او خبر بعد خبر والحسيس الصوت
الذي يحس به وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون دائمون لا يزولون عن تنعمهم والسرور والاشتهاء والشهوة طلب النفس اللذة وتقديم
الظرف للاختصاص والاهتمام لا يحزنهم الفزع الاكبر النفخة الآخرة قال ابن عباس واستدل بقوله ونفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض
وعن الحسن الانصراف الى النار وعن الضحاك حين يطبق على النار وعن ابن جريج حين يذبح الموت على صورة كبش املح وينادي يا اهل النار خلود فلا
موت وقرا ابو جعفر لا يحزنهم بضم الياء ومن اسماعيل بن جعفر عن نافع لا يحزنهم بفتح الياء وسائر القراء يحزنهم بضم الياء وعن ابي جعفر بالعكس
وقرا ابن عبلة يحزنهم بفتح الياء وسكون النون كانه على اخفاء لكثرة الحركات وتتلقيهم الملائكة اي تستقبلهم الملائكة مهنئين على ابواب الجنة ويقولون
هذا يومكم هذا وقت ثوابكم الذي كنتم توعدون في الدنيا يوم نطوي السماء مقدر باذكر او ظرف لا يحزنهم او الفزع او تتلقاهم او حال مقدرة من العائد
المحذوف من توعدون والطي ضد النشر او المحو من قولك اطو عني هذا الحديث وذلك لانها نشرت مظلة لبني آدم فاذا انتقلوا قوضت عنهم وعندي والله اعلم
بالمراد بقوله مطوية التبديل الذي قال الله تعالى في قوله يوم تبدل الارض غير الارض والسموات فالمراد بالسماء السموات وقرا شيبة واهل المدينة
يطوى بالياء والبناء للمفعول وقرا ابو جعفر تطوى بالتاء مجهولا ورفع السماء وقراءة العامة بالنون ونصب السماء كطي السجل للكتب طيا كطي
الطومار لاجل الكتابة او لما يكتب او كتب فيه ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي وحفص على الجمع للمكتوبات اي لما يكتب فيه من المعاني الكثيرة وقيل السجل ملك
المكتوب فيها والجمهور على ان السجل الصحيفة وقرئ السجل بوزن العتل والسجل بوزن الدلو وهما لغتان فيه والسجل عند الفقهاء كتاب الحكم وقد سجل عليه القاضي

كما بدانا اول خلق نعيده اول خلق مفعول بدانا اي كما بدانا هم في بطون امهاتهم عراة غرلا كذلك نعيدهم كقوله ولقد جئتمونا فرادى كما خلقنا
اول مرة روي عن ابن عباس عن النبي صلعم قال انكم محشورون حفاة عراة غرلا ثم قرا كما بدانا اول خلق نعيده الآية وعنه قال عليه السلام انكم ملاقوا
الله تعالى حفاة وعراة مشاة غرلا كما بدانا اول خلق نعيده وعدا علينا او مفعول فعل يفسره نعيده وما مصدرية اي نعيد اول الخلق اعادة مثل بداننا
اياه او كافية اي نعيد اول الخلق كما بداناه تشبيها للاعادة بالابداء في تناول القدرة القديمة لهما على السواء او موصولة والكاف منصوب بفعل مضمر
يفسره نعيده اي مفيد مثل الذي بدانا نعيده واول خلق ظرف لبدانا اي اول ما خلق او حال من ضمير الموصول المحذوف وعدا مصدر موكد لنعيده مقدرا
بفعله او منتصبا به لانه عدة للاعادة علينا اي علينا انجازه انا كنا فاعلين ذلك لا محالة ولقد كتبنا في الزبور اي في كتاب داود من بعد الذكر اي من بعد
التورية وقال سعيد بن جبير ومجاهد المراد بالزبور جميع الكتب المنزلة على الانبياء والذكر ام الكتاب يعني اللوح المحفوظ وقال ابن عباس والضحاك الزبور
التورية والذكر المنزلة من بعد التورية وقيل الزبور كتاب داود والذكر القرآن وبعد بمعنى قبل كقوله والارض بعد ذلك دحيها اي قبله وهو من ابعد الوجوه ان الارض
ارض الجنة لا ارض الكفار يغنمها المسلمون او الارض المقدسة يرثها عبادي الصالحون يعني عبادة المؤمنين او الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض
ومغاربها او امة محمد القلوة والسلام وقال ابو الدرداء نحن الصالحون ان في هذا اي فيما ذكر في هذه السورة من الاخبار والوعد والوعيد والمواعظ البالغة
لبلاغا لكفاية او لسبب بلوغ الى البغية وقيل لوصولا الى البغية لقوم عابدين همهم العبادة دون العادة او مؤمنين الذين يعبدون الله تعالى وحده
قال ابن عباس وعن كعب الاحبار هم امة محمد صلعم اهل الصلوة الخمس وشهر رمضان وعنه عليه السلام ان هذا البلاغ لقوم عابدين هي الصلوة الخمس في المسجد الحرام
جماعة اورده صاحب الفردوس وما ارسلناك الا رحمة للعالمين لان ما بعثت به سبب لاسعادهم وموجب لصلاح معاشهم ومعادهم وقيل
كونه رحمة للكفار من حيث ان عقوبتهم اخرت بسببه وامنوا به عذاب الاستيصال والخسف والمسخ وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم بعثت رحمة ولم ابعث
لعانا قاله حين سئل ان يدعو الله على المشركين وعنه عليه السلام بعثت رحمة وملحمة ولم ابعث تاجرا ولا زراعا الا وان شرار هذه الامة التجار والزراع
الا من شح على نفسه رواه ابن عباس ولكن يظهر ضعف ما قال زيد من انه رحمة للمؤمنين خاصة قل انما يوحى الي انما الهكم اله واحد اي يوحى
الي ان لا اله لكم الا اله واحد فالاولى بقصر الحكم على المسند اليه كقولك انما زيد قائم والثانية لقصر الصفة على الموصوف كقولك انما يقوم زيد ومعناه ان الوحي مقصور على التوحيد واستبشار الله بالوحدانية ويجوز ان يكون ما موصولة
صولة اي ان الذي يوحى الي وقال ابن ابي عبلة انما الهكم بكسر الهمزة على الحكاية فهل انتم مسلمون اي مخلصون بالكم التفكر في الدلايل الموجبة لمعرفة الله بالوحدانية
التي هي الاسلام المعتبر بالخضوع والانقياد للالوهية فان من اخل بالتوحيد فليس بمسلم على شرعها وان كان معترفا بوجود الصانع وصفاته كما اشار
اليه بقوله وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون او مسلمون مطيعون او مخلصون لعبادة الله على مقتضى الوحي المصدق بالحجة وقد عرفت ان التو
حيد مما يصح اثباته بالسمع وفي الغايات رد على ان العاقل اذا افتي ونفي بعد ما قرع عليه ما قبله ينبغي ان لا يتوقف في التوحيد فان تولوا
فان تولوا اعرضوا عن التوحيد فقل اذنتكم اعلمتكم ما امرت به من وجوب توحيد الله وتنزيهه عن الانداد والشركاء او حذرتكم على سواء
اي مستوين في الاعلام به لم اطوه عن احد منكم او مستوين انا وانتم في العلم اني اعلمتكم به او في المعاداة او اياكم وانا على سواء وقيل اعلمتكم اني على سواء اي
عدل واستقامة راي بالبرهان النير او مستوين في التوحيد والايمان به وان ادري اي وما اعلم اقريب ام بعيد ما توعدون من غلبة المسلمين
او القيمة لكنه كائن لا محالة ولا محالة ان العذاب والذلة والصغار ينكم ملحقكم انه يعلم الجهر من القول يعلم ما تجاهرون به من كلام الطعن
في الاسلام لا يخفى عليه ويعلم ما تكتمون في صدوركم من الاحن والاحقاد للمسلمين وهو مجازيكم عليه والعاذب عنه فهو انه يخشى ويخاف ويحذر
ولا يجترا على شيء من يخالف رضاه وتكرير العلم في معنى تكرير الوعيد وكل ما يجيء بعد هذا في معنى الوعيد على ملة الاعراض عن التوحيد والاسلام
وان ادري لعله فتنة لكم وما ادري لعل تاخير جزائكم استدراج لكم وزيادة في افتنانكم او امتحان لكم لننظر كيف تعملون ومتاع الى حين وتمتيع لكم
الى اجل مقدر تقتضيه مشيئته ليكون ذلك حجة عليكم وليقع الجزاء في وقت هو فيه حكمة قل رب احكم بالحق اقض بيننا وبين من يعرض عن التو
حيد والاسلام بالعدل الموجب للتشديد عليهم او استعجال العذاب وقيل الحق ههنا بمعنى العذاب كانه استعجال بالعذاب لقومهم فعذبوا
يوم بدر وقيل معناه احكم بحكمك الحق وقرا حفص قال على الحكاية قول رسول الله وقرا ابو جعفر رب بضم الباء وقرا ابن محيصن رب احكم بفتح الباء
وافعل التفضيل وقرئ ربي احكم من الاحكام وقال اسمعيل بن حكيم حدثني غير واحد عن الحسن رب احكم الامور بالحق اي احكم بالصدق او

[right margin, vertical:] وان تعرضوا ... فان الطعن ... [illegible]

بالعدل وقيل احكم بحقايق الامور وربنا الرحمن المبالغ في الرحمة والانعام على عباده المستعان المطلوب منه المعونة على ما تصفون من الحال بان
الشوكة والغلبة تكون لكم وان راية الاسلام تخفق ايا ما ثم تسكن وان الموعد به لو كان حقا لنزل بهم فاجاب الله دعوة رسوله فكذب ظنونهم
وخيب اما لهم ونصر رسوله والمؤمنين عليهم او يستعين على احتمال ما تصفون من الكذب والباطل والحال على خلاف ما جوزه عليهم وقرا
الاعمش وابن عامر يصفون بالياء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا اقترب للناس حسابهم حاسبه الله حسابا يسيرا وصافحه وسلم
عليه كل نبي ذكر اسمه في القرآن سورة الحج ثمان وسبعون آية وهي مكية الا ست آيات من هذان خصمان الى صراط الحميد بسم الله الرحمن

الرحيم يا ايها الناس يا بني آدم اتقوا ربكم في المحافظة على حدوده وما امركم به ونهاكم عنه او احذروا عقابه بطاعته ان زلزلة الساعة
الزلزلة شدة التحريك واضافتها الى الساعة اما من اضافة المصدر الى الفاعل كانها هي التي تزلزل الاشياء على المجاز العقلي فنسبة الزلزلة
الى الساعة كما نسبت الى المكان في قوله اذا زلزلت الارض زلزالها وهي لله تعالى حقيقة او من اضافة المصدر الى الظرف كقوله تعالى لقاء يومكم هذا ومكر الليل والنهار
اي زلزلة الله في الساعة ونداء الله في يومكم هذا ومكركم في الليل والنهار اجراء للظرف فيها مجرى المفعول به وقال الحسن والسدي هذه الزلزلة تكون يوم
القيمة وقال علقمة والشعبي تكون عند طلوع الشمس من مغربها واضافتها الى الساعة لانها من اشراطها وقال ابن عباس زلزلة الساعة قيامها فتكون معها
شيء عظيم هايل لا يكتنهه النعت ولا يحيط به الوصف ومن ثم ثقلت في السموات والارض علل امرهم بالتقوى بشدة الساعة ووصفها بافظع صفة وا
هولها لينظروا اليها ببصائرهم ويتصوروها بعقولهم ويعلموا انه لا ينجيهم منها الا التردي بلباس التقوى فيبقوا على انفسهم ويحموها من تلك الافزاع
والشدائد بملازمة التقوى التي امرهم بها ربهم ومحافظتها وقد انفقت كلمة علماء البيان قاطبة على ان ذلك استيناف وقع جوابا عن السؤال عن
السبب الخاص كانه قيل هل زلزلة الساعة شيء عظيم فقيل ان زلزلة الساعة شيء عظيم تحقيق انه لما ذكر الامر بالتقوى صار المقام مقام ان يتردد المخا
طبون في سببه لم يامر بذلك وان زلزلة الساعة هل صارت محكومة عليها بشيء عظيم او لا فيطلبوه فنزلوا منزلة الطالبين وقيل لهم ان زلزلة
الساعة شيء عظيم اي المحكوم عليها بشيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت يوم منصوب بتذهل والضمير للزلزلة وقرئ تذهل كل مرضعة
مبنيا للمفعول وتذهل كل مرضعة اي تذهلها الزلزلة والذهول الذهاب عن الامر مع دهشة وقيل النسيان وانما قال مرضعة وهي الملقمة
ثديها الصبي في حال الارضاع دون المرضع وهي التي شانها ان ترضع وان لم تباشر الارضاع في حال وصفها به ليدل على ان ذلك الهول بحيث اذا
فوجئت به التي القمت الرضيع ثديها نزعته عن فيه وذهلت عنه لما يلحقها من الدهشة وما موصولة اي عن الذي ارضعته وهو الطفل او مصدرية
اي عن ارضاعها ومن الحسن ذهل المرضعة عن ولدها لغير فطام وتضع الحامل ما في بطنها لغير تمام وتضع كل ذات حمل حملها جنينها وقرا الاعمش
ويضع كل بالياء وترى الناس سكارى اي على التشبيه وما هم بسكارى على الحقيقة وقال الحسن وترى الناس سكارى من الخوف وما هم بسكارى من
الشراب وقرا حمزة والكسائي سكرى وسكرى كعطشى جمع سكران وعطشان قيل وانما جمع على فعلى لان ذوي العاهات يجمعون بهذا الجمع الزمنة
مثل زمنى ومرضى وقال الفراء هو جمع سكر كزمن وزمنى وهدم وهدمى والباقون سكارى وبكارى وسكرى بفتحها وهو غريب وقرئ وترى الناس
بفتح التاء ونصب الشين ورفعه اي وتظن الناس النصب ظاهر والرفع على ان الناس مناب الفاعل وتانيثه على تاويل الجماعة وافراده بعد جمعه
لان الزلزلة يراها الجميع وان السكر انما يراه كل احد على غيره ولكن عذاب الله شديد فارهقهم خوفه وهوله بحيث اذهب عقولهم وطير
تمييزهم وروي عن عمران بن الحصين وابي سعيد ان هاتين الآيتين نزلتا في غزوة بني المصطلق ليلا فقراهما رسول الله صلعم على اصحابه فلم
ير اكثر باكيا من تلك الليلة فلما اصبحوا لم يحطوا السرج عن الدواب ولم يضربوا الخيام وقت النزول ولم يطبخوا قدرا وكانوا من بين حزين وباك
ومفكر فقال رسول الله صلعم اتدرون اي يوم ذلك فقالوا الله ورسوله اعلم قال ذلك يوم يقول الله تعالى لآدم قم فابعث بعث النار من
ولدك فيقول آدم ومن كل كم كم فيقول الله تعالى من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعين الى النار وواحد في الجنة فكبر ذلك على المسلمين فبكوا وقالوا
فمن ينجو يا رسول الله فقال عليه السلام ابشروا وسددوا وقاربوا فان معكم خليقتين ما كانتا في قوم الا كثرتاه يأجوج ومأجوج ثم قال اني
لارجوا ان تكونوا ثلث اهل الجنة فكبروا واحمدوا الله ثم قال ارجوا ان تكونوا نصف اهل الجنة فكبروا وحمدوا الله ثم قال اني لارجوا
ان تكونوا ثلثي اهل الجنة وان اهل الجنة مائة وعشرون صفا ثمانون منها امتي وما المسلمون في الكفار الا كالشامة في جنب البعير او كالرقمة في

[left margin, vertical:] جمع سكران كعطشى وعطاش وكسالى وكسلان ... سكرى ... [illegible]

في ذراع الراية كالشعرة السوداء في الثور الأبيض وكالشعرة البيضاء في الثور الأسود ثم قال ويدخل من أمتي سبعون ألفا الجنة بغير حساب فقال
عمر سبعون ألفا قال نعم ومع كل واحد سبعون ألفا فقام عكاشة بن محصن فقال يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال رسول الله صلعم
أنت منهم فقام رجل من الأنصار فقال ادع الله أن يجعلني منهم فقال سبقك بها عكاشة ومن الناس من يجادل في الله بغير علم قيل نزلت
في النضر بن الحرث وكان جدلا يقول الملائكة بنات الله والقرآن أساطير الأولين ولا بعث بعد الموت وهي عامة أحواله وقرأ ابن عمير يتبع بالتخفيف
كل شيطان مريد عات وقيل متجرد للفساد وأصله العري ولم أجده في كتب القوم كتب عليه قضي على الشيطان أنه من تولاه اتبعه والضمير للشأن
فإنه أي الشيطان يضله يضل من تولاه والجملة جواب لمن أو خبر له والكتبة عليه مثل أي كأنما كتب عليه إضلال من تولاه ورقم به لظهور ذلك في حاله
وقرئ بالفتح في الموضعين على أن الأول فاعل كتب والثاني مكرر وقيل عطف عليه وقرئ في الثاني بالكسر على حكاية المكتوب كما هو كقولك
كتب أنه الله غفور رحيم وعلى تقدير قيل أو تضمين كتب معناه وروي هو والمفتوح عن ابن عمر وكتب مبنيا للفاعل أنه بالفتح وفإنه بالكسر على
استئناف ويهديه إلى عذاب السعير أي ويدعوه إلى النار كما صرح به في مواضعه أو يحمله على ما يؤدي إلى عذاب السعير وإضافة العذاب إلى السعير
وهي النار للشدة الاشتعال بيانية كشجر الأراك وعن الحسن أنه اسم من أسماء جهنم وقيل دركة يعذب فيها النصارى ثم ألزم الحجة على المنكرين
للبعث فقال يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث من إمكانه وكونه مقدورا وقرأ الحسن من البعث بفتح العين كالجلب والطرد في الجلب و
الطرد وإنما أورد بلفظة إن مع كثرة المرتابين دون إذا مع أن الغالب فيها لغرض التوبيخ على الريبة لاشتمال المقام على ما يقلعها عن أصلها وتصوير
أن المقام لا يصلح إلا لمجرد الفرض للارتياب كي يفرض لفرض يتعلق بغرضه كالتبكيت والإلزام والمبالغة فإنا خلقناكم ليس جزاء للشرط لأن
خلقهم مقدم على كونهم مرتابين في البعث بل هو علة للجزاء المحذوف فانفتح العلة مقام المعلول تقديره واستدلوا على صحته بمبدأ خلقكم فإنا خلقناكم
أو فانظروا في بدء خلقكم فإنا خلقناكم أي أصلكم وهو آدم من تراب إذ خلق آدم منه والأغذية التي يتكون منها المني ويجوز أن يراد خلقنا أصلكم وإياكم
من تراب على تغليب المخاطب على الغائب وإنما خلقهم من تراب ليذلهم بذلك كما قال النبي عم إن الله جعل الأرض ذلولا تمشون في مناكبها وخلق بني
آدم من التراب ليذلهم بذلك فأبوا إلا نخوة واستكبارا ولن يدخل الجنة مثقال حبة من خردل من كبر رواه ابن عباس رضي الله عنهما ثم من نطفة
هي الماء الصافي قل أو كثر والمعنى أنه تعالى يخلق جوهر الإنسان من التراب ثم خلق جوهره بعد ذلك من النطفة من نطف الماء ونحوه نطفانا إذا سال و
قيل من النطف وهو الصب ثم من علقة قطعة من الدم الجامد الغليظ ثم من مضغة لحمة صغيرة قدر ما يمضغ مخلقة وغير مخلقة مسواة لا نقص
فيه ولا عيب وغير مسواة وقال ابن عباس وقتادة تامة الخلق وناقصة الخلق وقيل مصورة وغير مصورة وعن النبي صلعم إن خلق أحدكم يجمع في بطن
أمه أربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل الله إليه ملكا فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع
كلمات فيكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أم سعيد وعنه عليه السلام إذا مر بالنطفة اثنان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكا فصورها وخلق
سمعها وبصرها وجلدها وعظامها قال يا رب أذكر أم أنثى فيقضي ذلك ما شاء ويكتب الملك ثم يخرج الملك بالصحيفة في يده فلا يزيد على
أمره ولا ينقص لنبين لكم بهذا التدريج قدرتنا وحكمتنا وأن ما قبل التغير والفساد والتكون مرة قبلها أخرى وأن من قدر على تغييره وتصويره أولا
قدر على ذلك ثانيا وحذف المفعول إشعارا بأن أفعاله هذه يتبين بها من قدرته وعلمه ما لا يكتنهه الذكر ولا يحيط به الوصف وقرأ ابن أبي عبلة
ليبين لكم بالياء وكذا قوله ونقر في الأرحام ما نشاء أي ونثبت فيها ما نشاء ثبوته فلا نمحو ولا نسقطه إلى أجل مسمى هو وقت الوضع أدناه بعد
ستة أشهر أو تسعة وأقصاه آخر سنتين عند أبي حنيفة وأربع سنين عند الشافعي وخمس سنين عند مالك وقرئ ونقر بالنصب وكذا قوله ثم نخرجكم
طفلا عطفا على لنبين أي خلقناكم مدرجين هذا التدريج لغرضين أن نبين قدرتنا وأن نقر في الأرحام من نقر حتى يولد وينشأ ويبلغوا حد التكليف
فنكلفهم وقرئا بالياء رفعا ونصبا وعن يعقوب نقر بفتح النون وضم القاف من قر الماء إذا صبه فالقراءة بالرفع إخبار بذلك وبالنصب تعليل
وطفلا حال من كم أجريت على تأويل كل واحد منكم أو الدلالة على الجنس أو لأنه في الأصل مصدر ثم لتبلغوا أشدكم كمال قوتكم وعقلكم جمع شدة
كالأنعم جمع نعمة على تقدير حذف الهاء وقيل هو من الألفاظ المجموع التي لم يستعمل لها واحد كالأسرة والقنود وغير ذلك كأنها شدة في غير شيء
واحد فبنيت لذلك على لفظ الجمع وبلوغ الأشد بالإدراك وقيل إنه يكتهل ويستوفي السن التي يستكمل فيها قوته وعقله وتمييزه وذلك

إنافة على الثلاثين وناطح الأربعين وعن قتادة ثلث وثلاثون سنة ومنكم من يتوفى عند بلوغ الأشد أو قبله وقرئ يتوفى أي يتوفاه الله ومنكم من يرد إلى
أرذل العمر الهرم حتى يعود كهيئته الأولى في أوان الطفولية ضعيف البنية سخيف العقل قليل الفهم وقرئ بسكون الميم لكيلا يعلم من بعد علم شيئا ليجهل ما علم بأن ينساه ويزيله
عنه علمه حتى ينكره والمقصود أنه تعالى يريد أن يري الإنسان ما يخترع في بدنه ويقدر في نفسه أحواله المتباينة التي فيها إعادة المعدوم بعينه بأن خلقه
أولا ذا جهل ثم جعله ثانيا ذا علم ثم أعاده إلى الجهل وهو عرض من الأعراض دلهم بذلك على قدرته الباهرة وأن من قدر على إعادة جهله إليه
قدر على إعادة روحه إليه سواء سمي ذلك إعادة المعدوم بعينه أو لم يسم إذ لا فرق بين الإعادتين من حيث المعنى ولا بين الجهل والروح من حيث
الإمكان يتحقق على كل منهما ما يقتضي القدرة والله قادر على الممكنات كلها كما نطق به النصوص القطعية وترى الأرض هامدة ميتة يابسة من
همدت النار إذا صارت رمادا وهذا دليل آخر على البعث وإحياء الموتى ولظهوره وكونه مشاهدا معاينا كرره الله تعالى في كتابه فإذا أنزلنا عليها
الماء اهتزت تحركت بالنبات وربت وانتفخت وقرئ ربأت أي ارتفعت ومنه الربيئة وهو الناظر ديدبانه وأنبتت من كل زوج
بهيج أي من كل صنف رائق يبتهج بحسنه والبهيج الحسن السار للناظر إليه ذلك بأن الله أي ما ذكرنا من خلق الإنسان في أطوار مختلفة وتحويله
على أحوال متباينة ومن إحياء الأرض بعد موتها حاصل بسبب أن الله هو الحق الواجب الوجود الذي يكون وجوده من ذاته ويتحقق به كل
شيء إذ لو كان ممكنا جائز الوجود لكان من جملة الممكنات فلم يكن خالقا لها ومبدأ لها من حيث إذا وجب وأنه يحيي الموتى وأنه قادر على إحياء الموتى وعلى
كل معدوم والآن أحيا النطفة والأرض الميتة وأنه على كل شيء قدير لأن الموجب للقدرة ذاته والمقتضي للمقدورية هو الإمكان ونسبة الذات
إلى كل الممكنات سواء فإذا كان قادرا على بعضها كان قادرا على كلها مع أن العجز عن البعض نقص وافتقار إلى مخصص يجب تنزيه الله عن ذلك وأن
الساعة آتية لا ريب فيها لأنه لا بد من مجيئها والحالة وليس مرتاب فيها إذ لا بد من جزاء المحسن والمسيء والمصدق والمكذب على أنه قد وعدها
الحكيم القادر على كل شيء لا يخلف ميعاده وأن الله يبعث من في القبور بمقتضى وعده فلا بد أن يفي بما وعد والبعث هو أن يبعث الله الموتى
من القبور بأن يجمع أجزاءهم الأصلية ويعيد الأرواح إليها وهو حق لأن العقل السليم لا يستبعد ذلك فضلا عن الاستحالة مع أن القادر
قد أخبر عنه ونطق به النصوص التي علمه من الكتاب والسنة في مواضع لا تحتمل التأويل وقد أجمع أهل الملل والنحل عن آخرهم على جوازه
ووقوعه وخالفهم الفلاسفة الإسلاميين فإنهم أنكروا حشر الأجساد بناء على امتناع إعادة المعدوم وهو مع أنه لا دليل لهم عليه يعتد به غير مضر
بالمقصود لأن مرادنا أن الله تعالى يجمع الأجزاء الأصلية للإنسان وهي الباقية من أول عمره إلى آخره ويعيد روحه إليه سواء سمي ذلك إعادة
المعدوم بعينه أو لم يسم وأما الأجزاء الأكولة فإنما هي فضل في الآكل غير أصلية ومن الناس من يجادل في الله بغير علم عن ابن عباس أنه
أبو جهل بن هشام وقيل الأول في المقلدين وهذا في المقلدين وقيل المراد به النضر بن الحرث كرر كما كررت سائر الأقاصيص وقصد إلى التحقيق
والتأكيد مع ما ينطبق به من الدلالة بقوله ولا هدى ولا كتاب منير على أنه لا يتمسك في مجادلته بعلم ضروري أصلا ولا بدليل عقلي ولا برهان
سماوي من جهة الوحي والسمع والمراد بالعلم العلم الضروري أو العلم النظري وعلى التقديرين يصح عطف الهدى عليه لأن المراد به أحد العلمين بحيث لا
يلزم التكرار فإن كلا منهما ما يهدي صاحبه إلى الحق ويرشده إلى ما فيه النجاة من الجهل والضلال والمقصود بيان تمادي جهل هذا المجادل وفرط
ضلالته وأنه ليس في المجادلين أكثرهم أبلغ جهلا وضلالا ممن يجادل في الله بغير علم بديهي ولا كسبي ولا يقتضي فيه بقرينة قاطع وليس فيه اتباع
للبرهان من جهة الوحي فهو يخبط خبط عشواء من غير فرق بين الحق والباطل فإن الجدال بغير هذه الأمور الثلاثة شهادة على المجادل بإفراط
في الجهل فيه وتسجيل عليه بالانهماك في الغي والضلال كما يدل عليه أيضا ما يأتي بعده ثاني عطفه أي متكبرا ولا ترى أجهل وأضل ممن يتكبر
على الحق وأهله ولولاه ما تكبر عن قبوله وأصل ثني العود إذا حناه وعطفه لأنه منه أحد طرفيه إلى الآخر وعطف الإنسان بكسر العين جانبه من
رأسه إلى وركه أو قدميه ومنه ثني العطف كناية عن التكبر كتصعير الخد ولي الجيد وقيل عن الإعراض عن الحق وقرأ الحسن ثاني عطفه
بفتح العين وهو مصدر أي مانع تعطفه وقال الجوهري يقال ثنى فلان عني عطفه إذا أعرض عنك وهو يؤيد قول من فسره بالإعراض وهو
ابن جريج وعطية وابن زيد ومن تبعهم ليضل عن سبيل الله تعليل للجدال وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ورويس بفتح الياء على أن إعراضه عن
الهدى بإقباله على الجدال بالباطل خروج من الهدى إلى الضلال وأنه من حيث هو مؤداه كالغرض له في الدنيا خزي صغار وهو قتله يوم

بدر ضبعا او نتيعه يوم القيمه عذاب الحريق المحرق وهو النار وقراد زيد بن علي واذيقه ذلك بما قدمت يداك على الالتفات او اضمار القول اي يقال لهم
يوم القيمة ذلك الخزي في الدنيا وعذاب الاخرة بسبب ما عملته وما كان ذوالبدين يزاول اكثر اعماله بيديه غلب العمل باليدين على سائر الاعمال التي
يعبر بغيرهما حتى قيل في عمل القلب هو مما عملت يداك وحتى قيل لمن لا يدي له ومن لا يد له فرغ بين قولك هذا ما عملته يداك وعليه ورد قوله
تعالى بما قدمت يداك اي بما عملته في الدنيا من الكفر والمعاصي وان الله ليس بظلام للعبيد ليعذبهم بغير ذنب مع انه المالك اي الملك على الاطلاق
يتصرف في ملكه كيف يشاء ولا يتصور الظلم منه ويعذبهم بغير ظالم لهم وهو عطف على قدمت ومعنى كونه غير ظلام للعبيد انه عادل عليهم لفرط العدل في
ومن العدل ان يعذب المسيء منهم ويثيب المحسن ولا يزيد في العقاب ولا ينقص من الاجر لكن بناء على وعد المحتوم وقال ظلام بلفظ المبالغة
لكثرة العبيد فالظالم لهم يكون كثير الظلم لاصابته كل منهم ظلما لان العبيد دال على الاستغراق فيكون المعنى ليس بظالم لهذا ولا لذلك الى
ما لا يحصى وههنا وجه اخر وهو انه يراد لو عذب من لا يستحق العذاب لكان ظلاما مفرطا الظلم فنفى ذلك هكذا قيل ومن الناس من يعبد
الله على حرف اي على طرف من الدين لا في وسطه وقلبه حتى يكون له ثبات فيه ولا يروح دونه كالثعلب كالذي يكون على طرف العسكر فان
احس بظفر وغنيمة قر واطمان والا فر وطار على وجهه فان اصابه خير صحة في بدنه وسعة وعيشة اطمان به رضي به وسكن اليه وان
اصابته فتنة بلاء في جسده وضيق في معيشته انقلب على وجهه تحول عن وجهه فانكب ورجع الى ما كان عليه من الكفر روي انها نزلت في اعاريب
قدموا المدينة وكان احدهم اذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سويا وولدت امراته غلاما سويا وكثر ماله وماشيته قال اصبت منذ دخلت في دين
هذا الا خيرا واطمان وان كان الامر بخلافه قال ما اصبت الا شرا وانقلب وعن ابي سعيد ان يهوديا اسلم فاصابته مصايب فتشام بالاسلام
فاتى النبي صلعم فقال اقلني فقال ان الاسلام لا يقال فنزلت خسر الدنيا والاخرة بذهاب امله وذهاب ثواب الصابرين وقيل بفوات ما
كان يومل وبذهاب الدين والخلود في النار وقيل بذهاب عصمته وحبوط عمله بالارتداد وقرا يعقوب خاسر الدنيا والاخرة بالالف
والنصب على الحال وقرئ بالرفع على الفاعلية ووضع المظهر موضع المضمر تنصيصا على خسرانه او على انه خبر مبتدا محذوف ذلك هو الخسران المبين اذ
هل البين لمن له ادنى مسكة وعن الحسن من يعبد الله على حرف هو المنافق يعبده بلسانه دون قلبه يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه اي يعبد
جمادا لا يضر نفسه ولا ينفع ان لم يعبده ولا يضره ان عصاه ولا ينفعه ان اطاعه وعبده والدعاء بمعنى العبادة كثير في القران ذلك هو الضلال البعيد عن
الرشد والحق استعير الضلال البعيد من ضلال من ابعد في التيه ضالا فطالت وبعدت مسافة ضلالته وهذه الاية كما ترى بيان لابعاد عبدة
الاصنام في الضلال وعظم خطائهم في كفرهم واشراكهم بالله لوضوح ابانة النيرة الشاهدة له الدالة على قدرته وباهر حكمته وانه هو الحقيق بان
يدعى ويعبد ويخاف ضره وعقابه ويرجى نفعه وثوابه في الدنيا والاخرة يدعو لمن ضره بكونه معبودا لانه يوجب القتل في الدنيا والعذاب في الا
خرة اقرب من نفعه الذي يتوقع في عبادته بجهله وضلاله وهو الشفاعة والتقرب بها الى الله واللام متعلقة ليدعوا على انه بمعنى يقول او يزعم والزعم
قول مع اعتقاد اي يقول هذا الكافر ذلك بدعاء وصراخ حين يرى استضراره بالاصنام ودخوله النار بعبادتها ولا يرى اثر الشفاعة التي رجا
ها منها وقيل اللام صلة اي يدعو من ضره ويعضده قراة عبد الله بغير لام وقيل بمعنى الى اي يدعو الى الذي ضره اقرب وقيل جواب القسم المحذوف
تقديره يدعو والله لمن ضره اقرب وقيل مستانف على انه يدعو انكرير الاول كانه قال يدعو يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه
ثم قال لمن ضره بكونه معبودا اقرب من نفعه بكونه شفيعا ومن على هذا الوجه مبتدا خبره لبئس المولى اي الناصر وقيل المعبود ولبئس
العشير الصاحب يعني الوثن كقوله فبئس القرين ان الله يدخل الذين امنوا صدقوا بما وجب التصديق به وعملوا الصلحات واخلصوا العمل
في اداء الفرايض وسائر ما يتعلق بعبادة الله وطاعته جنات تجري من تحتها الانهار وصفها دلالة على انها من جنس ما هو ابهى
الاماكن التي يعرفونها لتميل اليها طباعهم واسناد الجري الى الانهار من الاسناد الحكمي كقولهم سال الميزاب ان الله يفعل ما يريد من
اثابة المؤمن وعقاب الكافر لا دافع له ولا مانع وفي تتابع الفعل على الاسم تنبيه على معنى الاختصاص به والمعنى انه يفعل ذلك
لا غيره فحقه ان يعبد ويرجى ويخشى وعيده ويحذر ولا يجترا على شيء مما رضاه من كان يظن ان لن ينصره الله في الدنيا
والاخرة هذا الكلام فيه اختصار والمعنى ان الله ناصر رسوله في الدنيا والاخرة فمن كان يظن من حاسديه خلاف ذلك ويتوقعه من

غيظا وعلاوة

غيظا وعلاوة وقيل المراد بالنصر الرزق والضمير لمن فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فليستقص وسعه وليستفرغ مجهوده في ازالة غيظه او جزعه
بان يفعل ما يفعله المبالغ في الغيظ والجزع حتى يمد حبلا الى سماء بيته فيختنق من قطع اذا اختنق وان المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه او فليمدد حبلا
الى سماء الدنيا ثم ليقطع به المسافة حتى يبلغ عنانه فيجتهد في دفع نصره او تحصيل رزقه فلينظر فليتصور في نفسه ان فعل ذلك هل يذهبن
كيده فعله ذلك ما يغيظ اي الذي يغيظه من نصر الله او غيظه على ان ما موصولة او مصدرية وسمى فعله كيدا لانه وضعه موضع الكيد حيث لم يقدر
على غيره او على وجه الاستهزاء لانه لم يكذب محسوده انما كاد به نفسه وقيل نزلت في قوم من المسلمين استبطوا نصر الله لاستعجالهم وشدة غيظهم
وحنقهم على المشركين وقال مجاهد نزلت فيمن اساء الظن بالله وخاف ان لا يرزقه وكذلك ومثل ذلك الانزال انزلناه انزلنا القران كله ايات بينات
حججا وبراهين وتدل على صدق الرسول وصحة ما جاء به وانه منصور في الدنيا والاخرة او ظاهرات الاعجاز تحدي بها فلم يقدر على
معارضتها او بينات الالفاظ مبينات المعاني بنفسها او ببيان الرسول قولا او فعلا وان الله يهدي من يريد اي ولان الله يهدي به او يثبت على
الهدى من يريد هدايته وتثبيته انزله كذلك مبينا ان الذين امنوا ايمانا خالصا وهم المسلمون المخلصون والذين هادوا اي تهودوا ودخلوا
في اليهودية والصابئين اي الذين صبأوا عن دين اليهودية والنصرانية واختاروا عبادة الملائكة من صبا اذا خرج من الدين وسموا صابئين
لانهم خرجوا من الاديان كلها والنصارى جمع نصران والمراد نصرانية لم تحقق وبالياء للمبالغة كالتي في احمري وهو الاكثر فيقال نصراني و
نصرانية والمجوس هم عبدة النار وهو من الجموع التي لا واحد لها وقيل المجوسية نحلة والمجوسي منسوب اليها والجمع المجوس واعلم ان المجوس على قول الاكثرين ليسوا
من اهل الكتاب ويدل على انهم ليسوا منهم قوله تعالى انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا والذين اشركوا يعني عبدة الاوثان ان الله يفصل بينهم يوم القيمة
بالحكومة بينهم واظهار المحق منهم على المبطل او الجزاء فلا يجازيهم جزاء واحدا ثم للرحمن جعل الصابئون مع النصارى لانهم نوع منهم واحد خلت ان على
كل واحد من طرفي الجملة لزيادة التاكيد كقوله جرير ان الخليفة ان الله سربله سربال ملك به ترجى الخواتم ان الله على كل شيء شهيد عالم به مراقب لاحواله
الم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض المراد منها بالسجود الانقياد والخضوع والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب قرئ وا
الدواب بالتخفيف كراهة التضعيف او الجمع بين ساكنين وكثير من الناس اي ويسجد كثير من الناس على ان المراد بهذا السجود سجود الطاعة
والعبادة لا الانقياد كما في الاول وهو غير شامل لجميع الناس بخلاف الاول فانه قد اسند على سبيل العموم الى من في الارض من الانس والجن
فيكون ارتفاعه بفعل محذوف يدل عليه المذكور وهذا على راي من لم يجوز استعمال اللفظ المشترك في اكثر من معنى واحد في حالة واحدة كاستعمال لفظ العين
في الباصرة والجارية في قولك رايت العين واما من جوز ذلك فقد استدلوا بالاية عليه قائلين ان السجود فيها منسوب الى العقلاء فيراد به وضع الجبهة
على الارض فانه قوله تعالى وكثير من الناس يدل على ان المراد بالسجود المنسوب الى الانسان هو وضع الجبهة على الارض اذ لو اريد به الانقياد لما قال
لان الانقياد شامل لجميع الناس ورد بانه يمكن ان يراد بالسجود الانقياد في الجميع سواء وقولهم الانقياد شامل لجميع الناس باطل لان الكفار لا انقياد
لهم اصلا وايضا لا يجب ان يراد بالسجود وضع الراس على الارض في الجميع والحكم باستحالته من الجمادات لا من يحكم باستحالة التسبيح من الجمادات
والشهادة من الجوارح والاعضاء يوم القيمة مع ان الكتاب والسنة ناطقان بذلك بقوله ولكن لا تفقهون تسبيحهم يحقق ان المراد هو حقيقة
التسبيح الدالة على وحدانيته تعالى فان قوله لا تفقهون لا يليق بهذا فعلم ان وضع الراس خضوعا لله غير ممتنع من الجمادات بل هو كما ينقل
بكرامات وخوارق العادات واعترض عليه بانه لو اريد بالانقياد امتثال اوامر التكاليف ونواهيها فهو لا يصح في غير المكلفين وان اريد امتثال
اوامر حكم التكوين والتسخير او مطلق الطاعة اعم من هذا وذاك فشموله لجميع الناس ظاهر ولا بد ان يكون في كثير من الناس معنى اخر يخصهم
كوضع الجبهة وامتثال التكاليف فالاظهر في الجواب عن الاية ما ذكره القوم من انها على حذف الفعل اي ويسجد كثير من الناس على ما ذكرنا
وبان قولهم ايضا لا يبعد هذا ايضا بعيد لان حقيقة السجود وضع الجبهة لا وضع الراس حتى لو وضع الراس من جانب القفا لم يكن ساجدا ولو سلم
فاثبات حقيقة الراس في كثير من المذكورات كالشمس والقمر وغيرهما مشكل ولو سلم ففي مثل هذا الامر الخفي لا يناسب ان يقال المدة وعيونه
ولا يحكم باستحالته لان الحكم باستحالة من الجمادات ان ليس ذلك في قدرته تعالى بل باعتبار انه ليس لها وجوه ولا جباه كما يحكم عليها باستحالة
المشي بالارجل والبطش بالايدي والنظر بالعين بخلاف التسبيح فانه الفاظ وحروف لا يمتنع صدورها عن الجمادات بايجاد القدرة الا

لهية كما روي عن الحسن والجزع وكذا شهادة الاعضاء والجوارح ويمنع قوله انه لا يفقهون غير لائق بالمعنى المذكور وانما يليق بحقيقة التسبيح
لان معناه ان المشركين لا يفقهون هذه الدلالة ولا يعرفونها لاخلالهم بالنظر الصحيح والاستدلال الصادق بل لا يليق بحقيقة التسبيح لا يعرفون
ويجوز ان يكون مرفوعا بانه مبتدا خبره محذوف دل عليه مقابله نحو حق له الثواب او مذكور وهو من الناس اي من الناس الذين هم الناس على
حقيقة وهم الصالحون والمتقون او بانه عطف على المذكورات ان جوز استعمال اللفظ المشترك في كل واحد من معنييه واسناده باعتبار احدهما الى امر
وباعتبار الآخر الى آخر فان تخصيص الكثير يدل على خصوص المعنى المسند اليهم لكنه وجه ضعيف كما قد عرفته بقول القائل والاظهر في الجواب عن
الآية ما ذكره القوم الى آخره وكثير حق عليه العذاب بسبب كفره وابائه عن الطاعة ويجوز ان يبالغ في تكثير المحقوقين بالعذاب فيعطف كثير على
كثير ثم يخبر عنهم بحق عليه العذاب كانه قيل وكثير وكثير من الناس حق عليه العذاب والجملة على هذا العطف على الساجدين بالمعنى العام وقرئ وحق
بضم الحاء وحقا باضمار فعله اي حق عليه العذاب حقا ومن يهن الله ومن يهنه الله بان يكتب عليه الشقاوة فما له من مكرم يكرمه بالسعادة وقرئ
مكرم بفتح الراء بمعنى الاكرام ان الله يفعل ما يشاء من الاكرام والاهانة هذان خصمان اي فوجان او فريقان مختصمان فان الخصم صفة
يوصف بها الفوج او الفريق ولذلك قال اختصموا حملا على المعنى كما حمل هذان على اللفظ كقوله ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا ولو عكس بان
قيل هؤلاء خصمان او اختصما جاز والمراد بهما المؤمنون والكافرون وقال عكرمة هما الجنة والنار وعن ابن عباس رضي الله عنه المراد بالاديان الستة
في قوله ان الذين آمنوا والذين هادوا وانه جعل خمسة للنار وواحد للجنة وهذان خصمان يرجع الى اهل الاديان الستة والمؤمنون خصم وسائر الخمسة
خصم وعن ابي ذر انها نزلت في الذين بارزوا يوم بدر وهم حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث من المؤمنين وعتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن
عتبة من الكافرين وقيل نزلت في المسلمين واهل الكتاب فقالوا نحن احق بالله واقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال المؤمنون نحن احق
بالله آمنا بمحمد ونبيكم وبما انزل الله من كتاب وانتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم كفرتم به حسدا فهذا خصومتهم في ربهم في دينه او في ذاته وصفاته
فالذين كفروا هو فصل خصومتهم المعني بقوله ان الله يفصل بينهم يوم القيمة وفي رواية عن الكسائي خصمان بالكسر وقرا ابن ابي عبلة واوا
لبو همسم خصمان اختصما وقرا ابو البرهسم في ربهم قطعت لهم قدرت لهم على مقادير جثثهم وقرئ بالتخفيف ثياب من نار نيرانا تشتمل
عليهم اشتمال الثياب وقال سعيد بن جبير ثياب من نحاس مذاب وليس من الآنية شيء اذا حمي اشد حرا منه وسمي باسم الثياب لانها تحيط
بهم احاطة الثياب ويجوز ان تظاهر على كل واحد منهم تلك النيران كالثياب الظاهرة على اللابس بعضها فوق بعض كما قال بعضهم يلبس اهل
النار مقطعات من النار ونحوه سرابيلهم من قطران يصب من فوق رؤسهم الحميم خبر بعد خبر او حال من الضمير في لهم والحميم الماء الحار عن ابن عباس
لو سقطت منه نقطة على جبال الدنيا لاذابتها يصهر به ما في بطونهم والجلود اي يذاب وعن الحسن بتشديد الهاء للمبالغة اي اذا صب الحميم على
رؤسهم يؤثر من فرط حرارته في باطنهم نحو تاثيره في ظاهرهم فيذاب به احشاؤهم كما يذاب به جلودهم وعن ابي هريرة قال النبي صلعم ان
الحميم ليصب على رؤسهم فينفذ الجمجمة حتى يخلص الى جوفه فيسلت ما في جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان والجملة حال من الحميم
او ضميرهم ولهم مقامع من حديد سياط منه يجلدون بها جمع مقمعة وحقيقتها ما يقمع به اي يكف بعنف في الحديث لو وضعت مقمعة
منها في الارض فاجتمع عليها الثقلان ما اقلوها منها كلما ارادوا ان يخرجوا منها من النار من غم من غموم بدل من الهاء باعادة
الجار كقوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم اعيدوا فيها اي فخرجوا اعيدوا فيها لان الاعادة والرد لا يكون الا بعد
الخروج ومعنى الخروج ما روي عن الحسن ان النار تضربهم بلهبها فترفعهم الى اعلاها فتضربهم الزبانية بمقامع الحديد فيهوون فيها سبعين
خريفا وذوقوا اي وقيل لهم ذوقوا عذاب الحريق اي الغليظ من النار المنتشر العظيم الاهلاك ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصا
لحات جنات تجري من تحتها الانهار انما قطعت قصة المؤمنين من قصة الكفار ولم تعطف كنحو قوله ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم
لوجود الداعي الى الفصل المانع الحصيني عن الوصل وهو التنبيه على كمال العناية بفضلهم الذي يقتضيه المقام فليتامل تامل ما بين القصتين
من التباين في الغرض وقيل غير الاسلوب فيه واسند الادخال الى الله تعالى واكده احمادا لحال المؤمنين وتعظيما لشانهم يحلون فيها
حليت المراة اذا لبست الحلي وهي ما تحلى به من ذهب او فضة وقرئ يحلون من احلى الحسن الحلي وهو بمعنى التشديد وقرا ابن عباس

يحلون

يحلون بالتخفيف من حليت المراة فهي حالية اذا صارت ذات حلي من اساور في موقع المفعول ومن زائدة للتاكيد او تبعيضية بدليل قوله وحلوا
اساور من فضة والمعنى يسورون فيها بالذهب البتة وقيل صفة مفعول محذوف واساور جمع اسورة وهي جمع سوار من ذهب بيان له على الاول
وبدل منه باعادة الجار على الثاني ولؤلؤا قرا عاصم ونافع بالنصب عطفا على محل من اساور واضمار الناصب مثل ويؤتون لؤلؤا كقراءة من قرا
وحورا عينا والباقون بالجر عطفا على ذهب على ان الاساور مرصعة بالذهب واللؤلؤ وعلى انهم يسورون بالجنسين اما على المعاقبة واما على
الجمع كما تزاوج نساء الدنيا بين انواع الحلي او تجمع بينها وما احسن بالمعصم ان يكون فيه سوار من ذهب احمر قاني وسوار من لؤلؤ
ابيض يقق وقيل عطف على اساور لا على ذهب لان السوار لا يكون من اللؤلؤ في العادة وهو غلط وليس بصحيح لما فيه من قياس عالم الشهود
بعالم الملكوت وهو خطا لقوله اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ويشهد قول سعيد بن جبير
يحلى كل واحد منهم ثلثة اساور واحد من ذهب وواحد من لؤلؤ وواحد من يواقيت وقرئ ولولوا بقلب الهمزة الثانية واوا ولوليا بقلبهما واوين ثم
بقلب الثانية ياء كادل وقرئ ولول كادل فيمن قرا ولولؤ بالجر ولبليا بقلبهما يائين ولباسهم فيها حرير يعني انهم يلبسون في الجنة ثياب الابريسم
وهو الذي حرم لبسه في الدنيا على الرجال على ما روى ابو سعيد عن النبي عم انه قال من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة فانه دخل الجنة
لبسه اهل الجنة ولم يلبسه هو ولذلك قال ابو حنيفة لا يحل للرجل ان يلبس حريرا الا قدر اربعة اصابع لما روي انه عم لبس جبة مكفوفة بالحرير
ولم يفرق بين حالة الحرب وغيره وقال ابو يوسف ومحمد يحل في الحرب ضرورة قلنا الضرورة تندفع بالجبة ابو سيج وسداه غيره ويجوز عنده ان يتخذ
سدة ويلبس لما روي انه عليه السلام جلس على مرفقة من حرير وقال لا يكون ان يلبس ما سداه ابريسم ولحمته غيره وعكسه في حرب فقط واورده
بالاسمية المثبتة لافادة تاكيد الثبوت ودوامه وقيل غير اسلوب الكلام فيه للدلالة على ان الحرير ثيابهم المعتادة او لمحافظة على هيئة الفواصل
وهدوا الى الطيب من القول هو شهادة ان لا اله الا الله قال ابن عباس وقيل لا اله الا الله والله اكبر والحمد لله هو قول اهل الجنة الحمد لله الذي
صدقنا وعده وهدوا اي الهداة يقولون ذلك وهدوا الى صراط الحميد وهداه الى طريق الجنة وقيل المحمود نفسه او عاقبته وهو الجنة او الحمد
او الحق والمستحق لذاته الحمد وهو الله تعالى وصراط الاسلام ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله لا يراد به المضارع حالا ولا استقبالا
وانما يراد استمرار الصدود منهم ودوامه كقولهم فلان يغشى المحتاجين ويعطي ويمنع ولذلك حسن عطفه على الماضي وقيل هو حال من فاعل كفروا
وخبر ان محذوف يدل عليه آخر الآية اي يعذبون ومن عجب الكلام ان يقال المراد من لفظ المستقبل الماضي كما قال في موضع آخر الذين كفروا وصدوا
عن سبيل الله والمسجد الحرام عطف على سبيل الله او على اسم الله الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد اي للذين يقع
عليهم اسم الناس من غير فرق بين حاضر وباد وناء وطارئ ومكي وآفاقي وقد استشهد به اصحاب ابي حنيفة قائلين ان المراد بالمسجد
الحرام مكة على امتناع جواز بيع دورها واجارتها لانه مكة حرام وعند ابي يوسف ومحمد يجوز لان ارضها مملوكة وقال الشافعي وقد جا
وراسحق بن راهويه فاحتج بقوله الذين اخرجوا من ديارهم وقال انسب الديار الى مالكيها او غير مالكيها واشترى عمر دار السجن من
مالكيه او غير مالكيه وقرا حفص سواء بالنصب على انه ثاني مفعولي جعلنا او الحال والعاكف مرتفع به اي جعلناه مستويا العاكف فيه والبادي
والباقون بالرفع على انه خبر مقدم على مبتدا وهو العاكف والجملة مفعول ثان لجعلناه ويكون للناس حالا وقرئ العاكف بالجر على انه بدل من الناس
ومن يرد فيه مفعوله متروك ليتناول كل متناول كانه قيل ومن يرد فيه مرادا ما بالحاد بظلم حالان مترادفان اي حال كونه مائلا
عن القصد ظالما وحقيقته ملتبسا بالحاد ملتبسا بظلم فالباء للملابسة والالحاد الميل او الثاني بدل من الاول باعادة الجار وصلته اي ملحدا بسبب
الظلم كالاشراك واقتراف الآثام وقيل الباء الاولى مزايدة وهو بعيد عن السداد ولهذا انكره المبرد نذقه من عذاب اليم يعني يجب على من كان فيه
ان يعدل في جميع ما يريده ونقصده وقيل الالحاد في الحرم دخول الحرم غير محرم وارتكاب شيء من محظوراته من قتل صيد او قطع شجر وقيل
الشرك وعبادة غير الله وقيل احتكار الطعام وقيل منع الناس عن عمارته وقيل كل شيء نهي عنه من قول او فعل حتى شتم الخادم وقيل قتل
ما لا يقتلك او ظلم من لا يظلمك ومن عطاء قول الرجل في المبايعة لا والله بلى والله وعن ابن عمر انه كان له فسطاطان احدهما
في الحل والآخر في الحرم واذا اراد ان يعاتب اهله عاتبهم في الحل فسئل عن ذلك فقال كنا نتحدث ان من الالحاد فيه ان يقول الرجل لا والله

وبلى والله والجملة جواب لمن وقرئ يرد بفتح الياء من الورود ومعناه من اتى فيه بالحاد ظالما وقرأ الحسن ومن يرد الحاده بظلم اراد الحادا فيه واضافه
على الاتساع في الظرف كمكر الليل اي من يرد ان يلحد فيه ظالما واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت اي واذكر حين جعلنا له مكان البيت مباءة اي مرجعا
يرجع اليه للعبادة والعمارة وقيل اللام زائدة ومكان ظرف اي واذ انزلناه فيه وقيل ان هيأنا وقيل بينا وانما ذكر مكان البيت لان البيت رفع
الى السماء ايام الطوفان وكان من ياقوتة حمراء فاعلم الله ابراهيم مكانه بريح ارسلها يقال لها الخجوج فكنست ما حوله فبناه على اسه القديم
وقال الكلبي بعث الله سحابة على قدر البيت فقامت بحيال البيت وفيها راس يتكلم يا ابراهيم ابن على قدري فبنى عليه ان لا تشرك بي شيئا ان مفسرة
لبوأنا من حيث انه تضمن معنى تعبدنا لان التبوئة من اجل العبادة اي تعبدنا قلنا له لا تشرك بي شيئا او مصدرية موصولة بالنهي اي
فعلنا ذلك لئلا تشرك بي في عبادتي شيئا وروى ابو بكر عن عاصم ان لا يشرك بالياء وطهر بيتي من الاوثان والاقذار ان تطرح حوله للطائفين
للذين يطوفون به والقائمين اي المقيمين والركع السجود في الصلوة يعني المصلين لان القيام والركوع والسجود هيأت المصلي وقيل القائمين اي
المقيمين والركع السجود في الصلوة اي المصلين واذن في الناس ناد فيهم وقرأ الحسن واذن بهمزة الوصل وقرأ ابن محيصن وآذن بالحج بدعوة
الحج والامر به بان يقولوا حجوا وعليكم بالحج وروي انه صعد ابا قبيس فقال ايها الناس حجوا بيت ربكم فاسمعه الله في اصلاب الرجال وارحام النساء
فيما بين المشرق والمغرب لمن سبق في علمه ان يحج فاجابوه لبيك اللهم لبيك وقال ابن عباس اول من اجابه اهل اليمن فهم اكثر الناس حجا وقال
عني بالناس اهل القبلة وعن الحسن الخطاب لرسول الله امر ان يفعل ذلك في حجة الوداع وروى ابو هريرة انه عليه السلام قال ايها الناس ان الله
قد فرض عليكم الحج فحجوا يأتوك رجالا اي مشاة جمع راجل كقائم وقيام وقرئ بضم الراء مخفف الجيم ومثقله ورجالى كعجالى وعلى كل ضامر حال معطوف
على رجالا كانه قيل رجالا وركبانا على كل بعير مهزول اتعبه بعد السفر وهزله يأتين صفة لكل ضامر محمولة على معناه وقرئ يأتون صفة للرجال
والركبان او استيناف فيكون الضمير للناس من كل فج طريق عميق بعيد وقرأ ابن مسعود معيق يقال بئر بعيدة العمق والمعق ليشهدوا
ليحضروا منافع لهم دينية ودنيوية ونكرها لان المراد بها نوع من المنافع مخصوص بهذه العبادة لا يوجد في غيرها من العبادات
وعن ابي حنيفة انه كان يفاضل بين العبادات قبل ان يحج فلما حج فضل الحج على العبادات كلها لما شاهد من تلك الخصائص
ويذكروا اسم الله عند اعداد الهدايا والضحايا وذبحها وقيل كنى عن النحر والذبح بذكر اسم الله لان نحر المسلمين ذبحهم لا ينفك عن تسميتها
على ان المقصود الاصلي مما يتقرب به الى الله ان يذكر اسمه في ايام معلومات هي ايام العشر عند ابي حنيفة رضي الله عنه وهو قول الحسن
وقتادة وعند صاحبيه هي ايام النحر وعن علي هي يوم النحر وايام التشريق وثلثة ايام بعده وعن ابن عباس يوم عرفة والنحر على ما رزقهم
من بهيمة الانعام علق الفعل بالمرزوق وهو مبهم كما لا يخفى فبينه بالبهيمة وهي تبهم في كل ذات اربع في البر والبحر فبينت بالانعام
وهي الابل والبقر والضان والمعز خفقا على ما يفوت به حرجا او شعارا بعتقني الذكر وقيل وقد حسن الكلام تحسينا بينا ان جمع
بين قوله ليذكروا اسم الله وقوله على ما رزقهم ولو قيل لينحروا في ايام معلومات بهيمة الانعام لم تر شيئا من ذلك الحسن والروعة
فكلوا منها من لحومها وهو امر اباحة لان اهل الجاهلية كانوا لا يأكلون من نسائكهم ويجوز ان يكون ندبا لما فيه من مواساة الفقراء ومساواتهم
ومن استعمال التواضع ومن ثم استحب الفقهاء ان يأكل الموسع من اضحيته مقدار الثلث وعن ابن مسعود انه بعث بهدي
وقال فيه اذا نحرته فكل وتصدق وابعث منه الى عتبة يعني ابنه وفي الحديث كلوا وادخروا وائتجروا واتفق العلماء على ان الهدي اذا
كان تطوعا يجوز للمهدي ان يأكل منه وكذلك اضحية التطوع لما روي عن جابر بن عبد الله قال في قصة حجة الوداع وقدم علي
ببدن من اليمن وساق رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة بدنة فنحر عليه السلام منها ستين وستين بدنة ونحر علي ما بقي ثم امر عليه السلام ان
يؤخذ بضعة من كل بدنة فتجعل في قدر فاكلا من لحمها وحسيا من مرقها واختلفوا في الهدي الواجب فذهب قوم الى انه لا يجوز
للمهدي ان يأكل منه شيئا وبه قال الشافعي وقال ابن عمر لا يأكل من جزاء الصيد والنذر ويأكل مما سوى ذلك وبه ذهب
احمد واسحق وقال مالك يأكل من هدي التمتع وغيره مما وجب عليه الا من فدية الاذى وجزاء الصيد والنذر وقال ابو حنيفة
واصحابه يؤكل من هدي التطوع والمتعة والقران فحسب واطعموا البائس اي الذي اصابه بؤس وهو الشدة الفقير الذي اضعفه الاعسار

بلغ

وفي مختصر الكرخي او هي بثلث مال للبائس والفقير والمسكين قال فهو تعني اجزاء للبائس وهو الذي به الزمانة اذا كان محتاجا والفقير المحتاج
الذي لا يطوف بالابواب والمسكين الذي يسائل ويطوف وعن ابي يوسف على جزئين الفقير والمسكين واحد والامر فيه للوجوب وقد
قيل به في الاول وهو قوله فكلوا ثم ليقضوا تفثهم ثم ليزيلوا وسخهم بقص الشارب والاظفار ونتف الابط والاستحداد عند الاحلال
وعن ابن شميل قضاء التفث قضاء ازالته بالمذكور وقال مجاهد هو ما ذكر من مناسك الحج وقال ابن عباس وابن عمر هو ما نسكوا من الحج كلها
وقيل التفث ههنا رمي الجمار وليوفوا نذورهم مواجب حجهم او ما ينذرونه في اعمال البر في حجهم وقرأ ابو بكر وليوفوا بتشديد الفاء
للتكثير والباقون بتخفيفها من الايفاء وهما بمعنى كالتكريم والاكرام وليطوفوا طواف الافاضة وهو طواف الزيارة الذي هو من اركان
الحج ويقع به تمام التحليل فان ثم مرتبة قضاء التفث وقيل طواف الصدر وهو طواف الوداع وقرأت عائشة وليطوفوا ابن ... يطوف
بالبيت العتيق اي القديم لانه اول بيت وضع للناس او المعتق من الجبابرة فكم من جبار سار اليه ليهدمه فمنعه الله تعالى واما الحجاج
فاقصد التسلط على البيت وانما قصد اخراج ابن الزبير منه ولما قصد التسلط عليه ابرهة فعل به ما فعل وعن مجاهد اعتق من الغرق
وعن مجاهد وسفيان بن عيينة سمي عتيقا لانه لم يملك قط وقيل بيت كريم من قولهم عتاق الخيل والطير اي كرامها وعن النبي
صلى الله عليه وسلم انما سمي البيت العتيق لانه اعتقه من الجبابرة فلا يظهر عليه جبار قط ذلك خبر مبتدا محذوف اي الامر والشان ذلك واسم
الاشارة في مثل هذا المقام يكون للفصل بين كلامين ومن يعظم حرمات الله الحرمة ما لا يحل هتكه وجميع ما كلفه الله بهذه الصفة من
مناسك الحج وغيرها فيجوز ان يعم جميع تكاليفه ويحتمل ان يختص بما يتعلق بالحج وعن زيد بن اسلم الحرمات خمس الكعبة الحرام والمسجد الحرام و
البلد الحرام والشهر الحرام والمحرم حتى يحل وقرأ اليماني حرمات بسكون الراء فهو خير له اي فالتعظيم خير له ومعنى التعظيم العلم بانها واجبة
المراعاة والحفظ والقيام بمراعاتها عند ربه ثوابا واحلت لكم الانعام الازواج الثمانية الا ما يتلى عليكم المتلو لا يستثنى من
الانعام ولكن المعنى الا ما يتلى عليكم اية تحريمه وذلك قوله في سورة المائدة حرمت عليكم الميتة والمعنى ان الله قد احل لكم ان تاكلوا الانعام كلها
الا ما استثناه في كتابه فحافظوا على حدوده واياكم ان تحرموا مما احل شيئا كتحريم عبدة الاوثان البحيرة والسائبة وغير ذلك وان تحلوا مما حرم
كاحلالهم اكل الموقوذة والميتة وغير ذلك فاجتنبوا الرجس من الاوثان فاجتنبوا الرجس الذي هو الاوثان كما تجتنب الانجاس وهو غاية
المبالغة في الاجتناب عن تعظيمها والتنفير عن عبادتها واجتنبوا قول الزور تعميم بعد تخصيص فان عبادة الاوثان هي راس الزور كانه
لما حث على تعظيم حرماته اتبعه الامر باجتناب الاوثان والافترا على الله بانه حكم بذلك وقيل قول الزور رد اما كانت الكفرة عليه من تحريم
البحاير والسوايب وتعظيم الاوثان والافتراء على الله بانه حكم بذلك وقيل قول الزور شهادة الزور لانه عدلت شهادة الزور الاشراك
بالله وتلا هذه الاية وكان عمر رضي الله عنه يجلد شاهد الزور اربعين جلدة ويسخم وجهه ويطوف به في الاسواق وقيل الكذب والبهتان وقيل قول
اهل الجاهلية في تلبيتهم لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك والزور من الزور والازورار وهو الانحراف كما ان الافك من افكه اذا صرفه
فان الكذب منحرف مصروف عن الواقع حنفاء لله مخلصين له غير مشركين به وهما حالان من الواو وقال قتادة كان المشركون يحجون البيت ويحرمون
البنات والامهات والاخوات وكانوا يسمون حنفاء فنزلت حنفاء لله غير مشركين به اي حجاجا لله مسلمين موحدين يعني من اشرك
بالله لا يكون حنيفا ومن يشرك بالله فكانما خر من السماء لانه سقط من اوج الايمان الى حضيض الكفر فتخطفه الطير فان الاهواء المردية
توزع افكاره او تهوي به الريح في مكان سحيق بعيد فان الشيطان يطوح به في وادي الضلالة واو للتخيير كما في قوله او كصيب او للتنويع
فان من المشركين من لا خلاص له اصلا ومنهم من يمكن خلاصه بالتوبة ولكن على بعد ويجوز ان يكون من جملة التشبيهات المركبة فكانه
اشرك بالله فقد اهلك نفسه اهلاكا ليس بعده بان صور حاله بصورة حال من خر من السماء فاختطفته الطير فتفرق مزعا في حواصلها او
عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المطاوح البعيدة يقال خطفته الطير اذا سلبته بسرعة وذهبت به وقال الحسن شبه اعمال
الكفار بهذه الحالة في انها تذهب وتبطل فلا يقدرون على شيء منها قال فتخطفه بلفظ المضارع دون الماضي ليصور للسامعين
مشاهدتها تفظيعا وتعجيبا من جراءته عليها وقرأ نافع فتخطفه بفتح الخاء وتشديد الطاء على ان اصله فتختطفه فنقلت حركة التاء

[illegible]

الخاء ثم ادغم التاء في الطاء فصار فيخطّف ففتحت الطاء لاستثقال الكسرة بعد التضعيف في الطاء او للاتباع وقيل اصله فتختطفه
بتائين فحذفت احداهما تخفيفا كما في تنزّل ولا تحاجّوا والباقون فتخطفه بسكون الخاء وتخفيف الطاء من خطف الشيء يخطفه بمعنى اختطفه اذا اسلبه
سرعة وقرئ فتخطّفه بكسر الخاء والطاء وقرا الحسن فتخطّفه فادغم التاء في الطاء من غير ان تنقل حركتها وكسر الخاء لالتقاء الساكنين وكسر
الطاء ايضا على الاتباع لكسر الخاء وقرئ الرياح ذلك ومن يعظم شعائر الله الشعائر جمع شعيرة وهي العلامة ومنه اشعار البدنة اذا اعلم انها هدي
والمراد بها الهدايا لانها من معالم الحج وتعظيمها ان يختارها عظام الاجرام حسانا سمانا غالية الاثمان ويترك المكاس في شرائها فقد كانوا
يغالون في ثلث الهدي والاضحية والرقبة ويكرهون المكاس فيهن ومن عمر انه اهدى بختية طلبت منه بثلثمائة دينار فسال رسول الله صلعم
ان يبيعها ويشتري بثمنها بُدْنا فنهاه عن ذلك وقال بل اهدها وروي ان رسول الله اهدى مائة بدنة فيها جمل لابي جهل في انفه بُرَة
من ذهب وكان ابن عمر يسوق البدن مجللة بالقباطي فيتصدق بلحومها وبجلالها ويعتقد ان طاعة الله في التقريب بها وقيل شعا
ير الله دين الله او فرايض الحج ومواضع نسكه فانها من تقوى القلوب اي فان تعظيمها من افعال ذوي تقوى القلوب فحذفت هذه
المضافات ولا يستقيم المعنى الا بتقديرها لانه لا بد من عايد من الجزاء الى من ليرتبط به وذكر القلوب لانها منشا التقوى والامرة بها وقرا
ابن ابي عبلة فانه من تقوى القلوب يعني التعظيم لكم فيها منافع الى اجل مسمى ثم محلها الى البيت العتيق اي لكم فيها منافع درها ونسلها
واصوافها واوبارها وركوب ظهورها الا ان تنحر ثم وقت نحرها منتهية الى البيت اي ما يليه من الحرم وثم يحتمل التراخي في الوقت
والتراخي في الرتبة اي لكم فيها منافع دنيوية الى وقت النحر وبعده دينية اعظم منها وهو على الاولين متصل بحديث الانعام
والضمير فيه لها والمراد على الاول فيها منافع دنيوية تنتفعون بها الى اجل مسمى وهو الموت ثم محلها منتهية الى البيت الذي يرفع اليه
الاعمال او يكون فيه ثوابها وهو البيت المعمور او الجنة وعلى الثاني لكم فيها منافع التجارة في الاسواق الى وقت المراجعة ثم وقت الخروج
منها منتهية الى الكعبة بالاحلال بطواف الزيارة ولكل امة قيل ولكل جماعة مؤمنة سلفت قبلكم قيل ولكل اهل دين جعلنا
منسكا متعبدا او قربانا يتقربون به الى الله وقيل شرع الله لكل امة ان ينسكوا له اي يذبحوا لوجهه على وجه التقرب وقرا حمزة
والكسائي منسكا بكسر السين في الموضعين من هذه السورة وهو الموضع الذي ينحر فيه والباقون بفتحها وهو مصدر من نسك
لله نسكا ومنسكا اذا ذبح لوجهه والنسيكة الذبيحة وجمعها النسائك بقوله ليذكروا اسم الله دون غيره ويجعلون ذلك لوجهه
تنبيها على ان المقصود او الغرض الاصلي من المناسك ان يذكر اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام عند نحرها وذبحها قالوا
وقيد البهيمة بالنعم تنبيها على ان القربان يجب ان يكون نعما وان البهائم التي ليست من الانعام كالخيل والبغال والحمير لا يجوز
ذبحها في القرابين فالهكم اله واحد منفرد يمتنع ان يشاركه شيء في ماهيته وصفات الالوهية الا اختل النظام المشاهد في العا
لم فله اسلموا اي اخلصوا التقرب او الذكر خاصة واجعلوه لوجهه سالما اي خالصا لا تشوبوه بالاشراك وبشر المخبتين المتوا
ضعين الخاشعين له والمخلصين فان الاخبات صفتهم من الخبت وهو المطمئن من الارض وقيل هم الذين لا يظلمون واذا ظلموا
لم ينتصروا وقال مجاهد المطمئنين الى الله وقال الكلبي هم الرقيقة قلوبهم الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم فزعت لذكره وخافت
استعظاما له وتهيبا من جلاله وعزة سلطانه وبطشه بمن لم يسلم ولم يخبت ويعصيه وقيل هيبة تبدو منه لا اشراقا شفقة جلاله عليها
والصابرين على ما اصابهم هم الذين صبروا على البلايا والمصائب من مفارقة اوطانهم وعشائرهم ومن تجرع الغصص والا
حزان واحتمال المشاق والشدائد في نصر الله وطاعته واذى بالخير ومعنى الصبر الحبس يقال صبرت نفسي على كذا اي حبستها ومنه
حديث شريح اصبر نفسي لهم في المجلس والمقيمي الصلوة اي المقيمين الصلوة في اوقاتها وقرا الحسن والمقيمين الصلوة بالنصب
على تقدير النون وابن مسعود والمقيمين الصلوة على الاصل ومما رزقناهم ينفقون قدم المفعول اشعارا بكونه اهم لهانة قيل
وحضوره بعض المال بالتصدق به والمراد بذلك اما الزكوة المفروضة لاقترانها بالصلوة المفروضة او مطلق ما ينفق في سبيل
الله لوروده مطلق اللفظ من غير قرينة الخصوص والبدن جمع بدنة كخشب وخشبة سميت بدنة لعظم بدنها من بدن بدانة

اذا ضخم

اذا ضخم وهو في اللغة من الابل خاصة ويقع على الذكر والانثى وانما في الشريعة فللجنسين الابل والبقر لقوله عليه السلام البدنة عن سبعة
والبقرة عن سبعة فالحق البقر بالابل وجعله في حكمه وقال عطاء والسدي البدن الابل والبقر بضم الباء وكان كثير في جمع عمر وقرا ابن
ابي اسحق بالضمتين وتشديد النون على لفظ الوقف وانتصابه بفعل مضمر يفسره جعلناها لكم وقرئ بالرفع على الابتداء كقوله والقمر
قدرناه من شعائر الله اي من اعلام الشريعة التي شرعها الله واضافها الى اسمه على سبيل التفخيم والتعظيم لان المضاف الى المعظم يعظم
بالاضافة اليه لكم فيها خير نفع في الدنيا والاخرة وتنكيره للتكثير والتعظيم ففي شارة الحاج ان يسارع الى شيء فيه خير كثير ومنافع دينية ودنيوية
بشهادة الله ويحرص عليه عن بعض السلف انه لم يملك الا تسعة دنانير فاشترى بها بدنة فقيل له في ذلك فقال سمعت ربي
يقول لكم فيها خير ومن ابراهيم من احتاج الى ظهرها ركب ومن احتاج الى لبنها شرب عن ابي هريرة ان رسول الله صلعم راى رجلا
يسوق بدنة فقال له اركبها فقال يا رسول الله انها بدنة ثم قال اركبها ويلك في الثانية والثالثة وقال الحنيفة لا تركب الا عند
ضرورة ولا يحلب لبنها ليقطعها بنضح الضرع بماء بارد فاذكروا اسم الله عليها بان تقولوا عند النحر الله اكبر لا اله الا الله والله
اكبر اللهم منك واليك صواف اي قائمات قد صففن ايديهن وارجلهن وقرا عبد الله صوافن من صفن الفرس اذا قام على ثلث
ونصب الرابعة على طرف سنبكه لان البدنة تعقل احدى يديها فتقوم على ثلث وقرا ابي والحسن ومجاهد صوافي بالياء اي
خوالص لوجه الله وقرئ صوافيا بابدال التنوين حرف الاطلاق عند الوقف وصواف على لغة من يسكن الياء مطلقا كقولهم
اعط القوس باريها اي صاحبها ونائبها بسكون الياء فاذا وجبت جنوبها اذا وقعت على الارض والمعنى انها اذا فعلت ذلك
وسكنت نفوسها بخروج غنيمة الروح حل لكم الاكل منها والاطعام من وجب الحائط وجبة اذا سقط فكلوا منها واطعموا
القانع السائل من قنعت اليه قنوعا اذا سالته بالخضوع او الراضي بما عنده وبما يعطى من غير سوال من قنعت قنعا وقناعة و
يعضده قراءة ابي رجاء القنع لان الراضي لا غير يقال قنع فهو قنع وقانع والامر بالاكل اما للاباحة او ندب او ايجاب كالامر بالا
لاطعام لوجوب والمعتر اي المتعرض للسوال ولا يسال قال ابو هريرة في حديث النبي عليهم نعم المال الاربعون والكثير ستون
والويل لاصحاب المائتين الا من اعطى في نجدتها ورسلها واطرق فحلها وافقر ظهرها واطعم القانع والمعتر قال رسول الله
نجدتها عسرها ورسلها يسرها والافقار الاعادة للركوب واطراق الفحل اعارته ليطرق ابله اي ليغزو عليها والقانع السائل والمعتر
الذي يتعرض للسوال ولا يسال وقال ابن زيد القانع المسكين والمعتر من ليس بمسكين وقال الحسن وابن جبير والكلبي الذي
يتعرض ولا يسال وقرا والمعتري يقال عراه وعراه واعتره واعتراه اذا اصابه مهم يطلب معروفا او اتاه طالبا معروفه على خفى
لطفه مهم كذلك مثل ما وصفنا من نحرها قياما سخرناها لكم ذللناها لكم حتى تاخذوها منقادة طيعة فتعقلوها وتحبسوها صافة
قوايمها ثم تطعنوا في لباتها ولولا تسخير الله لم تطق ولم تكن باعجز من بعض الوحوش التي هي اصغر منها جرما واقل قوة وكفى
بما ياتي من الابل شاهدا وعبرة لعلكم تشكرون ارادة ان تشكروا انعامنا والمحمدة على في شكرها الاقرار بالمنعم بها من غير اشراك
او انعامنا عليكم بالتقرب والاخلاص لن ينال الله لحومها اي لن تصيب رضاء الله اللحوم المتصدق ولن يقع منه موقع القبول
ولا دماؤها المهراقة بالنحر من حيث انها لحوم ودماء ولكن يناله التقوى منكم ولكن يصيبه ما يصحبه من تقوى قلوبكم التي
تدعوكم الى محافظة حدوده وما امركم به ونهاكم عنه في الحج وغيره وتعظيم والتقرب اليه والاخلاص له وقرا يعقوب لن تنال ولكن
تناله بالتاء فيهما والباقون بالياء وقال مقاتل لن يرفع الى الله لحومها ولا دماؤها ولكن يرفع اليه منكم الاعمال الصالحة والتقوى
والاخلاص وما اريد به وجه الله وقيل كان اهل الجاهلية اذا نحروا البدن نضحوا الدماء حول الكعبة ولطخوها بالدم قربة
الى الله فهم به المسلمون فنزلت كذلك سخرها لكم كرره تمكينا له في النفوس وتقريرا له في الاسماع والقلوب وتذكيرا
للنعمة وتعليلا له بقوله لتكبروا الله اي لتشكروه على نعمة الهداية لكم بان تكبروا وتهللوا وتعرفوا عظمته باقتداره على ما لا يقدر
عليه غيره فتوحدوه بالكبرياء او لتكبروا عند الاحلال او الذبح على ما هداكم ارشدكم الى معالم دينه ومناسك حجه وقيل الى طريق

تنجيزها وكيفيتها التقرب بها وما مصدرية وهو الاظهر او خبرية وعلى متعلق بتكبروا لتضمنه معنى الشكر وبشر المحسنين المتقين
او الشاكرين فان الاحسان بالقول شعارهم وصفتهم او المخلصين فيما ياتونه ويذرونه ان الله يدافع عن الذين امنوا غائلة
المشركين حتى المؤمنين الى غير ذلك من الآيات وعلله بانه لا يحب اضدادهم وهم المبالغون في الخيانة والكفر وقرا ابن كثير وابو عمرو
ويدفع والباقون عاصم وحمزة والكسائي وخلف ونافع وابن عامر وابو جعفر يدافع اي يبالغ في الدفع عنهم مبالغة من يغالب فيه لان فعل
المغالب يجيء اقوى وابلغ ان الله لا يحب كل خوان بليغ الخيانة في كل امانة كفور الكفران لنعمه لمن يتقرب الى الاصنام بذبيحة فلا يرضى
فعلهم ولا ينصرهم وقال ابن عباس خانوا الله فجعلوا معه شريكا وكفروا نعمه اذن اي رخص للذين يقاتلون المشركين والمعنى اذن لهم
في القتال فحذف المأذون فيه لدلالة يقاتلون عليه وقرا نافع وحفص اذن للذين يقاتلون على لفظ المجهول في الفعلين وابن كثير
وحمزة والكسائي على لفظ المعلوم فيهما وقرا ابو عمرو وابو بكر اذن للذين يقاتلون بمجهول الفعل الاول ومعلوم الثاني وابن عامر با
بالعكس فهذه اربع قراءات فتامل فيها واحفظ فانها مما زل فيه كثير من المهرة المتقين وقد وقع في تفسير البغوي والبيضاوي
ههنا شيء ليس للناظر فيه الحاذق في علم القراءة الا التعجب والسكوت وقرا طلحة والاعمش اذن للذين قتلوا تلوما فسيبين مغلوبين
بانهم ظلموا اي بسبب مظلوميتهم وهم اصحاب رسول الله صلعم كان مشركوا مكة يوذونهم اذى شديدا وكانوا ياتونه من بين مضروب ومشجوج
يتظلمون اليه فيقول لهم اصبروا فاني لم اؤمر بالقتال حتى هاجروا فانزل الله تعالى هذه الآية وهي اول آية اذن فيها بالقتال بعد ما نهي عنه
في نيف وسبعين آية وقال مجاهد نزلت في قوم خرجوا مهاجرين من مكة الى المدينة فاعترضهم مشركوا مكة فاذن الله لهم في قتالهم
ثم اخبر انه قادر على نصرهم بقوله وان الله على نصرهم لقدير وعد لهم بالنصر على دأب الملوك والعظماء كما وعد بدفع اذى الكفار عنهم و
تكرير التأكيد في معنى تكرير الوعد كما لا يخفى على اذهان الراسخين من علماء البلاغة الذين اخرجوا من ديارهم يعني مكة والموصول مرفوع
او منصوب على المدح او مجرور بدلا من الضمير المجرور بغير حق اي بظلم عليهم وهو صفة مصدر محذوف او حال اي غير حقيق بذلك
الاخراج او صلة للفعل كانه قيل اخرجهم المشركون بغير موجب استحقوا به الا ان يقولوا ربنا الله استثناء من حق متصلا لان التو
حيد بعض الحق او من غير حق فيكون استثناء منقطعا لان التوحيد ليس بعضه وذلك ان المستثنى ان كان بعض المستثنى منه قالوا
استثناء متصل والا فمنقطع وانما كان فالغرض المبالغة في عدم الموجب لاخراجهم وان نفى عنهم راسا وبالكلية وان
ذلك الاخراج لم يكن من المشركين الا لانه ظلم محض وجور صرف سببه عندهم ايمانهم بالله ربهم كما صرح به في قوله يخرجون الرسول واياكم ان
تؤمنوا بالله ربكم وان يقولوا على الثاني منصوب او مجرور فانهم قالوا اذا كان المستثنى بالا منقطعا وجب النصب في الاكثر كقولك ما جاءني
احد الا حمارا وفي اللغة الحجازية ومنه قوله تعالى لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم وهو التعبير بالاكثر لان بعضهم يجوز البدل فيه
كقوله وبلدة ليس بها انيس الا اليعافير والا العيس واليعافير منقطع بين الآية رفع بالبدل من الانيس وقالوا ايضا
اذا كان المستثنى منه منصوبا او مجرورا فالاختيار البدل في كلام غير موجب وهو ما كان فيه حرف نفي او نهي او استفهام لا في كلام موجب فانه يجب
في الموجب النصب ولا يجوز البدل اجماعا فالآية تحتمل الوجهين والمعنى في هذا جاء الله ولو قال الا ان يقولوا في محل الجر على الابدال
من حق اي بغير موجب سوى التوحيد الذي ينبغي ان يكون موجب الاقرار والتمكين لا موجب الاخراج والتسيير ومثله هل تنقمون منا
الا ان آمنا ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض باظهاره وتسليط المسلمين منهم على الكافرين لهدمت لخربت باستيلاء الكفار
على اهل الملل المختلفة في ازمنتهم وعلى متعبداتهم وقرا نافع وابو جعفر ويعقوب دفاع والباقون دفع وهما مصدران من دفع دفعا
ودفاعا او الاول من المفاعلة القادرة من الواحد للمعنى ولولا ان يدفع الله المشركين بجنود المسلمين وعساكر الموحدين لغلب
المشركون على المسلمين وعلى اهل الكتاب الذين في ذمتهم وهدموا متعبدات الفريقين وقرا نافع وابن كثير وابو جعفر لهدمت بتخفيف
الدال والباقون بتشديدها للتكثير صوامع قال مجاهد والضحاك صوامع الرهبان وقال قتادة صوامع الصابئين وبيع جمع بيعة
وهي كنيسة النصارى وصلوات قال ابن عباس هي كنائس اليهود اي مواضع الصلوات وقيل اصلها صلوتا بالعبرية فعربوه وقرا

الجحدري

الجحدري والكلبي صلوات وصُلُوت بضم الصاد واللام وفسرها الكلبي بانها مساجد اليهود وروى العباس عن هرون عن عاصم وصلوات وقال
هي مساجد النصارى وقرا جعفر بن محمد وصُلْوات بضم الصاد وسكون اللام والحجاج بن يوسف وصلوات بالباء وقال هي مساجد النصارى وقرا
الضحاك وصلوات بالثاء والكلبي وصلوثا بضم الصاد وفتحها مع ضم اللام وقرا مجاهد من طريق الحلواني وصلواثا وصلوثا وروى شيبان عن
سلام عن عاصم عن الجحدري وبياع وصلوات وصلوات وقال الصلوات دون الصوامع وكيف تهدم صلاة والكل مسطور في كتاب غرائب
القرآن للشيخ الامام النيسابوري وهو الشيخ الشاطبي هكذا ذكره في صدر كتابه والله اعلم ومساجد المسلمين
يذكر فيها اسم الله كثيرا صفة للاربع والمساجد خصت بها تفضيلا وتفضيلا ولينصرن الله من ينصره من ينصر دينه واولياءه وهو وعد
من الله باظهار دينه واهله على كل ما يغاير ذلك ويخالفه وقد انجز وعده بان سلط المهاجرين والانصار على اكابرهم ومخالفيهم
من العرب والعجم واورثهم ارضهم وديارهم واموالهم ان الله لقوي عزيز اي لغني بقدرته في اهلاك اعداء دينه عنهم وانما كلفهم
النصر باستعمال السيوف والرماح وسائر السلاح في مجاهدة الاعداء وبذل الارواح والاموال لينتفعوا به ويصلوا بامتثال الامر فيها الى المنافع
دينية ودنيوية وقيل لقوي على نصرهم عزيز لا يمانعه شيء الذين ان مكناهم في الارض اي مكناهم فيها واقدرناهم على التصرف فيها يعني
جعلناهم ملوكا يتصرفون فيها بامرهم ونهيهم وقيل نصرناهم على عدوهم حتى يتمكنوا في البلاد وقال جار الله ان مكنهم في الارض وبسطهم
في الدنيا وكيف يقومون بامر الدنيا ومن هذه رضي الله عنه هذا والله ثناء قبل بلاء يعني ان الله قد اثنى عليهم قبل ان يحدثوا من الخير ما احدثوا
قالوا وقتادة هم اصحاب محمد صلعم وقال الحسن هذه الآية وانما كان لنفعل ذلك بهم الله على جزيرة العرب الخ وافتتح على ايديهم بلاد المشرق والمغرب
حتى قتلوا ملك الاكاسرة والقياصرة وملكوا اموالهم وخزائنهم واستاسروهم وتصرفوا كيف شاءوا وحيث ارادوا وقالوا فيه دليل على صحة
امر الخلفاء الراشدين اذ لم يعط الله التمكين ونفاذ الامر مع السيرة العادلة غيرهم من المهاجرين لا حظ في ذلك للانصار والطلقاء
والذين منصوب بدلا من قوله من ينصره او مجرور صفة للذين اخرجوا اقاموا الصلوة اي حافظوا على الصلوة على الصلوة وداوموا عليها
امتثالا لامرنا اقيموا الصلوة وحافظوا على الصلوات وآتوا الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر اي بكل معروف شرعا ولله عاقبة
الامور اي مرجعها الى حكمه وتقديره وفيه تأكيد لما وعده من اظهار دينه واعلاء كلمة اهله وان يكذبوك يا محمد فقد كذبت قبلهم قوم نوح
وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط واصحاب مدين تسلية له وتسرية عنه لانه كان يغتم ويضيق صدره لاصرارهم على التكذيب و
تصميمهم على الجحود يعني ان قومك وان كذبوك واستمروا عليه فانك لست باوحدي في التكذيب فان الرسل قبلك قد كذبهم اقوامهم
وكفاك بهم اسوة وكذب موسى لم يقل وقوم موسى وغير فيه النظم بالمجهول لان موسى ما كذبه قومه بنو اسرائيل وانما كذبه القبط ولان تكذيبه كان
اشنع وآياته كانت اعظم واشيع ولعل الاحسن ان يقال انما غير ذلك لان بعض قومه وبعض القبط كمؤمن آل فرعون وغيره و
بعضهم قوله عليه السلام اوحى الله تعالى الى موسى ان قومك بنوا مساجدهم وخربوا قلوبهم وتسمنوا كما تسمن الخنازير يوم ذبحها واني نظرت
اليهم فلعنتهم فلا استجيب لهم ولا اعطيهم مسئلتهم فامليت للكافرين فامهلتهم واخرت عقوبتهم او مددت لهم في عمرهم والى
مالهم واولادهم حتى انقضت آجالهم المقدرة ثم اخذتهم فكيف كان نكير اي انكاري عليهم بان غيرتهم وابدلتهم بالنعمة محنة
ونقمة وبالحيوة هلاكا وبالعمارة خرابا فكاين من قرية اهلكتها باهلاك اهلها وقرا ابو عمرو ويعقوب اهلكتها بالمتكلم
وحده على وفق سباقه وسياقه والباقون اهلكناها بنون التفخيم على ما قال وكم من قرية اهلكناها وكاين معناها كم عند
سيبويه وكم الخبرية والظاهر مثل الزمخشري حيث قال ومعناه كم الخبرية كاين والنون المكتوبة بعد الياء وكاين هي التنوين قالوا
وقياسه ان لا يكتب كذلك كما في سائر المنونات لكنها كتبت هكذا في المصاحف اتباعا لخط الامام وهي ظالمة اي اهلها وهو بيان
لعدله وتقدسه عن الظلم حيث اخبر بانه لم يهلكهم الا اذا استحقوا الاهلاك بظلمهم وكفرهم ومعاصيهم وكفى بهذه الآية زاجرة
زجرا بليغا عن الظلم والمعاصي وباعثة على ايثار طريق العدل والانصاف فيما يتعلق بحقوق الله وحقوق عباده فهي خاوية
على عروشها اي ساقطة على سقوفها بان خرت سقوفها على الارض ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف من خوي النجم

والى الاخيرة

اذا سقطت او خالية مع بقاء عروشها وسلامتها من خوى المنزل اذا خلا من اهله وخوى البطن خال الجار اما متعلق بخاوية او خبر بعد خبر اي
خالية وهي على عروشها اي قائمة مشتملة على عروشها بان سقطت السقوف وبقيت الحيطان مائلة مشرفة على السقوف الساقطة والجملة عطف
على اهلكناها لا على وهي ظالمة لكونها حالا والاهلاك حالة ظلمها لا حالة خرابها وسقوطها فهي لا محل لها كالمعطوف عليه وهو اهلكناها
اذ نصبت كاين بمضمر يفسره اهلكناها وان رفعت بالابتداء فمحلها الرفع على الخبرية وبئر معطلة عطف على قرية اي وكم بئر عامرة في
البوادي عطلت اي تركت لا يستقى منها لهلاك اهلها وقرا الحسن معطلة من اعطله بمعنى عطله وقيل المعطلة هي التي عطلت فلا تستعمل
والمعطلة بالتخفيف هي التي لا ماء فيها وقال الامام النيسابوري في الغرائب حكى لنا ابو سلمة عمن سمع بعض العرب الموثوق بهم
يقول فعدت ابرة معطلة اي لم يكن فيها خيط وقصر مشيد مرفوع من شاد بناه اذا رفعه او مجصص من الشيد وهو الجص وقرا
عبيد بن عمير مشيد بشين بالياء والمعنى كم قرية اهلكناها وكم بئر عطلناها عن سقاتها وقصر مشيد اخليناه الباد والمعنى كم قرية
عن سكانه فترك ذلك لدلالة معطلة عليه وفيه دلالة على ان معنى خاوية خالية وان على عروشها بمعنى مع وقيل ان البئر المعطلة وا
لقصر المشيد باليمن والبئر في سفح جبل والقصر مشرف على قلته ولكل منهما قوم في نعمة فكفروا فاهلكهم وبقي البئر والقصر خاليين وعن
الضحاك ان هذه بئر نزل عليها صالح مع اربعة آلاف نفر ممن آمن به ونجاهم الله من العذاب وهي بحضرموت وانما سميت بذلك
لان صالحا حين حضرها مات وثمة بلدة عند البئر اسمها حضورا بناها قوم صالح وامروا عليهم جلهس بن جلاس واقاموا بها زمانا
ثم كفروا وعبدوا صنما فارسل الله عليهم حنظلة بن صفوان نبيا وكان حمالا فيهم فقتلوه في السوق فاهلكهم الله وعطل بئرهم وخرب
قصورهم افلم يسيروا في الارض حث لهم على ان يسافروا ليروا مصارع المهلكين بكفرهم وتكذيبهم ويشاهدوا آثارهم فيعتبروا وهم
وان كانوا قد سافروا ولم يروا ذلك لم يسافروا لذلك فتكون لهم قلوب يعقلون بها اي يعقلون ما يجب ان يعقل من التوحيد
بما حصل لهم من الاستبصار والاستدلال فتكون منصوبا على انه جواب الاستفهام وهو في التحقيق نفي كما لا يخفى على كل
من له مهارة بصنعة الاعراب وقرئ فيكون بالياء لوجود الفاصل او آذان يسمعون بها ما يجب ان يسمع من الوحي والتذ
كير بحال من شاهدوا آثارهم فانها ضمير الشان والقصة يجيء مذكرا ومؤنثا وقرا عبد الله فانه او مبهم يفسره الابصار وفي تعمي
راجع اليه والظاهر اقيم مقامه لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور عن التذكر والاعتبار يعني ان ابصارهم صحيحة سالمة
لا عمى بها وانما عميت قلوبهم وابيع عقولهم باتباع اهوائهم واباتهم العماة في بيد التقليد او لا يعتد بعمى الابصار فكانه
ليس بعمى بالاضافة الى عمى القلوب وفي ذكر الصدور مع دفع التجوز وفضل التنبيه على ان العمى الحقيقي ليس المعارض الذي يختص البصر
تقرير لكان العمى المسند الى القلوب اي جعله متقررا محققا ثابتا بحيث لا يظن انه غير متعارف وبيان ان مناط العمى الضار في
امر الدين هو القلوب الكائنة في الصدور لا الابصار واكثر الناس عميان ببصر القلب لا يبصرون به امر دينهم الا ترى الى قوله تعالى وتريهم ينظرون
اليك وهم لا يبصرون وقوله تعالى ولكن اكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون وقد صرح
النبي صلعم بالاعين الاربع لكل شخص في قوله عليه السلام ما من عبد الا وله اربعة اعين عينان في راسه يبصر بهما امر دنياه وعينان في قلبه
يبصر بهما امر دينه انه قاتله ومن كان في هذه اعمى الآية قال ابن ام مكتوم يا رسول الله انا في الدنيا اعمى افاكون في الآخرة فنزلت
ويستعجلونك بالعذاب انكار لاستعجالهم بالعذاب المتوعد بالعاجل والآجل كانه قال ولم يستعجلون به كانهم يجوزون الفوت وانما
يجوز ذلك على ميعاد من يجوز عليه الخلف ولن يخلف الله وعده لان الخلف منه ممتنع لكونه نقصا منافيا للالوهية وكمال الغنى فما وعد ليصيبهم
ولو بعد حين لكنه حليم صبور لا يعجل بالعذاب وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون لتناهي حلمه ووقاره وتانيه حتى استقصر المدد
الطوال او لتمادي عذابه وطول ايامه حقيقة او من حيث ان ايام الشدائد مستطالة وقرا ابن كثير والكسائي وخلف يعدون بالياء لقوله
ويستعجلونك والباقون بالتاء قصدا الى العموم لكونه خطابا للمستعجلين وللمؤمنين والعذر ان يوما واحدا عنده كالف سنة عندكم كما ياتيها القرينان
وكاين من قرية امليت لها اي وكم من اهل قرية امهلتهم وانظرتهم حينا كما امهلتكم وهي ظالمة وكانوا ظالمين مثلكم ثم اخذتها بالعذاب

والى المصير

والى المصير والى حكمي مرجع المصير وانما عطف الاولى بالفاء وهذه بالواو لان الاولى بدل من قوله فكيف كان نكير وهذه في حكم ما تقدمها من
الجملتين المعطوفتين وهو بيان ان المتوعد به يحيق بهم لا محالة وان تاخر لعادته تعالى قل يا ايها الناس انما انا لكم نذير مبين ظاهر الانذار لاهل
الكفر والعصيان بالنار والعقاب او مظهر لكم وكاشف ما انذركم به بحيث لا يلتبس عليكم وانما اقتصر على الانذار مع عموم الخطاب وذكر الفريقين
لان الكلام مسوق للمشركين ويا ايها الناس نداء لهم وانما ذكر المؤمنين وثوابهم ليزيد غيظهم فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة يجاوز
لما صدر منهم من السيئات ورزق كريم نعيم الجنة يعني لهم منافع حسنة دائمة على سبيل التعظيم وهذا معنى الثواب وقيل هي الجنة والكريم من كل نوع
ما يجمع فضائله والذين سعوا في آياتنا اسرعوا واجتهدوا في رد آياتنا وابطالها بالطعن فيها ونسبتها الى السحر والشعر وغير ذلك من
الافتراء معاجزين قرا ابن كثير وابو عمرو معجزين من التعجيز قيل اي مثبطين الناس عن الايمان وقيل ارادوا معجزين من لم يبلغ سبلهم في الطعن
وكانوا يتخوفون بذلك والباقون معاجزين بالالف قيل اي معاندين مشاقين وقال قتادة اي ظانين مقدرين انهم يعجزوننا بزعمهم ان لا
بعث ولا نشور ولا جنة ولا نار ومعنى يعجزوننا يفوتوننا فلا نقدر عليهم وقيل مسابقين مشاقين للساعين فيها بالقبول والتحقيق من عا
جزه فاعجزه وعجزه اذا سابقه فسبقه لان كلا من المتسابقين يطلب اعجاز الآخر عن اللحوق به وهو حال مقدرة من الواو اولئك اصحاب الجحيم
النار الموقدة وقيل اسم دركة وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي دليل بين على تغاير الرسول والنبي والرسول انسان ارسله الله تعالى
الى الخلق لتبليغ رسالته وتبيين ما قصرت عنه عقولهم من مصالح الدارين وقد يشترط فيه الكتاب بخلاف النبي فانه اعم ويعضده ما روي ان النبي عليه السلام
سئل عن الانبياء فقال مائة الف واربعة وعشرون الفا قيل فكم الرسول منهم قال ثلثمائة وثلثة عشر جما غفيرا في رواية مائتا الف واربعة وعشرون
الفا والرسول والمرسل بمعنى واحد من ارسله فلانا في رسالة فهو مرسل ورسول قال الله تعالى لمحمد وانك لمن المرسلين وقيل الرسول من بعثه
الله بشريعة مجددة يدعو الناس اليها والنبي يعمه ومن بعثه لتقرير شرع سابق كانبياء بني اسرائيل الذين كانوا بين عيسى وموسى عليهما السلام
ولذلك شبه النبي صلعم علماء امته بهم وفي تعريف الرسول نظر لانه غير جامع لم يدخل فيه من هو رسول بلا خلاف كيونس لانه لم يبعث بشريعة مجد
دة بل كان على شريعة عيسى قال الله تعالى وان يونس لمن المرسلين وقال تعالى فعززنا بثالث قالوا اي قوينا هما برسول ثالث هو يونس
او حبيب النجار او شمعون وايضا لو قالوا ابن عم الخلق اليها بدله قوله يدعو الناس لكان ادخل واشمل لان بعض الرسل كان يدعو الجن وا
لانس الى شريعة وقيل الرسول من ياتيه جبريل عيانا والنبي من يكون بنبوته الهاما او مناما الا اذا تمنى قيل احب شيئا واشتهاه
وحدث به نفسه ما لم يؤمر به وقال ابن عباس اذا حدث القى الشيطان في امنيته اي في مراده او في حديثه وقيل اذا قرا وزين في نفسه ما يهواه
القى الشيطان في تشهيه ما يوجب اشتغاله بالدنيا كما قال عليه السلام وانه ليغان على قلبي فاستغفر الله في اليوم سبعين مرة فينسخ
الله ما يلقي الشيطان فيذهب به ويبطله وقيل التمني ههنا محمول على تمني القلب وتفكره وذلك ما روي انه عليه السلام لما اشتد عليه اعراض
قومه عن دينه تمنى لحرصه وتهالكه على اسلامهم ان ينزل عليهم ما يقربهم اليه ويستميل قلوبهم واستمر به ما تمناه حتى كان في ناديهم فانزل
الله تعالى عليه سورة والنجم فلما اشتغل بقراءتها قرا بعد قوله ومناة الثالثة الاخرى تلك الغرانيق العلى منها الشفاعة ترتجى وروي
الغرانيق فلما سمعت المشركون فرحوا به حتى قالوا قد ذكر آلهتنا باحسن الذكر وسجدوا معه لما سجد في آخرها قال قتادة جرى ذلك على لسانه
بالقاء الشيطان ولم تكن له خبر فلم يلبث حتى ادركته العصمة فتنبه عليه وقيل نبهه جبرائيل عليه السلام وقيل ان الرسول لم يقراه ولكن
الشيطان تكلم بذلك وذكره بين قراءته واسمع الناس فظن المشركون ان رسول الله صلعم قرأه فاغتم به فعزاه الله بهذه الآية وهو مردود عند
اهل التحقيق حتى قالوا ان ذلك من مفتريات الحشوية والملاحدة الذين يطعنون في الانبياء ويتمسكون بذلك على فساد الكتاب بزعمهم
بعد البعثة وقال الجمهور تمنى بمعنى قرا كقوله تمنى كتاب الله اول ليلة تمني داود الزبور على رسله واصبح قراءته وقيل ربما كان ما ذكر من
العبارة قرآنا ويكون تلك الغرانيق اشارة الى الملائكة اي هم الشفعاء لا الاصنام فنسخ تلاوته لايهام اهل الشرك ان المراد به آلهتهم ثم
يحكم الله آياته اي يثبتها بثبت آياته الواضحة الى الاستقرار في امن الآخرة والله عليم عالم باحوال خلقه واحوالهم غير غافل عنها حكيم ذو الحكمة وهي
العلم بالاشياء كما هي والاتقان بالافعال على ما ينبغي وقيل الحكيم بمعنى المحكم من الاحكام وهو الاتقان التدبير واحسان التقدير قالوا في الآية دلالة

على جواز التهويم على الانبياء وتطرق الوسوسة اليهم فان الغفلة التي اذا تمنى شيئا وسوس اليه الشيطان ودعاه الى ما لا ينبغي حتى سبق سهوا ما قال
او غلطا الى ما قال فينسخ الله ينسخ ذلك ويهديه الى ترك الالتفات الى وسوسته ليجعل ما يلقي الشيطان علة لتمكين الشيطان منه وذلك يدل على ان الملقي
امر ظاهر عرفه المحق والمبطل فتنة للذين في قلوبهم مرض نفاق وشك والقاسية قلوبهم اي المشركين وان الظالمين يعني وان هؤلاء المنافقين وا
لمشركين واصله وانهم فاقيم المظهر مقام المضمر اظهارا للغضب عليهم وتسجيلا عليهم بالظلم المفرط في الغواية والضلالة لفي شقاق بعيد لفي خلا
ف بعيد من الحق كانهم صاروا بشق منه او من الله ورسوله كقوله ومن يشاقق الله ورسوله من شاقه مشاقة وشقاقا اذا خالفه وقال الجوهري المشا
قة والشقاق الخلاف والعداوة وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك اي وليعلموا ان القران هو الحق اي الثابت الذي لا يسوغ انكاره
لانه نازل من عند ربك من حق الامر اذا ثبت ووجب او تمكين الشيطان من الالقاء هو الحق الكائن من ربك لانه من سنتي التي قد خلت في
عباده من لدن آدم فيؤمنوا به فيزدادوا بالقران ايمانا مع ايمانهم ويقينا وطمانينة نفوسهم لان تظاهر الايات اقوى في اثبات الايمان في القلوب
واقر له في النفوس وازيد للبصيرة واليقين واقطع لوساوس الوهم ومغاديها او فيؤمنوا بربكم بانه ... ويثبتوا على التصديق والاقرار
به وانه هو الحق لا غير فتخبت له قلوبهم فتخشع له قلوبهم وتتواضع بالانقياد والخشية من الخبت وهو المطمئن من الارض وقيل اي فتسكن
اليه قلوبهم وفي الفاء الاولى دلالة على ان الايمان متفرع من العلم بالحق وفي الثانية على ان اخبات الجنان نتيجة الايمان والاذعان
للحق وقبوله وان الله لهادي الذين امنوا يخلق الهداية في قلوب المؤمنين الذين تمادوا على ايمانهم واستمروا به والهداية هي المعرفة
والبرهان وهو من صفات الفعل الى صراط مستقيم الى طريق قويم لا يضل فيه احد وقيل لهادي الذين امنوا الى ان يتاولوا ما يتشا
به في الدين بالتاويل وبيان القبيح ويطلبوا لما اشكل من المجمل الذي تقتضيه الاصول المحكمة والقوانين الممهدة حتى لا يلحقهم حيرة
ولا تعتريهم شبهة ولا تزل اقدامهم وقيل لهاديهم فيما اشكل الى صراط مستقيم هو نظر صحيح يوصلهم الى ما هو الحق فيه وهما متقا
ربان واما اذا فسر الهادي بالمختص باختراع الهداية في قلوب الذين امنوا كان الخالق والباري معناهما المختص باختراع الاشياء
فيكون من صفات الذات وقرا ابن ابي عبلة وابو حيوة وابو البرهسم لهاد الذين امنوا بالتنوين ولا يزال الذين كفروا في مرية في شك منه اي
من القران او الرسول او مما القى الشيطان في امنيته يقولون ما باله ذكرها بخير ثم ارتد عنها وقيل من الدين وهو الصراط حتى تاتيهم الساعة بغتة
تاتيهم القيمة فجاءة على غفلة منهم او اشراطها او الموت وقرا ابو عمرو في رواية للحلواني بغتة بفتح الغين او ياتيهم عذاب يوم عقيم قال الضحاك
هو يوم القيمة والمراد بالساعة مقدماته والجمهور على ان المراد بيوم عقيم يوم بدر سمي به لان اولاد النساء يقتلون يوم الحرب فيصيرون
كانهن عقم لم يلدن او لان المقاتلين ابناء الحرب فاذا قتلوا وصف يومها بالعقيم مجازا او لانه لا خير فيه يقال ريح عقيم او يوم القيمة وكانه قيل
حتى تاتيهم الساعة او ياتيهم عذابها فوضع يوم عقيم موضع الضمير للتهويل الملك يومئذ لله وحده من غير منازع يحكم بينهم بالمجازاة
والضمير يعم المؤمنين والكافرين لتفصيله بقوله فالذين امنوا ثبتوا على الايمان بالله وبما جاء من عنده وعملوا الصالحات في جنات النعيم فضلا
من الله وانعاما والذين كفروا وكذبوا باياتنا ثبتوا على الكفر وتكذيب ايات الله وكان كفرهم وتكذيبهم لها في آخر الحياة المتطاولة
لكفرهم وتكذيبهم في اولها لا يتكافون عن ذلك الا انه شاهد واما وعد واداي يبين فاولئك لهم عذاب مهين يذهب بعزهم وكبرهم
راسا بالكلية ويلحقهم من الخزي والصغار ما لا يحيط به الوصف وقيل انه قال لهم عذاب ولم يقل في عذاب لان عقاب الكافرين مسبب
من اعمالهم والذين هاجروا في سبيل الله فارقوا اوطانهم وعشائرهم في طاعة الله وابتغاء مرضاته ثم قتلوا في المهاجرة
او المجاهدة وقرا ابن عامر قتلوا بالتشديد والباقون بالتخفيف او ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا هو الجنة ونعيمها وسوى
بين من قتل منهم ومن مات في الوعد لاستوائهما في المهاجرة في سبيل الله ولاجله وفيه من التفخيم لشان المهاجرة لله والاظهار لفضلها
ما لا يخفى روي ان بعض اصحاب رسول الله قالوا يا نبي الله هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا ما اعطاهم الله من الخير ونحن
نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا ان متنا معك فانزل الله تعالى هاتين الايتين الى قوله حليم وان الله لهو خير الرازقين فانه يرزق
بغير حساب وقيل هو قوله بل احياء عند ربهم يرزقون ليدخلنهم مدخلا يرضونه هو الجنة التي لهم فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الا

عين

عين وان الله لعليم بنياتهم وساير ما يتعلق بهم من اعمالهم ودرجاتهم ومراتب استحقاقهم لا يخفى عليه شيء منها ولا يغفل عنه لان الخفا
والغفلة لا يجوزان على عالم الغيب والشهادة وهو من وراء جزاء العاملين حليم عن تفريط المفرط منهم بفضله وكرمه قالوا الحليم الذي
لا يعجل العقاب للعصاة وقيل الذي يشاهد معصية العصاة ويرى مخالفة الامر ثم لا يستفزه غضب ولا يعتريه غيظ ولا يحمله على المسا
رعة الى الانتقام مع غاية الاقتدار رحمة وبطشا كما قال ولو يواخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة روي ان ابراهيم عليه السلام
راى عاصيا في معصية فدعا عليه وقال اللهم اهلكه ثم راى ثانيا وثالثا ورابعا فدعا عليه فقال الله تعالى يا ابراهيم لو اهلكنا كل عبد
عصى ما بقي الا القليل ولكن اذا عصى امهلناه فان تاب قبلناه وان استغفر اخرنا العقاب عنه لعلمنا انه لا يخرج عن ملكنا ذلك اي الامر
ذلك الذي قصصنا عليكم وبيناه لكم ومن عاقب بمثل ما عوقب به العقاب الاول بمعنى الجزاء اي من جازى الظالم بمثل ما ظلم ولم يزد
في الاقتصاص وقال الحسن اي قاتل المشركين كما قاتلوه وسمى الابتداء بالعقاب الذي هو الجزاء للازدواج او لانه مشتمل من حيث انه
سبب وذاك مسبب عنه كما يحملون النظير على النظير والنقيض على النقيض للملابسة والمصاحبة والمعنى ان المعاقب اذا قابل المعاقب يجب ان يقا
بلها بمثلها من غير زيادة واذا فعل ذلك ثم بغي عليه ظلم عليه بالمعاودة الى العقوبة لينصرنه الله لا محالة نزلت في قوم من المشركين اتوا
قوما من المؤمنين لليلتين بقيتا من المحرم فكره المسلمون قتالهم وسالوهم ان يكفوا عن القتال من اجل الشهر الحرام فابى المشركون فقاتلوهم
فذلك بغيهم عليهم وثبت المسلمون لهم فنصروا عليهم ان الله لعفو محاء للذنوب بازالة اثارها من ديوان الحفظة والقلوب بالكلية كي لا يطا
لبهم بها يوم القيمة ولا يخجلوا من تذكرها وبان يثبت مكان كل ذنب عملا صالحا كما قال اولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات غفور اي
مريد لازالة العقوبة عن مستحقها من الغفر وهو الستر اي ستور عليهم وقدم العفو لانه ابلغ فانه ينبئ بالمحو الذي هو ابلغ من
الستر وفيه اشارة الى ان الاليق بالمنتصر والاقرب بحاله ان يعفو ويغفر عن كل من ظلمه ويقابله بالاحسان ولا يذكر ما صدر عنه من انواع
الجفاء واصناف الاذى فانه متى فعل ذلك فان الله اكرم الاكرمين اولى ان يفعل ذلك على الانتصار لا يكاد يؤمن فيه تجاوز التسوية والا
عتداء خصوصا في حال الغضب والحرد والتهاب الحمية فربما كان المنتصر من الظالمين وهو لا يشعر وقيل العفو اقرب للتقوى ولمن صبر و
غفر ان ذلك لمن عزم الامور وفيه تعريض بالحث على العفو والمغفرة وتنبيه على انه قادر على العقوبة اذ لا يوصف بالعفو الا القادر على ضده
ذلك اي ذلك النصر بان الله بسبب انه القادر على ما يشاء ومن اياته قدرته البالغة انه يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل اي
يحصل ظلمة في مكان ضياء النهار بتغييب الشمس وضياء النهار في مكان ظلمة الليل باطلاعها وجعلها طالعة او يزيد في احد الملوين
ما ينقص من الاخر من الساعات او بسبب انه خالق الليل والنهار ومصرفهما فلا يخفى عليه ما يجري فيهما على ايدي عباده من
الخير والشر والبغي والانصاف وان الله سميع بما يقولون بصير بما يفعلون لا يخفى عليه شيء منه ومن غيره ذلك الوصف بكمال القدرة وا
لادراك ويخلق الملوين بان الله بسبب ان الله هو الحق اي العدل او الواجب لذاته الذي لا يحتاج في وجوده الى غيره او الثابت الا
لهية ولا يصلح لها الا من له القدرة على كل مقدور والعلم بكل شيء لان العجز عن البعض او الجهل بالبعض نقص وافتقار الى
مخصص يجب تنزيهه عن ذلك وقيل بمعنى الحق المحق اي الصادق في القول وقيل مظهر الحق وان ما يدعون من دونه وان
كان كل ما يدعى الها دونه وقرا الحسن ويعقوب وانما بكسر الهمزة على الاستيناف لا نسقه على قوله بان الله هو الباطل المعدوم الهالك
في حد ذاته او باطل الدعوة او الالوهية وقرا ابو عمرو وحفص والكسائي وحمزة يدعون بالياء اخبارا عن المشركين والباقون بالتاء على خطا
ب المشركين وقرا اليماني يدعون بلفظ المجهول فتعود الواو الى ما لانه في معنى الالهة وان الله هو العلي شانا اي امره وجلاله في ذاته وصفا
ته وافعاله لانه اعلى منه شانا لانه فوق الكل بالاضافة وبحسب الوجوب وهو فعيل من العلو في مقابلة السفل وهما في الامور المحسوسة
كالعرش والكرسي مثلا وفي الامور المعقولة كما بين النبي وامته وبين الخليفة والسلطان والعالم والمتعلم من التفاوت في الفضل والشرف وا
لكمال والرفعة ولما تقدس الخلق سبحانه عن الجسمية تقدس علوه عن ان يكون بالمعنى الاول وهو الامور المحسوسة فتعين واختص بالثاني
اذا تحقق هذا فنقول انا لا نفرض درجة رفيعة او مرتبة شريفة الا والله تعالى تقدس في ارفع الدرجات واعلى المراتب لانه تعالى

واجب الوجود وكل ما سواه في الحقيقة ممكن الوجود والواجب اعلى واشرف من الممكن جائز الوجود ولانه تعالى مؤثر وحق وما سواه اثر وباطل
كما قال لبيد الا كل شيء ما خلا الله باطل فهو سبحانه ارفع واعلى واشرف واجل مما سواه في الرجحان العقلية واما انتبها تعالى عنه انه يكون في الجهة
الجهة والمكان لما مر من ان ادراكه قديم سواه الكبير العظيم السلطان الذي لم يكن له شريك في الملك والحكم او الذي كبر عن صفات الاجسام وجل عنها
والجمهور على ان العلي الكبير بمعنى العظيم وفسر العظيم بالذي انتفى عنه صفات النقص وحصل له جميع صفات الكمال ولا بعد
في اشتمال الاسم الواحد على معان تنقسم الى النفي والاثبات والكبير هو ذو الكبرياء ومعنى الكبرياء كمال الذات اعني به الوجود وكمال الوجود
بشيئين احدهما ان يصدر عنه كل موجود والثاني ان يدوم اذ كل وجود مقطوع بعدم سابق او لاحق فهو ناقص ولذلك يقال للانسان
اذا طالت مدة وجوده انه كبير اي كبير السن طويل مدة البقاء ولا يقال عظيم السن فالكبير يستعمل فيما لا يستعمل فيه العظيم الم تر ان الله
انزل من السماء ماء استفهام تقرير ولذلك رفع قوله فتصبح الارض مخضرة عطف على انزل اذ لو نصب جواب الاستفهام لدل على نفي الفعل في قوله
افلم يسيروا في الارض فينظروا وعلى نفي كون قلوب غافلة في قوله افلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها ان لو كان نظر الاستدلالي
وعقل متحققين لهم لكان طلبهما منهم طلب الحاصل وهو محال لان تحصيل الحاصل فليتأمل وبهذا علم قطعا ويقينا ان عبيد بن عمير قد
تبع في الخطاء في قراءة فتصبح على ما رواه صاحب الغرائب ونظيره قوله الم تراني موردتك فتحسن الي اي نعمة فانت مثبت لاحسانه
نصبه فانت ناف لاحسانه شاك تفريطه فيه واورد بلفظ المضارع ليدل على بقاء اثر المطر زمانا بعد زمان وقرئ مخضرة بوزن مفعلة اي
ذات خضر كمسبعة ان الله لطيف فاعل اللطف يلطف بكل احد من حيث لا يعلم ولا يحتسب او عالم بخفيات الامور وقيل واصل علمه او فضله
الى كل شيء وقيل يصل علمه او لطفه الى كل ما جل ودق خبير عليم بالظواهر والبواطن فيكون عنده خبر كل شيء يجري في الملك والملكوت له ما في
السموات وما في الارض يعني جميع ما في السماوات وما في الارض مختصة به خلقا وملكا وعلما فهو يملك امور خلقه ويدبرها ويجريها على حسب
ما يصلحهم وهو اعلم به وهذه الجمل في موقع التعليل لما تقدم من صفاته الدالة على عظمة شانه وكبريائه وكمال لطفه وعلمه كانه قيل وحق مثله
ان يكون متصفا بتلك الصفات جامعا لها لانه قد ظهرت اثار عظمته وعزته وقدرته ولطفه علمه وعمله او خبر بعد خبر ورد مشعرا بزيادة
الدلالة على العظمة والجلال وان من توصل بره الى جميع عباده بحيث لا يبلغه وهم احد من كليته وجزئيته ولطف علمه حتى تغلغل الى
دقائق الكائنات الملك والملكوت وغوامضه ودقائقه واخفيها مما لا يمكنه كنه الا الله من اثار عالم الغيب والشهادة وملكوته العظمى التي
تدل على علو شانه لكان حقيقا ان يختص به جميع الممكنات وعلم ما فيها وتعرفه ولا يتخطاه ولا يعوص يعدوه وفيه من الدلالة على
وحدته وعدم التشريك له في ملكه وانه هو الصانع لجميع العوالم ما لا يخفى وان الله لهو الغني الذي لا يحتاج الى شيء اصلا وهو المستغني
عن العالمين الحميد المحمود المستحق للحمد والثناء بذاته وصفاته وافعاله ونعمه الم تر ان الله سخر لكم ما في الارض جعل ما فيها من البهائم
منذللة لكم معدة لمصالحكم ومنافعكم والفلك عطف على ما او على اسم ان وقرئ بالرفع على الابتداء تجري في البحر بامره حال منها اي
والمراكب جارية في البحر باذنه وتيسيره ومشيئته ويمسك السماء ان تقع على الارض اي من ان تقع او كراهة ان تقع بان خلقها على صورة
مستدعية الى الاستمساك او بان لا تقع كما قدر في نظايره وان لم يرد به نفي الجهات يقال امسك الشيء اذا اخذه والوقوع السقوط الا باذنه بامره
وامره ورضاه وذلك يوم تنشق السماء بالغمام وتنفطر وتنزل الملائكة الى الارض وفيه رد لاستمساكها بذاتها فانها مساوية لسائر الا
جسام في الجسمية فتكون قابلة للميل الهابط قبول غيرها ان الله بالناس لرؤف لرحيم للتخفيف على عباده رحيم بهم بين الانعام
عليهم حيث سخر لهم ما في الارض والفلك وامسك السماء فوقهم كالقبة المضروبة والخيمة المطنبة وسويها مشتملة على غرايب دينية ودنيوية
وحكم ربانية لتكون لهم مطارح اعتبار ومسالك الى النظر الموصل الى الموجود صانعها ووحدته وعظيم قدرته وباهر حكمته مع ما يتعلق بهم فيها
من النعم والمنافع التي لا تحصى والموافق التي لا تعد فتيقنوا عند ذلك انه لا بد لها من خالق سخر لها بحكمه امسكها بقدرته ليس كمثله
شيء وانه من شبهه او اشرك به فقد كابر عقله وانسلخ عن قضية التمييز راسا وبالكلية ونظر على ما انعم عليه من عرفته التي هي اجل النعم
وانعمها وهو الذي احياكم اي جعلكم احياء بعد ان كنتم امواتا نطفا في اصلاب آبائكم وقال الامام ابو زيد تفسير الاحياء الاقتدار على

الافعال

ومشتبهة

الافعال الاختيارية ثم يميتكم بعد هذه الحيوة عند انصرام اجالكم المقدرة ثم يحييكم بعد هذا الموت يوم البعث للحساب والجزاء ان الانسان لكفور
لبليغ الكفران والجحود للنعم مع ظهورها وفي وروده بلفظ المظهر تسجيل على ان هذا الجنس موسوم بكفران النعم كما قال ان الانسان لربه لكنود
اي لنعم ربه لشديد الكفران لكل امة جعلنا منسكا اي لكل اهل دين جعلنا شريعة هم ناسكوه اي عاملون بها وقيل موضع قربان يذبحون
فيه لوجهنا منسكا بكسر السين وابو عمرو بفتحها قيل هما لغتان بمعنى واحد الكسر نجدي والفتح حجازي واسدي وقيل المكسور موضع النسك كما
ذكر والمفتوح مصدر بمعنى النسك اي شرع الله لكل امة ان ينسكوا له اي يذبحوا لوجهه او يعبدوا له وكلاهما المشهور في استعمال القوم
فلا ينازعنك فلا يجادلنك سائر ارباب الملل في الامر الدين والنسك لانهم بين جهال واهل عناد او لان امر دينك من المنازعة اظهر من
الى نزاعهم فانها انتفع الطالب والحق هؤلاء اهل مراد ومن منازعهم كي تقول لا يضاربنك فلان اي لا تضاربه وهذا جائز في فعل ليس
الا بين اثنين وعلى الاول يكون زجرا لهم عن التعرض لرسول الله بالمنازعة في الدين وهم جهال لا علم عندهم وهم كفار خزاعة روي ان بديل
بن ورقاء وبشر بن سفيان الخزاعيين وغيرهما قالوا للمسلمين ما لكم تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتله الله يعنون الميتة فنزلت الاية ناهية
او ناهيه وقرئ ينزعنك اي اثبت في دينك ثباتا لا يطمعون ان ينزعوك ويجذبوك ليزيلوك عنه والمراد تهييج رسول الله والمبالغة في تثبيته على
دينه والهاب غضبه وقال الزجاج هو من نازعته فنزعته اي غلبته اي لا يغلبنك في المنازعة وانما جاءت نظيرة هذه الاية مع الواو وعدم
بغيرها لان تلك وقعت مع ما يناسبها من الاي الواردة في امر النسائك فعطفت على اخواتها بخلاف وادع الى ربك الى الايمان به وعبادته
انك لعلى هدى مستقيم اي طريق الى الحق سوي وان جادلوك بعد ان ظهر الحق ولزمة الحجة فقل الله اعلم بما تعملون من المجادلة الباطلة
وغيرها فهو مجازيكم بها وهذا وعيد وانذار بوعيد ولين الله يحكم بينكم اي لا يفصل بين المؤمنين منكم والكافرين بالثواب والعقاب
الا الله وحده وتقديم اسمه تعالى مبتدا وبنيانا عليه يحكم هو الدال على معنى الاختصاص بالحكم المراد به الفصل والمعنى انكم لا تقدرون
على ذلك يوم القيمة كما لم يفصل في الدنيا بالحجج والايات النيرة الا هو ولم يستطع ذلك احد منكم فيما كنتم فيه تختلفون من امر
الدين فيفرق الكفرة حينئذ الحق من الباطل والاختلاف ذهاب بعض الخصوم الى خلاف ما ذهب اليه البعض الاخر منهم الم تعلم
قد علمت ان الله يعلم ما في السماء والارض اي يعلم ما في العالم غير غافل عن شيء منه ولا ناس فهو مطلع على كفر وايمان من امن
وهو مجازيهم عليه ان ذلك كله في كتاب وهو اللوح كتب وخط فيه كل ما هو كائن قبل حدوثه وظهوره فلا يهمنك امرهم مع علمنا
وحفظنا له ان ذلك اي ان علمه بجميع ذلك واثباته في اللوح او الحكم بينكم على الله يسير وان كان عسيرا على العباد وذلك لان المقتضي لعلمه
خصوصية ذاته لوجوب استناد صفاته والمقتضي للمعلومية ذوات المعلومات ومفهوماتها ولا شك ان نسبة ذاته الى جميعها سواء فاذا
كان عالما ببعضها كان عالما بكلها ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا حجة تدل على جواز عبادته من جهة الوحي والسمع
وما ليس لهم به علم حصل لهم به من ضرورة العقل او استدلاله فعلوا ما فعلوا عن جهل مفرط وظلم متمادي وما للظالمين وما
للذين ارتكبوا مثل هذا الظلم من نصير من احد ينصرهم ويصوب مذهبهم او يدفع العذاب عنهم واذا تتلى عليهم اياتنا من القران
بينات مرتلات الالفاظ ملخصات المعاني مبينات المقاصد او ظاهرات الاعجاز تحدي بها فلم يقدر على معارضتها او حججا وبراهين
تدل على صدق محمد صلعم وصحة نبوته وعلى العقائد الحقة والاحكام الالهية وهي حال مؤكدة كقوله هو الحق مصدقا لان آيات
الله لا تكون الا واضحة وحججا تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر الفظيع من التجهم والبسور او الانكار لفرط نكيرهم للحق كالمكرم بمعنى
الاكرام وقرئ المنكر يعرف والمنكر يكادون يسطون يثبون ويبطشون بالذين يتلون عليهم اياتنا اي محمد صلعم واصحابه من شدة
الغيظ والغيظ يقال سطا سطوا اذا وثب وبطش به وقيل اذا تناوله بالبطش والعنف ثم قال واصل السطو القهر قل افانبئكم
بشر من ذلكم من منكركم او من غيظكم على التالين وسطوكم عليهم او مما اصابكم من الكراهة والضجر بسبب ما تلى عليكم النار اي هو
النار كانه جواب قائل قال ما هو وقرئ بالنصب على الاختصاص وبالجر على البدل من شر وقوله وعدها الله الذين كفروا استيناف

كلام او خبر النار او حال منها باضمار قوله اذا نضيتها او جوزتها وبمثله يستدل على ان لفظ الوعد يستعمل في الشر ايضا وبئس المصير النار وهي
المخصوصة بالذم يا ايها الناس ضرب مثل بين لكم صفة او حال او قصة هي في الحسن والغرابة كالمثلات السايرة وجعل الله مثل اي مثل
في استحقاق العبادة كقولهم ضرب للجزية على اليهود والنصارى اي يفعل ذلك عليهم والاول هو الوجه وقرا ابن يعمر ضرب مثلا معلوما
فاستمعوا له اوثانه استماع تدبر وتفكر ان الذين يدعون من دون الله قرا ابو عمرو وحمزة والكسائي وحفص يدعون بالياء اخبارا عن الكفرة والباقون
بالتاء خطابا لهم والعايد الي الموصول محذوف في القراتين وقرئ يدعون مبنيا للمفعول لن يخلقوا ذبابا لا يقدرون على خلق ذباب
واحد مع صغره وضعفه لان لن بما فيها من تاكيد النفي دالة على منافاة ما بين المنفي والمنفي عنه والذباب من الذب لانه يذب وجمع القلة
اذبة وكثرة ذباب مثل غراب واغربة وغربان وقال بعض الملوك لبعض العلماء لم خلق الذباب فقال خلقها الله تعالى ليذل بها الجبا
برة ولو اجتمعوا له في موقع النصب على الحال من الواو كانه قيل لا يقدرون على خلقه مشروطا عليهم اجتماعهم جميعا له وتعاونهم عليه وكيف
اذا كانوا منفردين وقيل مع الجواب المقدر في موضع حال جيء بها للمبالغة اي لا يقدرون على خلقه مجتمعين له متعاونين عليه ولا يخفى ما فيه من
تفويت فايدة وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه جهلهم غاية التجهيل والاستركاك بان اشركوا الها تقدر بالقدرة
على كل مقدور وايجاد كل موجود والاحاطة بكل معلوم صورا وتماثيل لا تعجز عن هذا لا تقدر على خلق اقل الاشياء وانها ولو اجتمعوا
لو تعاضدوا بل لا تقدر على ذب هذا الخلق الاقل الاذل عن نفسها واستنقاذ ما تختطفه منها واستخلاصه عن ابن عباس انهم كانوا يطلونها
بالزعفران ورؤوسها بالعسل ويغلقون عليها الابواب فيدخل الذباب من الكوى فياكله وقال ابن زيد كانوا يحلون الاصنام باليواقيت واللالي
وانواع الجواهر ويطيبونها بالوان الطيب فربما يسقط منها واحدة فياخذها طاير او ذباب فلا تقدر الالهة على استردادها والتسلب الاخس
ضعف الطالب والمطلوب اي ضعف عابد الصنم ومعبوده وقال ابن عباس ضعف الزباب والصنم فان الذباب يطلب الزباب ليستنقذ منه ما
سلبه وهو ضعيف جدا بطلبه بادي من تاملكها فان الصنم جاد لا طلب له ولا استنقاذ له وقال سليمان بن منصور اضعف الطالب ما قدروا الله
حق قدره اي ما عرفوه حق معرفته حيث اشركوا به وسموا باسمه ما هو منسلخ عن صفاته باسرها واضعف من الذباب بدرجات كثيرة فهم
ينبههم على عظمته وجلالة شانه فقال ان الله لقوي لقدير لبليغ القدرة على خلق الموجودات كلها واخراجها من العدم الى الوجود وتفسير
القوي بالقادر كما سطروا شيء في كتب المتكلمين تعريفا كما لا يخفى على الواضح من علماء العربية لان القوي فعيل وهو من ابنية المبالغة
بخلاف الفاعل والعجب من الزمخشري كيف فسره به مع انه من اطول الناس باعا في علمها عزيز بليغ العزة يغلب كل شيء ولا يغلبه احد
فكيف يتخذ العاجز المغلوب شريكا له وينبههم الله يصطفي يختار من الملائكة رسلا هم جبريل وميكائيل واسرافيل وغيرهم من الذين
اصطفاهم الله تعالى بالرسالة والسفارة بينه وبين انبيائه بالوحي ومن الناس اي ويصطفي من الناس رسلا مثل آدم ومحمد وغيرهما
ممن ان يكون الرسول من البشر لما في زعمهم الفاسد واعتقادهم الباطل من التنافي بين الرسالة والبشرية وبيان ان رسل الله على
نوعين ملائكة وبشر وقيل كانت ما تعتقد روح القدس في الالوهية ونفى ان يشاركه غيره في صفاتها بين ان له عبادا مصطفين للرسالة يتوسل
بإجابتهم والانقياد لهم الى عبادة الله تعالى وهو على المراتب ومنتهى الدرجات لمن عداه من الموجودات تعريضا للنبوة وتزييفا لقولهم
ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى والملائكة بنات ونحو ذلك ان الله اي الذات الواجب الوجود الذي يكون وجوده من ذاته ولا يفتقر
الى شيء اصلا سميع درّاك لكل شيء من شانه ان يسمع بصير دراك لكل شيء من شانه ان يبصر دركات لا على سبيل التخيل والتوهم ولا على
طريق حاسة ووصول هواء يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم عالم بواقعها ومترتبها وقال ابن عباس يعلم ما قدموا وما خلفوا وقال الحسن ما
عملوا وما هم عاملون من بعد وقيل ما بين ايدي ملائكته ورسله قبل ان خلقهم وما هو كاين بعد فنائهم والى الله ترجع الامور والبه مرجع
الامور كلها لانه مالكها بالذات والذي هو بهذه الصفات لا يسئل عما يفعل من الاصطفاء وغيره وهم يسالون يا ايها الذين آمنوا
اركعوا واسجدوا في صلوتكم امرهم بالركوع والسجود لانهم ما كانوا يفعلونهما اول الاسلام او صلوا فعبر عن الصلوة بهما لانهما اعظم اركانها

عند ربكم

واخضعوا الله وخروا له سجدا واعبدوا ربكم من صلة الارحام بركوعكم وسجودكم وجه الله وافعلوا الخير واعملوا كل ما هو خير لكم من صلة الارحام
ومكارم الاخلاق وساير الطاعات كقوله واعملوا صالحا لعلكم تفلحون اي افعلوا هذه كلها وانتم راجعون للفلاح طامعون فيه غير متيقنين لها
تقين على اعمالكم والفلاح الفوز والظفر بالمطلوب والاية آية سجدة وهو قول عمر وعلي وابن مسعود وابن عباس واليه ذهب ابن المبارك
والشافعي واحمد واسحق استدلالا بظاهر ما فيها من الامر بالسجود وبما روي عن عقبة بن عامر وقال قلت يا رسول الله فضلت سورة
الحج بان فيها سجدتين قال نعم ومن لم يسجدهما فلا يقراهما ابو حنيفة واصحابه وسفيان الثوري لا يرون فيها الا سجدة واحدة لانهم يقولون كل موضع
في القران قرن فيه الركوع بالسجود يراد سجدة صلوة لا سجدة تلاوة وجاهدوا في الله من اجله اعداء دينه الظاهرة كاهل الكفر والزيغ والباطنة
كالنفس والهوى وهو الجهاد الاكبر روي ان النبي عم عارجع عن غزوة تبوك قال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر قالوا اراد بالجهاد
الاصغر الجهاد الكفار وبالجهاد الاكبر الجهاد مع النفس حق جهاده اي جهادا فيه حقا خالصا لوجهه فعكس واضيف الحق الى الجهاد مبالغة كقولك
حق عالم حقا واضيف الجهاد الي الضمير اتساعا في الظرف كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا ولانه مختص بالله من حيث انه مفعول لوجهه ومن اجله
وقال الضحاك ومقاتل اعملوا لله حق عمله واعبدوه حق عبادته وقال السدي حق جهاده هو ان يطاع فلا يعصى وعن ابن عباس هو استفراغ
الطاقة فيه وقال ايضا في رواية لا تخافوا في الله لومة لائم وقال ابن المبارك هو مجاهدة النفس والهوى وهو الجهاد الاكبر وقال مقاتل بن سليمان
نسختها فاتقوا الله ما استطعتم هو اجتبيكم اختاركم لدينه ولنصرته وفيه تنبيه على المقتضي للجهاد والداعي اليه وما جعل عليكم في الدين من حرج من
ضيق بتكليف ما يشق القيام به عليكم اشارة الى انه لا مانع لهم عنه ولا عذر لهم في تركه او الى الرخصة في اغفال بعض ما امرهم به حيث شق عليهم
لقوله عليه السلام اذا امرتكم بشيء فاتوا منه ما استطعتم وقيل ذلك بان جعل لهم من كل ذنب مخرجا بان رخص لهم في المضايق وفتح عليهم باب
التوبة وشرع لهم الكفارات في حقوقه والاروش والديات في حقوق العباد ونحوه قوله يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وامة محمد صلى
الله عليه وسلم هي الامة الموجوعة الموسومة بذلك في الكتب المتقدمة والاحاديث الالهية وعن رسول الله صلعم قال ان عيسى بن مريم قال يا رب
اخبرني عن هذه الامة المرحومة فاوحى الله اليه انها امة محمد حكماء علماء كانهم من الحكمة والعلم انبياء يرضون باليسير من العطاء وارضى منهم باليسير
من العمل ادخل احدهم الجنة بان يقول لا اله الا الله ملة ابيكم ابراهيم نصب الملة على المصدر لفعل دل عليه مضمون ما قبلها كانه قيل وسع دينكم
توسعة ملة ابيكم ثم حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه او على الاختصاص اي اعني بالدين ملة ابيكم مثل الحمد لله الحميد او على نزع الخافض اي كملة
ابيكم او على الاغراء اي اتبعوا ملة ابيكم وانما امر باتباع ملة ابراهيم لانها دين الاسلام الذي وجب على كل احد ان يتبعه بقبيله وانما جعله
اباهم لانه ابو رسول الله صلعم فكان ابا الامة لان امة الرسول في حكم اولاده او لان اكثر العرب كانوا من ذريته فغلبوا على غيرهم وقيل خاطب
به العرب وهم كانوا من نسل ابراهيم هو سماكم المسلمين الضمير عايد الى الله والى ابراهيم ويعضد الاول قراءة ابي الله سماكم من قبل اي من
قبل القران في ساير الكتب السماوية وفي هذا اي في القران وتسميتهم مسلمين في القران وان لم يكن منه كان بسبب تسميته من قبل في قوله ربنا واجعلنا
مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك وقيل من قبل هذا الوقت وفي هذا الوقت وهو ربنا واجعلنا مسلمين لك وقيل وفي هذا القران في
هذا بيان تسميته اياكم مسلمين ليكون الرسول متعلق بسماكم بهذا الاسم الاكرم ليكون الرسول يوم القيمة شهيدا عليكم بانه قد بلغكم فيدل على قبول
شهادته لنفسه اعتمادا على عصمته او بطاعة من اطاع وعصيان من عصى وتكونوا شهداء على الناس بان قد بلغتهم فاذا خصكم بهذه الكرامة
والاثرة فاقيموا الصلوة واتوا الزكوة فاعملوا عمل المسلم الشاهد في المحافظة على عبادته وطاعاته لا سيما الصلوة والزكوة والثقة بالله
فانها اعمدة الاسلام واركانها او فاعبدوه وتقربوا اليه بانواع العبادات واصناف الطاعات واعتصموا بالله وثقوا به في جميع اموركم
ولا تطلبوا النصرة والولاية الا منه وعن ابن عباس سلوا ربكم ان يعصمكم من كل ما يكره وقال الحسن تمسكوا بدين الله وقيل بالكتاب
والسنة وقيل ادعوه ليثبتكم على دينه اللهم يا منزل القران العظيم نسالك بوجهك الكريم ان تثبت قلوبنا على دينك وطاعتك حتى نلقاك و
ان تعصمنا من الذنوب كلها ومن الشقاوة عند النزع وسوء الخاتمة وعذاب القبر كله وضغطته وشر يوم القيمة باسره وتصلي على محمد
وعترته بوجهك يا ارحم الراحمين هو موليكم سيدكم وانتم عبيده او ناصركم امركم فنعم المولى هو ونعم النصير هو اذ لا مثل له في الولاية والنصرة

بلا اول ولا ناس سواه في الدنيا والآخرة وما بينهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحج اعطي من الاجر كحجة حجها وعمرة
اعتمرها بعدد من حج واعتمر فيما مضى وفيما بقي

سورة المؤمنون مكية وهي مائة وتسع عشرة آية عند البصريين وثماني عشرة آية عند الكوفيين

بسم الله الرحمن الرحيم قد افلح المؤمنون قد ظفروا بالمراد وامنوا الشقاوات وقال ابن عباس قد سعد المصدقون بالتو
حيد وبقوا في الجنة وهذا انما تصح بان المراد بالايمان التصديق كما هو المختار عندنا وقد نقيضة لما لانه يثبت المتوقع ولما ينفيه كانت المؤمنون
متوقعين من فضل الله البشارة بثبات الفلاح لهم فصدرت السورة بما دل على ثبات ما توقعوه والفلاح الظفر بالمطلوب فاصله الدخول في الفلاح وابتدئ خلفي البشا
رة وقرأ ورش عن نافع قد افلح بحذف الهمزة والقاء حركتها على الدال وقرأ طلحة بن مصرف افلح مبنيا للمفعول من افلح اذا صار الى الفلاح وقرأ
ايضا افلحوا على لغة الكلمة في البراغيث او على الابهام والتفسير وافلح بضمة بغير واو اجتزاء بضمة عنها كقوله خلو لان الاطباء كانوا حولي الذين هم في صلوتهم
فقدم الصلوة على ساير فضائلهم لانها اول فرائض افترضت على هذه الامة لقوله عليه السلام اول ما افترض الله تعالى على امتي الصلوة الخمس واول
ما يرفع من اعمالهم الصلوة الخمس رواه ابن عمر وانس رضي ولانها اول ما يحاسب به قال النبي صلعم اول ما يحاسب العبد يوم القيمة صلوته فان
صلحت فقد افلح وانجح وان فسدت فقد خاب وخسر وقال عليه السلام اول ما يحاسب به الرجل صلوته فان كملت والا كملت بالنافلة ثم يؤخذ الاعمال
على قدر ذلك رواها ابو هريرة رضي خاشعون خايفون من الله متذللون ابصارهم مواضع السجود وعن النبي صلعم انه يصلي رافعا بصره الى السماء فلما نزلت
الاية رمى ببصره نحو مسجده وروي انها لما نزلت قال ابو طلحة ما الخشوع يا رسول الله قال ان يكون منتهى بصر المصلي بسجوده وفي الركوع
الى ظهر قدميه وفي التشهد الى ركبته انتهى وفي القعود الى حجره وعند التسليم الاولى الى كتفه الايمن وعند الثانية الى كتفه الايسر وقال عطاء هو ان لا
تعبث بشيء من جسدك في الصلوة روي عن النبي صلعم انه راى رجلا يعبث بلحيته في الصلوة فقال لو خشع قلب هذا خشعت جوارحه ونظر الحسن الى
رجل يعبث بالحصى وهو يقول اللهم زوجني الحور العين فقال بئس الخاطب انت تخطب وانت تعبث وقال علي رضي هو ان لا يلتفت يمينا وشمالا
ويعضده ما روى ابو ذر ان النبي صلعم قال لا يزال الله تعالى مقبلا على العبد ما كان في صلوته ما لم يلتفت فاذا التفت اعرض عنه وما روت عائشة
رضي الله عنها سالت رسول الله عن الالتفات في الصلوة فقال هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلوة العبد وقال ابن جبير هو ان لا يعرف
من على يمينه وشماله ولا يلتفت وهو ضعيف حمل الاثر على اشده ومن ههنا قال بعض الزهاد ان علم المصلي من على يمينه وعلى يساره فلا
صلوة له ويدل على ضعفها ما روي انه عليه السلام كان في الصلوة يلحظ ان ابن عباس كان فاقامه الى يمينه وقيل هو جمع الهمة لها والاعراض عما سوا
ها والتدبر في القراءة والذكر والذين هم عن اللغو اي عن كل ما لا يعنيهم من قول وفعل وقال ابن عباس عن الشرك وقال الحسن عن
المعاصي وقيل هو سماع وضيع الكفار بالشتم معرضون لما بهم من الحق ما شغلهم عن اللغو وعبر من صفاتهم من الخشوع والاعراض وغير ذلك
بلفظ اسم الفاعل دون الفعل لان اسم الفاعل يكون بمعنى الماضي والحال وقد يكون بمعنى الاستقبال لكن لا بحسب الوضع والبشارة والا
خبار بثبات الفلاح للمؤمنين الذين تحقق وقوع الوصف في اسم الفاعل من الدلالة على تمكن الوصف بتلك الصفات في الماضي والحال وايضا
وثبات ما ليس في الفعل وقيل والذين هم عن اللغو معرضون ابلغ من الذين لا يلهون من وجوه جعل الجملة اسمية وبناء الحكم على ضمير
والتعبير عنه بالاسم وتقديم الصلة عليه واقامة الاعراض مقام الترك ليدل على بعدهم عنه راسا مباشرة وتسببا وميلا وحضورا فان اصله
ان يكون في عرض وكذلك قوله والذين هم للزكوة فاعلون وصفهم بذلك بعد وصفهم بالخشوع في الصلوة ليدل على انهم بلغوا الغاية في القيام
على الطاعات البدنية والمالية والتجنب عن المحرمات وساير ما توجب المروة اجتنابه والزكوة ههنا بمعنى التزكي لا بمعنى القدر الذي يخرج من
المال للفقراء لان الفاعل فاعل الحدث لا المحل الذي هو موضعه ويجوز ان يراد بها العين على تقدير مضاف وهو الاداء وقيل الزكوة ههنا
هو العمل الصالح والتركيب يدل على الزيادة والنماء وقيل على الطهارة والذين هم لفروجهم حافظون الفرج قبل الرجل والمرأة باتفاق
اهل اللغة وحفظه صيانته وعدم ابتذاله ومنعه من الوقاع وقيل التعفف عن الحرام وليس بذلك فليتامل فنبطهم بكف خطاه وفاه الا على ازو
اجهم او ما ملكت ايمانهم على بمعنى في على الاول كانه قيل يصونون فروجهم ولا يبتذلونها في شيء الا في نوب ازواجهم وسرياتهم كقولهم فلان يحفظ
نفسه لا يبتذلها فيما لا يعنيه وعليه قوله تعالى واحفظوا ايمانكم اي صونوها ولا تبتذلوها والغرض صورة القسم بمن هو ... الخلاف عنواه

الاوصاف

الاوصاف المذمومة في قوله ولا تطع كل حلاف مهين الاية وبمعنى من على الثاني والمعنى انهم لفروجهم مانعون من المباشرة الا من زوجاتهم وسرياتهم من
حفظ الشيء حفظا اذا منعه من الضياع حتى في الحرام الضياع فانه الوقاع تضييع الماء والفراش والنسب وعلى كل البشر لان ولد الزنا هالك حكما وفيه افساد الفراش و
يجوز ان يكون على صلة لحافظون من قولك احفظ على عنان فرسي على تضمينه معنى النفي كما ضمن قولهم نشدتك بالله الا فعلت بمعنى ما طلبت منك الا فعلك
وان يكون حالا اي الا والين على ازواجهم او قوامين عليهن ومنه كان زياد على البصرة اي واليا عليها وفلانة تحت فلان والمعنى حفظوها في كافة
الاحوال الا في حالة تزوجهم او تسريهم وان يكون متعلقا بمحذوف يدل عليه غير ملومين عليه وقال مادون في الناس مع اختصاصهم بالعموم
على كل مباشر الا على ما احل لهم فانهم غير ملومين عليه وقال ما دون في النساء مع اختصاصهم وغلبته في غير ذوي العقول اجراء للاناث مجرى العقلاء
مجرى غير العقلاء وكانه تقول لهم او ثبت على من لاولاده معنى الوصفية اي حافظون على ازواجهم او المملوكة التي ملكت بملك اليمين باي صفة كانت
من البكر والثيب والشابة ونحو ذلك ونظيره قول القايل احسن الى ما اردت من هؤلاء الرجال اي العالم والجاهل او القايم مثلا وعليه ورد قوله
عز قائلا والسماء وما بناها اي والسماء والقادر العظيم الذي بناها وفي كلامهم سبحان ما سخركن لنا اي سبحان القادر الباهر العظيم الذي سخركن
لنا وافراد ذلك بعد تعميم قوله والذين هم عن اللغو معرضون لان المباشرة اشهى الملاهي الى النفس واعظمها خطرا فانهم غير ملومين الضمير لحافظون او
لمن دل عليه الاستثناء اي فان ابتذلوها في ازواجهم او مملوكاتهم فانهم غير ملومين عليه فمن ابتغى وراء ذلك اشارة الى المستثنى اي فمن
طلب سوى الازواج والمملوكات او فمن احدث ابتغاء وراء هذا الحد مع فسحته واتساعه وهو اباحة اربع من الحراير ومن الاماء ما شئت
فاولئك هم العادون المتوغلون في العدوان المتمادون فيه من عدا عليه اذا جاوز الحد في الظلم والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون سمى الشيء المؤ
تمن عليه امانة والمعاهد عليه عهدا كما سمي المضروب ضربا في قولهم ضرب الامير ومنه قوله تعالى ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها وقوله وتخونوا
اماناتكم وانما تؤدي العيون لا المعاني ويخان المؤتمن عليه لا الامانة في نفسها والراعي القايم على الشيء بحفظه واصلاحه والمعنى انهم لكل ما ائتمنوا عليه و
عوهدوا من جهة الحق قايمون بحفظه واصلاحه والوفاء به وقرأ ابن كثير لامانتهم بالتوحيد لامن الالباس او لانها في الاصل مصدر وهو يشمل الكل وفيه
دلالة على عظم رعاية الامانة والعهد من الايمان وعن انس وشداد بن اوس قال النبي صلعم اول ما تفقدون من دينكم الامانة ولا دين لمن
لا امانة له ولا دين لمن لا عهد له وحسن العهد من الايمان وعنه عليه السلام اول ما خلق الله تعالى من الانسان الفرج ثم قال هذه امانة استودعتها
وصيانتها عندكم فالفرج امانة والسمع امانة والبصر امانة حتى الف ان امانة ولا ايمان لمن لا امانة له رواه ابن عمر رضي الله عنه وبهذا يظهر ضعف ما
قال حجة الاسلام الغزالي ان اول ما يخلق في الانسان حاسة اللمس فيدرك به اجناسا من الموجودات كالحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة
اللين والخشونة والذين هم على صلوتهم يحافظون اي يواظبون عليها ويراعون اوقاتها واسباغ الوضوء لها ويقيمون اركانها وسننها وادابها
كاملة تامة ولفظ الفعل فيه لما في الصلوة من التجدد والتكرر ولذلك جمع غير حمزة والكسائي وليس تكرير لما وصفوا اولا بالخشوع في صلوتهم و
ههنا بالمحافظة عليها وهما متغايران وقيل كرر ذكر الصلوة ليتبين ان المحافظة عليها واجبة كوجوب الخشوع فيها اولئك المؤمنون الجا
معون لهذه الاوصاف الحميدة من الخشوع والاعراض عن الباطل وايتاء الزكوة وحفظ الفروج عن الحرام ورعاية الامانة والعهد
والمحافظة على الصلوة وهي ستة خصال حق على كل مؤمن ان يتصف بها ويتشبه باصحابها فان من تشبه بقوم فهو منهم هم الوارثون الا
حقاء بان يسموا وراثا دون من سواهم ثم ترجم بقوله الذين يرثون الفردوس بيانا لما يرثونه وتفخيما له والوراثة للفردوس عبارة عن
بقائها على اهلها كالميراث ابقى على وارثه فهي عقوى لفظ يستعمل في التمليك والاستحقاق من حيث انها لا تعقب بفسخ ولا استرجاع
ولا تبطل برد واسقاط وقيل يرثون من الكفار منازلهم في الجنة عن ابي هريرة قال رسول الله صلعم ما منكم من احد الا وله منزلان منزل
في الجنة ومنزل في النار فان مات ودخل النار ورث اهل الجنة منزله وذلك قوله اولئك هم الوارثون هم فيها خالدون دائمون لا يزالون عنها
ولا يخرجون وانث الضمير العايد الى الفردوس لانه اسم للجنة او لطبقتها الاعلى وقال القفال هي الجنة الملتفة بالاشجار وقال قتادة هي
ربوة الجنة واوسطها وافضلها وارفعها وقال كعب الفردوس هو البستان الذي فيه الاعناب وقيل هي الروضة المستحسنة وقيل هي التي
تنبت ضروبا من النبات وقال كعب ليس في الجنان جنة اعلى من جنات الفردوس فيها الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر لانهم ضيا الناس كما

نطق به الحديث ولقد خلقنا الانسان من سلالة السلالة الخلاصة لانها تسل من بين الكدر وفعالة بناء للقلة كالقلامة والقمامة وعن الحسن
ما بين ظهراني الطين ومن ابتدائية من طين متعلق بمحذوف لانه صفة لسلالة ومن بيانية كقوله من الاوثان او بمعنى سلالة لانها في معنى
مسلولة فتكون ابتدائية كالاولى وقال عكرمة هو الماء يسيل من الظهر وهو مطابق لقول الحسن وقال ابو زيد ان بدء الانسان قبضته من بين
وقبضته من بحر على ما قال الله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم من تراب وقال وهو الذي خلق من الماء بشرا ثم مزج اي دبا التراب فصار
سلالة الانسان وقال الكلبي من نطفة سلت من طين والطين آدم عليه السلام والمراد بالانسان جنس بني آدم خلق من صفوة سلت من
الطين ثم جعلناه على حذف المضاف لان المعنى انه خلق جوهر الانسان اولا طينا ثم جعل جوهره بعد ذلك نطفة وقيل ثم جعلنا نسله نطفة بان
خلقناه منها او ثم جعلنا السلالة نطفة وتذكير الضمير على تأويل الجوهر المسلول او الماء في قرار مكين اي في مستقر حصين وهو الرحم وبولغ فيها
من طريقين من طريق التعميم بالمصدر ومن طريق الوصف بالفعيل وهو من ابنية المبالغة وقال الزمخشري وصفه بالمكانة التي هي صفة المستقر
فيها كقولك طريق سائر ونهر جار او بمكانتها في نفسها لانها مكنت بحيث هي واحرزت ثم خلقنا النطفة اي صيرناها علقة قطعة من الدم جا
مرة فنقلها من نوع الى نوع آخر ومن صفة الى اخرى لان النطفة ماء دافق والعلقة دم غليظ منجمد وبينهما تغاير بين وتباين ظاهر فخلقنا
العلقة مضغة فجعلها قطعة لحم فخلقنا المضغة عظاما بان صلبناها فكسونا العظام لحما فالبسناها لحما مما بقي من المضغة او مما انبتنا عليها
مما يصل اليها واختلاف العواطف لتفاوت الاستحالات وقرأ السلمي والاعمش عظما فكسونا العظام وقرئ عظاما فكسونا العظم وقرأ ابن عامر
وابو بكر عظما فكسونا العظم بالتوحيد فيهما اكتفاء للخفة مع صحة دلالة على الجمع لان اسم الجنس هنا قد وضع مكان الجمع لزوال اللبس لان الانسان
ذو عظام كثيرة وهي ثلث وثلثون وثلثمائة عظم والايراد بالتوحيد للجمع كما في قراءة الباقين الا انه يكثر في الجملة المعدودة باسرها فيهما ههنا لان لفظين
بمعنى منهما معنى واحد ثم لكل واحد من القرائن مثال لما قالوا من ان النكرة اذا اعيدت معرفة كان الثاني عين الاول لان الثاني في الآية هو الاول
بعينه وقرئ بافراد الاول وجمع الثاني وبالعكس واعلم انهم قالوا ان الصفات المذكورة المتعلقة بالانسان من الدلائل المختصة باحوال النفس
يستدل بحدوثها على الصانع وذلك ان الاجزاء يكون خلقة الاعضاء وشكلها وخشونتها وملاستها وبياضها وحمرتها وغير ذلك صادرة
عن القوة القائمة بالنطفة التي هي المني لانه جسم متشابه الاجزاء في الصورة والحقيقة فقوتها يكون سارية في جميع اجزائه والقوة الواحدة لا
بفعل في المادة الا فعلا واحدا وذلك هو الكرة فكان يلزم ان يكون شكل الانسان وسائر الحيوان الكرة ولما لم يكن كذلك علمنا قطعا ان فعل
فاعل مختار واتفقت كلمة الاكثرين على ان النطفة تخرج من جميع البدن بمعنى انه تخرج من العظم جزء عظم ومن اللحم جزء لحم ومن العصب جزء عصب
واستدلوا عليه بدلائل اوردها قوم اللذة وانتفاء مشاكلة عضو الجنين الولد للاعضاء ابويه في الزيادة والنقصان والكيفية والثالث من
جهة الكلية الشاملة فانها تقتضي ان يكون سبب المشابهة عاما والا فالتشبه يكون بحسب عضو معين واذا ثبت ذلك فاللحم يتكون من النطفة
التي تنفصل من اللحم وكذا العظام والاعصاب والعروق والاوتاد فلا يجب ان يكون الانسان ونحوه كالكرة وخالفهم ارسطاطاليس فزعم
ان هذه الادلة غير مقنعة في خروج النطفة من الاعضاء كلها وبين ذلك بامور عديدة ما ذكرها الآخر في الحاشية مخافة التطويل وانا اقول قولا
كليا ان النطفة واحوالها واشكال الاعضاء ومقاديرها واوضاعها لا بد لها من مؤثر صانع حكيم خبير لان كلا منها ممكن لا يتجاوز صفة
الامكان ولكل ممكن لا بد ان يتوقف وجوده على موجود والا يكون واجبا بالذات وهو محال ولا بد ان يكون ذلك الموجب مستقلا في الايجاد
وسائر صفات الاحتياج في شي منها الى شي اصلا والا يكون من جملة الممكنات فلم يصلح موجدا لها ومبدعا ولما لم يكن ذلك الموجب سوى الله علمنا
قطعا ويقينا ان النطفة وسائر الممكنات بايجاده تعالى واختراعه لا غير فامتنع ان تكون اشكال الاعضاء ومقاديرها واوضاعها منسوبة الى
القوة المصورة التي يقول بها الفلاسفة والاطباء فانظر انها اعاقل في النطفة وهي رطوبة سيالة لا تحفظ الوضع كيف خلقها ربنا اللطيف
الخبير واودع في باطنها وظاهرها من عجائب الفطرة وبدائع الخلق ما تحير فيه الاذهان وتعجز عقول العقلاء الراسخة في العلوم الدقيقة عن
ادراك الحكم المودعة فيها وكيف خلق المولود منها وسقاه بماء الحيض وكيف جعل النطفة وهي مشرقة بيضاء علقة حمراء وكيف قسم اجزاء النطفة الى
العظام والاعصاب والعروق والاوتار واللحم ثم كيف ركب منها هذه الاعضاء الظاهرة فدور الراس والسمع والبصر والانف والفم وسائر المنافذ

حاشيه نسخه

خلقها

ومد الي

ومد اليد والرجل وقسم رؤوسها بالاصابع وكيف ركب الاعضاء الباطنة من القلب والمعدة والكبد والطحال والرية والمثانة وانظر الى العظام وهي
اجسام صلبة كيف خلقها ثم جمع رخوتين وجعلها قواما للبدن وعمادا له وقدرها بمقادير مختلفة من صغير وكبير وطويل ومستدير ومجوف
ومصمت وعريض ودقيق ولما علم ان الانسان محتاجا الى الحركة بجملة بدنه وببعض اعضائه للتردد في حاجته لم يجعله عظما واحدا بل عظاما كثيرة
بينها فاصل ثم وصل مفاصلها واوتادها وتاد اثبتها من احد طرفي العظم والصقها بالطرف الآخر كالرباط له ثم خلق في احد طرفي العظم زوائد خارجة
منه وفي الطرف الآخر حفرا موافقة لشكل الزوائد ليدخل فيها وتنطبق عليها ثم انظر كيف خلق عظام الراس من خمس وخمسين عظما وضم بعضها
الى بعض حتى استوى به كرة الراس فمنها ستة في القحف واربعة عشر للحى الاعلى واثنان للاسفل والبقية هي الاسنان بعضها عريضة للطحن و
بعضها حادة للقطع وجعل الرقبة مركبا للراس وركبها من سبع خرزات مجوفات مستديرات فيها تحريفات وزيادات ونقصانات لينطبق
بعضها على بعض ثم ركب الرقبة على الظهر وجعله مركبا من اربع وعشرين خرزة وركب عظم العجز من ثلثة اجزاء مختلفة ويصل به من اسفله
عظم العصعص فهو مؤلف من ثلثة اجزاء مختلفة ثم وصل عظام الظهر بعظام الصدر والكتف وغيرها ثم انظر كيف خلق الآلات لتحريك العظام و
هي العضلات وجعلها خمسمائة وتسع وعشرون عضلة لكل واحد منها على قدر مخصوص لو تغير عن ذلك ولو بالقليل لاختل بدن الانسان وكذا
القول في الاعصاب والاوردة والشرايين فخلق الظهر اساسا للبدن والبطن حاويا للالات الغذاء ومستقرا للاعضاء الباطنة والحواس مجمعا للمنا
فذ والخواص الظاهرة ففتح العينين ورتب طبقاتها واحسن شكلها ولونها ثم حماها بالاجفان لتسترها وتحفظها ثم اظهر في مقدار عدسة منها صورة
السموات مع اتساع اكنافها وتباعد اطرافها ثم شق اذنيه واودعهما ماء مرا يدفع الهوام عنها وحوطها بصوفة الاذن ليجمع الصوت وترده
الى صماخها وليحس بدبيب الهوام اليها وجعل فيها تحريفات واعوجاجات ليطول فلا يصل الهواء المصادم الى جرم الدماغ سريعا ثم رفع
الانف من وسط الوجه واودع في منتهاه حاسة الشم المستدل باستنشاق الريح على مطاعمه واغذيته وليستنشق بمنفذ المنخرين نسيما طيبا
يكون ترويحا للقلب وفتح الفم واودع اللسان ليعرب عما في الضمير وزينه بالاسنان فاحكم اصولها وحد رؤوسها وبيض الوانها ورتب
صفوفها متساوية الرؤوس متناسقة الترتيب كالدر المنظوم وخلق الشفتين لينطبقا على الفم فيسد منفذه وتؤدي الحروف حق اداتها و
حسن لونها وخلق الحنجرة وهيأها لخروج الصوت مختلفة الاشكال في السعة والضيق والملاسة والخشونة والرخاوة والصلابة والقصر والطول
حتى اختلفت الاصوات بينهما فلا يتشابه صوتان كالصورتين فرق صح بل يظهر بين كل صورتين فرق حتى يميز السامع بعض الناس عن البعض بمجرد
الصوت في الظلمة ثم انظر كيف سخر كل واحد من الاعضاء الباطنة لفعل مخصوص فسخر المعدة لنضج الغذاء والكبد لاحالته الى الدم والطحال لجذب
السوداء والمرارة لجذب الصفراء والكلية لجذب الفضلة المائية والمثانة لخدمة الكلية بقبول الماء عنها ثم تخرج من طريق الاحليل والعروق
لخدمة الكبد في ايصال الدم الى سائر اطراف البدن فتبارك من خلق هذه كلها ولطفها وحسنها من نطفة سلقاها في داخل الرحم في ظلمات الغطاء
والغشاء ولو امتد البصر اليهم لكان يرى التخطيط والتصوير يظهر عليها شيئا فشيئا ولا يرى المصور ولا آلته فسبحانه ما اعلى شانه واجل برهانه واشمل
سلطانه واتم قدرته وابلغ حكمته ومن اراد الاستقصاء في عجائب حكم الله في خلق الانسان فعليه بمطالعة الكتب المصنفة في هذا الباب ثم اعلم
كيف جعل القلب سلطانا له ممالك ومدينة وهي البدن والعروق غلمانا له ارسلهم الى اطراف مدينته فاشغلهم باموره والايدي اعوانه لا يعصونه في
شي مما امر ونهى والارجل مراكبه يرده من حيث اراد والعين سراجه يبصر به المحسوسات والاذن صاحب اخباره واللسان ترجمانه والفم و
الفرج خزانه وبوابه والطحال موضع الغم والكليتين موضع الفرح وجعل منهما عرقين متصلين بالقلب معلقين بالصفرة والحمرة ليكون الحمرة دليلا
على فرحه والصفرة على حزنه وجعل المعدة ارضه التي يحصل بها ارزاق خدمه وعالم انه ان كانت معمورة صحيحة والا يبقى كلهم قبول امره من غيبة
الى الفساد ثم انشأناه خلقا آخر احسن من خلق الاول وهو صورة البدن كما قال وصوركم فاحسن صوركم وثم بعد الخلق الاول كالفاء بعد
التصوير او الروح او القوى بنفخه فيه او المجموع وقال قتادة نبات الاسنان والشعر وعن مجاهد انه استوى احواله بعد الولادة من الاستهلال الى
الارتضاع الى القعود الى القيام الى المشي الى الفطام الى ان يأكل ويشرب الى ان يبلغ الحلم ويتقلب في البلاد وثم ههنا لما بين الخليقتين من التفاوت

اعضائه

ووضع مخصوص

من الاستهلال

وفصل خلق الثاني عن خلق الاول وقد احتج به ابو حنيفة رضي الله عنه على ان من غصب بيضة فافرخت عنده لزمه ضمان البيضة لا الفرخ لانه خلق
آخر سوى البيضة فتبارك الله فتعالى شانه في قدرته وحكمته وعلمه احسن الخالقين المقدرين تقديرا فترك ذكر المميز لدلالة الخالقين عليه ونحوه
طرح الماذون فيه في قوله اذن للذين يقاتلون لدلالة الصلة وعن عمر ان رسول الله صلعم لما بلغ قوله خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين وقال
مجاهد يصنعون ويصنع الله والله خير الصانعين وقال ابن جريج انما جمع الخالقين لان عيسى كان يخلق كما قال اني اخلق لكم من الطين فاخبر
الله عن نفسه انه احسن الخالقين وروي ان عبد الله بن سعد بن ابي سرح كان يكتب لرسول الله فنطق بذلك قبل املائه فقال له رسول الله اكتب هكذا
نزلت فقال عبد الله ان كان محمد نبيا يوحى اليه فانا نبي يوحى الي فلحق بمكة كافرا ثم اسلم يوم الفتح ثم انكم بعد ذلك لميتون لصايرون الى الموت لا
محالة ولذلك ذكر الصفة المشبهة التي تدل على الثبات والاستمرار دون اسم الفاعل فانه يدل على الحدوث فالميت ابلغ من المايت كما ان القبيب
ابلغ من القاصب والضيق ابلغ من الضايق وقد قرا ابن ابي عبلة وابن محيصن لمايتون ثم انكم يوم القيمة تبعثون للحساب والجزاء وجعل الى ماك
الاماتة التي هي اعدام الحيوة والبعث الذي هو اعادة الارواح الى ابدان الموتى واجزائهم الاصلية دليلين ايضا على اقتدار عظيم بعد الانشاء
والاختراع وليس في ذكر الحيوتين نفي الثالثة وهي حيوة القبر كما لا يخفى واكد اثبات الموت بثلث تاكيدات لتنزيل المخاطبين منزلة من يبالغ
في انكار الموت لتماديهم في الغفلة والاعراض عن العمل بعده ولذا قيل ميتون دون تموتون واكد اثبات البعث بتاكيدين والصواب بثلث ثم
كيان ان واللام واسمية الجملة واكد اثبات البعث تاكيدا واحدا والصواب بتاكيدين كما بيناه ولقد خلقنا فوقكم سبع طرايق سموات لانه
طورق بعضها فوق بعض مطارقة النعل وكل شيء فوق مثله فهو طريقة اولانها طرق الملائكة ومتقلباتهم او الافلاك لانها طرايق الكواكب
فيها سيرها وما كنا عن الخلق اي عن ذلك المخلوق الذي هو السموات او عن الناس او عن جميع المخلوقات غافلين مهملين امرها بل نمسكها ان
تقع فوقهم بقدرتنا وقيل ما تركناهم سدى بغير امر ونهي وانزلنا من السماء ماء بقدر بتقدير يسلمون معه من الضرر ويصلون الى النفع او بمقدار ما
علمنا من صلاحهم ومعيشتهم ولم يكن طوفانا فاسكناه في الارض كقوله وسلكه ينابيع في الارض وقيل وجعلناه ثابتا مستقرا فيها وعن عكرمة
عن ابن عباس عن النبي صلعم ان الله انزل من الجنة خمسة انهار جيحون وسيحون ودجلة والفرات والنيل انزلها الله تعالى من عين واحدة من عيون
الجنة من اسفل درجة من درجاتها على جناحي جبريل استودعها الجبال واجراها في الارض وجعل فيها منافع للناس فذلك قوله وانزلنا
من السماء ماء بقدر فاسكناه في الارض واذا كان عند خروج ياجوج وماجوج ارسل الله جبريل فرفع من الارض القرآن والعلم كله والحجر الا
سود من البيت ومقام ابراهيم وتابوت موسى بما فيه وهذه الانهار الخمسة الى السماء فذلك قوله وانا على ذهاب به لقادرون فاذا رفعت هذه
الاشياء من الارض فقد اهلها خير الدين والدنيا روى هذا الحديث مقاتل بن حيان عن عكرمة وهو حديث حسن صحيح وفي تنكير ذهاب
دلالة على تعدد طرقه وكثرتها لانه معنى على ذهاب على وجه من وجوه الذهاب به وطريق من طرقه وفيه ايذان باقتدار المذهب
وانه لا يتعايا عليه شيء اذا اراده وهو ابلغ في الايعاد من قوله قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا فمن ياتيكم بماء معين فانشانا لكم به اي بالماء
جنات متكاثرة مفرطة الكثرة لا يعلمها الا الله وتنبيه على ذلك بتنكيرها من نخيل واعناب لكم فيها في تلك الجنات فواكه كثيرة تتفكهون
بها ومنها تاكلون ومن الجنات ثمارها وزروعها تاكلون تغذيا او ترزقون وتحصلون معايشكم من قولهم فلان ياكل من حرفته يحترف بها ومن صنيعه
يغتلها ومن تجارة يتربح بها يعنون انها طعمة وطعام يؤكل وكذا العنب وجهته التي منها يحصل رزقه وعيشه ويجوز ان يكون الضمير للنخيل والا
عناب لان الثمار فمنه فاكهة وطعام يؤكل وكذا العنب والرمان حتى قال ابو حنيفة انه اذا حلف لا ياكل فاكهة فاكل رطبا او عنبا او رمانا
لم يحنث لان كلا منها وان كان فاكهة لغة وعرفا الا ان فيه معنى زايدا على التفكه اي التلذذ والتنعم وهو الغذائية وقوام البدن فيه فهذه
الزيادة تخص من مطلق الفاكهة وخالفه صاحباه والمعنى لكم في ثمارها انواع من الفواكه الرطب والعنب والتمر والزبيب والعصير والدبس
وغير ذلك وطعام تاكلونه وشجرة عطف على جنات وقرئت بالرفع على الابتداء وخبره اي وما انشانا لكم شجرة تخرج من طور سيناء اضيف الطور وهو
الجبل الى بقعة اسمها سيناء وسينين وهو في سورة والتين ويجوز ان يكون المجموع المركب من مضاف ومضاف اليه اسما للجبل كامرئ القيس

طه

منه

وهو جبل فلسطين او جبل بين مصر وايلة نودي منه موسى وقال مجاهد سيناء اسم حجارة معينة اضيف اليها الجبل لوجودها عنده وعنه ايضا ان
معناه ومعنى سينين البركة اي من جبل مبارك وقيل الحسن اي من جبل حسن وقال الضحاك وهو بالنبطية ومعناه الحسن وقال عكرمة بالحبشية
وقال الكلبي معناه الشجر اي من جبل ذي شجر وقيل هو بالسريانية الملتف بالاشجار وقال مقاتل كل جبل فيه اشجار مثمرة فهو سيناء وقيل هو فيعال
من السناء بالمد وهو الارتفاع او بالقصر وهو النور او ملحق بفعلال كعلباء من السين اذ لا فعلاء بالف التانيث وقرا الكوفيون وابن عامر ويعقوب سيناء
بفتح السين فلم يصرف للتانيث ولزوم التانيث كصحراء والباقون بكسرها ومنع صرفه للتعريف والعجمة وقال ابو علي انما لم يصرف لانه جعل اسما للبقعة وقال
الاخفش الفتح اجود لانه بني على فعلاء والكسر ردي في النحو اذ ليس في ابنية العرب فعلاء بممدود مكسور الاول غير مصروف الا ان يجعل اعجميا وقرا
الاعمش سينا بالكسر والقصر تنبت بالدهن الجار والمجرور في موضع الحال اي تنبت ملتبسا بالدهن ومستصحبا له ويجوز ان يكون الباء صلة معدية
لتنبت كما في قولك ذهبت بزيد وقرا ابن كثير وابو عمرو ويعقوب في رواية تنبت من انبت بمعنى نبت كقول زهير رايت ذوي الحاجات حول بيوتهم قطينا
لهم حتى اذا انبت البقل او بمعنى المتعدي على ان مفعوله محذوف اي تنبت زيتونها ملتبسا بالدهن وقرئ تنبت مبنيا للمفعول وهو كالاول وقرا عبد
الله تخرج الدهن وصبغ للآكلين وقرا ابي تثمر بالدهن تنبت بالدهان وصبغ للآكلين معطوف على الدهن عطف احد وصفي الشيء على الآخر اي تنبت
بالشيء الجامع بين كونه دهنا يدهن به ويسرج منه وكونه ادما يصبغ فيه الخبز اي يغمس فيه ويلون به كالدبس والخل مثلا وقال مقاتل جعل الله في هذه
الشجرة دهنا والمراد هو الزيت وادما وهو الزيتون وقال خص الطور بالزيتون لان اول الزيتون نبت بها وقيل هي اول شجرة نبتت بعد الطوفان ووصفها
الله تعالى بالبركة في قوله توقد من شجرة مباركة وقرا الاعمش وصبغا وقرئ وصباغ كدباغ في دبغ قال صاحب الغرايب عن الاعمش تخرج الدهن وصبغا
وفي مصحف ابن مسعود مثل هذه عبارته وان لكم في الانعام لعبرة لآية تعتبرون بها وتستدلون على عظيم قدرة خالقها ولطيف حكمته وباهرها قيل
استيناف لبيان العبرة فكانه قيل كيف العبرة فقيل نسقيكم مما في بطونها من الالبان او من العلف فان اللبن يتكون منه فمن للتبعيض او للابتداء
وقرا نافع وابن عامر وابو بكر ويعقوب نسقيكم بفتح النون والباقون بضمها وهما لغتان بمعنى واحد من سقاه اللبن بالواو واسقاه اياها وقرا ابو جعفر
تسقيكم بتاء مفتوحة اي تسقيكم الانعام ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تاكلون في ظهورها واصوافها واوبارها واشعارها وعليها وعلى الانعام فان
منها ما يحمل عليه كالابل والبقر او على الابل خصوصا لانها هي المحمول عليها في عادتهم وانسب بالفلك لانها سفاين البر قال ذو الرمة سفينة
بر تحت خدي زمامها يريد صيدحه فيكون فيه كالقرين في قوله لتهن احق بردهن وبمعنى قوله وعليها وعلى الفلك تحملون وعلى الانعام و
ولكن عليها وعلى الفلك في البر والبحر وانما قيل وفي الفلك كقوله قلنا احمل فيها لان معنى الايعاء ومعنى الاستعلاء كلاهما مستقيم لان
الفلك وعاء لمن يكون فيها حمولة يستقلها فلما صح المعنيان صح العبارتان وايضا هو يطابق قوله وعليها ويزاوجه وقرا ابو جعفر وخالد بن الياس
الفلك بضم اللام ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله اي اعبدوه وحده لقوله ما لكم من اله غيره استيناف لبيان وجه اختصاصه
بالعبادة وقرا الكسائي وابو جعفر غيره بالجر حيث وقع على انه صفة لاله على اللفظ او بدل منه والباقون بالرفع بدلا منه او صفة له على
المحل لانه من زايدة وانه في محل الرفع على الابتداء افلا تتقون الهمزة للانكار والفاء للعطف والمعطوف عليه محذوف كانه
قيل انكفرون فلا تتقون عاقبة الكفر وسوء مالها اي اتتركون ما امركم به من العبادة فلا تخافون ان تتركوا عبادة الله الذي هو ربكم وخالقكم
ورازقكم وشكر نعمه التي لا تحصونها واوجب عليكم ثم تذهبوا فتعبدوا غيره مما ليس من استحقاق العبادة في شيء فقال الملأ اي الاشراف
والسادة والرجال ليس معهم نساء الذين كفروا من قومه لغيرهم من اتباعهم واهل ملتهم وهذا وصف قد ورد للذم لا للتمييز لانه لم يكن في اشراف
قومه مؤمن هذا على الوجه الاول واما على الثاني فيكون مميزا لمن كفر من الذين آمنوا معه وهم اربعون رجلا واربعون امراة ما هذا الا بشر
مثلكم اي هذا مقصور على البشرية مثلكم ليس له وصف الرسالة التي يدعيها وانما قالوا هذا القول لما اعتقدوا واعتقادا باطلا من التنافي بين
البشرية والرسالة فقصروه على البشرية الكاذا للرسالة وتكذيبا لها يريد ان يتفضل عليكم ان يطلب الفضل عليكم ويترأسكم كقوله وتكون
لكما الكبرياء في الارض ولو شاء الله ان يرسل رسولا لانزل ملائكة بابلاغ رسالته ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين اي بارسال البشر وانه جاء
ذكر بين الله على رجل منهم انه يقول انه رسول او ما كلمهم به من الحث على اختصاص الله وحده بالعبادة اي من دعوى الرسالة وانه رسول الله

اليهم وقولهم هذا اما لتجبرهم من نبوة نوح او لانهم كانوا في فترة متطاولة او انكروا ما استبعدوا واختصاصه لله وحده بالعبادة وتركه دين آبائهم في اتخاذ
الاصنام شركاء معه حبا لما نشؤوا عليه والفا وتقليدا لما صادفوا آباءهم القدماء عليه يتدينون به او تكذيبا لما في ذلك وتكلفوا الكذب لافراطهم وتماديهم
في الغي وتصميمهم على الكفر واجتهادهم على دفع الحق بما امكنهم ودفعا عن انفسهم من غير تمييز منهم بين صدق وكذب ولذلك جننوه مع علمهم انه ارجح الناس عقلا
واوزنهم قولا ان هو الا رجل به جنة اي جنون او جن يخيلونه ولاجله يقول ذلك فتربصوا به اي فاحتملوه واصبروا عليه حتى حين الى وقت يضيق
من جنونه وقيل الى الموت فتستريحوا منه قال استئناف على تقدير سؤال سائل قال فما قال نوح بعد ذلك فقيل قال رب انصرني باهلاكهم
او بانجاز ما وعدتهم من العذاب بما كذبون بسبب تكذيبهم اياي او بدل ما كذبوني كما تقول هذا بذاك اي بدل ذلك ومكانه والمعنى ابدلني من غم تكذيبهم
سلوة النصرة عليهم او انصرني بانجاز الموعود حين قلت لهم اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم فاوحينا اليه فاعلمناه في خفاء ان اصنع الفلك باعيننا
اي بحفظنا نحفظه ان تخطئ فيه او يفسده عليك مفسد ومنه قولهم عليه من الله عين كالئة ووحينا وامرنا وتعليمنا او واعلامنا كيف
تصنع والايحاء والوحي اعلام في خفاء روي انه اوحي اليه ان يصنعها على مثال جؤجؤ الطائر فاذا جاء امرنا بالركوب او نزول العذاب وفار التنور
روي انه قيل لنوح اذا رايت الماء يفور من التنور فاركب انت ومن معك في السفينة فلما نبع الماء منه اخبرته امراته فركب وقيل كان من حجارة فصار
الى نوح وقال الشعبي مكانه في مسجد الكوفة عن يمين الداخل مما يلي باب كندة وعمل نوح السفينة وسط المسجد وقيل بالشام بموضع يقال له عين وردة
وقيل بالهند وعن ابن عباس التنور وجه الارض وعن قتادة اشرف موضع في الارض اي اعلاه وعن علي رضي الله عنه فار التنور طلع الفجر وقيل
معناه ان فوران التنور كان عند تنوير الفجر وقيل مثل كقولهم حمي الوطيس والقول هو الاول فاسلك فيها فادخل فيها يقال سلك فيه وسلك غيره
قال الله تعالى ما سلككم في سقر وقال الشاعر حتى اذا اسلكوهم في قتائدة من كل زوجين اثنين قرا حفص من كل بالتنوين المعوض عن المضاف
اليه اي من كل نوع من الحيوان فيكون زوجين مفعول اسلك واثنين وصفا له على وجه التاكيد وزيادة البيان فان لفظ زوجين مما يدل على التثنية
ويفهم من تمام العدد والباقون بالاضافة فيكون اثنين هو المفعول والمعنى اسلك فيها اثنين من كل زوجين واحدين مزدوجين كالجمل والناقة
والحصان والرمكة من كل صنف ذكر وصنف انثى او من كل امة الذكر وامة الانثى كالجمال والنوق والحصن والرماك والجار والمجرور حال من المفعول
بعد ان كان صفة له او متعلق بالامر واهلك عطف على زوجين في قراءة حفص وعلى اثنين في قراءة الباقين واهلك بيتك او ومن آمن معك الا
من سبق عليه القول منهم اي القول من الله بانه من اهل العذاب اراد ابنه كنعان وامراته واغلة فانهما كانا كافرين وجيء بعلى لان السابق
ضار كما جيء باللام حيث كان نافعا في قوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ونحوه لها ما كسبت وعليها ما
اكتسبت وقول عمر رضي الله عنه ليتها كانت كفافا لا علي ولا لي ولا تخاطبني في الذين ظلموا بالدعاء بالانجاء انهم مغرقون الظاهر انه تعليل
للنهي ودعاء البيان على ان هذه الجملة جواب لسؤال اقتضته الجملة الاولى عن السبب الخاص كانه قيل هل هم مغرقون فقيل انهم مغرقون لا محالة
لتوغلهم في الظلم والكفر وانما كلهم باهلاكهم بقوله فاذا استويت انت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين كقوله
فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ثم امره ان يدعو بدعاء هو اهم وانفع له بقوله وقل رب انزلني منزلا مباركا
في السفينة او في الارض عند خروجه منها منزلا مباركا يبارك لك فيه واعطيك الزيادة في خير الدارين وقرا ابو بكر عن عاصم منزلا بفتح
الميم وكسر الزاي بمعنى نزولا او موضع نزول والباقون بضم الميم وفتح الزاي بمعنى انزالا او موضع انزال كقوله ليدخلنهم مدخلا يرضونه وقيل البركة
في السفينة النجاة وفي النزول بعد الخروج كثرة النسل من اولاده الثلاثة وانت خير المنزلين ثناء مطابق لدعائه امره بان يشفعه به مبالغة
وتوسلا به الى الاجابة ولم يقل وقولوا بالجمع ولكن قل بالافراد مع تقدم خطاب الجمع في قوله فاذا استويت انت ومن معك اي فاذا استويتم تنبيها
على النبوة واشعارا بان في دعائه مندوحة من دعائهم مع اظهار كبرياء الربوبية وان رتبة تلك المخاطبة لا يترقى اليها الا ملك او نبي وقرا اليماني
خير المنزلين بتشديد الزاي ان في ذلك فيما ذكر من شان نوح واهله والسفينة وتبيين امر الهلاك لآيات يستدل بها اولو الالباب فيها او فرنصيب للمؤمنين
وزيادة بصيرة وعبرة للموحدين يتدبرونها فيعتبرون بها وان كنا لمبتلين اي لمصيبين قوم نوح ببلاء عظيم وعقاب شديد او
ممتحنين بهذه الآيات عبادنا لننظر من يعتبر ويتذكر كقوله ولقد تركناها آية فهل من مدكر وان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة

بينهما

بينهما وبين النافية والمعنى وان الشان والقصة كنا مبتلين وقيل وما كنا الا مبتلين وقيل وقد كنا مبتلين والقول هو الاول ثم انشانا احيينا واوجدنا
من بعدهم قرنا آخرين هم عاد قوم هود وتشهد له حكاية الله قول هود واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح على اثر قصة نوح في سورة الاعراف
وقيل عاد وثمود فارسلنا فيهم رسولا منهم هو هود فقط في القول الاول وصالح ايضا في القول الاخير وهو ضعيف لان الرسول هنا بمعنى المرسل
لا بمعنى الرسالة الا بزيادة تكلف وتوضيح ذلك ان الرسول اذا كان بمعنى المرسل واريد التثنية فلم يكن بد من تثنيته كقوله انا رسولا ربك واذا كان بمعنى
الرسالة جاز فيه التسوية اذا وصف به بين الواحد والتثنية والجمع كما يفعل في الصفة بالمصادر نحو عدل وزور وصوم وايضا ضمير فيهم شاهد صدق
على ضعفه فانه عائد الى قرن والقرن من الناس اهل زمان واحد كما تشهد له حكاية الله قول صالح واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وقد اجمعوا
على ما روي من ان عادا لما اهلكت عمرت ثمود بلادها وخلفوها في الارض فبعث الله اليهم صالحا وكانوا قوما عربا الى آخر ما قص من قصته في سورة
الاعراف وانما جعل القرية موضع الارسال ليدل على انه لم ياتهم من مكان غير مكانهم وانما اوحي اليه وهو بين اظهرهم ان اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ان
مفسرة لارسلنا اي في الارسال من معنى القول كما في المناداة والكتابة ونحو ذلك اي قلنا لهم على لسان الرسول ان اعبدوا الله افلا تتقون اشراككم بالله
فلا تخافون عذابه على الاشراك وقال الملا من قومه الذين كفروا ذكر بالواو ههنا ليعطف ما قالوه على قال رسولهم ومعناه انه اجتمع في الحصول هذا
القول الحق وهذا القول الباطل وشتان ما هما وذكر قالهم في سورة الاعراف وهود بغير واو على تقدير سؤال سائل قال فما قال قومه فقيل له قالوا كيت وكيت
وكذبوا بلقاء الآخرة اي بالمصير الى الآخرة او بلقاء ما فيها من الحساب والثواب والعقاب كقولك يا حبذا جوار مكة اي جوار الله في مكة واترفناهم ونعمناهم
ووسعنا عليهم في الحيوة الدنيا بكثرة الاموال والاولاد ما هذا الا بشر مثلكم في الصفة والحال ياكل مما تاكلون منه حال او استئناف لبيان المماثلة ويشرب
مما تشربون العائد الى ما منصوب محذوف اي تشربونه او مجرور حذف مع الجار لدلالة ما قبله عليه ولئن اطعتم بشرا مثلكم فيما يامركم انكم اذا لخاسرون حيث
اذللتم انفسكم واذا جزاء للشرط وجواب للذين قاولوهم من قومهم اي تخسرون عقولكم وتغبنون في آرائكم ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما مجردة عن
اللحوم والاعصاب انكم مخرجون من الاجداث او من العدم تارة اخرى الى الوجود وانكم تكرير للاولى للتاكيد وحسن ذلك لما بينهما من الفصل بالظرف
ومخرجون خبر الاولى او انكم مخرجون مبتدا خبره الظرف المقدم على معنى اخراجكم اذا متم ثم الجملة خبر انكم او فاعل الفعل المقدر بالشرط والجملة خبر الاول
اي انكم اذا متم وقع اخراجكم ويجوز ان يكون خبر الاول محذوفا لدلالة خبر الثاني عليه لا ان يكون الظرف لان اسم جثة وفي قراءة ابن مسعود ايعدكم اذا متم
هيهات هيهات اي بعد التصديق او الصحة لما توعدون او بعد ما توعدون واللام لبيان المستبعد كما في هيت لك لبيان المهيت به كانهم
لما صوتوا بكلمة الاستبعاد قيل فما له هذا الاستبعاد قالوا لما توعدون وقيل هيهات بمعنى البعد وهو مبتدا وخبره لما توعدون وعلى الاول
لا محل لها وقرا ابن ابي عبلة ما توعدون بغير لام وقرا ابو جعفر هيهات هيهات بكسر التاء وصلا لغة اسد وتميم والشهرة الباقية بفتح التاء وهي
لغة اهل الحجاز وقرا نصر بن عاصم بضمها وقرئ بالتنوين على اللغات الثلاث وبالسكون على لفظ الوقف وبابدال التاء هاء قالوا ان المفتوحة
مفردة وتاؤها للتانيث مثلها في غرفة وظلمة ولذلك يقلبها هاء فيقول هيهاه والفها عن ياء لان اصلها هيهية من المضاعف كزلزلة واما
المكسورة فجمع للمفتوحة واصلها هيهيات فحذف اللام والوقف عليها بالتاء كمسلمات ومن نونها فقد نزلها منزلة المصدر اي البعد لما توعدون
او بعدا لما توعدون وقال ابن عباس هو كلمة بعد اي بعيد ما توعدون وقد جمع المفتوحة بلا تنوين والمكسورة مع التنوين قول الشاعر تذكرت
اياما مضين من الصبا فهيهات هيهات اليك رجوعها وقد روي قوله هيهات من مصحبها هيهات بفتح الاول وكسر الثاني ان هي الا حيوتنا
الدنيا اصله ان الحيوة الا حيوتنا الدنيا فوضع الضمير موضع الحيوة الاولى لدلالة الثانية عليها كقوله هي النفس ما حملتها تتحمل ومنه هي العرب تقول
ما شاءت ونفتها مثل لا التي تنفي ما بعدها نفي الجنس وقيل الضمير عائد الى الدنيا اي ان الدنيا الا حيوتنا الدنيا ويجوز ان يكون ضمير القصة والامر
ان يقال ان هي ههنا بمعنى ما كما صرح في سورة الجاثية والقراءة نفسر بعضها بعضا نموت ونحيا اي يموت بعض منا ويولد بعض او نموت نحن
ونحيا باولادنا او نكون مواتا نطفا في الاصلاب ونحيا بعد ذلك او يصيبنا الامران بالموت والحيوة يعنون الحيوة في الدنيا والموت بعدها
ليس وراء ذلك حيوة وما نحن بمبعوثين بمنشرين بعد الموت ان هو اي ما هود او صالح الا رجل افترى على الله كذبا فيما يدعيه من
ارساله وفيما يعدنا من البعث وفي لفظ هو ولفظ رجل وقال بالافراد دون التثنية دليل على ان المراد بالرسول في فارسلنا فيهم رسولا

منهم رسولا واحدا وهو هود او صالح لا رسولان وهما هود وصالح كما لا يخفى على المتامل المنصف وما نحن له بمؤمنين بمصدقين قال هود او
صالح رب انصرني عليهم اي ابدلني من غمي لكن بيهم سلوة النصرة عليهم او انصرني بانجاز ما وعدتهم من العذاب وهو ما كذبوه فيه حين قال لهم اني اخاف
عليكم عذاب يوم عظيم ذكره في سورة الشعراء والاحقاف بما كذبوني بسبب تكذيبهم اياي او بدله قال عما عليكم قليل اي عن زمان قليل ونظيره في
كونه صفة للزمان قديم وحديث في قولك ما رايته قديما ولا حديثا وفي معناه عن قريب وما صلة لتوكيد معنى قلة المدة وقصرها او نكرة موصوفة ليصبحن
ليصيرن نادمين على كفرهم وتكذيبهم اذا عاينوا العذاب فاخذتهم الصيحة صيحة جبريل عليهم صيحة هائلة تصدعت منها قلوبهم فماتوا واستدل به على
على ان القوم قوم صالح فان عادا اهلكوا بالريح العقيم وقيل اراد بالصيحة الهلاك والعذاب وعلى هذا لا دليل فيه على ذلك بالحق بالوجه الثابت
الذي لا دافع له او بالعدل من الله من قولك فلان يقضي بالحق اذا كان عادلا في قضاياه او بالوعد الصدق فجعلناهم غثاء شبهناهم في دمارهم
بغثاء السيل وهو حميله كما يلي واسود من الورق والعيدان كقول العرب سال به الوادي لمن هلك وقد جاء غثاء بالتشديد فبعدا للقوم
الظالمين يحتمل الاخبار والدعاء وبعدا مصدر بعد اذا هلك وهو من المصادر التي نصبت بافعال لا يستعمل اظهارها واللام لبيان من دعي
عليه بالبعد والهلاك نحو هيت لك ولما توعدون في وضع الظاهر موضع المضمر للاشعار ان تلك الصيحة الهائلة قيامتها في هلاكهم ما كانت
الا لظلمهم المتتابع على ما يشعر به تعليق الحكم بالوصف ثم انشانا من بعدهم قرونا اخرين هم قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم وعن ابن عباس بني اسرائيل
ما تسبق من امة اجلها اي وقتها الذي حد لهلاكها وكتب وتزاد من عند سيبويه في النفي فاصبحت لتاكيده وعمومه ويصير المعنى المنفي عاما وما يستاخرون
الاجل المحدود لهلاكه ثم ارسلنا رسلنا تترى اي متواترين واحدا بعد واحد منه الوتر والتاء بدل من الواو كما في تولج وتيقور والالف
للتانيث لان الرسل جماعة وقرا ابن كثير وابو عمرو وابو جعفر تترى بالتنوين على انه مصدر بمعنى المتواترة وقع حالا قال الجوهري ومن نونها
جعل الفها للحاق والباقون بترك التنوين على انها مصدر على فعلى مثل دعوى هكذا قيل وقال الجوهري وتترى فيه لغتان تنون ولا تنون
مثل علقى فمن ترك صرفها في المعرفة جعل الفها الف تانيث وهو اجود وقراءة تميم بن سلمة تترا وكلما جاء امة رسولها اضاف الرسول مع الارسال
رسال اليه ومع المجيء الى امهم لان الارسال الذي هو مبدا الامر منه والمجيء هو الذي منتهاه اليهم قال الزمخشري اضاف الرسل اليه
والى امهم ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات لان الاضافة تكون بالملابسة والرسول يلابس المرسل والمرسل اليه جميعا كذبوه نسبوا اليه الكذب
يعني اكثرهم بدليل قوله ولقد ضل قبلهم اكثر الاولين وايضا الكذب لكل رسول جاء بالبينات لم يكن من جميع امته وقرا ابن ابي عبلة كذبته اي
الامة وقرا عبيد بن عمير كذبت بغيرها فاتبعنا بعضهم بعضا في الاهلاك اي اهلكنا بعضهم في اثر بعض وفيه ايضا دليل على ان المكذب في كل
امة كان بعضهم لا كلهم كما قال فاهلكنا اشد منهم بطشا ومضى مثل الاولين وجعلناهم احاديث اي اخبارا يسمر بها ويتعجب منها
والاحاديث اسم جمع للحديث ومنه احاديث النبي عليه السلام او جمع احدوثة وهي ما يتحدث به الناس تلهيا وتعجبا وهو المراد ههنا ولذا قال
الاخفش اما هذا في الشر فاما الخير فلا يقال جعلتهم احاديث واحدوثة انما يقال صار فلان حديثا فبعدا لقوم لا يؤمنون ومعنى بعدا
بعدوا اي هلكوا يقال بعد بعدا وبعدا مثل رشد رشدا ورشدا ثم ارسلنا موسى واخاه هرون باياتنا هي الآيات التسع وسلطان مبين
حجة ظاهرة بظهورها صدقهما وصحة رسالتهما والمراد بها اما العصا وافردها ليعطفها على الآيات على وجه الاختصاص بيانا لفضلها او استبدلوا
دها بالمزية على غيرها من الآيات ابا هرة كما افرد الروح عن الملائكة ثم عطفه عليها لذلك ويجوز ان يكون المراد ومعنى ان ارسلناهما باياتنا
مع سلطان مبين يبين الحق ويميزه عن الباطل ويظهره عليه وكانت فيها معجزات شتى من انقلابها حية وتلقفها ما افكته السحرة وانفلاق
البحر وانفجار العيون من الحجر بضربها بها وكونها حارسا وشمعة وشجرة خضراء مثمرة ودلوا ورشاء او الآيات انفسها اي هي آيات وحجة بينة او المعجزات
وبالآيات الحجج الى فرعون وملائه فاستكبروا عن الايمان بها وقبولها وهو اعظم الكبر ان يتهاون العبيد بآيات ربهم ورسالاته بعد وضوحها
وانتفاء الشك عنها ويتعظمون عن امتثالها وتقبلها وكانوا قوما عالين متكبرين ومجاوزين الحد في الكبر والطغيان او متطاولين على الناس
قاهرين بالبغي والظلم والفساد فلذلك استكبروا عنها واجترؤا على ردها واجتمعوا على دفعها فقالوا انؤمن الهمزة للانكار بمعنى لا نؤمن وما
ينبغي ان يصدر منا الايمان لبشرين مثلنا ثنى البشر لانه يكون واحدا كقوله بشرا سويا وجمعا كقوله فاما ترين من البشر احدا ولم يثن المثل لانه

في حكم المصدر فيوصف به الاثنان والجمع والمذكر والمؤنث انتم انا مثلهم ومن الارض مثلهن ويقال ايضا امثلاه وهم امثاله ومثلاه ان الذين تدعون من دون
الله عبادا امثالكم يرونهم مثليهم راي العين وقيل هذا القصص كان تشبيها بان قصارى شبهة المنكرين للنبوة قياس حال الانبياء على احوالهم عما بينهم من المماثلة
في الحقيقة وفساده يظهر للمستبصر بادنى تامل فان النفوس البشرية وان تشاركت في اصل القوى والادراك متباينة الاقدام فيهما وكما ترى في جانب النقصان اغبياء
لا يعود عليهم التفكر برادة يمكن ان يكون في طرفي الزيادة اغنياء عن التعلم والتفكر في اكثر الاشياء واغلب الاحوال فيدركون ما لا يدرك غيرهم ويعلمون ما لا
ينتهي اليه علمهم واليه اشار بقوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد وقرا ابو البرهسم لانؤمن لبشرين مثلنا وابن عمير لبشر مثلنا وقومهما يعني
بني اسرائيل لنا عابدون خاضعون متذللون ممتثلون كالعباد او لانه كان يدعي الالهية فادعى للناس العبادة وان طاعتهم له عبادة على الحقيقة فكذبوهما
فتمادوا على تكذيبهما حتى يئسا من تصديقهم واجابتهم وكان تكذيبهم لهما في آخر المدة المديدة كتكذيبهم في اولها وذلك عند مشارفة هلاكهم بالغرق فكانوا
من المهلكين بالغرق في بحر قلزم او بحر من وراء مصر يقال له اساف ولقد آتينا موسى الكتاب التوراة من بعد ما اهلكنا القرون الاولى لعلهم لعل بني اسرائيل ولا يجوز
عود الضمير الى فرعون وقومه لان التوراة انما نزلت بعد اغراقهم يهتدون يعملون بشرايعها ومواعظها وجعلنا ابن مريم وامه آية بولادته اياه من
غير مسيس فالآية امر واحد مضاف اليهما او وجعلنا ابن مريم آية بان تكلم في المهد وظهرت منه معجزات اخر وامه آية بان ولدت من غير مسيس
فحذفت الاولى لدلالة الثانية عليها وروي ان رسول الله صلعم صلى الصبح بمكة فقرا سورة المؤمنين فلما اتى على ذكر عيسى وامه اخذته شرقة فركع
اي شرق بدمعه فعيي بالقراءة واويناهما الى ربوة وانزلناهما الى مكان مرتفع من الارض وقال ابن عباس هي ارض بيت المقدس فانها مرتفعة
وكبد الارض واقربها الى السماء بثمانية عشر ميلا وهو قول قتادة وكعب وقال عبد الله بن سلام هي دمشق وبه قال ابن المسيب ومقاتل وقال الضحاك
هي غوطة دمشق وقال ابو هريرة هي الرملة وكان يقول الزموا هذه الرملة فلسطين فانها الربوة التي ذكرها الله تعالى وقال السدي ارض فلسطين
وعن الحسن فلسطين والرملة وقال زيد هي مصر وقرا عاصم وابن عامر ربوة بفتح الراء والباقون بضمها وقرا ابن عباس وابن المسيب بكسرها وقرئ
رباوة بالحركات الثلث في الراء ذات قرار مستقر من ارض مستوية منبسطة وعن قتادة ذات ثمار وماء فان سكانها لاجلها يستقرون فيها ومعين
اي وماء ظاهر جار على وجه الارض فعيل من معن الماء اذا جرى واصله الابعاد في الشيء او الماعون وهو المنفعة فرارا لان النفع لا يتقاع او مفعول
من عانه اذا ادركه بعينه لانه لظهوره مدرك بالعين ووصف ماءها بذلك بانها ذات قرار لانه انزه الاماكن واكرمها منظرا واوفرها حفظا واكثر
ها ارجحية ونشاطا ما كانت ارضه منبسطة واشجاره مثمرة وماؤه في خلالها مطردا ولولا ان يكون الماء الجاري لكان السرور الا وفرا بيا وطيب المكان
مفقودا ولا مستاجادا الله بذكر الجنات تجري من تحتها الانهار لكان من تحتها مستوفيين على قراءة واحد يا ايها الرسل كلوا من الطيبات قال مجاهد
وقتادة والسدي والكلبي وجماعة هذا النداء والخطاب لمحمد وحده صلى الله عليه وسلم على مذهب العرب في مخاطبة الواحد بلفظ الجمع للتعظيم
وقيل لعيسى عليه السلام وقيل لجميع الرسل لا على انهم خوطبوا بذلك دفعة لانهم ارسلوا متفرقين في ازمنة مختلفة بل على معنى ان كل رسول
منهم خوطب به في زمانه ونودي ووصي ليعلم السامع ان اباحة الطيبات للرسل شرع قديم وانه امر نودي له جميع الانبياء ووصوا به حقيق
ان يؤخذ به ويعمل عليه وقيل لعيسى وامه وهو مما صرح به الزمخشري حيث قال يجوز ان يقع هذا الاعلام عند ايواء عيسى ومريم الى الربوة
فذكر على سبيل الحكاية اي آويناهما وقلنا لهما هذا اي اعلمناهما ان الرسل كلهم خوطبوا بهذا فكلا مما رزقناكما واعملا صالحا اقتداء
بالرسل فحمل خطاب الجمع في كلوا واعملوا على التثنية وهي قوله فكلا واعملا وفيه نظر والطيبات المستلذات من الماكل والمشارب المباحة
وقيل الحلال الصافي القوام فالحلال ما لا يعصى الله فيه والصافي ما لا ينسى الله فيه والقوام ما يمسك النفس ويحفظ العقل واعملوا صالحا
فان المقصود منكم والنافع عند ربكم وهذا الامر للوجوب بخلاف الاول وفيه رد وهدم لما قال بعض الاباحيين ان العبد اذا بلغ غاية المحبة
وصفا قلبه واختار الايمان على الكفر من غير نفاق يسقط عنه الاعمال الصالحة من العبادات الظاهرة ويكون عبادته التفكر وهذا كفر وضلال فان
اكمل الناس في المحبة والايمان هم الرسل خصوصا حبيب الله مع ان التكاليف بالاعمال الصالحة والعبادات في حقهم اتم واكمل اني
بما تعملون عليم فاجازيكم عليه وان هذه قرا الكوفيون بكسر الهمزة على الاستيناف والقطع مما قبله والباقون بفتحها بمعنى ولان والمعلل
به فاتقون او بانه عطف على ما اي عليم بما تعملون وبان هذه او بانه مفعول فعل محذوف كانه قيل واعلموا ان هذه وقرا ابن عامر بتخفيف النون

على أن المخففة من الثقيلة أمتكم أمة واحدة ملتكم ملة واحدة أي متحدة في العقائد وأصول الشرائع أو جماعتكم جماعة واحدة متفقة على الإيمان
والتوحيد في العبادة ونصب أمة على الحال والبدل من هذه وأنا ربكم مالككم وسيدكم الذي أنعم عليكم بالنعم كلها من العليات ظاهرة وباطنة لا سيما
نعمة الرسالة والنبوة ونعمة الإسلام والتوحيد فاتقون في المخالفة عليها واعملوا عمل أهل التقوى في تعظيم ما أمركم به من العمل الصالح وفعل الطاعات وترك
المنكرات وقيل فاتقون في شق العصا ومخالفة الكلمة فتقطعوا أمرهم بينهم فتقطعوا أمر دينهم وجعلوه أديانا مختلفة أو فتفرقوا فتحزبوا أفرادا وأفرقا
وأحزابا يهود ونصارى ومجوس وعبدة الطاغوت وأمرهم منصوب بنزع الخافض أو التمييز والضمير لأمة ولم يقل فتقطعتم ولكن صرف الكلام إلى الغيبة
على طريقة الالتفات كأنه ينعى عليهم ما أفسدوه إلى آخرين ويقبح عندهم فعلهم ويقول لهم ألا ترون إلى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله زبرا أي
قطعا كما تتوزع الجماعة الشيء ويجعلونه أقساما فيطير لهذا قسم ولذاك قسم جمع زبور الذي بمعنى الفرقة ويعضده القراءة بفتح الباء فإنه جمع زبرة بمعنى
القطعة استعيرت من زبر الفضة والحديد وقرأ زبرا مخففة الباء كرسل في رسل وهو حال من أمرهم أو من الواو أو مفعول ثان لتقطعوا فإنه متضمن
معنى جعل أي فجعلوا دينهم أديانا وزبرا قطعا وقيل كتبا من زبرة الكتاب فيكون مفعولا ثانيا أو حالا من أمرهم على تقدير مثل كتب كل حزب بما
لديهم فرحون أي كل فرقة من فرق هؤلاء المختلفين المتقطعين دينهم فرح بما لديه من دينه الباطل معجب به معتقد أنه على الحق فذرهم فأعرض
عنهم وخلهم غير ملتفت إلى تقطعهم ولا مبال بتفرقهم وتحزبهم أو اشتغل قبلك معهم في غمرتهم في جهالتهم شبهها بالماء الذي يغمر القامة لأنهم
مغمورون فيها أو شبهوا باللاعبين في غمرة الماء لما هم عليه من الباطل وتمكنهم منه واستقرارهم عليه وتمسكهم به قال كأنني ضارب في غمرة لعب
وقال ابن عباس في غمرتهم في كفرهم وضلالتهم وقيل في عمايتهم وقيل في غفلتهم وقرأ علي رضي الله عنه في غمراتهم حتى حين إلى أن يقتلوا أو يموتوا
أيحسبون أنما نمدهم به أي نعطيهم إياه ونجعله مددا لهم من مال وبنين بيان لما وليس خبرا له فإنه غير معاتب عليه وإنما المعاتب عليه اعتقادهم
أن ذلك خير لهم فخبره نسارع لهم في الخيرات والراجع محذوف والمعنى أيحسبون أن الذي نمدهم به نسارع به لهم فيما فيه خيرهم وإكرامهم وذلك يجوز
لاستطالة الكلام مع أمن الالتباس وقيام القرينة والهمزة لإنكار الحسبان والتعجب منه كأنه قيل ذرهم وانظر إلى حسبانهم المستنكر المقتضي منه
العجب وذلك أن هذا الإمداد إنما هو استدراج لهم إلى المعاصي واستجرار إلى زيادة الإثم وهم يحسبونه مسارعة لهم في الخيرات وفيما لهم فيه نفع
وإكرام ومعاجلة بالثواب قبل وقته أو في جزاء الخيرات كما يفعل بأهل الخير من المسلمين وأن مع اسمه وخبره ينوب عن المفعولين وما موصولة
وكان حقها في قياس علم الخط أن تكتب مفصولة ولكنها وقعت في الإمام متصلة فلا تخالف وتتبع سنة الإمام في خط المصاحف وقرأ عبد الرحمن
بن أبي بكرة يسارع بالياء مبنيا للفاعل وأبو عبد الرحمن يسارع مبنيا للمفعول بل لا يشعرون استدراك لقوله أيحسبون وقرئ يمدهم بالياء وكذلك
يسارع ويسرع والفاعل هو الله تعالى ويجوز أن يكون فيهما ضمير الممد به ويسارع مبنيا للمفعول ثم ذكر المسارعين في الخيرات وعلاماتهم
فقال إن الذين هم من خشية ربهم أن المؤمنين بما هم عليه من خشية الله مشفقون خائفون من عذابه لا يؤمنونه وعن الحسن أن
المؤمن جمع إحسانا وخشية والكافر جمع إساءة وأمنا والذين هم بآيات ربهم المنزلة والمنصوبة يؤمنون بتصديق مدلولها والذين هم بربهم لا
يشركون أحدا من خلقه والذين يؤتون ما آتوا أي يعطون ما أعطوا من الصدقات وقراءة رسول الله وعائشة يأتون ما أتوا أي يفعلون
ما فعلوا من الأعمال الصالحة والأفعال المرضية وقلوبهم وجلة خائفة أن لا يقبل منهم وعنها أنها قالت قلت يا رسول الله هو الذي
يزني ويسرق ويشرب الخمر وهو على ذلك يخاف الله قال لا يا بنت الصديق ولكن هو الذي يصلي ويصوم ويتصدق وهو على ذلك
يخاف الله أن لا يتقبل أنهم إلى ربهم راجعون لأن مرجعهم إليه أو من مرجعهم إليه وهو يعلم ما يخفى عليهم وعن الحسن عملوا والله
بالطاعات واجتهدوا فيها وخافوا أن ترد عليهم وقرأ زيد بن علي إنهم بكسر الهمزة على الاستيناف أولئك يسارعون في الخيرات أي
يرغبون في الطاعات أشد الرغبة فيبادرونها ويتعجلون في الدنيا المنافع ووجوه الإكرام كما قال فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن
ثواب الآخرة وآتيناه أجره في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين لأنهم إذا سورع بها لهم فقد سارعوا في نيلها وتعجلوها فيكون إثباتا
لهم ما نفي عن الكفار وقرئ يسرعون وهم لها سابقون أي لأجلها فاعلون السبق أو لأجلها سابقون الناس إلى الطاعة أو الثواب أو الجنة
أو إياها سابقون أي ينالونها قبل الآخرة حيث عجلت لهم في الدنيا كقولهم هو لها عامل ويجوز أن يكون لها سابقون خبرا بعد خبر وهم لها
ينالو

كقول أنت لها أحد من بني البشر وقال ابن عباس سبقت لهم من الله السعادة وقال الكلبي سبقوا الأمم إلى الخيرات ولا نكلف نفسا إلا وسعها
إلا ما يتسع فيه طوقها ويتيسر عليها يريد به التحريض على ما وصف به الصالحين وتسهيله على النفوس وأنه غير خارج من حد الوسع وحد الطاقة
والمجهود وهذا كالذي أعدوهم من عدله ورحمته الواسعة ولدينا كتاب يريد به اللوح أو صحيفة الأعمال ينطق بالحق بالصدق لا يوجد فيه
ما يخالف الواقع وهم لا يظلمون بزيادة عقاب أو نقصان ثواب بل قلوبهم قلوب الكفرة في غمرة في غفلة غامرة لها من هذا أي مما عليه هؤلاء
الموصوفون من المؤمنين أو من كتاب الحفظة وقيل من هذا القرآن ولهم أعمال خبيثة من دون ذلك متجاوزة متخطية لذلك أي لما وصف به المؤمنون
أو متخطية عما هم عليه من الشرك هم لها عاملون معتادون فعلها لا يقلعون عنها حتى إذا أخذنا مترفيهم متنعميهم بالعذاب هو قتلهم يوم بدر أو
الجوع حين دعا عليهم رسول الله فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فابتلاهم الله بالقحط حتى أكلوا
الجيف والكلاب والعظام المحرقة والقد والأولاد إذا هم يجأرون أي فاجؤوا الصراخ بالاستغاثة وهو جواب الشرط والجملة هي الكلام الذي يبتدأ
بعد حتى ويجوز أن يكون الجواب لا تجأروا اليوم لأنه مقدر بالقول أي قيل لهم لا تجأروا اليوم والجؤار رفع الصوت بالتضرع أي لا تضجوا إنكم
منا لا تنصرون تعليل للنهي أي لا تجأروا فإن الجؤار غير نافع لكم إذ لا تغاثون ولا تمنعون منا أو لا يلحقكم نصر ومعونة من جهتنا قد كانت
آياتي تتلى عليكم يعني القرآن فكنتم على أعقابكم تنكصون قيل ترجعون قهقرى تتأخرون عن الإيمان وقيل تعرضون مدبرين عن سماعها وتصديقها
والعمل بها والنكوص الرجوع على العقبين مستكبرين به الضمير للبيت العتيق أو للحرم كانوا يقولون لا يظهر علينا أحد لأنا أهل الحرم وشهرة استكبارهم
وافتخارهم بأنهم ولاته والقائمون به أغنت عن سبق ذكره ويجوز أن يعود إلى آياتي لأنها بمعنى كتابي والباء متعلقة بمستكبرين لأنه بمعنى مكذبين
أو لأن استكبارهم على المسلمين حدث بسبب استماعه أو بقوله سامرا أي تسمرون بذكر القرآن وبالطعن فيه وكانوا يجتمعون حول البيت بالليل
يسمرون وكانت عامة سمرهم ذكر القرآن وتسميته سحرا وشعرا وسب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في الأصل مصدر جاء على لفظ الفاعل كا
العافية وقرئ سمرا وسمارا وقراءة كلمة سمرا وسمارا تهجرون من الهجر بالفتح بمعنى الهذيان أو الهجران أي تهجرونه في شأن القرآن أو ترفضونه
وقرأ نافع بضم التاء وكسر الجيم من أهجر إذا هذى أو أعرض عنه بقطع الكلام أفلم يدبروا القول عطف على ما قبله من الفعلية أو على مقدر كأنه قيل
أكفروا أو أكذبوا فلم يتدبروا القرآن ليعلموا أنه الحق من ربهم فيصدقوا به وبمن جاء به أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين فأنكروا بمعنى أتاهم بعثنا من
قبلهم رسل الحق منهم لذلك بعثنا محمدا صلعم ويجوز أن يكون أم منقطعة بل والهمزة أي بل أجاءهم ما لم يأت آباءهم فلذلك أنكروه واستبدعوه
قوما أنذر آباؤهم فهم غافلون وليخافوا عن تدبر آياته وأقاصيص مثل ما نزل بمن قبلهم من المكذبين أم جاءهم من الكتاب أو من الأمن من
عذاب الله فلم يخافوا كما خاف آباؤهم الأولون من إسماعيل وأعقابه فآمنوا بالله وبكتبه ورسله وأطاعوه أم لم يعرفوا رسولهم بالأمانة
والصدق وحسن الخلق والوفاء بالعهود وكمال العلم مع عدم التعلم وغير ذلك مما هو صفة رسل الله وقال ابن عباس أليس قد عرفوا محمدا
نسبه وصدقه وأمانته ووفاءه بالعهود توبيخا لهم به على الإعراض عنه ما عرفوه بتلك الخصال الحميدة فهم له منكرون دعواه لأحد هذه الوجوه
إذ لا وجه له غيرها فإن إنكار الشيء قطعا أو ظنا إنما يتجه إذا ظهر امتناعه بحسب النوع أو الشخص أو بحث عما يدل عليه أقصى ما يمكن فلم يوجد
أم يقولون به جنة فلا يبالون بقوله وكانوا يعلمون أنه بريء من الجنون وأنه أرجحهم عقلا وأتقنهم ذهنا وأحسنهم لهجة بل جاءهم بالحق
ولكن أكثرهم للحق كارهون لأنه يخالف شهواتهم وأهواءهم ولم يوافق ما نشؤوا عليه من اتباع الباطل فلذلك أنكروه وأخلدوا إلى
البهت وعولوا على الكذب من النسبة إلى الجنون والسحر والشعر وقيل الحكم بالأكثر لأنه كان فيهم من يترك الإيمان به استنكافا من
توبيخ قومه وأن يقولوا صبأ وترك دين آبائه لا كراهة للحق كما يحكى عن أبي طالب ومن قال إن أبا طالب كان مسلما كما زعم كثير من الشيعة
فقد أخطأ وخرق إجماع أهل الحق قاطبة ولو اتبع الحق أهواءهم الحق هو الله يعني لو كان الله إلها يتبع أهواءهم ويأمر بالشرك فكان
في الواقع آلهة شتى لفسدت السماوات والأرض كقوله لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا أو الإسلام أي ولو اتبع الحق الذي جاء محمد أهواءهم
وانقلب شركا لجاء الله بالقيامة ولأهلك العالم وأعدمه من فرط غضبه أو القرآن قاله الفراء والزجاج أي لو نزل القرآن بما يحبونه من جعل الشريك
والولد على ما يعتقدونه لفسدتا ومن فيهما أو مقابل الباطل أي لو اتبع الحق أهواءهم وانقلب باطلا لذهب ما قام به العالم فلا يبقى له قوام

قطعا أو ظنا

شتى

والاكثرون على ان الآتي من الاقناعية والملازمة فيهما عادية غير قطعية فان العادة جارية بوجوب التمانع والتغالب عند تعدد الحاكم على ما اشير
اليه بقوله تعالى ولعلا بعضهم على بعض وقرا الاعمش ولو اتبع بضم الواو كانه بكسرة الكسرة على الواو لان الواو جا في الضم بل آتيناهم بذكرهم يعني بالكتاب
الذي هو ذكرهم اي وعظهم او وصيتهم وفخرهم او بالذكر الذي كانوا يتمنونه بقولهم لو ان عندنا ذكرا من الاولين لكنا عباد الله المخلصين وقرا ابن اسحاق
والجحدري بل اتيتهم بذكرهم وقرا الحسن وعيسى بل اتيتهم بضم التاء وقرئ بذكراهم فهم عن ذكرهم الذي هو فخرهم معرضون لا يلتفتون اليه ولا يؤمنون به ام
تسألهم قيل انه قسيم قوله ام يقولون به جنة خرجا اجرا وجعلا على تبليغ الرسالة والادا فخراج ربك اي فرزقه في الدنيا او ثوابه في العقبى خير
لسعته ودوامه وعدم نكده ففيه مندوحة لك عن عطائهم وقرا ابن عامر خرجا فخرج ربك بغير الالف فيهما وحمزة والكسائي خراجا فخراج باثباته فيهما للمزاوجة والبا
قون خرجا فخراج بحذف الالف في الاول واثباته في الثاني والخرج بازاء الدخل يقال لكل ما تخرجه الى غيرك والخراج غالب في الضريبة على الارض ففيه اشعار
بالكثرة واللزوم فيكون ابلغ ولذلك عبر به عن عطاء الله اياه وقال مجاهد خرجا فخرج وهو خير الرازقين تقرير لخيرية خراجه وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم
الى الاسلام الذي تشهد العقول السليمة لاستقامته وعدم العوج فيه واعلم انه تعالى الزمهم الحجة في هذه الآيات وازاح العلة بان المرسل اليهم
رجل معروف شانه وانهم لم يعرض له حتى يدعي مثل تلك الدعوى بباطل ولم يجعل ذلك سلما الى نيل دنياهم ولم يدعهم الا الى دين الاسلام
الذي هو الصراط المستقيم مع ابراز المكنون من ادوائهم وهو اخلالهم بالتدبر وتقليدهم لابائهم الضلال وقولهم بالجنة بعد ان صدق الله بالآ
يات الباهرة النيرة وكراهتهم للحق واعراضهم عما فيه حظهم من الذكر وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط عن الصراط المستوي بالاستقامة
وانتفاء العوج عنه راسا وبالكلية لناكبون لعادلون عنه فان خوف الآخرة اقوى البواعث على طلب الحق وسلوك طريقه ولو رحمناهم وكشفنا
ما بهم من ضر من قحط اصابهم لما اسلم ثمامة بن اثال الحنفي ولحق باليمامة ومنع الميرة من اهل مكة واخذهم الله بالسنين حتى اكلوا
العلهز جاء ابو سفيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له انشدك الله والرحم الست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقال
قتلت الآباء بالسيف والابناء بالجوع فادع الله ان يكشف عنا هذا القحط فكشف عنهم فانزل الله الآية والمعنى لو كشف الله عنهم هذا
الضر والقحط برحمة عليهم ووجدوا الخصب للجوا في طغيانهم لارتدوا الى ما كانوا عليه من الاستكبار عن الحق وعداوة النبي والمؤمنين
واولها طغيانهم فيها واللجاج التمادي في الخصومة والطغيان مجاوزة الحد في الشيء وكل مجاوز في العصيان طاغ يعمهون يتحيرون في كفرهم وعتوهم
يترددون في ضلالتهم لا يدرون اين يتوجهون كمن يضل عن الطريق في الفلاة لا راي له ولا دراية في الطرق او يعمهون عن كشفنا برحمتنا عليهم
ويضلون عنه ولقد اخذناهم بالعذاب بما جرى عليهم يوم بدر من قتل صناديدهم واسرهم فما استكانوا لربهم وما يتضرعون فما وجدت منهم بعد ذلك
استكانة ولا تضرع لربهم بل مضوا على تمردهم في الكفر وعتوهم واستكبارهم والاستكانة الخضوع والذلة ووزنه استفعل من الكون اي انتقل
من كون الى كون كما قيل استحال اذا انتقل من حال الى حال او افتعل من السكون اشبعت فتحة عينه كما في منتزاح وليس من عادة هؤلاء ان يتضرعوا
حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد يعني الجوع فانه اشد من القتل والاسر وقيل الموت وقيل القيام الساعة وقال ابن عباس ومجاهد القتل
يوم بدر وقرئ فتحنا اذا هم فيه مبلسون آيسون من كل خير حتى جاءك اعتاهم واشدهم شكيمة في العناد يستعطفك او محناهم بكل محنة من الجوع
والقتل والاسر فما رؤي فيهم لين مقادة وهم كذلك حتى اذا عذبوا بنار جهنم فحينئذ يبلسون كقوله ويوم تقوم الساعة
يبلس المجرمون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون وقيل الابلاس السكوت التحير وهو الذي انشا لكم السمع والابصار لتحسوا بها وتعلموا ما فيها الآية
ونصب لكم من الآيات والافئدة لتتفكروا بها يوكم للتنظر والاستدلال والاعتبار فتعلموا ان ما من مصنوع من المصنوعات الا وهو يدل ويشهد
بلسان ذلق على وجود صانعه ووحدته وانه شيئا من هذه المخلوقات كلها لا يقدر على ان شاء منها حتى لا تجعلوا المصنوعات والمخلوقات له
اندادا واشباها قليلا ما تشكرون قليلا نصب على الظرف لانه من صفة الاحيان والعامل فيه الفعل المذكور بعده وما مزيدة لتاكيد القلة
بمعنى تقالي في قليل من الاحيان والاوقات تشكرون ويجوز ان ينتصب على انه صفة مصدر محذوف اي تشكرون شكرا قليلا لان النعمة
في شكرها اعمالها فيما خلقت له بلا و التصديق بمنعمها والاقرار به من غير ان يجعل له ند وشريك وهو الذي ذراكم في الارض اي خلقكم
وبثكم فيها بالتناسل واليه تحشرون تجمعون يوم القيمة بعد تفرقكم وهو الذي يحيي ويميت اي يعطي الحيوة النطف والتراب والبيض والموتى
ص

[illegible]

يوم القيمة وياخذ الحيوة من الاحياء ولم يقل احيا واماتا كما قال انشاكم ذلكم ولكن على لفظ المضارع ليدل على ان احياء الاحياء واماتتها عادته
وله اختلاف الليل والنهار اي ويختص به تعاقبهما لا يقدر عليه غيره فيكون ردا لنسبة الى الشمس حقيقة او لامره وقضائه تعاقبهما او انتقاص
احدهما وازدياد الآخر افلا تعقلون افلا تتفكرون بنظر التم او تعقلون من تلك الآيات فلا تعقلون اي فلا تستعملون عقولكم وان لا بد لانتقا
لكم او تغيركم ولانتقال الليل والنهار وتغيرهما من حال الى حال من ناقل ومغير من هيئة الى هيئة من وقت الميلاد الى وقت الوفاة
فتستدلون بذلك على عظيم قدرته وباهر حكمته وتشكرون على النعم فيها الغاية للحصر التي من جملتها الوجود والخروج من ظلمة العدم والسكون بالليل
والتصرف بالنهار وغير ذلك مما لا يخفى على كل ذي عقل سليم وقيل افلا تعقلون بالنظر والتامل ان الكل منا وان قدرتنا تعم الممكنات كلها وان
البعث من جملتها وقرئ افلا يعقلون بالياء عن ابي عمرو وعلى ان الخطاب السابق لتغليب المؤمنين بل قالوا اي بل قالوا اهل مكة مثل ما قال الاولون
كما قال من قبلهم من الكفار قالوا ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون استبعادا ولم يتاملوا انهم كانوا قبل ذلك ترابا فخلقوا والعامل
في اذا ما دل عليه لمبعوثون وهو نبعث لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها وتكرير الاستفهام بادخاله على اذا وان جميعا انكار بعد انكار وجحود
بعد جحود على جحود شهادة على كفر مؤكد متبالغ فيه والضمير في انا لهم ولابائهم الاولين لان كونهم ترابا قد عمهم واباهم لقد وعدنا نحن واباؤنا
هذا اي هذا البعث وهو مفعول ثان لوعدنا من قبل من قبلنا ومن قبل هذا الزمان او من قبل محمد اي وعد اباؤنا قوم ذكروا انهم رسل الله فلم
ير له حقيقة ان هذا الا اساطير الاولين الاكاذيب الاولين التي كتبوها جمع اسطورة لانه يستعمل فيما يتلهى به كالاعاجيب والاضاحيك او
جمع اسطار جمع سطر قاله ابو عبيد اي واسطار جمع سطر قل لمن الارض اي الارضين السبع بدليل قوله من رب السموات ومن فيها ما لا
يعلم عددها الا الله ان كنتم تعلمون ان كنتم اهل العلم ان كان عندكم فيه علم ففيه استهانة بهم وتقرير لفرط جهالتهم بالديانات حتى جهلوا
مثل هذا الظاهر البين والزام بما لا يمكن لمن له مسكة من العلم انكاره ولذلك اخبر عن جوابهم قبل ان يجيبوا فقال سيقولون لله لان العقل الصريح
قد اضطرهم بادني نظر الى الاقرار بانه خالقها وعن عمرو بن ميمون سيقولوا الله قل لهم بعد ما قالوه واقروا بذلك افلا تذكرون يعني فعلنا كما
كل من خلق الارض وفرشها وخلق من فيها الارادة ان يبث كما للعباد فيعرفوا الخالق وعظيم قدرته وغرائب حكمته ويعبدوه وحده اتغفلون
انتم من ذلك فلا تذكرون اي فلا تتفكرون فيها فتعلمون ان من فطر الارض ومن فيها ولطف علمه حتى يعلم الى ما ثلمه الارض من اجسام
الموتى الذين فيها من لحومهم وعظامهم كان قادرا على اعادتهم ورجعهم احياء كما كانوا وكان حقيقا بان لا يشرك به بعض الخلق في الربوبية
وقرا حفص وحمزة والكسائي وخلف تذكرون بتخفيف الذال والباقون بتشديدها وقرئ تتذكرون على الاصل وقيل افلا تذكرون افلا
تعلمون ان من قدر على خلق الارض ومن فيها ابتداء يقدر على احيائهم بعد الموت قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم
ترقى من الادنى والاصغر الى الاعلى والاعظم لما استبعدوا البعث فانكروه وهو اصل مجادلتهم ومدارها جوابا بخلق الارض ومن
فيها ثم بخلق السموات والعرش العظيم لانهم كانوا معتقدين بان خالقها وبان كل واحدة منها خلق عظيم لا يقادر قدره وخلق الناس
بالقياس اليه قليل مهين فمن قدر على خلقها مع عظم حجمها واتساع جرمها وتباعد اطرافها كان على اعادة الانسان مع قلته ومهانته اقدر
فان اعادة الخلق اهون من بداءته وانشائه على القياس الصحيح سيقولون لله لان العقل الصريح قد اضطرهم وقرا ابو عمرو ويعقوب بغير اللام
فيه وفيما بعده على ما يقتضيه لفظ السؤال قل افلا تتقون افلا تخافون عذابه فلا تشركوا به بعض خلقه ولا تنكروا قدرته على بعض مقدوراته
[illegible] قل من بيده اليد في الاصل اسم موضوع للجارحة من المنكب الى اطراف الاصابع وهو العضو المركب من لحم وعظم وعصب وكل من هذه
الثلاثة جسم مخصوص بصفة مخصوصة والله متعال عن الاجسام كلها وعن مشابهتها فلما تعذرت وجب الحمل على التجوز بمعنى معقول
هو القدرة وبه نفسر قوله عليه السلام ان الله خمر طينة ادم بيده اي بقدرته الباهرة فان العضو المركب منها محال على الله الذي ليس كمثله
شيء لانه يلزم تركيبه وتحيزه وذلك امارة الحدوث المنافي للازلية والقدم وكذلك الاصبعين في قوله عليه السلام ان قلب المؤمن
بين الاصبعين من اصابع الرحمن فان اهل الحق على ان الاصبعين وكذا اليدان في قوله لما خلقت بيدي مجازان عن القدرة فانه شايع اي
خلقت بقدرة كاملة ولم يرد بقدرتين ملكوت كل شيء ملكه غاية ما يمكن وقيل خزائنه وهو يجير يغيث من يشاء ويحرسه ولا يجار عليه ولا

يغالب احد ولا يمنع منه وتعديته بعلى لتضمين النصرة ان كنتم تعلمون ما يبين بذلك سيقولون لله قل فانى تسحرون فانى تخدعون وتصرفون عن
توحيده وطاعته مع ظهور الادلة وتناصرها والخادع هو الشيطان والهوى بل اتيناهم بالحق من التوحيد والوعد بالحشر ومنه ان نسبة الشرك
والولد اليه محال باطل وهو الصدق المبين وقرا ابو عمرو وابن ابي قطيب اتيناهم من الايتاء بمعنى الاعطاء وقرا ابن ابي اسحق والجحدري
بل اتيتهم بتاء المخاطب وعن الحسن وعيسى بتاء المتكلم وانهم لكاذبون حيث يدعون معه شريكا وولدا ما اتخذ الله من ولد لانه لم يجانسه احد ولم يماثله
حتى يكون له من جنسه وشبهه صاحبة فيتوالد وايضا الولادة انما تقع في الاجسام والله الذي خرع الاجسام وهو متعال عن صفات الاجسام والاعراض
على ان قول الله اصدق من قول غيره وحكايته اوثق من حكاية من عداه وما كان معه من اله اي من شريك يشاركه في الالهية وفيه مع ما فيه من تقرير
كذبهم في ادعاء الشريك بيان لاختصاصه بالالوهية كما ان ذلك بيان لاختصاصه بانتفاء الولد مع التقرير والتسجيل عليهم بالكذب في
نسبة الولد اليه اذا لذهب كل اله بما خلق جواب محاجتهم وجزاء شرط محذوف يدل عليه ما قبله وتقديره ولو كان معه اله كما تزعمون لذهب اي
لانفرد كل واحد من الالهة بخلقه الذي خلقه واستبد به وامتاز ملكه من ملك الآخرين ولعلا بعضهم على بعض اي لغلب بعضهم بعضا وظهر
بينهم التغالب والتحارب كما ترون حال ملوك الدنيا فلم تكن بيده ملكوت كل شيء واللازم باطل بالاجماع والاستقراء وقيام البرهان على استناد جميع
الممكنات الى واجب الوجود الذي يكون وجوده من ذاته ولا يحتاج الى شيء اصلا اذ لو كان جائز الوجود لكان من جملة الممكنات فلم يصح ما كان كل شيء
ولا قادرا عليه ولا مبدا له كما هو حال الممكنات والجائزات سبحان الله تنزيه او تعجب عن وصفهم بما لا يجوز عليه عما يصفون عما يصفونه به ويضيفونه
اليه من الاولاد والشركاء لما سبق من الدليل على فساده او عن وصفهم بالولد والشريك على ان ما موصولة او مصدرية عالم الغيب والشهادة
خبر مبتدا محذوف والجملة بيان لتنزهه مما نسب اليه يعني انه عالم بكل ما غاب عن العباد وما شاهدوه فما يقول انما يقوله عن علم بل سلطان
وعليه برهان واما هؤلاء الكفرة فانما يقولون على ما لا يعلمون ما عندهم من سلطان به ولا برهان لهم عليه وقرا ابن كثير وابن عامر وابو عمرو
وحفص ويعقوب عالم بالجر صفة لله فتعالى عما يشركون اي فتبرأ وجل عن ان يكون له شريك وان يكون الهتهم له شركاء او عن اشراكهم وجعل
هذا نتيجة من انشائه وقدرته على الاحياء والاماتة وساير ما ذكر من افعاله وصفاته التي لا له على اختصاصه بالالهية والوحدانية يعني انه
قد ثبت بما قدم من ابطال ان تكون الالهية لغيره انه اله وحده لا شريك له فيها فكان من نتيجة ثبات الوحدانية ووضوح دلايلها ونفاذها
ها تعاليه وتقدسه عما يشركون ويجوز ان يكون فتعالى تعجبا عن ذلك كانه قيل فما اعلاه من هذه صفاته عما يضيفان اليه من الشركاء وقرا [illegible] وتعالى
بالواو قل رب اما تريني ما يوعدون ما والنون مزيدتان لتاكيد معنى الشرط وما هي لام القسم في انها اذا دخلت دخلت معها النون المؤكدة والمعنى ان كان
لا بد من ان تريني اي ما تعدهم من العذاب في الدنيا او في الآخرة وقرا ما ترئنهم بالهمزة كما قرئ فاما ترئن وهي ضعيفة وان كان اصلا لانه اصل مرفوض
مجرور رب فلا تجعلني مع القوم الظالمين فلا تجعلني قرينا لهم ولا تعذبني بعذابهم وهو اما لهضم النفس او لان شوم الظلمة قد يحيق بمن وراءهم
كقوله واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة عن الحسن ان الله تعالى اخبر نبيه ان له في امته نقمة ولم يخبره في حيوته ام بعد موته فامره ان يدعوا
بهذا الدعاء وتكرير النداء وتصدير كل واحد من الشرط والجزاء به من باب الابتهال والالتجاء الى الله والخضوع له واعلام بما يوجب حسن الاجابة وتعليم
منه كيف يدعى ويتضرع وان ما يستجاب به الدعاء لا بد من تكريره وتقديمه بين يديه وانا على ان نريك ما نعدهم لقادرون لكنا نؤخره علما بان
بعضهم ومن اعقابهم يؤمنون او لانك انت فيهم وقيل قد اراه بالقتل والاسر يوم بدر او بفتح مكة وقيل يجوز ان يكون ردا لانكارهم الموعود بالعذاب
وضحكهم منه واستهزائهم له تهكما به وسخرية ادفع بالتي هي احسن السيئة اي ادفع السيئة بالطريق التي هي احسن طرق الدفع من الصفح عن اساءتهم
والاحسان في مقابلتها بحيث لم يؤد الى وهن في الدين وعن ابن عباس هي شهادة ان لا اله الا الله والسيئة الشرك وعن مجاهد السلام يسلم
عليه اذا لقيه وعن الحسن الاغضاء والصفح وقيل الامر بالمعروف والسيئة المنكر وقيل هي منسوخة باية السيف وقيل محكمة لان المداراة محثوث
عليها ما لم تؤد الى ثلم دين وازراء بمروة وهو ابلغ من ادفع بالحسنة السيئة لما فيه من التفضيل نحن اعلم بما يصفون بما يصفونك به ويذكرونك
به من خلاف حالك او بوصفهم لك وسوء ذكرهم واقدر على جزائهم فكل الينا امرهم وقيل بما يكذبون ويقولون من الشرك وقل رب
اعوذ بك اي التجئ بك وقيل امتنع واعتصم بك من عاداتهم بعداوة الجاهلية من همزات الشياطين من وساوسهم واصل الهمز النخس والهمزات

جمع الهمزة

جمع الهمزة من ومنه مهماز الرايض شبه حثهم الناس على المعاصي بهمز الرايضة الدواب حثا لها على المشي ونحو الهمز الاز في قوله تؤزهم ازا وقيل الجمع للمرات
او لتنوع الوساوس او لتعدد المضاف اليه وقيل اصل الهمز شدة الدفع واعوذ بك رب ان يحضرون يحوموا حولي في امر ديني وعن ابن عباس عند
تلاوة القراءة وعن عكرمة عند النزع وحلول الاجل لانها اخرى الاحوال ان يخاف عليه حتى اذا جاء احدهم الموت حتى متعلق بيصفون اي لا يزالون
على سوء الذكر الى هذا الوقت والاية بينهما اعتراض لتاكيد الاغضاء بالاستعانة بالله عن الشيطان ان يزله عن الحلم ويغريه على الانتصار منهم
او بقوله انهم لكاذبون اي اذا ايقن بالموت واطلع على حقيقة الامر وعاينه قال تحسرا على ما فرط فيه من الايمان والعمل فيه رب ارجعون ردوني
الى الدنيا وخطاب الله بلفظ الجمع للتعظيم وقيل لتكرير قوله ارجعني والى هذا ذهب ابو عثمان المازني حيث قال المعنى من ارجعوني ارجعني ثلاث فجعلت
الواو علامة دالة على ان المعنى تكرير اللفظ مرارا كما قيل في قفا واطرقا ان المراد قف اطرق اطرق فجعلت الالف علما مشعرا بان المقصود تكرير اللفظ او
قيل الخطاب للملائكة يقبضون روحه ابتداء بخطاب الله لانهم استغاثوا بالله اولا ثم سالوا الملائكة الرجوع الى الدنيا وعن النبي صلعم اذا عا
ين المؤمن الملائكة قالوا نرجعك الى الدنيا فيقول الى دار الهموم والاحزان بل قدوما الى الله تعالى واما الكافر فيقول رب ارجعون لعلي اعمل
صالحا فيما تركت اي في الايمان الذي تركته يعني لعلي اتي بالايمان واعمل فيه صالحا او فيما تركت من المال او الدنيا وغير ذلك مما يصد عن الحق
لقوله عليه السلام اذا حضر الانسان الوفاة يجمع له كل شيء يمنعه عن الحق فيجعل بين عينيه فعند ذلك يقول رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما
تركت كلا ردع عن طلب الرجعة وانكار لها واستبعاد يعني لا يرجع اليها هيهات هيهات ان يرجعوه انها كلمة يعني ان مقالته رب ارجعون
الى آخره كلمة اي طائفة من الكلام المنتظم بعضها مع بعض هو قائلها لا محالة لا يخليها ولا يسكت عنها لاستيلاء الحسرة وتسلط الندم او قائلها وحده لا
يجاب اليها ولا تسمع منه ومن ورائهم اي امامهم ووراء فعال ولامه همزة عند سيبويه وابي علي وياء عند غيرهما وهو ظرف مكان بمعنى الجهة التي يواريها الشخص من
خلف او قدام والضمير للجماعة اي ومن قدامهم برزخ حاجز بينهم وبين الرجعة الى يوم يبعثون يوم القيمة وهو اقناط كلي عن الرجوع الى الدنيا لما علم انه
لا رجعة يوم البعث الى الدنيا وانما الرجوع فيه الى حيوة تكون في الآخرة فاذا نفخ في الصور لقيام الساعة وقرا الحسن الصور بفتح الواو وابو رزين بكسر
الصاد وهذا دليل لمن فسر الصور بجمع الصورة وعن ابن عباس ان هذه النفخة هي النفخة الاولى نفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض
وعن ابن مسعود انها النفخة الثانية قال يؤخذ بيد العبد والامة يوم القيمة فينصب على رؤس الاولين والآخرين ثم ينادي مناد
هذا فلان بن فلان فمن كان له قبله حق فليات الى حقه فيفرح العبد ان قد وجب له الحق على والده وولده او زوجته واخيه ثم قرا فلا انساب بينهم
تنفعهم لزوال التعاطف والتراحم بين اقارب من تفاقم الشدائد حتى يفر بعض الاحبة من بعضهم فلا يفتخرون بها يومئذ كما كانوا يفتخرون في
الدنيا ولا يتساءلون ولا يسأل بعضهم بعضا ولا يقول له من انت ومن اي قبيلة وابن حميك لفرط اشتغاله بنفسه او لتشاغلهم لم يمكنوا من
تساؤلهم او لا يتساءلون عند النفخة واما بعدها فيتساءلون وايضا يوم القيمة يوم طويل فيه خمسون موطنا كل موطن الف سنة ففي موطن
يشتد عليهم الهول والفزع بحيث يشغلهم عن التساؤل والتعارف فلا ينطقون لذلك وفي موطن يفيقون افاقة فيتساءلون ويتعارفون
والانساب جمع نسب وهو القرابة بين اثنين فصاعدا وقال الاصمعي رحمه الله كنت اطوف الكعبة ~~وهو يقول نامت العيون~~ في ليلة مقمرة
فسمعت صوتا حزينا فتتبعت الصوت فاذا انا بشاب حسن ظريف قد تعلق باستار الكعبة وهو يقول نامت العيون وغارت النجوم وانت الملك الحي القيوم وقد
غلقت الملوك ابوابها واقامت عليها حرسها وحجابها وبابك مفتوح للسائلين فها انا سائلك ببابك مذنبا فقيرا مسكينا اسيرا جئتك انتظر رحمتك
يا ارحم الراحمين ثم انشأ يقول يا من يجيب المضطر في الظلم يا كاشف الضر والبلوى مع السقم قد نام وفدك حول البيت وانتبهوا وانت يا حي يا
يا قيوم لم تنم ادعوك ربي ومولاي ومستندي فارحم بكائي بحق البيت والحرم انت الغفور فجد لي منك مغفرة واعطف علي فانت ذو الجود والكرم ان
كان عفوك لا يرجوه ذو جرم فمن يجود على العاصين بالكرم ثم رفع راسه نحو السماء وهو ينادي يا الهي وسيدي ومولاي ان اطعتك فلك المنة علي عفو
وان عصيتك فبجهلي فلك الحجة علي اللهم فباظهار فضلك علي وباثبات حجتك لدي ارحمني فاغفر ذنوبي ولا تحرمني رؤية جدي قرة عيني وحبيبك
ونبيك محمد عليه السلام ثم انشا يقول الا ايها المأمول في كل شدة اليك شكوت الضر فارحم شكايتي الا يا رجائي انت كاشف كربتي فهب لي ذنوبي
كلها واقض حاجتي فزادي قليل ما اراه مبلغي على الزاد ابكي ام لبعد مسافتي اتيت باعمال قباح ردية وما في الورى خلق جنى كجنايتي فكان يكرر

لما علم

هذه الابيات حتى سقط على الارض مغشيا عليه فدنوت منه فاذا زين العابدين بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم فوضعت راسه
في حجري وبكيت لبكائه شديدا شفقة عليه فقطر من دموعي على وجهه فافاق من غشيته وفتح عينيه في وجهي وقال من الذي شغلني عن ذكر ربي
ومولاي فقلت انا الاصمعي يا سيدي ما هذا البكاء وما هذا الجزع وانت من اهل بيت النبوة ومعدن الرسالة اليس الله يقول انما يريد الله
ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا قال فاستوى جالسا وقال يا اصمعي هيهات ان الله خلق الجنة لمن اطاع وخلق النار لمن عصاه
ولو كان عبدا قرشيا اما سمعت قوله تعالى فاذا نفخ في الصور فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون بادغام التاء في السين فمن ثقلت موازينه
جمع موزون وهو العمل الذي له وزن وخطر عند الله او جمع ميزان وثقلها رجحانها فاولئك هم المفلحون والميزان عبارة عما يعرف به مقادير الاعمال والعقل قاصر عن
ادراك كيفيته وقد ورد في الحديث ان كتب الاعمال هي التي توزن فاولئك هم المفلحون الظافرون بما ارادوا والفائزون بالنجاة والدرجات
ومن خفت موازينه ومن لم يكن له عمل وزن وقدر عند الله وهم الكفار لقوله فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا فاولئك الذين خسروا انفسهم غبنوها حيث
ضيعوا زمان استكمالها وابطلوا استعدادها لنيل كمالها في جهنم خالدون بدل من الصلة او خبر بعد خبر لاولئك او خبر مبتدا محذوف
تلفح وجوههم النار تحرقها واللفح مثل النفخ الا انه اشد تاثيرا وقيل تنفحها والنفح القبض على الشيء وجذبه بشدة والمراد بالوجه ههنا الجارحة
المخصوصة وهو الظاهر او الجملة تعبيرا عن الكل باشرف اجزائه وهو الاظهر لقوله عليه السلام ان جهنم لما سيق اليها اهلها تلقتهم بعنق فلفحتهم لفحة
لم تترك لحما على عظم الا القته على العرقوب وهم فيها كالحون مما شدة الاحتراق والكلوح تقلص الشفتين وتشمرهما عن الاسنان كما ترى الرؤوس
المشوية وعن مالك بن دينار كان سبب توبة عتبة الغلام انه مر في السوق براس اخرج من التنور فغشي عليه ثلاثة ايام ولياليهن وروى ابو سعيد
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال وهم فيها كالحون تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط راسه وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب
سرته وعن ابي هريرة يعظم الكافر ويصير مسيرة سبع ليال وضرسه مثل احد وشفاههم عند سرتهم سود زرق حبين مقبوحين وقال صلعم
ان اهل النار يعظمون حتى يصير ما بين شحمة اذني احدهم الى عاتقه مسيرة سبع مائة عام وغلظ جلد احدهم اربعون ذراعا وضرسه اعظم من
جبل احد وفضيلة جسده على ضرسه كفضيلة جسد احدكم على ضرسه وقرئ كلحون مثل حذرون الم تكن اياتي تتلى عليكم على اضمار القول اي يقال
لهم الم تكن اياتي بمعنى قد كانت اياتي وهو القرآن او هو سائر كتب الله وكنتم بها تكذبون تانيب وتذكير لهم بما استحقوا هذا العذاب لاجله قالوا
ربنا غلبت علينا شقوتنا ملكتنا سوء العاقبة التي كتب علينا فلم نشتغل ولم نهتد الى الهدى وكنا قوما ضالين وكنا في الزمان الماضي على الكفر [illegible]
وعلى الضلالة مصرين عليها فوداد اي ادتنا الى سوء عاقبتنا او كنا في الازمنة الماضية في علمك قوما متمكنين في الضلالة متوغلين في التكذيب
وقرا حمزة والكسائي شقاوتنا بفتح الشين كالسعادة والباقون شقوتنا بكسرها واسكان القاف وقرئ بكسرها وبالالف على وزن
الكتابة والثلاثة كل منها مصدر شقي نقيض سعد وانما جاء بالواو لانه بني على التانيث في اول احواله وكذلك النهاية ولو بني على التذكير لكان
مهموزا كقولهم صلاءة وعباءة ربنا اخرجنا منها من جهنم او من النار فان عدنا الى ما نكرهه من الكفر والتكذيب وسائر ما هو سبب
لدخولها فانا ظالمون لانفسنا بعودنا ان ما يلحق انفسنا بعد ذلك من العذاب لاحق بنا عن سبيل العدل والاستيجاب بانا
ظلمنا انفسنا بالكتاب ما هو سبب [illegible] قال اخسئوا فيها ذلوا فيها واسكتوا سكوت هوان وانزجروا انزجار فانها ليست مقام سؤال من جاد
الكلب اذا زجر فما دوا انزجروا ولا تكلمون في رفع العذاب فانه لا رفع ولا تخفيف ولا تكلمون راسا قيل هو اخر كلام يتكلمون به ثم لا كلام
بعد ذلك الا الشهيق والزفير والعواء كعواء الكلب لا يفهمون يروى عن ابن عباس ان لهم ست دعوات اذا دخلوا النار قالوا الف سنة ربنا
ابصرنا وسمعنا فيجابون حق القول مني فينادون الفا ربنا امتنا اثنتين فيجابون ذلكم بانه اذا دعي الله وحده فينادون الفا يا مالك ليقض علينا ربك
فيجابون انكم ماكثون فينادون الفا ربنا اخرنا فيجابون اولم تكونوا اقسمتم فينادون الفا ربنا اخرجنا نعمل صالحا فيجابون اولم نعمركم فينادون
الفا رب ارجعون فيجابون اخسئوا فيها وعن ابن عمر انهم يدعون مالكا اربعين عاما يا مالك ليقض علينا ربك فلا يجيبهم ثم يقول انكم ماكثون
ثم ينادون ربهم ربنا اخرجنا نعمل صالحا الاية فيدعهم مثل عمر الدنيا مرتين ثم يرد عليهم اخسئوا فيها ولا تكلمون فما نبس القوم بعد ذلك
بكلمة ان كان الا الزفير والشهيق وقال محمد بن كعب اذا قيل لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون انقطع رجاؤهم واقبل بعضهم ينبح في وجه بعض

وا

واطبقت عليهم وفي حرف ابي ولا تكلموني بالياء وفي حرف ابن مسعود ولا تكلمون بفتح النون انه الشان والقصة وهو تعليل لما قبله و
يعضده قراءة ابي انه بالفتح اي لانه كان فريق من عبادي وهم المؤمنون او الصحابة او اهل الصفة على اختلاف الاقوال يقولون ربنا امنا صدقنا
بك وبجميع ما جاء من عندك فاغفر لنا ذنوبنا وارحمنا وانت خير الراحمين وانعم علينا بنعمك التي من جملتها الفوز بالجنة والنجاة من النار فاتخذ
تموهم سخريا هزوا وقرا نافع وحمزة والكسائي بضم السين والباقون بكسرها وهما مصدرا سخر زيدت فيهما ياء النسبة للمبالغة وقال الكسائي
والفراء المكسور من الهزء والمضموم من السخرة بمعنى الانقياد والعبودية اي تسخرتموهم واستعبدتموهم حتى انسوكم ذكري يعني اتخذتموهم
هزوا وتشاغلتم بهم حتى انسوكم بتشاغلكم على تلك الصفة ذكري وقيل حتى انساكم اشتغالكم بالاستهزاء وتسخيرهم ذكري وقيل حتى انسوكم
من فرط تشاغلكم بالاستهزاء فلم تخافوني في اوليائي وكنتم منهم تضحكون بهم استهزاء بهم قال مقاتل نزل في بلال وعمار وغيرهما من فقراء
الصحابة كان كفار قريش يستهزؤون اني جزيتهم اليوم بما صبروا على تجرع الغصص واحتمال الاذية والبلايا في طاعتي وازدياد الخير
انهم هم الفائزون الظافرون بجميع ما لا يحد وقرا حمزة والكسائي انهم بكسر الهمزة على انه استئناف الاخبار بفوزهم وحذف المفعول الثاني لجزيتهم اي
احسن الجزاء والباقون بفتحها على انه مفعول جزيتهم كقولك جزيتهم فوزهم وقيل على انه علة اي بانهم اولئك هم والمفعول الثاني محذوف قال وقرا
حمزة والكسائي وابن كثير قال خطاب الملك او بعض رؤساء اهل النار والباقون قال على ان الضمير لله او للمامور بسؤالهم من الملائكة كم لبثتم في الارض
احياء وامواتا في القبور لانه يحتمل ظاهر الارض وبطنها وكم ظرف للبثتم اي كم سنة ونحوها وقرا نافع وابن كثير وعاصم ويعقوب وخلف بالاظهار والباقون
بادغام الثاء في التاء حيث وقع في القرآن عدد سنين تمييز لكم او بدل منه وقرئ عددا بالتنوين وسنين بدل منه قالوا لبثنا يوما او بعض
يوم استقصارا لمدة لبثهم في الدنيا بالاضافة الى خلودهم في النار او لانها كانت ايام سرورهم وايام السرور قصار او لانها منقضية والمنقضي
في حكم المعدوم فسئل العادين اي الذين يتمكنون من عد اياما ان اردت تحقيقها فانا لما نحن فيه ما نطيق او نعدها او الملائكة الذين يعدون اعمار العباد
ويحصون اعمالهم وقرئ العادين بتخفيف الدال اي الظلمة فانهم يقولون ما نقول وقرئ العاديين بتشديد الياء اي القدماء المعمرين فانهم ايضا
يستقصرونها وعن ابن عباس انساهم ما كانوا فيه من العذاب بين النفختين قال قرا حمزة والكسائي قل على الامر والباقون قال على الاخبار
ان لبثتم الا قليلا لو انكم كنتم تعلمون تصديق لهم في مقالهم لسني لبثهم في الدنيا وقليلا صفة مصدر محذوف اي لبثا قليلا او زمانا محذوف
اي زمانا قليلا وقيل جواب لو محذوف اي لو كنتم تعلمون مقدار لبثكم من الطول لما اجبتم بهذه المدة افحسبتم انما خلقناكم عبثا الهمزة للاستفهام
المراد بها الانكار والتوبيخ على غفلتهم التي كانوا عليها والفاء للعطف والمعطوف عليه محذوف اي اغفلتم فحسبتم او كذبتم فحسبتم وعبثا حال
بمعنى عابثين كقوله لاعبين او مفعول له اي ما خلقناكم للعبث والتلهي بكم وانما خلقناكم لنتعبدكم ونكلفكم الشاق الذي يستطاع من التكاليف فنجا
زيكم على اعمالكم ان خيرا فخير وان شرا فشر وقيل هو كالدليل على البعث وانكم الينا لا ترجعون معطوف على انما خلقناكم او عبثا اي للعبث
ولانكم لا ترجعون الينا وقيل اي حسبتم انا عبثنا بخلقكم وتموتون ولا ترجعون الينا للبقاء فتعالى عن العبث وخلق الخلق لعاقبة الفناء
عبث وقرا بلال بن سعد عبثا بالثاء بنقطتين من فوق وقرا حمزة والكسائي ويعقوب لا ترجعون بفتح التاء اي لا تصيرون والباقون بضمها اي
لا تردون فرجعناك الى امك وفي موضع اخر فرددناه الى امه فتعالى الله الملك فتقدس الذات الواجب الوجود ذو الملك عن العبث وسائر صفات
الحدث وسمات النقص وتعظم وجل وبعد ان قالوا الملك معناه ذو الملك اختلفوا في الملك ففسره بعضهم بالقدرة على الخلق فيكون الملك الخالق الخا
لق وهو من اسماء الافعال وفسره بعضهم بالقدرة على الاختراع يقال فلان يملك الانتفاع بماله اي يتمكن فيه فيكون الملك
القادر وقيل التام القدرة وهو من اسماء الصفات والله سبحانه لم يزل ولا يزال ملكا وقيل الملك النافذ امره ونهيه الحقيق بان يرجى وعده
ويخشى وعيده وقيل الملك الذي يعز من يشاء ويذل ولا يزال فمرجعه صفة فعلية وسلبية الحق العدل الذي لا يظلم في ملكه على احد من خلقه
المحق اي الصادق في القول او المظهر للحق او الواجب الوجود او الذي يحق له الالهية والملك مطلقا فان من سواه عابد مملوك لا اله
الا هو بيانه لاختصاصه بالالهية وهو خبر محذوف هو ذلك او صفة اخرى على انه بمعنى الواحد او حال من الله وهي حال مؤكدة كقوله وهو
الحق مصدقا واعترافا للكل باثبات تعالى الله وتقدسه لا محل له من الاعراب رب العرش الكريم الذي يحيط بالاجرام وينزل منه كمالات

الاصغر والاحكام ولذلك وصف بالكريم او لنسبته الى اكرم الاكرمين كما يقال بيت كريم اذا كان ساكنوه كراما وقرئ الكريم بالرفع صفة للرب اي
ذو الجود او المعتبر على الجود او العلي الرتبة ومنه كرايم الموارث لنفاستها او غافر الذنوب ومن يدع مع الله الها آخر يعبده لا برهان
له به صفة اخرى لالها لازمة له فان الباطل لا برهان له جيئ بها للتوكيد وبناء الحكم عليه تنبيها على ان التدين بما لا دليل عليه
ممنوع فضلا عما دل الدليل على خلافه او اعتراض بين الشرط والجزاء لذلك كقولك من احسن الى زيد لا احق بالاحسان منه فالله مثيبه فانما
حسابه عند ربه فهو مجازيه به على حسب استحقاقه انه لا يفلح الكافرون ان الشان لا ينجوا من كفر من سوء الحساب والعذاب او لا يسعد
بالنجاة منها وقرئ انه بفتح الهمزة على التعليل او الخبر اي حسابه عدم الفلاح والاصل حسابه انه لا يفلح هو فوضع الكافرون موضع الضمير
لان من يدع في معنى الجمع وكذلك حسابه انه لا يفلح بمجهولا وجعل السورة بتقرير فلاح المؤمنين مفتتحا وبنفي الفلاح عن الكافرين مختتما
فشتان ما بين الفاتحة والخاتمة ثم امر رسوله ان يستغفره ويسترحمه فقال وقل رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قرا سورة المؤمنين بشرته الملائكة بالروح والريحان وما تقر به عينه عند نزول ملك الموت وروي ان اولها وآخرها من
كنوز العرش من عمل بثلث آيات من اولها واتعظ باربع آيات من آخرها فقد نجا وافلح وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحي يسمع عنده دوي كدوي النحل فمكثنا ساعة فاستقبل القبلة ورفع يديه وقال اللهم زدنا
ولا تنقصنا واكرمنا ولا تهنا واعطنا ولا تحرمنا وآثرنا ولا تؤثر علينا وارض عنا وارضنا ثم قال لقد انزل علي عشر آيات من اقا
مهن دخل الجنة ثم قرا قد افلح المؤمنون حتى ختم العشر

سورة النور مدنية وهي اثنتان او اربع وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم سورة خبر محذوف او مبتدا موصوف بما بعده والخبر محذوف اي فيما اوحينا اليك سورة انزلناها ومن قراها بالنصب
على اضمار فعل يفسره الفعل المذكور فلا محل له لكونه في حكم المفسر او على تقدير دونك سورة او اتل سورة فمحل النصب صفة لها
وفرضناها اي فرضنا احكامها التي فيها واصل الفرض القطع اي جعلناها واجبة مقطوعا بها وقرا ابن كثير وابو عمرو بالتشديد
الراء للمبالغة في ايجابها وتوكيده او لكثرة فرايضها او المفروض عليهم من السلف ومن بعدهم وانزلنا فيها آيات بينات ظاهرات الاعجاز
او حججا وبراهين او واضحات الدلالة على المعاني والمقاصد لعلكم تذكرون ارادة ان تتحفظوا المحارم او كي تتذكروا وتتفكروا فيها فتعملوا
ما فيها من الشرايع والاحكام وقرا حمزة وحفص والكسائي وخلف بتخفيف الذال حيث وقع على ان اصله تتذكرون بتائين فحذفت احديهما
للتخفيف الزانية والزاني رفعهما بالابتداء والخبر محذوف تقديره فيما فرضنا وانزلنا الزانية والزاني اي جلدهما او مذكور وهو فاجلدوا
كل واحد منهما مائة جلدة ودخلت الفاء لتضمنها معنى الشرط اذ اللام بمعنى الموصول تقديره التي زنت والذي زنى فاجلدوهما كقولك من زنى
فاجلده وكقوله والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهداء فاجلدوهم وقرئتا بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر وهو احسن
من نصب سورة انزلناها لاجل الامر وقرئ والزان بلا ياء وتقديم الزانية لان الزنا في الاغلب يكون بتعرضها للرجل وتمكينها وعرض
نفسها عليه ولان مفسدته تتحقق بالاضافة اليها والجلد ضرب الجلد وهو حكم يخص بمن ليس بمحصن لان المحصن حكمه الرجم وشرائط الا
حصان في باب الرجم عند ابي حنيفة ستة الاسلام والحرية والعقل والبلوغ والتزوج بنكاح صحيح والدخول وفي باب القذف الاربع
الاول والعفة فمعنى قولهم رجم محصن اي مسلم حر عاقل بالغ متزوج ذو دخول ومعنى قولهم قذف محصنا اي مسلما حرا عاقلا بالغا عفيفا
واذا فقدت واحدة منها فلا احصان وعند الشافعي الاسلام ليس بشرط لرجمه عليه السلام يهوديين قيل في جوابه رجم بحكم التورية
وحجة ابي حنيفة رضي الله عنه قوله عليه السلام من اشرك بالله فليس بمحصن ثم ان الزانية والزاني يدلان على الجنسين المنافيين لجنس العفيف
والعفيفة دلالة مطلقة والجنسية قائمة في الكل والبعض جميعا فايهما قصد المتكلم فلا عليه كما يفعل بالاسم المشترك ولا تاخذكم
بهما رافة الرافة ارق الرحمة وبالفارسية مهرباني كردن وقيل رحمة ورقة في دين الله دين الله وسبيل الله بمعنى فينبغي ان
يكون في ههنا مثل في في قوله وجاهدوا في سبيل الله والمعنى اضربوا جلدها مائة ضربة كاملة تامة ولا ياخذكم اشفق الرحمة وزيا
دة رقة القلب في استيفاء هذا الحد لاجل الله وسبيله وذلك ان المفروب تحت ضرب خمس وتسعين سوطا مثلا يفعل افعالا غريبة

بتوجع

يتوجع ويستغيث ويسترحم وينبذ ذلك وربما يغشى عليه فيرق له الامام او القاذف او بعض الحاضرين لا سيما اذا كان احب الناس اليه
كالولد والاخ مثلا فلم يستوف حق الله وحقه ولم يكمل جلد مائة بل ينقصه او يترك شيئا منها فنهاهم الله عن ذلك تاكيدا لامر جلدها مائة
سوط وزجرا عن ترك شيء منها وقيل والمعنى ان الواجب على المؤمنين ان يتصلبوا في دين الله ويستعملوا الجد والمتانة فيه ولا ياخذهم اللين
والهوادة في استيفاء حدوده وكفى برسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة في ذلك حيث قال لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها وقيل لا ترحموا
عليهما حتى تعطلوا الحدود او حتى لا توجعوهما ضربا ففي الحديث يؤتى بوال نقص من الحد سوطا فيقول رحمة لعبادك فيقال له انت ارحم مني
فيؤمر به الى النار وروي عن ابي هريرة اقامة حد بارض خير لاهلها من مطر اربعين ليلة وقيل في دين الله اي في حكم الله وقيل في طاعة
عنه واقامة حده وقرا ابن كثير رافة بفتح الهمزة والباقون باسكانها وقرا السوسي رافة بابدال الهمزة الفا وقرئت رآفة بالمد على فعالة
ونحو سامة وتنكيرها للتقليل اي لا ياخذكم بهما شيء من الرافة قليل من هذه الحقيقة وفيه دلالة على ان المخاطبين يجب عليهم ان
يجتهدوا في حد الزنا ولا يخففوا الضرب بل يوجعوهما ضربا وكذلك حد الفرية عند الزهري لا حد الشرب وعن قتادة يخفف في حد الشرب
والفرية ويجتهد في حد الزنا وقرا الاعمش والسلمي ولا ياخذكم بالياء ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر فان الايمان يقتضي الجد
في اجراء احكام الله وطاعته وهو من باب التهييج والهاب الغضب لله ولدينه فحد غير المحصن جلد مائة وسطا بسوط لا ثمرة له ويجلد
الرجل قائما وينزع ثيابه الا ازاره ويفرق على بدنه الا الراس والوجه وفي لفظ الجلد اشارة الى انه لا ينبغي ان يتجاوز الالم الى اللحم وتجلد المراة قا
عدة ولا ينزع ثيابها الا الفرو والحشو وجاز الحفر لها الا له ولا جمع بين جلد ورجم ولا بين جلد ونفي الا سياسة وعند الشافعي يجمع في
البكر بين الجلد والنفي وهو تغريب عام قالوا استشهد بهذه الاية ابو حنيفة على ان الجلد حد غير المحصن بلا تغريب وما احتج به الشافعي على وجوب
التغريب من قوله عليه السلام البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام وما يروى عن الصحابة انهم جلدوا ونفوا منسوخ عنده وعند اصحابه بالاية او محمول
على وجه التعزير والتاديب من غير وجوب ويرجم مريض زنى ولا يجلد حتى يبرا وحامل زنت ترجم حين وضعت وتجلد بعد النفاس وللعبد
نصفها ولا يحده سيده الا باذن الامام خلافا للشافعي وله في العبد ثلاثة اقوال يغرب سنة كالحر ويغرب نصف سنة كما يجلد خمسين
جلدة ولا يغرب كما قال ابو حنيفة وبهذه الاية نسخ الحبس والاذى في قوله فامسكوهن في البيوت وقوله فآذوهما وليشهد عذابهما طائفة
من المؤمنين في تسميته عذابا دليل على انه عقوبة ويجوز ان يسمى عذابا لانه الم مانع من المعاودة كما سمي نكالا اي عقابا يرتدع
به عن المعاودة والطائفة فرقة يمكن ان تكون حلقة واقلها ثلاثة او اربعة وهو صفة غالبة كانها الجماعة الحافة حول الشيء من الطوف وعن ابن
عباس في تفسيرها اربعة الى اربعين رجلا من المصدقين بالله وعن الحسن عشرة وعن الزهري وقتادة ثلاثة فصاعدا وعن عطاء وعكرمة رجلان فصاعدا
وعن مجاهد والقفال اقلها رجل واحد فما فوقه وعن مالك وابن زيد اربعة بعدد شهود الزنا وانما امر بحضور الطائفة عذابهما قصدا الى التشهير وزيادة
في التنكيل فان التفضيح قد ينكل اكثر مما ينكل التعذيب الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك اي غالب ان المايل الى
الزنا والتسبب لا يرغب في نكاح الصوالح من النساء وانما يرغب في نكاح فاسقة من شكله او مشركة والمسافحة لا يرغب في نكاحها الصلحاء وينفرون
عنها وانما يرغب فيها فاسق مثلها او مشرك فان المشاكلة سبب الايتلاف والاجتماع كما ان المخالفة سبب الوحشة والافتراق وكان حق المقا
بلة ان يقدم الزانية لكن لما كان المراد بيان احوال الرجال في الرغبة في نكاحها وهم اصل فيه قدم الزاني عليها بخلاف ما مضى من التقديم على الاصالة والا
شعار بين الرغبة منهم في النكاح فان الاية نزلت في فقراء المهاجرين الذين رغبوا في نكاح موسرات بالمدينة من بغايا المشركين لينفقن عليهم على
عادة الجاهلية وقيل ان مرثد بن ابي مرثد الغنوي قال يا رسول الله انكح عناقا وكانت من البغايا بمكة وصديقة له في الجاهلية فلم
يرد عليه السلام شيئا فنزلت وحرم ذلك اي نكاح على المؤمنين لانه تشبه بالفساق وحضور موقع التهمة وتسبب لسوء المقالة والطعن
في النسب وغير ذلك من المفاسد ولذلك عبر عن التنزيه بالتحريم مبالغة فيه وقال ابن مسعود يحرم نكاح الزانية ولذا تزوج الزاني بها
فهما زانيان وعن عائشة رضي الله عنها ان الرجل اذا زنى بامراة ليس له ان يتزوجها لهذه الاية واذا باشرها كان زانيا وقد اجازه
ابن عباس وشبهه بمن سرق ثمرة شجرة ثم اشتراه وعن ابن المسيب وجماعة ان نكاح الزانية كان حراما في اول الاسلام بهذه الاية ثم نسخه قوله وانكحوا

الايامى منكم فقد خلت الزانية في ايامى المسلمين ويؤيده انه عليه السلام سئل عن ذلك فقال اوله سفاح وآخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال
وقيل نسخ بالاجماع وروي عن عمر رضي الله عنه ضرب رجلا وامرأة في زنى وحرص ان يجمع بينهما فابى الرجل واحتجوا ايضا على جوازه بما روي
ان رجلا قال يا رسول الله امرأتي لا ترد يد لامس قال طلقها قال اني احبها وهي جميلة قال استمتع بها وفي رواية فامسكها اذا وقال قوم
المراد بالنكاح الوطء وبه قال سعيد بن جبير والضحاك ويروى الوالبي عن ابن عباس ورد هذا القول بوجهين احدهما ان هذه الكلمة اينما وردت في
القرآن لم ترد الا في معنى العقد اي التزوج والثاني فساد المعنى واداؤه الى نهي الزاني عن الزنا الا بزانية والزانية ان لا يزني بها الا زان وقال الحسن الزاني
المجلود لا ينكح الا زانية مجلودة والزانية المجلودة لا ينكحها الا زان مجلود وقرئ لا ينكح بالجزم على النهي والمرفوع ايضا فيه معنى النهي ولكن ابلغ واكثر
كما ان رحمك الله ويرحمك ابلغ من ليرحمك ويجوز ان يكون خبرا محضا على معنى ان عادتهم جارية على ذلك وعلى المؤمن ان لا يدخل نفسه تحت هذه
العادة ويتصون عنها وقرئ وحرم بفتح الحاء وهو في حرف ابي ابن مسعود اي وحرم الله وقرأ زيد بن علي وحرم ذلك من حرم بحرم والذين يرمون المحصنات
اراد بالرمي القذف بالزنا بدليل ذكر المحصنات عقيب الزواني واعتبار اربعة شهود لان القذف بغير الزنا يكفي فيه شاهدان وبالمحصنات المسلمات
العاقلات البالغات الحرائر العفائف والقذف بالزنا ان يقول الحر العاقل البالغ المحصنة يا زانية او للمحصن يا زاني يا ابن الزانية يا ولد الزنا اولست
لابيك او لست بابن فلان في غضب والقذف بغيره ان يقول يا فاسق يا شارب الخمر يا آكل الربا يا خبيث يا مابون يا نصراني يا يهودي
يا مجوسي فيوجب التعزير كقذف غير المحصن واكثر التعزير تسعة وثلاثون سوطا واقله ثلث لان التعزير ينبغي ان لا يبلغ اقل الحد اربعين وهي حد
العبيد في القذف بالزنا والشرب وقال ابو يوسف فاعتبر حد الاحرار وهو ثمانون سوطا ونقص عنها سوطا في رواية وخمسة في رواية وقال الامام
انه يعزر رأي الحاكم ثم لم ياتوا باربعة شهداء يشهدون على زناهن فاجلدوهم اي قاذفيهن ثمانين جلدة يجلدون القاذف كما يجلد الزاني الا انه
ينزع عنه ما ينزع من المرأة من الفرو والحشو والقاذف ايضا كالزانية وهو في الاشد ثم للزنا ثم للشرب ثم للقذف لان سببه محتمل
الصدق والكذب مع انه ثبت بالنص كما نرى واجمعوا التعزير على ان شروط احصان القذف خمسة الحرية والبلوغ والعقل والاسلام والعفة من الزنا
حتى ان من زنا مرة في اول بلوغه ثم تاب وحسنت حاله فقذفه شخص لا حد عليه ومن اقر على نفسه بالزنا ~~حتى ان من زنا~~ واقام قاذفه اربعة من
شهود على ذلك سقط الحد عن القاذف لان حد حد الفرية وقد ثبت صدقه وقالوا ايضا ان شهدوا اربعة واجهلوا الموطوءة واختلفوا في طوعها
او في بلد زناه او شهد اربعة بزناه في وقت معين واربعة اخرى بزناه في ذلك الوقت في بلد آخر او شهدوا اربعة بزنى ونظرت امرأة فقالت هي بكر
او فسقة او شهود على شهود لا يحد في شيء من هذه الصور احد وان شهد الاصول على ذلك بعينه بعد شهادتهم والواجب ان يحضروا في مجلس
واحد وان جاؤا متفرقين كانوا قذفة ويعتبر شهادة زوج المقذوفة خلافا للشافعي فانه لا يشترط اجتماع الشهود ولا يعتبر شهادة زوج في
قول باربعة شهداء لانه على انهم ان شهدوا ثلثة يجب حدهم لعدم النصاب وكذا ان شهدوا عميانا او محدودين في قذف او احدهم محدود
او عبدا لعدم اهلية الشهادة وقرأ ابو زرعة وعبد الله بن عمرو باربعة منونا وبنصب شهداء على الاختصاص ولا تقبلوا لهم شهادة اي شهادة
كانت بعد ان حدوا بالقذف وعند ابي حنيفة لا تقبل شهادة محدود في قذف وان تاب خلافا للشافعي فانه تقبل عنده اذا تاب عن القذف وكلاهما
تمسك بالآية فابو حنيفة جعل الامر بالجلد والنهي عن القبول جزاء لانهما اخرجا بلفظ الطلب معطوفين الى الآية وجعل واولئك هم الفا
سقون مستأنفا لانها بطريق الاخبار والاستثناء مصروفا اليه والشافعي وجعل النهي عن القبول معطوفا عن قولهم فاجلدوهم حتى يجعل
رد الشهادة من تمام الحد وجعل واولئك عطفا على النهي والاستثناء مصروفا الى المعطوف والمعطوف عليهما وهما قوله ولا تقبلوا وقوله
واولئك دليلا اي قوله فاجلدوهم صح ان الجلد لا يسقط بالتوبة وعدم قبول الشهادة والفسق يسقطان بالتوبة عنده وفيه خلاف الشعبي فانه
قد ذهب الى ان حد القذف يسقط بالتوبة وان الاستثناء مصروف الى الكل فالجمل الثلث باسرها جزاء الشرط عنده اي ومن قذف المحصنات فا
جلدوهم وردوا شهادتهم وفسقوهم اي فاجمعوا لهم الجلد والرد والتفسيق الا الذين تابوا عن القذف واصلحوا فان الله يغفر لهم فينقلبوا
غير مجلودين ولا مردودين ولا مفسقين وصرف الاستثناء الى الكل يجوز ان يكون عنده مصروفا الى الكل كما نبينه ابدا اي في امرهم وهو مدة حياتهم
وعند الشافعي الى مدة كونه قاذفا وما دام مصرا على قذفه فاذا تاب عنه ورجع عاد مقبول الشهادة فاولئك هم الفاسقون المحكوم عليهم بفسقهم وهو عند

الشافعي

الشافعي عطف على جملة قوله ولا تقبلوا مع انها اسمية اخبارية ظاهر الاستيناف بيان لحال الرامين وجريمتهم غير صالح ان تكون داخلة في حيز جزاء الشرط
وتتميما للحد ولا تقبلوا فعلية طلبية مسوقة جزاء للرمي والقذف والفسق المعصية يعني انهم العاصون بترك ستر العفة من غير فائدة حين افتروا
على العفيف وعجزوا عن اقامة اربعة شهداء فلذلك استحقوا العقوبة وجوز ان يكون في معرض العلة لرد الشهادة وقيل ذلك حتى يكون
رد الشهادة بسبب الفسق فتقبل بعد التوبة لزوال الفسق لان العلة لا تعطف على الحكم بالواو بل ربما كان بذكر الفاء ورد بان
ذلك يرد على تقدير جعلها علة لاستحقاق العقوبة فان قيل الواو للجمع الشق والنظم دون العطف على الحكم واجيب بانه فليكن كذلك
ان جعلناها في معرض العلة لرد الشهادة مع انه اقرب الا الذين تابوا من بعد ذلك الفسق العظيم والمعصية الكبيرة واختلفوا في هذه
الاستثناء فقيل انه متصل والمعنى اولئك الذين يرمون محكوم عليهم بالفسق الا التائبين منهم فانهم غير محكوم بالفسق لان التائب من الذنب كمن
لا ذنب له والفسق هو المعصية والخروج عن طاعة الله وقيل انه منقطع لان صدر الكلام الفاسقون والتائبون ليسوا من الفاسقين
ورده بعضهم بان الفاسقون ليس مستثنى منه بل المستثنى منه قوله واولئك اشارة الى الذين يرمون ~~والفاسقون~~ والفاسقون حكم
المستثنى منه ولا شك ان الرماة التائبين داخلون في المستثنى منه وهو اولئك غير داخلين في حكم المستثنى منه وهو الفاسقون نعم قال
وجه كونه منقطعا ان المستثنى ان دخل في القصور لكن لم يقصد اخراجه من حكم على ما هو معنى الاستثناء بل المتصل بل قصد اثبات حكم آخر
له وهو ان من تاب لا يبقى فاسقا بعد التوبة ونظائره في القرآن كثيرة منها قوله تعالى وان تجمعوا بين الاختين الا ما قد
سلف اي الجمع بين الاختين الذي قد سلف داخل في الجمع بين الاختين لكنه لم يقصد اخراجه من حكم صدر الكلام اولا لانه حرام
ايضا بل قصد فيه اثبات حكم آخر وهو انه مغفور وذكر اصحابنا في اصولهم ان الاستثناء اذا تعقب الجمل المعطوفة كآية القذف
ينصرف الى الكل عند الشافعي وعندنا الى الاقرب لقربه اتصاله به واتصالها وانقطاعها سواء وان توقف صدر الكلام ثبت ضرورة فيتقدر
بقدر الحاجة على انه شركة في عطف الجمل في الحكم ففي الاستثناء اولى وصرفه الى الكل في الجمل المختلفة كآية القذف في غاية البعد لان الامر و
النهي وردا فيها على سبيل الجزاء بلفظ الطلب والاسمية مستأنفة بلفظ الاخبار غير داخلة في حيز جزاء الشرط ولنا صنيع ان عدول
اذا حمل الجمل الثلث على ما ذكرنا في تفسير قول الشعبي لم تكن مختلفة بل منتظمة غاية الانتظام ولم يبعد صرفه الى الكل على ان هؤلاء الذين
تابوا واصلحوا من جملة الاصلاح الاستحلال عن المقذوف وطلب عفوه وبعد وقوع ذلك يسقط الجلد ايضا فيصح صرف الاستثناء
الى الكل وقيل الاستثناء ينصرف الى اصل الحكم وهو اقتضاء الشرط لهذه الامور ولا يلزم سقوط الحد به كما قيل لان من تمام التوبة الاستحلال
له والاستحلال ومحل المستثنى النصب على الاستثناء وقيل ينصرف الى النهي ومحله الجر على البدل من هم في لهم وقيل الى الاخيرة ومحله
النصب لانه عن موجب وقيل منقطع على معنى انهم فاسقون في جميع الاحوال الا حال التوبة ولا يخفى انه يحتاج الى تكلف في التقدير
اي الاحوال توبة الذين تابوا والا توبة القاذفين اي وقت توبتهم على ان يجعل الذين حرفا مصدريا لا اسما موصولا وغير
تابوا عائد الى اولئك وبعد التكلف يكون الاستثناء مفرغا متصلا لا منقطعا والاستثناء المفرغ ما حذف فيه المستثنى منه وا
كره ما بعد الا بحسب العوامل والمتصل ما كان بعض المستثنى منه والمنقطع ما لم يكن بعضه واصلحوا اعمالهم بالتدارك ومنه الا
ستسلام للحد والاستحلال من المقذوف او دخلوا في الصلاح فيجوز للمقذوف ان يعفوا عن حد القاذف قبل ان يشهد الشهود
ويثبت الحد والامام ايضا ويحسن منه ان يحمل المقذوف على كظم الغيظ ويقول له اعرض عن هذا ودعه لوجه الله قبل ثبات الحد فاذا
ثبت لم يجز لواحد منهما ان يعفو لانه خالص حق الله ولهذا لم يصح ان يصالح عنه بمال ويبيه في القذف ارث عند ابي حنيفة
خلافا للشافعي ولا يورث الحد عنده لقوله عليه السلام الحد قد نزلت هذه الآية في حسان بن ثابت حين تاب مما قال في
في عائشة رضي الله عنها فان الله غفور رحيم بليغ المغفرة والرحمة وانه ستور عليهم محاء لما صدر منهم منعم عليهم بالنجاة
من العقوبة ودخول الجنة وهذا الحكم يعم القاذفين ومن عداهم ممن تاب ورجع من الذنوب الى الله واعتذر اليه وهو علة الا
ستثناء والذين يرمون ازواجهم يقذفون نساءهم بالزنا ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم بدل من شهداء او وصف له على

ان لا يعفى غيرا اي ولم يكن لهم لعنة ماقالوا شهداء غير انفسهم من قذف امراته وفيها شروط احصان القذف وفقد صح اللعان
بينهما اذا قذفها بصريح الزنا بان يقول لها يا زانية او زنيت او رايتك تزنين واذا كان الزوج عبدا او محدودا في قذف والمراة
محصنة حد واذا قال لها يا زانية وهما محصنان فردت بلا بل انت حدت لانها قذفت الزوج وقذفه اياها لا يوجب الحد
بل اللعان ومالم يرافع القاذف الى الامام لم يجب اللعان واللعان ان يبدا الرجل فيشهد اربع شهادات بالله انه لمن الصا
دقين فيما قذفها به من الزنا ويقول في الخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين فيما قذفها به من الزنا وتقول المراة
اربع مرات اشهد انه لمن الكاذبين فيما رماني به من الزنا ثم تقول في الخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين
فيما رماني به من الزنا وذلك قوله تعالى فشهادة احدهم اربع شهادات اي فالواجب شهادة احدهم او فعليهم شهادة وقراءة
حمزة والكسائي وحفص اربع بالرفع على انه خبر شهادة والباقون بالنصب لانه في حكم المصدر والعامل فيه فشهادة شهادات بالله
متعلق بشهادة لتقدمها او بشهادات لانها اقرب انه لمن الصادقين فيما رماها به من الزنا واصله على انه فحذف الجار
وكسرت ان وعلق العامل عنه باللام تاكيدا والخامسة والشهادة الخامسة ان لعنت الله عليه ان كان من الكاذبين في الرمي
وقرا نافع ويعقوب بتخفيف ان في الموضعين هذا لعان الرجل وحكم سقوط الحد عنه وحصول الفرقة بينهما بتفريق الحاكم عند ابي
حنيفة واصحابه الا عند زفر فان الفرقة تقع باللعان وعن عثمان البتي لا فرقة اصلا وعند الشافعي تقع بلعان الزوج وتكون هذه
الفرقة في حكم التطليقة البائنة عند ابي حنيفة ومحمد ولا يتابد حكمها فاذا اكذب الرجل نفسه بعد ذلك فحد جاز ان يتزوجها
وعند ابي يوسف وزفر والحسن بن زياد والشافعي هي فرقة بغير طلاق توجب تحريما مؤبدا ليس لهما ان يجتمعا بعد
ذلك لقوله عليه السلام المتلاعنان لا يجتمعان ابدا ويدرؤا عنها العذاب اي ويدفع عنها الحد ان تشهد اربع شهادات بالله انه لمن الكا
ذبين فيما رماني به من الزنا وعند الشافعي يقام المراة والرجل قاعد حتى تشهد اربع شهادات ويقام الرجل فالمراة قاعدة حتى يشهد
ويامر الامام من يضع يده على فيه ويقول له اني اخاف ان لم تكن صادقا ان تبوء بلعنة الله والخامسة والشهادة ان غضب الله
عليها ان كان من الصادقين في ذلك وقرا حفص والخامسة بالنصب عطفا على اربع ونصبها في الموضعين طلحة والسلمي وروي
ذلك عن عاصم رضي الله والباقون بالرفع بالابتداء وخبره ما بعده او بالعطف على ان تشهد وقرا نافع ان غضب الله بتخفيف النون
وكسر الضاد ورفع الله بتخفيف ان ورفع ما بعدها هذا لعان المراة وخصت بان تخص بغضب الله تغليظا عليها لانها هي
اصل الفجور ومنبعه بخلابتها واطماعها وتمكينها ولذلك كانت مقدمة في اية الجلد وروي ان اية القذف لما نزلت قراها رسول
الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فقام عاصم بن عدي الانصاري فقال جعلني الله فداك ان وجد رجل مع امراته رجلا فاخبر جلد ثمانين وردت
شهادته ابدا وفسق وان ضربه بالسيف قتل وان سكت سكت على غيظ والى ان يجيء باربعة شهداء فقد قضى الرجل حاجته
ومضى اللهم افتح وخرج فاستقبله هلال بن امية او عويمر فقال ما وراءك قال شر لقد رايت شريك بن سحماء على
بطن امراتي خولة بنت قيس بن محصن وكلاهم بنو عم عاصم وخولة وشريك بنو عم عاصم فقال هذا والله سؤالي فاتى النبي صلى الله عليه وسلم في الجمعة
الاخرى فقال يا رسول الله ما اسرع ما ابتليت بالسؤال الذي سالت في الجمعة الماضية في اهل بيتي فاخبره فكلم خولة فقالت لا ادري
الغيرة ادركته بحمله على الفظام وكان شريك نزيلهم وقال هلال لقد رايته على بطنها فنزلت وقيل في عاصم رسول
الله صلى الله عليه وسلم فدعا رسول الله بهم جميعا فقال لعويمر اتق الله في زوجتك وبنت عمك فلا تقذفها بالبهتان فقال
يا رسول الله اقسم بالله اني رايت شريكا على بطنها واني ما قربتها منذ اربعة اشهر وانها حبلى من غيري فقال
للمراة اتقي الله ولا تخبريني الا بما صنعت فقالت يا رسول الله ان عويمرا رجل غيور وانه راني وشريكا
نطيل السمر ونتحدث فحملته الغيرة على ما قال فقال رسول الله لشريك ما تقول فقال ما تقول المراة فانزل الله الاية
فامر عليه السلام حتى نودي الصلاة جامعة فصلى العصر ثم لاعن بينهما فقال رسول الله عمن قوله وقولها ان لعنة الله

عليها ان

وجد كره ع

بقام

لقد سار

٩١

اصهب حاروشا جالكم ان اشبح يعني يغرينو المغم

عليه ان غضب الله عليها امين وقال القوم امين وقال لها ان كنت الممت بذنب فاعترفي به فالرجم اهون عليك من غضب الله ان غضبه هو النار وقال
تحينوا بها الولادة فان جاءت به اصهب اثبج يضرب الى السواد فهو لشريك وان جاءت به اورق جعدا جماليا خدلج الساقين فهو لغير الذي
رميت به قال ابن عباس فجاءت باشبه خلق الله بشريك فقال عليه السلام لولا الايمان لكان لي ولها شان وقال الحسن وابن المسيب وسليمان
بن يسار كل من صح يمينه صح لعانه سواء كان حرا او عبدا مسلما او ذميا وبه قال مالك والثوري والشافعي وقال الزهري والاوزاعي وهو
مذهب ابي حنيفة واصحابه ان كان احد الزوجين ذميا او رقيقا او محدودا في قذف فلا لعان بينهما وعند الشافعي اللعان في اشرف الاما
كن بمكة بين الركن والمقام وبالمدينة عند المنبر وبساير البلاد في المسجد الجامع عند المنبر ولعان المشرك في الكنيسة وحيث يعظم واذا لم يكن
له دين ففي مساجدنا الا في المسجد الحرام ويكون بعد العصر ويستحب ان يكون بمحضر جمع من لولاة عن الحاكم بينهما وحده جاز عنده ولولا فضل
الله عليكم ورحمته ولولا تفضله وانعامه بالستر عليكم ورفع الحد باللعان عنكم وجواب لو محذوف للتفظيع اي لعاجلكم بالعقوبة وفضحكم
وان الله تواب رجاع بالعفو والرحمة على من يرجع اليه عن المعاصي حكيم بليغ الحكمة فيما فرض على عباده من الحدود والاحكام ان الذين
جاؤا بالافك اي بابلغ ما يكون من الكذب والافتراء من الافك وهو الصرف اي القلب لانه قول ماخوذ عن وجهه والمراد ما افك به
على عائشة رضي الله عنها وذلك ان عائشة كانت تستحق الثناء بما كانت عليه من الامانة والحصانة والشرف فمن رماها بالسوء
قلب الامر عن وجهه وذلك انه عليه السلام استصحبها في بعض الغزوات فاذن ليلة في القفول بالرحيل فمشت لقضاء حاجتها
ثم عادت الى الرحل فلمست صدرها فاذا عقد من جزع ظفار قد انقطع فرجعت لتلتمسه فظن الذي كان يرحلها انها دخلت الهودج فحمله
على مطيتها وسار فلما عادت الى منزلها لم تجد ثمة احدا فتيممت منزلها الذي كانت به وظنت انهم سيفقدونها فيرجعون
اليها فبينا هي جالسة في منزلها غلبتها عينها فنامت وكان صفوان بن معطل السلمي قد عرس من وراء الجيش فادلج فاصبح عند منزلها
سار من اخر الليل واصبح عند منزلها فراى سواد انسان نائم فعرفها حين راها وكان راها قبل الحجاب فاستيقظت باسترجاعه
وهوى حتى اناخ راحلته فركبتها فقادها حتى اتى الجيش فاتهمت به عصبة منكم اي جماعة منكم وهي من العشرة الى الاربعين وكذلك
العصابة واعصوصبوا اجتمعوا واراد بهم عبد الله بن ابي بن سلول وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت
جحش زوجة طلحة بن عبيد الله ومن ساعدهم وهو خبر ان وقوله لا تحسبوه شرا لكم مستانف والخطاب لرسول الله وابي بكر وعائشة وصفوان
ولمن ساءه ذلك من المؤمنين والضمير عائد الى الافك بل هو خير لكم لاكتسابكم به الثواب العظيم وظهور براءتكم وكرامتكم على الله بانزال
ثماني عشرة اية كل واحدة منها مستقلة بما هو تعظيم لشان رسول الله وتسلية له وتنزيه لام المؤمنين وتطهير لاهل البيت وتهويل
الوعيد لمن تكلم في ذلك او سمع به فلم تمجه اذناه والثناء على من ظن بكم خيرا لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم اي تحقق بكل واحد منهم
جزاء ما اكتسب من الكذب لا يتخطاه والذي تولى كبره اي فعل معظمه وقال الضحاك قام باشاعة الحديث وقيل تحمل معظمه فبدا با
لخوض فيه وهو عبد الله لتوغله في عداوة رسول الله وانتهازه الفرص وطلبه سبيلا الى الغميزة وعن عروة بن عائشة في حديث الافك قا
لت ثم ركبت واخذ صفوان بالزمام فمررنا بملا من المنافقين وكانت عادتهم ان ينزلوا منتبذين من الناس فقال عبد الله من هذه
فقالوا عائشة فقال والله ما نجت منه ولا نجا منها وقال امراة نبيكم باتت مع رجل حتى اصبحت ثم جاء يقودها وشرع في ذلك ايضا
ومسطح وحمنة فهم الذين تولوا كبره وقال قوم هو حسان وقرا يعقوب كبره بضم الكاف والباقون بكسرها قال الكسائي هما لغتان بمعنى واحد
وقال العباس بن الفضل سالت ابا عمرو عن كبره وقال ذلك في السن منهم من هؤلاء الخائضين له عذاب عظيم اي لعبد الله نوع
من العذاب عظيم الدلالة معظم الشركاء منهم وقيل ذلك العذاب في الاخرة او في الدنيا بان جلدوا وصار ابن ابي مطرودا مشهورا
بالنفاق وحسان اعمى اشل اليدين ومسطح مكفوف البصر وعن مسروق دخلت حسانا عند عائشة ينشدها شعرا يشبب بابيات له
فقال حصان رزان ما تزن بريبة وتصبح غرثى من لحوم الغوافل فقالت له عائشة لكنك لست كذلك قال مسروق فقلت لها لم
تاذنين له ان يدخل عليك وقد قال الله تعالى والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم قالت واي عذاب اشد من العمى وقالت انه كان ينافح

بالزمام في

حسان

أو بهاجي عن رسول الله صلعم لولا هلا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا بإخوانهم أو بأهل دينهم لأن أهل الإيمان كلهم كنفس واحدة كقوله ولا تقتلوا أنفسكم ولا تلمزوا أنفسكم وعدل عن الخطاب إلى الغيبة وعن الضمير إلى الظاهر ليبالغ في التوبيخ بطريق الالتفات وليصرح بلفظ الإيمان دلالة على أن الاشتراك فيه يقتضي ظن الخير بكل مؤمن ومؤمنة والكف عن الطعن فيه وذب الطاعنين عنهم كما يذبونهم عن أنفسهم وإنما جاز الفصل بين لولا وفعله بالظرف لأنه منزل منزلته من حيث إنه لا ينفك عنه ولذلك يتسع فيه ما لا يتسع في غيره والنكتة في تقديمه لأنه كان الواجب عليهم أن يتفادوا أول ما سمعوا بالإفك عن التكلم به فلما كان ذكر الوقت أهم وجب تقديمه وقالوا هذا إفك مبين كما يقول المستيقن المطلع على حقيقة الحال لولا جاؤوا عليه بأربعة شهداء أي على ما زعموه من الفسق فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله أي في حكم الله وشريعته هم الكاذبون والجملة في حيز القول تقريرا لكونه كذبا فإن ما لا حجة عليه وهو مكذب عند الله وقال جار الله هذا توبيخ وتعنيف للذين سمعوا الإفك فلم يجدوا في دفعه وإنكاره واحتجاج عليهم بما هو ظاهر مكشوف في الشرع من وجوب تكذيب القاذف بغير بينة والتنكيل به إذا قذف امرأة محصنة من عرض نساء المسلمين فكيف بأم المؤمنين الصديقة بنت الصديق حرمة رسول الله وحبيبة حبيب الله وقيل معناه هم الكاذبون في غيبي وعلمي ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لولا الأولى للتحضيض وهذه لامتناع الشيء لوجود غيره والمعنى ولولا أني قضيت أن أتفضل عليكم في الدنيا بأنواع النعم التي من جملتها الإمهال للتوبة وأن أترحم عليكم في الآخرة بالعفو والمغفرة لمسكم عاجلا فيما أفضتم فيه خضتم فيه من الإفك يقال أفاض في الحديث واندفع وخف وخاض عذاب عظيم نوع من العذاب يستحقر دونه الجلد واللوم والتوبيخ والتعنيف وقال ابن عباس أي عذاب لا انقطاع له في الآخرة لأنه ذكر عذاب الدنيا من قبل في قوله والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم وقد أصابه فإنه جلد وحد ثمانين وعن عائشة لما نزلت هذه الآية حد النبي صلعم أربعة أنفس عبد الله بن أبي وحسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش إذ ظرف لمسكم أو أفضتم تلقونه بألسنتكم يأخذه بعضكم من بعض يقال تلقى الكلام من فلان وتلقنه وتلقفه إذا أخذه من لفظه وفهمه وقال مجاهد ومقاتل يرويه بعضكم عن بعض وقال الزجاج يلقيه بعضكم إلى بعض وقرئ تتلقونه ثم تلقونه من ألقاه بعضهم على بعض وتلقونه بكسر التاء وتخفيف القاف والحاء وهي قراءة عائشة رض الله عنها وقرئ تلقونه وتألقونه من الولق والألق وهو الكذب وعن سفيان سمعت أمي تقرأ إذ تثقفونه وكان أبوها يقرأ بحرف ابن مسعود رضي الله عنه وهو من ثقفته إذا طلبته فوجدته وقرئ تقفونه أي تتبعونه وقرأ أبو الرهيم تلقونه مجهولا وتقولون بأفواهكم من غير ترجمة وتعبير عن علم به لكم لم يحصل في قلوبكم كقوله تعالى يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم وتحسبونه هينا وتظنون أنه سهل لا إثم فيه وهو عند الله عظيم في الوزر واستجرار العذاب وقيل أي تحسبونه صغيرة وهو عند الله كبيرة موجبة وعن بعضهم أنه جزع عند الموت فقيل له فقال أخاف ذنبا لم يكن مني على بال وهو عند الله عظيم وصفهم بارتكاب ثلاثة آثام مترتبة وعلق بها مس العذاب العظيم أحدها تلقي الإفك بألسنتهم وذلك أن الرجل منهم يلقى الرجل فيقول ما وراءك فيحدثه بحديث الإفك حتى شاع وانتشر فلم يبق بيت ولا ناد إلا طار فيه والثاني التحدث من غير علم لهم به والثالث استصغارهم لذلك وهو عند الله كبيرة من الكبائر ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا أي ما ينبغي وما يصح لنا التكلم فهذا سبحانك هذا إشارة إلى الإفك الذي لا يصح لأحد أن يتكلم به وسبحانك تعجب منه وأصله أن يذكر عند كل عجيب تنزيها لله من أن يصعب عليه مثله ثم كثر استعماله في كل متعجب منه روي أن أم أيوب قالت لأبي أيوب الأنصاري أما بلغك ما يقول الناس في عائشة فقال أبو أيوب سبحانك هذا بهتان عظيم فنزلت الآية على وفق قوله أو تنزيه لله من أن يكون حرمة نبيه فاجرة فإن فجورها تنفير عنه بخلاف كفرها فيكون تقريرا لما قبله وتمهيدا لما بعده بهتان عظيم أي كذب عظيم يبهت ويتحير من عظمته يعظكم الله لعظمة المبهوت عليه فإن حقارة الذنوب وعظمها باعتبار متعلقاتها وقال ابن عباس حرم الله عليكم وقال مجاهد ينهاكم الله والوعظ النصح والتذكير بتعالى السعيد من وعظ بغيره والشقي من اتعظ به غيره أن تعودوا لمثله كراهة أن تعودوا أو في أن تعودوا من قولك وعظت فلانا في كذا فتركه أبدا في مدة حياتكم أو ما دمتم أحياء مكلفين إن كنتم مؤمنين فإن الإيمان يصد ويمنع عنه وفيه تهييج لهم ليتعظوا وتذكير بما يوجب تركه ويبين

الله لكم

الله لكم الآيات الدالة على الشرائع ومحاسن الآداب ليتعظوا ويتأدبوا والله عليم بكل شيء حكيم ذو حكمة بالغة في جميع ما يفعله وقيل عليم بأمر عائشة وصفوان حكيم ببراءتهما وقيل عليم بالأحوال كلها حكيم في تدابيره ولا يجوز الكشخنة في نبيه ولا تقريره عليها إن الذين يحبون يريدون أن تشيع أن تنتشر تظهر الفاحشة الزنا في الذين آمنوا أخلصوا الإيمان واستمروا عليه لهم عذاب أليم نوع من العذاب متفاقم في الدنيا بالجلد والحد ولقد ضرب رسول الله ابن أبي وحسانا ومسطحا وقعد صفوان لحسان فضربه ضربة بالسيف وكف بصره والآخرة بالنار ونحو ذلك قال رسول صلى الله عليه وسلم إذا كان يوم القيامة حد الله الذين شتموا عائشة ثمانين على رؤوس الخلائق فيستوهب ربي المهاجرين منهم فاستأمرك يا عائشة قال الراوي فلما سمعت عائشة وكانت في البيت بكت وقالت والذي بعثك بالحق نبيا لسرورك أحب إلي من سروري فتبسم رسول الله ضاحكا وقال ابنة أبيها والله يعلم ما في القلوب من الأسرار والضمائر وقيل يعلم كذبهم وبراءة عائشة وما خاضوا فيه من سخط الله وأنتم لا تعلمون ذلك فعاقبوا في الدنيا على ما دلت عليه الظواهر والله تعالى يعاقب على ما في القلوب من حب إشاعة الفاحشة ولولا فضل الله عليكم ورحمته تكرير للمنة بترك المعاجلة بالعقاب مع حذف الجواب دلالة على عظم الجريمة وكذا عطف قوله وأن الله رؤوف رحيم على حصول فضله ورحمته عليهم والمعنى ولولا تفضله وإنعامه عليكم وأنه بليغ الرأفة والرحمة بكم لعاجلكم بالعقاب على ما صدر منكم قال ابن عباس يريد مسطحا وحسانا وحمنة يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان بارتكاب المعاصي التي من جملتها إشاعة الفاحشة وقرأ حفص وابن عامر والكسائي وقنبل وأبو جعفر ويعقوب خطوات بضم الطاء حيث وقع وأبو عمرو بسكونها وقرئ بفتحها ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر بيان لوجوب الانتهاء عن اتباعه والفحشاء والفاحشة ما أفرط قبحه قال أبو ذؤيب ضرائر حرمي تفاحش غارها أي أفرط غيرتها والمنكر ما أنكره الشرع وقيل ما تنكره النفوس فتنفر عنه ولا ترتضيه ولولا فضل الله عليكم ورحمته بتوفيق التوبة الماحية للذنوب وشرع الحدود المكفرة لها وقيل ولولا فضل الله ورحمته بالعصمة ما زكى ما طهر من دنسها وقيل ما صلح وقيل ما قبل توبة أحد منكم وقيل ما طهر من هذا الذنب ولا صلح أمره منكم من أحد أبدا آخر الدهر ومن استغراقية دخلت على الفاعل تقتضي نفي الجنس بالكلية ولكن الله يزكي من يشاء يطهر الذين يريد تطهيرهم بتوفيق التوبة لهم وقبولها منهم والله سميع لقولهم عليم بنياتهم وضمائرهم وقرأ أبو جعفر ما زكي بكسر الكاف وابن الرهيم والأعمش ما زكى بتشديد الكاف ولا يأتل أي ولا يحلف افتعال من الألية وهي القسم أو ولا يقصر من الألو ويعضد الأول قراءة أبي جعفر والحسن ولا يتأل بتقديم التاء وتأخير الهمزة وهو يتفعل من الألية وأنها نزلت في شأن أبي بكر ومسطح وقد حلف أن لا ينفق على مسطح بعد وكان ابن خالته وكان من مساكين المهاجرين أولو الفضل منكم في الدين والسعة في المال وفيه إظهار لتقدم أبي بكر وا[illegible] وأنه إمام هذه الأمة وقد وقع حيث ذكره بلفظ الجمع وفرح بفضله وشرفه كما يقال لرئيس القوم وكبيرهم لا يفعلوا كيت وكيت وكونه في شخص من الفضلاء لا يكفي أولو الرياسة والغنى من جماعة كذا أن يذكر الإحسان إلى فعل كذا اعتبار الرياسة وكبره وأنه تذكرة قوم وأولى بالإحسان إلى مستحقيه أن يؤتوا على أن لا يؤتوا أو في أن يؤتوا وقرأ أبو حيوة وابن قطيب أن تؤتوا بالتاء على الالتفات ولأنه الخطاب الذي بعده أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله صفات لموصوف واحد أي ناسا جامعين لهذه الأوصاف لأن الكلام فيمن كان كذلك أو لموصوفات أقيمت مقامها فيكون أبلغ من تعليل المقصود وليعفوا ما فرط منهم وليصفحوا ولتعفوا ولتصفحوا بالتاء كقوله ولتفرحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم على عفوكم وصفحكم وإحسانكم إلى من أساء إليكم وتعقبت كلمة الأكثرين على أن هذه الخطاب لأبي بكر الصديق رضي الله عنه والله غفور رحيم بليغ المغفرة والرحمة على المذنبين التائبين مع شدة بطشه وعظم قدرته فتخلقوا بأخلاقه وكفى به داعيا إلى المجاملة والإعراض عن مكافأة المسيء وترك الاشتغال به وروي أنه عليه السلام قرأها على أبي بكر فقال بلى أحب أن يغفر الله ورجع إلى مسطح نفقته وقال والله لا أنزعها أبدا وقال ابن عباس والضحاك أقسم ناس من الصحابة منهم أبو بكر أن لا يتصدقوا على من تكلم بشيء من الإفك ولا ينفعوه فأنزل الله هذه الآية إن الذين يرمون المحصنات العفائف بشروط إحصان القذف وقيل العفائف الغافلات عن الفواحش وما قذفن به وقيل السليمات الصدور النقيات القلوب اللاتي ليس فيهن دهاء ولا مكر لأنهن لم يجربن الأمور ولم يرزن الأحوال فلا يفطن لما تفطن له المجربات العرفات قال ولقد لهوت بطفلة ميالة بلهاء تطلعني على أسرارها وكذلك البله من الجمال

تطلعني

في قوله اكثر اهل الجنة البله المؤمنات بالله ورسوله استباحة لعرضهن وطعنا في الرسول والمؤمنين كعبد الله بن ابي لعنوا في الدنيا والآخرة
لما افتروا عليهن وهتكوا حرمتهن ولهم عذاب عظيم لعظم ذنوبهم وقال مقاتل هذا خاص في عبد الله بن ابي المنافق وعن حصيف قلت
لسعيد بن جبير من قذف مؤمنة يلعنه الله في الدنيا والآخرة قال ذلك لعائشة خاصة وعن ابن عباس هو مخصوص بمن قذف ازواج
النبي صلعم فلا توبة له ومن قذف مؤمنة سواهن فقد جعل الله له توبة ثم قرا والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهداء الى قوله
الا الذين تابوا واصلحوا وقيل هو حكم كل قاذف ما لم يتب وهو الصحيح لقوله عليه السلام اجتنبوا الموبقات سبع الشرك بالله تعالى والسحر وقتل
النفس التي حرم الله الا بالحق واكل الربا واكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات يوم تشهد عليهم ظرف لما
في لهم من معنى الاستقرار لا العذاب لانه موصوف وقرا حمزة والكسائي بالياء للتقدم والفصل السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون
يعترفون بها بانطاق الله اياها بغير اختيارهم او بظهور اثارهم عليها وفي ذلك مزيد تهويل للعذاب وقيل تشهد السنتهم اولا ثم تختم
الافواه وتشهد الايدي والارجل بما عملوا وقيل تشهد السنة بعضهم على بعض وايديهم وارجلهم باعمالهم ولو ملك الا هذه الآيات الثلث
لكفى بها يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق جزاءهم الواجب الذي هم اهله وقيل حسابهم العدل وقرا مجاهد وجماعة الحق بالرفع صفة لله ويؤ
يده ما قال وهب بن جبير اني قرات في مصحف ابي يوفيهم الله الحق دينهم وقرا زيد بن علي يوفيهم من الايفاد ويعلمون عند ذلك لمعاينتهم الشان
ان الله هو الحق المبين اي الثابت بذاته الظاهر الوهيته وقدرته على جزاء عباده لا يشاركه احد في ذلك او العادل الظاهر العدل الذي
لا ضيق في حكمه والحق الذي لا يوصف بباطل ومن هذه صفته ينتقم من المسيء للمحسن لا محالة فحقه ان يتقى ويجتنب محارمه الخبيثات
للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات قال الجمهور الخبيثات من القول تعالى او نعت للخبيثين من
الناس وبالعكس وكذلك الطيبات والطيبون فعائشة لا تقذف لها طيبات القول والكلام بما يطابق ما لها قول اولئك مبرؤن
اشارة الى الطيبين والتفسير مما يقولون الافكين اي الطيبون مبرؤن مما يقولون فكون فيهم او للخبيثين والخبيثات اي مبرؤن
مما يقول الخبيثون والخبيثات من خبيثات القول والكلم وقيل اي الخبائث يتزوجن الخباث وبالعكس وكذلك اهل الطيب واولئك
اشارة الى اهل البيت او الرسول وعائشة وصفوان وانهم مبرؤن مما يقول اهل الافك فعائشة طيبة طيبها الله لرسول الطيب صلى
الله عليه وسلم ورضي عنها لهم مغفرة تجاوز عن ذنوبهم ورزق كريم نعيم الجنة يعني لهم منافع حسنة دائمة على وجه التعظيم وهذا معنى الثواب
ولقد برا الله اربعة باربعة براه يوسف عليه السلام بشاهد من اهلها وموسى عليه السلام من قول اليهود بالحجر الذي ذهب بثوبه ومريم
بانطاق ولدها حين نادى من حجرها اني عبد الله وبراه عائشة بهذه الآيات العظام في كتابه المعجز المتلو على وجه الزمان مثل هذه
التبرئة بهذه المبالغات وما ذلك الا لاظهار منصب رسول الله واعلاء منزلته وتفخيم فضله وانه هو الشهود له باحراز قصبات الفضل
والسبق في انفاضه المكارم والفضائل وذكر الرزق الكريم هنا مثله في قوله واعتدنا لها رزقا كريما وعن عائشة رضي الله عنها لقد
اعطيت تسعا ما اعطيتهن امراة لقد نزل جبرائيل بصورتي في راحته حين امر رسول الله بتزوجها وروي انه اتى بصورتها
في سرقة من حرير وقال هذه زوجتك وان النبي صلعم لم يتزوج بكرا غيرها وقبض عليه السلام وراسه في حجرها ودفن في بيتها
ولقد حفت الملائكة في بيتها وكان ينزل عليه الوحي وهي معه في لحافه ونزلت براءتها من السماء وانها ابنة خليفته وصديقه ولقد
خلقت طيبة عند طيب ووعدت مغفرة ورزقا كريما وكان مسروق اذا روى عن عائشة يقول حدثتني الصديقة بنت الصديق حبيبة رسول
الله المبراة من السماء يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم التي تسكنونها فان الآجر والمعير ايضا لا يدخلان الا باذنه
حتى تستانسوا اي تستاذنوا من الاستيناس بمعنى الاستعلام من آنس الشيء اذا ابصره ظاهرا مكشوفا فان المستاذن مستوحش خائف
ان لا يؤذن فاذا اذن له استانس او تتعرفوا هل ثم انسان من الانس وعن ابي ايوب الانصاري قلنا يا رسول الله ما الاستيناس
قال يتكلم الرجل بالتسبيحة والتكبيرة والتحميدة يتنحنح يؤذن اهل البيت وتسلموا على اهلها بان يقول السلام عليكم ادخل ثلث مرات
وعنه عليه السلام التسليم ان تقول السلام عليكم ادخل ثلث مرات فان اذن له دخل والا رجع وقال الحسن الاول اعلام والثاني

موابرة

مواربة والثالث استيذان بالرجوع وفي الآية تنبيه على انه يقدم الاستيذان على التسليم وبه قال كثير منهم والاكثرون على انه يقدم التسليم عليه وان
في الآية تقديما وتاخيرا تقديرها حتى تسلموا على اهلها وتستاذنوا كما في حرف ابن مسعود وبعض الحديث المذكور كما لا يخفى وقد روي ان رجلا
استاذن رسول الله صلعم فقال الج فقال عليه السلام لامراة يقال لها روضة قومي الى هذا فعلميه فانه لا يحسن ان يستاذن قولي له يقول
السلام عليكم اادخل فسمعها الرجل فقالها فقال له ادخل وقال بعضهم ان وقع بصره على انسان قدم السلام والا قدم الاستيذان
ثم سلم وعن ابن عباس وابن جبير كانا يقرآن حتى تستاذنوا ويقولان تستانسوا خطا من الكاتب ولذلك كان يقرا ابي بن كعب حتى
تستاذنوا ذلكم الاستيذان والتسليم خير لكم من ان تدخلوا بغتة او على تحية الجاهلية كان الرجل منهم اذا دخل بيتا غير بيته يقول حييتم
صباحا وحييتم مساء ثم يدخل فربما اصاب الرجل مع امراته في لحاف وروي ان رجلا قال للنبي صلعم استاذن على امي قال نعم قال لا خادم
لها غيري استاذن عليها كلما دخلت قال اتحب ان تراها عريانة قال لا قال فاستاذن وقال ابو موسى الاشعري وحذيفة والحسن
يستاذن على ذوات المحارم وان كانوا في دار واحدة فيتنحنح ويتحرك ادنى حركة لعلكم تذكرون تعليل لمحذوف اي نزل عليكم او قيل لكم هذا
ارادة ان تذكروا وتتعظوا وتعملوا بما امرتم به في باب الاستيذان فان لم تجدوا فيها احدا ياذن لكم فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم واصبروا
حتى تجدوا من ياذن لكم لان المانع من الدخول هو الاطلاع على عورة وسبق العين الا انما لا يحل النظر اليه مع ان التصرف في ملك الغير
انما يكون باذنه ورضاه والا اشبه الغصب والتغلب واستثنى ما اذا عرض فيه حرق او غرق او حنق او هجوم سارق او ظهور منكر يجوز ذلك وان قيل
لكم ارجعوا فارجعوا اي لا تلحوا في اطلاق الاذن ولا تقفوا على الباب منتظرين ملازمين هو الرجوع ازكى لكم اطهر لكم واصلح من الالحاح والوقوف
على الباب المؤديان الى الكراهة وترك المروة وقال قتادة اذا لم يؤذن له فلا يقعد على الباب فان للناس حاجات واذا حضر ولم يستاذن وقعد على
الباب منتظرا جاز لما روي عن ابن عباس انه كان ياتي باب الانصار لطلب الحديث فيقعد على الباب حتى يخرج ولا يستاذن فيخرج الرجل
فيقول يا ابن عم رسول الله لو اخبرتني فيقول هكذا امرنا ان نطلب العلم واذا وقف فلا ينظر من شق الباب اذا كان مردودا لما روي عن سهل
ان رجلا اطلع على النبي صلعم من ستر الحجرة وفي يده عليه السلام مدرى فقال لو علمت ان هذا ينظرني حتى اتيه لطعنت بالمدرى في عينه وهل جعل الا
من اجل البصر وروي ان ابا هريرة قال لو ان رجلا اطلع عليك بغير اذن فحذفته بحصاة ففقأت عينه ما كان عليك جناح

فقد اتى حدا لا يحل له ان ياتيه ولو ان رجلا فقا عينيه لهدرته ولو ان رجلا مر على باب لا ستر له فراى عورة اهله فلا خطيئة عليه انما الخطيئة
على اهل البيت او انفع لدينكم ودنياكم لانه انفى للريبة والتهمة واقرب للتقوى والمروة واجلب للموددة وادخل في الامانة واقطع للخيانة
والله بما تعملون عليم اي بما تاتون وتذرون مما خوطبتم فيجازيكم على حسبه وهو وعد ووعيد ولما نزلت آية الاستيذان قالوا كيف بالبيوت
التي على ظهر الطريق ليس فيها ساكن فانزل الله تعالى استثناءها بقوله ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة مثل الفنادق وهي
الخانات والربط وحوانيت الباعة فيها متاع لكم منفعة لكم كالاستكنان من الحر والبرد وايواء الامتعة والجلوس للمعاملة وقال ابن النخعي
التجار ليس على حوانيت السوق اذن وكان ابن سيرين اذا جاء الى حانوت السوق يقول السلام عليكم ادخل ثم يلج وقال عطاء هي
البيوت التي لا ساكن لها لان الاستيذان انما جاء لئلا يطلع على عورة فان لم يخف فله الدخول بغير الاستيذان والله يعلم ما تبدون
وما تكتمون تهديد بعلم ما يعلمون ثم يعلم ما يعلنون وما يسترون اي شيئا من كليات تهم وجزئيات تهم غير خاف عليه ولا غائب عنه فحقه ان يتقى
ويحذر محارمه ولا يجترا على شيء مما يخالف امره ورضاه وتكرير العلم في معنى تكرير الوعيد وان التهديد كل التهديد من نجا
من الوعيد لفساد او يطلع على عورات قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم من للتبعيض والمراد غض البصر عما يحرم النظر اليه لا عما يحل
النظر اليه وقال مجاهد غض البصر يورث حب الله وجوز الاخفش ان تكون صلة اي يغضوا ابصارهم واباه سيبويه ويحفظوا فروجهم
الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم واطلق حفظ الفروج ههنا خاصة ولم يقيده كما في غض الابصار لان المستثنى منه كالشاذ بخلاف الغض
وقال ابو العالية حفظ الفروج ههنا خاصة سترها حتى لا يقع نظر الغير عليها ذلك غض البصر وحفظ الفرج ازكى لهم انفع وانمى
خيرا واطهر لما فيه من سلامة الصدور والبعد من الريبة ان الله خبير بما يصنعون خبير باحوالهم وافعالهم لا يخفى عليه اجالة ابصارهم
واستعمال سائر حواسهم وجوارحهم فعليهم ان يكونوا منه على تقوى وحذر في كل حركة وسكون وفيه من التهديد ما لا يخفى قال عليه السلام

لعلي لا تتبع النظرة النظرة فان لك الاولى وليست لك الآخرة وقال صلعم النظرة سهم مسموم من سهام ابليس فمن تركها خوفا من الله تعالى
اتاه ايمانا يجد حلاوته في قلبه وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن فلا ينظرن من الرجال والنساء التي ما تحت السرة الى الركبة وان غضضت
بصرها واحتجبت من الرجال راسا فهو اقرب الى التقوى واحب الى الله ورسوله عن ام سلمة قالت كنت عند رسول الله صلعم وميمونة اذا اقبل
ابن ام مكتوم فدخل عليه وذلك بعد ما امرنا بالحجاب فقال احتجبا منه فقلنا يا رسول الله اليس هو اعمى لا يبصر فقال عليه السلام افعمياوان انتما
الستما تبصرانه ويحفظن فروجهن ويسترنها حتى لا يراها احد او يحفظنها عن الزنا وقدم غض الابصار على حفظها لان النظر بريد الزنا ورائد الفجور والبلوى
فيه اشد واكثر ولا يكاد يقدر على الاحتراس منه ولا يبدين زينتهن من حلي وثياب واصباغ فضلا عن المواضع
لمن لا يحل ان يبدي لهم الا ما ظهر منها كالخاتم والفتخة والكحل والخضاب وغير ذلك مما لا باس بابدائه للاجانب لان في سترها حرجا فان المراة
لا بد لها من مزاولة الاشياء بيديها ومن الحاجة الى كشف وجهها لا سيما في الشهادة والمحاكمة والنكاح ومن ظهور قدميها في بعض الاحوال خصوصا
اذا كانت فقيرة اي الا ما جرت العادة والجبلة فانه يجوز اظهاره للاجنبي ونظره اليه اذا لم يخف فتنة وشهوة والا غض البصر ولم ينظر واقام الزينة
الخفية مثل الخلخال والسوار والدملج والقلادة والاكليل والوشاح والقرط فلا يجوز ابداؤها الا لهؤلاء الذين استثناهم الله ولا يحل النظر
اليها لغير هؤلاء وقيل المراد بالزينة مواضعها على حذف المضاف وما يعم المحاسن الخلقية والتزيينية والمستثنى هو الوجه والكفان لانها ليست بعورة
والاظهر ان هذا في الصلاة لا في النظر فان كل بدن الحرة عورة لا يحل لغير الزوج والمحرم النظر الى شيء منها الا الضرورة كالمعالجة وتحمل الشهادة
وقال ابن مسعود المستثنى هو الثياب بدليل قوله خذوا زينتكم واراد بها الثياب وقال الحسن الوجه والثياب وقال ابن عباس الكحل والخضاب في
الكف وليضربن بخمرهن على جيوبهن وليلقين بمقانعهن على جيوبهن وصدورهن سترا لاذانهن واعناقهن وما حواليها وعن عائشة
قالت ما رايت نساء خيرا من نساء الانصار لما نزلت وليضربن بخمرهن الآية شققت كل واحدة منهن من مرطها المرحل فاختمرت به فاصبحن
على رؤوسهن الغربان وقرا اهل البصرة بخمرهن بسكون الميم وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي وابن ذكوان جيوبهن بكسر الجيم لاجل الياء ولا يبدين زينتهن
الخفية كرره لبيان من يحل له الابداء ومن لا يحل له الا لبعولتهن الا لازواجهن فانهم المقصودون بزينتهن كلها ظاهرة وخفية ولهم ان ينظروا
الجميع بدنهن حتى الفرج وقال ابن عباس ومقاتل لا يضعن الجلباب والخمار الا لازواجهن او ابائهن او آباء بعولتهن او ابنائهن
او ابناء بعولتهن او اخوانهن او بني اخوانهن او بني اخواتهن اذ سوغ هؤلاء في الزينة الخفية لكثرة مداخلتهم عليهن وشدة احتياجهن
الى مخالطتهم وقلة توقع الفتنة من جهاتهم ولما في الطباع من النفرة عن مماسة القرائب ولا يجوز لهم ان ينظروا الى ما بين السرة
والركبة كما يجوز للزوج ولم يذكر الاعمام والاخوال لانهم في معنى الاخوان او الآباء او لان الاحوط ان يسترن منهم حذرا ان يصفوها لابنائهم
او نسائهن قيل هن المؤمنات لان المؤمنة ليس لها ان تتجرد بين يدي مشركة او كتابية لانها اجنبية في الدين لا تتحرج عن وصفها
للرجل وبعضده ما روي عن عمر بن الخطاب انه كتب الى ابي عبيدة بن الجراح ان يمنع نساء اهل الكتاب ان يدخلن الحمام مع المسلمات
وقيل يجوز لها ذلك لان الكافرة من جملة النساء اي او نسائهن كلهن مؤمنات كن او كافرات ويجوز للمراة ان تنظر الى بدن المراة الا
ما بين السرة والركبة كالرجل والمحرم او ما ملكت ايمانهن يعم الاماء والعبيد روي انس ان النبي صلى الله عليه وسلم اتى فاطمة
بعبد قد وهبه لها وعليها ثوب اذا قنعت به راسها لم يبلغ رجليها واذا غطت به رجليها لم يبلغ راسها فقال عليه السلام انه ليس
عليك باس انما هو ابوك وغلامك وعن عائشة انها اباحت النظر اليها لعبدها وقالت لذكوان انك اذا وضعتني في القبر وخرجت
فانت حر وعن ابن المسيب مثله ثم رجع وقال لا تغرنكم آية النور فان المراد بها الاماء وهذا هو الصحيح لان عبد المراة كالاجنبي
خصيا كان او فحلا وعن ميسونة بنت بحدل الكلابية ان معاوية دخل عليها ومعه خصي فتقنعت منه فقال هو خصي فقالت
يا معاوية اترى ان المثلة به تحلل ما حرم الله وعن ابي حنيفة لا يحل امساك الخصيان واستخدامهم وبيعهم وشراؤهم ولم ينقل
عن احد من السلف امساكهم وما روي من انه اهدي لرسول الله وقبله فقد قيل لا يقبل فيما تعم به البلوى الا حديث مكشوف
وان صح فلعله قبله ليعتقه او لسبب من الاسباب او التابعين غير اولي الاربة من الرجال اي غير اولي الحاجة الى النساء وقيل هم الذين

يتبعون

يتبعون القوم ليصيبوا من فضل طعامهم لا همة لهم الا ذلك ولا حاجة لهم الى النساء لانهم بله لا يعرفون شيئا من امورهن وقيل هم الشيوخ الهمّ
والممسوحون وعن ابن عباس من به حماقة وعنانة وعن الحسن من لا ينتشر ولا يستطيع غشيان النساء ولا يشتهيهن وعن ابن جبير المعتوه وعن عكرمة
المجبوب وقيل المخنث عن عائشة قالت كان رجل مخنث يدخل على ازواج النبي عليه فكانوا يعدونه من غير اولي الاربة فدخل النبي صلى الله عليه وسلم يوما وهو
عند بعض النساء وهو ينعت امراة فقال انها اذا اقبلت اقبلت باربع واذا ادبرت ادبرت بثمان فقال عليه السلام لا ارى هذا يعلم ما ها هنا لا يدخل
عليكن هذا المخنث وقرا ابن عامر وابو بكر وابو جعفر غير بالنصب على الاستثناء او الحال والباقون بالجر على انه صفة للتابعين وقد مر مثل ذلك في
قوله من المؤمنين غير اولي الضرر او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء من ظهر على الشيء اذا اطلع عليه اي لا يعرفون ما العورة ولا يميزون
بينها وبين غيرها او من ظهر على فلان اذا قوي عليه وظهر على القراءة اخذها واطاقها اي لم يبلغوا اوان القدرة على الوطء والطفل جنس وضع موضع
الجمع اكتفاء بدلالة الوصف وقرئ عورات بفتح الواو وهي لغة هذيل وقرا زيد على عورة بكسر الواو وجمع عورة ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين
من زينتهن كانت المراة تضرب الارض برجلها ليتقعقع خلخالها فيعلم انها ذات خلخال فنهين عن ذلك لانه يورث ميلا في الرجال وهو
ابلغ من النهي عن اظهار الزينة وادل على المنع من رفع الصوت قال ابو امامة قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يبغض صوت الحلي كما يبغض الغناء ويعاقب صاحبه كما يعاقب الزامر وملعونة وتوبوا الى
الله جميعا ايها المؤمنون اذ لا يكاد يخلو احدكم من تفريط سيما في الكف عن الشهوات وقيل راجعوا طاعة الله فيما امركم ونهاكم من الآ
داب المذكورة في هذه السورة وقيل توبوا مما كنتم تفعلونه في الجاهلية فانه وان جب بالاسلام لكنه يجب الندم عليه والعزم على الكف كلما يتذكر
لعلكم تفلحون ارادة ان تسعدوا في الدنيا والآخرة وقرا ابن عامر ايه المؤمنون بضم الهاء لاتباعها الياء وعن الآية وارجعوا الى الله من الذ
نوب وانتم راجون الفلاح طامعون فيه غير مستيقنين له ولا واثقين على التوبة وعن ابن عمر انه سمع رسول الله يقول يا ايها الناس توبوا الى ربكم
فاني اتوب الى ربي كل يوم مائة مرة وعن نافع قال ابن عمر رضي الله عنهما كنا نعد لرسول الله صلعم في المجلس يقول رب اغفر لي وتب علي انك
انت التواب الرحيم مائة مرة وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم والانكاح التزويج والايامى مقلوب ايايم جمع ايم وهو العزب
ذكرا كان او انثى بكرا او ثيبا قال فان تنكحي انكح وان كنت افتى منكم اتايمي وعن النبي عليه السلام اللهم اني اعوذ بك من العيمة والغيمة والايمة
والكرم والقرم والمغرم زوجوا ايها الاولياء والسادة من تايم ولم يتزوج من احراركم ولم حرائركم ومن كان فيه صلاح من غلمانكم
وجواريكم وهذا الامر للندب لان النكاح امر مندوب اليه وقد يكون للوجوب في حق الاولياء الاولياء عند طلب المراة ذلك وعند اصحاب
الظواهر النكاح واجب ومما يدل على كونه مندوبا اليه قوله عليه السلام النكاح سنتي فمن رغب عن سنتي فليس مني وقوله من احب فطرتي
فليستن بسنتي ومن سنتي النكاح وعنه من كان له ما يتزوج به ولم يتزوج فليس منا وعنه اذا تزوج احدكم عج شيطانه يا ويله
عصم ابن آدم مني ثلثي دينه وعنه عليه السلام تزوجوا فان يوما مع التزويج خير من عبادة الف سنة رواه ابن عباس وعنه يا عياض لا
تزوجن عجوزا ولا عاقرا فاني مكاثر والاحاديث والآثار فيه عن رسول الله والسلف كثيرة ولذلك كان واجب الترك اذا ادى الى معصية او
مفسدة قال النبي عليه السلام اذا كانت سنة وستين مائة حلت لامتي العزبة والوحدة في ردوس والترهب في رؤوس الجبال والبوادي
وقال عليه السلام اذا اتت على امتي ثلاثمائة وثمانون سنة احللت لهم العزوبة والغربة والترهب على رؤوس الجبال رواه ابن
مسعود وفي رواية اذا اتى على امتي مائة وثمانون فقد حلت لهم العزوبة والعزلة والترهب على رؤوس الجبال وفي الحديث ياتي على الناس
زمان لا تنال المعيشة فيه الا بالمعصية فاذا كان ذلك الزمان حلت العزوبة وانما خص الصالحين لان احصان دينهم والاهتمام
بشانهم اهم ويجوز ان يراد بالصلاح القيام بحقوق النكاح وجوز علمائنا تزويج المراة نفسها وقال مالك ان كانت دنية يجوز لها تزويج نفسها
وان كانت شريفة فلا وقال الشافعي لا يجوز لها ذلك مطلقا لقوله عليه السلام لا نكاح الا بولي رواه ابو موسى وقوله عليه السلام ايما امراة
نكحت نفسها بغير اذن وليها فنكاحها باطل ثلاثا ولها مهرها بما اصاب منها فان اشتجروا فالسلطان ولي من لا ولي له اي اختلفوا
وعن ابن عمر قال النبي صلى الله عليه وسلم ايما عبد تزوج بغير اذن مولاه فهو زان وقرا الحسن ومجاهد من عبيدكم ان يكونوا فقراء يغنهم
الله من فضله رد لما عسى يمنع من النكاح والمعنى لا يمنعن فقر الخاطب والمخطوبة من المناكحة فان في فضل الله غنية عن المال فانه غاد

وذا يح اود وعد الله بالاغنا لقوله عليه السلام اطلبوا الغنى في هذه الآية لكن مشروطا بالمشية كقوله وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء وقيل الغنا هاهنا القناعة وقيل اجتماع الرزقين رزق الزوج والزوجة وعن النبي صلى الله عليه وسلم التمسوا الرزق بالنكاح وشكا اليه رجل الحاجة فقال عليك بالباءة وعن عمر عجبت لمن يبتغي الغنا بغير النكاح والله تعالى يقول ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله وقال وان يتفرقا يغني الله كلا من سعته فوعد الله تعالى الغنى في النكاح والفراق وعنه ايضا عجبت لمن لا يطلب الغنا بالباءة والله واسع اي غني وسع جوده جميع الكاينات وعلمه جميع المعلومات وقدرته جميع المقدورات فيوسع على الخلايق من جوده وقيل ذو سعة لا تنفد نعمته اذ لا ينتهي قدرته عليم يعلم ما يؤول اليه احوالهم فيقدر لهم ما هو احسن لهم واقرب الى جمع شملهم ويبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يغني ويعطي على ما توجبه الحكمة الربانية وليستعفف الذين اي وليجتهد في العفة وقمع شهوة النفس عن الحرام والزنا الذين لا يجدون نكاحا اسبابه ويجوز ان يراد بالنكاح ما ينكح به من المال وبالوجدان التمكن منه حتى يغنيهم الله من فضله حتى يوسع عليهم من رزقه فيجدون ما يتزوجون به وقال الزمخشري توصية للمستعففين وتقدمة وعد بالتفضل عليهم بالغنى ليكون انتظار ذلك وتأميل لطفا لهم في استعفافهم وربطا على قلوبهم وليظهر بذلك ان فضله اولى بالاعفاء وادنى من الصلحاء وما احسن ما رتب هذه الاوامر حيث امر اولا بما يعصم من الفتنة ويبعد من مواقعة المعصية وهو غض البصر ثم بالنكاح الذي يحصن به الدين ويقع به الاستغناء بالحلال عن الحرام ثم بالحمل على النفس الامارة بالسوء وعزفها عن الطموح الى الشهوة عند العجز عن النكاح الى ان يرزق القدرة عليه والذين يبتغون الكتاب يطلبون المكاتبة وهو ان يقول الرجل لمملوكه كاتبتك على كذا لان السيد كتب على نفسه عتقه اذا ادى المال والعبد كتب له على نفسه اداءه او كتب عليه اداء المال وكتب عليه العتق يقال كاتب عبده مكاتبة وكتابا اذا قال له حررتك يدا في الحال ورقبة عند اداء المال ومنه الآية ويجوز عند ابي حنيفة رضي الله عنه حالا ومؤجلا ومنجما وغير منجم لان الله تعالى لم يذكر التنجيم وقياسا على ساير العقود وعند الشافعي رحمه الله لا يجوز الا مؤجلا منجما ولا يجوز عند نجم واحد لان العبد لا يملك شيئا فعقده حالا منع من اصول الغرض لانه يقدر على اداء البدل عاجلا ويجوز عقده على مال قليل وعلى خدمة في مدة معلومة وعلى عمل معلوم موقت مثل حفر بئر في مكان بعينه معلومة الطول والعرض وبناء دار قد اراه اجرها وما يبني به وان كاتبه على قيمته لم يجز فان اداها عتق وان كاتبه على وصيف جاز لقلة الجهالة ووجب الوسط وليس له ان يطاء المكاتبة فاذا ادى عتق وكان ولاؤه لمولاه لانه جاد بالكسب الذي هو في الاصل ~~ابن عم~~ واذا عجز من اداء المال كان لمولاه ان يفسخ فيرده الى الرق وما في يده من المال لمولاه مما ملكت ايمانكم عبدا كانت او امة والموصول بصلته مبتدأ خبره فكاتبوهم او مفعول لمضمر يفسره فكاتبوهم كقولك زيدا فاضربه ودخلت الفاء لتضمن معنى الشرط وهذا الامر للندب عند اكثر العلماء لان الكتابة معاوضة يتضمن الارفاق فلا تجب كغيرها وعن الحسن ذلك بعزم ان شاء كاتب وان شاء لم يكاتب وعن عمر هي عزمة من عزمات الله وعن ابن سيرين مثله واليه ذهب داود الاصفهاني ان علمتم فيهم خيرا اي قدرة على اداء المال وقيل امانة وتكسبا وقيل صدقا وامانة وقيل مالا كقوله ان ترك خيرا اي مالا لما روي عن سلمان ان مملوكا له ابتغى ان يكاتبه فقال اعندك مال قال لا قال تريد ان تطعمني من اوساخ الناس ولم يكاتبه قال الزجاج لو اراد به المال لقال ان علمتم لهم خيرا وهو شرط الامر فلا يلزم من عدمه الجواز واتوهم من مال الله الذي اتاكم امر للمسلمين على وجه الوجوب باعانة المكاتبين واعطائهم سهمهم الذي جعل الله لهم من بيت المال لقوله وفي الرقاب عند ابي حنيفة واصحابه رحمهم الله ويحل لمولاه وان كان غنيا ما تصدق به عليه وكذلك اذا لم تف الصدقة بجميع المال وعجز عن اداء الباقي لانه لا يأخذه بسبب الصدقة ولكن بسبب عقد المكاتبة كمن اشترى الصدقة من الفقير او ورثها او وهبت له وبدل عليه قوله عليه السلام في حديث بريرة هو لها صدقة ولنا هدية وقال جماعة هو امر للموالي يجب لهم ان يحطوا عنهم من مال الكتابة شيئا وهو قول الشافعي ثم اختلفوا في قدره فقال علي رضي الله عنه يحط عنه ربع مال الكتابة وعن ابن عباس يحط الثلث وقال الآخرون منهم يحط المولى عن مكاتبه ما شاء واليه ذهب الشافعي وعن عمر انه كاتب عبدا له يكنى ابا امية وهو اول عبد كوتب في الاسلام فاتاه باول نجم فدفعه اليه عمر وقال استعن به على مكاتبتك فقال اخرته الى اخر نجم فقال اخاف ان لا ادرك ذلك وهذا عند ابي حنيفة على وجه الندب وقال انه عقد معاوضة فلا

بجبر

يجبر على الحطيط كالبيع ومن ابن جريج هو حث لجميع الناس على معونتهم وقيل معنى اتوهم اسلفوهم وقيل انفقوا عليهم بعد ان يؤدوا ويعتقوا وهذا كله مستحب وروي انه كان لحويطب بن عبد العزى مملوك يقال له الصبيح سأل مولاه ان يكاتبه فابى فنزلت ولا تكرهوا فتياتكم اماءكم جمع فتاة يكنى بها عن الامة يقال اكره الجارية على كذا اذا حملها عليه كرها على البغاء اي على الزنا وهو مصدر البغي كان لعبد الله بن ابي المنافق ست جوار معاذة ومسيكة واميمة وعمرة واروى وقتيلة يكرههن على الزنا وضرب عليهن ضرائب فقالت معاذة ومسيكة ان هذا الامر الذي نحن فيه ان يكن خيرا فقد استكثرنا منه وان يكن شرا فقد آن لنا ان ندعه فانزل الله هذه الآية ويروى ان احديهما جاءت يوما ببرد والاخرى جاءت بدينار فقال لهما ارجعا فازنيا قالتا والله لا نفعل قد جاء الاسلام وحرم الزنا فشكتا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت ان اردن تحصنا عفة اي كفا عن البغاء وقيل تحصنا اي تعففا وهو تكلف العفة واصل ان الشرطية ان تدخل على فعل المضارع لانها لتعليق مضمون جملة بمضمون جملة في الاستقبال الذي هو مترقب الوجود واذا دخلت الماضي قلبته الى معنى المستقبل قالوا وجي الشرط هاهنا بلفظ الماضي دلالة على توفر الرغبة في ارادتهن التحصن وترك الزنا وقال الزمخشري انما قال ان اردن تحصنا لان الاكراه لا يتأتى الا مع ارادة التحصن وامر الطيعة المواطية للبغاء لا يسمى مكرها ولا امره اكراها وكلمة ان وايثارها على اذا ايذان بان المساعيات كن يفعلن ذلك برغبة وطواعية منهن وان ما وجد من معاذة ومسيكة من حيز الشاذ النادر واعلم ان الآية مما استدل به القائلون بنفي مفهوم المخالفة والا لوجب جواز الاكراه على عدم ارادتهن التحصن واجاب القائلون به بوجوه الاول ان مفهوم المخالفة انما يكون اذا لم يظهر للتقييد بالشرط فايدة اخرى سوى انتفاء الحكم عند انتفائه وهاهنا فايدة اظهار الترغيب في الوقوع والمبالغة في النهي عن الاكراه بمعنى انهن مع قصور عقلهن اذا اردن التحصن وترك الزنا فالمولى احق بارادة ذلك وكون الآية نزلت فيمن كن يردن التحصن ويكرههن المولى على الزنا ولا مفهوم في مثله الثاني معارضة الاجماع والنصوص وذلك ان دلالة الشرط على انتفاء الحكم الذي هو حرمة الاكراه انما هو بحسب المفهوم المخالفة وهو ظاهر لا قطعي فلا يعتد به في معارضة الاجماع القاطع والنصوص القاطعة في حرمة الامر بالمنكر فضلا عن الاكراه عليه الثالث ان الاكراه انما يكون على فعل يريد الفاعل نقيضه فعند عدم ارادتهن ترك الزنا لا يتصور الاكراه على الزنا لكونه اكراها على ما لا يريد الفاعل نقيضه والاكراه انما هو الزام فعل مكروه واذا لم يكن لم يتعلق به التحريم لان شرط التكليف الامكان ولا يلزم من عدم التحريم الاباحة لتبتغوا عرض الحيوة الدنيا اي لتطلبوا حطام الحيوة الدنيا وما يتمتع به فيها من الخسيس الادنى وقيل اي لتطلبوا من اموال البغايا ويريد من كسبهن وبيع اولادهن ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن الزام اياهن على ذلك المكروه غفور رحيم اي للمكرهات فالوزر على المكره او له ان تاب وقيل لهم ولهن ان تابوا واصلحوا والاول اوفق للظاهر ولما في مصحف ابن مسعود وقراءة ابن عباس لهن غفور رحيم وكان الحسن اذا قرا هذه الآية قال لهن والله لهن والله ولا يرد عليه ان المكره غير اثم فلا حاجة الى تعليق المغفرة بهن لان الاكراه لا ينافي المؤاخذة بالذنب ولذلك حرم على المكره القتل واوجب عليه القصاص هكذا قيل ونحن نقول ان المراة اذا اكرهت على الزنا يكون زناها مرخصا فان حرمة الزنا عليها حق الله تعالى وليس من باب الاكراه على قتل النفس لان زنا المراة ليس فيه قطع النسب اذ لا نسب من المراة فلا يكون بمنزلة قتل النفس بخلاف زنا الرجل فانه بمنزلة قتل النفس لانه قطع النسب فينبغي انها زنت بالاكراه بغير الملجئ يكون في زناها شبهة الرخصة فلا تحد اما الرجل فزناه لا يرخص بالملجئ فان زنى بغير الملجئ يحد الرجل بالاكراه الملجئ استحسانا لان الحد للزجر ولا حاجة اليه عند الاكراه لانه كان منزجرا الى حين خوف التلف او العضو فالاقدام عليه دفع لذلك لا اقتضاء للشهوة وانتشار الآلة لا يدل على الطواعية لانه قد يكون طبعا بالفحولة المركبة في الرجال ولقد انزلنا اليكم آيات مبينات يريد الآيات التي بينت في هذه السورة واوضحت معاني الاحكام والحدود ويجوز ان يكون الاصل مبينا فيها فاتسع في الظرف وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي بكسر الياء لانها واضحات يصدقها الكتب المتقدمة والعقول السليمة من بين بمعنى تبين ومنه المثل قد بين الصبح لذي عينين او لانها بينت الاحكام والحدود وجعل الفعل لها على المجاز ومثلا من الذين خلوا من قبلكم ومثلا من امثال من قبلكم اي وقصة عجيبة من قصصهم وهي قصة عائشة رضي الله عنها فانها كقصة يوسف ومريم وموعظة للمتقين ما وعظ به في الآيات

واختلف في نحو قوله ولا تأخذكم بهما رافة في دين الله لولا اذ سمعتموه ولولا اذ سمعتموه يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا وخص المتقين انهم هم المنتفعون
بها وقيل المراد بالايات القرآن والصفات المذكورة صفاته الله نور السموات والارض قيل النور في اللغة الضياء وقيل النور ضوء كل نير وقيل
القائم بالمضيء لذاته هو الضوء والقائم بالمضيء لغيره نور واياما كان فهو كيفية تقابل الظلمة فيمتنع ان يكون صانع العالم هو لكن لزوالها وافتقارها
الى الجسم وتعالى واجب الوجود عن ما هو من صفات الاجسام وتوابع المزاج والتركيب على انه تعالى قال مثل نوره باضافة النور الى نفسه فلو كان
تعالى هو النور لكان بهذا اضافة الشيء الى نفسه وهو محال فهو تعالى ليس نورا ولا متصفا بهذه الكيفية المنافية للوجوب فاذا لا يصح اطلاقه على الله الا بتقدير
مضاف كقولك زيد كرم وجود بمعنى وكرم وذو وجود او على تجوز اما بمعنى منور السموات والارض قاله الضحاك وقرئ به فانه تعالى نورهما بالكواكب
وما يفيض عنهما من الانوار وبالملائكة والانبياء وكتبه السماوية ويشرح ما روي عن ابي جعفر انه قرا على عبد الله ابن عباس بن ابي ربيعة الله
نور السموات والارض وبه قرا زيد بن علي رضي الله عنه او من ترهما قاله مجاهد من قولهم للرئيس الفائق في التدبير نور القوم لانهم يهتدون به
في الامور ومن يتبعهما قاله ابي ابن كعب والحسن وابو العالية قالوا زين السماء بالشمس والقمر والنجوم وزين الارض بالانبياء والعلماء والمؤمنين
او هادي اهلهما فهم بهداه الى الحق يهتدون ومن حيرة الضلالة ينجون قاله ابن عباس رضي الله عنهما او موجدهما فان النور ظاهر بذاته مظهر
لغيره واصل الظهور هو الوجود كما ان الخفاء هو العدم والله سبحانه موجود بذاته لا يقبل العدم موجد لكل شيء سواه والذي به يدركه او يدرك
اهلهما من حيث انه يطلق على الباصرة لتعلقها او لمشاركتها في توقف الادراك عليه ثم على البصيرة لانها اقوى ادراكا فانها تدرك نفسها وغيرها
من جميع الموجودات والمعدومات وتغوص في بواطنها وتتصرف في التركيب والتحليل ثم ان هذه الادراكات ليست لذاتها والا لما فارقتها فهي
اذن من سبب يفيضها عليها وهو الله تعالى ابتداء او بتوسط من الملائكة والانبياء ولذلك سموا انوارا واما اضافة النور الى السموات والارض اما للدلالة
على سعة اشراقه وفشو اضاءته حتى تضيء له السموات والارض او لاشتمالهما على الانوار الحسية والعقلية وقصور الادراكات البشرية عليهما
وعلى المتعلق بهما والمدلول لهما او لان المراد اهل السموات والارض وانهم يستضيئون به مثل نوره اي صفة نوره العجيبة الشأن في الاضاءة والاشراق
كمشكاة كصفة مشكاة وهي الكوة الغير النافذة في الجدار وعن مجاهد هي القنديل وقيل اي مثل نور الله في قلب المؤمن وقيل اي مثل نوره هو
النور الذي يهتدي به ويعضده قراءة ابن مسعود مثل نوره في قلب المؤمن وقيل اي مثل نوره قلب المؤمن وكان ابي يقرا مثل نور من آمن وهو عبد
جعل الايمان والقرآن في صدره وفي غرائب القرآن للامام الجليل النيسابوري عن ابي بن كعب مثل نور المؤمن وقال الحسن وزيد بن اسلم اراد
بالنور القرآن وقال ابن جبير والضحاك هو محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الطاعة واضافة هذه الانوار الى نفسه تفضيلا وتفخيما فيها مصباح سراج
ضخم ثاقب وقال مجاهد المشكاة القنديل وقيل الانبوبة في وسط القنديل والمصباح الفتيلة المشتعلة المصباح في زجاجة في قنديل من زجاج
شامي ازهر وقرا نصر بن عاصم وابن ابي عبلة وفي زجاجة بفتح الزاي الزجاجة كأنها كوكب دري مضيء متلألئ كالزهرة في صفائه وقال الز
مخشري شبه في زهرته باحد الدراري من الكواكب وهي المشاهير كالمشتري والزهرة والمريخ وسهيل ونحوها وقيل شبهه بالكوكب لا بالشمس
والقمر لان الخسوف يلحقهما بخلاف الكوكب لا يلحقها الخسوف وقرا ابو عمرو والكسائي دريء بوزن فعيل كسكير وخمير وسكيت لشدة توقده وتلالؤ
نوره من الدرء بمعنى الدفع فانه يدفع الظلام بنوره او بعض نوره بعضا وابو بكر وحمزة دريء بفتح الدال على انه اصله فعول مثل سبوح وقدوس
فاستثقلوا الضمتين والواو ففتحوا الاولى وقلبوا الواو الى الياء وادغموا الياء في الياء والهمزة الثانية الى الكسرة والواو الى الياء وابو
ياء ثم ادغمت الاولى في الثانية وقيل هو فعلي منسوب الى الدر لصفاء لونه ولم تهمزه لانه ليس في كلام العرب فعيل ومن همزه من القراء فانما اراد
فعولا نحو سبوح قال ابو عبيد وقرا ابو جعفر ويعقوب بكسر الدال وتشديد الياء وقيل دري اي طالع من درا النجم اذا طلع وارتفع ويخرج ما عال
القياس شاذ ان ابا عمرو فقرا كوكب دري بكسر الدال وتشديد الراء والهمزة والضمة وقال ابو عمرو سئل من هنا الى هنا اي يطلع وروى
الجعفي عن ابي عمرو دري بفتح الدال مهموزة وقرا سعيد ابن المسيب وقتادة وابو رجاء دري بفتح الدال وتشديد الراء والياء وقال ابو عمرو
اهل مكة يقولون دري من الدر وهو عظام اللؤلؤ توقد من شجرة مباركة زيتونة توقد الزجاجة او المصباح من شجرة اي ابتداء ثقوبه من شجرة
الزيتونة المتكاثر نفعها بان رويت ذبالته بزيتها وفي ابهام الشجرة ووصفها بالبركة ثم ابدال الزيتونة منها تفخيم لشانها وقيل مباركة كثيرة النافع

اولا تقع

اولا انها تنبت في الارض التي بارك فيها للعالمين وقيل بارك فيها سبعون نبيا منهم ابراهيم عليه السلام وعن النبي صلى الله عليه وسلم عليكم بهذه الشجرة
زيت الزيتونة فتداووا به فانه مصحة من الباسور وقرا ابو بكر وحمزة والكسائي توقد بالتاء على ان الفعل للزجاجة بحذف المضاف اي نار الزجاجة
وقيل للمشكاة ونافع وابن عامر وحفص يوقد بالتذكير يعني المصباح وكلا القراءتين من الافعال وابن كثير وابو عمرو توقد بوزن تفعل والضمير فيهما
المصباح وبه قرا ابو جعفر ويعقوب وقرا توقد بمعنى تتوقد ويوقد بالتشديد ويوقد بفتح الياء وحذف التاء لاجتماع حرفين زائدتين وهو غريب
وقرا مجاهد يوقد بالهمزة وكذلك قرا توقد وتوقد لا شرقية ولا غربية اي ليست شرقية وحدها حتى لا تقع عليها الشمس اذا غربت ولا غربية وحدها حتى
لا تقع عليها الشمس اذا طلعت بل هي بحيث تقع طول النهار بالغداة والعشي جميعا كالتي تكون على قلة او صحراء واسعة وتكون شرقية غربية تأخذ
حظها من الامرين فتكون ثمرتها انضج وزيتها اصفى او ليست نابتة في شرق المعمورة وغربها بل في وسطها وهو الشام واجود الزيتون
زيتون الشام او ليست في مضحى تشرق الشمس عليها دائما فتحرقها او مقناة تغيب عنها دائما فتتركها نيئا ولكن الشمس والظل يتعاقبان عليها وذلك
اجود لحملها واصفى لدهنها قال النبي صلى الله عليه وسلم لا خير في شجرة ونبات في مقناة ولا خير فيهما في مضحى وقال الحسن ليست هذه من اشجار
الدنيا ولو كانت في الدنيا لكانت شرقية او غربية وانما هو مثل ضربه لنوره وقرا الضحاك لا شرقية ولا غربية بالرفع على لا هي شرقية ولا هي
غربية يكاد زيتها يضيء من شدة صفائه ولو لم تمسسه نار اي يكاد دهنها يضيء بنفسه من غير نار لتلألئه وفرط بريقه وصفائه والاشتعال
او فرط الانارة والاشراقة واللمعان والاضاءة وصلية وقرئ يمسسه بالياء للفصل بالضمير ولان تانيث النار غير حقيقي نور على نور اي
نور المصباح على نور الزجاجة وقيل اي هذا الذي شبهت به الحق نور متضاعف فقد تناصر فيه المشكاة والزجاجة والمصباح والزيت حتى لا تبقى
مما يقوي النور ويزيده اشراقا ويمده باضاءة بقية وذلك ان المصباح اذا كان في مكان متضايق كالمشكاة كان اضوأ له واجمع لنوره بخلاف
المكان الواسع فان الضوء ينبث فيه وينتشر والقنديل اعون شيء على زيادة الانارة وكذلك الزيت وصفاؤه واختلفوا في معنى هذا التمثيل
فقيل انه تمثيل لنور محمد صلى الله عليه وسلم عن ابن عباس قال لكعب الاحبار اخبرني عن قوله تعالى مثل نوره كمشكاة الى
آخره قال كعب هذا مثل ضربه الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فالمشكاة صدره والزجاجة قلبه والمصباح فيه النبوة توقد من شجرة مباركة هي
شجرة النبوة يكاد نور محمد وامره يتبين للناس ولو لم يتكلم انه نبي كما يكاد ذلك الزيت يضيء ولو لم تمسسه نار وعن ابن عمر قال المشكاة جوف محمد والزجاجة
قلبه والمصباح النور الذي جعل الله فيه لا شرقية ولا غربية لا يهودي ولا نصراني توقد من شجرة مباركة ابراهيم نور على نور قلب ابراهيم ونور قلب
ابراهيم عليهما الصلاة والسلام وعن محمد بن كعب المشكاة ابراهيم والزجاجة اسمعيل والمصباح محمد عليهم السلام سماه الله مصباحا كما سماه سراجا
فقال وسراجا منيرا توقد من شجرة مباركة وهي ابراهيم عليهم السلام سماه مباركا لان اكثر الانبياء من صلبه لا شرقية ولا غربية لم يكن ابراهيم يهوديا
ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما لان اليهود تصلي قبل المغرب والنصارى قبل المشرق يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار يكاد محاسن محمد
تظهر للناس قبل ان اوحي اليه نور على نور نبي من نسل نبي وقيل انه تمثيل للهدى الذي دل عليه الآيات بينات في جلاء مدلولها وظهور ما
تضمنت من الهدى بالمشكاة المنعوتة او تشبيه للهدى من حيث انه محفوف بظلمات اوهام الناس وخيالاتهم بالمصباح وانما ولي الكاف المشكاة
لاشتمالها عليه وتشبيهه بها اوفق من تشبيهه بالشمس وقيل تمثيل لنور قلب المؤمن وقيل تمثيل للمعارف والعلوم اي نور الله بها قلب
المؤمن بنور المشكاة المنبث فيها من مصباحها ويؤيده قراءة ابي بن كعب مثل نور المؤمن وقال ايضا هذا مثل المؤمن المشكاة نفسه والزجاجة
والمصباح ما جعل الله في قلبه من الايمان والقرآن توقد من شجرة مباركة وهي الاخلاص يكاد زيتها يضيء اي يكاد قلب المؤمن يعرف قبل ان يتبين
لموافقته اياه نور على نور هو يتقلب في خمسة انوار قوله نور وعلمه نور ومدخله نور ومخرجه نور ومصيره الى نور يوم القيامة او تمثيل لما منح الله عباده
من القوى الدراكة الخمس المترتبة التي ينوط بها المعاش والمعاد وهي الحساسة التي تدرك المحسوسات بالحواس الخمس والخيالية التي تحفظ
تلك المحسوسات لتعرضها على القوة العقلية متى شاءت والعقلية التي تدرك الحقائق الكلية والمفكرة وهي التي تؤلف المعقولات لتستنتج منها
علم ما لم يعلم والقدسية التي تتجلى فيها لوائح الغيب واسرار الملكوت المختصة بالانبياء والاولياء المعنية بقوله تعالى ولكن جعلناه
نورا نهدي به من نشاء من عبادنا بالاشياء الخمسة المذكورة في الآية فهي المشكاة والزجاجة والمصباح والشجرة والزيت فان الحساسة كا

[Margin notes:]
قبل هي بيان
الجعفي
اي سار
في وجوه فيكثير
بحجرة الشق بها النجرة
فليس حقه ناعمة لا
نصيبها الشمس اذا
طلعت ولا اذا
غربت
لموافقته
المشكاة

لانه يحلها الى الكوى ووجهها الى الظاهر لا يدركه ماوراءها واضائتها بالمعقولات لا بالذات والخيالية كالزجاجة في قبولها صور المدركات من الجوانب
في ضبطها الى الانوار العقلية وانارتها بما تشتمل عليها من المعقولات والعاقلة كالمصباح لاضائتها بالادراكات الكلية والمعارف الالهية والمفكرة
كالشجرة المباركة لتاديها الى ثمرات لا نهاية لها والزيتونة المثمرة بالزيت الذي هو مادة المصباح التي لا تكون شرقية ولا غربية لتجردها عن
اللواحق الجسمية او لوقوعها بين الصور والمعاني متصرفة في القبيلتين منتفعة من الجانبين والقوة القدسية كالزيت لصفائها وشدة
ذكائها يكاد يضيء بالمعارف من غير تفكر ولا تعلم او تمثيل القوة العقلية في مراتبها بذلك فانها في بدء امرها خالية عن العلوم مستعدة
لقبولها كالمشكاة ثم تنتقش بالعلوم الضرورية لتوقيف احساس الجزئيات بحيث تتمكن من تحصيل النظريات فتصير كالزجاجة متلالئة في
نفسها قابلة للانوار وذلك التمكن ان كان بفكر واجتهاد فكالشجرة الزيتونة وان كان بالحدس فكالزيت وان كان بقوة قدسية فكالذي
يكاد زيتها يضيء لانها تكاد تعلم ولو لم تتصل بملك الوحي والالهام مثلها النار من حيث ان العقول تشتعل عنها ثم اذا حصل لها
العلوم بحيث يتمكن من استحضارها متى شاء كان كالمصباح فاذا استحضرها كان نور على نور وقال الحسن وابن زيد هذا مثل
للقران فالمصباح هو القران فكما يستضاء بالمصباح يهتدى بالقران والزجاجة قلب المؤمن والمشكاة فمه ولسانه والشجرة مباركة شجرة
الوحي يكاد زيتها يضيء تكاد حجة القران تتضح وان لم تقرا نور على نور اي القران نور من الله تعالى لخلقه مع ما اقام لهم من الدلائل
والاعلام قبل نزول القران فازدادوا بذلك نورا على نور وقال ابن عباس هذا مثل نور الله وهداه في قلب المؤمن كما يكاد زيت الصافي يضيء
قبل ان تمسه النار فاذا مسته النار ازداد ضوءا على ضوئه كذلك يكاد قلب المؤمن يعمل بالهدى قبل ان ياتيه العلم فاذا جاءه العلم ازداد
هدى على هدى ونورا على نور وقال الكلبي قوله نور على نور يعني ايمان المؤمن وعمله وقال السدي نور الايمان ونور القران يهدي الله لنوره اي
لهذا النور الثاقب من يشاء من عباده فان الاسباب دون مشيئته لاغية اذ بها تمامها وقيل اي يوفق لاصابة الحق من نظر وتدبر بعين عقله
والانصاف من نفسه ولم يذهب عن الجادة الموصلة اليه يمينا وشمالا ومن لم يتدبر فهو كالاعمى الذي سواء عليه جنح الليل الدامس وضحوة النهار
الشامس وقيل لنوره اي للقران وقال ابن عباس لدين الاسلام وهو نور البصيرة ويضرب الله الامثال للناس ويبين الله المعاني التي هي
كالامثال السائرة في غرابتها وحسنها تقريبا الى الافهام وتسهيلا لسبيل الادراك وقيل ادناه للمعقول من المحسوس توضيحا وبيانا والله بكل شيء
عليم بليغ العلم بكل ما من شانه ان يعلم من الجزئيات والكليات لا يخفى عليه شيء منها وفيه من الوعد والوعيد ما لا يخفى واما نظرا الى التنكير
فعلى علم اي عليم في بيوت متعلق بما قبله اي كمشكاة في بعض بيوت الله او توقد في بيوت فيكون تقييدا للممثل به بما يكون تحبيرا وتعظيما او مبالغة
فان قناديل المساجد تكون اعظم او تمثيلا لصلوة المؤمنين او ابدانهم بالمساجد ولا ينافي في جمع البيوت وحدة المشكاة اذ المراد بها ما له هذا
الوصف بلا اعتبار وحدة ولا كثرة او بما بعده وهو يسبح له رجال في بيوت ولفظ فيها تكرير مؤكد بمنزلة كرراته في صلته انه فلا يعمل فيما قبله
او بمحذوف كقوله في تسع آيات اي سبحوا في بيوت وهي المساجد لان الصفة تلائمها وقيل المساجد الثلثة وقيل انما هي اربع مساجد لم
يبنها الا نبي الكعبة بناها ابراهيم واسمعيل فجعلاها قبلة وبيت المقدس بناه داود وسليمان ومسجد المدينة بناه رسول الله صلى الله
عليه وسلم ومسجد قبا اسس على التقوى بناه رسول الله صلى الله عليه وسلم اذن الله اي امر الله ان ترفع ان تبنى كقوله واذ يرفع ابراهيم
القواعد وعن ابن عباس هي المساجد امر الله ان تبنى او ان تعظم وعن الحسن ما امر الله ان يرفع بالبناء ولكن التعظيم ويذكر فيها اسمه
وهو عام في ما يتضمن ذكره حتى المذاكرة في افعاله والباحثة في احكامه وقال ابن عباس وان يتلى فيها كتابه يسبح له بالغدو والاصال ينزههم
او يصلي له فيها باوقات الغدو والعشي اي بالغدوات والعشيات والغدو مصدر والذهاب غدوة ثم اطلق للوقت ومن ثم حسن اقترانه بالاصال جمع
اصيل وهو العشي وقرئ والايصال وهو الدخول في الاصيل يقال اصل كاظهر واعتم وقرا ابن عامر وابو بكر يسبح بفتح الباء على استناده
الى احد الظروف الثلثة ورجال مرفوع بفعل مضمر دل عليه يسبح اي يسبح رجال ونظيره ضارع في قوله ليبك يزيد ضارع لخصومة والباقون بكسرها
على استناده الى رجال وقرا ابو جعفر تسبح بالتاء وفتح الباء على انه مسند الى اوقات الغدو والاصال على زيادة الباء والمراد ربه الاوقات كصيد عليه
يومان والمراد وحشهما وقرئ بالتاء مكسورة الباء للتانيث الجمع اي تسبح رجال وانما خص الرجال بالتسبيح في المساجد لانه ليس على النساء جمعة ولا جماعة

فيها وقرا

فيها وقرا ابو مجاز والايصال بالمصدر رجال التنكير للتفخيم كما في قوله في بيوت لا تلهيهم تجارة لا تشغلهم معاملة رابحة والتجارة اسم يقع على البيع والشرى
جميعا وهو المبادر الى الذهن لانه صناعة من يبيع ويشتري للربح وتنكيرها للتقليل اي شيء من هذه الصناعة او للتنويع اي نوع منها ويجوز ان يراد بها
الشرى اطلاقا لاسم الجنس على النوع كقولك رزق فلان تجارة رابحة اذا اتجه له بيع صالح او شرى وقال الفراء التجارة لاهل الجلب والبيع ما باعه الرجل على بدنه
ومنه يقال تجر فلان في كذا اذا جلبه ولا بيع عن ذكر الله مبالغة بالتعميم بعد التخصيص ان اريد مطلق المعاوضة او بافراد ما هو اهم من قسمي التجارة
فان الربح يتحقق بالبيع ويتوقع بالشرى والبيع من الاضداد يجيء بمعنى الشرى والاشتراء في الحديث لا يبع بعضكم على بيع اخيه والابتياع الاشتراء
ثم ان البيع والشرى في الغالب يقع على الايجاب والابتياع والاشتراء على القبول فرع لان الثلاثي اصل ومزيده فرع له كما ان الايجاب اصل والقبول
فرع بناء عليه فجعل الاصل للاصل والفرع للفرع واقام الصلوة اصله اقامة وهذه التاء عوض عن العين الساقطة بالاعلال والاصل اقوام
فلما اضيفت اقيمت الاضافة مقام حرف التعويض وخففت كقوله واخلفوك عد الامر الذي وعدوا وانه غير الامر اصله عدة الامر فحذفت التاء عند
الاضافة والمراد باقامة الصلوة اداؤها او تعديل اركانها وحفظها من الخلل او التشمر لادائها وان لا يكون في موديها فتور والاول اوجه
وايتاء الزكوة واعطاء القدر الذي يجب اخراجه من المال للفقراء والمستحقين وفي الفتاوي لا يجوز دفع الزكوة الى من يملك النصاب الا الطالب
العلم والغازي والمنقطع من الحاج لقوله عليه يجوز دفع الزكوة الى طالب العلم ولو كان له نفقة اربعين سنة يخافون يوما مع ما هم عليه من الذكر وا
لطاعة وتنكيره تنكير تعظيم تتقلب فيه القلوب والابصار تضطرب وتتغير من الهول والفزع وتشخص كقوله واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر او
تتقلب احوالها فتتفقه القلوب ما لم تكن تفقه وتبصر الابصار ما لم تكن تبصر او تتقلب القلوب بين الخوف والرجاء تخشى الهلاك وتطمع في النجاة والابصار من هول اي ناحية
يؤخذ بهم ذات اليمين ام ذات الشمال ومن اين يؤتون كتابهم من قبل الايمان ام من قبل الشمائل وهو من ثلث مواضع لا يذكر فيها احد احدا
كما نطق به الحديث ليجزيهم الله متعلق بالتسبيح والخوف اي يسبحون ويخافون ليجزيهم الله متعلق بالتسبيح والخوف اي يسبحون ويخافون ليجزيهم الله
احسن ما عملوا اي احسن جزاء بما عملوا الموعود لهم من الجنة كقوله للذين احسنوا الحسنى ويزيدهم من فضله اشياء لم يعدهم على اعمالهم ولم يخطر ببالهم قيل
ويزيدهم على الثواب تفضلا وكذلك معنى قوله الحسنى وزيادة عليها التفضل وفيه معان اخر مذكورة في غالب التحقيق قد وشحنا بها الكتاب ان تقريرها ههنا
والله يرزق من يشاء بغير حساب اي والله يعطي من يشاء رزقا اي عطاء لا يهتدي اليه حساب الحساب ولا يحصر والمعنى لا يقدر على ذلك الا الله وحده
وانه قد ربه فهو قادر على جزاء الحسنى وزيادة والله انه لقادر على ما يرزق عباده التفضل الى وجهه الكريم غدوا وعشيا وما ذلك عليه بعزيز وتقرير للزيادة
مع المثوبة الحسنى وتنبيه على كمال القدرة ونفاذ المشيئة وسعة الرحمة والانعام وما احسن ما قيل انه عز وجل اما تفضل واما ثواب واما عوض
والله يرزق ما يتفضل به بغير حساب فاما الثواب فله حساب لكونه على حسب الاستحقاق ثم ضرب لاعمال الكفار مثلا فقال والذين كفروا اعمالهم
كسراب بقيعة والذين تمردوا وتبوءوا على الكفر حالهم يوم القيمة على ضد ذلك فان اعمالهم التي يحسبونها صالحة نافعة عند الله يجدونها لاغية مخيبة
في العاقبة كالسراب وهو الذي يرى بالنهار كانه ماء يسرب اي يجري واكثر ما يكون في البراري وقيل السراب ما يرى في الفلاة من ضوء الشمس وقت
الظهيرة يسرب على وجه الارض كانه ماء يجري وفيه نظر لانه ليس بحتمي لانه قد يرى في غير الفلاة وفي يوم مغيم وقيل وقت الظهيرة هكذا وجدناه
في بعض الاسفار والمواضع والقيعة بمعنى القاع وهو الارض المستوية او جمع القاع كجيرة وجار وقرئ بقيعات بتاء مطولة كديمات وقيمات في ديمة
وقيمة وقد جعل بعضهم بقيعات بتاء مدورة كرجل عزهاة يحسبه الظمان يتوهم العطشان ماء نوعا من انواع الجاري او بعضا منه وتخصيص
الظمان لتشبيه الكافر به في شدة الخيبة عند مسيس الحاجة وقرا نافع وابو جعفر وشيبة الظمان بحذف همزة ونقل حركتها الى الميم حتى اذا جاءه جاء
ما توهمه ماء او موضع السراب لم يجده شيئا مما رجاه وظنه ووجد الله عنده عقاب الله او زبانية عنده ياخذونه فيقتلونه الى جهنم
فيسقونه الحميم والغساق وهم الذين قال الله فيهم عاملة ناصبة ويحسبون انهم يحسنون صنعا وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء
منثورا وقيل نزلت في عتبة بن ربيعة بن امية قد كان تعبد في الجاهلية ولبس المسوح والتمس الدين ثم كفر في الاسلام وقيل وجد الله
محاسبا اياه وقيل قدم على الله فوفيه حسابه فاعطاه جزاء عمله الذي يحاسب عليه وافيا تاما والله سريع الحساب لا يبطئ في حسابهم لانه تعالى
لا يشغله حساب عن حساب فيحاسب الخلق كلهم في وقت واحد وهو اسرع الحاسبين وروي انه اذا اخذ في حسابهم لم يقل اهل الجنة الا فيها ولا

مطلب مصارف الزكوة

اعمالهم رآة فيها ثم ضرب لاعمالهم مثلا آخر فقال او كظلمات عطف على كسراب واو للتخيير فان اعمالهم من حيث انها باطلة لا منفعة لها كالسراب ومن حيث انها خالية عن نور الحق كالظلمات المتراكمة من لج البحر والامواج والسحاب او للتنويع فان اعمالهم ان كانت حسنة فكالسراب وان كانت قبيحة فكالظلمات او للتقسيم باعتبار وقتين فانها كالظلمات في الدنيا والسراب في الآخرة في بحر لجي عميق كثير ماؤه منسوب الى اللج وهو معظم ماء البحر يغشاه يغشى البحر ويعلوه من فوقه موج من فوقه موج اي امواج متلاطمة متراكمة من فوقه من فوق الموج الثاني سحاب غطى النجوم وحجب انوارها جمع سحابة وهو الغيم والجملة صفة اخرى للبحر ظلمات اي هذه ظلمات بعضها فوق بعض اي ظلمة الموج الاول فوق ظلمة البحر وظلمة الموج الثاني فوق ظلمة الموج الاول وظلمة السحاب فوق ظلمة الموج الثاني وهذه اربع ظلمات بعضها فوق بعض وعن ابي بن كعب الكافر يتقلب في خمس من الظلم فكلامه وعمله ظلمة ومدخله ظلمة ومخرجه ظلمة ومصيره الى الظلمات يوم القيمة الى النار وقيل اراد بالظلمات اعمال الكفار وبالبحر اللجي قلبه وبالموج ما يغشى قلبه من الجهل والشك والحيرة وبالسحاب الختم والطبع عليها وقرأ البزي سحاب ظلمات باضافة سحاب الى الظلمات وابن كثير سحاب ظلمات برفع سحاب وتنوينه وجر ظلمات بدلا من ظلمات الاولى والباقون برفعهما اذا اخرج يده وهي اقرب ما يرى اليه لم يكد يراها اي لم يقرب من ان يراها فضلا عن ان يراها ونظيره في نفي مقاربة الرؤية قول ذي الرمة اذا غير النأي المحبين لم يكد رسيس الهوى من حب مية يبرح اي لم يقرب من البراح فما باله يبرح وقال الفراء وعليه اكثر الكوفيون انه يكد زائدة والمعنى لم يرها وقال المبرد يعني لم يرها الا بعد الجهد كما يقول القائل ما كدت اراك من الظلمة وقد رأه ولكن بعد اجتهاد ويأس وبين له عليه قوله تعالى فذبحوها وما كادوا يفعلون وقد فعلوا الذبح بلا ريب والمختار عندنا هو الاول فان نفي مقاربة الرؤية ابلغ من نفي نفس الرؤية والذي يدل على ذلك ويعضده ما سبق قبله من المبالغة بقوله ظلمات بعضها فوق بعض والقائل الواقع في البحر وان لم يجر ذكره لدلالة المعنى عليه ومن لم يجعل الله له نورا ومن لم يقدر له الهداية على نور الحق ولم يوفقه لاسبابها فما له من نور فهو في ظلمة الباطل ليس له من نور وخلاف الموفق الذي له نور على نور وهما متقاربان معنى وقال ابن عباس ومن لم يجعل الله له دينا وايمانا فلا دين له والاكثرون على انه عام في جميع الكفار وقال مقاتل فانه قال نزلت الآية في عتبة بن ربيعة الم تر اي الم تعلم علما يشبه المشاهدة في اليقين والوثاقة بطريق الوحي والاستدلال ان الله يسبح له من في السموات والارض يقال يسبح اي يقول سبحان الله ويسبح اي ينزهه ويبعده عن كل سوء واصل التقديس بنفسه فاللام اما مثل اللام في نصحته ونصحت له واما ان يراد يسبح له يحدث التسبيح لاجله ولوجهه خالصا ولم يقل يسبح ولكن بلفظ المضارع ليدل على ان التسبيح حادث منهم ودينهم اي يسبح له اهل السموات والارض ومن لتغليب العقلاء او الملائكة والثقلان بما يدل عليه من مقال او دلالة حال والطير اي كل ما يطير بين السماء والارض وعلى الاول تخصيص لما فيها من الدليل الباهر على ربوبيته وكمال قدرته ولطف تدبيره فان اعطاء الاجرام الثقيلة ما به تقوى على الوقوف في الجو صافات باسطات اجنحتهن في الهواء من طيرانها لانهن اذ بسطنها صففن قوادمها صفا فاختلف في الطير فقيل اسم جمع مؤنث وقيل جمع طاير وقال ابو عبيدة وقطرب قد يقال للواحد وجمعه طيور ويدل عليه قول محمد بن الحسن في الحجة بن بحج الكلبي الشروك كل اي واحد مما ذكره او من الطير قد علم صلوته وتسبيحه الضماير الثلث ترجع الى الله اي قد علم الله دعاءه وقوله سبحان الله او تنزيهه اختيارا او طبعا او قولا والله عليم بما يفعلون بليغ العلم بكل شيء يفعل كل هؤلاء او بكل فعل من افعالهم لا يخفى عليه شيء منها فكيف بالصلوة والتسبيح فيكون من اضافة المصدر الى المفعول وذكر الفاعل متروك او الى كل اي علم كل واحد من هؤلاء ما يصدر عنه من دعائه وتسبيحه لا يجهل به ولا يبعد ان يعلم الله الطير دعاءه وتسبيحه كما علمها ساير العلوم الدقيقة التي لا يكاد العقلاء يهتدون اليها فيكون من اضافة المصدر الى الفاعل وعرض ف عن التسبيح وقيل علم كل على تسبيح حاله في الدلالة على الحق والميل الى النفع على وجه يخصه بحاله من علم ذلك وقد بقي ههنا وجهان آخران لا يبعدان عن السداد وهما ان الضمير في علم لله وفي صلوته وتسبيحه لكل وبالعكس وقال مجاهد الصلوة لبني آدم والتسبيح لساير الخلق وقيل ان ضرب الاجنحة صلوة الطير وصوته تسبيحه وقرأ الاعرج والطير بالنصب على انه مفعول معه والجمهور قرأوا برفعهما على الابتداء والاخبار وقرأ ابي كل قد علم صلوته وتسبيحه والجار متعلق بقوله الم تر الطير وروى خارجة عن نافع وفي مصحف عبد الله والله بصير بما تفعلون وفي حرف ابي والله بما تعملون بصير بالتاء فيهما وقرأ عيسى وطلحة تفعلون بالتاء والله ملك السموات والارض قدم الظرف قصدا الى اختصاص الملك بالله تعالى لان الملك على الحقيقة له لانه مكون كل شيء ومبدعه والقائم به والمهيمن عليه وان ملك غيره له فاستبطانه

واستدعا

واستدعاءه والمعنى ان جميع ما في السموات والارض مختصة بالله ملكا وخلقا وعلما فكيف يخفى عليه افعال خلقه واحوالهم والجملة الثانية وهي قوله والله عليم بما يفعلون واقعة موقع التقرير والتعليل للاولى وهذه لها كذلك فليتأمل وقيل خالق ولما فيهما من الذوات والصفات والافعال من حيث علمه واجبة الانتهاء الى الواجب والى الله المصير واليه مرجع الجميع لا الى غيره رجوع المملوك الى المالك ولقام المظهر الزيادة التمكين وجعله متمكنا عند السامع اولا دخال الروع وتربية المهابة لما في لفظ الله من ادخال الخوف والهيبة في قلب السامع بحيث يقشعر جلده بمجرد سمعه لدلالته على الذات الجامع لصفات الكمال لتحققه ان يخاف ويهاب ويخشع الم تر ان الله يزجي سحابا يسوقه الى حيث يشاء ومنه يصح البضاعة المزجاة التي يزجيها كل احد لا يرضاها ثم يؤلف بينه السحاب جمع سحابة وعليه الجمهور وقد يقال للواحد وتأليف الواحد بان يكون قزعا فيضم بعض الى بعض وبهذا الاعتبار جاز بينه لان المعنى بين اجزائه اي يجمع بين قطعه واجزائه ثم يجعله ركاما متراكما بعضه فوق بعض فترى الودق المطر يخرج من خلاله من فتوقه ومخارجه جمع خلل كجبال في جبل وقيل من وسطه وقرئ من خلله وقال الجوهري يخرج من خلاله وخلله وهي فرج في السحاب يخرج منها المطر وينزل من السماء من الغمام وكل ما علاك فهو سماء ومن ابتدائية لان الابتداء الانزال من السماء وقرأ نافع وابن عامر وابو جعفر والكوفيون ينزل بتشديد الزاء حيث وقع دلالة على التدريج والتكثير وهو ابلغ من قراءة الباقين من جبال فيها من هذه تبعيضية لان التنكير يفيد البعضية على ما هو الظاهر وهو المطابق للصحيح المعنى لان المنزل من السماء انما هو من بعض تلك الجبال التي في السماء لا من كلها وقيل من قطع عظام تشبه الجبال في عظمها او جمودها من برد بيان للجبال والمفعول محذوف لدلالة على اي ينزل البرد من السماء من جبال فيها من برد ويجوز ان يكون المفعول من برد وهذا ايضا هو المطابق للصحيح المعنى لانه لم ينزل منها من السماء البرد كله ويجوز ان يكون من الثانية للبيان وان تكون صلة واقعة موقع المفعول اي ينزل من السماء جبالا من برد والبرد حب الغمام وقيل المراد بالسماء المظلة وفيها جبال من برد كما في الارض جبال من حجر والعقل يجوزه وعن ابن عباس رضي الله تعالى ان في السماء جبالا من برد واعلم ان السحاب مما لم يرد في الشرع بيانه وانه من اي شيء خلقه الله تعالى ولم يتعرض بذلك المهرة النقلة من السلف وان الحكماء وكثير من متأخري الملة فقالوا ان الشمس يحلل من المياه والاراضي الرطبة اذا اشرقت عليها اجزاء هوائية يمازجها اجزاء صغار مائية يسمى المركب منها بخارا ويتصاعد الى الجو فان تحللت منه اجزاء مائية بشعاع الشمس انقلب كله هواء وان لم يبلغ صعوده الى الطبقة الزمهريرية ولم يكن هناك برد قوي كان في ذلك البخار بذلك القدر اجتمع وتقاطر فالبخار المجتمع هو السحاب والمتقاطر هو المطر وان كان البرد قويا فاما ان يصل البرد الى اجزاء السحاب قبل اجتماعها او لا فان وصل قبله نزل ثلجا وان وصل بعده البارد من الهواء فان كان كثيرا فقد ينعقد سحابا قاطرا وقد لا ينعقد فيكون ضبابا وان كان قليلا فان كان في برد الليل نزل طلا وان لم ينجمد وضعفها ان انجمد وان لم يكن كافيا في الجو وان اشرقت على الاراضي اليابسة تحللت منها اجزاء نارية يخالطها اجزاء ارضية يسمى المركب منها دخانا ويختلط بالبخار ويتصاعدان معا الى الطبقة البارد فينعقد البخار سحابا ويحتبس الدخان فيه وطلب الصعود ان بقي على طبيعته والنزول ان ثقل وكيف ما كان يمزق السحاب عنيفا فيحدث من ذلك التمزيق الرعد وقد يشتعل بالحركة والحكة فيحدث منه البرق ان كان لطيفا والصاعقة ان كان غليظا وليس في العقل قاطع بذلك كله ولا في النقل كما لا يخفى ومع ذلك لا بد من ان يستند كل ذلك الى ارادة الصانع الواجب الحكيم لقيام الدليل على انها الموجبة لاختصاص الحوادث بمحالها واوقاتها واليه اشار بقوله فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء اي فيصيب بالبرد من يشاء فيضره في نفسه او ماله ويصرف البرد عمن يشاء صرفه عنه فلا يضره يكاد سنا برقه اي يقرب ضوء برق السحاب يذهب بالابصار من ان يذهب اي يخطف بابصار الناظرين اليه من فرط اضاءته وذلك من اقوى دليل على كمال القدرة من حيث انه توليد الضد من الضد وقرئ يكاد سناء برقه بالمد وفتح الراء جمع برقة وهي المقدار من البرق كالغرفة واللقمة وبرقه بضمتين للاتباع كما قيل في جمع فعلة فعلات كظلمات وسناء برقه بالمد المقصور بمعنى العلو والارتفاع من قولك سنى للمرتفع والممدود في صرف طلحة بن مصرف وقرأ ابو جعفر يذهب بضم الياء وكسر الهاء على زيادة الباء كقوله ولا تلقوا بايديكم يقلب الله الليل والنهار بان يعاقب بينهما ويخالف بطول احدهما وقصر الآخر وبالحر والبرد والظلمة والنور عن ابي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وانا الدهر بيدي الامر اقلب الليل والنهار ان في ذلك اشارة الى ما سبق ذكره من تسبيح المسبحين وابتهالهم وتسخير السحاب وغير ذلك اي في كل واحد مما ذكر او في جميع ما ذكر لعبرة لاولي الابصار والبصاير يعتبرون وقيل لمن نظر وفكر وتبصر وتدبر وقيل لمن يرجع الى البصيرة وقيل لاهل العقول والبصاير والله خلق كل دابة الدابة كل حيوان يدب على الارض اي يتحرك ومنه دبيب النمل وهو تحركه وقرأ حمزة والكسائي خالق كل دابة باسم الفاعل

على

المضاف الى الكل والخالق يحتمل ان يكون بمعنى الخالق على قصد الدوام والثبات وبمعنى من يصدر عنه الخلق في الزمان الماضي وبمعنى من قام به الخالق ماضيا كان او حالا
مع انه لا ماضي ولا حال ولا مستقبل بالنسبة الى الله لتنزهه عن الزمان فخلقه اي ايجاده ازلي لا يتغير بتغير الزمان كعلمه وقدرته وساير صفاته فانه كلا
منها ازلية لاستحالة قيام الحوادث بذاته تعالى كل من ماء ذكرها الافراد والنوعية اي للقصر الى فرد مما يطلق عليه اسم الجنس والقصد الى نوع منه والمعنى
خلق كل فرد من افراد الدواب من ماء مخصوص هو النطفة المعينة التي منها خلقت تلك الدابة وكل نوع من انواع الدواب من نوع من انواع المياه وهو
النطفة التي تختص بذلك النوع من الدابة فيكون على الوجهين تنزيلا للغالب منزلة الكل اذ من الحيوانات ما يتولد لا عن النطفة وقيل من ماء متعلق
بدابة وليس صلة لخلق ثم الحمل على النوعية احسن واولى من الحمل على الافراد لقلة ملايمته بقوله فمنهم من يمشي على بطنه لانه تفصيل للانواع اي فمنها ما يمشي بغير
آلة مشي كالحيات والحيتان والديدان والمشي السير على القدم سريعا كان او غير سريع والمراد به الزحف في هذه النوع وسمي مشيا على الاستعارة للمشاكلة واتى
قال منهم دون منها لتغليب العقلاء على غيرهم في اسم الدابة وبق من عليه ومنهم من يمشي على رجلين كالانس والطير ومنهم من يمشي على اربع والنوع الاول
اعرق في القدرة من الثاني وهو من الثالث فلذلك قدم وجادت الاصلا الانواع الثلثة على هذا الترتيب يخلق الله ما يشاء مما ذكر ومما لم يذكر بسيطا او
مركبا على اختلاف الصور والاعضاء والهيئات والحركات والطبايع والقوى والافعال مع اتحاد العنصر بمقتضى مشيته او يخلق ما يشاء مما لا تعلمونه
ولا تشاهدونه كقوله ويخلق ما لا تعلمون بعد ذكر خلق الدواب واهله ومن الاوثان وغيره ثم علل ذلك بقوله ان الله على كل شيء قدير فهو يقدر على
كل مقدور ويخلقه لان العجز عن البعض نقص وافتقار الى المخصص ولا يخفى ما فيه من الرد والابطال لما زعم الفلاسفة من انه لا يقدر على اكثر من واحد
والنظام انه لا يقدر على مثل مقدور العبد وعامة المعتزلة انه لا يقدر على نفس مقدور العبد تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا ومن اكثر ما نطق النصوص
الناطقة من شمول القدرة وعموم العلم وغير ذلك مما اثبته الله في كتابه لنفسه فقد كفر فيقال لهم انتم اعلم ام الله لقد انزلنا آيات مبينات موضحات المقاصد
قرا ابن عامر وحمزة والكسائي بكسر الياء اي ظاهرة الاعجاز او موضحات للحقايق بانواع الحجج والبراهين والله يهدي من يشاء بخلق فيه الاهتداء
الايمان بها او النظر الصحيح فيها او لتدبرها الى صراط مستقيم هو دين الاسلام الى الفوز بجميع السعادات الدنيوية والاخروية وقد سمي القرآن
في الحديث بالصراط المستقيم ويقولون آمنا بالله وبالرسول روي انها نزلت في بشر المنافق خاصم يهوديا في ارض فجعل اليهودي يجره الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم والمنافق يجره الى كعب بن الاشرف ويقول ان محمدا يحيف علينا وقيل في مغيرة بن وايل خاصم عليا في ماء وارض فقال المغيرة
اما محمد فلست آتيه ولا احاكم اليه فانه يبغضني وانا اخاف ان يحيف علي وقرا ابن عباس آمنا بالله وبرسوله بالافراد واطعنا وامتثلنا لا
حكامهما ولم نمتنع عن قبولها ثم يتولى يعرض عن طاعتهما بالامتناع عن قبول الحكم فريق منهم من بعد ذلك بعد قولهم آمنا واطعنا وما اولئك بالمؤمنين
اشارة القائلين باسرهم فيكون اعلاما من الله بان جميعهم منتف عنهم الايمان لمخالفة القلب وخلوص الاعتقاد لم يعقبه التولي وعرفهم
بالالف واللام للدلالة على انهم ليسوا بالمؤمنين الذين عرفتهم فهم هم المخلصون في الايمان والثابتون عليه واذا دعوا الى الله ورسوله معنى الى الله ورسوله
الى رسول الله كقولك اعجبني زيد وكرمه تريد كرم زيد ومنه قول ملتقم قبل القطا وفرطه اراد قبل فرط القطا وفي بعض الروايات
وقوله يحكم بينهم اي يحكم رسول الله فانه الحاكم ظاهرا والمدعو اليه واما ذكر الله فلتعظيمه وتقريرا ان حكمه عند الله حكم الله من غير تفاوت وان طاعته
طاعة كما نص عليه بقوله من يطع الرسول فقد اطاع الله وقرا ابو جعفر والجحدري ليحكم بينهم مبنيا للمفعول اذا فريق منهم معرضون فاجاء فريق منهم الاعراض
عن حكمه واجابته اذا كان الحق عليهم وعلمهم بانه لا يحكم لهم وهو شرح للتولي وتاكيد لهم والمبالغة فيه فانه لم يكن لهم الحق اي الحكم لا عليهم ياتوا اليه مذعنين
مطيعين منقادين لحكمه لعلمهم بانه يحكم لهم واليه صلة ياتوا لان اتى وجاء يعديان بالى او صلة مذعنين وتقديمه للاختصاص افي قلوبهم مرض نفاق قد جمع
الى مرض الكفر وقيل كفر او ميل الى الظلم ام ارتابوا ام شكوا في امر نبوته بان راوا منه تهمة فزال ثقتهم ويقينهم ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله اي
يظلم في القضاء والحكومة بل اولئك هم الظالمون اضراب عن القسم الثالث فقد اي لا يخافون ان يحيف رسول الله عليهم لعلمهم بحاله وانه لا يحكم الا بالحق
واتهم الظالمون يريدون ان يظلموا من له الحق عليهم ويتم لهم جحوده وذلك شيء لا يمكن لهم في مجلس رسول الله فمن ثمة ياتون المحاكم اليه وقيل اضراب
عن القسمين الاخيرين لتحقيق القسم الاول ووجه التقسيم ان امتناعهم اما لخلل فيهم او في الحاكم والثاني اما ان يكون محققا عندهم او متوقعا وكلاهما
باطل لان منصب النبوة وفرط امانته يمنعه فتعين الاول وظلمهم يعم خلل عقيدتهم وميل نفوسهم الى الحيف والفصل لنفي ذلك من غيرهم سيما المدعو

الذي

ليس على ... فمن الذي ... الفرقين ... الذي ... الذي ... خبرهم

الى حكم انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله اي اذا دعوا الى رسول الله وقيل الى كتاب الله ورسوله ليحكم بينهم ليحكم النبي والظاهر ان هذا وارد على
وجه الخبر عن نصوح بصيرتهم ونيتهم وطاعتهم له وانقيادهم لحكمه في جميع ما يحكم من غير شايبة وقيل هذا مثل كان في قوله ما كان لله ان يتخذ من ولد ما يكون لنا
ان نتكلم بهذا ان يقولوا سمعنا واطعنا اي سمعنا الدعاء واطعنا المدعو بالاجابة وترك الامتناع في قبول حكمه وان مع ما في حيزه في موقع الرفع على انه اسم كان
وخبره قول المؤمنين وقرا الحسن قول المؤمنين على تاخير خبر كان كما هو الاصل والنصب اقوى لان اولى الاسمين بكونه اسما لكان اوغلهما في التعريف وان
يقولوا اوغل لانه لا سبيل عليه للتنكير بخلاف قول المؤمنين وقرئ ليحكم على البناء للمفعول واسناده الى ضمير مصدره لان معناه ليفعل الحكم بينهم ونظيره
لقد تقطع بينكم وهذه القراءة مجاوبة لقوله دعوا واولئك هم المفلحون الظافرون بما ارادوا والاخيرهم ومن عادته تعالى في كتابه ان يقفي ذكر المحسن بذكر المسيء و
بذكر احوال الفريقين حسنها وسيئها وعاقبة كل منها لينشط على ايزلف وينبط عما يتلف ومن يطع الله ورسوله في الحدود والاحكام او في الفرايض والسنن
وقيل فيما يا ... وقيل فيما ساءه وسره قال ابن عباس ويخشى الله على ما مضى من ذنوبه ويتقه فيما بقي من عمره قال النبي صلى الله عليه وسلم العبد
المؤمن بين مخافتين بين اجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه وبين اجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه فليتزود العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته فوالذي
نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعتب ولا بعد الدنيا دار الا الجنة او النار وقرا يعقوب وابو جعفر وقالون وهشام ويتقه بكسر القاف والهاء وحفص ويتقه
بسكون القاف وكسر الهاء وابو عمرو وابو بكر ويتقه بسكون الهاء وعن يعقوب وقالون تقه بلا ياء شبه بكتف فخفف كقوله وقالت سلمى اشترلنا سويقا ومنه قولهم لم
اشتر طعاما بسكون الراء وقصد الى التخفيف فاولئك هم الفائزون اي الذين جمعوا بين الخصال الثلثة احقاء بان يكونوا مختصين بالفوز العظيم اللهم زيننا
بلباس الطاعة والخشية والتقوى واجعلنا من اهلها في الآخرة والاولى بمحمد وآله وصحبه مصابيح الدجى يا امان الخائفين ويا ارحم الراحمين والآية كما ترى جامعة
لاسباب الفوز وعن بعض الملوك انه سال عن آية كافية فتليت له هذه الآية واقسموا بالله جهد ايمانهم انكار الامتناع الخالق اذا بالغ في اليمين
وبلغ غاية شدتها وكاد تهافت جهد يمينه استفعل من جهد نفسه اذا كلفها فوق طاقتها وبلغ اقصى وسعها واصل اقسم جهد اليمين اقسم يجهد اليمين
جهدا فحذف الفعل واقيم المصدر مقامه مضافا الى المفعول لقوله تعالى فضرب الرقاب وحكم هذا المنصوب حكم الحال كانه قال جاهدين ايمانهم وجهد اليمين
ان يحلف بالله ولا حلف فوق الحلف بالله وبه قال ابن عباس رضي الله عنهما لئن امرتهم بالخروج عن ديارهم واموالهم ليخرجن حتى الضماير للمنافقين فانهم
كانوا يقولون لرسول الله صلعم اينما كنت نكن معك لئن خرجت خرجنا وان اقمت اقمنا وان امرتنا بالجهاد جاهدنا وهو جواب لاقسموا على الحكاية قل لا
تقسموا لا تحلفوا على الكذب طاعة معروفة خبر مبتدا محذوف اي امركم او المطلوب منكم او طاعتكم طاعة معروفة معلومة لا يشك فيها ولا يرتاب كطاعة
الذين اخلصوا الايمان لا الايمان الكاذبة النفاقية التي تقسمون بها بافواهكم وقلوبكم الى خلافها وهي مشهورة بانها بالقول دون الفعل او مبتدا
خبره محذوف اي طاعة معروفة امثل واولى بكم منها والنكتة في هذه الحذف مع الاختصار تكثير للفايدة بامكان حمل الكلام على كل من المعنيين بخلاف
ما لو ذكر فانه يكون نصا في احدهما وقرا اليزيدي طاعة معروفة بالنصب على معنى اطيعوا طاعة ان الله خبير بما تعملون تعليل للنهي وما مصدرية او موصولة
او موصوفة اي خبير بكل عمل تعملون فيعلم ما في ضمايركم ولا يخفى عليه شيء من سرايركم وهو فاضحكم لا محالة ومجازيكم على نفاقكم وايمانكم قل اطيعوا الله واطيعوا
الرسول في كل ما يطاع به وهو امر بتبليغ ما خاطبهم الله به على الحكاية وكرره مبالغة في ايجاب الطاعة ونهيهم على القسم الكاذب فان تولوا تتولوا عن طاعة
الله ورسوله فانما عليه على الرسول ما حمل ما حمله الله وكلفه من تبليغ الرسالة وادائها وعليكم ما حملتم مما كلفتم من القبول والاذعان وان تطيعوه
في حكمه وما يطاع به تهتدوا الى الحق والى طريق مستقيم وما على الرسول الا البلاغ المبين اي التبليغ البين او الموضح لما كلفتم به فاذا بلغ فقد خرج من
عهدة تكليفه واما انتم فان اعرضتم فعليكم وضرر تم انفسكم وان اطعتم فلكم فنفعتم انفسكم فضرر الاعراض ونفع الاطاعة عايدان اليكم والبلاغ بمعنى
التبليغ كالاداء بمعنى التادية واريتها بمعنى واحد والمبين بمعنى الظاهر او المظهر وكلاهما مشهور وقيل معنى المبين كونه مقرونا بالآيات
والمعجزات وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات الخطاب لرسول الله وامته او له ولمن معه ومن بيانية كالتي في آخر سورة الفتح وعدهم
ان ينصر بهم الاسلام على ساير الاديان ويورثهم الارض ويجعلهم فيها خلفاء وقد ذكر هذا الوعد في زبور داود في القرآن العظيم على
ابلغ وجه واكد فقال ليستخلفنهم في الارض جواب قسم مضمر تقديره وعدهم الله واقسم ليستخلفنهم او نزل وعد الله في تحققه منزلة القسم
فتلقى بما يلقى به القسم من اللام والنون كانه اقسم الله ليستخلفنهم اي ليجعلنهم خلفاء متصرفين في الارض تصرف الملوك في عمالكهم كما استخلف الذين

من قبلهم

كما جعل بني اسرائيل خلفاء في مصر والشام بعد اهلاك الفراعنة والجبابرة يتصرفون فيهما كيف يشاؤن وليمكنن لهم بالتقوية والتثبيت دينهم الذي ارتضى لهم اي دين الاسلام الذي اختاره لهم وعن ابن عباس يوسع لهم في البلاد حتى يملكوها ويظهر دينهم على سائر الاديان وقرا ابو بكر كما استخلف على البناء للمفعول والباقون بالمعلوم وليبدلنهم من بعد خوفهم من الاعداء امنا منهم يعني يؤمن سربهم ويزيل عنهم الخوف الذي كانوا عليه وذلك ان رسول الله واصحابه مكثوا بمكة بعد الوحي عشر سنين خائفين ولما هاجروا كانوا بالمدينة يصبحون في السلاح ويمسون فيه حتى قال رجل منهم ما ياتي علينا يوم نامن فيه ونضع السلاح فقال عليه السلام لا تغبرون الا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم في الملاء العظيم محتبيا ليس فيه حديدة وقال عليه السلام اذا هلك كسرى فلا كسرى بعده واذا هلك قيصر فلا قيصر بعده والذي نفس محمد بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله فانجز الله وعده واظهرهم على العرب كلهم وفتح لهم بلاد المشرق والمغرب ومزق بايديهم ملك الاكاسرة والقياصرة واورثهم ارضهم وديارهم واموالهم وفيه دليل قاطع على صدق نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم وحقية رسالته للاخبار بالغيب على ما هو به وصحة خلافة الخلفاء الراشدين اذ لم يجتمع الموعود والموعود عليه لغيرهم بالاجماع وقيل الخوف من العذاب والامن منه في الاخرة وقرا ابن كثير وابو بكر وليبدلنهم يعبدونني حال من الذين لتقييد الوعد بالثبات على التوحيد اي وعدهم الله ذلك في حال عبادتهم واخلاصهم على التوحيد او استئناف كانه قائل قال ما لهم يستخلفون ويؤمنون فقال يعبدونني لا يشركون بي شيئا حال متداخل او مترادف اي يعبدونني غير مشركين ومن كفر ومن ارتد او كفر بتلك النعم العظام بعد ذلك بعد الوعد او الايجاد وحصول النعم فاولئك هم الفاسقون اي هم الكاملون في فسقهم حيث كفروا تلك النعمة العظيمة وارتدوا بعد وضوح مثل هذه الاية قالوا اول من كفر بهذه النعمة وجحد حقها قتلة عثمان فلما قتلوه غير الله ما بهم من النعمة وادخل عليهم الخوف حتى صاروا يقتتلون بعد ما كانوا اخوانا وعن انس قال النبي صلى الله عليه وسلم ان لله تعالى سيفا مغمودا ما دام عثمان حيا فاذا مات عثمان جرد ذلك السيف ولم يغمد الى يوم القيمة واقيموا الصلوة المعطوف عليه فاصل وان طال لان حق المعطوف ان يكون غير المعطوف عليه واتوا الزكاة واطيعوا الرسول في ما امركم به ونهاكم عنه وكرر طاعة الرسول تاكيدا لوجوبها لعلكم ترحمون اي افعلوا هذه كلها وانتم راجعون للرحمة طامعون فيها غير مستيقنين لها ولا واثقين على اعمالكم وفي رجاء الفئة ترجوا رحمتك وتخشى عذابك دليل على صحة هذا المعنى وقيل وتعليق الرحمة بها او بالمندرجة هي فيه بقوله لعلكم ترحمون كما علق به الهدى لا تحسبن الذين كفروا معجزين لا تحسبن يا محمد الكفار معجزين الله اي فائتين الله وسابقين قضاءه فانه لا ينجي منه مهرب ولا يسبق قضاءه سابق ولا يبعدهم من ادراكهم واهلاكهم في الارض صلة معجزين في الارض مفعولين او ولا يحسبوهم معجزين فحذف المفعول الاول لانه الفاعل والمفعولين كشيء واحد فاقنع بذكر الاثنين عند ذكر الثاني وقرا ابن عامر وحمزة بالياء وهو كالاول في الاحتمالات الثلث احدها ان يكون الفعل مسندا الى الرسول لتقدم ذكره والذين كفروا معجزين مفعولي يحسبن والثاني ان يكون مسندا الى الذين كفروا وقوله معجزين في الارض هو المفعولان اي لا يحسبن الذين كفروا احدا يعجز الله في الارض حتى يطمعوا هم في مثل ذلك او مسند الى الذين كفروا على حذف المفعول الاول اي لا يحسبنهم الذين كفروا معجزين او لا يحسبن الذين كفروا انفسهم معجزين ومأويهم النار عطف على لا تحسبن الذين كفروا كانه قيل الذين كفروا ليسوا بمعجزين ومأويهم لان المقصود من النهي عن الحسبان تحقيق نفي الاعجاز ولبئس المصير المأوى الذي يصيرون اليه يا ايها الذين امنوا ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم ضمير الخطاب يرجع الى المخاطبين مغلب فيه الرجال على النساء والامر لام الامر اي ليستاذن العبيد وقيل العبيد والاماء وقرا عبيد بن عمير ليستاذنكم بالنصب والاوجه لم الان يختر شاد ويجعلم لام كي والذين لم يبلغوا الحلم منكم اي والصبيان الذين لم يبلغوا من الاحرار فعبر عن البلوغ بالاحتلام بانه اقوى دلالة وعن ابي الحلم بسكون اللام ثلث مرات في اليوم والليلة والمراد بثلث مرات ثلثة من قبل صلوة الفجر في موقع النصب بدل من الثلث مرات اي يستاذنوا ثلث اوقات من قبل صلوة الفجر لانه وقت القيام من المضاجع وطرح ثياب النوم ولبس ثياب اليقظة او الرفع خبر المحذوف اي ذلك من قبل صلوة الفجر وبالظهيرة وبعد صلوة العشاء وهو قول وحين تضعون ثيابكم للقيلولة بيانه للحين لان الظهيرة وقت وضع الثياب للقائلة والظهيرة للهاجرة وهي نصف النهار عند اشتداد الحر ومن بعد صلوة العشاء لانه وقت التجرد من ثياب اليقظة والالتحاف بالملحاف ثياب النوم وقيل مراتب فحق هذه الاوقات لانها ساعات الخلوة ووضع الثياب فربما يبدو فيها من الانسان ما لا يجب ان يراه احد من العبيد والصبيان من الاستيذان في هذه الاوقات فاما غيرهم فيستاذنون في جميع الاوقات ثم سمى كل واحدة من هذه الاحوال عورة في قوله ثلث عورات لكم اي ثلث اوقات يختل فيها تستركم وتحفظكم والعورة الخلل ومنها

اعور المكان

اعور المكان ورجل اعور اي مختل العين وقرا حمزة والكسائي وابو بكر وخلف ثلث عورات بالنصب بدلا من ثلث مرات وفيه دليل على جواز البدل من البدل وجوز بعضهم ان يكون منصوبا على تقدير التقوى ثلث عورات والباقون بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف او مبتداء خبره ما بعده وقرا الاعمش عورات على لغة هذيل وعن ابن عباس وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم غلاما من الانصار يقال له مدلج بن عمرو الى عمر رضي الله عنه وقت الظهيرة ليدعوه فدخل عليه وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال لوددت ان الله عز وجل نهى اباءنا وابناءنا وخدمنا ان لا يدخلوا علينا هذه الساعات الا باذن ثم انطلق معه الى النبي عليه السلام فوجده قد انزلت عليه هذه الاية وهي احدى الايات المنزلة بسبب عمر وعن مقاتل نزلت في اسماء بنت ابي مرثد كان لها غلام كبير فدخل عليها في وقت كرهت دخوله فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان خدمنا وغلماننا يدخلون علينا في حال نكرهها فانزل الاية وقيل قالت انا لندخل على الرجل والمراءة ولعلهما يكونان في لحاف واحد ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن اي ليس عليكم ولا على العبيد والخدم والصبيان اثم في الدخول عليكم بغير استيذان بعد هذه الاوقات الثلثة وهذه الجملة ليس لها محل ان نصبت ثلث عورات لانها مقررة للامر بالاستيذان في تلك الاحوال خاصة وفي محل الرفع على الخبر او الوصف ان رفعته والمعنى على الثاني هن ثلث عورات مخصوصة بالاستيذان طوافون عليكم اي هم طوافون يعني العبيد والخدم يطوفون عليكم فيترددون ويدخلون ويخرجون في اشغالكم بغير اذن وهو استيناف ببيان العذر المرخص في ترك الاستيذان وهو المخالطة والمداخلة الكثيرة يعني انكم وبكم حاجة الى المخالطة والمداخلة يطوفون عليكم للخدمة وتطوفون عليهم للاستخدام فلو خص الامر بالاستيذان في كل وقت لادى الى الحرج وفيه دليل على تعليل الاحكام وكذا في الفرق بين الاوقات الثلث وغيرها بانها عورات وقرا ابن ابي عبلة طوافين بالنصب على يكونون طوافين عليكم او على الحال بعضكم على بعض اي يطوفون بعضكم على بعض وحذف هذا لان طوافون يدل عليه كذلك مثل ذلك التبيين يبين الله لكم الايات اي الاحكام والله عليم باحوالكم حكيم فيما شرع لكم واذا بلغ الاطفال منكم الحلم اي الاحتلام يريد الاطفال من الاحرار الذين بلغوا فليستاذنوا كما استاذن الذين من قبلهم الذين بلغوا من قبلهم في الاوقات كلها والمعنى ان الاطفال ماذون لهم في الدخول بغير اذن الا في العورات الثلث واذا احتلموا او بلغوا السن التي يحكم عليهم بالبلوغ وجب عليهم ان يستاذنوا في الاوقات كلها كالرجال الكبار الذين يستاذنون في جميع الاوقات في الدخول عليكم وهذا الكثير الناس كالشريعة المنسوخة وعن ابن عباس اية لا يؤمن بها اكثر الناس اية الاذن واني لآمر جاريتي ان تستاذن علي وسال عطاء استاذن على اختي قال نعم وان كانت في حجرك تمونها وتلا هذه الاية وعنه ثلاث آيات جحدهن الناس الاذن كلها وقوله ان اكرمكم عند الله اتقيكم فقال ناس اعظمكم بيتا وقوله واذا حضر القسمة وعن ابن مسعود عليكم ان تستاذنوا على اباءكم وامهاتكم واخوانكم وعن الشعبي ليست منسوخة فقيل له ان الناس لا يعملون بها فقال الله المستعان وعن سعيد بن جبير ان ناسا يقولون هي منسوخة والله ما هي منسوخة ولكنها مما تهاون به الناس كذلك يبين الله لكم آياته دلالاته واحكامه والله عليم بليغ العلم بامور عباده وخلقه لا يخفى عليه شيء منها حكيم فيما يفعل بهم واتى الحكم وفي تكريره تاكيد ومبالغة في الامر بالاستيذان وعن سعيد بن المسيب يستاذن الرجل على امه فانما نزلت هذه الاية في ذلك والقواعد من النساء جمع القاعد وهي العجوز التي قعدت عن الحيض والحمل لكبرها فلا تحيض ولا تلد اللاتي لا يرجون نكاحا لا يطمعن فيه ولا يردن الرجال لكبرهن وقال ربيعة هي العجز اللواتي اذا راهن الرجال استقذروهن فاما من كانت فيها بقية من جمال وهي محل الشهوة فلا تدخل في هذه الاية وهو الاصح عندي لان هذه ترى الرجال وتطمع فيه وهو كذلك فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن عند الرجال اراد بالثياب الثياب الظاهرة كالملحفة والجلباب الذي فوق الخمار والفاء فيه لان اللام في القواعد بمعنى اللاتي او لوصفها بها وفي حرف ابن مسعود وابي ان يضعن من ثيابهن اي بعض ثيابهن غير متبرجات بزينة غير مظهرات زينة مما امر باخفائه بقوله ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن او غير قاصدات بالوضع التبرج ولكن التخفف اذا احتجن اليه واصل التبرج تكلف اظهار ما يجب اخفاؤه من قولهم سفينة بارجة لا غطاء عليها والبرج سعة العين بحيث يرى بياضها محيطا بسوادها كله لا يغيب منه شيء الا انه خص بكشف المراة زينتها ومحاسنها للرجال وبدو وبرز بمعنى ظهر من اخوات تبرج وقبح وان يستعففن والاستعفاف وعدم القاء الملحفة او الجلباب خير لهن من الوضع لما فيه من شائبة التهمة ولما ذكر الجائز اتبعه المستحب حثا منه على اختيار ضمية الاعمال وافضلها واقربها الى التقوى كقوله وان تعفوا اقرب للتقوى وان تصبروا خير لكم والله سميع لمقالتهن للرجال عليم بامورهن ومقاصدهن ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج الحرج الضيق وقيل ضيق المأثم والتحريج

تناسا

التضييق والتحرج التاء ثم حقيقة مجانبة الحرج روي كما انزل يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل تحرج المسلمين من مواكلة المريض والاعرج والا
اعمى وقالوا الطعام افضل الاموال وقد نهينا عن اكل المال بالباطل والاعمى لا يبصر موضع الطعام الطيب والاعرج لا يتمكن من الجلوس ولا يستطيع
المزاحمة على الطعام والمريض يضعف عن التناول فلا يستوي في الطعام فنزلت هذه الاية نافية لتحرجهم منها فقيل لهم ليس عليكم حرج في مواكلة
هؤلاء الضعفاء وعن سعيد بن جبير والضحاك ومجاهد كان هؤلاء يتنزهون عن مواكلة الاصحاء لما عسى يؤدي الى الكراهة من قبلهم ولان الاعمى
ربما اكل اكثر وسبقت يده الى ما سبقت اليه عين الاكيل وهؤلاء يشعر والاعرج يتفسح في مجلسه وياخذ اكثر من موضعه فيضيق على جليسه والمريض لا
يخلوا من رائحة تؤذي او جرح يبض او انف يذن او نحو ذلك وقال مجاهد وغيره نزلت ترخيصا لهم في الاكل المذكورين في هذه الاية وذلك ان هؤلاء الضعفاء
كانوا يدخلون على المؤمنين لطلب الطعام فان لم يكن عندهم الطعام ~~فان لم يكن عندهم الطعام~~ يذهبون بهم الى بيوت ابائهم وامهاتهم واولادهم او بعض ما سمى الله فيها
فيطعمونهم فكانوا يتحرجون من ذلك الطعام يذهبون بهم الى كراهة ان يكونوا كلا عليهم وقيل كان المسلمون اذا غزوا اخلفوا الضعفاء في بيوتهم يدفعون
اليهم المفاتيح ويقولون قد احللنا لكم ان تاكلوا مما في بيوتنا فكانوا يتحرجون من ذلك ويقولون لا ندخلها وهم غيب فانزل الله الاية رخصة لهم وقال عباس
نزلت في الحارث بن عمرو خرج غازيا مع رسول الله صلعم وخلف مالك بن زيد في بيته وماله فلما رجع وجده فسأله عن حاله فقال تحرجت ان اكل من
طعامك بغير اذنك وقال الحسن نزلت رخصة لهؤلاء الضعفاء في التخلف عن الجهاد وهذا الكلام صحيح ليس ببعيد عن السداد فان المعنى ليس
على هؤلاء الضعفاء حرج في التخلف والقعود عن الغزو وقرا ابن محيصن عن الاعمى وعلى الاعرج بادغام لام على ولا على انفسكم ان تاكلوا من بيوتكم
قيل من بيوت ازواجكم وعيالكم فيتناول بيوت الاولاد لان بيت الولد بيت لابيه لقوله عليه السلام انت ومالك لابيك وقوله ان اطيب ما ياكل المرء
من كسبه وان ولده من كسبه ولان ولد الرجل بعضه حكمه حكم نفسه ولانه ولد اقرب ممن عدد من القرابات فاذا كان سبب الرخصة هو القرابة كان الذي
هو اقرب منهم اولى وقال ابن قتيبة اراد من بيوت اولادكم استدلالا بالحديث المتقدم او بيوت ابائكم او بيوت امهاتكم او بيوت اخوانكم او بيوت
اخواتكم او بيوت اعمامكم او بيوت عماتكم او بيوت اخوالكم او بيوت خالاتكم او ما ملكتم مفاتحه وهو ما يكون تحت يد الرجل وكيله من ضيعة او ماشية
فله ان ياكل من ثمر بستانه ويشرب من لبن ماشيته ولا يحمل ولا يدخر وملك المفاتح كونها في يده وحفظه وقيل من بيوت المماليك لان مال العبد
لمولاه والمفاتح جمع مفتح وهو ما يفتح به من الة الفتح ويقال للخزائن ايضا ومنه وعنده مفاتح الغيب وقال قوم او ما ملكتم مفاتحه ما خزنتموه عندكم
وقال مجاهد وقتادة من بيوت انفسكم مما اخزنتم وملكتم وقرا سعيد بن جبير ملكتم مفتاحه وقتادة ملكتم مفتاحه وعيسى بن عمر مفاتحه بزيادة الياء
او صديقكم او بيوت اصدقائكم فانهم ارضى بالتبسط في اموالهم واسر به والصديق يقال للواحد والجمع كالعدو والخليط والقطين وكان الحسن وقتادة
والثوري ومحمد بن واسع يرون دخول الرجل بيت صديقه والتحرم بطعامه من غير استيذان منه في الاكل استدلالا بالاية وقد دخل رسول الله صلى
الله عليه وسلم دار بريرة بذلك ولذلك جاز ان يدخل الدار بغير استيذان ~~اكتفاء فقال علقت الضيعة تحملها وذلك لعلمه بسروره بذلك ونحو ذلك~~
يعلم بالاذن فان لم يعلم فلابد من الاستيذان اولا ثم الدخول وروى عن الحسن انه كان قائما ياكل من متاع بقال ياخذ من هذه الجونة تينة ومن
هذه قسبة فقال له هشام ما بدا لك يا سعيد في الورع تاكل متاع الرجل بغير اذنه فقال يا لكع اتل اية الاكل فتلى الى قوله او صديقكم فقال فمن
الصديق يا ابا سعيد فقال من استروحت اليه النفس واطمأن اليه القلب وكان محمد بن واسع واصحابه يدخلون منزل الحسن وياكلون ما يجدون
بغير اذنه وكان الحسن يدخل ويرى ذلك ويتهلل اساريره سرورا ويضحك ويقول هكذا كنا وهكذا وجدناهم يعني كبار الصحابة ومن لقيهم من
البدريين وكان الرجل منهم يدخل دار صديقه وهو غايب فيسئل جاريته كيسه فيأخذ منه ما شاء فاذا حضر مولاها فاخبرته اعتقها سرورا بذلك
وجاء قوم الى منزل سفيان الثوري فلم يجدوه ففتحوا الباب وانزلوا السفرة وجعلوا ياكلون فدخل الثوري فجعل يقول ذكرتموني اخلاق
السلف هكذا كانوا وزار قوم بعض التابعين ولم يكن عنده ما يقدمه اليهم فذهب الى منزل بعض اخوانه فلم يصادفه في المنزل فدخل فنظر الى قدر
طبخها والى خبز قد خبزه وغير ذلك فحمله كله الى اصحابه وقال كلوا فجاء رب المنزل فلم ير الطعام فقيل له قد اخذه فلان فقال احسن فلما لقيه
قال يا اخي ان عادوا فعد وكان عون بن عبد الله المسعودي له ثلثمائة وستون صديقا يدور عليهم في السنة وعن جعفر بن محمد من عظم حرمة
الصديق ان جعله الله من الانس والثقة والانبساط وطرح الحشمة بمنزلة النفس والاب والاخ والابن وعن ابن عباس الصديق اكبر من الوالدين ان الجهنميين لما استغاثوا لم يستغيثوا بالاباء والامهات فقالوا فما لنا من شافعين ولا صديق حميم وقالوا اذا دل

والاهل طعاما من الصديق ... وقال بعض ... فقال من ... فقال من ... ولذلك ...

بتماديه

فلهم

متوقف سا ... محابة

حتى سا

ظاهر الحال على رضى المالك قام ذلك مقام الاذن الصريح وربما سمج الاستيذان وثقل كمن قدم اليه طعام فاستاذن صاحبه في الاكل منه ليس عليكم جناح ان تاكلوا
جميعا او اشتاتا انتصابهما على الحال اي مجتمعين او متفرقين نزلت في بني ليث بن عمرو وهم حي من كنانة كانوا يتحرجون ان ياكل الرجل وحده فربما قعد منتظرا
نهاره الى الليل فان لم يجد من يواكله اكل ضرورة وقيل في قوم من الانصار اذا نزل بهم ضيف لا ياكلون الا مع ضيفهم وقيل في قوم تحرجوا عن الاجتماع على
الطعام لاختلاف الناس في الاكل وزيادة بعضهم على بعض فاذا دخلتم بيوتا من هذه البيوت فسلموا على انفسكم فابدؤا بالسلام على اهلها الذين هم منكم
دينا وقرابة تحية من عند الله اي ثابتة بامره مشروعة من لدنه ويجوز ان يكون صفة للتحية فانه طلب الحيوة وهي من عند الله وانتصابها بالمصدر لانها بمعنى
التسليم ورفعها عبيد بن عمير على تلك تحية مباركة لانها دعوة يرجى بها من الله زيادة الخير والثواب طيبة يحصل بها طيب الرزق او تطيب فيها نفس المستمع وفي
سنن ابي داود قال النبي صلعم اذا دخل الرجل بيته فليقل اللهم اني اسئلك خير المولج وخير المخرج بسم الله ولجنا وبسم الله خرجنا وعلى الله ربنا توكلنا ثم يسلم على اهله وعن
انس قال خدمت رسول الله صلعم عشر سنين وروي تسع سنين فما قال لي لشيء فعلته لم فعلته ولا قال لي لشيء كسرته لم كسرته وكنت واقفا على راسه اصب الماء
على يديه فرفع راسه فقال الا اعلمك ثلث خصال تنتفع بها قلت بلى بابي انت وامي يا رسول الله قال متى لقيت من امتي احدا فسلم عليه يطل عمرك واذا دخلت بيتك
فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلوة الضحى فانها صلوة الابرار الاوابين وقال قتادة اذا دخلت بيتك فسلم على اهلك فهم احق من سلمت عليه واذا دخلت بيتا ليس فيه
احد فليقل السلام علينا من ربنا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين حدثنا ان الملائكة ترد عليه قال ابن عباس ان لم يكن في البيت احد فليقل السلام علينا
من ربنا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على اهل البيت ورحمة الله وعن عمرو بن دينار عن ابن عباس قال ~~عباس قال~~ اذا دخلت المسجد فقل
السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين تحية من عند الله وقرا طيبة بحسنة جميلة كذلك يبين الله لكم الايات كرره ثالثا لمزيد التاكيد وتفخيم الاحكام المختتم
وفصل الاوليين بما هو المقتضي لذلك وهذا بما هو المقصود منه فقال لعلكم تعقلون لكي او طلبة عن الباطل والتزامنا انما المؤمنون الذين امنوا اي الكاملون
في الايمان الذين صمموا على التصديق بالله ورسوله بوحدانية الله ورسالة الرسول واذا كانوا معه مع رسول الله على امر جامع من جمعة او عيد او حرب او تشاور في خطب
مهم او نحو ذلك مما يجمع له الناس ووصف الامر بالجمع على سبيل المجاز وقرئ امر جميع وقرا اليماني على امر في جمع وقيل في قوله ولذا كانوا معه على امر جامع انه خطب
جليل لابد لرسول الله فيه من ذوي راي وقوة يظاهرونه عليه ويعاونونه ويستضيء بارائهم ومعارفهم ويجاريهم في كفاية ومفارقة احدهم في مثل تلك الحال مما
يشق على قلبه ويشعث عليه رايه فمن ثم غلظ عليهم وضيق عليهم الامر في الاستيذان بل العذر المبسوط ومساس الحاجة اليه واعتراض ما يهمهم ويعنيهم وذلك
قوله لبعض شانهم لم يذهبوا حتى يستاذنوه يستاذنوا رسول الله فياذن لهم واعتباره في كمال الايمان لانه كالمصداق لصحته والمميز للمخلص فيه عن المنافق وان
ديدنه التسلسل للفرار ولتعظيم الجرم في الذهاب عن مجلس رسول الله بغير اذنه ولذلك عقبه بما يزيده توكيدا وتشديدا حيث اعاده على اسلوب ابلغ بقوله ان الذين
يستاذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله لانه يفيد ان الايمان بالله ورسوله مقصور على المستاذنين لا يتجاوزهم الى غيرهم الذين ذهبوا بغير اذن
فان ذهابهم صادر عن وهن وريبة لا عن علم وايقان كان قيل انما يستاذنك هؤلاء المتصفون بالايمانين الجامعون لهما فاذا استاذنوك لبعض شانهم
ما يعرض لهم من المهام وفيه ايضا مبالغة وتضييق للامر فاذن لمن شئت منهم تفويض للامر الى راي الرسول واستدل به على ان بعض الاحكام مفوضة الى رايه ومن منع
ذلك قيد المشية بان تكون تابعة لعلمه بصدقه وكان المعنى لمن علمت ان له عذرا واستغفر لهم الله بعد الاذن فان الاستيذان منه من تفريطا لساذن في امر الدين لا
ستلزامه مخالفة المظاهرة عليه واشعاث الراي على رسول الله وقيل ذكر الاستغفار للمستاذنين دليل على ان الاحسن الافضل ان لا يحدثوا انفسهم بالذهاب ولا
يستاذنوا فيه ان الله غفور ستور عليهم يتجاوز لما فرط منهم رحيم منعم عليهم ان يبلغ ما بلغوا في الدنيا والاخرة بايمانهم واستغفاره لهم لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم
كدعاء بعضكم بعضا اذا دعاكم رسول الله فاجتمعتم عنده لامر جليل فلا تتفرقوا عنه الا باذنه لا تقيسوا دعاءه اياكم على دعاء بعضكم بعضا في جواز الاعراض والمسا
هلة في الاجابة والرجوع بغير اذن فان المبادرة الى الاجابة واجبة والمراجعة بغير اذن محرمة او لا تجعلوا تسميته ونداءه بينكم كتسمية بعضكم بعضا وندائه باسمه الذي
سماه به ابواه ولا تقولوا يا محمد ولكن بلقبه الاعظم مثل يا نبي الله ويا رسول الله مع التوقير والتواضع وخفض الصوت او لا تجعلوا دعاءه عليكم اذا اسخطوه كدعاء
بعضكم على بعض فان دعاءه موجب او لا تجعلوا دعاءه ربه كدعاء صغيركم كبيركم يجيبه مرة ويرده اخرى فان دعواته مسموعة مستجابة وقرا الحسن دعاء الرسول
بينكم قد يعلم الله الذين يتسللون منكم يتسللون قليلا قليلا من الجماعة ونظير تسلل تدرج وتدخل لواذا ملاوذة بان يستتر بعضهم ببعض حتى يخرج وانتصابه على الحال
اي ملاوذين وقيل كان بعضهم يلوذ بمن يؤذن له فينطلق معه وقرا لواذا بفتح اللام وهو في حرف ابن ابي قطيب وروي عنه ابو حيوة لواذا بضم اللام يقال لاذ لواذا

حيوة

فلهم

يحاد فه

احكام سا

انعام سا

ولواذا ولواذا وقيل نزلت في حفر الخندق وكان قوم يتسللون بغير اذن وعن ابن عباس كان المنافقون يثقل عليهم المقام في المسجد يوم الجمعة واستماع خطبة
النبي صلى الله عليه وسلم فكانوا يلوذون ببعض اصحابه يخرجون من المسجد في استتار وقد للتحقيق والتأكيد كما في قوله سنكتب ما قالوا وتأكيد علمه تعالى
في معنى الوعيد والتهديد على التسلل بغير اذن يعني لن يخفى علينا بل نعلم الذين يتسللون عن الجماعة في الخفية على سبيل الملاوذة واستتار بعضهم ببعض كأنه يخفى علينا
مخالفتهم الامر فخفي على انه يذكر مخالفتهم الامر مترتبة على اتيانها في العظم اخوان فليحذر الذين يخالفون عن امره بتركه امتثاله والاتيان بما امر
من قولهم خالفني فلان عن كذا اذا اعرض عنه وانت قاصد اياه تقبل عليه والمعنى يخالفون المؤمنين عن امر الله تعالى او امر الرسول عليه السلام او يعرضون
عن الامر ولا يأتون بالمأمور به على تضمين يخالف معنى الاعراض والحذر الخوف وفي المثل احذر من الغراب ان تصيبهم فتنة محنة في الدنيا وعن ابن عباس
فتنة اي قتل وعن عطاء زلازل واهوال وعن جعفر بن محمد ان يسلط عليهم سلطان جائر وان مع ما في حيزه في محل النصب على انه مفعول فليحذر
وفاعله الذين يخالفون فتفسيره بقولك اي لئلا يصيبهم فتنة كما وقع في معالم التنزيل سهو لا شبهة فيه او يصيبهم عذاب اليم في الآخرة ولما وجب تجنبه
على مخالف الامر الحذر عن العذاب كان ذلك منه تهديدا على مخالفة الامر والتهديد يدل على كون الامر للوجوب اذ لا تهديد على ترك غير الواجب ولذلك استدل
به جمهور العلماء على ان الامر للوجوب وتمام تحقيقه ان قوله فليحذر امر بالحذر والخوف من اصابة الفتنة والعذاب بسبب مخالفتهم الامر في ترك المأمور به
وهذا الامر للايجاب والالزام قطعا اذ لا معنى لندب الحذر عن العذاب او اباحته وليس قوله عن امره مطلقا بل عاما لان اضافة المصدر عند عدم العهد
للعموم وعلى تقدير كونه مطلقا تم المطلوب لان المتبادر ان الامر مطلق للوجوب خاصة اذ لو كان حقيقة لغيره ايضا لم يرتب الوعيد والتهديد على مخالفة
مطلق الامر والاتفاق على انه قد يكون لغيره مجازا بمعونة القرائن الا ان لله ما في السموات والارض قد يعلم ما انتم عليه ايها المكلفون من المخالفة عن الدين
والنفاق والموافقة والاخلاص وادخل قد على المضارع ليؤكد علمه بذلك كانه قال لن يفوتنا ابو ابنان ما انتم ركبوه من القطائع وعيها وضبطه وحصره
مع افراطكثيم وتباعد اطراف عددكم كي لن يفوتنا سائر ما في العالم وجعلهما متقاربين ايذانا بانهما في المعلومية وتعلق علمه بهما سواء وان من علم
بعض الاشياء بغير سبب فقد علمها كلها لا يعوته شيء منها جزئيا كان او كليا لان كونه عالما بغير سبب ثابت له مع كل معلوم ومرجع توكيد العلم الى توكيد
الوعيد على المخالفة والنفاق والمعنى يختص بالله جميع ما في السموات والارض ملكا وخلقا وعلما فكيف يخفى عليه احوال المكلفين واحوال المنافقين وان
اجتهدوا في اخفائها وسترها عن العيون ويوم يرجعون اليه اي ويوم يرجع اهل العالم اليه وهو يوم بعث او المنافقون فالخطاب والغيبة في ما انتم عليه
ويوم يرجعون يجوز ان يكونا جميعا المنافقين التفاتا ويجوز ان يكون ما انتم عليه عاما ويرجعون للمنافقين وبالعكس وان يكونا عامين وهذه الاربعة اوجه
فتاملها وقرأ ابو عمرو وابن ابي اسحق يرجعون بفتح الياء وروى هرون عن اسمعيل عن الحسن ترجعون بالتاء مبنيا للمفعول فينبئهم بما عملوا من الخير والشر
فيجازيهم على حسب ذلك او يعلمهم حسناتهم او سيئاتهم على ان ما مصدرية او موصولة والله بكل شيء عليم تتميم سبحانه يعلم الذين يتسللون ثم يعلم ما في العالم
ثم يعلمه بجميع ما يطلق عليه لفظ شيء انه يشاء من الجزئيات والكليات فيخاف عليه ولا عاذب عنه فحقه ان يخشى ويحذر ولا يتجرأ على شيء قابلي الى دهماه
وتكرير العلم في معنى تكرير الوعيد وقرأ ابن يعمر فينبئهم بالانباء عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تنزلوا النساء الغرف ولا تعلموهن
الكتابة وعلموهن الغزل وسورة النور وعنه عليه السلام من قرأ سورة النور اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة فيما مضى وفيما بقي

سورة الفرقان مكية سبع وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم تبارك الذي نزل الفرقان على عبده اي تكاثر خيره من البركة وهي كثرة
الخير وزيادة او تزايد على كل شيء وتعالى عنه في صفاته وافعاله فان البركة تتضمن معنى الزيادة وقيل جاء بكل بركة قال ابن عباس وقيل دام من برك الطير
على الماء ومنه البركة لدوام الماء فيها وهو لا يتصرف فيه ولا يستعمل الا لله تعالى وترتيبه على تنزيل الفرقان لما فيه من كثرة الخير وزيادته او لدلالته على تعاليه
وتقدسه او الحبه بكل بركة وفيه او لدوامه وبقائه على وجه كل زمان والفرقان مصدر فرق بين الشيئين اذا فصل بينهما وسمي به القرآن لفصله بين الحق والباطل
بتقريره او المحق والمبطل باعجازه او لانه لم ينزل جملة واحدة ولكن مفروقا مفصولا بعضه عن بعض في الانزال الا ترى الى قوله وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على
مكث ونزلناه تنزيلا وقد جاء الفرق بمعناه وقال ومشركي كافر بالفرق وقرأ ابو البرهسم انزل الله الفرقان وقرأ عبد الله ابي على عبيده وقرأ ابن
الزبير على عباده وهم رسول الله وامته كقوله لقد انزلنا اليكم وقيل الانبياء على ان الفرقان اسم جنس للكتب السماوية ليكون العبد او الفرقان
ويؤيد الاخير قراءة ابن الزبير للعالمين للجن والانس نذيرا منذرا مخوفا من عقاب الله بالزجر عن الكفر والمعاصي او انذارا كالنكير بمعنى الانكار

ومنه قوله

ومنه قوله فكيف كان نذيري ونذر وهذه الجملة وان لم تكن معلومة لكنها لقوة دليلها اجريت مجرى المعلوم وجعلت صلة الذي له ملك السموات والارض بدل
من الموصول الاول او مدح مرفوع او منصوب وتقديم الظرف ليدل بتقديمه على معنى اختصاص الملك بالله تعالى لانه لا ملك لاحد سواه على الحقيقة لانه منشئ
كل شيء وموجده والقائم به والمهيمن عليه واما ملك غيره فتسليط منه والمعنى الذي اختص به ملك السموات السبع والارضين السبع والشاهد بذلك اعني
بان المراد بالارض الارضون السبع قوله السموات بلفظ الجمع ولان المقام مقام تعظيم وتفخيم وهو موجب للمبالغة في الاختصاص ولم يتخذ ولدا كزعم
النصارى ولم يكن له شريك في الملك كقول الثنوية اثبت لنفسه الملك مطلقا اولا ونفى عنه ما يقوم مقامه ثانيا وما يقاومه فيه ثالثا فرتبه على ما يدل على ما نبه
عليه فقال وخلق كل شيء اي واحدث احداثا مراعى فيه التقدير والتسوية حسب ارادته وحكمته وتدبيره كخلقه الانسان من مواد مخصوصة وصوره
اشكال معينة فقدره تقديرا فهيأه لما يصلح له في الدين والدنيا من الادراك والفهم والنظر والتدبير واستنباط الصنائع المتنوعة ومزاولة الا
عمال المختلفة الى غير ذلك وكذلك كل حيوان وجماد احدثه على شكل المقدر المستوي بموجب ارادته ومقتضى حكمته وتدبيره فهيأه لامر ما ومصلحة
مطابقا لما قدر له غير متجاف عنه وقيل فجعل له غاية ومنتهى ومعناه فقدره للبقاء الى اجل مسمى وقد يقال الخلق لمجرد الايجاد من غير نظر الى وجه الا
شتقاق فيكون المعنى واوجد كل شيء فقدره في ايجاده لم يوجده متفاوتا واتخذوا من دونه آلهة اتخذ مما يتعدى الى مفعولين هما المبتدأ والخبر
كجعل وصير فوقع الجار والمجرور في موقع الخبر عن آلهة وهي نكرة موصوفة بما ذكر بعده من الجملة والمعنى وجعلوا غير الله آلهة عاجزة دنية لتحرجها دونها واسهاوهي
الاصنام المفتعلة بايديهم ثم بين عجزها بقوله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون اي لا يقدرون على شيء من افعال الله ولا من افعال عباده حيث لا يفعلون
وهم يفعلون لان عبدتهم ينحتونهم ويصورونهم ولا يملكون اي لا يستطيعون لانفسهم ضرا دفع ضر عنها ولا نفعا جلب نفع اليها ولا يملكون موتا ولا
حياة ولا نشورا اي ولا يملكون موت احد ولا احياءه ولا نشوره شيئا مما يتعلق بالموت والحيوة والبعث ومن عجز عن ذلك ليس بصالح للوصف بالالهية
التي تقتضي الاقتدار على المقدورات كلها والاحاطة بالمعلومات عن آخرها وهذا المعنى كما لا يخفى ابلغ في نفي استطاعتهما فيل ولا يملكون اماتة احد واحياءه
احياءه اولا وبعثه ثانيا ومن كان كذلك فمعزول عن الالوهية لعرائه عن لوازمها واتصافه بما ينافيها وفيه تنبيه على ان الاله يجب ان يكون قادرا على البعث والجزاء
وقال الذين كفروا اصموا على الكفر وتوغلوا فيه ان هذا الا افك ما هذا القرآن الا كذب مصروف عن وجهه افتراه اختلقه محمد واعانه عليه قوم آخرون قيل هم
اليهود فانهم يلقون اليه اخبار الامم وهو يعبر عنه بعبارته وقيل جبر ويسار وعداس وقال الحسن عبيد بن الخضر الكاهن الحبشي فزعم المشركون ان محمدا عليه السلام
ياخذ منهم وقيل قال ذلك النضر المرتزق عبد الدار ويعضد الاول ظاهر قوله وقال الذين كفروا فقد جاؤا ظلما وزورا جاء واتى يستعملان بمعنى فعل
فيعديان تعديته ويجوز ان يكون بمعنى ورد وظلما كعديك بحذف الكاف وان يحذف الجار ويوصل الفعل والمراد بالظلم ههنا الكفر وبالزور الكذب وتنكيرهما
تنكيرهما ابانة عن توغيتهما او كبرهما وعظمتهما كما صرح بذلك في قوله ان الشرك لظلم عظيم اي جاؤا ظلما عظيما وكذبا بليغا بنسبتهم كلام الله المعجز الباهر كل
كلام فصيح الى الافك والافتراء والتلقف من اليهود والعبيد وقيل ظلمهم ان جعل العربي يتلقن من العجمي الرومي كلاما عربيا اعجز بفصاحته
جميع فصحاء العرب والزور ان بهتوه بنسبة ما هو بري منه اليه وقالوا اساطير الاولين ما سطره المتقدمون من حديث رستم واسفنديار جمع اسطار
او اسطورة كاعجوبة واحدوثة وقال الجوهري والاساطير الاباطيل (الترهات) اسطورة بالضم واسطارة بالكسر اكتتبها اي كتبها لنفسه او استكتبها وقرئ
اكتتبها على البناء للمفعول اصله اكتتبها كاتب له لانه كان اميا لا يكتب بيده وذلك من تمام اعجازه فحذف اللام وافضى الفعل الى الضمير فصار
اكتتبها اياه كاتب ثم حذف الفاعل وبني الفعل للضمير الذي هو اياه فاستتر فيه مرفوعا بعد ان كان بارزا منصوبا وبقي ضمير الاساطير على حاله
فصار اكتتبها فهي تملى عليه بكرة واصيلا اي تقرأ عليه دائما ليحفظها فانه لا يقدر ان يكرر من الكتاب او يكتب ويسر الاول قراءة طلحة
بن مصرف فهي تتلى عليه وقيل اي تلقى عليه من كتابه ليحفظها لان صورة الالقاء على الحافظ كصورة الالقاء على الكاتب وعن الحسن انه قال
الله تعالى يكذبهم وانما يستقيم ان فتحت الهمزة للاستفهام الذي في معنى الانكار ووجهه ان يكون نحو قوله افرح ان زاد الكرام وحق الحسن ان يقف
على الاولين بكرة واصيلا اي دائما في الخفية قبل ان ينتشر الناس وحين يأوون الى مساكنهم قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض لانه
العالم بكل سر خفي في العالم كله لانه اعجز كل فصيح وبليغ بفصاحته وبلاغته مشحونا بعلوم من علوم العلماء من الاصول والفروع وغير ذلك
وباخبار عما كان وما يكون ناطقا بالحق والغيوب التي لا يعلمها الا عالم الغيب والشهادة فكيف يجعلونه اساطير الاولين انه كان غفورا رحيما بليغ

المغفرة والرحمة على ظلمه فلذلك يمهلكم ولا يعاجلكم في عقوبتكم على ما تقولون من باطل وزور مع كمال قدرته عليها واستحقاقكم بمكابرتكم هذه ان
يصب عليكم العذاب صبا وقالوا ما لهذا الرسول ما لهذا الزاعم انه رسول وفيه استهانة وتهكم منهم واللام مفصولة عن هذا في المصحف وخطه سنة لا
تغير يأكل الطعام كما نأكل ويمشي في الاسواق ويتردد في الاسواق لطلب المعاش كما نتردد والمعنى انه ان صح دعواه انه رسول الله فما باله لم يخالف حالنا
يعنون انه كان يجب ان يكون ملكا مستغنيا عن الاكل والتعيش وكانهم لعمههم وقصور نظرهم على المحسوسات واعتقادهم اعتقادا فاسدا من التنافي بين الرسالة
والبشرية زعموا ان تميز الرسل عمن سواه بامور جسمانية لا باحوال نفسانية كما اشار بقوله انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد لولا انزل اليه ملك فيكون
معه نذيرا هذا على سبيل التنزل اي ان لم يكن ملكا فليكن انسانا معه ملك ليتساندا في الانذار ونعلم صدقه بتصديقه ثم نزلوا ايضا فقالوا او يلقى اليه كنز او ان
لم يكن مرفودا بملك فليكن مرفودا بكنز ينزل عليه من السماء ينفقه ويستظهر به ولا يحتاج الى تحصيل المعاش ثم نزلوا ايضا فقالوا او تكون له جنة يأكل منها اي ان لم يكن
مرفودا بكنز فلا اقل ان يكون له بستان يأكل منه ويرتزق كما الدهاقين والمياسير او يأكلون هم من ذلك البستان فينتفعون بريعه وينتفعون به في دنياهم
ومعاشهم ذلك مبلغهم من العلم قرأ زيد بن علي نأكل منها بالنون قال صاحب الغرائب لا اعلم له وجها قلت وجه ظاهر وهو انه سكن اللام للتخفيف
كما في فاليوم اشرب غير مستحقب وكما سكن مجاهد الثاء للتخفيف في قوله تعالى او يحدث له ذكرا وقرأ حمزة والكسائي نأكل بالنون على انهم اقترحوا جنة يأكلون
منها والباقون بالياء على انهم اقترحوا جنة يأكل النبي عليه السلام منها وقال الظالمون اراد بالظالمين اياهم باعيانهم ووضع المظهر موضع المضمر اظهارا للغضب
عليهم ودلالة على ان ما قالوا لا يجترئ عليه الا الظالمون المتوغلون في الظلم المتمادون في العتو وان الذين قال فيهم الا لعنة الله على الظالمين ان تتبعون
ما تتبعون الا رجلا مسحورا سحر فغلب على عقله او ذا سحر وهو الرئة اي بشرا اكلا انظر كيف ضربوا لك الامثال اي قالوا فيك تلك الاقوال الشاذة واخترعوا لك
الصفات والاحوال النادرة من نبوة مشتركة بين انسان وملك والقاء كنز عليك من السماء وغير ذلك فضلوا فبقوا متحيرين ضلالا لا يجدون قولا يستقرون
عليه وفضلوا عن الحق والطريق الموصل الى معرفة خواص النبي والمميز بينه وبين المتنبئ فخبطوا خبط عشواء فلا يستطيعون سبيلا فلا يجدون طريقا الى القدح في
نبوتك والى الرشد والهدى والتخلص عن الضلالة تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك تكاثر خير الذي ان شاء وهب لك في الدنيا خيرا من ذلك كما قالوا الذي
ان شاء وهب لك في الدنيا خيرا مما قالوا ولكن اخره الى الآخرة لانه خير وابقى وعن عكرمة قال ابن عباس يعني خيرا من المشي في الاسواق والتماس المعاش جنات تجري
من تحتها الانهار بدل من خيرا ويجعل لك قصورا قرأ ابن كثير وابن عامر وابو بكر بالرفع عطفا على جعل لان الشرط اذا وقع ماضيا جاز في جزائه الجزم والرفع
كقوله وان اتاه خليل يوم مسألة يقول لا غائب مالي ولا حرم او استئنافا بوعد ما يكون له في الآخرة اي وهو يجعل والباقون بالجزم عطفا على الجزاء ويجوز
في يجعل لك اذا ادغم ان يكون اللام في تقدير الجزم والرفع جميعا وقرئ بالنصب على انه جواب الشرط بالواو بل كذبوا بالساعة عطف على ما حكى عنهم يقول بل اتوا
بالعجب من ذلك كله وهو تكذيبهم بالساعة ويجوز ان يتصل بما يليه كانه قال بل كذبوا بالساعة فكيف يلتفتون الى هذا الجواب ويصدقونك بما وعد الله لك في الآ
خرة وان يكون المعنى بل كذبوا بالساعة فقصرت انظارهم على الحطام الدنيوية وظنوا ان الكرامة انما هي بالمال وطعنوا فيك لفقرك او فلذلك كذبوك لا لما تمحلوا
من المطاعن الفاسدة واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا نارا شديدة الاستعار وقال الحسن هو اسم من اسماء جهنم فيكون صرفه باعتبار المكان وقيل للتعبير اسم
لطبقتها الرابعة اذا رأتهم اذا كانت منهم بمرأى الناظر في البعد من قولهم دورهم تترائى وتتناظر ومنه قوله عليه السلام لا تتراءى ناراهما اي لا تتقاربان بحيث
يكون احدهما بمرأى من الاخرى على المجاز والتأنيث لانه بمعنى النار وجهنم من مكان بعيد هو اقصى ما يمكن ان يرى منه وقال السدي من مسيرة
مائة سنة وفيه ان لجهنم قوة الرؤية والنطق قال النبي صلى الله عليه وسلم من كذب علي متعمدا فليتبوأ بين عيني جهنم مقعدا قالوا وهل لها من عينين قال
نعم الم تسمع قوله الله اذا رأتهم من مكان بعيد وفي هذا الحديث تقوية لقول الحسن كما لا يخفى على المتأمل سمعوا لها تغيظا سمعوا صوت غليانها
وشبه ذلك بصوت المتغيظ والزافر وزفيرا وصوتا شديدا يسمع من جوفه مثل اول صوت الحمير قال المتكلمون لما لم تكن الحيوة عندنا مشروطة بالبنية امكن
ان يخلق الله فيها حيوة فترى وتغيظ وتزفر وعن عبيد بن عمير تزفر جهنم يوم القيامة زفرة فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الا خر لوجهه ويجوز
ان يراد اذا رأتهم زبانيتها تغيظوا وزفروا غضبا على الكفار وشهوة للانتقام منهم فنسب اليها على حذف المضاف كقوله وكم من قرية اهلكناها على احد
المذهبين واذا القوا منها مكانا واذا طرحوا منها في مكان ومنها بيان تقدم على المبين فصار حالا ضيقا لزيادة العذاب فان الكرب مع الضيق والروح
مع السعة ولذلك وصف الله الجنة بان عرضها السموات والارض وجاء في الحديث ان لكل مؤمن من القصور والجنان كذا وكذا وهو صفة لقوله مكانا

نفيد

تفيد الثبور والاستقرار كقولك لقيت رجلا سيدا تريد السيادة الثابتة المستقرة وقرأ ابن كثير ضيقا مخففا والباقون مشددا وقال الزمخشري ولقد جمع الله
الكرب على اهل النار انواع التضييق والارهاق حيث القاهم في مكان ضيق يتراصون فيه تراصا كما روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه يضيق عليهم
كما يضيق الزج في الرمح وهم مع ذلك الضيق مقرنين قرنت ايديهم الى اعناقهم بالاغلال والسلاسل وقيل يقرن مع كل كافر شيطانه في سلسلة وفي ارجلهم
الاصفاد وقرأ ابو سعيد بن جبير وابو شيبة مقرنون على وجه مقرونة دعوا هنالك في ذلك المكان ثبورا هلاكا يتمنون الهلاك وينادونه فيقولون يا
ثبوراه تعالى فهذا حينك وزمانك لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا اي يقال لهم ذلك او هم احقاء بان يقال لهم وان لم يكن ثم قول وادعوا ثبورا كثيرا يعني انكم وقعتم
فيما ليس ثبوركم فيه واحدا انما هو ثبور كثير لان عذابكم انواع كثيرة وكل نوع منها ثبور لشدته وفظاعته او لانه يتجدد لقوله كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا
غيرها ليذوقوا العذاب او لانه لا ينقطع فهو في كل وقت ثبور عن انس قال النبي صلى الله عليه وسلم اول من يكسى حلة من النار ابليس فيضعها على حاجبه ويسحبها
ذريته خلفه حتى اذا صار الى شفير النار نادى واثبوراه واحدا وادعوا ثبورا كثيرا قل اذلك خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون الاشارة الى العذاب والاستفهام
والتفضيل والترديد للتقريع مع التهكم او الى الكنز والجنة والراجع الى الموصول محذوف يعني وعدها المتقون واضافة الجنة الى الخلد للمدح او الدلالة على
خلودها وللتميز عن جنات الدنيا كانت لهم في علم الله او اللوح او لان ما وعده الله في تحققه كالواقع جزاء على اعمالهم بالوعيد ومصيرا ينقلبون اليه ولا يمنع
كونها جزاء لهم ان يتفضل بها على غيرهم برضاهم مع جواز ان يراد بالمتقين من التقي ولعله يقسمهم كل طائفة على ما يليق بمرتبته اذ النار قص لا يدرك شيا والكامل
بالتشهي وفيه تنبيه على ان كل المرادات لا تحصل الا في الجنة خالدين حال من احد ضمائرهم كان على ربك وعدا مسئولا الضمير في كان لما يشاؤن والوعد الموعود
اي كان ذلك موعودا حقيقا بان يسأل ويطلب او مسئولا سأله الناس في دعائهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ربنا وآتنا ما وعدتنا على
رسلك او الملائكة بقولهم ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم وما في على من معنى الوجوب لكن بناء على وعده المحتوم فان الخلف منه ممتنع لكونه نقصا
منافيا للالوهية وكمال الغنى ولا يلزم منه الالجاء الى الانجاز فان تعلق الارادة بالموعود مقدم على الوعد الموجب للانجاز ويوم نحشرهم للحساب والجزاء على الاعمال
وقرأ ابن كثير وحفص وابو جعفر ويعقوب بالياء والباقون بالنون وقرئ بكسر الشين ومعنى الحشر هو ان يجمع الله اجزاء الموتى الاصلية ويعيد الارواح اليها وما
يعبدون من دون الله اختلف في ما فالمحققون على ان ما لغير العقلاء بدليل قوله النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن الزبعري ما اجهلك بلغة قومك اما علمت ان
ما لا يعقل وبذلك قال عكرمة والضحاك والكلبي ومن تبعهم يريد به الاصنام وغيرها جميعا وقال مجاهد يريد الملائكة والجن والانس وعيسى وعزيرا ففيه ثلث اقوال وههنا
وجه آخر وهو ان ما يجوز ان يكون موصوفة بمعنى والهة يعبدون فيقول للمعبودين وقرأ ابن عامر بالنون التفاتا من الغيبة الى التكلم والباقون بالياء انتم اضللتم عبادي
هؤلاء ام هم ضلوا السبيل انتم اوقعتموهم في الضلال عن طريق الحق ام هم ضلوا عنه بانفسهم وهذا السؤال وجواب التبكيت للعبدة نحو التبكيت في قوله تعالى اانت
قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق وحذف صلة ضل وهي عن للمبالغة قالوا سبحانك تنزيها لله عن الانداد او
تعجبا مما قيل لهم لانهم اما ملائكة وانبياء معصومون عن مثله او جمادات لا تقدر على شيء او اعلاما بانهم المسبحون المقدسون بذلك فكيف يليق بهم
اضلال عبيده ما كان ينبغي لنا ما يصح لنا ان نتخذ من دونك من اولياء ان نتولى احدا دونك للعصمة او لعدم القدرة فكيف يصح لنا ان نحمل غيرنا
على ان يتولونا دونك وانما انت ولينا من دونهم وقيل ما كان لنا ان نأمرهم بعبادتنا ونحن نعبدك وقرأ ابو جعفر المدني ان نتخذ مبنيا للمفعول من اتخذ
الذي له مفعولان قوله واتخذ الله ابراهيم خليلا ومفعوله الثاني من اولياء ومن للتبعيض اي لا نتخذ بعض اولياء ما نتخذ الله ولكن
فزيدت من التأكيد النفي وتنكيرا ولياء لانهم اولياء مخصوصون وهم الجن والاصنام وقال عيسى بن عمر قالت الملائكة ما كان ينبغي لنا ان نتولى غيرك
ليعبدنا ولكن متعتهم واباءهم بطول العمر وسعة الرزق فاستغرقوا في الشهوات حتى نسوا الذكر حتى غفلوا عن ذكرك والايمان بك او عن القرآن والشرائع
او عن التذكر لالائك والتدبر في آياتك المتلوة والمبثوثة في الآفاق والانفس وهو نسب الضلال اليهم من حيث انه بكسبهم واسناده الى ما فعل الله بهم
فحملهم عليه وكانوا في علمك وقضائك قوما بورا هالكين وهو مصدر وصف به ولذلك يستوي فيه الواحد والجمع او جمع بائر كعائذ وعوذ فقد كذبوكم
التفات الى العبدة بالاحتجاج والالزام على حذف القول والمعنى فقد كذبكم المعبودون بما تقولون قرأ ابن كثير بالياء ان كذبوكم بقولهم سبحانك ما كان
ينبغي لنا والباقون بالتاء اي بقولكم انهم آلهة والباء بمعنى مع والمجرور بدل من الضمير كانه قيل فقد كذبوا بما تقولون فما تستطيعون اي فما يملك المعبودون
وقرأ حفص بالتاء اي فما تستطيعون انتم ايها العابدون صرفا دفعا للعذاب عنكم وقيل حيلة من قولهم انه ليتصرف اي يحتال ولا نصرا فيعينكم عليه

ومن يظلم منكم ايها المكلفون على عموم الخطاب لهم نذقه عذابا كبيرا هي النار والشرط وان عم كل من كفر او فسق لكنه في اقتضاء الجزاء مقيد بعدم المزاحم وفاقا وهو التوبة
والاحباط بالطاعة اجماعا وبالعفو عند اهل السنة وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام هو اسم لما يؤكل كما ان الشراب اسم لما يشرب وجمعه
اطعمة وقد غلب على البر ومنه حديث ابي سعيد كنا نخرج في صدقة الفطر على عهد رسول الله صاعا من طعام او صاعا من شعير ويمشون في الاسواق عطف
على الخبر والجملة بعد الا صفة لموصوف محذوف اي ما ارسلنا قبلك احدا من المرسلين الا آكلين وماشين وانما حذف لدلالة المرسلين عليه واقيمت الصفة
مقامه كقوله وما منا الا له مقام معلوم على معنى وما منا احد ويجوز ان يكون حالا اكتفى فيها بالضمير وهو جواب لقولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي
في الاسواق وقيل معناه وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا قيل لهم مثل هذا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق كما قال في موضع آخر ما يقال لك
الا ما قد قيل للرسل من قبلك وقرئ يمشون مبنيا للمفعول اي تمشيهم حوائجهم او الناس وجعلنا بعضكم ايها الناس لبعض فتنة اي محنة وابتلاء
ابتلاء الفقراء بالاغنياء والمرسلين بالمرسل اليهم ومناصبتهم لهم العداوة وايذائهم لهم وهذا تصبير لرسوله على ما قالوه واستبعدوه من اكل الطعام
ومشيه في الاسواق بعد ما احتج عليهم بسائر الرسل وفيه دليل على القضاء والقدر اتصبرون علة للجعل والمعنى وجعلنا بعضكم لبعض فتنة لنعلم ايكم
يصبرون وموقعه بعد ذكر الفتنة موقع ايكم بعد الابتلاء في قوله ليبلوكم ايكم احسن عملا فوجب على الناس الصبر على ما افتتنوا به وقال ابن عباس اي جعلت بعضكم بلاء
لبعض لتصبروا على ما تسمعون منهم وترون من خلافهم وتتبعوا الهدى وقال الكلبي نزلت في ابتلاء الشريف بالوضيع وذلك ان الشريف اذا اراد ان يسلم فرأى الوضيع قد اسلم قبله انف
وقال اسلم بعده فتكون له السابقة والفضل فيقيم على كفره ويأبى من الاسلام فذلك افتتان بعضهم ببعض وكان ربك بصيرا عالما بمن يصبر على ما اصابه او بالصواب فيما يبتلي به وغيره
فلا يضيقن صدرك ولا يستخفنك اقاويلهم فان في صبرك عليها سعادتك وفوزك في الدارين وقيل هو تسلية لرسول الله عما عيروه به من الفقر حين قالوا او يلقى اليه كنز او
تكون له جنة وانه جعل الاغنياء فتنة للفقراء لينظر هل يصبرون وانها لحكمة ومشيئة يغني من يشاء ويفقر من يشاء وقيل جعلناك فتنة لهم لانك لو كنت غنيا
صاحب كنوز وجنات لكان ميلهم اليك وطاعتهم لك للدنيا او ممزوجة بالدنيا فانما بعثناك فقيرا لتكون طاعة من يطيعكم خالصة لوجه الله من غير طمع دنيوي و
قيل كان ابو جهل والوليد بن المغيرة والعاصي بن وائل ومن في طبقتهم يقولون ان اسلمنا وقد اسلم قبلنا عمار وصهيب وبلال وفلان وفلان ترفعوا علينا ادلالا
بالسابقة فهو افتتان بعضهم ببعض وقيل نزلت في ابتلاء فقراء المؤمنين بالمستهزئين من قريش كانوا يقولون انظروا هؤلاء الذين اتبعوا محمدا من موالينا
ورذالنا فقال الله تعالى لهؤلاء المؤمنين اتصبرون على هذه الحالة من الفقر والشدة والاذى وكان ربك بصيرا بمن يصبر وبمن يجزع وعنه عليه السلام انه قال
اذا نظر احدكم الى من فضل عليه في المال والجسم فلينظر الى من دونه في المال والجسم وقال الذين لا يرجون لقاءنا لا يأملونه قال الفراء لا يخافون لقاءنا بالخير لانهم كفرة بالبعث
او لا يخافون لقاءنا بالشر على لغة تهامة فان الرجاء في لغتهم الخوف وبه فسر قوله لا ترجون لله وقارا واعلم ان اللقاء ههنا وفي قوله فمن كان يرجو لقاء ربه
محمول عندنا على الرؤية بخلاف المعتزلة فانهم حملوه ههنا على لقاء ثواب الله او عقابه وهناك على الاول فقط وقيل اصل اللقاء الوصول الى الشيء ومنه الرؤية
فانه وصول الى المرئي والمراد به الوصول الى جزائه ويمكن ان يراد به الرؤية على الاول لولا هلا انزل علينا الملائكة فتخبرنا بصدق محمد وقيل فيكونوا رسلا الينا
او نرى ربنا فيأمرنا بتصديقه واتباعه ولا يخلوا من ان يكونوا عالمين بان الله لا يرسل الملائكة الى غير الانبياء وان الله لا يصح ان يرى في الدنيا وانما علقوا ايمانهم
بما لا يكون او جاهلين بذلك وانما ارادوا التعنت باقتراح آيات سوى الآيات التي نزلت وقامت بها الحجة عليهم كما فعل قوم موسى عليه السلام حين
قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة لقد استكبروا في انفسهم لقد تعظموا في شأنها حتى ارادوا لها ما يتفق للافراد من الانبياء الذين هم اكمل خلق الله
في اكمل اوقاتها وما هو اعظم من ذلك وعتوا وتجاوزوا الحد في الظلم يقال عتا فلان علينا ووصف العتو بالكبر في قوله عتوا كبيرا مبالغة في افراطه
يعني انهم لم يجسروا على هذا القول العظيم الا لانهم بلغوا غاية الاستكبار واقصى العتو وقيل عتوا كبيرا مبالغا اقصى مراتبه حيث عاينوا المعجزات القاهرة
واعرضوا واقترحوا لانفسهم الخبيثة ما سدت دونه مطامح النفوس القدسية واللام جواب قسم محذوف وهذه الجملة في حسن استئنافها غاية وفي اسلوبها قول
جارية حماس الجانا ينا بها كليبا فلت ناب كليب بواؤها وفي فحوى هذا القول دليل على التعجب من غير لفظ فان المعنى ما اشد استكبارهم وما اكبر عتوهم ما اغلى
نابا بواؤها كليب يوم يرون الملائكة ملائكة الموت او العذاب ويوم منصوب باذكر او بما دل عليه لا بشرى يومئذ للمجرمين فانه بمعنى يمنعون البشرى او يعد
مونها ويومئذ تكرير او خبر وللمجرمين تبيين او خبر ثان او ظرف لما يتعلق به اللام او لبشرى ان قدرت منونة غير مبنية مع لا فانها لا تعمل وللمجرمين اما عام يتناول
كلهم من طريق البرهان ولا يلزم من نفي البشرى لعامة المجرمين حينئذ نفي البشرى بالعفو والشفاعة في وقت آخر وانما خاص وضع موضع

ضمير

ضمير تسجيلا عليهم بجرمهم واشعارا بما هو المانع للبشرى والموجب لما يقابلها ويقولون حجرا محجورا ويقول الملائكة حراما محرما ان يدخل الجنة الا من قال لا اله الا
الله قاله ابن عباس وقال مقاتل اذا خرج الكفار من قبورهم قال لهم الملائكة حرام محرم عليكم ان يكون لكم البشرى وقيل هذا قول الكفار للملائكة فانهم يقولون
حينئذ هذه الكلمة استعاذة وطلبا من الله ان يمنع لقاءهم لانهم لا يلقونهم الا بما يكرهونه وهي ما كانوا يقولون عند لقاء العدو والموتور الشدة النازلة
وعن ابن جريج يقولون اذا عاينوا الملائكة وهو عطف على المدلول المذكور وقرئ حجرا بالضم واصله الفتح غير انه لما اختص بموضع مخصوص غير كقعدك و
عمرك ولذلك لا يتصرف فيه ولا يظهر ناصبه ووصفه محجورا لتأكيد الحجر كقولهم ذيل ذائل والليل الاليل الهوان وموت مائت والمعنى انهم يطلبون نزول الملائكة ويقترحونه
وهم اذا رأوهم عند الموت او يوم القيمة كرهوا لقاءهم وفزعوا منهم وقالوا عند رؤيتهم هذه الكلمة التي كانوا يقولونها عند لقاء عدو او هجوم مكروه وقدمنا الى
ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا اي وعمدنا الى ما عملوا من صلة رحم واغاثة ملهوف وقرى ضيف ونحو ذلك من مكارمهم ومحاسنهم فاحبطناه لعدم
شرط اعتباره وهو الايمان الخالص وليس ههنا قدوم ولا ما يشبهه وانما شبهت حالهم واعمالهم بحال قوم خالفوا سلطانهم واستعصوه فقصد الى
ما معهم فابطله ومزقها كل ممزق ولم يبق لها اثرا ولا خبرا والهباء ما يرى في شعاع الشمس يطلع من الكوة شبيه بالغبار ومنثورا صفة للتشبيه بالهباء
الهباء في قلته وحقارته عنده وانه لا ينتفع به ثم بالمنثور منه في انتشاره بحيث لا يمكن نظمه ولا تفرقه نحو اغراضهم التي كانوا يتوجهون به او مفعول ثالث من
حيث انه كالخبر بعد الخبر اي فجعلناه جامعا لحقارة الهباء والتناثر كقوله كونوا قردة خاسئين اي جامعين للمسخ والخسوء ولام الهباء واو بدليل الهبوة
والمنثور المفرق وقيل الهباء ما تطيره الرياح وتذر به من التراب وحطام الشجر قاله ابن عباس وقتادة وابن جبير وقال مقاتل ما يسطع من حوافر الدواب عند السير
وقيل الهباء المنثور ما يرى في الكوة والهباء المنبث ما تطيره الريح مما من سنابك الخيل اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا اي مكانا يأوون اليه للاستراحة
بازواجهم والتمتع بمغازلتهن وملامستهن كما ان المترفين في الدنيا يعيشون على ذلك الترتيب لما روي انه يفرغ من الحساب في نصف ذلك اليوم فيقيل اهل الجنة في الجنة
واهل النار في النار وفي معناه قوله ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون هم وازواجهم في ظلال على الارائك متكئون قيل في تفسير شغل افتضاض الابكار
ولا نوم في الجنة وسمى مكانا استراحتهم بالمقيل على التشبيه وفي احسن رمز الى ما يتزين به مقيلهم من حسن الصور وغيره من التحاسين والتزين ويحتمل ان
يراد باحدهما المصدر او الزمان اشارة الى ان مكانهم وزمانهم اطيب ما يتخيل من الامكنة والازمان والتفضيل لارادة الزيادة مطلقا او بالاضافة
الى ما للمترفين في الدنيا ويوم تشقق السماء اصله تتشقق وخففت التاء تخفيفا كما في تنزل الملائكة والروح وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر ويعقوب
تشقق بادغام التاء بالشين تخفيفا ايضا وقرأ ابي بكر تنشق من الانشقاق بالغمام بسبب طلوع الغمام منها جعل الغمام كانه الذي تشقق به السماء
كما تقول شق السهم السنام بالشفرة واشق بها ونظيره قوله السماء منفطر به والمعتزلة ان السماء تنفتح بغمام يخرج منها وفي الغمام والملائكة ينزلون وفي
ايديهم صحائف اعمال العباد وروي تنشق سماء سماء وتنزل الملائكة الى الارض وقيل هو غمام ينظرون الان يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة و
عن ابن عباس تنشق السماء الدنيا فينزل اهلها وهم اكثر ممن في الارض من الجن والانس ثم تنشق الثانية فينزل اهلها وهم اكثر ممن في السماء
الدنيا من الجن والانس ثم الثالثة حتى السابعة واهل كل سماء يزيدون على اهل السماء التي قبلها ثم ينزل الكروبيون ثم حملة العرش كما قال ونزل
الملائكة تنزيلا ~~وجاء ربك والملك~~ اي نزل جميع الملائكة في ذلك الغمام وقرأ ابن كثير وننزل الملائكة والباقون ونزل الملائكة وقرئ
نزلت الملائكة وانزل الملائكة ونزل الملائكة بحذف النون فهي فاء الفعل من تنزل وقرأ عبد الله وانزل الملائكة وابو عمرو برواية هرون ونزل من التنزل
الملك يومئذ الحق للرحمن الثابت له لان كل ملك يزول يومئذ ويبطل ولا يبقى الا ملكه فهو الخبر وللرحمن صلته او تبيين ويومئذ معمول الملك لا الحق لتأخره
او صفة والخبر يومئذ او للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا شديدا لا نهاية لشدته وصعوبته وتقديم الصلة لافادة الاختصاص وان تلك الشدة
لا يكون الا على الكافرين دون المؤمنين وقد جاء في الحديث انه يهون يوم القيمة على المؤمن حتى يكون اخف عليه من صلوة مكتوبة صلاها في الدنيا
ويوم يعض الظالم على يديه من فرط الحسرة والندامة وعض اليدين والانامل والسقوط في اليد واكل البنان وحرق الاسنان والارم وقرعها كنايات
من الغيظ والحسرة لانها من روادفهما فيذكر الرديف ويراد بالرديف المردوف والمراد بالظالم الجنس وقيل عقبة بن ابي معيط بن امية بن عبد شمس
وكان يكثر مجالسة النبي صلعم فدعا الى ضيافته رسول الله فابى ان يأكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل وكان ابي بن خلف صديقه فعاتبه
وقال صبأت يا عقبة قال لا ولكن آلى ان لا يأكل من طعامي وهو في بيتي فاستحييت منه فشهدت له والشهادة ليست في نفسي فقال لا ارضى منك الا ان تأتيه فتطأ

وم

وما هنا لي

للجعول

حجر

فابطلها

في الجنة

دار الندوة

فقاه وبزق في وجهه ولطم وجهه فوجده ساجدا في دار الندوة ففعل ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا الفاك خارجا من مكة الا علوت راسك بالسيف
فاسر يوم بدر فامر عليا فقتله وقيل قتله عاصم بن ثابت بن افلح الانصاري وقال يا محمد الي من الصبية قال الى النار وطعن عليه السلام ابيا باحد في المبارزة
فرجع الى مكة فمات وقال الضحاك لما بزق عقبة في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم عاد بزاقه في وجهه فاحرق خديه ثم تنبيه يا ليتني اتخذت مع
الرسول سبيلا تمنى انه لو صحب الرسول او سلك معه طريقا واحدا وهو طريق الحق ولم يتشعب به طرق الضلالة والهوى او اراد اني كنت ضالا لم يكن
لي سبيل قط فليتني حصلت لنفسي في صحبته الرسول سبيلا او قصد اني كنت على شفا جرف من النار لم يكن لي بد من سبيل النجاة فليتني سلكت مع الرسول
طريقا الى النجاة منها وقرا ابو عمرو يا ليتني بفتح الياء والباقون باسكانها يا ويلتى قرئ يا ويلتي بالياء على الاصل لان الرجل ينادي ويلته وهي هلكته يقول لها تعالي
فهذا اوانك وانما قلبت الياء الفا كما في صحاري ومداري ليتني لم اتخذ فلانا خليلا يريد من اضله وصده عن سبيل الله وفلان كناية عن الاعلام كما ان هنا
كناية عن الاجناس والمعنى ليتني لم اتخذ ابيا خليلا فكنى عن اسمه هذا ان اريد بالظالم عقبة وان اريد به الجنس فكل من اتخذ من المضلين خليلا كان لخليله
اسم علم لا محالة فجعله كناية عنه وعن ابي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله فلينظر احدكم من يخالل وفيه تنبيه على ان من علامة
التائب عن الكفر او الفسق انه يهجر خليل الكافر او الفاسق ويقطع خلته ولا يصاحبه وعنه عليه السلام لا تصاحب الا مؤمنا ولا ياكل طعامك الا تقي وعنه عليه
السلام مثل الجليس الصالح والسوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك اما ان يحذيك واما ان يبتاع منه واما ان يجد منه ريحا طيبة ونافخ الكير اما ان يحرق
ثيابك واما ان تجد ريحا خبيثة ولا ترى انه نهى الله المؤمنين عن اتخاذ الكافرين اولياء بقوله يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من
دون المؤمنين الاية لقد اضلني عن الذكر عن ذكر الله او القرآن او موعظة الرسول او نطقه بشهادة الحق وعزمه على الاسلام بعد اذ جاءني وتمكنت منه
وكان الشيطان اللام للعهد اشارة الى خليله اهل الضلال او ابليس لانه حمله على مخالة المضل ومخالفة الرسول ثم خذله ولم ينفعه في العاقبة او للجنس اشارة
الى كل من تشيطن من الجن والانس وهو اما كلام الله او حكاية لكلام الظالم للانسان خذولا مبالغ التكرير يا لغ في تركه والتبري منه عند نزول البلاء
والعذاب ولا ينفعه من شيء بل يقول له اني بريء منك اني اخاف الله وهو فعول من الخذلان وهو من ابنية المبالغة ونظيره الكفور والشكور وقال الرسول
محمد يومئذ او في الدنيا بثا الى الله يا رب ان قومي يعني قريشا اتخذوا هذا القرآن مهجورا بان تركوه وصدوا عنه وعن الايمان به وعن النبي صلى
الله عليه وسلم من تعلم القرآن وعلمه وعلق مصحفا لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيمة متعلقا به يقول يا رب العالمين عبدك هذا اتخذني
مهجورا اقض بيني وبينه وقيل هو من هجر اذا هذى اي جعلوه مهجورا فيه فحذف الجار كانهم هجروا او القوا فيه اذا سمعوه او زعموا انه هجر وهذيان
وباطل واساطير الاولين ويجوز ان يكون المهجور بمعنى الهجر كالمجلود والمعقول والمعنى اتخذوه هجرا وفي هذه الحكاية تعظيم للشكاية وتخويف لقوم
لان الانبياء اذا شكوا الى الله قومهم عجل لهم العذاب ولم ينظروا ثم سلاه ووعده النصرة عليهم بقوله وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين
كما جعلناه لك فاصبر كما صبروا وفيه دليل على انه خالق الشر ايضا والعدو يجيء واحدا وجمعا والمراد بالمجرمين المصرون على اجرامهم واثامهم الذين غلوا
انهمكوا فيها وكفى بربك هاديا الى طريق قهرهم والانتصار منهم ونصيرا وبليغ النصير لك عليهم وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن نزل هنا بمعنى
انزل كخبر بمعنى اخبر والا يناقض قوله جملة واحدة اي قالوا هلا انزل اليه دفعة واحدة كالكتب الثلثة وما له انزل على التفاريق وهذا فضول من القول
واعتراض لا طائل تحته لان الامر الاعجاز والاحتجاج به لا يختلف بنزوله جملة واحدة او مفرقا مع ان للتفريق فوائد منها ما اشار اليه بقوله كذلك
لنثبت به فؤادك اي كذلك انزلناه مفرقا لنقوي بتفريقه فؤادك حتى تحفظه وتفهمه لان حاله يخالف حال موسى وداود وعيسى حيث كان اميا لا يقرا
ولا يكتب وهم كانوا قارئين كاتبين فلو القي عليه جملة واحدة لتعلق تعلقا بحفظه ولعله لم يستقم له فان التلقن لا يتاتى الا شيئا بعد شيء وجزءا
عقب جزء فانزل منجما في عشرين سنة او في ثلث وعشرين ولانه نزوله بحسب الحوادث يوجب مزيد بصيرة وغوص في المعنى ولانه اذا نزل به منجما وهو
يتحدى بكل نجم فيعجزون عن معارضته زاد ذلك قوة في قلبه ولانه اذا نزل به جبريل حالا بعد حال يثبت له فؤاده ومنها معرفة الناسخ والمنسوخ
وهي انما يتاتى فيما انزل مفرقا ومنها انضمام القرائن الحالية الى الدلالات اللفظية فانه يعين على البلاغة وكذلك صفة مصدر محذوف والا
اشارة الى انزاله مفرقا فانه المعني بقوله لولا انزل عليه القرآن جملة واحدة ويجوز ان يكون من تمام كلام الكفرة ولذلك وقف عليه فيكون حالا
والاشارة الى الكتب السابقة واللام على الوجهين متعلق بمحذوف ورتلناه ترتيلا عطف على الفعل المتعلق به كذلك اي كذلك فرقناه ورتلناه

وقرآنا

مطلب الكل

يعني وقرانا عليك بترسل وتثبت وتانى من الترتيل في الاذان وهو ان لا يعجل في ارسال الحروف بل يتثبت فيها ويبينها تبيينا ويوفيها حقها من تبيينها
واشباع حركاتها حتى يجيء المقرو شبيها بالثغر المرتل وهو المفلج المشبه بنور الاقحوان وسئلت عائشة عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا كسرد كم
هذا لو اراد السامع ان يعد حروفه لعدها واصل الترتيل في الاسنان وهو تفليجها وقال السدي فصلناه تفصيلا وقال الحسن والنخعي وقتادة فرقناه
تفريقا اية بعد اية ويقرب منه وقيل هو ان نزله مع كونه متفرقا على تمكث وتمهل في مدة متباعدة في عشرين سنة او ثلث وعشرين ولم يفرقه في مدة متقاربة
وقال ابن عباس بيناه تبيينا والترتيل التبيين في ترسل وتثبت وهو يوافق الوجه الاول ويعاضده ولا ياتونك بمثل اي بسؤال عجيب من
سؤالاتهم الباطلة كانه مثل في البطلان يريدون به القدح في رسالتك ونبوتك الا جئناك بالحق الا اتيناك نحن بالجواب الحق الذي لا محيد عنه
واحسن تفسيرا وبما هو احسن بيانا او معنى وموديا من سؤالهم او لان التفسير هو التكشيف عما يدل عليه الكلام وضع موضع معناه فقالوا تفسير
الكلام كيت وكيت كما قيل معناه كذا وكذا او لا ياتونك بحال وصفة عجيبة يقولون هلا كانت هذه حالك وصفتك نحو ان ينزل معك ملك او يلقى اليك
كنز او يكون لك جنة او ينزل عليك القرآن جملة الا اعطيناك من الاحوال ما يحق لك في حكمتنا وما هو احسن تكشيفا لما بعثت له ودلالة على صحته يعني ان
تنزيله مفرقا وتحديهم بان ياتوا ببعض تلك التفاريق كلما نزل شيء منها ادخل في الاعجاز وانور للحجة من ان ينزل كله جملة ويقال لهم جيئوا بمثل هذا
الكتاب في فصاحته مع بعد ما بين طرفيه الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم الحشر هنا يجوز ان يكون بمعنى البعث والسوق والمشي والسحب بمعنى الجر
كقوله يوم يسحبون في النار على وجوههم اي يجرون مقلوبين على وجوههم الى جهنم وعن النبي صلعم يحشر الناس يوم القيمة على ثلثة اثلاث ثلث على
الدواب وثلث على وجوههم وثلث على اقدامهم ينسلون نسلا وفي ذكر جهنم بعد الحشر على الوجه تهويل مع التهويل وتفظيع بعد تفظيع وقيل اي مقلوبين
او مسحوبين اليها او متعلقة قلوبهم بالسفليات متوجهة وجوههم اليها وهو منصوب او مرفوع على الذم او مبتدا خبره اولئك شر مكانا واضل سبيلا المفضل
عليه هو الرسول صلعم كانه قيل ان حاملكم على هذه الاسولة انكم تحقرون مكانه ومنزلته وتضللون سبيله ولو علمتم حالكم وانكم من المسحوبين على وجوههم الى جهنم لعلمتم
ان مكانكم شر من مكانه وسبيلكم اضل من سبيله وفي اسلوبه قوله قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وقيل مكانا اي شرفا
ومنزلة او دارا ومسكنا كقوله اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا جعلت الشرارة للمكان والضلالة للسبيل وهما لاهلها فيكون من الاسناد المجازي حيث
اثبت الصفة في المكان فافاد ثباتها لاهله لانه اذا اثبت الامر في مكان الرجل وحيزه فقد اثبت له وتوضيحه ان التمييز في المعنى فاعل واثبات الشرارة والضلالة
لكان اثبتني كناية عن اثباتهما لهم كما في قولهم الكرم بين برديه والمجد بين ثوبيه حيث لم يصرح بثبوت الكرم والمجد له بل كنى عن ذلك بكونهما بين برديه وثوبيه
ولقد اتينا موسى الكتاب هو التورية وجعلنا معه اخاه هرون وزيرا مع اسم الظرف للمقارنة وهرون عطف بيان لاخاه وكان يوازر موسى في الدعوة الى الحق وتبليغ
الرسالة واعلاء الكلمة واعزاز الدين والوزارة لا تنافي المشاركة في النبوة لان المشاركين في الامر متوازرين عليه متعاضدين فيه والوزير الموازر لانه يحمل
عنه وزره اي ثقله فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا باياتنا انتسبوا الى اياتنا الكذب وهم فرعون وقومه فدمرناهم تدميرا اي فذهبا اليهم فكذبوهما فدمرناهم
كقوله اضرب بعصاك الحجر فانفلق اي فضرب فانفلق فاقتصر على حاشيتي القصة اولها واخرها لانهما المقصود منها وهو الزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق
التدمير بتكذيبهم والتعقيب باعتبار الحكم لا الوقوع وقرا علي رضي الله عنه فدمرتهم وعنه فدمراهم وقرا فدمراهم على التاكيد بنون الثقيلة وقوم نوح لما كذبوا الرسل
كانهم كذبوا نوحا ومن قبله من الرسل صريحا او كان تكذيبهم لواحد منهم تكذيبا للجميع او بعثة الرسل مطلقا كالبراهمة اغرقناهم بالطوفان وفي البحر والمعنى
لما تمادوا على تكذيب الرسل واصروا عليه حتى كان تكذيبهم في اخر المدة المتطاولة كتكذيبهم في اولها وذلك عند مشارفة الهلاك بالانحراف اهلكناهم اقطع
الهلاك وجعلناهم للناس اية وجعلنا اغراقهم او قصتهم عبرة يعتبر بها الامم بعدهم فلا يجترئوا على مثل ما اجترأ هؤلاء عليه اذا سمعوا عليهم بحالهم
وصغارهم وهوانهم على الله واعتدنا للظالمين في الاخرة عذابا اليما عقليا ذا الم لا يمكنهم النعت ولا يحيط به الوصف فان عقابه اهل النار بما لا يدركه احد
غير الله ووصف العذاب به من الاسناد المجازي على اسلوب قولهم جرى النهر وجد جده فان الالم في الحقيقة صفة المولم كما ان الجري والجد حقيقة صفة الماء
الطالب والجار ولام التعريف في الظالمين اما للعهد اشارة الى هؤلاء المغرقين فيكون وضعا للمظهر موضع المضمر لانه على ان العذاب الاليم لحقهم لظلمهم العظيم
او للجنس فيدخلون فيه دخولا اوليا لانهم هؤلاء كفرة وانما خص الظلم استعظاما له وتنفيرا عن ارتكابه ومنه قوله عليه السلام اياكم والظلم فان الظلم هو الظلمات
يوم القيمة وعادا وثمودا عطف على هم في جعلناهم او على الظالمين لان المعنى وعدنا الظالمين وقرا حمزة وحفص ويعقوب وثمود بغير تنوين على انه غير منصرف

التفسير بيان

للجمع والثاني باتهم علم هقبيلة وابا قوه بالتنوين على تاويل الحي او لانه اسم الاب الاكبر وقرا الاعرج وعادو ثمود واصحاب الرس قيل لهم قوم كانوا يعبدون
الاصنام اصحاب ابار ومواش فبعث الله اليهم شعيبا فدعاهم الى الاسلام فتمادوا في طغيانهم وفي ايذائه فبينا هم حول الرس وهو البئر غير المطوية فانهارت بهم
فخسف بهم وبديارهم وقال قتادة والكلبي الرس بئر بفلج اليمامة قتلوا نبيهم فهلكوا وقيل هو قرية بعدهم بقايا ثمود قوم صالح وقيل هو الاخدود وقيل بئر بانطاكية
قتلوا فيها حبيبا النجار وقيل هم اصحاب النبي حنظلة بن صفوان عليه السلام ابتلاهم الله بالعنقاء وهو اعظم الطير وفيها من كل لون وسموها بها لطول عنقها وكانت
تسكن جبلهم الذي يقال له فتح او دمخ وهي تنقض على صبيانهم فتخطفهم ان اعوزها الصيد فدعا عليها حنظلة فاصابتها الصاعقة ثم انهم قتلوا حنظلة فاهلكهم
الله تعالى وقيل قوم كذبوا نبيهم ورسوه في بئر اي دسوه فيها وقرونا واهل اعصار وقيل القرن اربعون سنة وقيل سبعون وقال الكلبي ثمانون وقيل
مائة سنة وروي عن محمد بن القسم عن عبد الله بن بسر المازني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وضع يده على راسه وقال سيعيش هذا الغلام قرنا قال محمد بن
القسم ما زلنا نعد له حتى تم ولفظ ذلك يصلح للاشارة الى كل غايب قليلا كان او كثيرا عينا كان او معنى بين ذلك اي بين ذلك كثيرا لا يعلمها الا الله
وكلا وكل واحد منهم ضربنا لهم الامثال بينا لهم القصص العجيبة من قصص الاولين ووصفنا لهم ما اجروا اليه من تكذيب الاولياء والانبياء وحوادث عليهم
من عذاب الله وتدميره وكلا تبرنا تتبيرا التتبير التفتيت والتكسير ومنه التبر وهو كسار الذهب والفضة والزجاج وكلا الاول منصوب بما دل عليه
ضربنا وهو انذرنا او حذرنا مثلا والثاني بتبرنا لانه فارغ له ولقد اتوا يعني قريشا مروا مرارا في متاجرهم الى الشام على القرية التي امطرت مطر السوء اراد بالقرية
سدوم من قرى قوم لوط وكانت خمس قرى فاهلك الله اربعا منها بالحجارة من السماء وهي مطر السوء ونجت واحدة وهي صغر لان اهلها كانوا لا يعملون
الخبيث وقرا ابو الشاء امطروا ومطر السوء بضم السين وزيد بن علي مطرت بغير الف وعولقة افلم يكونوا يرونها في مرار مرورهم فيتعظون بما يرون فيها
من اثار عذاب الله ونكاله بل كانوا لا يرجون نشورا بل كانوا قوما كفرة لا يتوقعون نشورا ولا يخافونه كما يامل المؤمنون طمعا في ثواب الله او لا يخافونه
على اللغة التهامية واذا راوك ان يتخذونك الا هزوا ما يتخذونك الا موضع هزو اي مهزوا به فمن ثم لم ينظروا اليها ولم يذكروا ومروا بها كما مرت ركابهم
اولا يامنون نشورا اهذا الذي بعث الله رسولا محكي بعد قول مضمر وهذا استصغار وبعث الله رسولا واخراجه في معرض التسليم والاقرار يجعله
صلة وهم على غاية الجحود والانكار تهكم واستهزاء ولو لم يستهزءوا لقالوا اهذا الذي زعم او ادعى انه مبعوث من عند الله رسولا ان كاد ان مخففة
من الثقيلة بدليل اللام المفتوحة اي انه كاد وقاربه ليضلنا عن الهتنا ليصرفنا عن عبادتها بفرط الاجتهاد في الدعوة الى التوحيد والا
سلام وكثرة عرض الايات التي سبق الى اذهانهم انها معجزات وحج عليهم حتى شارفوا بزعمهم ان يتركوا دينهم وشركهم الى دين الاسلام والتوحيد لولا
ان صبرنا عليها ثبتنا عليها واستمسكنا بعبادتها ولولا في مثل هذا تقييد الحكم المطلق من حيث المعنى لا من حيث الصيغة واللفظ وقيل اي ولو لم نصبر عليها
لعرفنا عليها وسوف يعلمون حين يرون العذاب من اضل سبيلا في هذا التسويف وعيد ودلالة على انه لا يهملهم وان امهلهم وطالت مدة الامهال
ولا بد للعذاب الموعود ان يلحقهم فلا يغرنهم التاخير وقوله من اضل سبيلا كالجواب لقولهم ان كاد ليضلنا فانه يفيد نفي ما يلزمه ويكون
الموجب له ووصف السبيل بالضلال كناية او مجاز للمبالغة ارايت من اتخذ الهه هواه بان اطاعه واتبعه في كل ما ياتي ويذر لا يتخذ دليلا ولا
يسمع برهانا وحجة وقدم المفعول الثاني للعناية به كقولك علمت منطلقا زيدا لفضل عنايتك بالمنطلق قال صاحب الفوايد عن الاعرج واليماني
من اتخذ الهه هواه بالجمع اي اتخذ هواه الهة افانت تكون عليه وكيلا حفيظا يمنعه من اتباع هواه والمعاصي وشانه هذا فالاستفهام الاول للتقرير
والتعجيب والثاني للانكار والمعنى هذا الذي في طاعة هواه لا يرى معبودا الا اياه كيف تقدر ان تدعوه الى الاسلام افتحفظه وتمنعه عن الهوى
والشرك وقيل افتوكل عليه وتجبره على الاسلام وتقول لا بد ان تسلم شئت او ابيت ولا اكراه في الدين وهذا كقوله وما انت عليهم بجبار
لست عليهم بمسيطر ويروى ان الرجل من المشركين كان يعبد الحجر فاذا راى احسن منه رمى به واخذ آخر ومنهم الحرث بن قيس السهمي
وقال ابن عباس ارايت من ترك عبادة الله وخالقه ثم هوى حجرا فعبده ما حاله عندي افانت تكون عليه حافظا وقال الكلبي نسختها
آية القتال ام تحسب ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها انكار الحسبان واستبعاده بمعنى ما ينبغي ان تحسب ولم تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون
فتجدي لهم الآيات والحجج فتهتم بشانهم وتطمع في ايمانهم وكان هذه المذمة اشد مما قبلها حتى حقت بالاضراب اليها وهي كونهم مسلوبي الاسماع
والعقول حيث لم يصغوا الى الحق ولم يتدبروه وتخصيص الاكثر لان منهم من آمن ومنهم من عقل الحق واعرض عنه تكبرا او خوفا للرياسة ان هم

الا كالانعام في الغفلة والضلال وعدم الانتفاع بقرع الآيات اذانهم وعدم التدبر فيما شاهدوا من الدلائل والمعجزات بل هم اضل سبيلا بل هم اكثر
وابلغ ضلالة من الانعام لانها تنقاد لمن يعلفها ويتعهدها وتعرف المحسن اليها والمسيء اليها وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وهؤلاء لا
ينقادون لربهم ولا يعرفون احسانه اليهم من اساءة الشيطان الذي هو عدوهم ولا يطلبون الثواب الذي هو اعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذي هو
اشد المضار ولانها لم تكتسب شرا ظاهرا وباطنا بخلاف هؤلاء ولان ضلالتها لا تضر باحد بخلاف ضلالتهم فانها تؤدي الى تهييج الفتن وصد
الناس عن الحق ولانها غير متمكنة من طلب الكمال فلا تقصير منها ولا ذم وهؤلاء مقصرون مستحقون اعظم العقاب على تقصيرهم الم تر الى ربك الم
تنظر الى صنع ربك وقدرته كيف مد الظل كيف بسطه وجعله منبسطا ممتدا فينتفع به الناس او الم تنظر الى الظل كيف مده ربك فغير النظم اشعارا بان
المعقول من هذا الكلام لوضوح برهانه وهو دلالة حدوثه وتصرفه على الوجه النافع باسباب ممكنة على ان ذلك فعل الصانع الحكيم كالمشاهد المرئي فكيف
بالمحسوس منه او الم ينته علمك الى ذلك كيف مد الظل فيما بين طلوع الفجر والشمس وهو اطيب الاحوال فان الظلمة الخالصة تنفر الطبع وتسد النظر وشعاع
الشمس يسخن الجو ويبهر البصر ولذلك وصف به الجنة فقال وظل ممدود ولما استفهم عن استيفاء الرؤية على سبيل الانكار افاد ثبات الرؤية وايجابها وكانه قيل الم تر
اثار فعل الله بالظل وشهادتها فكيف في محل النصب بمد لا بالم تر لما في كيف من معنى الاستفهام وهو يجب ان يتقدم عليه عامله ولو شاء لجعله
ساكنا لاصقا باصل كل مظل من جبل وبناء وشجرة فلم ينتفع به احد سمي انبساط الظل وامتداده تحركا وعدم ذلك سكونا وقيل ساكنا ثابتا من
السكنى او غير متقلص من السكون بان يجعل الشمس مقيمة على وضع واحد والفرق بين الظل والفيء بوزن الشيء ان الظل ما نسخته الشمس وذلك بالغداة
والفيء ما نسخ الشمس وذلك بالعشي فكونه ساكنا ان لا تنسخه الشمس ولا تزيله ولا تذهب به ثم جعلنا الشمس عليه دليلا اي على الظل فانه لا يظهر للحس الا
بعد طلوع الشمس ووقوع ضوئها على بعض الاجرام ولا يوجد ولا يتفاوت الا بسبب حركتها فيستدل بها وباحوالها في سيرها على احوال الظل من الثبوت في مكان
والزوال والاتساع والتقلص ثم قبضناه الينا القبض خلاف البسط والمراد به ههنا نسخ الظل وازالته بايقاع الشعاع موقعه وقيل القبض جمع
المنبسط من الشيء معناه ان الظل يعم جميع الارض قبل طلوع الشمس فاذا طلعت قبض الله الظل جزءا فجزءا وقيل لما عبر عن احداث الظل بالمد بمعنى
التسيير عبر عن ازالته بالقبض الى نفسه الذي هو في معنى الكف قبضا يسيرا اي على مهل قليلا قليلا حسبما ترفع الشمس وبهذا القبض اليسير
شيئا بعد شيء يترتب ما لا يعد من المصالح والمنافع ولو قبض دفعة واحدة لتعطلت اكثر مرافق الخلق بالظل والشمس جميعا وثم في الموضعين لبيان
تفاضل الامور الثلاثة كان الثاني اعظم من الاول والثالث اعظم منهما تشبيها لتباعد ما بينهما في الرتبة بتباعد ما بين الحوادث في الوقت وقيل ان الله حين بنى السماء كالقبة المضروبة
ودحا الارض تحتها فالقت عليها ظلها فينانا ای حسنا طويلا يقال رجل فينان اي حسن الشعر طويله وهو فعلان والاديم اسم وجه الارض
والجو جمع الجوبة وهو موضع سحاب في الحرة والفرجة في السحاب وفي الجبال في اديم جوب لعدم النير ولو شاء لجعله ثابتا على تلك الحالة ثم خلق الشمس
وجعلها على ذلك الظل اي سلطها عليه ونصبها دليلا متبوعا له كما يتبع الدليل في الطريق فهو يتزايد ويتناقص ويمتد ويتقلص بتحركها ثم قبضناه قبضا
يسيرا شيئا فشيئا الى ان ينتهي غاية نقصانه او قبضا سهلا عند قيام الساعة بقبض اسبابه من الاجرام التي تلقي الظل فيكون قد ذكر اعدامه باعدام اسبابه
كما ذكر انشاءه بانشاء اسبابه وقوله قبضناه الينا يدل عليه وكذلك قوله يسيرا كما قال ذلك حشر علينا يسير وهو الذي جعل لكم الليل لباسا شبه ظلامه باللباس الساتر
يستركم بظلمته عن العيون اذا اردتم الاختفاء فشبه ظلام الليل الساتر باللباس في الستر وهو ما يلبس وكذا الملبس واللبس بالكسر والنوم سباتا راحة
للابدان بقطع المشاغل او موتا كقوله وهو الذي يتوفاكم بالليل لان النوم احد التوفيين من السبت وهو القطع المسبوت للميت لانه مقطوع الاحساس
والحركة وهو على وزن الاوداء كسعال وصداع وكباد مثلا وتفسيره بالراحة من جوزه الثقات ولم يجوزه جار الله قائلا بان النشور في مقابلته يأبى
باه اباء العيوف الورد وهو مرنق وجعل النهار نشورا ذا نشور وقت نشور تنتشرون فيه لاعمالكم وتتقلبون في حوائجكم ومكاسبكم او بعث
من النوم بعث الاموات ونكوه اشارة الى ان النوم واليقظة انموذج للموت والنشور وعن لقمان انه قال لابنه يا بني كما تنام فتوقظ كذلك تموت
فتنشر من نشر الميت ينشر نشورا اذا عاش بعد الموت وهذه الاية كما تصلح دليلا في اثبات البعث والاعادة صلحت دليلا في اثبات التوحيد
الله تعالى وقدرته البالغة اما وجه الاول فظاهر فان من قدر على خلق الخلائق العجيبة الدالة على كمال القدرة واخترعها من
العدم الى الوجود كل يوم كان قادرا على رجع الناس كما كانوا بل هو قادر ان يوجد كل واحد منهم وبعده كل يوم كما يوجد كل واحد من

الليل والنوم والنهار وينذهب به ويغنيهم فيه واما وجه الثاني فظاهر ايضا فان من فعل تلك الافعال المتكاثرة الدالة على ان معدور لا يمتنع عليه وخلق تلك الخلايق ودبر امورها وجعل منافع بعضها متصلة بمنافع بعض من غير حاجة في شيء منها الى احد ولا كلفة ولا معاناة كان واحدا لا شريك له ولو لم يكن مدبرها واحدا لانقطع الاتصال وظهر الانفصال وهو الذي ارسل الرياح انما ذكر الفاعل ههنا بلفظ الماضي وفي سورة الاعراف بلفظ المضارع دلالة على استمرار الارسال في الماضي والحال والاستقبال والمراد بالرياح الصبا والشمال والجنوب فانها رياح الرحمة التي تثير السحاب في الجو واما الدبور فريح العذاب وكذا العقيم والصرصر والعاصف والقاصف وقرا ابن كثير الريح بالتوحيد على ارادة الجنس المراد به البعض والباقون الرياح وهي ههنا من العام الذي يراد به البعض بقرينة ما يجيء بعده نشرا قرا الكوفيون وابن عامر نشرا بضم النون وسكون الشين حيث وقع على ان اصله نشرا بضمتين وانما سكنت تخفيفا وحمزة والكسائي بفتح النون وسكون الشين على انه مصدر في موضع الحال بمعنى ناشرات للسحاب او مفعول مطلق لان ارسل ونشر متقاربان بالمعنى كانه قيل نشر الرياح نشرا وابن كثير نشرا بفتحهما على انه جمع ناشر كبازل وبزل او جمع نشور وهي المحيية كصبور وصبر وعاصم بشرا بضم الباء وسكون الشين تخفيف بشر جمع بشير بمعنى فاعل او مفعول من بشره بمعنى بشره وقرئ بشرى بين يدي رحمته قدام رحمته وهو المطر الذي هو من انعم النعم واجلها واحسنها اثرا وهو القرينة على ان المراد بالريح والرياح البعض كما لا يخفى وانزلنا من السماء ماء طهورا الطهور بفتح الطاء مصدر العربية بمعنى التطهير يقال تطهرت طهورا حسنا ومنه مفتاح الصلوة الطهور وفي حديث اخرجه تبع الطهور موضوع وقوله عليه السلام لا صلوة الا بطهور اي بتطهر او اسم لما يتطهر به كالوضوء والوقود والسحور والفطور وصفة في قولك ماء طهورا اي مطهرا او بليغا في الطهارة فيما حكي عن ثعلب ان الطهور ما كان طاهرا في نفسه مطهرا لغيره ان كان هذا زيادة بيان لنهايته في الطهارة فصواب حسن ويؤيده قوله تعالى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به والا فليس فعول من التفعيل في شيء وقياس هذا على ما هو مشتق من الافعال المتعدية كقطوع ومنوع غير سديد والنكتة في نقل الاخبار عن الغيبة الى التكلم التفنن وتاكيد معنى اختصاص الفعل بذاته والتنبيه على ان انزال ذلك الماء البليغ في الطهارة لا يقدر عليه الا وحده والمراد بالسماء اما المظلة او السحاب وتنكير الماء اما للنوعية فان ماء السماء نوع من المياه او للتفخيم ويدل على وجهين توصيفه بالطهور ويزيل النجس وينقي مخالطة النجاسة او غلبتها على الظن تغير احد اوصافه الثلثة او لم يتغير او استعمل في البدن لاداء عبادة عند ابي حنيفة وعند مالك ما لم يتغير احد اوصافه فهو طهور واستدل بقوله عليه السلام الماء طهور لا ينجسه شيء الا ما غير لونه او طعمه او ريحه وقيل توصيف الماء به اشعار بالنعمة فيه وتتميما للمنة بما بعده فان الماء الطهور اهنا وانفع مما خالطه ما يزيل طهوريته وتنبيها على ان ظواهرهم لما كانت مما ينبغي ان يطهروها فبواطنهم اولى لنحيي به بلدة ميتا بذكر الماء وتذكير ميتا لان البلدة في معنى البلد في قوله فسقناه الى بلد ميت ولانه غير جار على الفعل كسائر ابنية المبالغة فاجري مجرى الجامد وتنكير البلدة للتبعيض لان المراد بعض بلاد هؤلاء الذين تبعدوا عن مظان الماء وقرئ ميتا بالتشديد ونسقيه بفتح الياء ونسقيه مما خلقنا انعاما واناسي كثيرا وتنكيرهما ايضا للتبعيض لان المراد بهما من مست حاجتهم الى سقي السماء وهم المتفرقون من الاودية والانهار ومنابع الماء كاهل البوادي الذين يعيشون بالحيا لان اهل المدن والقرى مغموزون بالقرب منها فبهم وبما لهم من الانعام غنية عن سقيا السماء وسائر الحيوانات تبعد في طلب الماء فلا يعوزها الشرب غالبا وقدم احياء الارض وسقي الانعام على سقي الاناسي لان بحيوتهما قيام حيوتهم وانتفاعهم كما اشار اليه في قوله اموالكم التي جعل الله لكم قياما فقدم ما هو سبب لحيوتهم وتعيشهم على سقياهم على ان سقياها سقياهم وقرئ نسقيه بالفتح وسقى واسقى لغتان وقيل اسقاه جعل له سقيا والاناسي جمع انسي او انسان كظرابي في ظربان على ان اصله اناسين فقلب النون ياء وقرئ اناسي بالتخفيف بحذف ياء افاعيل كقولك اناعم واناعيم ولقد صرفناه بينهم ولقد كررنا هذا القول بين الناس في هذا القرآن وسائر الكتب التي انزلت على الرسل والانبياء وهو ذكر انشاء السحاب وانزال القطر وقيل صرفنا المطر بينهم في البلدان المختلفة والاوقات المتغايرة والصفات المتفاوتة من وابل وهو المطر الشديد والطل وهو اضعف المطر والجود المطر الغزير والرذاذ المطر الضعيف والديمة المطر الدائم الذي ليس فيه برق ولا رعد والرهام جمع الرهمة بالكسر وهي المطر الضعيف الدائم وطل وجود ورذاذ وديمة ورهام وعن ابن عباس ما من عام اقل مطرا من عام ولكن الله قسم ذلك بين عباده على ما شاء وتلا هذه الآية وروي ان الملائكة يعرفون عدد المطر ومقداره في كل عام لانه لا يختلف ولكن يختلف

مطلب مطر

فيه البلاد

فيه البلاد ونتبع من ههنا جوابه في تنكير البلدة والانعام والاناسي كانه قال لنحيي به بعض البلاد الميتة ونسقيه بعض الانعام والاناسي وذلك البعض كثير وفي الانهار او المنابع وقرا عكرمة بن سليمان بن كثير المكي صرفنا بالتخفيف وقال سمعت اسمعيل يثقلها مرة ويخففها مرة ليذكروا قرا حمزة والكسائي ليذكروا باسكان الذال وضم الكاف والباقون بتشديدهما وهما بمعنى اي كررناه ليتفكروا ويعتبروا ويعرفوا كمال القدرة وحق النعمة فيه ويشكروا فابى اكثر الناس الا كفورا الا كفران النعمة وقلة الاكتراث لها او جحودها بان يقولوا مطرنا بنوء كذا ولا يذكروا صنع الله ورحمته وذلك من عمل الجاهلية وامرها قال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم ثلث من عمل الجاهلية لا يتركها الناس ابدا الطعن في النسب والنياحة والاستمطار بالانواء فالطعن معروف والنياحة على الميت من ناحت المراة على الميت اذا ندبته وذلك ان تبكي عليه وتعدد محاسنه والانواء جمع نوء وهي ثمانية وعشرون نجما معروفة المطالع في ازمنة السنة وتسمى نجوم المطر يسقط منها في كل ثلثة عشر ليلة نجم في المغرب مع طلوع الفجر ويطلع آخر يقابله من ساعته وانقضاء هذه الثمانية والعشرين مع انقضاء السنة وكانت العرب في الجاهلية اذا سقط منها نجم وطلع آخر قالوا لا بد من ان يكون مطر عند ذلك فينسبون ان الامطار والخير كله يجيء منها وينسبون كل غيث يكون عند ذلك النجم الى النجم فيقولون مطرنا بنوء كذا وانما سمي نوءا لانه اذا سقط الساقط منها بالمغرب ناء الطالع بالمشرق ينوء نوءا وذلك النهوض هو النوء فسمي النجم به قاله ابو عبيدة ثم قال وقد يكون النوء السقوط وقال الازهري انما غلظ النبي عليه السلام القول فيمن يقول مطرنا بنوء كذا لان العرب كانت تقول انه فعل النجم لا يجعلونه سقيا من الله تعالى ثم قال واما من قال مطرنا بنوء كذا ولم يرد هذا المعنى وانما اراد مطرنا في هذا الوقت فذلك جايز قالوا ومن يرى الامطار من الانواء فحسب كان كافرا بخلاف من يرى انها من خلق الله والانواء وسايط وامارات بجعله تعالى ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا نبيا ينذر اهلها فيخف عنك اعباء بمعنى محل نذارة جميع القرى وانما قصرنا الامر اليك اجلالا لك وتفضيلا لك على ساير الرسل فقابل ذلك بالتصبر والاجتهاد والتشبث في الابلاغ والدعوة واظهار الحق فلا تطع الكافرين فيما يريدونك عليه وهذا تهييج له وللمؤمنين وتحريكهم وجاهدهم به جهادا على القرآن او بترك طاعتهم الذي يدل عليه ولا تطع عليه يعني ان الكفرة يجدون ويجتهدون في توهين امرك وابطال حقك فقابلهم بالاجتهاد فيما تغلبهم به وتعلوهم وتهزمهم باظهارها سا وبالكلية جهادا الذي يدل عليه ولا تطع يعني ان الكفرة يجدون ويجتهدون في توهين امرك وابطال حقك فقابلهما بالاجتهاد كبيرا جهادا جامعا لكل مجاهدة وذلك باللسان والسنان وقيل لان مجاهدة السفهاء بالحجج اكبر من مجاهدة الاعداء بالسيف ولان مخالفتهم ومعاداتهم فيما بين اظهرهم مع عتوهم وظهورهم ويجوز ان يرجع الضمير في به الى ما دل عليه الشرطية من كونه نذير كافة القرى لانه لو بعث في كل قرية نذيرا لوجب على كل نذير مجاهدة قريته فاجتمعت على رسول الله تلك المجاهدات كلها فكبر جهاده من اجل ذلك وعظم فقال له وجاهدهم بسبب كونك نذير كافة القرى جهادا جامعا لكل مجاهدة وهو الذي مرج البحرين ارسلهما متجاورين متلاقيين لا فصل بين الماءين في مراى العين من مرج دابته اذا ارسلها وخلاها هذا عذب فرات العذب الماء الطيب والفرات البليغ العذوبة حتى يضرب الى الحلاوة وقيل قامع للعطش من فرط عذوبته وهذا ملح اجاج بليغ الملوحة وقرئ ملح على فعل كانه حذف من مالح تخفيفا كبرد في بارد قال وصليانا بردا وجعل بينهما برزخا حاجزا بقدرته ليفصل بينهما او يمنعهما التمازج كانه كقوله بغير عمد ترونها يعني بغير عمد مرئية وهو قدرته وحجرا محجورا وتنافرا بليغا كان كلا منهما يقول للاخر ما يقوله المتعوذ منه او صل المحدود وذلك كدجلة تدخل البحر فتشقه فتجري في خلاله فراسخ لا يتغير طعمها وقيل المراد بالبحر العذب النهر العظيم مثل النيل وبالبحر الملح البحر الكبير وبالبرزخ ما يحول بينهما من الارض فتكون القدرة في الفصل واختلاف الصفة مع ان مقتضى طبيعة اجزاء كل عنصر ان تضامت وتلاصقت وتشابهت في الكيفية وهو الذي خلق من الماء بشرا اراد بالماء الذي خمر به طينة آدم عليه السلام او جعله جزءا من مادة البشر ليجتمع ويسلس ويقبل الاشكال والهيئات بسهولة او النطفة والبشر ظاهر جلد الانسان والخلق وتنكيره يحتمل الوجوه فجعله نسبا وصهرا اي فقسم البشر قسمين ذوي نسب اي ذكورا ينسب اليهم فيقال فلان بن فلان وفلانة بنت فلان وذوات صهر اي اناثا يصاهر بهن كقوله فجعل منه الزوجين الذكر والانثى وتنكيرهما للنوعية وقال الفراء النسب من لا يحل نكاحه والصهر من يحل نكاحه كبنات العم والخال ونحوهما من القرابة التي يحل تزويجها وقال الزجاج الاصهار من النسب لا يجوز لهم التزويج والنسب الذي ليس بصهر في قوله تعالى حرمت عليكم امهاتكم الى وان تجمعوا بين الاختين وعن ابن عباس في تفسير النسب والصهر خلاف ما قال الفراء وخلاف بعض ما قال الزجاج حيث قال حرم الله من النسب سبعا ومن الصهر سبعا حرمت عليكم امهاتكم الى وبنات الاخت ومن الصهر وامهاتكم اللاتي ارضعنكم الى وان تجمعوا بين الاختين ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم قال الازهري وهذا هو الصحيح الذي لا ارتياب فيه وكان ربك قديرا بليغ

مطلب

مطلب صهر

القدرة حيث خلق من نطفة واحدة مبقرا نوعين ذكرا وانثى وربما يخلق منها توامين مختلفين ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم يعني الاوثان وابليس
واعوانه لانهم بطاعتهم لهم في حكم عبدتهم او كل معبود سواه لان كل مخلوق لا يستقل بالنفع والضر واستعمل ما لان ما يبهم تقع على كل شيء تقول لشبح رفع
لك ما يعيد لا تشعر به ما ذاك فاذا شعرت انه انسان قلت من هو هذا على راي الجمهور انما للعقلاء ودونهم واما على راي من قال انها لغير العقلاء خاصة فقد
معناه الى التعويل بكل معبود غير الله على سبيل المجاز والتغليب لان اكثر معبودهم من غير ذوي العقول فغلب جانب الكثرة والتغليب ايضا نوع من
من المجاز وكان الكافر على ربه ظهيرا الظهير بمعنى المظاهر اي المعاون كالقعيد بمعنى المقاعد والجليس بمعنى المجالس والمعنى ان الكافر يظاهر الشيطان على ربه
بالعداوة والشرك واللام في الكافر للتعريف الجنس وان بعضهم مظاهر لبعض على اطفاء نور دين الله او للعهد والمعهود ابو جهل فان الآية نزلت فيه وقيل
معناه وكان الذي يفعل هذا الفعل وهو عبادة ما لا ينفع ولا يضر على ربه هينا مهينا من قولهم ظهرت به اذا خلفته خلف ظهرك ولا تلتفت اليه فيكون كقوله
ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا لاهل الايمان والطاعة بالجنة والثواب ولاهل الكفر والمعصية بالنار والعقاب لان ذلك
مما لا يستقل به العقول والمواتين معرفة فارساله مثله رحمة خالصة لعباده كما لا يخفى على كل ذي بصيرة قل ما اسئلكم عليه على التبشير والانذار وجاز
ذلك على تاويل ما ذكرنا وما تقدم للاقتصار في الكلام او على تبليغ الرسالة الذي يدل عليه الا مبشرا ونذيرا او على القرآن او الوحي كما فسرتهما بعضهم بقوله قل ما اسئلكم
عليه من اجر وما انا من المتكلفين من اجر هذه الاستغراق كانه قيل لا اسئلكم اجرا ما الا من شاء يجوز ان يكون استثناء متصلا اي لا اسألكم اجرا الا هذا وهو
فعل من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا ان يتقرب اليه ويطلب الزلفى عنده بالايمان والطاعة والصور ذلك بصورة الاجر وان لم يكن اجرا في الحقيقة قلع الشبهة
القلع من اصله واظهار الشفقة البالغة حيث اعتد بانتفاعك نفسك بالتعرض للثواب والتخلص من العقاب اجرا وافيا مرضيا به مقصورا عليه واشعارا بان طاعتهم
تعود عليهم بالثواب من حيث انها بدلالته ويجوز ان يكون منقطعا اي لا اسألكم اجرا قط ولكن اسألكم فعل من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا وقيل معناه لكن من شاء
ان يتخذ الى ربه سبيلا فليفعل وقيل المراد باتخاذهم الى ربه سبيلا تقربهم بالصدقة والنفقة في سبيل الله ثم امره بان يثق به ويسند امره اليه بقوله وتوكل على
الحي الذي لا يموت في استكفاء شرورهم والاغناء عن اجورهم فانه هو الحقيق بان يتوكل عليه ويفوض الامور كلها اليه دون هؤلاء الذين يموتون لكمال
عجزهم وغايات ضعفهم ونقصانهم ومعنى الحي في صفات تعالى المتفرد بالحياة الذاتية قال اهل الحق حيوته صفة ازلية توجب صحة العلم لاستحالة قيام الحوادث
بذاته تعالى كالحي في الاصل من له الحيوة كالعليم والعالم من له العلم مثلا وقال ابن سينا في النجاة واذا قيل حي يعني انه موجود لا يفسد وهو ذلك حال على
على الاضافة لان معناه العالم الفاعل وقال الامام في شرح الحي هو المدرك الفعال فكونه دراكا اشارة الى العلم وكونه فعالا اشارة الى القدرة ثم قال ويطلق
لفظ الحي ويراد به كونه باقيا على حالة الاولى كما يقال للشجرة التي تبقى على الصفة التي لاجلها كانت مثمرة انها حية واما اذا بطلت عنها تلك الصفة فقد يقال
انها ماتت ومنه قولهم لعمارة الارض احياء الموات وبهذا التفسير يرجع الحيوة الى عدم الفساد وهو سبحانه احق الاشياء بهذا المعنى فكان الحي في الحقيقة ليس الا
هو فلهذا قال سبحانه هو الحي لا اله الا هو ثم ان المضارع المثبت كما يفيد استمرار الثبوت كذلك المنفي يفيد استمرار النفي فقوله لا يموت لا يراد به حال ولا استقبال
وانما يستعمل استمرار عدم الموت منه ودوامه في جميع الازمنة والاوقات وسبح بحمده اي قل سبحان الله وبحمده او دم على عبادته والثناء عليه او نزهه بتراقه
عن صفات الاجسام كلها حامدا له على ما انعم عليك من النعماء والآلاء او اذكره بمجامع الثناء من صفات الجلال والاكرام والباء للملابسة والجار المجرور
في موقع الحال اي سبح حامدا له ملتبسا بجميع اذ لولا انعامه عليك بالتوفيق للعبادة لم تتمكن منها وكفى به بذنوب عباده ما ظهر منها وما بطن من
الكبائر والصغائر والباء الاولى مزيدة داخلة على الفاعل كما في قوله او هل اتاها والحوادث جمة بان امراء القيس من يملك بيقراد هلكا والثانية متعلقة
بالصفة الواقعة مفعول كفى منقدمة عليه بمجرد الاهتمام ومراعاة الفاصلة خبيرا عليما لا يخفى عليه شيء منها ولا يغفل عنه فليس عليك الا تك منا مواهم
شيء امنوا او كفروا اطاعوا او اذنبوا الذي خلق السموات والارض وما بينهما انما قال وما بينهما على التثنية والمرجوع المجموع لان اراد وما بين الجنسين في ستة
ايام اي في مقدار ستة ايام لانه لم يكن في نهار ولا ليل وقيل ستة ايام من ايام الآخرة وكل يوم الف سنة وقيل من ايام الدنيا وعن مجاهد اولها
يوم الاحد وآخرها الجمعة وقيل خلق الارض في يوم الاحد ويوم الاثنين وما فيها يوم الثلثا ويوم الاربعاء وخلق السموات في يوم الخميس والشمس والقمر
والنجوم في يوم الجمعة وفرغ في آخر ساعة من يوم الجمعة فخلق فيها ادم وهي الساعة التي تقوم فيها القيامة وفي القولين نظر بيناه في سورة السجدة وانما
خلقها في تلك المدة وهو القادر على ان يخلق تلك الخلائق في اقل من لمحة بصر تعليما للعباده التؤدة والتاني في الامور وما يعلم الحكمة في هذه العدد الخالق

مطلب في خلق السماء والارض وتمهيد

الاهو

الا هو سبحانه كما لا نعرف الحكمة في اعداد الصلوات والسماوات والارضين والبروج وايام السنة والشهور واعداد النصب والحدود والكفارات ثم استوى
على العرش اي اوفى عليه واشرف واطلع وقيل ملك وقيل استولى وقيل قصد لهم نعم ما قيل ان له تعالى استواء على العرش على الوجه الذي عناه منزها عن الاستقرار
والتمكن وفيه رد لقول مقاتل والكلبي وابن عيينة كما بيناه غير مرة الرحمن خبر للذي خلق ان كان مبتدا او لمحذوف ان كان صفة للحي او بدل من المستتر
في استوى وقرئ الرحمن بالجر صفة للحي فسئل به خبيرا السؤال يعدى بالباء لتضمنه معنى الاهتمام والعناية كقولك اهتم به وعني به وبعن لتضمنه معنى البحث
والتفتيش كما في قوله لا يسأل عما يفعل وكذا ان تجعل الباء صلة خبيرا وانتصابه اما على انه مفعول اسأل اي فسئل عما ذكر من الخلق والاستواء عالما
يخبرك بحقيقته وهو الله تعالى او جبرائيل او من وجده في الكتب المتقدمة ليصدقك فيه او فسئل بسؤاله خبيرا اشد مراعيه اسأل به بوجه ثبته والخفاه سالته
وجدته خبيرا او على انه حال من الهاء يعني فسئل عنه عالما بكل شيء وقيل الضمير للرحمن وهو اسم من اسماء الله مذكور في تلك الكتب المتقدمة ولم يكونوا
يعرفونه فقيل فسئل بهذا الاسم من يخبرك من اهل الكتاب حتى يعرف من ينكره ومن ثم كانوا يقولون ما نعرف الرحمن الا الذي باليمامة يعنون مسيلمة
الكذاب وكان يقال رحمان اليمامة وعلى هذا يجوز ان يكون الرحمن مبتدا وخبره ما بعده واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن الفعل اعني قيل مسند الى لفظ اسجدوا كانه قيل
واذا قيل لهم هذا القول ولفظ القول اسم من غير خلاف قالوا وما الرحمن قولهم الرحمن وما في الرحمن شارحة نحو ما العنقاء لا حقيقية نحو ما الانسان وما الرحمن اما
السؤال عن المسمى به لانهم لم يعرفونه بهذا الاسم والسؤال عن المجهول بما او سؤال عن معناه لانه لم يكن مستعملا في كلامهم كما استعمل الرحيم والرحوم والراحم
او لانهم انكروا اطلاقه على الله او لانهم ظنوا اراد به غيره انسجد لما تامرنا موصولة اي للذي تامرنا به بمعنى تامرنا بسجوده على طريقة قوله امرتك الخير او مصدرية
اي لامرك لنا من غير عرفان وهمزة الاستفهام للانكار بمعنى لا ينبغي ان يكون هذه السجدة وقرا حمزة والكسائي يامرنا بالياء على معنى يامرنا محمد او يامرنا المسمى بالرحمن
ولا نعرف ما هو وزادهم ابا قوة بناء الخطاب اي لما تامرنا بالسجود له بالحق وزادهم اي الامر بالسجود للرحمن زادهم نفورا عن السجود او الايمان بالآمر والمامور
به من نفرت الدابة نفورا ونفارا اذا استعصت وهربت تبارك الذي جعل في السماء خلق او صنع فيها بروجا يجوز ان يراد بالبروج البروج الاثنا عشر
التي هي منازل الكواكب السبعة السيارة الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت وهي قصور السماء
على التشبيه وان يراد بها النجوم التي هي منازل القمر وان يراد عظام الكواكب سميت بروجا لظهورها وان يراد ابواب السماء لان النوازل تخرج منها واصل
التركيب للظهور وقيل اشتقاق البرج من التبرج لظهوره وتنكيرها للتفخيم كانه قيل بروجا اي بروج لا يوازيها ما عداها من البروج وجعل فيها سراجا يعني
الشمس كقوله وجعل الشمس سراجا يعني سراجا لا يوازيه سراج يبصر اهل الدنيا في ضوئه جميع ما يحتاجون الى ابصاره بخلاف غيرها من الكواكب والقمر وقرا حمزة
والكسائي سرجا وهي الشمس والكواكب الكبار معها وقمرا منيرا مضيئا بالليل وقرا الحسن والاعمش قمرا منيرا وهو جمع ليلة قمراء كانه قال وذا قمر منيرا لان الليالي
تكون قمرا بالقمر فاضاف اليها ونظيره في بقاء معنى حكم المضاف المحذوف وقيام المضاف اليه مقامه قول حسان بردى يصفق بالرحيق السلسل لان المعنى ماء
بردى ويجوز ان يكون القمر بمعنى القمر كالرشد والرشد والعرب والعرب ولما كان الشمس من القمر واضوء منه واعلى منه مكانا وانه فابرة لا انها في السماء الرابعة
تفرع سبع سموات مشرقة بضوءها بخلاف القمر فانه اصغر منها بكثير في السماء الدنيا يستفيد النور منها قدمت عليه في الذكر وهو الذي جعل الليل والنهار
خلفة ذوي خلفة يخلف كل واحد منهما الآخر بان يقوم مقامه فيما ينبغي ان يعمل فيه او بان يعتقبان كقوله واختلاف الليل والنهار والخلفة
من خلف كالركبة من ركب وهي اسم للحالة التي يخلفان عليها كل واحد منهما الآخر تعالى خلف فلان فلانا اذا جاء خلفه خلفا وخلفه ومنها
خلفة الشجر وهي ثمر يخرج بعد الثمر الكبير وقال مجاهد اي جعل كل واحد منهما مخالفا لصاحبه فجعل هذا اسود وهذا ابيض والليل اسم
جنس وكذا النهار وقيل الليل اسم جمع واحده ليلة مثل تمر وتمرة والنهار لا يجمع كالعذاب والسراب وقدم عليه لانه سيسلخ منه ويزال ويكشف
عن مكانه لمن اراد ان يذكر ان يتذكر الاء الله ويتفكر في صنعه فيعلم ان لا بد لاختلافهما وانتقالهما من حال الى حال من ناقل عظيم القدرة
بليغ الحكمة والرحمة وقرا ابي بن كعب يتذكر بالاصل وقرا حمزة ومن خلف يذكر من ذكر بمعنى تذكر او اراد شكورا ان يشكر الله على النعم فيهما من
السكون بالليل والستر بظلامه عن العيون اذا اراد هربا من عدو او بياتا له او اختفاء ومن تصرف بالنهار والتقلب فيه في الحوائج والمكاسب
والله سبحانه لا فيهم ادليكونا وقتين للمتذكرين والشاكرين من فاته ورده في احدهما قام به في الآخر وعن شقيق جاء رجل الى عمر بن الخطاب فقال
فاتتني الصلوة الليلة قال ادرك ما فاتك من ليلتك في نهارك فان الله تعالى جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر وعن الحسن من فاته

من التذكر والشكر بالنهار كان له في الليل مستعتب ومن فاته بالليل كان له في النهار مستعتب وعباد الرحمن مبتدأ خبره اسم الاشارة في آخر السورة كانه قيل
وعباد الرحمن الذين هذه صفاتهم اولئك يجزون الغرفة او قوله الذين يمشون على الارض الفرق بين المشي والسعي ان المشي السير على القدم سريعا كان او
سريع والسعي العدو ومنه اذا نوديت الصلوة فاتوها وانتم تمشون ولا تاتوها وانتم تسعون واضافتهم الى الرحمن للتخصيص والتفضيل او لانهم الراسخون في عبادته
على ان عباد جمع عابد كتاجر وتجار هونا حال اي هينين او صفة للمصدر المحذوف اي مشيا هينا وانما وضع المصدر موضع الصفة للمبالغة والهون
الرفق واللين ومنه قوله عليه السلام احبب حبيبك هونا ما وقوله المؤمنون هينون لينون والمثل اذا عز اخوك فهن اي اذا عاسر فياسر والمعنى انهم يمشون بسكينة وو
قار وتواضع لا يضربون باقدامهم ولا يخفقون بنعالهم اشرا قال الجوهري الاشر البطر وهو شدة المرح والمرح شدة الفرح والنشاط وبطرا ولذلك كره
بعض العلماء الركوب في الاسواق ولقوله ويمشون في الاسواق واذا خاطبهم الجاهلون اي كل ذي جهل من السفه وقلة الادب وسوء الرعة من قول الا لا
يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا قالوا سلاما تسلما منكم لا نجاهلكم ومتاركة لكم لا خير بيننا ولا شر اي نتسلم منكم تسلما فاقيم السلام مقام
التسلم او سدادا من القول يسلمون فيه من الايذاء والاثم ولا حاجة الى ما قال ابو العالية من انها منسوخة باية القتال لانها لا تنافيه فان المراد هو الا
غضاء عن السفهاء والحلم عنهم وترك مكافاتهم بمثل سفههم والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما في الصلوة والبيتوتة خلاف الظلول وهو ان يدركك
الليل نمت او لم تنم وقالوا من قرا شيئا من القراة في صلوة وان قل فقد بات ساجدا وقائما وقيل هما الركعتان بعد المغرب والركعتان بعد العشاء
والظاهر انه وصف لهم باحياء الليل او اكثره يقال فلان يظل صائما ويبيت قائما وفي تخصيص البيتوتة شهادة لهم بالفضل والخيرة وارشاد الغير لهم الى
طريق اكتسابهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل الصلوة بعد الفريضة صلوة الليل وقال ايضا مازال جبرائيل يوصيني بقيام الليل حتى ظننت
ان خيار امتي لا ينامون على ان العبادة بالليل احمز واوفق لما يراد من الخشوع والاخلاص وابعد من الزلل والرياء وعن ابن عباس من صلى بعد العشاء
الاخرة ركعتين او اكثر فقد بات لله ساجدا وقائما وقياما جمع قائم او مصدر جرى مجراه وتاخيره لمراعاة الفاصلة اي الميم مع الالف والذين يقولون ربنا
اصرف عنا عذاب جهنم اي رده عنا من صرفه عنه اذا رده عنه ان عذابها كان غراما هلاكا وخسرانا ملحا لازما قال يوم النسار ويوم الجفار كانا
عذابا وكانا غراما وقال ان يعاقب يكن غراما وان يعط جزيلا فانه لا يبالي ومنه الغريم للحاحه وملازمته وفيه اعلام بانهم مع حسن معاملتهم مع الخلق
واجتهادهم في عبادة الحق خائفون من العذاب مبتهلون الى الله في صرفه عنهم لعدم اعتدادهم باعمالهم ووثوقهم باستمرار احوالهم
انها ساءت مستقرا ومقاما ساءت في حكم بئست وفيها ضمير مبهم يفسره المميز والمخصوص بالذم ضمير محذوف به ربط الجملة باسم ان وجعلها خبرا له تقديره ساءت
مستقرا ومقاما هي ويجوز ان يكون ساءت بمعنى احزنت وفيها ضمير اسم ان ومستقرا حال او تمييز والجملة تعليل للعلة الاولى او تعليل ثان وكلاهما يحتمل
ان يكونا من كلام الله وحكاية لقولهم والذين اذا انفقوا لم يسرفوا لم يجاوزوا حد النفقة اي قيل حد الكرم ولم يقتروا ولم يضيقوا في النفقة ووصفهم
بالقصد الذي هو بين الغلو والتقصير ومثله امر رسوله عليه السلام ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وقيل الاسراف الا
نفاق في المحارم والتقتير منع الواجب وقيل الاسراف الانفاق في المعاصي واما في القرب فلا اسراف وسمع رجل رجلا يقول لا خير في الاسراف
فقال لا اسراف في الخير وقرا نافع وابن عامر وابو جعفر يقتروا بضم الياء وكسر التاء من الاقتار والكوفيون يقتروا بفتح الياء وضم التاء والباقون
بفتح الياء وكسر التاء وقرئ يقتروا بتشديد التاء والكل بمعنى واحد وهو التضييق المناقض للاسراف وكان بين ذلك قواما اي بين الاسراف والاقتار
عدلا سمي به لاستقامة الطرفين واعتدالهما كما سمي سواء لاستوائهما وقرئ قواما بالكسر وهو ما يقام به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص وهو خبر
ثان او حال مؤكدة او مستقر ويجوز ان يكون قواما خبرا وبين ذلك لغوا وقال الفراء هو اسم كان على انه مبني لاضافته الى غير متمكن وهو ضعيف لانه
بمعنى القوام فيكون كالاخبار بالشيء عن نفسه وعن عمر بن عبد العزيز انه شكر عبد العزيز بن مروان حين تزوج ابنته واحسن اليه فقال وصلت الرحم وفعلت
وصنعت وجاء بكلام حسن فقال ابن لعبد الملك انما هو كلام اعده لهذا المقام فسكت عبد الملك ~~بين السيئتين فعرف عبد الملك~~ فلما كان بعد ايام دخل
عليه والابن حاضر فسأله عن نفقته واحواله فقال الحسنة بين السيئتين فعرف عبد الملك انه اراد ما في هذه الاية فقال لابنه يا بني اهذا ايضا مما اعده
وقيل اولئك اصحاب رسول الله صلعم كانوا لا ياكلون طعاما للتنعم واللذة ولا يلبسون ثوبا للجمال والزينة لكن وكانوا ياكلون ما يسد جوعتهم
ويعينهم على عبادة ربهم ويلبسون ما يستر عوراتهم ويكنهم من الحر والقر وقال عمر رضي الله عنه كفى سرفا ان لا يشتهي رجل شيئا الا اشتراه فاكله ///

والذين

والذين لا يدعون مع الله الها اخر اي لا يجعلون مع الله الها اخر كقوله ولا تجعلوا مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله اي حرمها بمعنى حرم
قتلها وقوله الا بالحق متعلق بهذا القتل المحذوف او بلا يقتلون ولا يزنون نفى هذه الكبائر عن الموصوفين بتلك الخصال العظيمة في الدين تعريضا للقريش وغيرهم
باضداده كانه قيل والذين برأهم الله وطهرهم مما انتم عليه وعن ابن مسعود قلت يا رسول الله اي الذنب اعظم قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك
قلت ثم اي قال ان تقتل ولدك خشية ان ياكل معك قلت ثم اي قال ان تزاني حليلة جارك فانزل الله تصديقه ومن يفعل ذلك اشارة الى ما ذكر من
الاشراك والقتل بغير الحق والزنا او الى كل واحد منها يلق اثاما جزاء الاثم او اثاما باضمار الجزاء وقرئ عند الله اياما اي شدائد يقال يوم ذو ايام اي صعب يضاعف
له العذاب يوم القيمة يضاعف له العقوبة لمضاعفة المعاقب عليه من الكفر والمعاصي ويخلد فيه مهانا قرا ابن عامر وابو بكر يضاعف ويخلد برفعهما على الاستيناف
في جواب من قال ما الاثام او على الحال وابن كثير وابو جعفر ويعقوب يضعف ويخلد بجزمهما مع تشديد العين في الاول فيكونان بدلين من يلق وابن عامر يضعف
بالرفع والتشديد وقرئ نضعف بالنون ومن ضرورته نصب العذاب وقرا زيد بن علي واليماني يضاعف له العذاب وقرئ تخلد بالتاء على الالتفات وتخلد
على البناء للمفعول مخففا ومثقلا من الاخلاد والتخليد وقرا ابن كثير وحفص فيه باشباع الهاء ويدل على ان مضاعفة العذاب بانضمام المعاصي مع الكفر
قوله الا من تاب وامن وعمل عملا صالحا اي الا من جمع بين التوبة والتصديق والعمل الصالح فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات بان يمحو معاصيهم بالتوبة
ويثبت مكانها طاعاتهم او يبدل لهم فيقبضه ~~ابتلاهم~~ بغير حق ضده وبالزنا بالشرك توحيدا وبالقتل بكل عقاب ثوابا وقيل يبدل ملكة المعصية في النفس بملكة
الطاعة وقرا ابن ابي عبلة يبدل من الابدال وكان الله غفورا بليغ المغفرة رحيما بليغ الرحمة والانعام ومن ثم يعفو عن السيئات ويثيب على
الحسنات ومن تاب عن المعاصي بتركها والندم عليها وعمل صالحا يدخل في العمل الصالح والطاعة فانه يتوب الى الله يرجع الى الله بذلك متابا
مرضيا عنده ماحيا للعقاب او محصلا للثواب او يتوب متابا الى الله الذي يحب التائبين او فانه يرجع الى الله والى ثوابه مرجعا حسنا
واي مرجع وهذا تعميم بعد تخصيص والذين لا يشهدون الزور اي لا يحضرون محاضر الكذب والباطل وقال قتادة مجالس الباطل وقال ابن الحنفية اللهو والغنا وقال مجاهد
اعياد المشركين وقيل لا يحضرون محاضر الكذابين ومجالس الخطائين ولا يقربون منها لان مشاهدة الباطل شركة فيه ولا يشهدون شهادة الزور فلا يقيمونها فحذف المضاف
واقيم المضاف اليه مقامه وقال الضحاك يعني الشرك وقيل النوح وقيل الكذب واذا مروا باللغو بكل ما ينبغي ان يلقى ويطرح والمعنى واذا مروا باهل اللغو المشتغلين به
مروا كراما مروا معرضين عنهم مكرمين انفسهم عن الوقوف عليه والخوض فيه كقوله واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم الاية ومن ذلك الاغضاء
عن الفواحش والصفح عن الذنوب والكناية عما يستهجن التصريح به وعن الحسن لم تسفههم المعاصي وقيل اذا سمعوا من الكفار الشتم والاذى اعرضوا وصفحوا وقيل اذا
ذكروا النكاح كنوا عنه وعن السدي هو منسوخ باية القتال والذين اذا ذكروا بايات ربهم اذا وعظوا بايات ربهم او ذكروا بها تلاوة لم يخروا عليها صما وعميانا التي متوجه
الى الحال وهو الصم والعمى الى الفعل فان علماء البيان قد تقرر عندهم ان النفي اذا دخل على كلام فيه قيد توجه الى القيد خاصة وافاد ثبوت اصل الفعل مثلا معنى لم
يأتك القوم اجمعون نفي شموله والاجتماع لا نفي الاتيان ومعنى ما ضربته تاديبا نفي للتاديب لا للضرب ومعنى ما سرت راكبا نفي للركوب لا للسير والمعنى انهم اذا ذكروا بها
اكبوا عليها سامعين باذان واعية ناظرين بعيون باصرة كلما ذكروا باية ازدادوا بها ايمانهم لا كالذين يذكرون بها ويكبون عليها غير واعين لها ولا متبصرين فيما
فيها كالذي لا يسمع ولا يبصر وقيل الهاوي للمعاصي المدلول عليها باللغو هو خطاء ما فيه مزية على ما لا يخفى لقبحه وقيل اذا وعظوا بايات ربهم اكبوا على المعاصي ساهين
لحزنه والصم جمع الاصم والعميان جمع الاعمى والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين اخبار عنهم بانهم دعوا ربهم ان يرزقهم ازواجا واعقابا
عاملين للطاعات تاركين للمنكرات يسر بهم قلوبهم وتقر بهم عيونهم اذ لا شيء اقر لعين المؤمن من ان يرى اهله في تقوى الله وطاعته وعن ابن عباس هو الولد اذا راه
يكتب الفقه وقيل سالوا ان يلحق الله بهم ازواجهم وذرياتهم في الجنة ليتم لهم سرورهم ومن ابتدائية بمعنى هب لنا من جهتهم ما تقر به عيوننا من طاعة وصلاح او
بيانية كانه قيل هب لنا قرة اعين ثم بينت القرة بقوله من ازواجنا وذرياتنا والمعنى اجعلهم لنا قرة اعين ونظيره قولهم رايت منك اسدا اي انت اسد وقرا نافع
وابن عامر وحفص وابن كثير وابو جعفر ويعقوب وذرياتنا بالجمع تناسبا لما عطف عليه في صيغة الجمع وابو عمرو وحمزة والكسائي وابو بكر وذريتنا بالتوحيد وذرية الرجل
اولاده تقع على الواحد كما في قوله هب لي من لدنك ذرية طيبة بدليل قوله فهب لي من لدنك وليا يرثني وعلى الجمع بدليل قوله ذرية ضعافا خافوا عليهم فلما
دلت على الجمع بلفظها استغني عن جمعها واما في حديث عمر رضي الله عنه فجمع الذرية فاراد بها النساء وتنكير اعين لاجل تنكير القرة لانه لا سبيل الى تنكير المضاف
الا بتنكير المضاف اليه كانه قيل هب لنا منهم سرورا وفرحا وتقليلها لان المراد اعين المتقين وهي قليلة بالاضافة الى عيون غيرهم قال الله تعالى وقليل من عبادي الشكور

قوله اذا كان اثاما بمعنى جزاء الاثم فلا اضمار وان كان الاثم فالمضاف محذوف بمعنى الاثم صح

بغير حق قوة وبالزنا تعففا وبالسم [illegible] صح

ويجوز ان يكون يقال في تنكيرها انها اعين خاصة وهي اعين المتقين واجعلنا للمتقين اماما يقتدون بنا في امر الدين وتوحيده لدلالته على الجنس
وعدم اللبس كقوله ثم يخرجكم طفلا اولانه مصدر في اصله ولان المراد اجعل كل واحد منا اماما او اجعلنا اماما واحدا لاتحاد طريقتنا واتفاق كلمتنا
ويجوز ان يكون جمع ام كصايم وصيام ومعناه قاصدين لهم مقتدين يقتدون بعضهم في الاية ما يدل على ان الرياسة في الدين يجب ان يطلب ويرغب فيها
وقيل نزلت هذه الاية في العشرة المبشرين بالجنة اولئك يجزون الغرفة اعلى موضع الجنة والغرفة اسم جنس اريد به الجمع بدليل قوله وهم في الغرفات
آمنون وقرا حمزة وهم في الغرفة على ارادة الجنس وقيل هي من اسماء الجنة وقرا ابي بن كعب اولئك يجزون بما صبروا بصبرهم على فعل الطاعات وترك
المنكرات ومفارقة اوطانهم وعشايرهم وعلى غيرها من تجرع الغصص واحتمال البلايا ويلقون فيها تحية وسلاما التحية دعاء بالتعمير
والسلام دعاء بالسلامة يعني ان الملائكة يحيونهم ويسلمون عليهم او يحيي بعضهم بعضا ويسلم عليه او يعطون التبقية والتخليد مع السلامة من كل
آفة اللهم احشرنا في زمرتهم واحلنا دار المقامة معهم بمحمد نبيك وعترته اجمعين وقرا حمزة والكسائي وابو بكر وخلف يلقون كقوله فسوف يلقون غيا
من لقي كذا اذا صادفه والباقون بتشديد القاف مع ضم الياء كقوله ولقاهم نضرة وسرورا خالدين فيها مقدرين الخلود فيها لا يموتون ولا
يخرجون منها حسنت مستقرا ومقاما مقابل ساءت مستقرا معنى ومماثله اعرابا فيستعمل استعمال المدح كما ان ساءت يستعمل استعمال الذم اعني
بئست قل ما يعبأ بكم ربي ما يعتد بكم وما تكونون عنده شيئا يبالي به او ما يصنع بكم لولا دعاؤكم اي لولا عبادتكم فان الانسان لا يكترث ولا
يعتد به الا لعبادة ربه لا لمعنى آخر فانه لولاها لكان شر الدواب عند الله وقيل ما يصنع بكم ربي لولا دعاؤه اياكم الى الاسلام وقيل ما يصنع
بعذابكم لولا دعاؤكم معه آلهة وما ان كانت استفهامية فمحلها النصب على المصدر اي اي عبء يعبأ بكم وقال الزجاج وتأويله اي وزن يكون
لكم عنده فقد كذبتم بما اخبرتكم به حيث خالفتموه والفاء فصيحة وقعت في جواب شرط محذوف وذهب اليه الزمخشري حيث قال يقول اذا اعلمتكم ان
حكمي اني لا اعتد بعبادي الا لعبادتهم فقد خالفتم بتكذيبكم حكمي فقد فسر كذبتم به وقيل فقد قصرتم في العبادة من قولهم كذب القتال اذا لم يجتهد فيه
ولم يبالغ وفي كلا التفسيرين نظر لمخالفة الظاهر من غير ضرورة والاولى ان يقال ان التخفيف نحو فسقه وخطاه مثلا بمعنى كذبتم ما اخبرتكم به او حكمي
اي جعلتموه كاذبا بمعنى وصفتموه به واعتقدتموه كذلك او للتكثير اي الزيادة في الكلمة من جهة كثرة الفاعلين كقولك برك النعم وتفتق الشاء
مثلا يعني كثر كذبكم وقرئ فقد كذب الكافرون منكم لان توجه الخطاب الى الناس على الاطلاق بما وجد في جنسهم من العبادة
والتكذيب فسوف يكون لزاما قالوا في سوف دلالة على زيادة تنفيس وتوسيع ومنه التسويف في قوله عليه السلام التسويف شعار الشيطان يلقيه
في قلوب المؤمنين ويروى شعاع الشيطان والمعنى وسوف يكون اثر تكذيبكم لازما بكم حتى يكبكم في النار او جزاؤه لازما بكم لم يكن منه بد لما جاء اجله
وعن مجاهد هو القتل يوم بدر روي انه لوزم بين القتلى وقال ابن عباس موتا وقال ابو عبيدة هلاكا وقرئ لزاما بفتح اللام بمعنى اللزوم كالثبات
والثبوت وانما اضمر اسم كان ولم يظهر بعد ما علم انه مما توعد به لانه في صفة الجزاء المكذبين فحمل باضماره على انه شيء لا يكتنهه النعت ولا
يحيط به الوصف وان لزومهم لا يفارقهم حتى يلج الجمل في سم الخياط والله اعلم بالصواب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة
الفرقان لقي الله يوم القيمة وهو مؤمن بان الساعة آتية لا ريب فيها وادخل الجنة بغير نصب

سورة الشعراء مكية الا قوله والشعراء يتبعهم الغاوون الى آخرها وهي مايتان وست وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم طسم اتفقت كلمة الجمهور منهم
سيبويه على ان طسم وساير الفواتح اسماء للسور ها بتنبيها بها على ان القران ما هو الا كلمات عربية معروفة التركيب من مسميات هذه الالفاظ وقيل
انها اسماء الله تعالى وقيل انها اسماء القران العظيم ولذلك اخبر عنها بالكتاب والقران وقيل انها اسماء للحروف المعجم وردت على سبيل التحدي
والتنبيه على الاعجاز وقال كثير من الاكابر انها اسرار استاثر الله بعلمها وكانهم قالوا الله اعلم فقيل انها اسرار بين الله ورسوله ورموز لم يرد
بها افهام غيره اذ يبعد الخطاب بما لا يفيد فان جعلت اسماء الله والقران او السور كانت معربة بالرفع على الابتداء او الخبر او بالنصب باضمار
اقرا او بحذف حرف القسم كقولهم الله لافعلن او بالجر باضمار حرف القسم لا بحذفه فقد جاء عنهم الله لافعلن مجرورا ويؤيده ما روي عن
ابن عباس انه قال اقسم الله بهذه الحروف وان جعلت ابعاض كلمات او اصواتا منزلة منزلة حروف التنبيه لم يكن لها محل من الاعراب وقرا
حمزة والكسائي وابو بكر وخلف طسم بامالة الطاء وفيها اشعار بانها اسم للحروف التي لا يجوز امالتها مثل ما ولا والباقون بفتحها وعن

نافع

للتعدية

بين بين كراهة العود الى الياء المهروب منها واظهر نونه سين عند الميم حمزة وابو جعفر لانه في الاصل منفصل عما بعده وكذا في القصص تلك آيات الكتاب
المبين اعلم ان في تلك ثلث كلمات التاء وهو اسم الاشارة كذا في اخواته واللام وهو حرف يدل على بعد المشار اليه والكاف وهو حرف الخطاب والمخاطب
هو رسول الله صلى الله عليه وسلم والمشار اليه آيات السورة والكتاب المبين السورة والقران واللوح المحفوظ اي تلك الايات التي انزلت اليك
في هذه السورة آيات السورة الظاهر اعجازها في اعجاز العرب وتبكيتهم او التي تبين للناظرين ما احاطت به من العلوم والحكم والشرايع وانها من
عند الله لا من عند غيره او الواضحة التي لا تشتبه على العرب معانيها لنزولها بلسانهم او تلك آيات الكامل في كونه كتابا مبينا وقيل واعلم ان آيات
هذا المؤلف من الحروف المبسوطة تلك آيات الكتاب المبين فلا في تكرير الايات تطول ولا يعجبني ولو خففها احد الطرفين لعلك باخع نفسك
قاتل نفسك غما من بخع نفسه اذا قتلها غيظا وغما قال ذو الرمة الا ايهذا الباخع الوجد نفسه بشيء نحته عن يديك المقادير وقال الزمخشري
وغيره البخع ان يبلغ بالذبح النخاع بالباء وهو عرق مستبطن الفقار وذلك اقصى حد الذابح وقرا قتادة باخع نفسك بالاضافة ولعل للاشفاق
اي اشفق على نفسك ان تقتلها غما وحسرة على ما فاتك من اسلام قومك الا يكونوا مؤمنين لئلا يؤمنوا بل والامتناع ايمانهم او خيفة ان لا يؤمنوا
ان نشا ننزل عليهم من السماء آية دلالة ملجئة الى الايمان او بلية قاسرة عليهم فظلت اعناقهم لها خاضعين الظلول بمعنى الصيرورة كما يستعمل اكثر
الافعال الناقصة بمعناها اي فصارت رقابهم لتلك الآية منقادين واصله فظلوا لها خاضعين فاقحم الاعناق لبيان موضع الخضوع وترك الخبر
على اصله كقولهم ذهبت اهل اليمامة كان الاهل غير مذكور او لما وصف الاعناق بالخضوع الذي هو صفة العقلاء اجريت مجراهم فقيل خاضعين كقوله
تعالى حكاية عن يوسف رايتهم لي ساجدين وقيل المراد بها الرؤس واشتبهوا بالاعناق كما قيل لهم الرؤس والنواصي والصدور قال في محفل من نواصي
الناس مشهود وقيل جماعات الناس من قولهم جاءنا عنق من الناس لفوج منهم وقرا ابن عبلة خاضعة وعن ابن عباس نزلت هذه الآيات فينا وفي بني
امية قال ستكون لنا عليهم الدولة فتذل لنا اعناقهم بعد صعوبة ويلحقهم هوان بعد عزة والفاء لعطف الجملة على الجواب الذي هو ننزل لانه لو قيل انزلنا
بدل ننزل لصح ونظيره فاصدق واكن كانه قيل اصدق وقد قرئ لو شئنا لانزلنا وقرئ فتظل اعناقهم وما ياتيهم من ذكر من موعظة وتذكير بتنبيههم عن سنة
الغفلة والجهالة او طايفة من القران وما ياتيهم حكاية حال ماضية مستمرة لان ما للحال يدخل مضارعا بمعنى الحال او ماضيا قريبا منه وما مزيدة في المرفوع
كما في قولك ما جاءني من احد وفايدتها التوكيد لمعنى النفي اذ لا فرق معنى بين ما جاءني من احد وبين ما جاءني احد لافادتهما جميعا معنى الاستغراق لان
الواقع في سياق النفي يفيد الاستغراق قطعا كما في المذكور او محتملا كما في ما جاءني رجل بدليل صحة قولهم ما جاءني رجل بل رجلان وتنكير الذكر للتناهي
والكمال كانه قيل من ذكر متناه كامل في بابه لان الذكر الذي ياتي من الرحمن لا يكون الا كذلك من الرحمن صفة لذكر او صلة لياتيهم محدث مجدد تنزيله
لتكرير التذكير وتنويع التقرير والتنبيه لعلهم يتعظون ويرجعون الا كانوا عنه معرضين نافرين عنه مشددين في اعراضهم والمعنى وما يجدد الله لهم بالذكر
وقتا فوقتا وما يحدث لهم الآية بعد الآية والسورة بعد السورة موعظة وتذكيرا الا جددوا اعراضا عنه وكفرا به واصرارا على ما هم عليه من التكذيب والاستهزاء
وتوسيط القلوب في الفاصلتين لمجرد الاهتمام لان الاهم في تعلق الخضوع هو الآية وفي تعلق الاعراض هو الذكر ورعاية الفاصلة لان فواصل الآي
على النون فقد كذبوا فقد نسبوا الذكر الذي هو اصدق الصدق واحق الاحق الى الكذب الذي هو محض الباطل بمعنى وصفوه به واعتقدوه كذلك او فقد
كذبوا بذلك الذكر وامعنوا فيه بحيث افضى بهم الى الاستهزاء المخبر به عنهم في قوله فسياتيهم عند ظهور الاسلام وعلو كلمته او اذا مسهم عذاب الله
يوم حلول الموت يضرب الملائكة وجوههم وادبارهم ذلك بانهم اتبعوا ما اسخط الله وكرهوا رضوانه ويوم بدر او يوم القيمة وهو وعيد وانذار لهم
انهم سيعلمون انباء ما كانوا به يستهزؤن اخبار الشيء الذي يتسخرون به واحواله الخافية عليهم من انه كان حقا او باطلا وكان حقيقا بان يصدق ويعظم
قدره او يكذب فيستحق امره واعلم ان قوله فقد كذبوا اما جزاء الشرط محذوف تقديره اذا كانوا اعرضوا عنه فقد كذبوا به او علة كان قايلا قال
كيف اعرضوا عنه وداموا عليه فقيل لانهم استمروا على تكذيبه واصروا عليه فان معنى فقد كذبوا فقد تمادوا على تكذيبهم وكان تكذيبهم له في آخر المدة
المتطاولة لكن ينبهم في اولها وذلك عند مشارفة هلاكهم بالعذاب او ظهور الاسلام وعلو كلمته والاستهزاء السخرية والاستخفاف اولم يروا
الى الارض تقريع لهم فرنظر الى عجايب الارض منهم او ممن ياتي منه الرؤية وتعجيب من شانها والواو لعطف على الجملة قبلها محققة او مقدرة يعني وقد
نظروا الى الارض عجيبها واحوالها البديعة او وقد انتهى علمهم اليها فان الرؤية ههنا اما بمعنى النظر والادراك بالقلب المضمن معنى الانتهاء وهكذا

تبخع نفسك

في كل موضع نكون موصولة بالحروف مرتين غير مرة ان الاستفهام عن انتفاء الفعل على سبيل الانكار يفيد ايجابه واثباته كم انبتنا فيها اخرجنا
كقوله فاخرجنا فيها بنات من كل زوج صنف كريم مرضي محمود كثير النفع فان الكريم صفة لكل ما يرضى ويحمد في بابه يقال وجه كريم اذا رضي
في حسنه وجماله وكتاب كريم مرضي في معانيه وفوائده وقال حتى شق الصفوف من كرمه اي من كونه مرضيا في شجاعته وباسه وهي اما مقيدة لما يتضمن الدلالة
على القدرة الكاملة او مبينة منبهة على انه ما انبت شيئا الا وله فايدة اما وحده او مع غيره وكل لاحاطة ازواج النبات على وجه التفصيل وكم لكثرتها
ومن مع ما في حيزها مميز كم بزيادة من لانه اذا وقع الفصل بفعل متعد بين كم وبين تمييزها وجب زيادة من فيه لئلا يلتبس بالمفعول وهي خبرية او
استفهامية مقدرة ومحلها النصب على المفعولية او الرفع بالابتداء على حذف العائد من الخبر تقديره كثيرا من كل صنف كريم من النبات انبتناه
ان في ذلك اي في انبات تلك الازواج او في كل واحد منها لاية لدلالة واضحة على صانعها وقدرته الباهرة وحكمته البالغة ورحمته الشاملة وما
كان اكثرهم مؤمنين موقنين بها متنبهين عليها او مصدقين بما يصدقه به كل مؤمن في علم الله وقضائه فمن ثم لا تنفعهم امثال هذه الايات العظام
وان ربك لهو العزيز البليغ العزة في الانتقام من الكفار الرحيم البليغ الرحمة فلذلك يفيض رحمته على هؤلاء ان تابوا وامنوا او الرحيم حيث امهلهم ولا يعاجلهم
بالانتقام والعقوبة وهو فصل مفيد اختصاص الله بكمال العزة والرحمة وانه لا يعدوه الى غيره ولا يتخطاه الى من سواه وفي اللام واسمية الجملة
وتعريف طرفيها تاكيدان لذلك ليتقرر في نفس رسول الله انه اذا كان هو العزيز لم يكن عزة في الانتقام من قريش وساير اعدائه الا له وجب ان لا يمكنهم
ولا [illegible] وان نادى ربك موسى اذ منصوب باضمار اذكر او ظرف لما بعده واقام المظهر مقام المضمر لزيادة التمكين وجعله متمكنا عند السامع ان
ايت اي ايت او بان ايت على انها مفسرة او مصدرية من اتى المكان اذا جاءه وحضره القوم الظالمين بالكفر واستعباد بني اسرائيل وذبح اولادهم
والقاء العداوة بينهم قوم فرعون نصب على الترحم والشتم كقوله تعالى حمالة الحطب او على انه بدل من الاول او عطف بيان له كان معنى القوم الظالمين
وترجمة قوم فرعون وكانهما لفظان مترادفان بايهما عبرت عنهم فهو صواب وقيل لعل الاقتصار على القوم المعلم بان فرعون كان اولى بذلك الا يتقون
كلام مستانف ابهم تعالى ارساله اليهم للانذار والتسجيل عليهم بالظلم تعجيبا لموسى من افراطهم في الظلم واجترائهم عليه وامنهم العواقب وقلة خشيتهم وحذرهم
من عذاب الله او حال من ضمير الظالمين اي يظلمون غير متقين الله وعقابه فادخلت همزة الانكار على الحال وقرئ بالتاء على طريقة الالتفات اليهم انكارا لهم
وغضبا عليهم والملتفت اليهم غيب اجروا مجرى الحاضرين في كلام المرسل اليهم لانه مبلغه اليهم وفيه حث على زيادة التقوى وقرئ بالياء وكسر النون
اجتزاء بها عن ياء الاضافة ويجوز ان يكون بمعنى الا يا ناس اتقون كقوله الا يا اسجدوا قال رب اني اخاف ان يكذبون استيناف كانه قيل ما
قال موسى لربه فقيل قال رب الى اخره وقرا الكوفيون وابن عامر ويعقوب اني اخاف بسكون الياء والباقون بفتحها ويضيق صدري ولا ينطلق
لساني قرا يعقوب بنصب الفعلين عطفا على يكذبون فيكونان من جملة ما خاف عليه على ان الخوف متعلق بتكذيبهم وبما هو بسببه من ضيق القلب
والحبسة في اللسان زايدة على ما كان به قيل انها زالت بدعوته وقيل بقيت منها بقية يسيرة والباقون برفعهما عطفا على خبر ان فيفيد ان فيه
امور ثلثة خوف التكذيب وضيق القلب وحبسة اللسان ولم يكن ذلك منه تعللا وتوقفا في تلقي امره بامر الله به بل التماسا لما يكون معونة
على تنفيذه وتبليغ رسالته وتمهيد العذر فيما التمسه وطلبه وهو قوله فارسل الى هرون فانه منه التماس من ربه ان يعضده باخيه حتى يتعاونا
على ذلك والمعنى اني خايف ضيق القلب غير منطلق اللسان فارسل الى هرون جبريل واجعله نبيا واشدد به عضدي واشركه في امري فرتب
هذا على تلك الامور الثلثة وقرا الاعرج ويضيق بالنصب ولا ينطلق بالرفع ولهم علي ذنب اي تبعة ذنب وهي قود قتل القبطي وقيل كان
خباز فرعون واسمه فاتون فحذف المضاف او سمي تبعة الذنب ذنبا كما سمي جزاء سيئة سيئة وسماه ذنبا على زعمهم وهذا اقتصار قصته المبسوطة في
مواضع وقالوا في قول القايل له علي الف مثلا على الاستعلاء ويراد به هو الوجوب لان الدين يعلوه ويركبه معنى والجملة اسمية عند البصريين وظرفية
عند الكوفيين والاخفش فاخاف ان يقتلون ان يقتلوني به قبل اداء الرسالة وهو ايضا ليس تعللا بل استدفاع للبلية المتوقعة كما ان ذاك الا
استمداد واستظهار في امر الدعوة ويدل عليه كلمة الردع والوعد بالكلاءة والرفع في قوله قال كلا فاذهبا باياتنا اجابة له الى الطلبتين بوعده
لدفع اللازم ردعه عن الخوف وضم اخيه اليه في الارسال وتغليب للحاضر على الغايب في خطاب فاذهبا لانه عطف على الفعل الذي يدل عليه كلا تقديره
ارتدع يا موسى عن خوف ان يقتلك قوم فرعون لقتلك القبطي الذي هو ذنب بزعمهم فاذهب انت والذي طلبته هرون برسالاتنا ومعجزاتنا

وانما

انبتنا او كثيرا من [illegible] وكم

وانما يجعل المعطوف عليه هو كلا لانه ليس اسم فعل بمعنى ارتدع بل حرف يفهم منه معنى الردع باتفاق ائمة اللغة انا معكم مستمعون لا ينفك علمنا وحفظنا وقدرتنا
عنكم بحال فنعلم ونسمع ما يجري بينكما وبينه فنحفظكما من شره وننصركما عليه كما ينبغي على عدوهما ويظهره عليه ويكسر شوكته عنه وقيل مثل نفسه تعالى بمن حضر مجادلة
قوم استماعا لما يجري بينهم وترقبا لامداد الاولياء منهم مبالغة في الوعد بالاعانة ولذلك تجوز بالاستماع الذي هو بمعنى الاصغاء للسمع الذي هو مطلق الادراك
للحروف والاصوات ويجوز ان يكون مستمعون خبرا ثانيا لان او يكون مستقرا ومعكم لغوا وقرا سعيد بن جبير انا معكما يعني موسى وهرون فاتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين
الرسول مشترك بين المرسل والرسالة وان اريد به المرسل لم يكن بد من تثنيته كما في قوله انا رسولا ربك وان اريد به الرسالة يكون مصدرا فيستوي في الوصف به الواحد
والتثنية والجمع ومن ثم افرده ههنا ولم يثن والشاهد في الرسول بمعنى الرسالة قوله لقد كذب الواشون ما فهت عندهم بسر ولا ارسلتهم برسول ويجوز ان يقال افرد
الرسول لما بينهما من الاتحاد والاتفاق على شرع واحد فكانهما رسول واحد او لانه اريد ان كل واحد منا واضافته الى رب العالمين للتفخيم والتعظيم ولا رسول
اجل واعظم من رسول رب كل شيء والمعنى اذا علمتما بالوحي انا معكم مستمعون فاتيا فرعون ولا تخافاه وان استعظماه وحقرتما عنه فقولا له هذا القول المبني عن
تحقيق الرسالة وعظمها ان ارسل معنا بني اسرائيل بمعنى ارسل لتضمن الرسول معنى الارسال المتضمن معنى القول ومعنى هذا الارسال التخلية والاطلاق كقولك ارسل
البازي يعني خلهم يذهبوا معنا الى فلسطين وكانت مسكنهما قال جواب لما المحذوف اي فاتياه فابلغاه ذلك فلما سمع فرعون قال الم نربك ويجوز ان يكون التقدير
فاتياه فابلغاه ذلك ثم بعد فماذا قال فيقع قوله قال الم نربك استينافا قال الم نربك فينا في منازلنا او في حجرنا وهو الذي بلفظ التربية والوليد [illegible]
انطلقا الى باب فرعون فلم يؤذن لهما سنة حتى قال البواب ان ههنا انسانا يزعم انه رسول رب العالمين فقال ايذن له لعلنا نضحك منه فاديا اليه الرسالة فعرف موسى
فقال الم نربك فينا وهمزة الاستفهام للانكار ادخلت الى كلمة النفي فافاد معنى اثبات التربية وتقريرها ولهذا عطف عليه ولبثت اعتبارا للمعنى وليدا طفلا سمي به لقرب
عهده من الولادة ولبثت فينا من عمرك سنين قيل مكث عندهم ثلثين سنة ثم خرج الى مدين عشر سنين ثم عاد اليهم يدعوهم الى الله ثلثين سنة ثم بقي بعد الغرق خمسين
وقيل وكز القبطي وهو ابن ثنتي عشرة سنة وفر منهم على اثرها وقرا عاصم ونافع وابن كثير ويعقوب وخلف ولبثت بالاظهار حيث وقع والباقون بالادغام وعن
ابي عمرو من عمرك بسكون الميم والسنين والحول بمعنى وجمعها سنون وسنوات وبوهم تقديم البيان على المبين لمراعات الفاصلة لان فواصل الاي على النون وفعلت فعلتك
التي فعلت الفعلة للمرة لانها كانت وكزة واحدة وعن الشعبي فعلتك بكسر الفاء وهي قتلة القبطي لانه قتله بالوكزة وهو ضرب من القتل عدد عليه او لا نعمته
من تربيته وتبليغه مبلغ الرجال ثم وبخه بقتل جبارة معظما اياه وحذف العايد الى الموصول غير عزيز في القراءة تقديره التي فعلتها وتكرير الفعل والخطاب
بمعنى اختصاص موسى بتلك الفعلة ليتقرر في نفسه انه اذا كان هو الفاعل لم تكن فعلته عند الا ذنبا كبيرا وضلالا مبينا كانه قال ما فعل تلك الفعلة الشنيعة
الا انت لا غيرك وقد ذهل الشعبي ان الفعلة ما فعلها الا الله على يدي موسى قال الله عز وجل من قايل فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن
الله رمى ولذلك قال وانت من الكافرين لم يقل وقد كفرت مع انه مطابق لقوله وفعلت والواو وانت كافر لان ذلك ابلغ من هذا لانه بكماله معدود في زمرة
الكافرين مشهور بانه من جملتهم او على انه من الكاملين في الكفر يعني من الكافرين بنعمتي حتى عمدت الى قتل خواصي ومن يكفرهم الان وقد افتريت عليه او جهل
امره لانه عليه كان يعاشرهم بالتقية فهو حال من احد الضميرين ويجوز ان يكون حكما مبتدا عليه بانه من الكافرين بنعمته لما عاد عليه بالمخالفة او بفرعون
والهيته او من الذين يكفرون في دينهم فقد كانت لهم الهة يعبدونها يشهد لذلك قوله تعالى ويذرك والهتك قال فعلتها اذا وانا من الضالين من الجاهلين
وقد قرا به ابن مسعود رضي الله عنه والمعنى من الفاعلين فعل اولي الجهل والسفه كقول يوسف لاخوته هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون او من
المخطئين لانه لم يتعمد قتله او الذاهلين عما يؤول اليه الوكز لانه اراد به التاديب او الناسين من قوله من تضل احداهما فتذكر احديهما الاخرى
واذا جواب وجزاء معا كما اذا قال لك شخص انا اتيك فتقول اذا اكرمك فقد اجبته بهذا الكلام وصيرت اكرامك جزاء له على اتيانه واما كلام موسى
وقد وقع جوابا لفرعون فكيف وقع جزاء اجيب بان قول فرعون وفعلت فعلتك فيه معنى انك جازيت نعمتي بما فعلت فقال له موسى نعم فعلتها مجا
زيا لك تسليما للقول لان نعمته كانت عنده جديرة بان يجازي بنحو ذلك الجزاء بوقوعها في الاية المنبئة عما مضى لفظا ومعنى يظهر ضعف ما قالوا ان ما
تعمل اذا من فعل مستقبل غير معتمد على شيء قبلها وكذب فرعون ودفع وصف الكفر عن نفسه وبرا ساحته بان وضع الضالين موضع الكافرين [illegible]
بمحل من رشح للنبوة عن تلك الصفة ففررت منكم لما خفتكم الخطاب لفرعون وملائه المؤتمرين بقتله لان الفرار والخوف كانا منهم اجمعين لا منه وحده
فوهب لي ربي حكما اي حكمة بين الناس بالحق او نبوة لان النبي ذو حكمة وذو حكم بينهم ونكره قصدا الى التعظيم او النوعية وان ذلك نوع من الحكم فاق

في الاخوة

به على كثير من الناس وانتظم به في سلك من ليسوا بضالين فاراد به ان بنوته في نفس فرعون ان الضلال الذي كان من زال وانقطع بذلك ما وبخه به عند راسا وبالكلية وقراءة
الخليل لما خفتكم بكسر اللام وقرا كما بفتح الحاء والكاف وعيسى بن عمر حكما بضمها وجعلني من المرسلين كالتقرير لذلك فانه من كان موهوبا له النبوة لم يحم حوالي شي
من الضلال فكيف اذا جمع بين النبوة والرسالة قال الله تعالى وكان رسولا نبيا وكان قيل رداوا لابن لكل ما وبخه به قدحا في نبوته ثم كر على ما عدده عليه من النعمة
ولم يصرح برده لانه صدقا غير قادح في دعواه بل نبه على انه كان في الحقيقة نعمة لكونه مسببا عنها فقال وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل اي تلك التربية
نعمة تمنها علي بها ظاهرا وهي في الحقيقة تعبيدك بني اسرائيل وقصدهم بذبح ابنائهم فانه السبب في وقوعي اليك وحصولي في تربيتك وقيل انه مقدر بهمزة الانكار
اي وتلك نعمة على وجه ان عبدت ومحل ان عبدت الرفع على انه خبر محذوف او بدل نعمة او النصب بحذف الباء كقولهم الله لافعلن ثم واختار موسي
قوم او الجر باضمارها وقيل تلك اشارة الى خصلة شنعاء مبهمة لا يدري ما هي الا بتفسيرها ومحل ان عبدت الرفع عطف بيان لها ونظيره قوله تعالى وقضينا
اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع والمعنى تعبيدك بني اسرائيل نعمة تمنها علي يقال من عليه نعمة اذا اعتدها عليه منة وانما كان قال انك تقدر على بما ليس
حريا بالاعتداد به من تعبيد بني اسرائيل الذي هو نعمة عندك الا ترى وتكرير الخطاب في قوله وتلك نعمة تمنها شاهد لصحة هذا الحصر وعن الزجاج ان محلها النصب
بنزع الخافض وهو اللام المعنى انما صارت نعمة علي لان عبدت بني اسرائيل اي لو لم تفعل ذلك لكفلني اهلي ولم يلقوني في اليم وانما افرد الخطاب في تمنها وعبدت لان المنة
والتعبيد كانا منه وحده وتعبيدهم تذليلهم واتخاذهم عبيدا يقال عبد الرجل واعبده اذا اتخذه عبدا قال غلام يعبدني قومي وقد كثرت فيهم بها باعرها شاؤها
عبدان وقرا الخليل وتلك النعمة بالنصب عطفا على مفعول به جعلني او باضمار اي وجعل نعمة ولما قال له جوابا انه ههنا يزعم انه رسول رب العالمين قال فرعون
له عند دخوله وما رب العالمين يعني اي شيء رب العالمين اعلم ان جمهور العلماء على ان ما الاستفهامية يطلب به اما شرح الاسم كقولنا ما الغضنفر واما
هية المسمى كقولنا ما الانسان اي ما حقيقته هذا اللفظ مثلها وما في سوال فرعون يحتمل ان يكون لشرح الاسم كانه قال ما معنى هذا الاسم طالبا ان يشرح وبين
مفهومه وان يكون لطلب الماهية كانه قال ما حقيقته مسمى هذا اللفظ طالبا ان يعلم حقيقته التي هو بها هو فاجابه بما هو من افعاله الخاصة ليعرفه انه لا يشبهه
شيء من الممكنات وانه حقيقته مخالفة لحقايقها لانه وصف بانه رب على الاطلاق والربوبية المطلقة يوجب الاستغناء عن جميع ما سواه اذ لو احتاج لكان ثم
رب اخر لاحتياجه اليه ولم يكن ربا على الاطلاق والمستغني عن الكل لا يكون ممكنا اذ رب اخر والاحتياج الى الرب واذا لم يكن ممكنا تعريفه بالذاتيات
بل بالوازم الخارجية من الاوصاف وقال السكاكي يسال بما عن الجنس تقول ما عندك اي اي اجناس الاشياء عندك ويندرج فيه السوال عن الماهية والحقيقة
نحو ما الكلمة اي اي اجناس الالفاظ هي او عن الوصف تقول ما زيد وجوابه الكريم مثلا وسوال فرعون اما عن الجنس كانه قال اي اجناس الاجسام هو وعلى هذا
جواب موسى بالوصف طمعا ان يسلك موسى في الجواب مع تسليك الحاضرين لو كانوا المسؤلون مكانه فلما سمع الجواب تعجب منه قوم الجهلة ثم استهزاء
بقوله ان رسولكم الذي ارسل اليكم وجنته بقوله لمجنون فقال رب السموات والارض وما بينهما اي رب كل شيء سواه من الاجسام والاعراض الكل
دلالة قاطعة على وجود صانعها وكونه موصوفا بصفات الجلال والكمال منزها عن سمات الحدوث وشوائب النقصان واحدا في ذاته كاملا
في صفاته فانه بديهة العقل جازمة قاضية بان الربوبية المطلقة لا تصلح الا لمن يكون كذلك لا لغيره ان كنتم موقنين ان لها ربا وخالقا وان كنتم
موقنين اليقين فاعلموا ذلك او ان كنتم من اهل الايقان في العلوم والايقان اتقان العلم بنفي الشك والشبهة عنه بالاستدلال وقيل انه كان يرجى منكم الايقان
الذي يؤدي اليه النظر الصحيح نفعكم هذا الجواب والا لم ينفع او ان كنتم موقنين شيئا قط فهذا اولى ما توقنون به لظهوره وانارة دليله وقيل ان كنتم
موقنين ان خلقها وقد عرفتم باظهر خواصه واثاره عادا امتنع تعريف الافراد الا بذكر الخواص والافعال اليه اشار بقوله ان كنتم موقنين اي ان كنتم موقنين
الاشياء محققين لها علمتم ان هذه الاجرام المحسوسة ممكنة تركبها وتعددها وتغير احوالها فلها مبدا واجب لذاته وذلك المبدا لا بد وان يكون
مبدا لساير الممكنات ما يمكن ان يحس بها وما لا يمكن والا لزم تعدد الواجب او استغناء بعض الممكنات عنه وكلاهما محال ثم ذلك الجواب لا يمكن تعريفه الا بلوازم
الخارجية لامتناع التعريف بنفسه وبما هو داخل فيه لاستحالة التركيب في ذاته قال لمن حوله الا تستمعون الاستفهام للانكار والتعجيب والاستماع الاصغاء الى شيء
انما يسمع فكانه قال انكم تستمعوا الجواب المنكر المقتضي منه العجب سالته عن حقيقته وهو يذكر افعاله او يزعم انه رب السموات وهي واجبة متحركة لذواتها كما هو
مذهب الدهرية او غير معلوم افتقارها الى مؤثر ويجوز ان يكون من سوء الكلام اذ قبله فكانه قال الا تعجبون ان تقبلوا جوابه والمراد بمن حوله اشراف قومه
قال ابن عباس كانوا خمسمائة رجل عليهم الاساور وكانت للملوك خاصة قال ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون اسئله عن شيء ويجيبني عن شيء اخر

ان اكثر منكم نبا

وبلغ

ويتكلم لا نفهم نعقله ولا نعرف صحته وكان يعني عنهم لم من لا يعتقد ما يعتقدونه ليس بعاقل والمجنون ذو جنون والجنون زوال عقل او فساده وقرا مجاهد
وابن يعمر ارسل معلوم قال ربكم ورب ابائكم الاولين عدولا الى ما لا يمكن ان يتوهم فيه مثله ويشك في افتقاره الى مصور حكيم ويكون اقرب الى الناظر
واوضح عند التامل فان اقرب المنظور فيه من العاقل نفسه ومن ولد منه قال رب المشرق والمغرب وما بينهما من ياتي بالشمس من المشرق كل يوم ويجريها
على مدار غير مدار يوم سابق حتى يبلغها الى المغرب على ترتيب به الخلق قال الزمخشري ثم خصص المشرق والمغرب لان طلوع الشمس من احد الخافقين وغروبها
في الاخر على تقدير مستقيم في فصول السنة وحساب مستو من اظهر ما استدل به ولظهوره انتقل الى الاحتجاج به خليل الله عن الاحتجاج بالاحياء والاماتة
على نمرود بن كنعان فبهت الذي كفر وقرئ رب المشارق والمغارب بالجمع فان لها في دورها ثلثمائة وستين مشرقا ومغربا تطلع كل يوم من مطلع وتغرب
من مغرب ومعنى ما بينهما في هذه القراءة ما بين الجنسين كما في قوله رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم تعقلون تفطنون لما اقول لكم او تعقلون شيئا فهذا
اولى ما تعقلونه او ان كنتم تعقلون على قضية عقولكم وان من كان رب المشرق والمغرب وما بينهما كان رب الاشياء الكائنات لعدم الاختصاص حتى لا
تنكروا ان الربوبية تكون حقا له لا لغيره وانما قال اولا ان كنتم موقنين واخرا ان كنتم تعقلون لان ادنى انصاف وعقل اذا نظر في السموات والا
لارض علم انها مصنوعة وان لا بد لها من صانع حكيم فامن بالله وافر بربوبيته فاذا نظر في خلق نفسه وتنقله من هيئة الى هيئة وحال الى حال من
وقت ميلاده الى وقت وفاته وفي خلق ابائه واحوالهم ازداد ايمانا ويقينا وانتفى عنه اللبس والشبهة فاذا نظر في الحوادث التي تتجدد في كل يوم و
حين كطلوع الشمس من مشرقها وغروبها في مغربها وتحريك السحاب في جو السماء ونزول الارزاق منه وحياة الارض بعد موتها وتصريف الرياح
في مهابها جنوبا وشمالا وقبولا ودبورا في احوالها حارة وباردة وعاصفة ولينة وعقيما ولواقح واختلاف الليل والنهار واعتقابهما ونحو ذلك مما يكون
بين المشرق والمغرب عقل واستحكم عقله وعلمه وخلص يقينه وقيل لاين اولا فلما راى شدة الشكيمة في العناد وقلة الاصغاء الى عرض
الحجج خاشنهم وعارض ان رسولكم لمجنون بقوله ان كنتم تعقلون قال لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين عدولا الى التهديد من المحاجة
بعد الانقطاع وهكذا ديدن المعاند المحجوج واستدل به على ادعائه الالهية وانكاره للصانع وان تعجبه بقوله الا تستمعون من نسبة الربوبية الى غيره و
لعله كان دهريا اعتقد ان من ملك قطرا او تولى امره استحق العبادة من اهله واللام في المسجونين للعهد اي لاجعلنك واحدا من عرفت حالهم في سجني وكان
من عادته ان يطرحهم في هوة عميقة لا يرى فيها نور ولا يسمع فيها حس الى ان يموتوا ولكن اجلع ابلغ من لاسجننك قال له موسى حين توعده بالسجن اولو جئتك
بشيء مبين الواو للحال دخلت عليها همزة الاستفهام بعد حذف الفعل اي انفعل ذلك ولو جئتك بشيء مبين صدق دعواي اي جائيا بالمعجزة فانها
الجامعة بين الدلالة على وجود الصانع وحكمته في الدلالة على صدق مدعي نبوته قال فات به فاتني به واحضره عندي اي ليتضح دعواك ويثبت
صدقك ان كنت من الصادقين في ان ذلك بينة او في دعواك اذ لا يدعي النبوة من حجته فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ظاهر امره في
ثعبانيته لا شيء يشبه الثعبان كما يكون الاشياء المذورة بالشعوذة والسحر واشتقاق الثعبان من ثعب الماء فانثعب اذا فجرته فانفجر واذا للفجاة
جاءت اي الظرف المكان او للوقت المجرد عن معنى الشرط ويلزم المبتدا بعد نحو قولك خرجت فاذا السبع واقف والعامل فيها اسم الفاعل كانك قلت خرجت ففي
السبع واقف او معنى المفاجاة كانك فاجات زمان السبع واقف وبه فسر قوله تعالى اذا هم يقنطون حيث قال ومعناه فاجاؤهم قنوطهم ونزع يده من
جيبه او من تحت ابطه فاذا هي بيضاء للناظرين الجار متعلق ببيضاء والمعنى فاذا هي بيضاء للنظارة ولا يكون كذلك الا اذا كان بياضها خارجا
عن العادة يجتمع الناس للنظر اليه كما يجتمع النظارة للعجائب روي ان فرعون لما ابصر الاية الاولى قال فهل غيرها فاخرج يده فقال له ما هذه
قال يدي فما فيها فادخلها في ابطه ثم اخرجها ولها شعاع يكاد يغشي الابصار ويسد الافق قال للملا حوله مستقرين حوله ظرف وقع
موقع الحال ان هذا الساحر عليم فائق في علم السحر بليغ فيه يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره فماذا تامرون من المؤامرة وهي المشاورة اي فماذا تشيرون
في ان يفعل او من الامر الذي هو ضد النهي جعل العبيد امرين وربهم مامورا لما استولى عليه من فرط الدهش والحيرة وقد بهره سلطان
المعجزة حتى ذل عن ذكر دعوى الالهية وحط عن منكبيه كبرياء الربوبية واستكان لاولئك البهائم الذين هم يزعمه عبيده وبلغ به الخوف ان
طفق يوامرهم ويعترف لهم بما حذره منه وتوقعه واحس به من جهة موسى وغلبته على ملكه وارضه وماذا منصوب لانه في معنى المصدر او مفعول به
من قولهم امرتك الخير قالوا ارجه واخاه اي اخر امرهما ومناظرتهما لوقت اجتماع السحرة وقيل احبسهما وقرا عاصم وحمزة ارجه بكسر الهاء وورش

الجن
ابن س

يجتمع

وخلف وقالون وابو جعفر ارجه بكسرها والمد وابن كثير وهشام ارجئه بكسر الجيم وفتح الهاء وبالهمزة الساكنة بينهما وابن ذكوان ارجئه بكسرها والهمزة
الساكنة ففيه خمس قراآت وكذلك في سورة الاعراف والهمزة والتخفيف لغتان بمعنى واحد يقال ارجأته وارجيته اذا اخرته وابعث في المداين حاشرين شرطا يحشرونه
السحرة يأتوك بكل سحار عليم اي بكل ساحر مثله في العلم والمهارة او بخير منه فعارضوا قوله ان هذا ساحر بقولهم بكل سحار وجاؤا بكلمة الاحاطة وصفة المبالغة
فيكشفوا لتطامنوا من نفسه وسيكونوا بعض قلقه وقرا الاعمش بكل ساحر وقرا ابن عامر والكسائي سحار بالامالة فجمع السحرة لميقات يوم معلوم لما وقت به من سا
عات يوم معين وهو وقت الضحى لانه الوقت الذي وقته موسى لهم يوم الزينة في قوله موعدكم يوم الزينة وان يحشر الناس ضحى روي عن ابن عباس قال وافق
ذلك يوم السبت في اول يوم النيروز والاضافة بمعنى من كخاتم فضة والميقات ما وقت به من زمان او مكان اي حد ومنه مواقيت الاحرام وهي الحدود التي لا
يتجاوزها من يريد مكة الا محرما وقرا الخليل وابن كثير بعض في جمع السحرة مبنيا للفاعل وهو فرعون وقيل للناس هل انتم مجتمعون فيه استبطاء لهم في الاجتماع
حثا على مبادرتهم اليه كقول الرجل لغلامه هل انت منطلق اذا اراد ان يحثه على مبادرته الى الانطلاق كانما يخيل له ان الناس قد انطلقوا وهو واقف ومنه قول تا
بط شرا هل انت باعث دينار لحاجتنا او عبد رب اخا عون بن مخراق يعني ابعث احدهما الينا سريعا ولا تبطئ به لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين
لعلنا نتبعهم في دينهم ان غلبوا موسى ولا نتبع في دينه وليس في غرضهم اتباع السحرة بل غرضهم الكلي ان لا يتبعوا موسى فساقوا الكلام مساق الكناية لانهم
اذا اتبعوهم لم يتبعوا موسى وقيل انما قالوا ذلك على سبيل الاستهزاء وارادوا بالسحرة موسى وهرون وقومهما فلما جاء السحرة قالوا لفرعون ائن لنا لاجرا
جعلا على الغلبة وتنكيره اما للتعظيم وللتكثير وينصر الاول قوله وانكم اذا لمن المقربين والفرق بينهما ان التعظيم يكون بحسب ارتفاع الشان وعلو المنزلة ويقابله
التحقير والتكثير يكون باعتبار العدد والكمية ويقابله التقليل وقرا ابو جعفر ان لنا بغير استفهام ان كنا نحن الغالبين لموسى قال نعم انكم لاجرا وانكم
اذا لمن المقربين عطف على محذوف قام مقام حرف الايجاب وزاد على الجواب تحريضا لهم وزيادة لتطييب انفسهم يعني اني لا اقتصر بكم على الاجر وحده وان
لكم مع الاجر ما يقل معه الاجر وهو التقريب والتعظيم فوعدهم الثواب والقربة عنده ان غلبوا فاذن في مكانه الذي يقتضيه من الجواب والجزاء وقرئ نعم بالكسر
والتعويض بالاذن في تقديم ما هم فاعلوه لا محالة توسلا به الى اظهار الحق قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون اي بعد ما قالوا له اما ان تلقي واما ان
نكون نحن الملقين ولم يرد به امرهم بالسحر والتمويه بل الاذن في تقديم ما هم فاعلوه لا محالة توسلا به الى اظهار الحق من باطلكم الذي لا ابالي به وحذف
العايد الى الموصول لرعاية الروي فالقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون اقسموا بعزة فرعون على ان الغلبة لهم لفرط اعتقاد
هم في انفسهم واتيانهم باقصى ما يمكن ان يؤتى به من السحر فالقى موسى عصاه فاذا هي تلقف تبتلع وقرا حفص تلقف وهما لغتان وقرا سعيد بن جبير
تلقم بالميم ما يافكون ما موصولة والعايد محذوف اي ما يقلبونه عن وجهه بسحرهم وتمويههم وتزويرهم فيخيلون في حبالهم وعصيهم انها حيات تسعى
او مصدرية اي افكهم سمى تلك الاشياء المافوكة افكا مبالغة كانها نفس الافك فالقي السحرة ساجدين اي فخروا سجدا لعلمهم بان مثله لا يتاتى بالسحر
قيل وفيه دليل على ان منتهى السحر تمويه وتزوير يخيل شيا لا حقيقة له وان السحر في كل فن نافع وانما يتمكن الحذور بالاتقان فيها كل ما قبلهم من
القاه وبين له على انهم حين راوا ما راوا لم يتمالكوا انفسهم كانهم اخذوا فطرحوا على وجوههم طرحا وانه تعالى القاهم بما خولهم من التوفيق قالوا امنا برب
العالمين حال ~~الترضيح~~ ودفع بافمار فهو قيل بدل منه الى بدل الاشتمال رب موسى وهرون عطف بيان لرب العالمين او ابدال للتوضيح ضح
ودفع للتوهم والاشعار على ان الموجب لايمانهم ما اجراه على ايديهما روي انهم قالوا ان يك ما جاء به موسى سحرا فلن تغلب فان يك من عند الله فلن
يخفى علينا فلما قذف عصاه فتلقفت ما اتوا به علموا انه من الله فامنوا وعن عكرمة اصبحوا سحرة وامسوا شهداء قال امنتم له اي لله او لموسى واللام
لتضمين الفعل معنى الاتباع وقرا حفص امنتم له على الاخبار اي فعلتم هذا الفعل الشنيع توبيخا لهم وتقريعا وقرا حمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم وروح عن
يعقوب بتحقيق الهمزة الثانية على الاصل والباقون ءامنتم بحرف الاستفهام ومعناه الانكار والاستبعاد قبل ان اذن لكم في الايمان انه لكبيركم الذي علمكم
السحر لعظيمكم في فنكم واعلمكم به او لاستاذكم وانتم تواطاتم على ما فعلتم اراد به التلبيس على قومه لئلا يعتقدوا ان منهم امنوا عن بصيرة وظهور حق
فلسوف تعلمون عاقبة ما فعلتم ووباله وهو تهديد بمجمل فصله بقوله لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف اليد اليمنى والرجل اليسرى ومن ابتدائية
كان القطع ابتدا من مخالف العضو وهي مع مجرورها في موقع النصب على الحال اي لاقطعنها مختلفات او المفعول له اي لاجل خلاف صدر منكم
ولاصلبنكم اجمعين قالوا انه فرعون اول من صلب قالوا لا ضير خبر لا محذوف اي لا ضرر علينا في ذلك بل لنا فيه اعظم لما يحصل لنا في الصبر

عليه لوم

عليه لوم الله من تكفير الخطايا والثواب العظيم او لا ضير علينا فيما توعدتنا به من القتل انا الى ربنا منقلبون لوجوب انقلابنا الى ربنا بشيء من اسباب الموت والقتل انفعها
وارجاها وانا ننقلب الى الله يوم الجزاء فيثيبنا على شدائد القطع والصلب او انا جميعا يعنون انفسهم وفرعون ننقلب الى الله فيحكم بيننا وانا لا محالة ميتون
منقلبون الى الله فما تقدر ان تفعل بنا الا ما لا بد لنا منه انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا من الكفر والمعاصي ان كنا لان كنا اول المؤمنين اول جماعة مؤمنين
من زماننا او من اتباع فرعون او من اهل المشهد والجملة في تعليل ثان لنفي الضير او تعليل لنفي العلة المتقدمة وقرئ ان كنا بالكسر على الشرط لهضم النفس وعدم
الثقة بالخاتمة او على طريقة المدل بامره المتحقق لصحته وهم كانوا متحققين انهم اول المؤمنين ونحوه قول العامل لمن يؤخر جعله ان كنت عملت لك فوفني
حقي ومنه قوله ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي مع علمه انهم لم يخرجوا الا لذلك واوحينا الى موسى ان اسر بعبادي بني اسرائيل فقد
دبر الله ان يتقدموا ويتبعهم فرعون وجنوده ويظهر سلطانه بنجاة المتقدمين وهلاك التابعين وذلك ان اقام بينهم سنين يدعوهم
الى الحق ويظهر لهم الآيات وقرا نافع وابن كثير وابو جعفر ان اسر بوصل الهمزة من سرى والباقون بقطعها وقرئ ان سر من السير وقرا نافع وابو جعفر
بعبادي بفتح الياء والباقون بسكونها انكم متبعون علة الامر بالاسراء اي اسر حتى اذا اتبعوكم مصبحين كانوا على اثركم ودخلوا البحر خلفكم
من طريق السحرة فاطبقه عليهم واهلكهم بالاغراق روي انه مات في تلك الليلة في كل بيت من بيوتهم ولد فاشتغلوا بموتاهم حتى خرج موسى بقومه وعن
ابن جريج اوحى الله اليه ان اجمع بني اسرائيل كل اربعة ابيات في بيت ثم اذبحوا اولاد الضان فاضربوا بدمائها على ابوابكم فاني سامر الملائكة ان لا يدخلوا بيتا
على بابه دم وسامرهم بقتل ابكار القبط واخبزوا خبزا فانه اسرع لكم ثم اسر بعبادي حتى ينتهي الى البحر فياتيك امري فلما اصبحوا قال فرعون هذا عمل موسى وقومه قتلوا
ابكارنا من انفسنا واموالنا فارسل فرعون في اثره الف الف وخمسمائة الف ملك مسور مع كل ملك الف وخرج فرعون في جمع عظيم وكانت مقدمته سبعمائة الف كل
رجل على حصان وعلى راسه بيضة وقرا الخليل بتشديد من الاتباع فارسل فرعون حين اخبر بسراهم في المداين حاشرين يحشرون العساكر ليتبعوهم والمداين
جمع مدينة فعيلة من مدن بالمكان اذا اقام به او مفعلة من دان بمعنى ملكت قيل كان له الف مدينة واثنا عشر الف قرية ان هؤلاء لشرذمة قليلون على ارادة
القول وعن ابن عباس خرج فرعون في الف الف حصان سوى الاناث فلذلك استقل قوم موسى وكانوا ستمائة الف وسبعين الفا وسماهم شرذمة قليلين والشرذمة
الطائفة القليلة ومنها ثوب شراذم للذي بلي وتقطع قطعا ذكرهم بالاسم الدال على القلة ثم جعلهم قليلا بالوصف ثم جمع القليل فجعل كل
حزب منهم قليلا واختار جمع السلامة الذي هو للقلة وقد يجمع القليل على اقلة وقلل ويجوز ان يريد بالقلة الذلة والقماءة ولا يريد قلة العدد
عن ابن مسعود كانوا ستمائة الف وسبعين الفا ولا يحصى عدد اصحاب فرعون وانهم لنا لغائظون لفاعلون ما يغيظنا ويضيق صدورنا ويقال
غاظه واغاظه وغيظه اذا اغضبه والغيظ والغضب واحد وقيل الغيظ غضب كامن للعاجز وقال الزمخشري والمعنى انهم لقلتهم لا يبالى بهم
ولا يتوقع غلبتهم وعلوهم ولكنهم يفعلون افعالا تغيظنا وتضيق صدورنا ونحن قوم من عادتنا التيقظ والحذر واستعمال الحزم في الامور فاذا
خرج خارج سارعنا الى حسم فساده وهذه معاذير اعتذر بها الى اهل المداين لئلا يظن به ما يكسر من قهره وسلطانه وانا لجميع حاذرون قرا الكوفيون
وابن ذكوان عن ابن عامر حاذرون بالالف والباقون حذرون بغيرها قيل هما لغتان بمعنى واحد يقال حذر يحذر وهو حذر وحاذر وقيل حذرون
خائفون وحاذرون مستعدون بالسلاح وغيره من آلة الحرب وقال الزجاج الحذر المتيقظ والحاذر المستعد والظاهر عندي ان كليهما من الحذر وهو الخوف
لكن الحذر ابلغ من الحاذر بالاتفاق لان الاول للثبات والثاني للتجدد وقرئ حادرون بالدال المهملة والحادر السمين القوي قال احب الصبي السود
من اجل امه وابغضهم من بغضها وهو حادر اي نحن اقوياء اشداء او تامة السلاح فان ذلك يوجب حدارة في اعضائهم فاخرجناهم بان خلقنا
داعية الخروج بهذا السبب فحملتهم عليه من جنات وعيون من بساتين كانت ممتدة على حافتي النيل وعيون انهار جارية وكنوز قيل اموال ظاهرة من
الذهب والفضة وعن مجاهد سماها كنوزا لانهم لم ينفقوا منها في طاعة الله وقيل كان لفرعون ثمانمائة الف غلام كل غلام على فرس عتيق في
عنق كل فرس طوق من ذهب ومقام كريم يعني المنازل الحسنة والمجالس البهية وعن الضحاك المنابر وقيل السرير في الحجال وقرا الاعرج ومقام
بضم الميم وفتح القاف اي الاقامة كذلك في محل النصب على اخرجناهم مثل ذلك الاخراج الذي وصفناه او الرفع على انه خبر مبتدا محذوف اي
الامر كذلك او الجر على انه وصف مقام اي مقام كريم مثل ذلك المقام الذي كان لهم واورثناها بني اسرائيل واعطينا تلك المساكن والاموال بني اسرائيل
وشبهت وصولها اليهم من غير كد وتعب وبقائها عليهم بالميراث الباقي على الورثة واصل الايراث التركة يقال اورثه مالا اذا تركه ميراثا فاتبعهم

فلحقوا مشرقين داخلين في وقت شروق الشمس وطلوعها يقال اشرق اذا دخل في وقت الشروق وقيل معناه ادركه قوم فرعون بموسى واصحابه في وقت شروق الشمس
وقرا الحسن وابو عمرو فاتبعوهم بهمزة الوصل فلما تراءى الجمعان تقاربا بحيث راى كل واحد منهما الآخر وكسر حمزة الراء من ترائى وفتحها الباقون وقرئ تراءت
الفيئتان والجمع الجماعة تسمية بالمصدر يقال رايت جمعا من الناس وجموعا ولما ظرف بمعنى حين وهو مضاف الى الجملة بعده والعامل فيه قوله قال اصحاب موسى اي
فقالوا وقت ترائي الجمعين انا لمدركون لملحقون وقرا عيسى والاعمش فلما ترى الجمعان بغير مد ولا همزة وقرئ تراءت وقرئ لمدركون بتشديد الدال وكسر الراء
من ادرك الشيء اذا تتابع ففنى اي لمتتابعون في الهلاك على ايديهم حتى لا يبقى منا احد ومنه قوله بل اداركه علمهم في الآخرة قال الحسن جهلوا علم الآخرة وفي معناه
الحماسة ابعد بني اي الذين تتابعوا ازجى للحيوة ام من الموت اجزع قال كلا لن يدركوكم فان الله وعدكم الخلاص ان معي ربي بالحفظ والنصر سيهدين
سيدلني على طريق النجاة من ادراكهم واضرارهم روي ان مؤمن آل فرعون كان بين يدي موسى فقال اين امرت فهذا البحر امامك وقد غشيك آل
فرعون قال امرت بالبحر ولعلي اؤمر بما اصنع فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر هو النيل وقيل بحر القلزم وقيل بحر من وراء مصر يقال له اساف
فانفلق اي فضرب فانفلق اي فانشق وصار فيه اثنا عشر طريقا لكل سبط طريق روي ان موسى قال عند ذلك يا من كان قبل كل شيء والمكون لكل شيء
والكائن بعد كل شيء والانفلاق مطاوع الفلق كالانشقاق والشق بناء ومعنى فكان كل فرق كل شق من الماء وقيل كل قطعة منه وفي الصحاح الفرق
الفلق من الشيء اذا انفلق ومنه الآية وقد قرا كل خلق والمعنى واحد كالطود العظيم كالجبل المنيف الثابت في مقره فدخلوا في شعابها كل سبط في شعب
وعن ابن جريج وعطاء بن السايب لما انتهى موسى الى البحر هاجت الريح البحر ترمي بموج كالجبال فقال يوشع يا كليم الله اين امرت فقد غشينا فرعون والبحر امامنا
قال موسى هاهنا فخاض يوشع الماء وجاز البحر ما يواري حافر دابته الماء وقال الذي يكتم ايمانه يا كليم الله اين امرت قال ههنا فكبح فرسه مثل ذلك فلم
يقدروا فجعل موسى لا يدري كيف يصنع بهم فاوحى الله اليه ان اضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق فاذا الرجل واقف على فرسه لم يبتل سرجه ولا لبده وازلفنا ابو
عبيدة وجمعنا ومنه ليلة المزدلفة اي ليلة الجمع وقيل ادنينا بعضهم من بعض وجمعناهم حتى لا ينجو احد وعن عطاء بن السايب ان جبرائيل كان بين بني اسرائيل وبين
وبين آل فرعون وكان يقول لبني اسرائيل ليلحق آخركم باولكم ويستقبل القبط فيقول لهم رويدكم يلحق آخركم وقرئ وازلقنا بالقاف اي اذللنا اقدامهم والمعنى اذ
هنا غرقهم كقوله ابعاد كنا عشيا وقد لكل عرشها وذباه ان ذلك باقوامها النعل ويحتمل ان يجعل الله طريقهم في البحر على خلاف جعل لبني اسرائيل يبسا
فيزلقهم فيه وقرا الحسن وزلفنا من زلف بمعنى ازلف وعبيد بن عمير وزلقنا بتشديد اللام فانجينا موسى ومن معه اجمعين من الكرب العظيم بحفظ البحر على تلك الهيئة
الى ان عبروا ثم اغرقنا الآخرين اهلكناهم بالاغراق واطباق البحر عليهم ان في ذلك اي في كل واحد من الانجاء والاغراق لآية لا توصف وقد عاينها الناس
وشاع امرها فيهم وما كان اكثرهم مؤمنين وما تنبه عليها اكثرهم اذ لم يؤمن بها احد ممن بقي في مصر من القبط وبنو اسرائيل بعد الانجاء وقد سالوا بقرة يعبدونها
واتخذوا العجل وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة وقيل لم يكن آمن من اهل مصر الا آسية امرأة فرعون وحزبيل المؤمن ومريم بنت ناموشى التي دلت على عظام
يوسف عليه السلام وان ربك لهو العزيز والمنتقم من اعدائه الرحيم البليغ الرحمة والانعام باوليائه واتل عليهم واتل على مشركي العرب نبا ابراهيم خبره اذ قال
لابيه وقومه ظرف للنبا او بدل منه ما تعبدون اي شيء تعبدون كان النبي عليه السلام قد علم قطعا انهم عبدة اصنام ولكنه سالهم ليريهم ان ما يعبدونه
لا يستحق العبادة من شيء قالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين اطالوا جوابهم ولم يقتصروا على زيادة نعبد وحده ابتهاجا بها وافتخارا بعبادتها
ونظل بمعنى نصير اي فنصير لعبادتها ملازمين غير زايدين عنها وقيل اي فنقيم على عبادتها وقيل انما قالوا فنظل لانهم كانوا يعبدونها بالنهار دون
الليل يقال ظل يفعل كذا اذا فعل بالنهار قال هل يسمعونكم اي يسمعون دعاءكم او يسمعونكم تدعون فحذف ذلك لدلالة اذ تدعون عليه وقرا قتادة
يسمعونكم اي هل يسمعونكم الجواب عن دعائكم ويقدرون على ذلك وقال اي يجيبونكم اذ تدعونهم وجاء مضارعا مع اذ على حكاية الحال الماضية
استحضارا لها فكانه قيل استحضروا الاحوال الماضية التي كنتم تدعونها فيها وقولوا هل سمعوا او اسمعوا قط وهذا ابلغ في التبكيت قالوا ان هل تخصص المضارع
بالاستقبال كالسين وليس ههنا واردا على حقيقته اذ لا معنى لاستفهام عن وقوع السمع في المستقبل لانه يعلم قطعا ان اصنامهم مما لا يسمع ولا ينفع
بل الغرض منه الانكار والتقريع والتوبيخ او ينفعونكم بعبادتكم لها في شيء من الاشياء او يضرون من تركها واعرض عنها قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون
اضربوا ان يكون لها سمع او نفع او ضر والتجوا الى تقليد آبائهم الجهال الضلال يعنون انها لا تسمع ولا تنفع ولا تضر ولكن وجدنا آباءنا لها عابدين فقلدناهم
في عبادتها قيل فيه ابطال التقليد في الدين قال افرايتم ما كنتم تعبدون انتم وآباؤكم الاقدمون الكائنة رؤية الاشياء اقوى سند الاخبار عنها

استعملوا

استعملوا الرأي في معنى اخبروا والفاء على معناها الذي هو التعقيب كانه قال اخبروا بقصة ما كنتم تعبدون من الاصنام واذكروا حديثه عقيب قولكم المنادي
بتقليد آبائكم الجهال وما موصولة او موصوفة تقديره الهة كنتم تعبدون وانما قال ما دون من ليصح من مع قول يسمعون ينفعون يضرون تحقيقا لها واد
دراء بشانها وانتم تاكيد للمستكن في تعبدون ليصح العطف عليه وقيل لما اجابوه بجواب المقلدين لآبائهم قال لهم رقوا امر تقليدكم هذا الى اقصى غاياته وهي
عبادة الاقدمين الاولين من آبائكم فان التقدم والاولية لا يكون برهانا على الصحة ولا ينقلب به الباطل حقا فانهم عدو لي يريد انهم اعداء لعبدتهم
حيث يتضررون من جهتهم واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا بعبادتهم كافرين ولان المغري على عبادتهم اعدى اعداء الناس وهو الشيطان وانما
صور الامر في نفسه تعريضا لهم فانه ادخل في النصح وانفع من التصريح وايذانا بانها نصيحة نصح بها نفسه اولا وبنى عليها تدبير امره ليقولوا ما نصحنا
ابراهيم الا بما نصح به نفسه وما اراد لنا الا ما اراد لروحه ليكون لهم ادعى الى القبول وابعث على الاستماع منه ولو قال فانهم عدو لكم لم يكن بتلك المثابة ومن
تصوير الامر في نفس القائل للتعريض قول الشافعي لرجل واجهه بشيء لو كنت انا بحيث انت لاحتجت الى ادب وقول من قال للناس يتحدثون في البحر
ما هو بي ولا بيتكم وتوحيد عدو لانه في الاصل مصدر او بارادة كل ما كنتم تعبدون عدو لي وجمع الضمير نظرا الى معنى ووحد عدو نظرا الى لفظ فان
لفظ ما مفرد وقال الفراء هو من المقلوب اراد فاني عدو لهم لان من عاديته عاداك الا رب العالمين منصوب على انه استثناء منقطع كانه قال لكن
رب العالمين او متصل على ان الضمير لكل معبود عبدوه قالوا كانوا يعبدون الله مع اوثانهم وقيل معناه الا من عبد رب العالمين الذي خلقني فهو
يهدين لا هو وحده فانه يهدي كل حيوان الى ما يصلحه ويعينه ويعرفه وجه الانتفاع به وهدايات الله تعالى للانسان في امور دينه ودنياه واغزيته
تمالا يعد ولا يحصى والفاء للسببية ان كان الموصول مبتدا او للعطف ان كان صفة رب العالمين فيكون اختلاف النظم لتقدم الخلق واستمرار
الهداية وقوله والذي هو يطعمني ويسقين مبتدا حذف خبره لدلالة ما قبله عليه وكذا اللذان بعده وتكرير الموصول على الوجهين للدلالة على ان كل
واحدة من الصلات مستقلة باقتضاء الحكم فاذا مرضت فهو يشفين عطف على يطعمني ويسقين لانه من روادفهما من حيث ان الصحة والمرض في الاغلب
يتبعان الماكول والمشروب ونسب المرض الى نفسه لان المرض ضرب من الشر واسناده الى الله سبحانه قبيح وان كان هو خالقه ونحوه قول الخضر فاردت
ان اعيبها ولان المقصود تعديد النعم والنقص باسناد الاماتة اليه فان الموت من حيث انه لا يحس به لا ضرر فيه وانما الضرر في مقدماته وهي المرض
ثم انه لاهل الكمال وصلة الى نيل المحاب التي يستحقر دونها الحيوة الدنيوية وخلاص من انواع المحن والبلية ولان المرض في الغالب يحدث بتفريط
الانسان في مطاعمه ومشاربه ونحو بين الاخلاط والاركان التنافي والتنافر والصحة تحصل غالبا باستحفاظ اجتماعها والاعتدال المخصوص عليها
فهو كذلك كله بتقدير العزيز الحكيم والمعنى اذا مرضت فلا يشفيني ولا يبريني من المرض الا هو وحده وتقديم الضمير مبتدا مبنيا عليه يشفين هو الدال على معنى
اختصاصه بالشفاء وقس عليه ما تقدم والذي يميتني في الدنيا والاماتة ايجاد الموت في الحيوة ثم يحيين في الآخرة والاحياء اعطاء الحيوة وهي صفة تقتضي
الحس والحركة وقرا يعقوب يهديني ويطعمني ويسقيني ويشفيني ثم يحييني باثبات الياء فيها وقرا طلحة والذي اخاف ان يحييني والذي اطمع ادعو ان
يغفر لي خطيئتي يوم الدين ان يعفو عن ذنبي ويمحوه يوم الجزاء الذي يجزى فيه كل نفس بما كسبت وقرئ خطاياي قيل هي بعض الصغاير التي ندر
منه وقال مجاهد هي قوله اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم وقوله لسارة هي اختي وما هي الا معاريض كلام وتخييلات الكفرة وليست خطايا واستغفار
الانبياء تواضع منهم لربهم وهضم لانفسهم وتعليم لامتهم في اجتناب المعاصي والحذر منها وطلب المغفرة مما يفرط منهم وعلق مغفرة الخطيئة بيوم الدين
وانما يغفر في الدنيا لان اثرها يتبين يومئذ وهو الآن خفي وعن عايشة قلت يا رسول الله ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المساكين
فهل ذاك نافعه قال لا ينفعه انه لم يقل يوما رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين رب هب لي حكما كمالا في العلم احكم به بين الناس بالحق وقال ابن عباس
معرفة حدود الله واحكامه وقال مقاتل الفهم والعلم وقال الكلبي النبوة لان النبي ذو حكمة وذو حكم بين عباد الله والحقني بالصالحين ووفقني
لكمال في العمل انتظم به في سلك الكاملين في الصلاح ولقد اجابه حيث قال وانه في الآخرة لمن الصالحين واجعل لي لسان صدق في الآخرين جاها
ومحبة وحسن صيت في الامم التي تجيء بعدي الى يوم القيامة فانه ما من نبي من الانبياء الا وهم يتحرون به ويحبونه ويثنون عليه واجزاه بلا يد
بالثناء الحسن وعبر عنه باللسان تسمية للشيء باسم آلته اي واجعل قولا حسنا وذكرا جميلا فيهم وقيل صادقا من ذريتي يجدد اصل ديني ويدعو الناس
الى ما كنت ادعو اليه وهو محمد صلى الله عليه وسلم واجعلني من ورثة جنة النعيم ممن يتمتع بجنة النعيم عليهم ايقاع الموروث على الوارث والوارثة اقوى

لفظ مستعمل في التمليك والاستحقاق باعتبار انها لا تعقب بفسخ واستدراك ولا تبطل برد واسقاط وجنة النعيم من الزمرة قال ابن عباس رضي الله عنهما

واغفر لابي ووفقه الى ما يدركه به مغفرتك وعفوك وهو الهداية للايمان انه كان من الضالين طريق الحق والجمهور على انه قال هذا قبل ان يتبين له انه عدو لله

وقيل بانه كان هذا الدعاء بعد موته فلعله كان لظنه انه كان يخفي الايمان تقية من نمرود ولذلك وعده به اولانه لم يمنع بعد من الاستغفار للكفار ولا

تخزني ولا تفضحني ولا تهني بما يفضح به وبهانه وقيل بمعاتبتي على ما فرطت او بنقص رتبتي عن رتبة بعض الوارث او تنقص بني لخفاء العاقبة وجواز التعذيب

عقلا او تعذيب والدي او ببعثه في عداد الضالين والاخزاء من الخزي وهو الهوان او من الخزاية وهي الحياء ولا تخزني يوم يبعثون اي يبعث عباد كما في الفالوا

ويوم البعث يوم يبعث الله عباده من القبور بان يجمع اجزاءهم الاصلية ويعيد اليها الارواح يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم

لا ينفعان احدا الا من جاء ربه بقلب سالم عن امراض الشرك والنفاق اما ساير الذنوب فلا يسلم منه احد عند المحققين فقلب سليم هو قلب مؤمن اخلص

دينه لله وواطاه فيه قلبه سره غلبته في فعله قوله فان سلامة القلب وصحته عبارة عن ذلك كما ان مرض القلب عبارة عن نقايض ذلك قال انس قال

النبي صلعم ان الرجل لا يكون مؤمنا حتى يكون قلبه مع لسانه سواء ويكون لسانه مع قلبه سواء ولا يخالف قوله عمله وقيل لا ينفعان احدا الا مخلصا سليم

القلب عن الكفر وميل المعاصي وساير افاته او لا ينفعان الاموال من هذا شانه وبنوه حيث انفق ماله في سبيل البر وارشد بنيه الى الحق وحثهم على الخير

فقصد بهم ان يكونوا عبادا لله مطيعين شفعاء له يوم القيمة ويجوز ان يكون الاستثناء مما دل عليه المال والبنون فهو الغنى كانه قيل يوم لا ينفع

غنى الاغنى من اتى الله بقلب سليم وان يكون منقطعا والمعنى ولكن سلامة من اتى الله بقلب سليم ينفعه وفي هذا الوجه يؤول المعنى الى ان المال والبنين لا ينفعان

وانما ينفع سلامة القلب من آفات الكفر والنفاق وازلفت الجنة للمتقين اي وادنيت من المؤمنين المخلصين غير بعيد فيتبهجون بانهم المحشورون اليها وبرزت

الجحيم للغاوين وجعلت بارزة مكشوفة للكاملين في الغواية من طريق الحق فيندمون ويتحسرون على انهم المسوقون اليها قيل وفي اختلاف

الفعلين ترجيح لجانب الوعد وقرا مالك وبرزت الجحيم بالتخفيف وقرا الاعمش فبرزت بالفاء وفسره بقربت وقيل لهم توبيخا لهم على غوايتهم

واشراكهم اينما كنتم تعبدون من دون الله وقعت ما بحصر مفصولة باين في خط المصحف وكان حقها ان تتصل لانها موصولة بمعنى اين الالهة الذين

كنتم تعبدونه وقيل اين الهتكم الذين تزعمون انهم شفعاؤكم وهو غير سديد كما لا يخفى على من تصفح معنى اللفظ ... وفسره القراء في موضع

اخر بالاشراك حيث قال ثم قيل لهم اينما كنتم تشركون من دون الله ومن حق مفسر كتاب الله ان لا يخالف تفسيره هل ينصرونكم بنصرتهم لكم بان يدفع

العذاب عنكم او ينتصرون او هل ينفعون انفسهم بانتصارهم ودفعه عنها لانهم والهتهم حصب جهنم وقودها كما قال فكبكبوا فيها هم والغاوون

اي الهة الالهة وعبدتهم والكبكبة تكرير الكب لتكرير معناه كان من القي في جهنم ينكب مرة بعد مرة حتى يستقر في قعرها وقال ابن عباس فكبكبوا فيها

اي جمعوا في الجحيم وقال مجاهد فدهوروا ويقال دهورت الشيء اذا جمعته ثم قذفته في مهواة ويقال فلان دهور اللقم اذا كبرها عن رسول الله صلى

الله عليه وسلم ان اهل النار يعظمون حتى يصير ما بين شحمة اذن احدهم الى عاتقه مسيرة سبعة ايام وغلظ جلد احدهم اربعون ذراعا وضرسه اعظم من

جبل احد وفضيلة جسده على ضرسه كفضيلة جسد احدكم على ضرسه وقال مقاتل قذفوا وقال الزجاج طرح بعضهم على بعض وقال القتيبي القوا على رؤسهم

وقال الجوهري صرعوا وهم تاكيد للمتكن في كبكبوا وهو من التاكيد الذي لا يصح الكلام مع الاخلال به لامتناع العطف على ضمير هو في حكم بعض الفعل

فاما العطف ان الاصنام وعبدتهم جميعا ملقون في الجحيم على رؤسهم وجنود ابليس اجمعون اي وشياطينه وابليس او متبعوه من كفرة الانس

والجن وقيل من عصاتهم ليس كما ينبغي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهل الكباير من موحدي الامم كلهم الذين ماتوا على كبايرهم غير تائبين ولا

نادمين من دخل النار منهم من الباب الاول من جهنم لا تزرق عيونهم ولا تسود وجوههم ولا يقرنون بالشياطين ولا يغلون بالسلاسل ولا

يجرعون الحميم ولا يلبسون القطران منهم من تاخذه النار الى قدميه ومنهم الى ركبتيه والى حجزتهم والى عنقه على قدر ذنوبهم واعمالهم حرم الله اجسادهم

على الخلود من اجل التوحيد وصورهم على النار من اجل السجود ذكره صاحب الفردوس الكبير في باب الالف والجمعون تاكيد للجنود ان كان مبتدا خبره

ما بعده والا فالضمير وما عطف عليه وكذا الضمير المنفصل وما يعود اليه في قوله قالوا وهم فيها يختصمون تالله ان كنا لفي ضلال مبين على ان الله ينطق الاصنام

فتتقاول العبدة وتخاصمهم ويعد لخطاب في قوله اذ نسويكم نعدلكم برب العالمين في استحقاق العبادة ويجوز ان يكون الضماير للعبدة كما في قالوا

والخطاب للمبالغة في التحسر والندامة والمعنى انهم مع تخاصمهم في مقاولتهم معترفون بانهماكهم في الضلالة متحسرون عليها وان هي المخففة من الثقيلة

والام هي الفارقة بينها وبين النافية واذ منصوب بضلال وهو ظرف جرى مجرى التعليل من جهة ان الحكم منوط بما اضيف اليه ومرتب عليه وما اضلنا

الا المجرمون الكاملون في الاجرام والاثام وهم رؤساؤهم وكبراؤهم كقوله ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا وعن مقاتل هم الشياطين وعن السدي

الاولون الذين اقتدينا بهم وعن عكرمة وابن جريج وابي العالية ابليس وابن آدم القابيل لانه اول من سن القتل وانواع المعاصي فما لنا من شافعين

من الانبياء والملائكة وغيرهم كما يرى للمؤمنين شفعاء منهم ومن مزيدة لتاكيد النفي وفيه دليل من طريق المقابلة على ان الشفاعة يومئذ متحققة وقد قال

النبي صلعم ان الشهيد ليشفع في سبعين الفا من جيرانه حتى ان الجارين ليختصمان في قرب الجوار فيقول انا اقرب منك جوارا وقال عليه السلام في حديث كبير فاذا

بلغ المرء تسعين سنة غفر الله ذنبه ما تقدم منه وما تاخر وكان اسير الله في الارض وشفيعا لاهل بيته يوم القيمة ولا صديق حميم ولا خليل قريب شفيع لنا

لان الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين او لانهم القوا في تهلكة لا ينجيهم منها الشفعاء والاصدقاء اجمعون او فما لنا من شافعين ولا صديق حميم

من الذين كنا نعدهم شفعاء واصدقاء لانهم كانوا يعتقدون في اوثانهم انهم شفعاؤهم عند الله وكان لهم الاصدقاء من شياطين الانس والحميم من الاحتمام

وهو الاهتمام وهو الذي يهمه ما يهمك او من الحامة بمعنى الخاصة وهو الصديق الخاص وجمع الشافع ووحد الصديق لكثرة الشفعاء في العادة وقلة الصديق

ولان الصديق الواحد يسعى اكثر مما يسعى الشفعاء فان الصادق في مودتك الذي يهمه ما اهمك او لان الصديق مصدر كالعدو ونظيره الحنين والصهيل

فيستوي في الوصف به الواحد والجمع فلو ان لنا كرة لو للتمني كانه قيل ليت لنا كرة اي رجعة الى الدنيا وذلك لتلاقيهما في معنى التقدير او شرط حذف جوابه وهو

لفعلنا كيت وكيت فنكون من المؤمنين جواب التمني او عطف على كرة اي لو ان لنا ان نكر فنكون ان في ذلك فيما ذكر من قصة ابراهيم لاية لحجة وعظة لمن اراد ان يستبصر بها

ويعتبر لانها جاءت على انظم ترتيب واحسن تقرير يتفطن المتامل فيها لغزارة علمه لما فيها من الاشارة الى اصول العلوم الدينية والتنبيه على دلايلها وحسن

دعوته للقوم وحسن مخالفته معهم وكمال اشفاقه عليهم وتصوير الامر في نفسه واطلاق الوعد والوعيد في سبيل الحكاية تعريضا وايقاظا لهم ليكون ادعى لهم

الى الاستماع والقبول وما كان اكثرهم اكثر قومه مؤمنين مصدقين به او منتبهين عليها تنبه من يوقن وان ربك لهو العزيز الغالب القادر على الانتقام

من الكفار الرحيم بامهالهم لكي يؤمنوا هم او احد من ذريتهم كذبت نسبت الى الكذب قوم نوح المرسلين اعلم ان القوم مما يؤنث ويذكر اما التانيث فظاهر

واما التذكير فكقوله تعالى لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا فلم يقل لا تسخر بناء على التانيث وقوله وكذب به قومك وهو الحق وهو ما مصدر نعت به فساغ في

الجمع او جمع قايم كصوم وزور في جمع صايم وزاير واختصاصه بالرجال صرح في الاية المستشهد بها وفي قول زهير اقوم آل حصن ام نساء واما قوم نوح و

قوم لوط وغير ذلك مما فسر بالقبيلتين الذكور والاناث فاما على تغليب الرجال على النساء او على الاجتزاء بذكرهم عن ذكرهن لانهن توابع لهم والمراد بالمرسلين

نوح عليه السلام كقولهم فلان يلبس الثياب ويركب الدواب وما له الا ثوب ودابة وانما ذكره بلفظ الجمع تنبيها على ان من كذب واحدا من رسل الله فقد كذب الجميع

ويجوز ان يراد بالمرسلين نوح ومن معه من المؤمنين كما قيل الخبيبون في ابن الزبير واصحابه اذ قال لهم اخوهم نوح قيل اخوهم لانه كان منهم من قول العرب

يا اخا بني تميم مريدون يا واحدا منهم ومنه بيت الحماسة لا يسالون اخاهم حين يندبهم في النايبات على ما قال برهانا الا تتقون الا تخافون الله ان يزيل

عنكم نعمه وينزل عليكم نقمه بتكذيبكم وكفرانكم او الا تتقون الله فتتركوا عبادة غيره وادخل همزة الانكار على حرف النفي ليفيد ارادة اثبات التقوى وايجابه منهم لان

الانكار النفي نفي له ونفي النفي اثبات والمعنى اتقوا الله كما في قوله قال يا قوم اني لكم نذير مبين ان اعبدوا الله واتقوه ونظيره قولك لصاحبك الم تسع تتق الله الم تستحي من الناس

فكانك تقول اتق الله واستحي من الناس فترين منه تقواه من الله واستحياءه من الناس اني لكم رسول امين من رسل الله مشهور بالامانة فيكم وارتفع

رسول على ان فاعل الظرف او مبتدا قدم عليه خبره ويجوز ان يكون الظرف متعلقا بامين فقدم عليه للاختصاص او لمجرد الاهتمام ورعاية الفاصلة والمعنى اني

رسول غير ظنين فرادتني الله على وحيه ورسالاته لاجلكم فاتقوا الله في طاعته وطاعتي واطيعون في نصحي لكم وفي ما امركم به من التوحيد والطاعة وما اسئلكم

عليه من اجر القدر اجع الى قوله اني لكم رسول امين او الى الوحي الذي يدل به عليه او الى الامر بالتقوى والاطاعة والمعنى وما يكون منكم ما يفرقكم عني وتتهموني لا

لاجل من طمع في اموالكم وطلب جعل على ابلاغ الوحي والرسالة عليكم وعظكم ان اجري الا على رب العالمين وهو الثواب الذي يوتينيه في الآخرة يعني ما امرتكم

بالتقوى والطاعة الا لوجه الله لا اتعرض من اغراض الدنيا فاتقوا الله واطيعون كرره كما كرر قوله فباي آلاء ربكما تكذبان ليتقرر معناه في نفوسهم ويتمكن

في قلوبهم مع تعليق كل واحد منهما بعلة جعل علة الاول كونه امينا فيما بينهم وفي الثاني حسم طمعه عنهم وقيل كرره للتاكيد والتنبيه على دلالة كل واحد من امانته

وحسم طمعه لوجوب طاعته فكيف اذا اجتمعا وقرا نافع وابن عامر وابو عمرو وحفص اجري بفتح الياء في الكلمات الخمس وقرا يعقوب واطيعوني بالياء في الكلمات

الثمانية قالوا انؤمن لك واتبعك الارذلون فلون نصيبا في الدنيا جمع الارذل على الصحة وقد جمع على التكسير في قوله الذين هم اراذلنا وعن ابن عباس هم القافة

وعن عكرمة الحاكة والاساكفة وعن مقاتل السفلة والهمزة للانكار الايمان لا حبك على الانكار للايمان المعنى به النفي واللام لتضمين الفعل معنى الاتباع والمعنى

لانؤمن متبعين لك او لانفعل الايمان لاجلك على تنزيل المتعدي منزلة اللازم والواو للحال وحقها ان يضمر بعدها قد وقرا يعقوب واتباعك جمع تابع كشاهد

نصارى هو حجة على من قال ان جمع فاعل افعال لم يثبت او جمع تبع كنعم وانعام واجتراؤهم على هذا القول العظيم اما لانهم قد بلغوا غاية الاستكبار واقصى

العتو حتى يستنكفوا من اتباع من اتبعه ضعفاء الناس وفقراؤهم كقول ابو جهل والوليد بن المغيرة والعاص بن وايل وشيعتهم ان اسلمنا وقد اسلم

قبلنا عمار وصهيب وبلال وفلان وفلان ترفعوا جواب ان اسلمنا علينا اذ لا لا بالسابقة واذ دلاذ بهم او لانهم كانوا افكل من الانعام في فرط

جهلهم وضلالهم جعلوا اتباع المهتدين ما نعا عن اتباعهم وقيل هذا من سخافة عقلهم وقصور رايهم على الحطام الدنيوية حتى جعلوا اتباع المقلين

فيها مانعا عن اتباعهم وايمانهم بما يدعوهم اليه دليلا على بطلانه واشاروا بذلك الى ان اتباعهم ليس عن نظر وبصيرة وانما هو لتوقع مال ورفعة

فلذلك قال وما علمي بما كانوا يعملون ماء الاولى استفهامية يراد بها الانكار المعنى به النفي والثانية موصولة محذوفة العائد او المصدرية او موصوفة

يعني واي شيء علمي بعلمهم او بعمل عملوه ومراده انتفاء علمه باخلاص عملهم لله واطلاعه على سرائرهم وباطنهم وليس عليه الا اعتبار الظاهر ان حسابهم

الا على ربي اي ما بهم مقصور على الله لا يتجاوز الى غيره اصلا لا على لاني انا مستند لا محاسب ولا مجاز لو تشعرون لو تعلمون ذلك علم حتى ولكنكم لما

دي جهلكم وغفلتكم تجهلون جهل من لا شعور له ولا حس له وقصده بذلك ردا اعتقادهم وانكاران يسمى المؤمن رذلا وان كان افقر الناس واوضعهم

نسبا فان الغنى غنى الدين والنسب نسب التقوى والآية ظاهرة في قصر حساب المطلق على الله وتقييده بالباطل خلاف الظاهر من غير قرينة كما قاله

بعضهم ما حسابهم على بواطنهم الا على الله لانه المطلع عليها لو تشعرون لعلمتم ذلك ولكنكم تجهلون فتقولون ما لا تعلمون وقيل لو تعلمون ذلك

ما عبتموهم بصنايعهم وما انا بطارد المؤمنين يعني وليس من شاني ان اطيب نفوسكم بطرد المؤمنين الذين صحبا بايمانهم طمعا في ايمانكم ان انا الا

نذير مبين كالعلة له اي ما انا الا رجل مبعوث لانذار المكلفين عن الكفر والمعاصي سواء كانوا اعزاء او اذلاء فلا يليق بي طرد الفقراء لاتباع الا

غنياء وما على الا ان انذركم انذارا بينا بالبرهان الصحيح الذي يتميز به الحق من الباطل فلا على ان اطرد المؤمنين لاستتباعكم واسترضائكم قالوا

لئن لم تنته يا نوح عما تقول وتنصح لتكونن من المرجومين من المطرودين او من المشتومين قاله الضحاك او من المقتولين بالحجارة قاله مقاتل

والكلبي وقيل من المضروبين بها واللام في لئن موطئة للقسم المحذوف اي مؤكدة له وفي لتكونن لام الجواب وهذا الجواب ناب مناب الجوابين اعني جواب

القسم والشرط والجملة في موقع النصب على المفعولية كما ان قيل قالوا هذا القول قال رب ان قومي كذبون ليس هذا باخبار بالتكذيب لعلمه ان الله

اعلم ولكنه اراد اني لا ادعوك عليهم لما غاظوني وآذوني وانما ادعوك لانهم كذبوني في وحيك ورسالتك فافتح بيني وبينهم فتحا فاحكم بيني وبينهم

من الفتاحة وهو الحكومة والفتاح الحاكم لانه يفتح المستغلق كما سمي فيصلا لانه يفصل بين الخصومات او فاظهر امري حتى ينفتح ما بيني وبين قومي و

يكشف بان تنزل عليهم عذابا يتبين معه اني على الحق وانهم على الباطل ونجني ومن معي من المؤمنين من قصدهم وتكذيبهم او من شوم اعمالهم وكفرهم

ومعاصيهم فانجيناه ومن معه كانوا اربعين رجلا واربعين امراة وقيل تسعة بنوه سام وحام ويافث وستة ممن آمن به وعن النبي صلى

الله عليه وسلم انه قال كانوا ثمانية نوح واهله وبنوه الثلثة ونساؤهم وعن محمد بن اسحق كانوا عشرة خمسة رجال وخمس نسوة وعنه كانوا عشرة

سوى نسائهم نوح وبنوه وستة ممن آمن معه وازواجهم جميعا وعن مقاتل اثنين وسبعين رجلا وامراة وعن ابن عباس كانوا ثمانين احدهم جرهم

في الفلك المشحون المملو وكانوا املوا من الناس والطير والبهائم كلها والجار متعلق بفعل الانجاء اي فانجيناهم في السفينة المشحونة بهم

وبغيرهم من الطوفان او بمعه كانه قيل ومن استقروا معه في الفلك او صحبوه في الفلك والفلك يوحد ويجمع ويذكر ويؤنث وفي هذه الآية جاء مذكرا

موحدا في قوله والفلك التي تجري في البحر مؤنثا ويحتمل واحدا وجمعا وفي قوله حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم مؤنثا وجمعا وكان تذكيره اذا كان واحدا

على تاويل المركب وتانيثه على تاويل السفينة وقال الاخفش الفلك السفينة وجمعه فلك قال الله تعالى وترى الفلك فيه مواخر قالوا الجمع بوزنه فعل

والجمع بوزنه اسد كسروا فعلا الى فعل كما كسروا فعلا على فعل لانهما اخوان في قولك العرب والعرب والرشد والرشد فقالوا اسد واسد وفلك وفلك

ونظيره بغير هجان وابل هجان ودرع دلاص ودروع دلاص فالواحد بوزنه كناز والجمع بوزنه كرام ثم اغرقنا بعد انجاء نوح واهله الباقين

الذين

صهيب

الذين بغوا من قومه ان في ذلك فيما قص من قصة نوح لآية لعبرة وعظة لمن يعتبر ويتعظ او لدلالة واضحة على ان الله ينجي المؤمنين من عذاب جهنم في

الآخرة كما انجا نوحا ومن معه في عذاب الدنيا ويعذب الكافرين به كما عذب قوم نوح به وما كان اكثرهم مؤمنين اكثر قومه فاعلين فهلا يؤمن لا

نهم كانوا عتاة مردة بل اعتى الناس واظلمهم واطغاهم كما قال تعالى انهم كانوا هم اظلم واطغى وان ربك لهو العزيز المنتقم من اعدائه واعداء انتقام قوم نوح

وهذا الوجه احسن بما يقال فيه وفي اخواته لانه اعم واشمل ما فيه من التسلية والتشريف لرسول الله صلى الله عليه وسلم واضافة الرب الى الكاف للخطاب

المراد به رسول الله دليل على ذلك وشاهد بصحة الرحيم بالمؤمنين كما قال وكان بالمؤمنين رحيما كذبت عاد المرسلين انثه باعتبار القبيلة وهو

في الاصل اسم ابيهم اذ قال لهم اخوهم هود هو عطف بيان لاخوهم الا تتقون الا تخشون الله وعقابه او الا تتقون عمل اهل التقوى اني لكم رسول امين

مرسل غير متهم لدلالة المعجزات الباهرات على صدق رسالته وحقيقتها او لايمان الله على وحيه ورسالته وقال له الرسول مع انه هو حال لم يجد في الا

حاديث انه صاحب كتاب ولا في الآثار وكذلك صالح ولوط عليهم السلام وقال الكلبي امين فيكم قبل الرسالة فكيف تتهموني اليوم فاتقوا الله واطيعون

فيما امركم به وانهاكم عنه وما اسالكم عليه من اجر من مزيدة لتاكيد النفي وهو مع مجروره في موقع النصب على المفعول كانه قيل وما اسالكم عليه اجرا ان

ان اجري الا على رب العالمين كالعلة له اي اجري مقصور على الله لا يتخطاه الى غيره اصلا فكيف اسالكم عليه اجرا وقيل تصدير القصص بها دلالة على ان

البعثة مقصورة على الدعاء الى معرفة الحق والطاعة فيما يقرب المدعو الى ثوابه ويبعده عن عقابه وكان الانبياء متفقون على ذلك وان اختلفوا في بعض

التفاريع مبرؤن عن المطامع الدنيئة والاغراض الدنيوية اتبنون بكل ريع الاستفهام في معنى الانكار كانوا يبنون بكل مكان مرتفع فانكر

عليهم ذلك وقرا ابن ابي عبلة ريع بفتح الراء آية علما للمشرف على المارة والسابلة فيسخروا منهم ويعبثوا بهم وعن ابن عباس بكل شرف وعنه وعن الضحاك

ومقاتل والكلبي بكل طريق كانوا ممن يهتدون بالنجوم في اسفارهم فاتخذوا في طرقهم اعلاما طوالا تعبثون ببنائها لانهم كانوا غير محتاجين اليها وعن

سعيد بن جبير ومجاهد بنوا بكل ريع بروج الحمام بدليل قوله تعبثون اي تلعبون فانهم كانوا يلعبون بالحمام فانكر عليهم هود ذلك وقيل بنيانا مجتمعين

اليها للعبث بمن يمر عليهم او قصورا مشيدة وقال الكلبي حصونا العلكم تخلدون قيل ترجعون الخلود في الدنيا وتشبه حالكم حال من يخلد وقرا ابي كا

نكم ومن هنا قال بعضهم في تفسيره اي كانكم تبقون فيها خالدين يعني انهم كانوا يستوثقون المصانع كانهم لا يموتون وقري تخلدون بضم التاء مخففا

ومثقلا وروى سعيد بن جبير عن قتادة مصانع كانكم خالدون واذا بطشتم بسوط او سيف والبطش الاخذ الشديد عند الغضب والتناول عند الصولة

بطشتم جبارين كان بطشكم جبرا وعتوا وتكبرا او تعظما فان الجبار المتكبر الذي لا يتواضع لامر الله او الذي يضرب ويقتل بظلم لا ينظر في العواقب

ولا يدفع بالتي هي احسن وقيل متسلطين غاشمين بلا رافة ولا قصد تاديب ونظر في العاقبة وعن الحسن تبادرون تعجيل العذاب لا تثبتون متفكرين في

العواقب فاتقوا الله بفعل ما امرتم به وترك ما نهيتم عنه وقيل بترك هذه الاشياء او فاعبدوا الله وحده فان التقوى هي العبادة ليست غيرها

واطيعون فيما ادعوكم اليه فانه انفع لكم واتقوا الذي امدكم بما تعلمون اعطاكم من الخير ما تعلمونه ولا تنكرونه وكرره تاكيدا على انكار ان يكفروا

النعم كلها او بعضها ولا يشكروا ولا يتقوا عقابه ولا يحذروا وقيل كرره مرتبا على امداد الله اياهم بما يعرفونه من انواع النعم تعليلا وتنبيها على الوعد عليه

بدوام الامداد والوعيد على تركه بالانقطاع ثم فصل بعض تلك النعم كما فصل بعض مساويهم المدلول عليها اجمالا بالانكار في الا تتقون مبالغة

في الايقاظ والحث على التقوى وقيل بالغ في تنبيههم على نعم الله حيث جملها ثم فصلها مستشهدا بعلمهم وذلك انه ايقظهم عن سنة غفلتهم عنها حين قال

امدكم بما تعلمون ثم عددها عليهم وعرفهم المنعم بتعديد ما يعلمون من نعمه وانه كما قدر ان يتفضل عليكم بهذه النعم فهو قادر على الثواب والعقاب

فاتقوه ونحوه قوله تعالى ويحذركم الله نفسه والله رؤف بالعباد امدكم بانعام وبنين وجنات وعيون الجملة استيناف فكان قائلا قال بماذا امدنا

به فقال امدكم بانعام الى الحسن ووجه آخر وهو انهم قالوا ان هذه الجملة نزلت من الجملة الاولى منزلة بدل البعض من متبوعه فان المراد بالاولى

التنبيه على نعم الله عند المخاطبين والثانية اوفى بتاديته منها بل لانها دلت عليها بالتفصيل من غير احالة على علمهم مع كونهم معاندين والامداد بالا

نعام وغيرها بعض الامداد بما يعلمون فوزانه وزان وجهه في اعجبني زيد وجهه وقرن البنين بالانعام لانهم يعينونهم على حفظها والقيام عليها ثم اودعهم

فقال اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم علة لما سبق من الامر بالتقوى والاطاعة يعني اطيعوني واخشوا ربكم الذي انعم عليكم بالنعم المجملة والمفصلة

لاني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم ان لم تجمعكم الاطاعة والتقوى وهي الخشية بسبب الانذار بالعذاب العظيم او الاتيان بما امروا والانتهاء عما

بلوغي

نهوا والبوم العظيم يوم القيمة او يوم نزول العذاب عليهم وهو الريح العقيم ما تذر من شيء اتت عليه الا جعلته كالرميم وعن ابن عباس اني اخاف عليكم
ان عصيتموني عذاب يوم عظيم في الدنيا والاخرة فانه كما قدر على الانعام قدر على الانتقام قالوا سواء علينا اوعظت ام لم تكن من الواعظين استيناف
على تقدير سوال سايل قال فما ذا قال له قومه فقيل قالوا سواء علينا اي مستو عندنا وعظك وعدمه فانا لا نرعوي عما نحن فيه فعلى هذا يكون انه في موقع الابتداء
خبره سواء قدم عليه وبالجملة في موضع النصب على المفعولية كانه قيل قالوا هذا القول وانما لم يقل اوعظت ام لم تعظ مع انه اخصر والمعنى واحد لان
المراد سواء علينا افعلت هذا الفعل الذي هو الوعظ ام لم تكن اصلا من اهله ومباشريه فهو ابلغ في قلة اعتدادهم بوعظه من قولك ام لم تعظ والوعظ
النصح والتذكير بالعواقب وقيل الوعظ الكلام يلين القلب بذكر الوعد والوعيد وقال الكلبي انهيتنا ام لم تكن من الناهين لنا ان هذا الا خلق الاولين
قرا نافع وعاصم وابن عامر وحمزة وخلق خلق بضم الخاء واللام ومعناه اي ما هذا الذي جيئت به من الكذب الا عادة الاولين كانوا يلفقون مثله ويسطرونه
او ما هذا الذي نحن عليه من الدين الا عادة الاولين كانوا يدينونه ونحن بهم مقتدون او ما هذا الذي نحن عليه من الحيوة والموت الا عادة الاولين
لم يزل عليها الناس في قديم الدهر والباقون خلق بفتح الخاء وسكون اللام بمعنى ما هذا الذي جيئت به الا اختلاق الاولين وكذبهم كما قالوا اساطير الاولين
او ما هذا الخلق الذي نحن عليه الا خلق القرون الماضية نحيى كما حيوا ونموت كما ماتوا ولا بعث ولا حساب وقرئ خلق بضم الخاء وسكون اللام واصلها الضم
فاسكنت تخفيفا والجملة كالعلة لاستواء الوعظ وعدمه وما نحن بمعذبين عما نحن عليه بما ذكرت وعلمت فكذبوه فنسبوه بما قال الى الكذب فاهلكناهم
بسبب التكذيب بريح صرصر عاتية والاهلاك من بدء الهلاك وهو السقوط والفساد او مصيرا الشيء الى حيث لا يدري اين هو على اختلاف الاقوال وكذا الهلكة
ان في ذلك في قصة هود وقومه والخطاب في ذلك لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم كانه قيل ان فيما قصصناه من قصة هود لاية لحجة وعظة للمستبصرين او
للمعتبرين او لعلامة شائعة وتواترة وما كان اكثرهم اكثر قومه او اكثر الناس مؤمنين مصدقين به وان ربك لهو العزيز القادر على انتقام الكفار الرحيم
بالمؤمنين كذبت ثمود المرسلين قرئ ثمود بترك التنوين على انه غير منصرف للتعريف والتانيث بتاويل القبيلة وثمود بالتنوين بالصرف بتاويل الحي او باعتبار الاصل لانه اسم ابيهم الاكبر وهو ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح افراد دين وهو فاعل ليس بمضاف على القراتين كما لا يخفى والمرسلين مفعول
وليس بمضاف اليه كما يتوهمه بعض الناس في القراة الاولى اذ قال لهم اخوهم صالح كان من قوم صالح عربا وهو عليه من اوسطهم نسبا فدعاهم الى الله والتقوى
قوله الا تتقون الا تخافون الله وعقابه او الا تعملون عمل اهل التقوى من فعل الطاعات والخيرات وترك المعاصي والمنكرات او الا تنتظمون في زمرة المتقين
بان تعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا كانوا يعبدون الاوثان اني لكم رسول امين فيما بين اظهركم قبل الرسالة فلا تتهموني اليوم فاتقوا الله و
اطيعون فاجمعوا بين تقوى الله واطاعتي فان من اطاعني فقد اطاع الله وما اسألكم عليه على هذا الامر وعلى ما ادعوكم وانصحكم من اجر وثواب ان اجري
الا على رب العالمين اي اجري وثوابي مقصور على الاتصاف بعلى رب العالمين لا يتجاوزه الى الاتصاف بعليكم فهو من قصر الموصوف على الصفة دون العكس
كما يسبق الى بعض الاوهام ونظيره قول عنتر قايلا لها ما كسبت ولكم ما كسبتم وقوله لكم دينكم ولي دين اتتركون انكار ان يتركوا الخلدين في نعيمهم لا يزالون
عنه او تذكير نعمة في تخليته الله اياهم واسباب تنعمهم مع الامن والدعة فيما ها هنا امنين في نعيم استقر في هذه الدنيا وقيل اي في الدنيا وهو تفسير ناقص
سواء كان تفسير المجموع الجزاء الاخير كما لا يخفى ثم فصله بقوله في جنات وعيون فانه هذا الجار مع المجرور من قوله فيما ها هنا منزلة بدل البعض من بتوكم وزروع
جمع زرع وهو ما استنبت بالبذر وسمي بالمصدر من زرع الله الحرث انبته وانماه واما قولهم زرع الزراع الارض اي اثارها للزراعة فمن اسناد الفعل الى السبب
مجازا ومن اذا نفقت هذه الامة نزع منها النصر اي اشتغلت بالزراعة وامور الدنيا واعرضت عن الجهاد بالكلية واما من جعلت جمع بينهما فقد اخذ بالسنة
والمولد نزع النصر الخلاف ونخل طلعها ثمرها وهو ما يطلع منها وقيل الطلع ما يطلع من النخل وهو الكم قيل ان ينشق ويقال لما يبدو من الكم طلع ايضا وهو
شيء ابيض يشبه بلون اسنانه وبرايحته المني وقيل الطلعة هي التي تطلع من النخلة كنصل السيف في جوفه شماريخ القنو والقنو اسم للخارج من الجزع كما هو بعرجونه
وشماريخه والنخل اسم جمع النخلة والطلع اسم جمع للطلعة وليس بجمع لها كما يتوهم هضيم قال ابن عباس لطيف من قولهم كشح هضيم اذا كان لطيفا وفي طلع
اناث النخل لطف وفي طلع الفحاحيل جفاء وكذلك طلع البرني الطف من طلع اللون فذكرهم نعمة الله في ان النخل الطف نضيج وقيل منذل منكسر من كثرة
الحمل وقال الازهري الهضيم هو الداخل بعضه في بعض من النضج والنعامة وقيل هو اللين وقيل اي هاضم يهضم الطعام وقال الحسن هو الرخو وافرد النخل
اختصاصا لها وبيانا لفضلها على سائر اشجار الجنات كانها لما لها من المزية جنس اخر كقوله تعالى تنزل الملائكة والروح اولانه المراد بالجنات غيرها من الاشجار

وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين من بتعضية للقطع بانهم لم ينحتوا جميع الجبال والاكثرها وقرا الحسن وتنحاتون وانتصاب بيوتا على الحال كقولك خط
هذا الثوب قميصا وهي من الحال المقدرة لان الجبل لا يكون بيتا في حال النحت ولا الثوب قميصا في حال الخياطة وكذا انتصاب فارهين اي حاذقين في نحتها
من الفراهة وهي الكيس والنشاط لان الحاذق يعمل بنشاط وطيب قلب وهو قراة ابن عامر والكوفيين وقرا الباقون فرهين وهو ابلغ لدلالته على الثبات
وقال ابن عباس اشرين بطرين وقال مجاهد شرهين وقال قتادة معجبين بصنعكم وقال السدي متجبرين وقال الاخفش فرحين وابو عبيدة مرحين
وعكرمة ناعمين والضحاك كيسين فاتقوا الله في طاعتي واطيعوني فيما امركم به وانهاكم عنه ولا تطيعوا امر المسرفين اي ولا تعصوا الله واياي باطاعة
امر المسرفين اي الكاملين في الاسراف في عصيانهم او واتركوا اطاعة امر المشركين في الاشراك والمعاصي او وانهاكم عن اطاعة ما يأمر به المسرفين او واطلب منكم ترك الطاعة التي
هي انقياد امر المسرفين فهو اما عطف على الاوامر المتقدمة عطف الانشاء او ابتداء نهي منه انه من غير ان يكون عطفا عليها بل على مقدر اجمع بما ذكر فكانه قيل امتثلوا ما امرتكم
به ولا تطيعوا امر المسرفين وقيل استعير لامتثال الامر وارتسام طاعة الامر المطاع او جعل الامر مطاعا على المجاز العقلي والمراد الامر ومنه قولهم لك على امرة مطاعة و
قوله تعالى واطيعوا امري وقال ابن عباس اراد بالمسرفين المشركين ومقاتل هم التسعة التي عقروا الناقة وهم الذين يفسدون في الارض بالمعاصي ولا يصلحون ولا يطيعون
الله فيما امرهم به ونهاهم عنه على لسان رسولهم وذكر الفعلين بلفظ المضارع دون الماضي فقصد الى الاستمرار ووصفهم بعدم الاصلاح بعد وصفهم بالافساد دلالة على انهما
فهم باستمرار الثبوت والاستمرار النفي لافادة المضارع المثبت استمرار الثبوت والمنفي استمرار النفي وهي كالعلة لنهي طاعة امرهم وقيل فايدة قوله ولا يصلحون ان افسادهم فساد
مصمت ليس معه شيء من الصلاح كما تكون حال بعض المفسدين مخلوطة ببعض الصلاح وحقيقة الافساد والاصلاح جعل الشيء فاسدا وصالحا ولم يكن فعلهم ذلك بل مفضيا
اليه فليس الايجاز باعتبار المال والانتهاء اي يفعلون ما ينتهي الى الفساد ويؤول اليه وليس معنى الافساد الاتيان بالفساد وفعله ليكون الكلام محمولا على الحقيقة وقوله
في الارض بيان لمكان الافساد كقوله انما ياكلون في بطونهم نارا قالوا انما انت من المسحرين استيناف مبني على تقدير سوال من قال فما قال له قومه فقيل قالوا انما انت من
المسحرين وهو من قصر القلب وهو الذي يعتقد فيه المخاطب العكس وهو ها هنا عدم كونه مسحرا دون الافراد وهو ما يعتقد فيه المخاطب شركة شيئين في شيء وذلك
لانه اعتقاد بين كاذب وما في انما مؤكدة ليست بنافية كما تسبق الى بعض الاوهام ففي الكلام تاكيدات ثلث وهي انه وما المؤكدة المتصلة بها واسمية الجملة وفيه زيادة تقدير
سيجيء ان شاء الله تعالى والمسحر الذي سحر كثيرا حتى غلب على عقله اي من الذين سحروا حتى غلب على عقولهم او من ذوي السحر وهي الرية من الاناسي فيكون ما انت
الا بشر تاكيدا له وهو من قصر القلب ايضا وذلك لان المخاطب وهو صالح النبي عليه لم يكن جاهلا بكونه بشرا او منكرا لذلك لكنه نزل منزلة المنكرين للبشرية بعد الكفار القايلين
لهذا القول بناء على ما اعتقدوا اعتقادا فاسدا من التنافي بين الرسالة والبشرية فقلبوا هذا الحكم وعكسوه وقالوا ما انت الا بشر مثلنا اي انت مقصور على البشرية ليس لك
وصف الرسالة التي تدعيها فات باية فانتنا بحجة دالة على صحة رسالتك واحضرها عندنا لتصحح دعواك وتثبت صدقك ان كنت من الصادقين فيما تقول وهذا منهم
تشكيك في صدقه وقدح في صحة دعواه لم قال هذه ناقة لها شرب قال قد جاءتكم اية على هذه ناقة وارتفع شرب على انه فاعل الظرف او مبتدا قدم خبره عليه قصدا
الى القصر المبني على المسند اليه اي لها شرب لا لغيرها او العكس اي شربها مقصور على الاتصاف بلها لا يتجاوزه الى الاتصاف بلكم وعن قتادة اذا كان يوم شربها
شربت ماءهم كله وكذلك القول في ولكم شرب يوم معلوم ولكم شرب يوم لا تشرب فيه الماء فاقتصروا على شربكم ولا تزاحموها على شربها والشرب النصيب من الماء نحو السقي والقيت
للحظ من السقي والقوت وقرئ بفتح الشين وهو مصدر واما المكسور فبمعنى المشروب ويجوز ان يقوله بالفتح لانه ايضا مصدر وقد قرئ قوله تعالى شرب الهيم بالحركات الثلث ولا
تمسوها بسوء اي ولا تقربوها ولا تطردوها ولا تنفروها ولا تنتبوها بشيء من الاذى اكراما لاية الله وتعظيما لها فياخذكم عذاب يوم عظيم اليوم العظيم يوم نزول
العذاب عليهم او يوم القيمة وعظم اليوم لعظم ما يحل فيه من العذاب ووصف اليوم بالعظم ابلغ من وصف العذاب لان الوقت اذا عظم بسببه كان موقعه من العظم اشد ويجوز
ان يكون لهم عذاب يوم عظيم في الدنيا وفي الاخرة وهو اوجه لانه في بيان عذاب الكفر وقد روي انهم قالوا نريد ان تخرج لنا من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء تلد
سقبا فان فعلت صدقناك واجبناك فقعد صالح يتفكر فقال له جبرائيل صل ركعتين وسل ربك الناقة فصلى ودعى ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدع
عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا لا يعلم ما بين جنبيها الا الله فبركت بين ايديهم ثم نتجت سقبا مثلها في العظم فامن به سيدهم جندع بن عمرو ورهط
من قومه وابى الباقون فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وتشرب ماءهم كل يوم ما لا شربها وكانت انعامهم ومواشيهم تهرب منها فشق ذلك عليهم فعقروها وا
قتسموا لحمها وطبخوه فاهلكهم الله بعذاب من عنده فعقروها فنحروها وروي ان سطعا الجاه الى مضيق في شعب فرماها بسهم فاصاب رجلها فسقطت ثم
ضربها قدار وروي انه عاقرها قال لا اعقرها حتى ترضوا اجمعون وكانوا يدخلون على المرادة في صدرها فيقولون اترضين فتقول نعم وكذلك صبيانهم فاسند الى كلهم

شربها

فعل بعضهم ملابسة اولانه عقرها برضاهم وقد يقال للقبيلة القبيحة انتم فعلتم كذا وما فعله الا واحد منهم فاصبحوا نادمين على عقرها خوفا من ان يعاقبوا عليه عقابا عاجلا
لا توبة او عند معاينة العذاب ولذلك لم ينفعهم ندمهم والاصباح بمعنى الصيرورة كما يستعمل اكثر الافعال الناقصة بمعناها فاخذهم العذاب وهو صيحة جبرائيل المذكورة في
قوله واخذ الذين ظلموا الصيحة فتقطعت بها قلوبهم وصدورهم ان في ذلك لآية آية وهو معنى تنكيرها وما كان اكثرهم مؤمنين حكاية حال ماضية مستمرة لان ما اذا
يدخل ماضيا قريبا من الحال او مضارعا بمعناه وان ربك لهو العزيز الرحيم فينتقم من قوم وينعم على آخرين وقيل في نفي الايمان عن اكثرهم في هذا المعرض ايماء الى انه لو آمن اكثرهم
او شطرهم لما اخذوا بالعذاب وان قريشا انما عصموا عن مثله ببركة من آمن منهم كذبت قوم لوط المرسلين قيل كان قوم لوط اربعة آلاف الف انسان وما كان فيهم
خمسة يصلون وقيل كانت المؤتفكة خمس مداين فاهلك الله اربعا منها بالحجارة ونجت واحدة وقيل كانوا اربعة آلاف بين الشام والمدينة فامطر الله عليهم الكبريت
والنار وقيل خسف بالمقيمين وامطرت الحجارة على مسافريهم وشذاذهم وقيل امطر عليهم ثم خسف بهم اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون اذ منصوب على انه ظرف لـ
لكذبت وليس بمفعول به كما في قوله واذكروا اذ جعلكم خلفاء والمعنى جعلوهم كاذبين حين قولهم الا تتقون اعتمدوا وهم كاذبين ذلك الحين حتى لما انشأ عليه
من تكذيب بالحق وانكاره وانغالما صادقوا بادهم الجهال الضلال كانهم بيت ثبوته بذلك ولوط عطف بيان لاخوهم والامر كنيته من الاستفهام المفيد الانكار والنفي
فانه عليه السلام انكر عليهم انه لا يتقوا الله فيما يتعلق بحقوق الله تعالى وحقوق عباده الذين منهم لوط وهو اخوهم اي واحد منهم من قولهم يا اخا العرب
للواحد منهم وانما جعل واحدا منهم بانهم افهم عن رجل منهم واعرف بحاله في صدقه وامانته بين اظهرهم ولهذا قال اني لكم رسول امين مؤكدا بان واسمية الجملة
فانه وان كان لهم شك في رسالته لم يكن لهم شك في امانته من شيء فاراد ان يؤكد عليهم بصحة امانته ليحصل لهم العلم بصحة رسالته ونبوته فان من كان امينا فيما بينهم
في كل شيء قبل الرسالة فينبغي ان يكون امينا بعدها بطريق هكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يتهمه قومهم قبل الرسالة فيجب عليهم وعلى غيرهم ان لا يتهموه بعدها
بطريق الاولى هكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يتهمونه بعدها بل ازدادوا اعتقادا لامانته لازديادهم امانتهم بالرسالة بزيادة الله اياها بها حيث
جعلها منادي وحي ورسالة بعد ان كانوا امناء فيما اعدا ذلك بين ظهر عباده باذنه فاتقوا الله واطيعون فاتقوا الله في محافظة حقوقه وحدوده وما امركم به
ونهاكم عنه واطيعون فيما ادعوكم اليه وما اسئلكم عليه من اجر من ثواب ان اجري الا على رب العالمين من قبل الموصوف على الصفة اي ثوابي عليه لا عليكم فكيف اسئلكم
اجرا وادخل من الاستغراقية في المفعول ليفيد نفي جنس سواء الاجر منهم رساقطا الطمع وظنهم في ذلك بالكلية ومعنى رب العالمين رب كل شيء سواه بما يعلم به
دبرتهم ونعم وصمته ونعم ما قال ففي كل شيء له آية تدل على انه واحد اتاتون الذكران من العالمين همزة الانكار للتوبيخ كقولك اتذهب في غير الطريق واتعدل عن الحق قصدا
بذلك الى تنبيه المخاطب بسوء فعله حتى يرجع الى نفسه فيجد او يرتدع عن ذلك والمراد بالعالمين اما الناس اي اتاتون الذكران من اولاد آدم مع فرط كثرتهم وغلبة اناثهم على ذكورهم كانهن
قد اعوزكم او كل ما ينكح من الحيوان اي اتاتون من بين من عداكم من العالمين الذكران تختصون بهذه الفاحشة لا يشارككم فيها غيركم وتذرون ما خلق لكم ربكم لاجل استمتاعكم من ازواجكم بيان ربكم لهن
لما خلق ان اريد به جنس الاناث ويجوز ان يكون للتبعيض ويراد به العضو المباح منهن وفي قراءة ابن مسعود ما اصلح لكم وكانهم كانوا يفعلون ذلك بنسائهم ايضا وقرا اليماني ما احل لكم وفي تعبير
الفعلين بلفظ المضارع دون الماضي مع تحقق صدورها عنهم قطعا تنبيه على انهم كانوا مستمرين على ذلك بل انتم قوم عادون متجاوزون عن حد الشهوة حيث زادوا على ساير الناس بل الحيوانات
او مفرطون في جميع المعاصي وهذا من جملة ذلك او احقاء بان توصفوا بالعدوان حيث ارتكبتم هذه الفاحشة وقيل متجاوزون الحلال الى الحرام والعادي المتعدي في ظلم المتجاوز فيه الحد قالوا
لئن لم تنته يا لوط عن نهينا وتقبيح امرنا او عما تدعيه والانتهاء الامتناع عن الشيء والنهي عنه المنع عنه لتكونن من المخرجين من جملة من اخرجناهم من بين اظهرنا وطردناه من
قريتنا وكانهم كانوا يخرجونه من اخرجوه على اسوء حال من تعنيف به واحتباس لاملاكه قال اني لعملكم من القالين من المبغضين لا اقف على الانكار عليه بالابعاد وهو ابلغ من ان يقول اني لعملكم
قال لانه يدل على انه معدود في زمرتهم مشهور بانه من جملتهم او من الكاملين في قلاكم والقلى البغض الشديد كانه بغض يقلي الفؤاد والكبد المراد اللهي في الله رب نجني واهلي مما يعملون من شؤم
عملهم وعقابه ويجوز ان يراد بالتنجية العصمة وقال الخليل واهلي نجني اياه فنجيناه واهله اجمعين فعصمناهم اجمعين من ذلك الا عجوزا امرأة لوط فانها لم يكن معصومة منه لكونها راضية به معينة
عليه ومحرضة والراضي بالمعصية في حكم العاصي ولذلك بقيت معهم في العذاب والهلاك في الغابرين معناه الا عجوزا كائنة في الذين غبروا في ديارهم اي بقوا فهلكوا والتذكير لتغليب الذكور على الاناث وكانت
كافرة موالية لاهل السدوم وقيل معناه الا عجوزا مقدرا غبورها وقيل انها هلكت مع من خرج من القرية بالحجارة التي امطرت عليهم ثم دمرنا الآخرين اهلكناهم بالايتفاك والانقلاب بهم
كما قال فجعلنا عاليها سافلها بان رفعها الى السماء على جناح جبريل ثم اسقطها الى الارض فامطرنا عليهم مطرا امطر عليهم مطرا من الحجارة المنضود وعن ابن زيد لم يرض بالايتفاك بهم
حتى اتبعه مطرا من حجارة وعن وهب من الكبريت والنار وفي اقوال اخر ذكرناها قبل وفي اسناد التدمير والامطار الى ضمير الواحد العظيم الشان تهويل وتفخيم لما صب عليهم من العذاب
وذكر مطرا للتعظيم والتهويل او للتنويع فانه نوع غير ما يتعارفه الناس فساء مطر المنذرين اللام للجنس لان مطر المنذرين فاعل ساء وساء فاعله اسم معرف بلام الجنس او المضاف

المعر

الى مثله والمخصوص بالذم محذوف تقديره فساء مطر المنذرين مطرهم وساء بمعنى بئس ان في ذلك في قصصنا عليك من قصة لوط لآية لحجة نيرة للناظرين وعبرة بينة
للمعتبرين او دلالة واضحة ومعجزة ظاهرة تقطع الشك في حقية رسالتك وصحة نبوتك حيث تجريها وتكرر تلوها عليهم من تعلم ولا استماع من احد ولا مشاهدة
العلماء وسماع من غيرك ولا نشو في بلد فيه علماء وما كان اكثرهم مؤمنين موقنين في علم الله في قضائه وان ربك لهو العزيز الرحيم هو ضمير الفصل توسط بين المسند اليه والمسند للتخصيص اي لقصر المسند
على المسند اليه او لمجرد التاكيد لان التخصيص حاصل بغيره وهو تعريف الخبر بلام الحقيقة اي لا عزيز من الكفار الا هو كقوله ان الله هو الرزاق اي لا رازق الا هو كذب اصحاب الايكة المرسلين هم قوم شعيب
عليه السلام وقرا نافع وابن عامر وابن كثير وابو جعفر ليكة بحذف الهمزة وفتح اللام ونصب التاء على انه غير منصرف للتعريف والتانيث والباقون الايكة قال ابو عبيد ليكة اسم القرية التي كانوا فيها والايكة اسم
البلد كله وقيل هما واحد وانما كتبت على نقل الحركة وقيل ليكة اسم لا يعرف والايكة شجر ملتف وكان شجرهم الدوم وهو المقل وقيل ليكة اسم بلدهم غيضة تنبت ناعم الشجر بين غيضة بقرب مدين سكنها طائفة
فبعث الله اليهم شعيبا كما بعث الى مدين وكان اجنبيا منهم فلذلك لم يقل اخوهم وانما كتبت ههنا وفي صاد بغير الالف اتباعا للفظ واتفقوا على همزة وجرة في سورة الحجر وسورة ق اذ قال لهم شعيب
الا تتقون اذ ههنا وفي ساير المواضع المتقدمة يحتمل ان يكون ظرفا للتكذيب وان يكون جاريا مجرى التعليل بالمبادرة ان الحكم مرتب على ما فسق اليه كانه قيل لم كذبوا المرسلين ووصفوهم بالكذب
والمعتقدهم كاذبين فقيل اذ قال شعيب الا تتقون اي لانه قال لهم هذا القول او كذبوه لانه قال لهم هذا القول وهو جائز ليس ببعيد من السواد ويجوز ان يكون معنى الا تتقون الا تجتنبون التكذيب
برسالة المرسلين اني لكم رسول امين اي رجل بعثني الله اليكم لتبليغ الاحكام غير ظنين بين عباده قبل ان ابعث وبعده وهو توطئة وتمهيد لما يريد ان يورد بعده من الاحكام فاتقوا الله واطيعون
كانه قال عقيب ذلك بشهادة انه ادا ابلغكم من احكام ورسالات ان اتقوا الله واطيعون اي اتقوه في محافظة احكام التي من جملتها تقوى الله واداء الواجبات عليكم فلا تنقصوا بتركه ما وجب عليكم وما على
عليه من اجر حكاية حال ماضية كما قدرناه مرة ان اجري الا على رب العالمين فكيف اسئلكم اجرا اخبر الله تعالى في هذه السورة المباركة ان دعوة رسله الكرام انما كانت على وتيرة واحدة لاتفاق كلمتهم العليا
الا الامر بالتقوى والطاعة والاخلاص في العبادة وقطع الطمع في الدعوة وتبليغ الاحكام في الرسالة اوفوا الكيل اي اتموه يقال وفي الكيل اذا تم واوفاه اذا اتمه فامرهم باتمام الكيل ثم نهاهم
عن نقصانه بقوله ولا تكونوا من المخسرين من الناقصين حقوق الناس بالتطفيف وهو النقص في الكيل والوزن يقال اخسر الميزان واخسره اذا نقصه وزنوا بالقسطاس المستقيم قرا حمزة والكسائي
وحفص وخلف بكسر القاف والباقون بفتحها وهما بمعنى واحد وهو الميزان وقيل القرسطون فان كان من القسط وهو العدل فعملاس بتكرير العين والا فهو رباعي بوزن فعلال وقيل هو بالرومية
العدل والمستقيم السوي ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تنقصوا الناس شيئا من حقوقهم وهو تعميم بعد تخصيص لشمول المتقدم وغيره وقال جار الله يقال بخسته حقه اذا نقصته اياه ومنه قيل
للمكس بخس وهو عام في كل حق ثبت لاحد ان لا يهضم وفي كل ملك ان لا يغصب عليه مالكه ولا يتحيف منه ولا يتصرف فيه الا باذنه تصرفا شرعيا ولا تعثوا في الارض مفسدين العثو
الفساد ومفسدين حال منه اي ولا تتمادوا في الفساد في حال فسادكم فنهاهم عن التمادي فيه لانهم كانوا متمادين فيه وذلك نحو قطع الطريق والقتل والغارة واهلاك الزروع وهو ايضا
تعميم بعد تخصيص لشموله نقص الحقوق وغيره مما لزمه الفساد واتقوا الذي خلقكم والجبلة الاولين وذوي الجبلة الاولين والجبلة بوزن الابلة والجبلة بوزن الخلقة ومعنى الثلثة واحد اي ذوي الجبلة
الاولين كقولك والخلق الاولين بمعنى نقل مضمر من الخلايق قالوا انما انت من المسحرين وما انت الا بشر مثلنا وردت بالواو وههنا ليدل على انه جامع بين التسحير والبشرية المتنافيين
للرسالة عندهم وتركت في قصة ثمود ليدل على انه كونه بشرا مثلهم غير لكونه مسحرا وفي كلتا القصتين مبالغة منهم في تكذيب الرسل لاعتقادهم ان الرسول انما يكون ملكا
لا يكون مسحرا اي لا يكون بشرا وان نظنك لمن الكاذبين ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي المفارقة بينها وبين النافية والظن بمعنى العلم مجازا وحقيقته الحسبان وهو ليس بعد ادنى
هؤلاء لكنهم متمادين في التكذيب فاسقط علينا كسفا من السماء قطعا منها وقرا حفص كسفا بفتح السين والباقون بسكونها وكلاهما جمع كسفة بمعنى القطعة نحو قطع
وسدر وقيل كسف والكسفة كالريع والريعة وهي القطعة وكسفه قطعه والسماء السحاب او المظلة وما كان طلبهم الا تهكما واستهزاء وابانة لشدة طغيانهم وعتوهم او تعجيزا
لجحودهم وتكذيبهم ان كنت من الصادقين اي ان كنت صادقا انك رسول الله فادع الله ان يسقط علينا كسفا من السماء قال ربي اعلم بما تعملون يعني ان الله اعلم باعمالكم وبما
تستحقون عليها من العذاب فهو ينزله عليكم في اجله المعلوم لا محالة وقرا الكوفيون وابن عامر ويعقوب ربي بسكون الياء والباقون بفتحها فكذبوه فاعتقدوه كاذبا فاخذوا
في تكذيبه وداموا عليه حتى علم شعيب ان نصيحتهم ليس الا عبثا لا محالة لشدة شكيمتهم في التكذيب والكفر واخبر وذلك لان تكذيبهم له في آخر المدة كان كتكذيبهم في اولها فذلك
من شارفة هلاكهم بالعذاب فاخذهم عذاب يوم الظلة على نحو ما اقترحوا بان سلط الله عليهم حرا شديدا سبعة ايام حتى غلت انهارهم وحبس عنهم الريح فلا ينفعهم ظل ولا ماء
ولا شرب وكانوا يجدونه الاسراب اشد حرا فاضطروا الى الخروج الى البرية فاظلتهم سحابة وهي الظلة فاجتمعوا تحتها فما وجدوا لها بردا ونسيما فامطرت عليهم نارا فاحترقوا
او الظلة كل ما اظلك اي سترك والقى ظله عليك من بناء او جبل او سحاب وروي ان شعيبا بعث الى امتين اصحاب مدين واصحاب الايكة فاهلكت مدين بصيحة جبرائيل
واصحاب الايكة بعذاب يوم الظلة وفي تتمة الحديث ان شعيبا اخا مدين ارسل اليهم والى اصحاب الايكة انه كان عذاب يوم عظيم العظمة بيوم عظيم يوم نزول العذاب او يوم القيمة
على حذف المضاف معناه ان عذاب يوم الظلة كان بعض عذاب يوم القيمة فاذا جاء عذاب يوم القيمة عذبوا بعذاب حتى نسوا عذاب الظلة وذلك ان الكفار يعذبون بعذاب الدنيا

وقد يعبر بالعربي
صعتر اعجمي جمال الدين

وعذاب الآخرة وهو اشد وابقى كما صرح به في قوله ولعذاب الآخرة اشد وابقى ولكن انه يجعله مثل قولهم ابو يوسف ابو حنيفة تريد به مثله مبالغة في عذاب الظلة انه في ذلك لآية لدلالة
واضحة على ان تكذيب رسول الله واقتراح الآيات عليه عنادا واستهزاء يورث عذابا عظيما في الدنيا والآخرة او معجزة باهرة تدل على صحة نبوته وما كان اكثرهم مؤمنين
مصدقين به ولذلك عجلت عقوبتهم وان ربك لهو العزيز الرحيم تعقيب لان عذاب هؤلاء المكذبين من قوم ونجاة مصدقيهم منه انما كان من بليغ عزة الله وانتقامه من
اعدائه وبليغ رحمته على اوليائه وانقصاصه وتهديد للكفار بمكة واضرابهم ووعد لرسول الله والمؤمنين بالنجاة من كيدهم وشوم تعاديهم ومعاصيهم وبالنصر عليهم وانما كرر
ما ذكر في تلك الانبياء والقصص السبع ليجدد دواعي استماع كل منهم بناء من انباء الاولين اذ كانوا ونبئها وتكون تلك الآيات والعبر حاضرة لقلوبهم مصورة لاذهانهم
مذكورة في كل اوان غير منسية في كل حين لان في التكرير تثبيت المكرر في الصدور وتقريره في القلوب وقيل هذا آخر القصص السبع المذكورة على سبيل الاختصار تسلية
لرسول الله صلعم وتهديد المكذبين واطراد نزول العذاب على تكذيب الامم بعد انذار الرسل به واقتراحهم له استهزاء وعدم مبالاة به يدفع ان يقال انه كان بسبب اتصالات
فلكية او كان ابتلاء لهم لا مؤاخذة على تكذيبهم وانه وان القرآن ما قرأناه عليك من هذه القصص والآيات لتنزيل منزله رب العالمين انه رب كل شيء مما يعلم به خالقه
لان كل شيء سوى الله لابد لوجوده من موجد يتحقق به وجود ذلك الشيء ويجب عنه ولولاه لامتنع وجوده وذلك الشيء هو المربوب وذلك الموجب هو ربه الذي رباه
وكونه من العدم الى الوجود واعطاه صورته وشكله الذي يوافق كماله الممكن له وايضا لو لم يتحقق وجوده ولم يجب عنه لكان واجبا بالذات ولم يحتج الى شيء
اصلا وكلاهما محال نزل به الروح الامين على قلبك قرأ حمزة والكسائي وابن عامر وابو بكر وخلف ويعقوب نزل بتشديد الزاي ونصب الروح معناه جعل الله
الروح نازلا به على قلبك اي حفظك وفهمك اياه واثبته في قلبك اثبات ما لا تنسى كقوله تعالى سنقرئك فلا تنسى والباقون بتخفيفها ورفع الروح وهو جبرائيل
لانه النازل به فيحيي به القلوب والامانة على وحي الله ورسالته سمي امينا والباء على القراءتين للتعدية وهذه الآية تقرر صحة تلك القصص والآيات وحقيتها وتشهد باعجاز
القرآن وحقية نبوة من انزل اليه وهو نبينا محمد صلعم لان اخبارها ممن لم يخط ولم يسمعها من احد انما يكون من جهة الوحي وقوله على قلبك بيان لمحل التنزيل والظاهر ان يراد به
العضو لانه سيد الاعضاء واشرفها فيكون محلا لسيد الكلام وافضله وقيل ان اراد به الروح فذاك وان اراد به العضو فتخصيصه لان المعاني الروحانية انما تنزل
اولا على الروح ثم تنتقل منه الى القلب لما بينهما من التعلق ثم يتصور منه الى الدماغ فينتقش بها لوح المتخيلة لتكون من المنذرين مما انذروا من عقاب الله بالزجر عن
المعاصي او بلفواضع التخويف وقال الجوهري الانذار تخويف مع دعوة والكل يحتمل ان نزل عليهم صيحة ههنا بلسان عربي مبين موضح لما نزل على قومك من ابواب
الديانة يحتاج اليه الامة او بين للذين انزل عليهم لانه بلغتهم وبلسانهم او واضح المعنى فالباء متعلق بالمنذرين اي لتكون من الذين انذروا بلغة العرب وهم من
المرسلين خمسة هود وصالح واسمعيل وشعيب ومحمد عليه السلام ومن الانبياء خالد بن سنان العبسي على ما روى الكلبي فانه قال بين عيسى ومحمد اربعة انبياء ثلثة من بني
اسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان العبسي عليه السلام فيكون ممن انذر بلغة العرب ستة او بنزل اي نزل باللسان العربي لتنذر به لانه لو نزل باللسان الاعجمي لقالوا لا
نفقه ما لا نفهم فيتعذر الانذار به ولان لسان الانبياء والرسل واشرفهم فتقتضي الحكمة ان يبعث وينزل بسيد الالسنة واجلها وافضلها وهو اللسان العربي الذي يأمرنا
بمحبته اهله ويتكلم به اهل دار اهل السلام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احبوا العرب لثلث لاني عربي والقرآن عربي وكلام اهل الجنة عربي وانه لفي زبر الاولين اي وان
ذكر التنزيل الذي نزل به الروح الامين على قلبك لفي كتب السماوية التي انزلت على الاولين ممن تقدمهم وقيل ان معانيه فيها وبه يحتج لابي حنيفة رضي الله عنه في
جواز القراءة بالفارسية في الصلوة على ان القرآن قرآن اذا ترجم بغير العربية حيث قيل وانه لفي زبر الاولين لكون معانيه فيه وقيل الضمير لرسول الله صلعم وكذلك في انه
يعلمه يعني ذكر رسول الله على تقدير المضاف كما في الوجه الاول وهو وجه ليس ببعيد عن السداد كما لا يخفى وقرأ الاعمش زبر بسكون الباء اولم يكن لهم آية دلالة واضحة على حقية
القرآن ونبوة قراءته محمد وصحتهما وادخل همزة الاستفهام على النفي قصدا الى تقرير كانه قيل وقد كان لهم آية والواو للعطف على المذكور قبله عطف الجملة المحققة وعلى المقدر
تقديره الم يتعاموا ولم تكن لهم آية وفي مصحف عبد الله اوليس لكم آية وفي حرف ابي اليس لكم آية ان يعلمه علماء بني اسرائيل ان يعرفوه بنعته المذكورة في كتبهم فان عبد الله
بن سلام واصحابه كانوا يخبرون بوجوده في كتبهم وعن ابن عباس انه قال بعث اهل مكة الى اليهود في المدينة فسألوهم عن محمد صلى الله عليه وسلم فقالوا ان هذا لزمانه
وانا نجد في التورية نعته وصفته فكان ذلك آية على صدقه فهو تقرير لكونه دليلا وقرأ ابن عامر تكن بالتاء ورفع آية على انها الاسم ~~وضمير القصة في تكن وآية لهم والخبر لهم~~
وان يعلمه بدل من آية او خبر مبتدأ محذوف والفاعل وان يعلمه بدل منها او خبر المحذوف ولهم حال او ان الاسم ويجوز مع نصب الآية تأنيث يكن ~~كقوله ثم لم تكن~~
والباقون بالتذكير ونصب آية على انها خبره وان يعلمه هو الاسم ويجوز نصب الآية تأنيث يكن كقوله ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا وعليه قول لبيد فمضى وقدمها وكانت
عادة منه اذا هي عردت اقدامها وقرئ تعلم بالتاء فاعلم علماء بني اسرائيل قال عطية كانوا خمسة عبد الله بن سلام وابن يامين وثعلبة واسد واسيد
خبر النقص في تكن وآية خبران يعلمه والجملة خبر يكن والباقون بالتذكير ونصب آية على انها خبره وان يعلمه هو الاسم صح
ولو نزلناه

ولو نزلناه على بعض الاعجمين كما هو زيادة في اعجازه وبلغة العجم وقرأ الاعجميين بتشديد الياء فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين لشدة شكيمتهم في الكفر والتكذيب وفرط عنادهم
واستكبارهم بعدم فهمهم واستنكافهم من اتباع العجم والاعجمين جمع اعجمي على التخفيف ولذلك جمع جمع السلامة وهو الذي في لسانه عجمة اي عدم افصاح بالعربية وان كان
عربيا وقيل هو الذي لا يفصح ولا يحسن العربية وان كان عربيا في النسب والعجمي المنسوب الى العجم وان كان فصيحا وقيل الاعجم الذي لا يفصح وفي لسانه عجمة واستعجام و
الاعجمي مثله الا ان فيه لزيادة ياء النسبة زيادة تأكيد وقرأ الحسن الاعجميين وكل من يتكلم بلسان غير لسانهم لا يفقهون كلامه قالوا له اعجم واعجمي شبهوه بمن لا يفصح
ولا يبين وقالوا لكل ذي صوت من البهائم والطيور وغيرها اعجم قال حميد ولا عربيا شاقه صوت اعجما والكاف في كذلك منصوب المحل اي مثل هذا السلك
سلكناه في قلوب المجرمين ادخلنا ومكناه وقررناه في قلوب المتوغلين في الاجرام المنهمكين في الآثام وهل ترى جرما اعظم واثما اكبر وجهلا ابلغ من ان يعدوا ما
انزل الله سحرا او شعرا او اساطير ومن صدقه الله بوصيه مفتريا وكاذبا وساحرا فالضمير المنصوب عايد الى الكفر الذي يدل عليه قوله ما كانوا به مؤمنين
فتدل الآية على ان كفر الكافر بخلق الله وقيل الى القرآن اي مثل هذا السلك وعلى مثل هذه الحال وهذه الصفة من الاعجاز والفصاحة والبلاغة وحسن النظم
ادخلناه في قلوبهم ووضعناه فيها فعرفوا معانيه واعجازه مع تلك الصفات ثم لم يؤمنوا به ولم يتفقهوا من جحودهم وانكارهم وقال ابن عباس والحسن ومجاهد
الضمير للشرك والتكذيب والمعنى التوبيخي حيث قال اي مثل هذا السلك سلكناه في قلوبهم وهكذا سلكناه وقررناه فيها وعلى مثل هذه الحال وهذه الصفة
من الكفر والتكذيب لم وضعناه فيها لا يؤمنون به اي يستمرون على ما هم عليه من الكفر به وجحوده وانكاره حتى يروا العذاب الاليم حتى يعاينوا الوعيد ويشاهدوه
وهو ضرب الملائكة عند الموت وقيل يعني بالعذاب الاليم الموت ويجوز ان يراد به عذاب الدنيا وعذاب الآخرة لوروده مطلقا غير مقيد باحد العذابين
وقوله لا يؤمنون به استيناف وقع موقع البيان والتقرير للجملة المتقدمة وهي قوله سلكناه في قلوب المجرمين او حال اي سلكناه فيها غير مؤمن به
فيأتيهم عذاب في الدنيا والآخرة بغتة فجأة وهم لا يشعرون وهم غافلون عنه لاشتغالهم بما يذهلهم عنه وقرأ الخليل حتى يروه بكسر الواو على مذهب
ابن يعمر وقرأ الحسن فتأتيهم بالتاء يعني الساعة وبغتة بالتحريك وفي قراءة ابي ويروه بغتة فيقولوا هل نحن منظرون ممهلون لنعتذر فنؤمن به ونستدرك
التفريط تحسرا وتأسفا على ما مضى منهم من الكفر والتكذيب وتحسرا على ما فاتهم من الايمان المنجي من العذاب الموعود وليس معنى التعقيب فيه ترادف رؤية العذاب
ومفاجاته وسؤال النظرة في الوجود وانما المعنى ترتيبهما في الشدة كانه قيل لا يؤمنون بالقرآن حتى يكون رؤيتهم العذاب فما هو اشد منها وهو لحوقه بهم مفاجاة فما
هو اشد منهم وهو سؤالهم النظرة وهل لطلب التصديق اي الحكم فطلبهم حصول الحكم بثبوت النظرة لهم وهو محال افبعذابنا يستعجلون الهمزة للانكار والفاء
للعطف والمعطوف عليه محذوف كانه قيل ايكذبون فيستعجلون بعذابنا او يكفرون بالقرآن فيستعجلون بعذابنا الذي ينطق به وما ينطق به فهو حق لابد من وقوعه
واتيانه وقدم الصلة لرعاية الفاصلة وقد جاء موضحا في قوله ويستعجلونك بالعذاب ولولا اجل مسمى الآية وقوله يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين
كانوا يستعجلون رسول الله بالعذاب فيقولون امطر علينا حجارة من السماء فأتنا بما تعدنا ومتى هذا الوعد فانكر عليهم ذلك بقوله افبعذابنا يستعجلون
وقيل تبكيت لهم بانكار وتهكم ومعناه كيف يستعجل العذاب من هو معرض لعذاب يسأل فيه من جنس ما هو فيه اليوم من النظرة والامهال طرفة فلا يجاب اليها
ويحتمل ان يكون هذا حكاية توبيخ يوبخون به عند استنظارهم يومئذ يستعجلون على هذا حكاية حال ماضية ووجه آخر متصل بما بعده وذلك ان استعجالهم بالعذاب
انما كان لاعتقادهم انه غير كائن ولا لاحق بهم وانهم ممتعون باعمار طوال في سلامة وامن فقال تعالى افبعذابنا يستعجلون اشرا وبطرا واستهزاء واتكالا على الامل
الطويل ثم قال هب ان الامر كما يعتقدون من تمتيعهم وتعميرهم فاذا لحقهم الوعيد بعد ذلك ما ينفعهم ما مضى من طول اعمارهم وطيب معاشهم وعن ميمون بن
مهران انه لقي الحسن في الطواف وكان يتمنى لقاءه فقال له عظني فلم يزده على تلاوة هذه الآية فقال ميمون لقد وعظت فابلغت افرأيت ارأيت بمعنى اخبر والفاء
على معناه الذي هو التعقيب كانه قال اخبر ايضا بقصتهم وان كرر شيء عقيب استعجالهم بعذابنا ان متعناهم سنين ان نفعناهم في الدنيا باعمار طوال
ومعايش طيبة ثم جاءهم ما كانوا يوعدون من العذاب ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون لم ينفعهم تمتعهم المتطاول في دفع العذاب وتخفيفه ويكون
كانهم لم يكونوا في نعيم وطيب عيش قط وقرأ الكسائي افرأيت وقرئ يمتعون بالتخفيف وما الاولى موصولة او موصوفة بمعنى عذاب كانوا يوعدون
به والثانية نافية والثالثة مصدرية او موصولة حذف العايد اليها وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون من مزيدة دخلت على المفعول لافادة
الاستغراق كانه قيل وما اهلكنا قرية ما ومنذرون فاعل الظرف او مبتدأ قدم عليه خبره والجملة صفة لقرية والمعنى وما تركنا قرية من القرى على
حال لا يسكنها احد وما خربناها وسويناها بالارض الا بعد ان بعثنا فيها رسلا لالزام الحجة مع علمنا انهم لا يؤمنون او وما دمرنا اهل قرية وما

قرئتا ديارهم الابعداه الزمناهم الحجة وقطعنا المعذرة ببعث المنذرين فيهم ذكرى منصوبة على العلة اي لكونه اهلاكهم تذكرة وعبرة لغيرهم فلا يجترئوا
على نحو ما اجترأ هؤلاء او اذا واديارهم وسمعوا اخبارهم وبعوا نهم على الله او ينذرونه لاجل التذكرة والموعظة وعلى هذا يكون مفعولا له لفعل محذوف يدل
عليه منذرون وعلى الاول يكون مفعولا له لاهلكنا او على المصدر لانها بمعنى الانذار فكانه قيل منذرون انذارا او بمعنى التذكرة فكانه قيل مذكرون //
تذكرة فان الذكر متقارب المفهوم او على الحال من ضمير منذرون اي ينذرونهم ذوي تذكرة او على الظرف اي وقت التذكرة او مرفوعة على
انها خبر محذوف اي هذه ذكرى والجملة اعتراضية بين المعطوف عليه والصفة منذرون باضمار ذووا اي منذرون ذووا ذكرى او جعلهم ذكرى لامعانهم
في التذكرة واطنابهم وما كنا ظالمين فنهلك غير الظالمين وقيل الانذار وهذا بيان لعدله وتقرير لتقدسه عن الظلم حيث افاد انه لا يهلكهم الا اذا كانوا ظالمين بتكذيب
الرسل والتمرد والعتو في الجحود والكفر والانكار ولا يهلكهم مع كونهم ظالمين الا بعد الزام الحجة وقطع المعذرة ببعثة الرسل اليهم ولا يجعل علم
بأحوالهم حجة عليهم وتنزه ذاته ان يهلك غير الظالمين وقيل تأكيد الحجة والالزام ببعثة الرسل الكرام وفي نفي الظلم عن نفسه على طريق المقابلة على
انهم هم الظالمون كما قال وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين وقيل وما كنا ظالمين في تعذيبهم حيث قدمنا الحجة عليهم واعذرنا اليهم وما تنزلت به
الشياطين رد لما زعم المشركين حيث قالوا ان الشياطين يلقون القرآن على لسان محمد فنفي ذلك به وكذبهم بان ذلك مما لا يتيسر للشياطين وقيل زعموا ان محمدا
كاهن وما ينزل عليه من جنس ما تنزل الشياطين على الكهنة فكذبوا بان ذلك مما لا يتسهل لهم وما ينبغي لهم وما يصح لهم ولا يستقيم ان ينزلوا به وما يستطيعون
ولا يقدرون على ذلك ثم علل ذلك بقوله انهم عن السمع لانهم عن استماع كلام الملائكة لمعزولون محجوبون بالشهب مرجومون وكان الملائكة يرجمونهم
بالشهب ويمنعونهم من الاستماع قبل ان يبعث رسول الله صلعم وبعد ما بعث كثر رجمهم ومنع الاستراق اصلا ونحن لم نجد في الكتاب والسنة والاثر سبب
رجمهم وعلة منعهم من الاستماع ما هو وقيل لانه مشروط بمشاركة في صفاء الذوات وقبول فيضان الحق والانتقاش بالصور الملكوتية ونفوسهم خبيثة ظلمانية
شريرة بالذات لا تقبل ذلك والقرآن مشتمل على حقايق ومغيبات لا يمكن تلقيها الا من الملائكة وقرأ الحسن الشياطون فاجري الاعراب على ما قبل
النون كقول فلسطون ويبرون وهو ايضا جمع شيطان من شاط حم اذا بطل اذا كانت نونه زايدة او من شطن الدار اذا بعد اذا جعلت اصلية وعن
القراء غلط الشيخ في قراءته الشياطون ظن انها النون التي على هجائين فقال النضر بن شميل ان جاز ان يحتج بقول العجاج ورؤبة فهلا جاز ان يحتج
بقول الحسن وصاحبه يعني محمد بن السميفع مع انا نعلم انهما لم يقرآ به الا وقد سمعا فيه واعلم ان الشيخ لم يتفرد بهذه القراءة بل قرأها غيره ايضا من
اهل النقل قال صاحب الغرايب رحمه من القراء الحسن وابن جبير واليماني وابو البرهسم الشياطون يجعلونه من الجمع الذي يجمع على هجائين //
فلا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين اي فاثبت في دينك وملة التوحيد ثباتا لا يطمعون ان يزيلوك عنه بجعلوك من جملتهم معدودا
في زمرتهم ونحوه ولا تكونن من المشركين فلا تكونن ظهيرا للكافرين وهيهات ان يحوم همة نبي الله حول ذلك المنهي ونحوه ولكنه اراد زيادة التثبيت
لرسول الله والعصمة والتهييج لازدياد الاخلاص والتقوى وفيه لطف لساير المكلفين ولهذا قال ابن عباس يحذر به غيره وفي التحذير
دافع بهم وههنا وجه آخر وهو ان مدرة القوم ويتدهم الذي لا يصدرون الا عن آرايه ولا يستبدون دونه مخاطب بشيء فيقوم خطابه مقام خطابهم
جميعا فكانه قيل فلا تدعوا مع الله الها آخر فتكونوا من المعذبين وله نظاير في القرآن لا يخفى على المتدبر بمعانيه وانذر عشيرتك الاقربين الاقرب منهم
فالاقرب لان الاهتمام بشأنهم اهم وقال الزمخشري فيه وجهان احدهما ان يؤمر بانذار الاقرب فالاقرب منهم من قومه ويبدأ في ذلك بمن هو اولى
بالبداءة ثم بمن يليه وان يقدم انذارهم على انذار غيرهم كما روي عنه عليه السلام انه لما دخل مكة قال كل ربا في الجاهلية موضوع تحت قدمي هاتين واول
ما اضعه ربا العباس والثاني ان يؤمر بان لا يأخذ ما يأخذ القريب للقريب من العطف والرأفة ولا يحابيهم في الانذار والتخويف وروي
انه عليه السلام صعد الصفا لما نزلت فنادى الاقرب فالاقرب فخذا فخذا وقال يا بني عبد المطلب يا بني هاشم يا بني عبد مناف يا عباس عم
النبي يا صفية عمة رسول الله اني لا املك لكم من الله شيئا سلوني من مالي ما شئتم وروي انه جمع بني عبد المطلب وهم يومئذ اربعون رجلا
كان الرجل منهم يأكل الجذعة ويشرب العس على رجل شاة وقعب من لبن فاكلوا وشربوا حتى شبعوا ورووا جميعا ثم انذرهم فقال يا بني عبد
المطلب لو اخبرتكم ان بسفح هذا الجبل خيلا اكنتم مصدقي قالوا نعم قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد وروي انه قال يا بني عبد المطلب
يا بني هاشم يا بني عبد مناف افتدوا انفسكم من النار فاني لا اغني عنكم شيئا ثم قال يا عائشة بنت ابي بكر ويا حفصة بنت عمر ويا فاطمة بنت محمد ويا

ويا صفية

مطلب بنات رسول الله

ويا صفية عمة محمد اشتروا انفسكم من النار فاني لا اغني عنكم شيئا واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ولين جانبك وتواضع لهم من خفض //
الطاير جناحه اذا اراد ان ينحط للوقوع ومن بيانية لان من اتبع اعم لدين او غيره او تبعيضية على ان المراد من المؤمنين المشارفون للايمان او المصدقون باللسان
والمعني من المؤمنين من عشيرتك وغيرهم يعني انذر قومك فان اتبعوك واطاعوك فاخفض لهم جناحك فان عصوك اي فان تمردوا على عصيانك ويثبت من اتباعهم
واطاعتهم اياك فقل اني بريء مما تعملون اي فتبرأ من اعمالهم من الشرك وغيره وخلقهم فقل اعذرني وما على هذا موصوفة ويجوز ان تكون موصولة حذف ضميره
لرعاية الفاصلة وان تكون مصدرية وتوكل على العزيز الرحيم وكل الى الله امرك في العصمة منهم الكفيل بكفك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم فانه الذي يقدر على
انتقام اعدائه ونصر اوليائه وقال الزمخشري التوكل تفويض الرجل امره الى من يملك امره ويقدر على نفعه وضره وقالوا المتوكل من ان دهمه امر لم يحاول دفعه عن
نفسه بما هو معصية لله فعلى هذا اذا وقع الانسان في محنة ثم سأل غيره خلاصه لم يخرج من حق التوكل لانه لم يحاول دفع ما انزل به عن نفسه بمعصية الله وقرأ
نافع وابن عامر وابو جعفر فتوكل بالفاء عطفا على الجزاء كما في قراءة الباقين او بدل منه وقيل عطف على فلا تدع الذي يراك حين تقوم الى التهجد وتقلبك
في الساجدين وترددك في تصفح احوال المتهجدين لتطلع عليهم من حيث لا يشعرون وتستبطن سرائرهم وكيف يعبدون الله وكيف يعملون لآخرتهم كما روي
انه لما نسخ فرض قيام الليل طاف تلك الليلة ببيوت اصحابه لينظر ما يصنعون حرصا على كثرة طاعاتهم فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع منها من دندنتهم
بذكر الله والتلاوة او يراك حين تقوم الى الصلوة بالناس جماعة وتقلبك فيما بين المصلين بالقيام والركوع والسجود والقعود اذا امهم وعن
مقاتل انه سأل ابا حنيفة رحمه الله هل تجد الصلوة في القرآن فقال لا تحضرني فتلا له هذه الآية ويحتمل انه لا يخفى عليه حالك كلما قمت وتقلبت
مع الساجدين في كفاية امور الدين وقال مجاهد يريد اينما كنت وتقلب بصرك في المصلين فانه كان يبصر من خلفه ايضا قال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم هل ترون من قبلي ههنا فوالله ما يخفى علي خشوعكم ولا ركوعكم اني لأراكم من وراء ظهري وقال الحسن وتصرفك وذهابك ومجيئك في اصحابك المؤمنين
وعن ابن عباس وتقلبك في اصلاب الانبياء من نبي الى نبي حتى اخرجك في هذه الامة من قوله عليه السلام الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين في
اصلاب الآباء من الرسل منهم آدم ومنهم نوح ومنهم ابراهيم واسمعيل عليهم السلام رواه معاذ بن جبل رضي الله عنه ذكره صاحب الفردوس في باب الالف
وقرئ ويقلبك انه هو السميع بما تقوله ويقولونه العليم بما تقوله ويعلمونه وهو علة للامر بالتوكل وانه هو ناصره على من يعصيه وعاصم من شرهم وقيل السميع بما تقول
العليم بما تنويه وتعمله هل انبئكم هل تخصيص المضارع بالاستقبال كالسين اي هل اخبركم بعد على من تنزل الشياطين هذا جواب لقولهم يتنزل عليه شيطان ثم
بين بقوله تنزل على كل افاك اثيم كل كذاب كثير الاثم وهو الكهنة والمتنبئة كشق وسطيح ومسيلمة وطليحة وقرأ الخليل ينزل الشياطين يلقون السمع //
واكثرهم كاذبون حال من تنزل او صفة لكل افاك او استئناف مبني على تقدير قول من قال لم تنزل على الافاكين فقيل يفعلون كيت وكيت والضماير
للشياطين اي يلقون السمع الى الملأ الاعلى قبل ان رجموا فيختطفون منهم بعض ما يتكلمون به من المغيبات التي اطلعهم الله عليها ثم يوحون به الى اوليائهم
او يلقون مسموعهم منهم الى اوليائهم واكثرهم كاذبون فيما يوحون به اليهم لانهم يسمعونهم لا على نحو ما تكلمت به الملائكة لشرارتهم وخبث دخلتهم في الاستماع
او لنقصان فهمهم واحوالهم او لقصور ضبطهم او افهامهم او لان الله تعالى سلب عنهم الصدق والتكلم به في اكثر الاشياء وجعلهم كاذبين فيه كما
جعلهم متنزلين بالكذب على الكذابين وقيل لما بين ان القرآن لا يصح ان يكون مما تنزلت به الشياطين اكد ذلك بان بين ان محمدا عليه السلام لا يصح ان تتنزل عليه من وجهين //
احدهما انه يكون على الشرير كذاب كثير الاثم فان اتصال الانسان بالغائبات لما بينهما من التناسب والتواد وحال محمد عليه السلام على خلاف ذلك وثانيهما قوله يلقون
السمع واكثرهم كاذبون اي الافاكون يلقون السمع الى الشياطين فيتلقون منهم ظنونا وامارات لنقصان علمهم فيضمون اليها على حسب تخيلاتهم اشياء لا يطابق اكثرها
الواقع كما جاء في الحديث الكلمة يخطفها الجني فيقرها في اذن وليه فيزيد فيها اكثر من مائة كذبة ولا كذلك محمد صلوة الله عليه فانه اخبر عن مغيبات كثيرة لا
تحصى وقد طابق كلها وقد فسر الاكثر بالكل كقوله افاك والاظهر ان الاكثرية باعتبار اقوالهم على معنى هؤلاء قل من يصدق منهم فيما يحكي عن الجني وقال قتادة هم
كل افاك اثيم هم الكهنة تسترق الجن السمع ثم يلقون الى اوليائهم من الانس وهو قوله يلقون السمع اي يستمعون من الملائكة مسترقين فيلقون فصار الى الكهنة
واكثرهم كاذبون لانهم يخلطون به كذبا كثيرا فصار الآية من المثلثات والشعراء يتبعهم الغاوون مستأنف وقد يعني شعراء الكفرة لا يتبعهم في باطلهم
وكذبهم وفضول قولهم الا الغاوون اي المتوغلون في الغواية المتمادون في الضلالة اذ لا يتبع الكافر والكاذب الا الكافر والكاذب وبناء الفعل على المبتدأ هو الدال
على معنى الاختصاص بالاتباع والمعنى ان محمدا او اتباعه ليسوا كذلك من شيء وهو استئناف ابطل كونه شاعرا وقرره بقوله الم تر انهم في كل واد يهيمون لان ذكر الوادي والهيوم فيه تمثيل

لزهابهم في كل فن من الغوا واعتسافهم وقلة مبالاتهم بالغلو في المنطق حتى يذكروا في الشعر ضلالات كالشراب لا حقيقة لها ولا وجود ولا عبرة بها ومن الفرزدق
ان سليمان بن عبد الملك سمع قوله فبتن بجانبي مصرعات وبت افض اغلاق الختام فقال قد وجب عليك الحد فقال يا امير المؤمنين قد درأ الله عني الحد بقوله وانهم يقولون
ما لا يفعلون وقيل الغاوون الشياطين وقيل الراوون الذين يروون هجاء المسلمين وقال الضحاك تهاجى على عهد رسول الله رجلان احدهما من الانصار والا
خر من غيرهم ومع كل منهما غواة من قومهم وهم السفهاء فنزلت الآية وهي رواية عطية عن ابن عباس وقيل هم شعراء قريش عبد الله بن الزبعرى وهبيرة بن ابي
وهب المخزومي ومسافع بن عبد مناف وابو عزة الجمحي ومن ثقيف امية بن ابي الصلت تكلموا بالكذب والباطل وقالوا نحن نقول مثل ما يقول محمد وكانوا يهجونه ويجتمع
الاعراب والغواة من قومهم يستمعون اشعارهم واهاجيهم ويروونه عنهم وقرا عيسى بن عمر والشعراء بالنصب باضمار فعل يفسره الظاهر وقرا نافع يتبعهم بالتخفيف اليم
وقرئ يتبعهم بالتشديد وتسكين العين تخفيفا كما سكن الشاعر والام التخفيف لمجاهد وزيد بن علي في قوله تعالى او يحدث لهم ذكرا وقوله نأكل منها ومنه قول
الشاعر فاليوم اشرب غير مستحقب وقيل تشبيها بعضد وانهم يقولون ما لا يفعلون قيل انهم يكذبون في شعرهم يقولون فعلنا وفعلنا وهم كذبة على ابي هريرة
قال النبي صلى الله عليه وسلم لئن يمتلي جوف احدكم قيحا خير له من ان يمتلي شعرا وقيل كان يقال اعجاز القرآن من جهة المعنى واللفظ وقد قدحوا في المعنى بانه
مما تنزلت به الشياطين وفي اللفظ بانه جنس كلام الشعراء فتكلم في القسمين وبين منافاة القرآن لهما ومضادة حال الرسول لحال اربابهما الا الذين امنوا وعملوا
الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا استثناء للشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكثرون ذكر الله وتلاوة القرآن في اغلب احوالهم واكثر اوقاتهم
ويقولون شعرا في التوحيد والثناء على الله ومدح رسوله والمؤمنين والحكم والمواعظ والزهد في الدنيا والترغيب في الآخرة وما لا باس فيه ولو قالوا هجوا ارادوا به
الانتصار عن هجاهم من غير اعتداء ولا زيادة على ما هو جواب عن جواب عن ابي بن كعب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من الشعر حكمة وعن عائشة انها
قالت الشعر كلام فحسنه حسن وقبيحه قبيح فخذ الحسن ودع القبيح وعن الشعبي كان ابو بكر وعمر وعلي يقولون الشعر وكان علي اشعر الثلاثة وعن ابن عباس انه كان ينشد الشعر
في المسجد ويستنشده وقيل المراد بالمستثنين عبد الله بن رواحة وحسان وكعب بن زهير والذين كانوا ينافحون عن رسول الله ويكافحون هجاة قريش عن انس
دخل النبي صلعم مكة في عمرة القضاء وابن رواحة يمشي بين يديه وهو يقول خلوا بني الكفار عن سبيله اليوم نضربكم على تنزيله ضربا يزيل الهام عن مقيله ويذهل
الخليل عن خليله فقال عمر يا ابن رواحة بين يدي رسول الله وفي حرم الله تقول شعرا فقال النبي صلعم خل عنه يا عمر فلهي اسرع فيهم من نضح النبل وعن البراء قال
رسول الله صلعم لحسان بن ثابت منبرا في المسجد يقوم عليه قائما يفاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويؤيد حسان بروح القدس ما ينافح او يفاخر عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه والذي نفسي بيده لكأنما ترمونهم به نضح النبل وعن عائشة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
لحسان ان روح القدس يزال يؤيدك ما نافحت عن الله ورسوله وقالت سمعته صلعم يقول هجاهم حسان فشفى واشتفى وقيل قوله وذكروا الله كثيرا اي لم يشغلهم الشعر عن ذكر
الله وانتصروا من بعد ما ظلموا اي قال مقاتل انتصروا من المشركين لانهم بدأوا بالهجاء ثم اوعد شعراء المشركين بقوله وسيعلم الذين ظلموا اشركوا وهجوا المسلمين اي منقلب
ينقلبون اي مرجع يرجعون بعد الموت قال ابن عباس الى جهنم والسعير وذكر المنقلب قصدا في تنكيره الى تعظيمه وابهام امره وانه شيء لا يكتنه النعت ولا يحيط الوصف
وتأكيده بالوعيد البليغ زادهم تهديدا وتهديلا اي منقلب ينقلبون يعني هل تعرفونه من هؤلاء في فرط ظلمهم وشدة شكيمتهم في الكفر والتكذيب فما
ظنكم بنظائر كون المنقلب مثلهم وقد تلاها ابو بكر لعمر رضي الله عنهما حين عهد اليه وكان السلف يتواعظون بها ويتناذرون شدتها وكان صفوان رضي الله عنه اذا
قرا هذه الآية بكى حتى يرى لعلها تدق قضيض ذوره وقرا ابن عباس اي منفلت ينفلتون من الانفلات وهو النجاة ومعناه ان الذين ظلموا اي تجاوزوا على ظلمهم يطمعون
ان ينفلتوا من عذاب الله وسيعلمون ان ليس لهم وجه من وجوه الانفلات اللهم يا ارحم الراحمين نسألك بوجهك الكريم ان تعصمنا من الظلم كله ظاهرا وباطنا
ومن عذابك كله اولا وآخرا ووسطا وتجعلنا من اهل النظر اليك غدوا وعشيا والتجلي فيك دائما ابدا وان تصلي في كل آن وحين على نبينا محمد وعترته الطاهرين
وسلم تسليما ابد الآبدين بالدما بالكافين وخير الغافرين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الشعراء كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب
هود وشعيب وصالح وابراهيم وبعدد من كذب بعيسى وصدق بمحمد

سورة النمل مكية وهي ثلث اواربع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم طس هو اسم من اسماء الله تعالى قال ابن عباس رضي الله عنهما وقيل اسم السورة وقيل من اسماء القرآن ومن ثم اخبر عنه بالقرآن والكتاب وقيل من حروف المعجم
قصد به التحدي والتنبيه على الاعجاز وقيل من موارا استأثر الله بعلمها وقرا حمزة والكسائي وابو بكر وخلف بامالة الى الطا وفيه دلالة على انها اسم لا حرف لا يجوز امالة
نحوما ولا والباقون بفتحها وهو يحتمل الرفع على الابتداء او الخبر والنصب على الاهمال وقرا وحذف حرف القسم والجر باضمار حرف القسم ويجوز ان يكون له محل كما لاحل للحل المبنية

والمفردات المعدودة تلك آيات القرآن وكتاب مبين تلك اشارة الى آيات السورة والمراد بالقرآن والكتاب المبين السورة واضافة الآيات الى القرآن للتعظيم وتنكير الكتاب للتفخيم
والمعنى تلك الآيات المنزلة اليك في هذه السورة آيات القرآن الكامل وكونه قرانا واي كتاب مبين اي آيات الجامع للكمال والغرابة في البيان يعني السورة اتلك الكاملة العجيبة في
بيانها ويجوز ان يراد بالكتاب القرآن وابانته انه يبين طرق الهدى من طرق الضلال وما يحتاج اليه الناس في ابواب الديانات او يبين لمن تدبره انه من عند الله لا من عند
البشر او وضح لا يشتبه على العرب معانيه لانه بلغتهم واساليبهم او ظاهر اعجازه وانه لا يتحدى به مكتوب وعطفه على القرآن كعطف احدى الصفتين على الاخرى وان
يراد اللوح وابانته انه قد خط فيه ما هو كائن فهو يبينه للناظرين فيه ابانته واخره باعتبار تعلق علمنا به وقدمه في الحجر باعتبار الوجود وقرا ابن ابي عبلة وكتاب مبين
بالرفع على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه تقديره وآيات كتاب مبين والياتي كتابا مبينا بالنصب على الاختصاص هدى وبشرى للمؤمنين دعاما الى الحق وا
ليقين وبشارة برحمة من رضوانه وجنات فيها نعيم مقيم للمصدقين به وتنكيرهما للتعظيم واختصاصهما بالمؤمنين لانهم المهتدون المبشرون بها والمنتفعون الفعل
بنزولهما وان كان دعاؤه عاما لكل ناظر من مسلم وكافر وهما في محل النصب على الحال من الآيات اي هادية ومبشرة والعامل فيهما ما دل عليه اسم الاشارة من معنى
كانه قيل اشير اليها هدى وبشرى او خبران لمحذوف اي هي هدى وبشرى او الجر على انهما صفتان اخريان لكتاب بمعنى هادية ومبشرا او بتقدير هو هدى وبشرى
دلالة على ان الكتاب في الهداية والبشارة بالغ درجة لا يكتنه كنههما ولا ايقاد رقد رهما حتى كانه هداية محضة خالصة لكل واحدة منهما من كل شائبة نقصانه
لكماله في الهداية والبشارة الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة يجمعون اقامة الصلوة وايتاء الزكوة ويستمرون على ادائهما وقيل الذين يعملون
الصالحات من الصلوة والزكوة والموصول يحتمل الوجوه الثلثة من الاعراب ويحتمل ان يكون مع ما بعده استئنافا مبنيا على تقدير سؤال وهم بالآخرة هم يوقنون
من جملة صلة الموصول والواو للحال او للعطف وتغيير النظم للدلالة على قوة يقينهم وثباته وانهم الاوحدون فيه او جملة اعتراضية كانه قيل وهؤلاء الذين
يجمعون بين الايمان والعمل الصالح هم الموقنون بالآخرة وكون الضمير للاختصاص كانه قيل وما يوقن بالآخرة حق الايقان الا هؤلاء الجامعون لان خوف
الآخرة يحملهم على تحمل المشاق والتكالف اولان اتصافهم بتلك الصفات المتقدمة يوجب اتصافهم بذلك الايقان ويحملهم عليه لانه من شانها استجرار سائر
العبادات واستتباعها لان الايمان اصل العبادات واساسها والصلوة والصدقة امهاتها فيتولد منها سائر العبادات والمنات ولذلك لا تجد شخصا
يجمع بين الايمان واقام الصلوة وايتاء الزكوة يشك ويرتاب في شانها واحوالها انما تجده موقنا بها حق الايقان ولا امر ما كرر الله تعالى الامر بالا
يمان واقام الصلوة وايتاء الزكوة في كتابه الكريم وقرنها ثم العظيم ان الذين لا يؤمنون بالآخرة لا يصدقون باليوم الذي لا بد لكل خلق من انتهائه اليه
ولا يعملون بالاستعداد له وهو يوم القيمة او بالدار الآخرة وهي الجنة التي ينتهي اليها كل مؤمن مخلص ايمانه ودينه من كل شائبة كدر والتعريف في الذين يحتمل ان
يكون للعهد اشارة الى ناس معهودين وهم كفار مكة وان يكون للجنس اشارة الى من يستمر على الاباء من الايمان ويصح عليه زينا لهم اعمالهم قيل اعمالهم القبيحة حتى
رأوها حسنة وقيل زين اعمالهم القبيحة بان جعلها مشتهاة للطبع محبوبة للنفس والاعمال الحسنة التي وجب عليهم ان يعملوها بترتب المثوبات عليها وقيل زين عليهم
اعمال الخيرات التي وجب عليهم ان يعملوها وقيل اسناد التزيين الى الله حقيقة لانه ما من شيء الا هو فاعله والمعنى حسناها في اعينهم واشربنا محبتها في قلو هم
وقال الزمخشري اسناده الى الشيطان حقيقة والى الله مجاز وله طريقان في علم البيان احدهما ان يكون من المجاز الذي يسمى الاستعارة والثاني ان يكون من المجاز الحكمي فالطريق الاول انه لما متعهم بطول العمر وسعة الرزق وجعلوا
انعام الله بذلك عليهم ذريعة الى اتباع شهواتهم وبطرهم وايثارهم التروح والترفه ونفارهم عما يلزمهم فيه التكاليف الصعبة والمشاق المتعبة فكانه زين
بذلك اعمالهم واليه اشارة الملائكة في قولهم ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر والطريق الثاني ان امهاله وتخليته حتى يزين لهم ملابسة ظاهرة للتزيين فا
سند اليه لان المجاز الحكمي يصحح بعض الملابسات فهم يعمهون يتحيرون فيها ويترددون كما يكون حال الضالين عن الطريق او يضلون عنها لا يدركون
ما يتبعها من ضر ونفع من العمه وهو التحير والتردد لا يبقى له راي ولا معرفة بالطرق حتى لا يدري اين يتوجه اولئك الذين لهم سوء العذاب شدة العذاب
في الدنيا كالقحط والقتل والاسر يوم بدر والجملة في محل الرفع على انها خبر آخر لضمير الجمع او استئناف جمع جواب سائل قال ما للذين لا يؤمنون بالآخرة اختصوا
بتزيين الاعمال والعمه فيها وهم في الآخرة هم الاخسرون اشد الناس خسرانا لفوات النجاة والثواب واستحقاق العذاب وتكرير الضمير للتاكيد ولما صدر حديث
خبره وانك لتلقى القرآن لتؤتى القرآن وتلقنه من لدن حكيم عليم تنكيرهما للتفخيم اي من عند اي حكيم واي عليم لا يدرك كنه حكمته وكنه علمه لفظها قيل الحكيم هو
معناه ذو الحكمة وهي العلم بالاشياء على ما هي عليه والاتيان بالافعال على ما ينبغي فيكون الجمع من العلم للصرف عليه وعلى غيره وقيل معناه الحكم من الاحكام
وهو اتقان التدبير في الاشياء والاحاطة التقدير لها فهو من لوازم العلم بها وكم من بين التبين والازم وقيل هو عبارة عن كون تعالى متقنا عن فعل ما لا ينبغي

بينهما دلالة على ان القرآن منتهٍ بحكم الله الباهرة وعلومه الكاملة ناطق بهما واشارة الى من يتلقى الذكر الحكيم من لدن حكيم عليم لا يكون الا كامل الحكمة
والعلم وقيل الجمع بينهما مع ان العلم داخل في الحكمة لعموم العلم ودلالة الحكمة على اتقان الفعل والاشعار بان علوم القرآن منها ما هو حكمة كالعقائد والشرائع
ومنها ما ليس كذلك كالقصص والاخبار عن المغيبات ثم شرع في بيان بعض تلك الحكم والعلوم بقوله اذ قال موسى لاهله اذ منصوب باضمار فعله نحو اذكر
اي اقوام من اثار حكمته وعلمه قصة موسى او بعليم اني آنست نارا ابصرتها ابصارا لا شبهة فيه وذكرها قصد ايها الى نار لها شان عظيم وحال عجيب حق من ابصرها ان
يهتم بها ويفتش عنها روي انه وقف متحيرا من شدة ضوء تلك النار ساتيكم منها بخبر بما يخبرهم عن حال الطريق لانه كان قد ضل وجمع الضمير ان كنى عن امرأته
بالاهل روي انه لم يكن معه غيرها او خطابا لها وللابناء على وجه التعظيم كما يخاطب الواحد بلفظ الجمع تعظيما له وتفخيما لشانه وهو كثير في لغة العرب والعجم ومنه قوله تعالى
يا ايها النبي اذا طلقتم النساء ونظير هذا الخطاب لفظ الجمع في التعظيم للغيبة بلفظ الجمع في قوله وانا له لحافظون وان كنا لمبتلين والسين للتجرد التاكيد لما علم من
فضل الله وسعة رحمته انه لم يجعل منه خالية عن الطريق ابدا وانه يهديه اليه لا محالة وقيل جاء به عِدة لاهله بانه يأتيهم به وان ابطأ او كانت المسافة بعيدة او آتيكم
بشهاب قبس الشهاب الشعلة والقبس النار المقبوسة في راس عود او غيره اي آتيكم بشعلة نار مقبوسة واضاف الشهاب الى القبس لانه يكون قبسا وغير قبس وقرأ
الكوفيون ويعقوب بشهاب قبس بالتنوين على ان القبس بدل من شهاب او صفة له على معنى بشهاب مقبوس والعِدتان على سبيل الظن ولذلك اوردهما بالترجي
في طه وبأو ودلالة على انه ان لم يظفر بهما لم يعدم احدهما اما هداية الطريق واما اقتباس النار بناء على ظاهر الامر وثقة بعادة الله لا يكاد يجمع حرمانين على
عبده وما ادراه حين قال ذلك انه ظافر على النار بحاجته الكلية جميعا وهما العزان عز الدارين لعلكم تصطلون استعير لعل لمعنى الارادة لتلاصق معناهما
ومعنى الترجي اي ارادة ان تستدفئوا بها من البرد وكان ذلك في الشتاء والصلاء النار بسواد كان بفتح الصاد والقصر او بكسرها والمد فلما جاءها نودي ان
نودي على الظرف وجاءها في محل الجر باضافته اليه تقديره فنودي حين جاءها ان بورك اي بورك على ان ان مفسرة لان في النداء معنى القول والمعنى قيل له بورك او بان
بورك على انها مصدرية او مخففة من التثقيل تقديره نودي بانه بورك وهو ضمير الشان والتخفيف وان اقتضى التعويض بلا او قد او السين او سوف لكنه دعاء وهو
يخالف غيره في احكام كثيرة من في النار ومن حولها اي من في مكان النار ومن حول مكانها وهو البقعة التي حصلت النار فيها وذكرت فيها في قوله تعالى نودي من
شاطئ الواد الايمن في البقعة المباركة ويشهد قراءة ابي تباركت الارض ومن حولها وعنه بوركت النار ومن حولها ومن ههنا قال
ابن عباس معناه ان بوركت النار فتكون البركة راجعة الى النار وسميت مباركة كما سميت البقعة مباركة وقيل من في النار ومن حولها جميعا الملائكة وقيل من في النار
موسى ومن حولها الملائكة وقيل بالعكس وعن ابن عباس والحسن وابن جبير بورك من في النار اي قدس من في النار وهو الله اراد به نفسه بناء على انه نادى
موسى منها واسمعه كلامه من جهتها وقيل الظاهر انه عام في كل من في تلك الوادي ومن حولها من ارض الشام الموسومة بالبركات في وبجنباته ولوطاة الارض
التي باركنا فيها للعالمين وحقت بالبركات لانها مبعث الانبياء ومهبط الوحي اليهم وكفاتهم احياء وامواتا ولا سيما تلك البقعة التي كلم الله فيها موسى وجمهور
المفسرين على ان المراد بالنار النور وذكر بلفظ النار بناء على ظن موسى وحسبانه وقال ابن جبير كانت النار بعينها وهي احدى حجب الله تعالى كما نطق به
الحديث وتصدير خطاب الله موسى بذلك عند مجيئه بشارة له بانه قد قضي له امر عظيم تنتشر منه البركة في ارض الشام كلها وقوله وسبحان الله رب العالمين تعجيب
لموسى من ذلك وايذان بان ذلك الامر مريده ومكونه رب العالمين تنبيها على ان الكائن من جلائل الامور وعظائم الشؤون فيكون من كلام الله من تمام
ما نودي به موسى لئلا يتوهم من سماع كلامه تشبيها او تعجب من موسى لما دهاه من عظمته وربوبيته كانه قال ما ابعد من له الربوبية المطلقة وما اعلاه عما
ينسب اليه من التشبيه بالاجسام في الكلام والمكان وغير ذلك فيكون من كلامه عليه السلام يا موسى انه انا الله العزيز الحكيم الهاء للشان وانا الله جملة مفسرة له او للمتكلم وانا
خبره والله بيان له اي ان المكلم انا الله او اني انا الله وهو اوفق بقوله في طه نودي يا موسى اني انا ربك وفي القصص ان يا موسى اني انا الله رب العالمين
العزيز الحكيم صفتان لله ممهدتان لما اراد ان يظهره على يده من المعجزة يعني انا القوي القادر على ما يبعد من الاوهام كقلب العصا حية الفاعل
كل ما افعله بحكمة وتدبير والق عصاك عطف على بورك من في النار وقيل له الق عصاك اي نودي ان بورك من في النار وان الق عصاك كلاهما تفسير لنودي
اي قيل له بورك من في النار وقيل له الق عصاك ويدل على ذلك قوله تعالى وان الق عصاك بعد قوله ان يا موسى اني انا الله بتكرير ان فلما رآها ظرف يعني
حين رآها تهتز تتحرك باضطراب كانها جان حية خفيفة سريعة وقيل جان حية صغيرة يكثر اضطرابها وقال الحسن جأنّ فرارا عن التقاء الساكنين
وانه كان على حده ولى مدبرا هرب من الخوف ولم يعقب ولم يرجع من عقب المقاتل اذا كر بعد الفرار وقتادة ولم يلتفت وانما رعب لظنه ان ذلك الامر اريد به

المرسلون

ويدل عليه قوله يا موسى لا تخف من غيري او مطلقا لقوله اني لا يخاف لدي المرسلون حين يوحى اليهم من فرط الاستغراق فانهم اخوف الناس من الله او لا يكون
لهم عندي سوء عاقبة يخافونه منه وقيل بين ان المنهم لا يخافونه اما الخوف الذي هو شرط الايمان فلا يفارقهم قال النبي صلى الله عليه وسلم انا اخشاكم لله تعالى والجملة
استئناف وقع تعليلا للنهي والمنع عن الخوف لان ان الواقعة بين الكلامين للتعليل الاول بالثاني غير خبر الثاني لان هذا انما يكون في ان بالفتح الا من
ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم استثناء منقطع بمعنى لكن لانه لما اطلق نفي الخوف عن الرسل كان ذلك مظنة لطرو الشبهة واستدرك به
ذلك يعني ولكن من ظلم منهم اي فرطت منه صغيرة كالذي فرط من آدم وداود واخوة يوسف وموسى بوكزه القبطي ويوشك ان يقصد به تعريض موسى بذلك وسماه
ظلما لقوله رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي وقيل متصل وثم بدل مستانف معطوف على محذوف اي من ظلم ثم بدل ذنبه بالتوبة وما قيل من ان الا ههنا بمعنى
ولا كقوله لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا يعني ولا من ظلم فمما لم يعرف به المهرة المتقنون وقرأ زيد بن اسلم الا من ظلم بفتح الهمزة
هو حرف التنبيه وكذا الا من نوني وكذا المراد بالحسن حسن التوبة وبالسوء قبح الذنب وروى عصمة عن ابي عمرو انه قرأ حسنا وبه قرأ مجاهد وابن ابي عبلة
ابو البرهسم وابو حيوة واليماني وزيد بن علي وفي مصحف ابي فاني غفور رحيم ثم اراه آية اخرى فقال وادخل يدك في جيبك لانه كان عليه مدرعة صوف
لا كم لها وقيل الجيب القميص لانه يجاب اي يقطع وهو عطف على لا تخف او الق عصاك تخرج بيضاء تانيث الابيض وانتصابها على الحال من غير سوء
من غير آفة كبرص وهو متعلق ببيضاء صفة لها او بتخرج بيضاء لا عيب فيها في تسع آيات كلام مستانف بالارسال والجار متعلق بمحذوف اذهب في تسع آيات
اي في جملتها ومعها على ان التسع هي الفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمسة والجدب في بواديهم والنقصان في مزارعهم ولمن عد العصا
واليد من التسع ان يعد الاخيرين واحدا ولا يعد الفلق لانه لم يبعث به الى فرعون او متعلق بادخل الى فرعون وقومه متعلق بمحذوف هو اذهب او غيره كانه قيل في تسع آيات ارسلنا
بها الى فرعون او ارسلتك في تسع آيات الى فرعون انهم كانوا قوما فاسقين متجاوزين في الفسق مصرين عليه وهو تعليل الارسال وقرأ ابو البرهسم يخرج بضم التاء والبناء للفاعل اي
تخرج يدك بيضاء نورا وقيل اي تخرجها او ارادة ان تخرج اليد نورا فلما جاءتهم آياتنا عطف على محذوف كانه قيل جاءهم موسى بها فقالوا هذا سحر مبين حين جاءتهم آياتنا مبصرة
ظاهرة لا لبس فيها والاخفاء اسم فاعل اطلق للمفعول اشعارا بانها لفرط اجتلائها للابصار بحيث تكاد تبصر نفسها لو كانت مما يبصر او ذات تبصر من حيث انها تهدي والعمى
لا تهتدي فضلا عن غيرها او مبصرة كل من نظر اليها وتأمل فيها وقرأ علي بن الحسين وقتادة مبصرة اي مكانا يكثر فيه التبصر ونظيرها مجبنة ومبخلة ومجزرة قالوا هذا سحر مبين ظاهر
مكشوف لا شبهة فيه وهذا اشارة الى ما جاء به موسى من الآيات والمعجزات وجحدوا بها انكروها وكذبوا بها كانوا يعرفون انها حق وصدق لكنهم جحدوها كما يجحد المودع
الوديعة وينكرها واستيقنتها انفسهم الواو للحال باضمار قد اي وقد استيقنتها يعني وقد علمت انفسهم علما يقينا انها من عند الله تعالى ظلما لانفسهم او شركا
علوا تكبرا عن الايمان بها وانتصابهما على العلة من جحدوا والحال اي ظالمين ومتعالين او على المصدر لفعل محذوف وقع استئنافا على سؤال سائل قال لم جحدوها او ما لهم
جحدوها مع علمهم انها من عند الله وهم يظلمون ويعلون وقرأ اليماني والاعمش وطلحة علوا وعليا بكسر العين اتباعا وعن طلحة عليا بضم العين وقرئ غلوا بالغين المعجمة
والمعنى متقارب فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وهو الاغراق في الدنيا والاحراق في الآخرة ووضع المظهر موضع المضمر ليدل على ان جحودهم بها وتغنيهم في التمادي با
شق العذاب انما كان لتمردهم في الافساد وتماديهم في فعل ما يؤدي الى الفساد ولقد آتينا داود وسليمان علما طائفة من العلم او علما سنيا عزيزا وهو علم الحكم والشرائع و
قيل علم القضاء ومنطق الطير في تسبيح الجبال وقالا الحمد لله عطف على آتينا او على مقدر اي فعملا به وقالا الحمد لله وقال الزمخشري هذا موضع الفاء كما يقال اعطيته فشكر و
منعته فصبر وعطفه بالواو اشعارا بان ما قالاه بعض ما احدث فيهما العلم كانه قال ولقد آتيناهما علما فعملا به وعرفا حق النعمة فيه والفضيلة وقالا الحمد لله وقال السكاكي يحتمل
عندي ان تعالى اخبر عما صنع بهما وعما قالا كانه قال نحن فعلنا ايتاء العلم وهما فعلا الحمد لله من غير بيان ترتبه عليه اعتمادا على فهم السامع كقولك قم يدعوك بدل قم
فانه يدعوك الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين يريد به من لم يؤت علما او من لم يؤت مثل علمهما وفيه الاعلام بجلالة ما اوتيا من العلم وزيادة فضله وشرف وانه من
اجل نعم الله بها عليهما وافضلها واشرفها حيث اخبر الله بايتائه اياهما وشكرا بالقسم ومنكرا اياه فصل في تنكيره الى فخامته وانه علم لا يوازيه كل علم سواه وفيه
فيها دليل على شرف العلم وانافة محله وتقدم حملته واهله وان نعمة العلم من اجل النعم واجزل القسم وان من اوتيه فقد اوتي فضلا على كثير من عباد الله كما قال
والذين اوتوا العلم درجات وما سماهم رسول الله ورثة الانبياء الا لمداناتهم لهم في الشرف والمنزلة لانهم القوام بما بعثوا من اجله وفيها انه يلزمهم لهذه
النعمة الفضيلة لوازم منها ان يحمدوا الله على ما اوتوه من فضلهم على غيرهم ومنها التذكير بالتواضع وان يعتقد العالم انه ان فضل على كثير فقد فضل
عليه مثلهم وما احسن قول عمر كل الناس افقه من عمر وورث سليمان داود النبوة والملك دون سائر بنيه وكانوا تسعة عشر وقيل النبوة اما

او الكل بان قام مقام وقال يا ايها الناس علمنا منطق الطير تشهيرا لنعمة الله وتنويها بها ودعاء للناس الى التصديق بذكر المعجزة التي هي علم منطق الطير وما اوتيه من
عظائم الامور والمنطق كل لفظ ينطق به من المفرد والمركب وقد يطلق لكل ما يصوت به على التشبيه او التبع كقولهم نطقت الحمامة ومنه الناطق والصامت
للحيوان والجماد واذا الاصوات الحيوانية من حيث انها تابعة للتخيلات منزلة منزلة العبارات سيما وفيها ما يتفاوت باختلاف الاغراض بحيث يفهمها من جنسه
ولعل سليمان عليه السلام مهما سمع صوت حيوان علم بقوته القدسية التخيل الذي صوته والغرض الذي توخاه به ومن ذلك ما حكى انه مر ببلبل يصوت ويترقص
فقال يقول اذا اكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء فصاحت فاختة فاخبر انها تقول ليت ذا الخلق لم يخلقوا وصاح طاوس فقال يقول كما تدين تدان وصاح هدهد
فقال يقول من لا يرحم لا يرحم وصاح صرد فقال يقول استغفروا الله يا مذنبين وصاح طيطوى فقال يقول كل حي ميت وكل جديد بال وصاح خطاف
فقال يقول قدموا خيرا تجدوه وهدرت حمامة فقال تقول سبحان ربي الاعلى ملء سمائه وارضه وصاح قمري فقال يقول سبحان ربي الاعلى وقال الغراب يدعو على العشار
والحداة يقول كل شيء هالك الا الله والقطاة يقول من سكت سلم والببغاء يقول ويل لمن الدنيا همه والضفدع يقول سبحان ربي القدوس والبازي يقول سبحان
ربي وبحمده والضفدعة يقول سبحان ربي المذكور بكل لسان والورشان يقول لدوا للموت وابنوا للخراب وروي عن جماعة من اليهود انهم قالوا لابن عباس انا اخبرنا
بما يقول القنبرة صفيره والديك في صفيقه والضفدع في نقيقه والحمار في نهيقه والفرس في صهيله وما يقول الزرزور والدراج آمنا
وصدقنا فقال القنبر يقول اللهم العن مبغض محمد وآل محمد والديك يقول اذكروا الله يا غافلون والضفدع يقول سبحان المعبود في لجج البحار والحمار يقول اللهم
العن العشار والفرس يقول اذا التقى الصفان سبوح قدوس رب الملائكة والروح والزرزور يقول اللهم اني اسالك قوت يوم بيوم يا رزاق والدراج يقول الرحمن على العرش
استوى فاسلم اليهود وحسن اسلامهم وعن علي رضي الله عنه انه قال اذا قال اذا صاح النسر قال ابن آدم عش ما شئت فان آخره الموت واذا صاح العقاب قال
في البعد عن الناس انس واذا صاح القنبر قال الهي العن مبغض محمد وآل محمد واذا صاح الخطاف قرا الحمد لله رب العالمين ويمد الضالين كما يمد القاري والضمير في علمنا
واوتينا لسليمان ولابيه او وحده على عادة الملوك والعظماء لمراعاة قواعد السياسة وقرا عمر بن علي علمنا بفتح العين وتخفيف اللام وابو البرهسم علمنا بضم اللام والبناء للفاعل
واوتينا من كل شيء اراد يؤتى من كل شيء كثرة ما اوتي كقولك فلان يقصده كل احد ويعلم كل شيء تريد كثرة قصاده ورجوعه الى غزارة في العلم استكثارا منه ونحوه قوله واوتيت
من كل شيء ان هذا لهو الفضل المبين الواضح الذي لا يخفى على احد او الذي يبين لكل احد انه من عند الله لا من عند غيره وهذا القول منه على وجه الشكر والمحمدة كما قال
النبي صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم ولا فخر اي اقول هذا القول شكرا ولا اقوله فخرا وقيل اوتينا من كل ما اوتي الانبياء والملوك وعن ابن عباس من امر الدنيا والآخرة
وعن مقاتل يعني النبوة والملك وتسخير الجن والانس والشياطين والرياح ان هذا لهو الفضل المبين الزيادة الظاهرة على ما اعطي غيرنا روي ان سليمان اعطي ملك مشارق الارض
ومغاربها فملك سبعمائة سنة وستة اشهر ملك جميع اهل الدنيا من الجن والانس والدواب والطير والسباع واعطي على ذلك منطق وفي زمانه صنعت الصنائع
العجيبة وحشر وجمع لسليمان جنوده من الجن والانس والطير روي ان معسكره كان مائة فرسخ في مائة خمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للانس وخمسة وعشرون
للطير وخمسة وعشرون للوحش وكان له الف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلثمائة منكوحة وسبعمائة سرية وقد نسجت له الجن بساطا من ذهب وابريسم فرسخا
في فرسخ وكان يوضع منبره في وسطه وهو من ذهب فيقعد عليه وحوله ستمائة الف كرسي من ذهب وفضة فيقعد الانبياء على كراسي الذهب والعلماء على كراسي
الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظلله الطير باجنحتها حتى لا يقع عليه الشمس وترفع ريح الصبا البساط فتسير به مسيرة شهر ويروى انه
كان يامر الريح العاصف تحمله ويامر الرخاء تسيره فاوحى الله تعالى وهو يسير بين السماء والارض اني قد زدت في ملكك لا يتكلم احد بشيء الا القته الريح في سمعك
فيحكى انه مر بحراث فقال لقد اوتي آل داود ملكا عظيما فالقته الريح في اذنه فنزل ومشى الى الحراث فقال انما مشيت اليك لئلا تتمنى ما لا تقدر عليه ثم قال لتسبيحة واحدة
يقبلها الله خير مما اوتي آل داود فهم يوزعون يحبس اولهم على آخرهم اي يوقف سلاف العسكر حتى يلحقهم التوالي فيكونوا مجتمعين لا يتخلف منهم احد
وذلك للكثرة العظيمة وقالوا من تلك الجنود يا قوم وقال قتادة كان على كل صنف من جنوده وزعة ترد اولاها على اخراها لئلا يتقدموا في المسير والوازع الحابس
وهو النقيب حتى اذا اتوا على واد النمل هو واد بالشام كثير النمل وقال كعب الاحبار واد بالطائف وعن وهب بن منبه قال كعب كان سليمان اذا ركب حمل اهله
وخدمه وحشمه وقد اتخذ مطابخ ومخابز يحمل فيها تنانير الحديد وقدور عظام يسع كل قدر عشر جزائر واتخذ ميادين للدواب امامه فيطبخ الطباخون ويخبزون
وتجري الدواب بين يديه بين السماء والارض والريح تهوي بهم فسار من اصطخر الى اليمن فسلك مدينة الرسول صلعم فقال سليمان هذه دار هجرة نبي يخرج في
آخر الزمان طوبى لمن آمن به وطوبى لمن اتبعه وراى حول البيت اصناما تعبد من دون الله فلما جاوز سليمان البيت بكى البيت فاوحى الله الى البيت ما يبكيك

فقال يارب

شاه
يا يحيى
...

فقال يارب الخالق ان هذا نبي من انبيائك وقوم من اوليائك مروا علي فلم يهبطوا ولم يصلوا عندي والاصنام تعبد حولي من دونك فاوحى الله تعالى اليه لا تبك
فاني سوف املاك وجوها سجدا وانزل فيك قرآنا جديدا وابعث منك نبيا في آخر الزمان احب الانبياء الي واجعل فيك عمارا من خلقي يعبدوني وافرض على عبادي فريضة
يزفون اليك زفيف النسور الى وكرها ويحنون اليك حنين الناقة الى ولدها والحمامة الى بيضتها واطهرك من الاوثان وعبدة الشياطين ثم مضى سليمان حتى مر بوادي السدير
واد من الطائف فاتى على واد النمل وقيل واد مسكنه الجن واولئك النمل مراكبهم وقيل كان نمل ذلك المكان امثال الذباب وقيل كالبخاتي والمشهور ان النمل الصغير وانما عدي
اتوا بعلى لان اتيانهم كان من فوق فاتى بحرف الاستعلاء او لان المراد قطع الوادي وبلوغ آخره من قولهم اتى على الشيء اذا انفده وبلغ آخره قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا
مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده قيل انهم ارادوا ان ينزلوا عند مقطع الوادي لانهم ما دامت الريح تحملهم في الهواء لا يخاف حطمهم وقيل كانوا ماشين متوجهين
الى الوادي فرت النمل عنهم مخافة حطمهم فتبعها غيرها فصاحت صيحة تنبهت بها ما بحضرتها من النمال فتبعها فشبه ذلك بمخاطبة العقلاء ومناصحتهم ولذلك اجروا
مجراهم مع انه لا يمتنع خلق الله فيها العقل والنطق وقيل لما جعلهم قوالا كالادميين خوطبوا بخطاب الادميين وايا ما كان فالقرآن ناطق بتكلم النملة وشاهد بانها تحدث
صريحا مثل ما يتحدث الناس لان تكلمها وتحدثها صوت حيواني من حيث انه تابع للتخيل منزل منزلة العبارة كما زعم بعضهم في منطق الطير فان هذا خلاف نص
القرآن ايضا ذلك اليق بكون معجزة لنبي الله وادخل في الاعجاز لا غيره مما يخالف النص الصريح فالحق لان النمل لها قول حقيقي والطير لها نطق حقيقي كقول الناس و
نطقهم اختص سليمان من اهل عصره بمعرفته وفهمه وادراكه ليكون معجزة له اختصاص سائر الانبياء بمعجزاتهم الباهرة ولذلك لم يعرف ذلك غيره من قومه ولم يسمع قولها
مثلها فتبسم هو من قولها هذا هو القول الفحل والمذهب الجزل بشهادة سيد المرسلين صلعم حيث قال عليه ان نملة تجر نصف شقها اهدت الى سليمان بن داود فتبسم خلق
فوضعت بين يديه لجليل قدره لقدره على المنة مثالها ولكنا نهدي الى من نحبه وان لم يكن في وسعنا ما يشاكله فاتاه جبريل فقال ان الله تعالى يقريك السلام ويقول تقبل
هديتها فان الله يحب جهد المقل ذكره الفردوسي وعن مقاتل سمع سليمان كلامها من ثلثة اميال وروي انه لما بلغ وادي النمل حبس جنوده حتى دخل النمل بيوتهم
وقرئ نملة يا ايها النمل بضم النون والميم وكان الاصل النمل بوزن الرجل والنمل الذي عليه الاستعمال تخفيف عنه كقولهم السبع في السبع والقبع في القبع وقال الشعبي
كانت النملة ذات جناحين وقيل عرجا تكاوس في المشي قتادة بذلك وقال الضحاك كان اسمها طاحية وقيل حرمي وكانت انثى بدليل قوله تعالى قالت نملة بتأنيث الفعل وعن
قتادة انه دخل الكوفة فالتف عليه الناس فقال سلوني عما شئتم وكان ابو حنيفة حاضرا وهو غلام حدث فقال سلوه عن نملة سليمان كانت ذكرا ام انثى فسألوه فافحم
فقال ابو حنيفة كانت انثى فقيل له من اين عرفت فقال من كتاب الله وهو قوله قالت نملة ولو كانت ذكرا لقال قال نملة وذلك ان النملة مثل الحمامة والشاة في وقوعها
على الذكر والانثى فيميز بينهما بعلامة نحو قولهم حمامة ذكر وحمامة انثى وهو وهي وهذا ورد هو الى نحو ذلك من العلامات والغيبة والخطاب والتثنية والجمع والاشارة
والموصول وقرئ مسكنكم وقرئ رويس لا يحطمنكم بالنون الخفيفة والباقون بالنون الثقيلة والحطم الكسر وقرئ لا يحطمنكم بفتح الحاء وكسرها واصله يحتطمنكم وعن
وفي حرف ابي ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان بجنوده وقراءة والاعمش يحطمكم بغير نون وهو استئناف او نهي بدل من الامر على معنى لا تكونوا حيث انتم فيحطمنكم نهيا
للنمل عن التوقف بحيث يحطمونها كقولهم لا ارينك ههنا نهيا للمخاطب عن شاهدة والكون بحضرة وذلك بسبب لرؤيته اياه ومنع كونه جوابا للامر بان النون لا
يدخل في الشائعة الشعر وهم لا يشعرون انهم يحطمونكم اذ لو شعروا لم يفعلوا كانها شعرت عصمة الانبياء من الظلم والايذاء وقيل استئناف اي فهم سليمان وهم لا يشعرون
فتبسم ضاحكا من قولها تعجبا من حذرها وتحذيرها شفقة على بني نوعها ورحمة عليهم ومن اهتدائها الى مصالحها او سرورا بما خصه الله من ادراك سمعه ما همس به
بعض الحكل الذي هو مثل في الصغر والقلة ومن احاطته بمعناه وغرضها ولذلك اشتمل دعاؤه على استيزاع الله شكر ما انعم عليه من ذلك وعلى استيفاقه لزيادة العمل
العمل الصالح والتقوى ومعنى فتبسم ضاحكا تبسم شارعا في الضحك ان يكون مسموعا لفاعله لا لغيره والتبسم ان لا يكون مسموعا اصلا عن عبد الله بن الحرث ما رايت
احدا اكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عائشة ما رايت رسول الله مستجمعا قط ضاحكا حتى ارى منه لهواته انما كان يتبسم واما القهقهة فهي
ان يكون مسموعة للغير وما روي انه عليه السلام ضحك حتى بدت نواجذه فالمراد منه المبالغة في تبسم حتى وصل الى قرب من الضحك بحيث كان هو وقيل فالضحك
المبالغة في الوصف ما وجد منه من الضحك النبوي والاقل والنواجذ على الحقيقة انما يكون عند الاستغراب وقرا ابن السميفع ضحكا وقال الزجاج كان اكثر ضحك الانبياء
التبسم وقال رب اوزعني ان اشكر نعمتك اجعلني ازع شكر نعمتك عندي اي اكفه وارتبطه لا ينفلت مني حتى لا انفك شاكرا لك وقرا ورش والبزي اوزعني بفتح الياء التي
انعمت علي وعلى والدي ادرج فيه ذكر والديه استعظاما للنعمة واستكثارا لها فان النعمة على كل واحد من هؤلاء الثلثة نعمة على الآخرين فرجع نفعها اليهم جميعا
خصوصا النعمة الدينية وان اعمل صالحا ترضيه تماما للشكر واستدامة للنعمة وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين واجعلني من اهل الجنة الذين هم اعظم عبادك

واصلحهم وفيلا دخلني في جملتهم واثبت اسمي مع اسمائهم واحشرني في زمرتهم وقال ابن عباس يريد مع ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب ومن بعدهم من النبيين عليهم
وتفقد الطير قال ابو عبيدة وقطرب الطير يطلق على الواحد والجمع لمن قال معنى تفقد الطير طلبه وبحث عنه فقد اراد به الواحد ومن قال معناه تعرف الطير فلم يجد فيها
الهدهد فقد عنى به الجمع وفي الصحاح تفقد الشيء طلبه في غيبته وقيل تفقد الشيء تطلبه فقال مالي لا ارى الهدهد الجمهور على ان الاستفهام فيه محمول على التعجب لا على حقيقته
اذ المعنى لا يستفهم العاقل عن حال نفسه وذلك ان الهدهد كان لا يغيب عن سليمان الا باذنه فلما لم يره في مكانه تعجب من حال نفسه في عدم رؤيته اياه وقول
الزمخشري نظر سليمان الى مكان الهدهد فلم يبصره فقال مالي لا ارى الهدهد على معنى انه لا يراه وهو حاضر لساتر ستره او غير ذلك ثم لاح له انه غائب فاضرب عن ذلك
واخذ يقول اهو غائب كأنه يسأل عن صحة ما لاح له يدل على انه محمول على حقيقته وادل منه عليه واوضح قول من قال كأنه لما لم يره ظن انه حاضر ولا يراه
لساتر وغيره وقال مالي لا ارى ثم احتاط فلاح له انه غائب فاضرب عن ذلك واخذ هو غائب كأنه يسأل عن صحة ما لاح له فليس في هذين القولين شيء يدل
على انه محمول على التعجب كما لا يخفى على من تأمل فيهما تأملا صحيحا ام كان من الغائبين ام منقطعة بمعنى بل والهمزة ومعنى بل اضراب من الكلام الاول بمعنى نفيه والحكم
بانتفائه وبطلانه بل بمعنى الشروع فيما هو الاهم وهو الحث على تحصيله والتحريض على احضاره لان حضوره كان من اوسط مطالبه وابلغ مقاصده وانجح لحاجته لشدة
حاجته الى الماء ولم يحصل الا به ومعنى الهمزة التقرير اي كان غائبا حين لم يره ولم يبصره وبجوز ان تكون متصلة على انه يقدر قبلها محذوف كأنه قيل استره ساتر
ام كان من الغائبين بمعنى ان الامر لا يخلو عن كاين على سبيل التقرير لا نتفاء حقيقة الاستفهام اي استواء الامرين في علم المستفهم وكون السؤال عن التعيين وذلك لان
علم المستفهم وهو سليمان عليه السلام واقع حاصل بان المتحقق احد الامرين وهو كونه غائبا ولهذا اوعده بقوله لاعذبنه عذابا شديدا بان ينتف ريشه او يطليه بالقطران
او يلقيه للنمل تأكله او يجعله في القفص او يفرق بينه وبين الفه وهو اشد من الموت او يلزمه حدمة اقرانه او صحبته اضداده وعن بعضهم اضيق السجون معاشرة
الاضداد او لاذبحنه لا قطعن حلقه وقرأ ابو البرهسم او لاذبحنه باشباع الالف لا شباع كقوله تعالى لا اقسم وهذا وجه ما روي عنه في الشواذ لاقطعن ولاصلبنكم
بالالف ليعتبر به ابناء جنسه روي ان سليمان لما فرغ من بناء بيت المقدس تجهز للحج بجنوده فلما وافى الحرم واقام به ما شاء وكان يقرب كل يوم طول مقامه بخمسة
الالاف ناقة وخمسة الالاف بقرة وعشرين الف شاة وقال لمن حضره من اشراف قومه ان هذا المكان يخرج منه نبي عربي نعته كذا وكذا يعطى النصر على جميع من ناواه
وتبلغ هيبته مسيرة شهر عنده القريب والبعيد في الحق سواء لا تأخذه في الله لومة لائم فقالوا باي دين يدين قال يدين بدين حنيفية فطوبى لمن ادركه وآمن به
فقالوا كم بيننا وبين خروجه قال مقدار الف سنة فليبلغ الشاهد منكم الغائب فانه سيد الانبياء وخاتم الرسل ثم عزم على السير الى اليمن وخرج من مكة صباحا
يؤم سهيلا فوافى صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى ارضا حسنة اعجبته خضرتها فاحب النزول فيها ليتغدى ويصلي فلم يجدوا الماء وكان الهدهد
قناقنه وكان يرى الماء من تحت الارض كما يرى في الزجاجة ويعرف قربه وبعده فيجيء الشياطين فيسلخونها كما يسلخ الاهاب ويستخرجون الماء فتفقده لذلك
وحين نزل سليمان قال الهدهد ان سليمان قد اشتغل بالنزول فارتفع نحو السماء فنظر الى طول الدنيا وعرضها ففعل ذلك فنظر يمينا وشمالا فرأى
بستانا لبلقيس فمال الى الخضرة فوقع فيه فرأى هدهدا واقعا فهبط عليه فوصف له ملك سليمان وما سخر له من كل شيء وذكر له صاحبه ملك بلقيس وان تحت يدها
اثني عشر الف قائد تحت يد كل قائد مائة الف وذهب معه لينظر فما رجع الا بعد العصر وذكر انه وقعت نفحة من الشمس على رأس سليمان فنظر فاذا موضع الهدهد
خال وقيل نزل فلما نزل سليمان دخل عليه وقت الصلوة وكان نزل على غير ماء فسأل الجن والانس والشياطين عن الماء فلم يعلموا فتفقد الطير ففقد
الهدهد فدعا عريف الطير وهو النسر فسأل عن الهدهد فقال له اصلح الله الملك ما ادري اين هو وما ارسلته الى مكان فغضب عند ذلك سليمان وقال لا
عذبنه عذابا شديدا الآية ثم دعا العقاب وهو سيد الطير فقال علي بالهدهد الساعة فارتفع نحو السماء فنظر الى الدنيا كالقصعة بين يدي احدكم ثم التفت
يمينا وشمالا فاذا هو مقبل من نحو اليمن فانقض العقاب نحوه يقصده بالسوء فناشده الهدهد وقال بحق الله الذي قواك واقدرك علي الا رحمتني ولم تتعرض لي
بسوء فتركه وقال ثكلتك امك ان نبي الله قد حلف ليعذبنك قال وما استثنى قال بلى قال او ليأتيني بسلطان مبين يحتج به يثبت عذره قال نجوت اذا فلما قرب
من سليمان ارخى ذنبه وجناحيه يجرها على الارض تواضعا له فلما دنا منه اخذ برأسه فمده اليه فقال يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله فارتعد وعفا عنه
فقال ما الذي ابطأك عني فقال ما اخبر الله عنه في قوله فمكث غير بعيد ثم سأل تعذيبه ان يؤدب بما يحتمله حالة ليعتبر به ابناء جنسه فان قيل في صحة حلفه
على فعليه لكن كيف صح حلفه على فعل الهدهد ومن اين درى انه يأتي بسلطان مبين اجيب بانه لما نظم الثلثة باو في الحكم الذي هو الحلف آل كلامه الى قوله ليكونن
احد الامور بمعنى انه ان كان الاتيان بالسلطان لم يكن تعذيب ولا ذبح وان لم يكن كان احدهما وليس في هذا ادعاء دراية على انه يجوز ان يتعقب حلفه بالفعلين وحي

من الله بانه سيأتيه بسلطان مبين وقرأ ابن كثير وعاصم والكسائي وهشام ما لي بفتح الياء والباقون بسكونها وقرأ ابن كثير ليأتينني بنونين مثقلة اولهما والباقون ليأتيني
بنون مشددة مكسورة وعن عيسى بن عمرو ليأتينني بغير ياء فمكث غير بعيد زمانا غير بعيد او غير زمان بعيد ووصفه بقصر المدة للدلالة على سرعة رجوعه خوفا من سليمان وقرأ عاصم ويعقوب
في رواية روح فمكث بفتح الكاف والباقون بضمها وهما لغتان وفي حرف ابي وابن مسعود رضي الله عنهما فتمكث فقال احطت بما لم تحط به علمت ما لم تعلم من حال سبا واهلها الهم الله
الهدهد وقواه بان يخاطب سليمان ويكافح بهذا الكلام مع اختصاصه بفضل النبوة والعلوم الجمة والحكمة البليغة والاحاطة بالمعلومات الكثيرة ابتلاء له في علمه وتنبيها على ان في ادنى خلق
الله واضعفهم من احاط علما بما لم يحط به ليتحاقر اليه نفسه ويتصاغر لديه علمه ويكون لطفا له في ترك الاعجاب الذي هو فتنة العلماء واعظم بها فتنة والاحاطة بالشيء علما ان يعلم من جميع
جهاته لا يخفى منه معلوم قالوا وفيه دليل على بطلان قول الروافض ان الامام لا يخفى عليه شيء ولا يكون في زمانه احد اعلم منه وقرئ احطت بادغام الطاء في التاء باطباق وبغير اطباق وجئتك
من سبا وقرأ قنبل سبا بسكون الهمزة وابو عمرو والبزي سبا بفتحها على تأويل القبيلة او البلدة والباقون سبا بجرها وبالتنوين على انه اسم للحي او للموضع او للاب الاكبر وهو سبا بن
يشجب بن يعرب بن قحطان وانشد في تحكم انصرافه من سبا الحاضرين مارب اذ يبنون من دون سيله العرما وانشد في صرفه الوارد ون وتيم في ذرى سبا قد عض اعناقهم
جلد الجواميس ثم سميت مدينة مارب بسبا وبينها وبين صنعا مسيرة ثلث كما سميت معافر بمعافر بن اد ويحتمل ان تراد المدينة والقوم بنبا يقين بخبر محقق له
شان قال الزمخشري قوله من سبا بنبا من جنس الكلام الذي سماه المحدثون البديع وهو من محاسن الكلام التي يتعلق باللفظ بشرط ان يجيء مطبوعا او يصنعه
عالم بجوهر الكلام يحفظ معه صحة المعنى وسداده ولقد جاء ههنا زائدا على الصحة فحسن وبدع لفظا ومعنى الا ترى انه لو وضع مكان بنبا بخبر لكان المعنى صحيحا وهو كما
جاء اصح لما في النبا من الزيادة التي يطابقها وصف الحال اني وجدت امرأة تملكهم هي بلقيس بنت شراحيل بن مالك بن الريان وكان ابوها ملك ارض اليمن
كلها وقد ولد له اربعون ملكا ولم يكن له ولد غيرها وجاء في الحديث ان احد ابوي بلقيس كان جنيا فلما مات ابوها غلبت على الملك وكانت هي وقومها مجوسا
يعبدون الشمس والقمر في تملكهم لسبا ان اريد به القوم او لاهلها ان اريد به المدينة والجملة استيناف كأنه قال ما ذاك النبا فقال اني وجدت واوتيت من كل
شيء يحتاج اليه الملوك من العدة والآلات والاسباب ولها عرش عظيم عظمته بالنسبة اليها او الى عروش امثالها وقال ابن عباس كان عرش بلقيس ثلثين ذراعا
في ثلثين ذراعا وطوله في السماء ثلثين ذراعا وقال مقاتل كان طوله ثمانين ذراعا في ذراع وسمكه ثمانين وقيل كان طوله ثمانين ذراعا وعرضه اربعين ذراعا وارتفاعه
ثلاثين وكان من ذهب وفضة مكللا بالدر والياقوت الاحمر والزبرجد الاخضر وكانت قوائمه من ياقوت احمر واخضر ودر وزمرد وعليه سبعة ابيات على كل بيت
باب مغلق وقال جار الله ومن نوكي القصاص من يقف على قوله ولها عرش ثم يبتدي عظيم وجدتها يريد امر عظيم ان وجدتها وقومها يسجدون للشمس
فر من استعظام الهدهد عرشها فوقع في عظيمة وهي مسخ كتاب الله تعالى وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله كأنهم كانوا من عبدة الشمس يعبدونها
بالسجود لها وزين لهم الشيطان اعمالهم عبادة الشمس وسائر اعمالهم التي كانوا يرتكبونها فصدهم عن السبيل فمنعهم عن سبيل الحق والصواب فهم لا يهتدون الا الا
يسجدوا لله قرأ الكسائي ويعقوب ورويس الا يسجدوا بالتخفيف على ان الا للتنبيه ويا للنداء ومناداه محذوف اي الا يا قوم اسجدوا كما حذفوه في قولهم الا يا اسلمي
بمعنى يا قوم اسلمي ومنه الا يا اسلمي يا دار مي على البلى ولا زال منهلا بجرعائك القطر وعلى هذا صح كون استينافا من الله او من سليمان ووقف لا يهتدون وامر بالسجود
والباقون بالتشديد على معنى فصدهم لان لا يسجدوا فحذف الجار مع ان او لا يهتدون الى ان يسجدوا فتكون لا زائدة او زين لهم ان لا يسجدوا فيكون بدلا من
اعمالهم وعلى هذه القراءة يكون ذما على ترك السجود ولا يقف الا على العرش العظيم والسجدة واجبة في القراءتين جميعا وقرأ عبد الله والاعمش هلا وهلا بقلب
الهمزة هاء ومن عبد الله الا يسجدون بمعنى الا يسجدون على الخطاب وفي قراءة ابي الا تسجدون الذي يخرج الخبء في السموات والارض ويعلم ما يخفون وما يعلنون
وصف له بما يوجب اختصاصه باستحقاق السجود من التفرد بكمال القدرة والعلم حثا على سجوده وردا على من يسجد لغيره والخبء مصدر اريد به المخبوء وهو المخفي
واخراجه اظهاره وهو يشمل انبات النبات وانزال المطر واشراق الكواكب واثبات ما في اللوح والقلوب والارحام والبيوت وهو الانشاء والابداع وما فيهما
موصولة او مصدرية او موصوفة بمعنى كل شيء او شيئا يخفون وما يعلنون وقرأ حفص والكسائي ما تخفون وما تعلنون بالخطاب وقرأ الجمهور على تخفيف همزة الخبء والخباء
على تخفيفها بالقلب وهي قراءة ابن مسعود ومالك بن دينار ووجهها انه يخرج ما يقوله في الوقف على الخبوء ورايت الخبا ومررت بالخباء ثم اجرى الوصل مجرى
الوقف لا على لغة من يقول الكماة والحماة لانها ضعيفة مستزلة وقرأ اليماني منه في السموات والارض بدل في وفي حرف ابي ويعلم سركم وما تعلنون الله لا اله الا هو
رب العرش العظيم هو فلك الافلاك الذي هو اول الاجرام واعظمها والمحيط بجملتها فوصف عرش بلقيس بالعظم تعظيم له بالنسبة اليها او الى عروش ابناء
جنسها من الملوك ووصف عرش الله بالعظم تعظيم له بالاضافة الى سائر ما خلق من السموات والارض فبين الوصفين بون عظيم وقرئ العظيم بالرفع على انه صفة

الى دون العرش وقيل من احطت الى العظيم كلام الهدهد وقيل كلام رب العزة وقيل في اخراج الخبء امارة على انه من كلام الهدهد لهندسته ومعرفته الماء تحت الارض
وذلك بالهام من يخرج الخبء في السموات والارض جلت قدرته ولطف علمه ولا يكاد يخفى على ذي الفراسة النظار بنور الله مخايل كل مختص بصناعة او فن من العلم في روائه
ومنطقه وشمائله ولهذا ورد ما عمل عبد عملا الا القى الله عليه رداء عمله وانما لم ترد هذه الجملة بالواو لانها كالتاكيد لما قبلها والتقرير له اذ من اتجه له هذه الصفات
هو الحقيق بالسجود فاسجدوا له ولا تسجدوا لغيره من بعض خلقه قال سننظر من النظر بمعنى التامل والتصفح وهو استئناف وقع جوابا لقول من قال ماذا قال
سليمان بعد ما سمع هذا الكلام المتضمن لعذر الهدهد او جواب لما المحذوف كان قيل لما فرغ الهدهد من كلامه قال سليمان سننظر اصدقت ام كنت من الكاذبين يعني
اصدقت ام كذبت الا ان كنت من الكاذبين ابلغ لرعاية الفاصلة ولانه اذا كان معدودا في زمرة الكاذبين بين مشهورا بانه من جملتهم كان كاذبا لا محالة واذا كان
كاذبا اتهم بالكذب فيما اخبر به فلم يوثق به اذهب بكتابي هذا فالقه اليهم ثم تول عنهم ثم تنح عنهم الى مكان قريب تتوارى فيه ليكون ما يقولون بمسمع منك وضمير الجمع لها ولقومها
في قوله وجدتها وقومها يسجدون للشمس اي فالقه الى الذين هذا دينهم اهتماما منه بامر الدين واشتغالا به عن غيره وقرا ابن كثير وابن عامر والكسائي وحفص وورش فالقه باشباع
الهاء كسرا وقالون وقرا ابو جعفر ويعقوب فالقه بكسرها والباقون بسكونها فانظر ماذا يرجعون ماذا يرجع بعضهم الى بعض القول وقيل ماذا يردون من الجواب وروي
ان نسخة الكتاب من عبد الله سليمان بن داود الى بلقيس ملكة سبا بسم الله الرحمن الرحيم السلام على من اتبع الهدى اما بعد فلا تعلوا علي واتوني مسلمين قال ابن جريج لم
يزد سليمان على ما قصه الله في كتابه وقال قتادة وكذلك الانبياء كانت تكتب جملا لا يطيلون ولا يكثرون فلما كتب الكتاب طبعه بالمسك وختمه بخاتمه فقال للهدهد
اذهب بكتابي الاية فاخذه فاتى به الى بلقيس وكانت بارض يقال لها مارب من صنعاء على ثلثة ايام فوجدها راقدة في قصرها وكانت اذا رقدت غلقت الابواب
ووضعت المفاتيح تحت راسها فدخل من كوة والقى الكتاب على نحرها وهي مستلقية وقيل نقرها فانتبهت فزعة وقال مقاتل حمل الكتاب بمنقاره ووقف على راسها
والقادة والجنود حواليها فرفرف ساعة والناس ينظرون اليه حتى رفعت راسها فالقى الكتاب في حجرها وقال ابن منبه وابن زيد كانت لها كوة مستقبلة الشمس تقع
فيها حين تطلع فاذا نظرت اليها سجدت لها فجاء الهدهد الكوة فسدها بجناحيه فارتفعت الشمس ولم تعلم فلما استبطات الشمس قامت تنظر فرمى بالصحيفة
اليها فاخذتها وكانت قارئة كاتبة عربية من نسل تبع بن شراحيل الحميري فلما رات الخاتم ارتعدت وخضعت لان ملك سليمان كان في خاتمه وعرفت ان الذي
ارسل الكتاب اعظم ملكا منها فقرات الكتاب وتاخر الهدهد غير بعيد فجاءت حتى قعدت على سرير ملكها وقالت لقومها ما قصه الله وهو قالت جواب لما المحذوف
او استئناف كانه قيل فما فعلت بعد ذلك فاخذت الكتاب فقراته ثم كان سائلا سال فما قالت قالت يا ايها الملا اي اشراف قومها قيل هم اثنا عشر الف قايد مع كل
قايد مائة الف مقاتل وقال ... عن ابن عباس كان مع بلقيس مائة الف قيل مع كل قيل مائة الف والقيل الملك دون الملك الاعظم وقال قتادة ومقاتل كان اهل
مشورتها ثلثمائة وثلثة عشر رجلا كل رجل منهم على عشرة الاف فجمعتهم فجاءوا واخذوا مجالسهم فقالت لهم يا ايها الملا اني القي الي كتاب كريم اي حسن مضمونه وما فيه
قال ابن عباس اي شريف لشرف صاحبه وقال عطاء والضحاك سمته كريما لانه كان مختوما ابن جريج عن النبي عليه السلام قال كرم الكتاب ختمه وكان عليه السلام
يكتب الى العجم فقيل له انهم لا يقبلون الا كتابا عليه خاتم فاصطنع خاتما وعن ابن المقفع من كتب الى اخيه كتابا ولم يختمه فقد استخف به ووصفته بالكرم لانه من عند ملك
كريم فيكون من وصف الشيء بوصف صاحبه او لانه كان مصدرا ببسم الله الرحمن الرحيم انه من سليمان استئناف وتبيين لما القي عليها كانها لما قالت اني القي الي كتاب كريم قيل
لها ممن هو وما هو فقالت انه اي ان الكتاب او العنوان من سليمان وانه اي المكتوب او المضمون وقرا عبد الله وانه من سليمان وانه عطفا على اني وقرئ بالفتح على
الابدال من كتاب كانه قيل القي الي انه من سليمان وانه او الخبر لمبتدا محذوف او خفض الجار وهو اللام كانه قيل لانه من سليمان ولانه تعليلا لكرمه وكونه من سليمان
وتصديره ببسم الله وقرا ابي ان من سليمان وان بسم الله على المفسرة بسم الله الرحمن الرحيم الا تعلوا علي ان مفسرة ايضا او مصدرية فيكون مع الفعل مجرورا بحرف محذوف
تقديره اعلموا ان لا تعلوا علي وقيل فيكون صلة لمحذوف اي هو والمقصود ان لا تعلوا او بدل كتاب قال ابن عباس معناه لا تتكبروا علي وقيل لا تتعظموا ولا
ولا تمتنعوا فلا تعلوا معناه لا تمتنعوا من الاجابة وان ترك الاجابة من العلو والتكبر وقرا ابن عباس بالغين المعجمة من الغلو وهو مجاوزة الحد وهو متوسط عند قول ظالم وقلتوا
واتوني مسلمين مؤمنين او منقادين قيل وهذا الكلام في غاية الوجازة مع كمال الدلالة على المقصود لاشتماله على البسملة الدالة على ذات الصانع وصفاته صريحا
او التزاما والنهي عن الترفع الذي هو ام الرذائل والامر بالاسلام الجامع لامهات الفضائل وليس الامر فيه بالانقياد قبل اقامة الحجة على رسالته حتى يكون
استدعاء للتقليد فان القاء الكتاب اليها على تلك الحالة من اعظم الدلالة قالت يا ايها الملا افتوني في امري اشيروا علي بما عندكم فيما عرض لي من الراي
والتدبير واجيبوني الفتوى فيه والفتوى الجواب في حادثة او احداث حكم او تقوية لبيان مشكل اشتقت من الفتى وهو الشاب القوي الحدث والمراد بها هنا ما ذكر

من الاشارة

من الاشارة عليها بما هو خير عندهم وكما قالوا وادبين بها احد الوجهين الاخيرين ليس ببعيد عن التاكيد وفي تكرير النداء زيادة تنبيه لهم وايقاظ لهم عن سنة الغفلة
فيما حدث لها من صعب يكاد يتحير العقول في وجه الخلاص عنه وفيه انهم قومها واخص الناس بها فاحتج اليها امورها امرهم ومن بعدها ضرامهم وسرورها سرورهم فشاور
مشاورتهم وتفتحها بتنصحهم ما يجب عليها وعليهم فمن شاورهم في امرها استخلاصا منهم وتلطفا بهم فيستحق ان كان ذلك ان يتولوا على تنصحها لهم فيما يراد لها من الراي
او التدبير ما كنت قاطعة امرا فاصلة وفي قراءة عبد الله قاضية اي لا ابت امرا حتى تشهدون الا بمحضركم استعطفتهم بذلك القول وطيبت نفوسهم ليمالئوها
على الاشارة والاجابة او يقوموا معها قالوا نحن اولو قوة اي اولو قوة الاجساد والالات والعدد واولو باس شديد نجدة وشجاعة في الحرب والقتال والامر
اليك والامر موكول اليك فانظري ماذا تامرين نحن بالامر مطيعين غير مخالفين والظاهر انهم ارادوا بالامر مطلق ما امر به من المقاتلة والصلح وغير
ذلك لوقوعها مطلقا غير مقيد بشيء منها وقيل كانهم اشاروا عليها بالقتال او ارادوا من ابناء الحرب لا من ابناء الراي والتدبير فانظري ماذا تامرين نتبع
ذلك قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها اذا دخلوها عنوة خربوها فهو تزييف لما احست منهم من الميل الى المحاربة بادعائهم القوى الذاتية و
العرضية واشارة بانها من الراي الميل الى الصلح والابتداء بما هو احسن مخافة اي يتخطى سليمان خططهم فيسرع الى افساد ما يهمهم من الاموال والعمارات ثم ان الحرب
سجال لا يدري عاقبتها فتارة على قوم وتارة لهم كما قال فيوم علينا ويوم لنا ويوم نساء ويوم نسر وجعلوا اعزة اهلها اذلة اهانوا اشرافها وكبراءها بقتلهم
وعقابهم وقتل بعضهم ونهب اموالهم وتخريب ديارهم واسرهم فذكرت عاقبة الحرب وسوء مغبتها ثم قالت وكذلك يفعلون تاكيدا لما وصفت من احوالهم وتقرير
بان هذه عادتهم المستمرة الثابتة التي لا تتغير لانها كانت في بيوت الملوك القديمة فسمعت مثل ذلك ورات وقيل هو تصديق من الله لقولها وقال الزمخشري وقد
يتعلق الساعون في الارض بالفساد بهذه الاية ويجعلونها حجة لانفسهم ومن استباح حراما فقد كفر فان احتج له بالقراءة على وجه التحريف فقد جمع بين الكفرين
واني مرسلة اليهم بهدية بيان لما رات تدبيره في المصالحة اي اني مرسلة رسلا بهدية اصانعه وادفعه بها عن ملكي واختبره بها فهو ملك ام نبي فان كان ملكا قبلها
وان كان نبيا لا يقبلها ولا يرضيه منا الا ان نتبعه على دينه والهدية العطية على وجه الملاطفة وفيه دلالة على انها كانت لبيبة قد سيست وساست
فناظرة بم يرجع المرسلون من حاله حتى اعمل على حسب ذلك وروي انها بعثت منذر بن عمرو في وفد ارسلت معهم خمسمائة غلام عليهم ثياب الجواري وحليهن
الاساور والاطواق والقرطة راكبي خيل مغشاة بالديباج محلاة اللجم والسروج بالذهب المرصع بالجواهر وخمسمائة جارية على رماك في زي الغلمان والف لبنة
من ذهب وفضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت المرتفع والمسك والعنبر وحقا فيه درة عذراء وجزعة معوجة الثقب وكتبت معهم كتابا
بنسخة الهدية وقالت ان كان نبيا ميز بين الغلمان والجواري وثقب الدرة ثقبا مستويا وسلك في الخرزة خيطا ثم قالت ان نظر اليك نظر غضبان فهو ملك فلا يهولنك منظره
وان رايته بشاشا لطيفا فهو نبي فاقبل الهدهد مسرعا الى سليمان واخبره الخبر كله فامر الجن فضربوا لبن الذهب والفضة وفرشوها في ميدان بين يديه طوله سبعة فراسخ
وجعلوا حول الميدان حائطا شرفه من الذهب والفضة وامر باحسن الدواب في البر والبحر فربطوها عن يمين الميدان ويساره على اللبن وامر باولاد
الجن وهو خلق كثير فاقيموا عن اليمين الميدان واليسار ثم قعد على سريره والكراسي من جانبيه واصطفت الشياطين صفوفا فراسخ والانس صفوفا
فراسخ والوحوش والسباع والطيور والهوام كذلك فلما وصل القوم الى عسكره وراوا عظم شانه بهتوا وراوا الدواب التي لم تر اعينهم مثلها تروث على لبن الذهب
فتقاصرت اليهم نفوسهم ورموا بما معهم من الهدايا وروي انها امرت بفرش لبن الذهب والفضة في الميدان امرهم ان يتركوا على طريقهم موضعا على قدر موضع اللبنات التي معهم — اللبنات سا
فلما راوا موضع اللبنات خاليا وكل الارض مفروشة خافوا ان يتهموا بذلك فطرحوا كل ما معهم في ذلك المكان فلما راوا الشياطين نظروا الى منظر عجيب ففزعوا
فقالت لهم الشياطين جوزوا فلا باس عليكم فمروا على كردوس من الجن والانس والطير والسباع والوحوش حتى وقفوا بين يدي سليمان فنظر اليهم بوجه طلق
فقال ما وراءكم فاخبره رئيس القوم بما جاءوا له واعطاه كتاب الملكة فنظر فيه ثم قال اين الحق واخبره جبرائيل بما فيه وقال لهم ان فيه درة غير مثقوبة
وجزعة معوجة الثقب ثم امر الارضة فاخذت شعرة في فمها ونفذت فيها فجعل رزقها في الشجر وامر دودة بيضاء فاخذت الخيط بفيها ونفذت
فيها فجعل رزقها في الفواكه ودعا بالماء فامر الجواري والغلمان يغسلوا وجوههم وايديهم وكانت الجارية تاخذ الماء بيدها فتجعله في الاخرى
ثم تضرب به وجهها والغلام كما ياخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية وقال للمنذر ارجع اليهم فرجع واخبرها فقالت هو نبي وما لنا به طاقة ثم
شخصت اليه في اثني عشر الف قيل تحت كل قيل الوف فلما جاء سليمان اي الرسول وما اهدت به اليه وفي قراءة عبد الله فلما جاءوا قال اتمدونن بمال
الهمزة للانكار والخطاب للرسول ومن معه او للرسول والمرسل على تغليب المخاطب وقرا حمزة ويعقوب اتمدوني بادغام النون التي هي علامة الجمع في نون الوقاية طلبا للتخفيف

كما فعل من اتمحاجونى وابا قوة اتمدونى بالاظهار مراعاة للاصل وقرئ بنون واحدة وبنونين وخفف الياء اكتفاء بالكسرة فما اتانى الله من النبوة والملك
الذى لم يؤت احد منكم خير مما اتيكم الحكم فى موضع التعليل لانكار الامداد بمال هو فى غاية القلة والحقارة فى نظره والمعنى لا تمدونى بمال فان ما اتانى ربى خير
مما اتاكم فلا حاجة الى هديتكم ولا وقع لها عندى بل انتم بهديتكم تفرحون لانكم لا تعلمون الا ظاهرا من الحياة الدنيا التى تعلمون غيرها فتفرحون بما تزادون من الدنيا ولذلك
تفرحون بما يهدى اليكم او بما تهدون فرح افتخار على الملوك بانكم قدرتم على اهداء مثلها ويجوز ان يكون عبارة عن الرد كانه قيل بل انتم من حقكم ان تأخذوا هديتكم وتفرحوا
بها والاضراب عن الانكار والامداد وتعليلهم تعليل الرياء السبب الذى حملهم عليه وقياس حالهم على حاله فى قصور الهمة بالدنيا والزيادة فيها ارجع ايها الرسول
بالهدية اليهم الى بلقيس وقومها وقيل لهم ارجع خطاب للهدهد محملا كتابا آخر وفى حرف ابن مسعود ارجعوا فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها لا طاقة لهم بمقاومتها
ولا قدرة على مقابلتها وقرأ ابن مسعود لا قبل لهم بهم وعن الخليل لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها من سبا اذلة بذهاب ما كانوا فيه من العز والملك وهم صاغرون
يوقوعهم فى اسر واستعبادهم بان لم يأتونى مسلمين روى انها قالت قد عرفت والله ما هذا بملك وما لنا به طاقة ثم بعثت الى سليمان انى قادمة عليك بملوك قومى
حتى انظر ما امرك وما تدعوا اليه من دينك ثم امرت عند خروجها الى فجعل عرشها فى آخر سبعة ابيات بعضها فى بعض فى آخر قصر من قصور سبعة لها وغلقت الابواب
ووكلت به حرسا يحفظونه ثم امرت مناديا ينادى فى اهل مملكتها يؤذنهم بالرحيل وتوجهت نحوه قال قتاده قال ابن عباس كان سليمان رجلا مهيبا لا يبتدأ بشئ حتى
يكون هو الذى يسأل عنه فخرج يوما فجلس على سريره فرأى رهجا قريبا منه فقال ما هذا قالوا بلقيس قد نزلت منا هذا المكان وكان على مسيرة فرسخ من سليمان
قال رضى الله عنه وكان بين الكوفة والحيرة قدر فرسخ فاقبل سليمان حينئذ على جنوده ثم قال يا ايها الملؤا ايكم يأتينى بعرشها العلم اوحى الى سليمان عليه السلام باستيثاقها
من عرشها فاراد ان يعرب عليها ويريها بعض ما خصه الله به من اجراء العجائب على يديه مع اطلاعها على عظيم قدرة الله وعلى ما يشهد النبوة سليمان ويصدقها وقال
جمهور المفسرين علم سليمان انها ان اسلمت يحرم عليه مالها فاراد ان يأخذ عرشها قبل ان يحرم عليه مالها باسلامها وقيل اعجبته صفته حين وصفها الهدهد
فاحب ان يراه وقيل اراد ان يؤتى به فينكر ويغير ثم ينظر اتهتدى ام تنكره اختبارا لعقلها قبل ان يأتونى مسلمين مؤمنين وقال ابن عباس طائعين قال
عفريت من الجن قال عفرية والعفر والعفريت والعفراة والعفارية من الرجال الخبيث المنكر الذى يعفر اقرانه ومن الجن الخبيث المارد وقال ابن عباس
العفريت الداهية وقال الضحاك هو الخبيث وقال الربيع الغليظ وقال الفراء القوى الشديد وقال وهب اسمه كوذى وقيل ذكوان وقيل صخر الجن وكان
بمنزلة جبل يضع قدمه عند منتهى طرفه انا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك من مجلسك للحكومة وكان يجلس الى نصف النهار وعن الخليل من مقامك بفتح الميم
وانى عليه على حمله لقوى امين آتى به كما هو لا اختزل منه شيئا ولا ابدله فقال سليمان اريد اسرع من هذا قال الذى عنده علم من الكتاب قال الجمهور هو
آصف بن برخيا وكان صديقا عالما يعلم اسم الله الاعظم الذى اذا دعى به اجاب واذا سئل به اعطى وقيل اسمه اسطوم وقيل هو جبرائيل وقيل ملك ايد
الله به سليمان وقيل هو سليمان نفسه فيكون التعبير عنه بذلك للدلالة على شرف العلم فان هذه الكرامة كانت بسببه وقيل هو الخضر والمراد بالكتاب الكتاب
المنزل من السماء وقيل هو اللوح والذى عنده علم منه جبرائيل انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك آتيك فى الموضعين اما فعل او اسم فاعل والطرف تحريك
الاجفان للنظر فوضع موضعه ولما كان الناظر موصوفا بارسال الطرف كما فى قوله وكنت اذا ارسلت طرفك رائدا لقلبك يوما اتعبتك المناظر وصف برد
الطرف ووصف الطرف بالارتداد والمعنى قوله قبل ان يرتد اليك طرفك انك ترسل طرفك الى شئ فقبل ان ترده احضر عرشها بين يديك وهذا فى
الاسراع عن ابن عباس ان آصف قال لسليمان حين صلى مد عينيك حتى ينتهى طرفك فمد عينيه فنظر نحو اليمن ودعا آصف فبعث الله الملائكة فحملوا السرير
من تحت الارض يجرون به حتى انخرقت الارض بالسرير بين يدى سليمان وعن الكلبى خر آصف ساجدا ودعا باسم الله الاعظم فغار عرشها تحت
الارض حتى نبع عند كرسى سليمان قبل ان يرتد طرفه وكانت المسافة مقدار شهرين واختلفوا فى ذلك فقالت عائشة رضى الله عنها والكلبى هو يا
حى يا قيوم وقال مجاهد ومقاتل يا ذا الجلال والاكرام وقال الزهرى يا الهنا واله كل شئ الها واحدا لا اله الا انت آتنى بعرشها وقال الحسن الله والرحمن
فلما رآه رأى العرش سليمان مستقرا عنده حاصلا بين يديه وقيل حمله الله من مأرب الى الشام فى قدر ارتداد الطرف قال تلقيا للنعمة بالشكر جريا
على شاكلة ابناء جنسه من انبياء الله والمخلصين من عباده يتلقون النعم القادمة بحسن الشكر كما يشيعون النعم المودعة بجميل الصبر هذا
من فضل ربى تفضل به على من غير استحقاق ليبلونى اأشكر ليتفضل على بذلك تفضيلا تفضلا يشبه فعل المختبر لى اهل اشكر بان اراه فضلا
من الله بلا حول منى ولا قوة وافى بحقه ام اكفر بان اجد نفسى فى البين او اقصر فى اداء مواجبه ومحلهما النصب على البدل من الياء وقرأ نافع وابو جعفر

ليبلونى

ليبلونى بفتح الياء وروما للتخفيف والباقون بسكونها اعتبارا للاصل ومن شكر فانما يشكر لنفسه لانه يستوجب به تمام النعمة ودوامها ويستمد مزيدها و
يحط عنها عبء الواجب ويحفظها عن سمة الكفران ولذلك قيل الشكر قيد النعم الموجودة وصيد النعم المفقودة وقال بعض المتقدمين ان كفران النعمة
بوار فلما اقتعس نافرة فرجعت فى نصابها فاستدع شاردها بالشكر واستدم راهنها بكرم الجوار واعلم ان سبوغ ستر الله متقلص عما قريب اذا انت
لم ترج الله وقارا ومن كفر فان ربى غنى عن شكره كريم بالانعام على من يكفر نعمته لا يقطعها عنه فى الدنيا قال نكروا لها عرشها اجعلوا متنكرا متغيرا
متغيرا عن هيئته وشكله كما يتنكر الرجل للناس لئلا يعرفوه قالوا وسعوه وجعلوا مقدمه مؤخره واعلاه اسفله وموضع الجواهر الحمر الاخضر وبا
العكس ننظر جواب الامر وقرئ بالرفع على الاستيناف اتهتدى المعرفة او الجواب الصواب اذا سئلت عنه او للدين والايمان بالله ورسوله اذا رأت
المعجزة الباهرة من تقدم عرشها وقد خلفته واغلقت عليه الابواب ونصبت عليه الحراس ام تكون من الذين لا يهتدون اليه وام معادلة بمعنى ننظر
اى الامرين يكون منها معرفتها به او جهلها فلما جاءت قيل اهكذا عرشك الهمزة للاستفهام والهاء للتنبيه والكاف للتشبيه وذا للاشارة معناه امثل
هذا عرشك فيكون تشبيها عليها والمريد اهذا عرشك لئلا يكون تلقينا قالت كأنه هو لم تقل هو هو ولا ليس به ولكن كأنه هو قصدا الى احتمال ان يكون مثله وذلك من
كمال فطنتها ورجاحة عقلها حيث اوردوا لها فى محرة ومفصل بعدم قطعها فى المحتمل واوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين يحتمل ان يكون هذا من كلام
سليمان وقومه عطفوه على جوابها لما فيه من الدلالة على ايمانها بالله ورسوله حيث جوزت ان يكون ذلك عرشها تجويزا غالبا واحضاره ثمة من المعجزات التى لا يقدر
عليها غير الله ولا تظهر الا على يد الانبياء اى واوتينا نحن العلم بالله وقدرته وصحة ما جاء من عنده قبل علمها ولم نزل على دين الاسلام منقادين لاحكامه ويكون
غرضهم التحدث بما انعم الله عليهم من فضلهم عليها وسبقهم الى العلم بالله والاسلام قبلها شكرا لها واوتينا العلم باسلامها ومجيئها طائعة من قبل مجيئها ولم نزل
طائعين لله تعالى ويحتمل ان يكون من تتمة كلام بلقيس كانها ظننت انه اراد بذلك اختبار عقلها واظهار معجزة لها فقالت واوتينا العلم بكمال قدرة الله وصحة
نبوة سليمان قبل هذه الحالة او المعجزة بالآيات التى تقدمت عنه وفدت المنذر وكنا فى الاسلام وصدها ما كانت تعبد من دون الله ما موصولة او موصوفة
فى محل الرفع على انه فاعل صد بتقدير المضاف اى صدها عن التقدم الى الاسلام عبادة الشمس التى كانت تعبدها ونشوؤها بين ظهراني عبدة الشمس والكفرة او
مصدرية فى محل الجر بتقدير الجار كانه صدها الله او سليمان عما كانت تعبد اى عن عبادة الشمس ويجوز على هذا التقدير ان يكون فى محل النصب على المفعول اى
منعها عبادتها بغيره ان تعبد الشمس ونقل عن سواد القراء على ان صد بمعنى منع وهو يتعدى الى المفعولين كثيرا انها كانت من قوم كافرين استيناف بتقدير
انها كانت من قوم يعبدون الشمس فنشأت بين ظهرانيهم ولم تعرف الا عبادة الشمس وقرئ انها بالفتح على الابدال من فاعل صد او بمعنى لانها قيل لها ادخلى
الصرح اى القصر او صحن الدار وعرصتها فلما رأته حسبته لجة اى ماء كثيرا وكشفت عن ساقيها قرأ ابن كثير ساقيها بالهمزة قيل جمعهم ان حمل الواحد على
الجمع فهمزه كما يهمز جمع سوق واسوق وقيل همزه تشبيها بكاس وراس وقيل هو على لغة من يقلب حرف المد همزة كما يقلب الهمزة بحرف مد وكان
العجاج يقول الخاتم والعالم ومنه قول وخندف هامة هذه العالم قال انه ان ما ظننته ماء صرح ممرد مملس من قوارير من الزجاج روى ان سليمان امر
قبل قدومها فبنى له على طريقها قصر صحنه من زجاج ابيض واجرى من تحته الماء والقى فيه السمك ونحوه من دواب البحر ووضع سريره فى صدره فجلس عليه وعكف
عليه الطير والجن والانس فلما ابصرته ظننته ماء راكدا وقيل انما فعل سليمان ذلك ليزيدها استعظاما لامره وتحقيقا للنبوة وثباتا على الدين قال وهب
ومحمد بن كعب وغيرهما ان الجن خافوا ان يتزوجها سليمان فتفشى اليه باسرارهم لانها كانت بنت جنية وخافوا ان يولد له منها ولد يجمع له فطنة الجن
والانس فيخرجون من ملك سليمان الى ملك هو اشد وافضح ولا ينفكون من تسخير سليمان وذريته من بعده فاساؤا الثناء عليها ليزهدوه فيها وقالوا
ان فى عقلها شيئا وانها شعراء الساقين ورجلها كحافر الحمار فاختبر عقلها بتنكير العرش واتخذ الصرح ليتعرف ساقها ورجلها فكشفت عنهما فاذا هى
احسن الناس ساقا وقدما الا انها شعراء ثم صرف بصره عنها ثم ناداها انه صرح ممرد من قوارير وليس بماء وقيل اراد ان يتزوجها لكنه كره ما رأى من
كثرة شعر ساقيها فسأل الانس ما يذهب هذا قالوا المواسى فقالت لم تمسنى حديد قط فكره سليمان المواسى وقال انها تقطع ساقها فسأل الجن فقالوا لا ندرى
ثم سأل الشياطين فقالوا انا نحتال لك حيلة حتى تكون كالفضة البيضاء فاتخذوا النورة والحمام فكانتا من يومئذ وفى الفردوس والمعجم للطبرانى قال
ابو موسى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول من صنعت له الحمامات النورة سليمان بن داود فلما دخله وجد غمه وكربه وحره قال اوه من عذاب الله
اوه ثم اوه اوه قبل ان لا ينفع اوه فلما تزوجها سليمان احبها واقرها على ملكها وامر الجن فبنوا لها بارض اليمن ثلثة حصون لم ير الناس مثلها ارتفاعا

بمعنى التوديع
مستقل

وحنادهي سيلحين وبينون وغمدان وكان يزورها في كل شهر مرة فيقيم عندها ثلاثة ايام يبتكر من الشام الى اليمن ومن اليمن الى الشام وولدت وقيل لما اسلمت قال
لها سليمان اختاري رجلا من قومك اتزوجكه فقالت ومثلي يا نبي الله ينكح الرجال وقد كان لي في قومي من الملك والسلطان ما كان قال نعم لانه لا يكون في الاسلام الا
ذلك ولا ينبغي لك ان تحرمي ما احل الله لك فقالت زوجني ان كان لا بد من ذلك ذا تبع ملك همدان فزوجها اياه ثم ردها الى اليمن وسلط زوجها على
اليمن وامر زوبعة امير جن اليمن ان يطيعه فيما استعمله فبنى له المصانع ولم يزل اميرا حتى مات سليمان فلما ان جاء الحول وتبينت الجن موت سليمان اقبل
رجل منهم فسلك تهامة حتى اذا كان في جوف اليمن صرخ باعلى صوته يا معشر الجن ان الملك سليمان قد مات فارفعوا ايديكم فرفعوها وتفرقوا
وانقضى ملك ذي تبع وملك بلقيس مع ملك سليمان وقيل ان الملك وصل الى سليمان وهو ابن ثلث عشرة سنة ومات وهو ابن ثلث وخمسين سنة وقيل ابن
سبعمائة سنة وستة اشهر والله اعلم بالصواب قالت رب اني ظلمت نفسي بعبادة الشمس وبسوء ظني بسليمان فانها حسبت ان سليمان يغرقها في اللجة
وقالت في نفسها ان القتل كان اهون من هذا واسلمت مع سليمان لله رب العالمين اي انقدت واطاعت معه الله فيما امر به ونهى عنه او فوضت معه امورنا
لانه رب كل شيء لا رب سواه ولا خطر ببالي بصحبة سليمان وحضرة النظر في الدلائل القاطعة بحقية الاسلام وان لله الربوبية المطلقة لا يصلح لها غيره
وذلك ان الناظر المستبصر يظهر له ببركة صحبة نبي الله وفي حضرته اشياء لا تظهر له في غير ذلك ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا ان اعبدوا الله بان
اعبدوه وحده وقرا نافع وابن كثير وابن عامر والكسائي والبزي وابو جعفر واسحق ان اعبدوا بضم النون على اتباعها الباء والباقون بكسرها على القانون
المشهور في علم الصرف فاذاهم فريقان يختصمون ففاجؤوا التفرق والاختصام فريق مؤمن وفريق كافر والواو لمجموع الفريقين وقيل اريد بالفريقين صالح
وقومه وقال مقاتل اختصامهم ما ذكره الله في سورة الاعراف قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا الى قوله ان كنت من المرسلين
قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة اي بالعقوبة فتقولون ائتنا بما تعدنا قبل الحسنة قبل التوبة فتؤخرونها الى نزول العذاب فانهم كانوا يقولون
لجهلهم ان العقوبة التي يعدها صالح ان وقعت على زعمه تبنا حينئذ واستغفرنا معتقدين ان ذنوبهم مقبولة في ذلك الوقت وان لم تقع فنحن على ما نحن عليه في اطبعهم على حسب
قولهم واعتقادهم ثم قال لهم لولا تستغفرون الله هلا تستغفرون الله قبل نزول عذابه لعلكم ترحمون رجاء منكم ان تكونوا مرحومين بقبولها فانها لا تقبل حينئذ او ارادة
ان ترحموا ولا تعذبوا فانه اذا نزل العذاب لا يرحم احد منكم فبادروا بالتوبة الى العقوبة وهو تنبيه لهم على الخطاء فيما استعجلوه وتجهيل لهم فيما قالوه واعتقدوه وقيل معنى
الاية لم تستعجلون بالبلاء والعقوبة قبل الحسنة اي قبل العافية والرحمة هلا تستغفرون الله بالتوبة من كفركم قالوا اطيرنا تشاءمنا بك وبمن معك قيل انما
قالوا ذلك لتفرق كلمتهم ووقوع الافتراق بينهم وقيل لان الشدائد قد تتابعت عليهم فامسك عنهم المطر وقحطوا فقالوا اصابنا هذه الشدائد والقحط من شومك وشوم الذين
قال طائركم سببكم الذي يجيء منه خيركم وشركم عند الله وهو قدره وقسمته ان شاء رزقكم وان شاء حرمكم او عملكم مكتوب عنده فمنه نزل بكم ما نزل عقوبة لكم وفتنة و
سمي طائرا لسرعة نزوله بالانسان فانه لا شيء اسرع من قضاء محتوم وقيل لسرعة سعوده الى الخلاق وقال ابن عباس الشوم اتيكم من عند الله بكفركم بل انتم قوم تفتنون ... تختبرون
بالخير والشر كقوله ونبلوكم بالشر والخير فتنة او يفتنكم الشيطان بوسوسته اليكم الطيرة او تعذبون والاضراب عن بيان طائرهم الذي هو مبدأ ما يحيق بهم
المذكور ما هو الداعي اليه وقرئ تطيرنا بكم على الاصل ومعنى تطير به تشاءم به وتطير منه تنفر منه وكان في المدينة يعني مدينة ثمود وهي الحجر تسعة رهط تسعة انفس
من ابنائهم اشرافهم واشدهم عتوا وطغيانا وانما وقع الرهط تمييز التسعة باعتبار المعنى والفرق بينه وبين النفر انه من الثلثة الى العشرة او من السبعة الى العشرة
والنفر من الثلثة الى التسعة واسماؤهم عن وهب الهذيل بن عبد رب غنم بن غنم رباب بن مهرج مصدع بن مهرج عمير بن كردبة عاصم بن مخرمة
سبيط بن صدقة سمعان بن صفي قدار بن سالف وهم الذين سعوا في عقر الناقة وكانوا عتاة قوم صالح واغنيائهم وكان رأسهم قدار بن سالف
وهو الذي تولى عقرها وقال الخليل رهط بفتح الهاء يفسدون في الارض ولا يصلحون يريد ان شانهم الافساد الخالص الذي لا يشوب
شيء من الاصلاح وقيل يعني ان شانهم الافساد البحت الذي لا يخلط بشيء من الصلاح كما ترى بعض المفسدين قد يندر منه بعض الصلاح وقيل اي
شانهم الفساد الخالص من شوب الصلاح وكلا التفسيرين لا يخلوان عن سهو بل خطاء فان معنى الافساد فعل ما ينتهي الى الفساد ويؤول
اليه لا نفس الفساد ولا الاتيان بالفساد وفعله وكذا الاصلاح والكلام محمول على المجاز باعتبار المآل والانتهاء لا على الحقيقة وقوله في الارض
بيان لمكان الافساد والمراد بها ارض الحجر قالوا اي قال بعضهم لبعض تقاسموا بالله امر مقول القول او ماض وقع بدلا او حالا باضمار قد
اي قالوا متقاسمين متحالفين بالله وقرئ تقسموا والتقسم والتقاسم كالتظاهر والتظهر والتحالف والتحلف لنبيتنه واهله لنباغتن صالحا

واهل

واهله ليلا وقيل لنقتلنهم بياتا والبيات من التبييت مباغتة العدو ليلا وعن الاسكندر انه اشير عليه بالبيات فقال ليس من ايين الملوك استراق الظفر ثم لنقولن لوليه لولي
دمه وقرا حمزة والكسائي وخلف لتبيتنه لتقولن بالتاء وضم التاء واللام فيهما على خطاب بعضهم لبعض والباقون بالنون فيهما على التكلم مع الغير وقرئ ليبيتنه ليقولن بالياء
والجمع فيهما على ان تقاسموا خبر وقرا ابن قطيب لتبيتنه بالنون ثم لتقولن بالتاء ما شهدنا مهلك اهله ما حضرناه فضلا ان تولينا اهلاكهم اجمعوا على ضم الميم
في هذه السورة وفي الكهف الا عاصما فانه فتحها على انه مصدر من هلك يهلك هلاكا ومهلكا اي ما شهدنا هلاك اهله او اسم زمان اي ما شهدنا وقت هلاك اهله
كل كيف قرانهم فان معناه ما شهدنا اهلاك اهله او وقت اهلاك اهله ويجوز ان يكون فيهما اي في القرائتين اسم مكان اي مكان اهلاك اهله ومكان هلاكهم وكذا
مهلك بفتح الميم وكسر اللام في قراءة حفص وانا لصادقون ونحلف انا لصادقون او والحال انا لصادقون فيما ذكرنا لان الشاهد للشيء غير المباشر له عرفا او لانا ما
شهدنا مهلكه وحده بل مهلكه ومهلكهم كقولك ما رأيت ثم رجلا بل رجلين قيل وفي هذا دليل قاطع على ان الكذب قبيح عند الكفرة الذين لا يعرفون
الشرع ونواهيه ولا تخطر ببالهم الا ترى انهم قصدوا قتل نبي الله ولم يرضوا لانفسهم بان يكونوا كاذبين حتى سووا للصدق في خبرهم حيلة يتفصون بها عن الكذب
ومكروا مكرا واضلوا في قتل صالح واهله احيانا وقيل اخفوا تدبير القتل بصالح واهله اخفاء وقيل غدروا غدرا حين قصدوا تبييت صالح والفتك به ومكرنا مكرا
واخذناهم اخذا من حيث لا يحتسبون وقيل جزيناهم على مكرهم بتعجيل عقوبتهم وهم لا يشعرون وهم غافلون كانهم لم يحسوا شيئا لفرط غفلتهم واشتغالهم بمعاصيهم
روى انه كان لصالح مسجد في الحجر في شعب يصلي فيه فقالوا زعم صالح انه يفرغ منا الى ثلث فنحن نفرغ منه ومن اهله قبل الثلث فخرجوا الى الشعب وقالوا اذا جاء يصلي
قتلناه ثم رجعنا الى اهله فقتلناهم فالقى الله عليهم صخرة من الهضب حيالهم فطبقت عليهم فم الشعب فهلكوا ثمة فلم يدر قومهم اين هم ولم يدروا ما فعل بقومهم وعذب الله فقتلناهم ما
كلا منهم في مكانهم ونجى صالحا ومن معه وقيل جاؤا بالليل شاهري سيوفهم وقد ارسل الله الملائكة تلك الليلة ملء دار صالح يحرسونه فرموهم بالحجارة من حيث
يرونها ولا يرون الملائكة فقتلوهم فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم وقومهم اجمعين قرا الكوفيون ويعقوب انا بفتح الهمزة على انه بدل من العاقبة او خبر محذوف
اي هي تدميرناهم او خبر كان اي كان عاقبة مكرهم التدمير وكيف حال او على تقدير اللام اي لانا دمرناهم والباقون بكسرها على انه استيناف او خبر محذوف لا خبر كان
لعدم العائد ولان خبرها كيف واذا جعل كان تامة فكيف كانت حالا وانا دمرناهم استيناف نفسر لمعنى الكلام وقرا ابي ان دمرناهم فتلك بيوتهم خاوية
خالية من خوى البطن اذا خلا وفي التورية بيت الظالم خراب ولو بعد حين او ساقطة منهدمة من خوى النجم اذا سقط وهي حال عمل فيها ما دل عليه اسم الا
شارة من معنى الفعل كانه قيل اشير اليها خاوية وقرا عيسى بن عمر خاوية بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وقد رواه ابو معاذ عن ابي عمرو وقرا ابن عباس خوية بغير الف
بما ظلموا بسبب ظلمهم وكفرهم بالله ورسوله ان في ذلك فيما قصصنا عليكم من نجاة صالح واهلاك قومه الظلمة لآية لعبرة لعظة وحجة كاملة على ان الله باهر القدرة
على انجاء المؤمنين والانتقام من اعداء الله الكافرين لقوم يعلمون قدرتنا وانجينا الذين امنوا وكانوا يتقون الكفر والمعاصي ولذلك خصوا بالنجاة وكان النا
جون اربعة آلاف ولوطا اي واذكر لوطا او لقد ارسلنا لوطا لدلالة ولقد ارسلنا عليه اذ قال لقومه اذ بدل على الاول ظرف على الثاني اتاتون الفاحشة اتفعلون السيئة
المتمادية في القبح وقيل الفاحشة الفعلة القبيحة والهمزة للانكار والتعجب كانه قيل لا تاتون السيئة الفعلة المنكرة المفضي منها العجب وانتم تبصرون من بصر القلب
اي تعلمون انها فاحشة لم تسبقوا اليها وان الله خلق الاناث للذكور لا الذكور للذكور ولا الاناث للاناث فهي مضادة لحكمة الله وحكمه وارتكاب القبائح من العالم بقبحها بقبحها
اقبح او من بصر العين اي تبصرونها بعضكم من بعض لانهم كانوا في ناديهم يعملونها لا يستتر بعضهم من بعض خلاعة ومجانة وانهماكا في المعصية
وكان ابو يوسف بن الحكم منهم قول قبيح باسم ما تاتى وذلك من الكنى فلا خير في اللذات من دونها ستر او تبصرون اثار العصاة قبلكم وما نزل بهم من
نقمات الله على عصيانهم ائنكم لتاتون الرجال بيان لقوله اتاتون الفاحشة والهمزة مثلها في الانكار والتعجب والتوبيخ شهوة مفعول له اي للاشتهاء
لا حامل لكم عليه الا مجرد الشهوة على ان الحكمة في المواقعة طلب النسل لا قضاء الوطر او حال اي مشتهين تابعين للشهوة غير ملتفتين الى القباحة وال
شناعة من دون النساء التي خلقن لذلك بل انتم قوم تجهلون تفعلون فعل من يجهل انها فاحشة مع علمكم بذلك او تجهل العاقبة او يكون سفها لا تميزون
الحسن والقبيح على ان المراد بالجهل السفاهة والمجانة التي كانوا عليها والتاء فيه لكون الموصوف به في معنى المخاطب فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا
آل لوط من قريتكم يعني فما اجابوه بما يكون جوابا عن كلامه من انكار الفاحشة وتقبيح امرها ولكنهم قابلوا نصحه بالامر باخراجه ومن معه من المؤمنين من قريتهم
وبالسخرية بهم فقالوا انهم اناس يتطهرون يتنزهون عن افعالنا او من الاقذار ويعدون فعلنا قذرا وعن ابن عباس هو استهزاء به وقرا الحسن جواب قومه
بالرفع فانجيناه واهله اي من امن به من اهل بيته باخراجهم من بينهم وقت حلول العذاب بهم الا امرأته فانها كانت كافرة قدرناها من الغابرين اي الباقين
في عذابهم

في العذاب والتذكير لتغليب الذكور وقيل قضينا عليها وجعلناها بتقديرنا من الغابرين وامطرنا عليهم مطرا اي وارسلنا عليهم نوعا من المطر عجيبا يعني الحجارة والفرق
بين امطر ومطر ان امطر يتعدى الى ما ارسل واصيب بنفسه والى من اصابه بعلى ومطر يتعدى الى من اصابه بنفسه وقيل امطرنا انما يستعمل في الشر ومطر في الخير فساء
مطر المنذرين الذين انذروا وخوفوا من عقاب الله بالزجر عن المعاصي قل الحمد لله الذي وسلام على عباده الذين اصطفى امر رسوله الله صلى الله عليه وسلم
بان يتلو هذه الآيات الناطقة بالبراهين على وحدانيته وقدرته على كل شيء وحكمته وبان يحمده ويسلم على المصطفين من عباده شكرا على ما انعم عليه من فضله وكتاب
لا يوازيه فضل وكتاب ولا يدانيه وقضاء لحق استشهادهم في الدين وعرفنا بفضل اصطفائهم واستبدادهم على من ليس امثلهم من العالمين وقيل هو متصل بما
قبله وامر بالتحميد على الهالكين من كفار الامم والصلوة على الانبياء واشياعهم الناجين وقيل امر لوطا بان يحمده على هلاك كفرة قومه ويسلم على من
اصطفاه بالنجاة من هلكتهم والعصمة من فواحشهم وذنوبهم وقال ابن عباس عباده الذين اصطفاهم اصحاب محمد صلعم وقال الكلبي هم امة محمد صلعم
فيكون هذا شهادة من الله على انهم المصطفون على من سواهم من الامم فيكون هذه الآية قوله كنتم خير امة الآية وقيل هم جميع المؤمنين من التابعين
واللاحقين الله خير اما يشركون الهمزة ليست بمجهولة على حقيقة الاستفهام لانه معلوم عند كل ذي عقل علما يقينا ان لا خير فيما اشركوه اصلا حتى يوازن
بينه وبين من مبدع كل خير خلقا وملكا بل المراد الزامهم والتهكم بحالهم والتسفيه لرايهم حيث آثروا عبادة الاصنام التي لا خير فيها اصلا ولا منفعة راسا
وبالكلية على عبادة الله الخالق لكل خير النافع بكل منفعة وذلك لجهلهم المفرط وتورطهم في الخطاء العظيم الذي عصوا فيه امر العقل وانسلخوا عن قضية
التمييز ولفطانتهم التي ليس بعدها ولذلك صاروا اضل من الانعام وشر الدواب وقرا نافع وابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائي وابو جعفر وخلف تشركون بالتاء خطابا للمشركين
والباقون بالياء وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه اذا كان قراها قال بل الله خير وابقى واجل واكرم وقيل الله خير لمن عبده ام الاصنام لمن عبدها والمعنى ان الله
نجى من عبده من الهلاك والاصنام لم تغن شيئا عن عابديها عند نزول العذاب امن خلق السموات والارض ام في اما يشركون متصلة بمعنى ايهما خير وام في امن منقطعة
بمعنى بل والهمزة كما قال الله تعالى خير ام آلهتهم قال بل امن خلق السموات خير تقريرا لهم بان من قدر على خلق العالم الذي هو اصول المنافع خير من جماد لا
يقدر على شيء وقرا الاعمش امن بالتخفيف على انه بدل من الله كانه قال امن خلق السموات والارض خير مما يشركون وانزل لكم اي لاجلكم من السماء ماء فانبتنا
حدائق اي بساتين فيها انواع الشجر المثمر جمع حديقة وهي البستان وقال الفراء الحديقة البستان المحاط عليه فان لم يكن عليه حائط فليس بحديقة وقيل الحدائق
البساتين من الاحداق وهو الاحاطة وقال فانبتنا ولم يقل فانبت مع انه اخصر تاكيدا لاختصاص الفعل بذاته واشعارا بان انبات الحدائق البهجة المختلفة الاصناف
من التراب والماء الذين لا تناسب بينهما لا يقدر عليه الا الله وحده كما اشار اليه بنفي انبات شجرها عن غيره وتفننا في الكلام فيجد السامع عنه في نفسه من الروعة
والاستحسان ما لا يجده عند لفظ العدول عنه ووصل الى التكلم والتعظيم بالاسناد الى ضمير الواحد المطاع ذات بهجة ذات منظر حسن يبتهج به كل من رآه لحسنه والبهجة
الحسن وقرا ابن ابي عبلة ذوات بهجة قال صاحب الغرائب قالوا انما يحسن ذوات في الجمع الادنى وفي الجمع الاكثر ذات ما كان لكم ان تنبتوا شجرها كان
بمعنى صح واستقام والمعنى استحال في العقل والعادة والحكم ان تنبتوا شجر تلك الحدائق لانكم لا تقدرون على ذلك اذ من المحال غير المستقيم ان تكون صفة
الخلق كصفة من بيده الخلق خصوصا ان تكون هي وذلك ان انبات الشجر كخلق الولد سواء بسواء فكما لا خالق للولد غير الله كذلك لا منبت للشجر سوى الله وقيل
معنى الكينونة الانبغاء اراد ان تاتي ذلك محال من غيره أاله مع الله اغيره يقرن به ويجعل شريكا له وهو المتفرد بالخلق والانبات وقرئ االها باضمار فعل مثل
اتدعون او اتشركون او اتجعلون او الاستفهام للانكار كانه قيل ليس اله مع الله ولك ان تحقق الهمزتين وتوسط بينهما مدة وتخرج الثانية بين بين بل هم قوم
يعدلون به غيره او يعدلون عن الحق الذي هو التوحيد ونقل الكلام من الخطاب الى الغيبة مع انه على عادة الافتنان في الكلام وما يعطيه من الحسن والروعة ابلغ
في تخطئة رايهم واستركاكه كانه يعرض عنهم لتجهيلهم وتضليلهم امن جعل الارض قرارا هو وما بعده بدل من امن خلق فكان حكمها حكمه يعني دحا الارض وسواها بحيث
يتاتى استقرار الناس وسائر الاشياء عليها وهذه دلالة اخرى على تميزه بافعال خاصة لا اشارك فيها احد وهي انه جعل الارض مستقرا وجعل خلالها اوساطها
وقرا الخليل خللها انهارا مطردة بالمياه وجعل لها رواسي جبالا ثوابت ارساها بها كما ترسى السفينة والبيت بالاوتاد اذ لولاها لتكفات ومادت واضطربت
وكثر فيها المعادن وتجري من حضيضها المنابع والعيون رزقا للعباد وجعل بين البحرين حاجزا وخلق بين العذب والملح او نيلي فارس والروم مانعا
حصينا من قدرة الباهرة وحكمة البالغة لئلا يختلط احدهما بالآخر أاله مع الله اغيره يقرنه به ويجعل له شريكا وهو المتميز بالافعال الخاصة التي لا يشاركه فيها
احد وقيل اي هل معه معبود سواه اعانه على صنعه بل اكثرهم لا يعلمون توحيد ربهم وسلطانه واختصاصه بافعال خاصة فيشركون به او لا يعلمون انه لا يشركه احد

امن يجيب المضطر اذا دعاه الا ان اضطرار افتعال من الضرورة وهي الحالة المحوجة الى الالتجاء والمضطر من احوجه مرض او فقر او غيرهما لكن شوايل الزمان
الملجاء الى اللجاء والتضرع الى الله وقيل هو المكروب المجهود وعن السدي الذي لا حول له ولا قوة وقيل المذنب اذا استغفر واللام فيه للجنس دون الاستغراق
فلم يلزم منه اجابة كل مضطر وهذه ايضا دلالة اخرى على تميزه بافعال خاصة لا شريك فيها لاحد وهي انه يجيب المضطر ويكشف السوء ويرفع عن الانسان
ما يسوءه ويفرقه ويجعلكم خلفاء الارض اي ويستخلفكم على الملك في الارض كمن يستخلف بعض السلاطين على بعض البلاد ويملكه عليها او ويجعلكم خلفاء عمن كان
قبلكم من الامم لان محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين فخلفت امته سائر الامم او ويجعلكم تخلف بعضكم بعضا كما يخلف الوارث مورثه والولد والده وما قيل من
ان خلفاء الارض خلفاء فيها وذلك توارثهم سكناها والتصرف فيها قرنا بعد قرن او المراد بالخلافة الملك والتسلط فهو داخل فيما تقدم عليه من الوجوه وقيل يجعل
اولادكم خلفاءكم وقيل يجعلكم خلفاء الجن في الارض أاله مع الله الذي خلقكم بهذه النعم العامة والخاصة قليلا ما تذكرون قليلا نصب على المصدر او الظرف
اي تذكرون تذكرا قليلا او زمانا قليلا وما مزيدة لتوكيد القلة المراد بها العدم وقرا حمزة والكسائي وحفص وروح بالتاء وتشديد الذال والباقون بالياء
وتشديد الذال وفي مصحف ابي تتذكرون بالياء معا اثناء امن يهديكم بالنجوم وعلامات الارض في ظلمات البر والبحر المراد بالظلمات ظلمات الليالي اضافها الى البر والبحر
للملابسة او مشتبهات الطرق يقال طريقة ظلماء وعمياء للتي لا منار بها وقال الخليل في ظلمة البر والبحر بالتوحيد ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته يعني قدام المطر الذي
يرحم الله تعالى به وينعم على عباده ولو صح ان السبب الاكثري من تكوين الريح معاودة الادخنة الصاعدة من الطبقة البادرة لانكسار حرها وتموجها الهواء فلا شك
ان اسباب الفاعلية والقابلية لذلك من خلق الله والفاعل للسبب فاعل للمسبب وقرا حمزة والكسائي وخلف الريح نشرا وابن عامر الرياح نشرا وابن كثير نشرا وعاصم
بشرا أاله مع الله الجامع لتلك القدرة القادر على تلك المنفعة تعالى الله عما يشركون اي ما اعلى الله الذي هذه قدرته وما اجله عما يضاف اليه من الشركاء
اجل الله عن ان يكون له شريك وان تكون آلهتهم العجزة المفتعلة له شركاء او عن اشراكهم على ان ما موصولة او مصدرية وقيل تعالى القادر الخالق عن مشاركة العاجز
المخلوق امن يبدؤ الخلق ينشئ الخلق ويخرجهم من مادة ومن غيرها على اختلاف الاجناس والاصناف والاحوال وبناء الفعل على من ههنا وفي ما تقدم يفيد
اختصاصه تعالى بهذه الافعال والصفات وتفرده بها كانه قيل امن تختص بخلق العالم بيبدؤ الخلق وقس عليه ما سبق من قوله امن خلق الى ههنا اي امن اختص
بخلق العالم وتفرد به واختص بجعل الارض قرارا ثم يعيده الى ما كان بعد الموت فهو اخبار بالاعادة بعده او ثم ينشئ في سنة مثل ما كان في السنة السابقة من
من الاشجار والنبات والثمار وغيرها والكفرة وان انكروا الاعادة فهم محجوجون بالحجج الدالة عليها ومن يرزقكم من السماء والارض من السماء بالماء ومن
الارض النبات أاله مع الله الخالق لكل خلق الرازق لكل حتى قل هاتوا برهانكم هلموا او احضروا حجتكم على ان غير الله يقدر على شيء من ذلك وهات صوت
بمنزلة هاء في معنى احضر ان كنتم صادقين ان مع الله الها فان القدرة على المقدورات كلها من لوازم الالهية والقول بلا برهان ليس بشيء قل لا يعلم من
في السموات والارض الغيب الا الله لما بين اختصاصه بالقدرة الكاملة الشاملة عقبه اختصاصه وتفرده بعلم الغيب والاستثناء منقطع ورفع المستثنى
على لغة بني تميم بمخرج قوله الا اليعافير بعد قوله ليس بها انيس فيفيد انه تعالى ان كان ممن في السموات والارض فهم يعلمون الغيب يعني ان علمهم
الغيب في استحالته كاستحالة ان يكون الله منهم كما يفيد الشعر ان اليعافير ان كانت انيسا ففيها انيس مبالغة في خلوها عن الانيس وبنا للقول
او متصل على ان المراد بمن في السموات من تعلق علمه بها واطلع عليها اطلاع الحاضر فيها فانه يعم الله واولي العلم من خلقه وهو موصول او موصوف عن عائشة
رضي الله عنها من زعم انه يعلم ما في غد فقد اعظم على الله الفرية والله تعالى يقول قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله وعن بعضهم اخفى غيبه عن الخلق ولم
يطلع عليه احدا لئلا يامن احد من عبيده مكره وما يشعرون ايان يبعثون ايان بمعنى متى وهو للوقت المبهم فيستعمل فيما لم يتحقق وقوعه كقولك متى قام زيد
ومتى يجيء عمرو ولا تقول متى طلعت الشمس ومتى تطلع لتعيين وقت طلوعها ولا يكون ايان بمعنى متى الا اذا استفهم به لان متى يكون للاستفهام عن الزمان ولـ
للشرط ايضا وايان ليس الا للاستفهام عن الزمان واصل ايان اي ان اي اوان فحذفت الهمزة واصل الياءين فسار ايوان فابدل الواو بالياء ثم ادغم كما في وقرئ
بكسر الهمزة والتعبير للكفار ومن وافقهم وما يعلم اهل العالم متى يبعثون والبعث الاثارة يقال بعث الناقة فانبعث اي اثارها فثارت ونهضت ومنه يوم
البعث يوم يبعثنا الله تعالى من القبور بان يجمع اجزاءنا الاصلية الباقية من اول العمر الى آخره ويعيد الارواح اليها والآية نزلت في المشركين حين سألوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت الساعة فابهم فينبغي ان يبهم كل ما ابهم ويؤمن به ويجمع بينه وبين الاستعداد له لا بالسؤال بل ادارك علمهم في الآخرة
لما نفى عليهم عن الغيب واكد ذلك بنفي شعورهم بما هو مآلهم البتة بالغ فيه بان اضرب عنه وبين ان اسباب استحكام علمهم وتكامله بان القطع لا ريب فيها

قد حصلت لهم وتمكنوا من معرفته وهم شاكون جاهلون وذلك قوله بل هم في شك منها كمن تحير وتردد في امر لا يجد اليه سبيلا ودليلا بل هم منها عمون جمع عم
وهو الاعمى بالقلب اي بل هم منها عمي القلوب غير مستبصرين والعمى للدلالة على الثبات ابلغ من العامي لدلالته على الحدوث واصل عمون عميون فنقل الضمة الى الميم ثم
حذفت الياء لالتقاء الساكنين يريد المشركين ممن في السموات والارض لانهم لما كانوا في جملتهم نسب فعلهم الى جميعهم كما يقال بنو تميم فيهم شجاع بطل او شاعر مجيد وانما هو
مخصوص في فخذ من افخاذهم وبنوا اسد فعلوا كذا وانما فعله نفر منهم وعلى هذا اجرى اسلوب قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من الملح دون العذب ويجوز
ان تكون الاضرابات الثلاث من الله تنزيلا لاحوالهم في درج الفساد لان الثالثة ادنى وانزل مرتبة من الثانية وهي من الاولى كما لا يخفى وان يكون الاول اضرابا عن نفي
الشعور بوقت البعث منهم ووصفهم باستحكام علمهم وتكاملهم في الآخرة تهكما بهم والثاني اضرابا عن عدم علمهم كما ينبغي الى الشك الذي هو عبارة عن تساوي الطرفين والتردد
فيهما من غير ترجيح والثالث اضرابا عنه الى الجهل المركب الذي هو اعتقاد الشيء على خلاف ما هو عليه مع الاعتقاد انه لا يمكن الا كذلك والجهل بما في الواقع مع الجهل
بانه جاهل به وسمي مركبا لتركبه مع الاعتقادين او الجهلين وظني والله اعلم انها واردة على حسب انواع الكفرة بها المتميزة بالخصوصيات فان منهم من نطق بالفم قلنا ما
كما هو صوابه في قولهم ما الساعة ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين ومنهم من يشك فيها ويرتاب كما اخبر الله تعالى عنهم في مواضع من كتابه ومنهم من لا يعلمها اصلا
ولا يعتقدها وهم الساهون العمون المتمادون في العمى وبالجملة ليست بل ههنا لتدارك الغلط بل لمجرد الانتقال من كلام الى كلام اهم من الاول بلا قصد الى اهدار الاول
وجعله في حكم المسكوت وقرا الكوفيون ونافع وابن عامر بل ادارك بتشديد الدال بمعنى تتابع واستحكم او تتابع حتى انقطع من تدارك بنو فلان اذا تتابعوا في الهلاك واصل
اداركه تدارك فادغم التاء في الدال وزيدت همزة الوصل لتعذر الابتداء بالساكن والباقون بل ادرك بمعنى انتهى وتكامل وفسره الحسن باضمحل علمهم وقرا ابي بل تدارك وابن
عباس بل ادرك بفتح الالف على استفهام المراد به الانكار لادراك علمهم وكذا من قرا ام ادرك وام تدارك لانها ام التي بمعنى بل والهمزة وقرئ بل ادرك بفتح
اللام على انتقال بلا ادرك بهمزتين بلا ادرك بالف بينهما بلادرك بنقل حركة الهمزة الى اللام بل ادارك بفتح اللام بتشديد الدال واصله ادارك بالاستفهام على وجه
الانكار بلى ادرك فهذه الثلاثة عشرة قراءة ومعنى بلى ادرك بلى يشعرون ثم فسر الشعور بقوله ادرك علمهم في الآخرة على سبيل التهكم الذي معناه المبالغة في نفي العلم فكانه
قال شعورهم بوقت الآخرة انهم لا يعلمون كونها فيرجع الى نفي الشعور على ابلغ ما يكون ومعنى بلى ادرك بالاستفهام بلى يشعرون من يبعثون ثم انكر علمهم بكونها واذا انكره لم
يتحصل لهم شعور بوقت كونها لان العلم بوقت الكائن تابع بكون الكائن في الآخرة في شان الآخرة ومعناها وجعل الآخرة مبتدا اعمالهم ومنشاه ولذلك عداه
بمن دون عن لان الكفر بالعاقبة والجزاء هو الذي جعلهم كالبهائم لا يتدبرون ولا يتبصرون وقال الذين كفروا اعادوا الكفر بالساعة وبعث الموتى من الاجداث
اءذا كنا ترابا واباؤنا ائنا لمخرجون كالبيان لعمههم والعامل في اذا ما دل عليه ائنا لمخرجون وهو نخرج لا مخرجون لان كلا من الاستفهام وان واللام تمنع من عمل فيما
قبلها وتكرير الهمزة بادخالها على اذا وان جميعا انكار على انكار وجحود عقيب جحود ودليل على كفر مؤكد متبالغ فيه والمراد بالاخراج الاخراج من القبور او من
حال الفناء الى الحياة وقرا عاصم وحمزة وخلف وروح ائذا ائنا بهمزتين ونافع وابو جعفر اذا ائنا بهمزة واحدة وابن عامر وحمزة والكسائي ائذا بهمزتين
اننا بهمزة واحدة مكسورة ونونين اولهما مشددة واقام المظهر مقام المضمر حيث قال وقال الذين كفروا ولم يقل وقالوا اظهارا للغضب عليهم وتسجيلا
عليهم بالكفر ودلالة على ان هذا القول لا يتفوه به ولا يجترئ عليه الا الكفار المتوغلون في الكفر المتمادون في الجحد الذين قال فيهم اولئك هم الكافرون حقا
لقد وعدنا هذا اي هذا البعث نحن وآباؤنا من قبل من قبل محمد وتقديم هذا على نحن لان المقصود بالذكر هو البعث الذي سيق الكلام لاجله وحيث اخر
فالمقصود به المبعوث ان هذا الا اساطير الاولين ما هذا الا احاديثهم واكاذيبهم التي سطروها وكتبوها قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة
المجرمين المراد بالسير السير بالقدم او العقل والفكرة والاول هو المتبادر الى الذهن المشهور بين القوم واياما كان فهو السبب في النظر المخصوص وهو مسبب
عنه والمعنى سيروا في الارض لاجل ان تنظروا ما فعل الله بالكافرين بالبعث وسوء عاقبتهم كيف دمرهم بعذاب الاستيصال ولا تسيروا سير الغافلين فهو
تهديد لهم على جحودهم بالبعث وكفرهم وتخويف بان يحيق بهم ما حاق بالجاحدين الكافرين من قبلهم وذكر فعل العاقبة لان تانيثها غير حقيقي اي مال المجرمين
وآخر امرهم والتعبير عن الكافرين بالمجرمين ليكون لطفا للمؤمنين في ترك الجرائم وتخوف عاقبتها الا يرى الى قوله خطاياهم اغرقوا وقوله فدمدم عليهم ربهم بذنبهم
وقوله ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ولا تحزن عليهم لحرصك ثم يلحق الا ان لعوائد نافع او حصول ضار اي ولا تغتم لاجل كفار قريش لانهم لم يتبعوك
ولم يؤمنوا فيهلكوا ولكن نبههم اياك حرصا على ايمانهم كما كان عليه السلام يتمثل الوجد والاسف على توليهم عنه ويتلهف على فراقهم وشقاقهم في الدين
الا يرى الى قوله لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين ولا تكن في ضيق صدر وقيل في ضيق اي في امر ضيق مما يمكرون من مكرهم وكيدهم لك والاتيان

بذلك فان

بذلك فان الله يعصمك من الناس او من كونه مكرهم بك على ان ما موصوفة قال الله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك فيكون تسلية
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتسرية عنه لانه كان يغتم ويضيق صدره لمكرهم فضمن الله له العصمة من شرهم وكيدهم ونهاه ان يغتم ويكون في ضيق صدره من مكرهم
ويقولون من طريق المقابلة على ان يكون بينهم ومن جهتهم منشرح الصدر فسيح القلب غير ملتفت الى مكرهم ولا مبال بعداوتهم وسفاهتهم واستهزائهم والآية نزلت في المستهزئين
الذين اقتسموا عقاب مكة ويقولون متى هذا الوعد استبعادا له واستهزاء وهو العذاب الموعود ان كنتم صادقين في وعدكم يخاطبونه به رسول الله واصحابه قل
عسى ان يكون ردف لكم تبعكم ولحقكم وزيدت اللام للتاكيد كالباء في ولا تلقوا بايديكم او الفعل مضمن معنى فعل يتعدى باللام نحو دنا وازف لكم وقد عدي
بمن قال فلما ردفنا من عمير وصحبه تولوا سراعا والمنية تعنق يريد دنونا من عمير وقرا الاعرج ردف لكم بوزن ذهب وهو لغة فيه والكسر افصح وقرا الخليل ردف مبنيا
للمفعول بعض الذي تستعجلون حلوله وهو عذاب يوم بدر وعسى ولعل وسوف في وعد الملوك ووعيدهم على ما جرت به عادتهم الاجابة بكل منها ووقوع ذلك
منهم موقع القطع والبت وانما يفعلون ذلك اظهارا لوقارهم في الاشياء وترك العجلة فيها واشعارا بان الرمز الى الاغراض كافية من جهتهم وانهم كالمصرح
من غيرهم وعلى ذلك جرى وعد الله ووعيده وان ربك لذو فضل على الناس بتاخير عقوبتهم على المعاصي والفضل والفاضلة الافضال وجمعها فضول وفواضل
ومعناه انه متفضل عليهم وانما قال بالاضافة ولم يقل المتفضل مع انه احضر لان المقصود تنكير الفضل وان يكون فضلا لا يوازيه فضل وذلك انما يتاتى
بالاضافة ولكن اكثرهم لا يشكرون لا يعرفون حق النعمة فيه ولا يشكرونه ولكنهم بجهلهم يستعجلون وقوع العذاب وهم قريش وقال مقاتل هم اهل مكة وان
ربك ليعلم ما تكن صدورهم اي ما تخفيه وقرئ تكن بفتح التاء من كننت الشيء اذا سترته وما يعلنون وما يجهرون من عداوتك ومكايدهم فيجازيهم على ذلك
بما يستوجبونه وما من غائبة في السماء والارض خافية فيهما وهما من الصفات الغالبة والتاء فيهما للمبالغة كما في الرواية في قولهم ويل للشاعر من رواية
السوء كانه قال وما من شيء شديد الغيبوبة والخفاء الا وقد علمه الله واثبته في كتاب او اسماء للشيء الذي يغيب ويخفى والتاء فيهما كالتاء في عاقبة وعافية
ونظائرهما النطيحة والرمية والذبيحة في انها اسماء غير صفات الا في كتاب مبين ظاهر بين للناظرين فيه من الملائكة او مبين ما فيه لمن يطالعه والمراد به اللوح
او القضاء على الاستعارة ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون يبين لهم اكثره كالتشبيه والتنزيه واحوال الجنة والنار وعزير والمسيح و
قال الكلبي ان اهل الكتاب اختلفوا فيما بينهم فصاروا احزابا يطعن بعضهم على بعض فنزل القرآن ببيان ما اختلفوا فيه وقرا الخليل يقضي بالضاد كانه يقضي
وانه لهدى من الضلالة والشك او الى الحق واليقين ورحمة من عذاب للمؤمنين لمن آمن وايقن حيث نجوا به من الظلمات الشك والضلالة الى نور اليقين والا
يمان ومن مقاعدهم في طبقات النيران الى معالي درجات الجنان ونكرهما افصاحا به الى التفخيم والتعظيم كانه قيل هدى اي هدى ورحمة اي رحمة ان ربك يقضي بينهم
يحكم بني اسرائيل يوم القيمة بحكمه قيل بعدله وقيل بما يحكم به وهو الحق او بحكمته ويدل عليه قراءة من قرا بحكمه جمع حكمة وهو العزيز القادر الغالب على كل شيء
فلا يرد قضاؤه العليم فتوكل على الله عن يقضي له وعن يقضي عليه او العزيز في انتقامه من المبطلين العليم بالفصل بينهم وبين المحقين فتوكل على
الله فاسند اليه امورك كلها ولا تبال بمعاداتهم انك على الحق المبين علل التوكل بانه على الحق الابلج الذي لا يتعلق به الشك والظن وفيه بيان ان صاحب
الحق حقيق بالوثوق بصنع الله وبحفظه ونصره انك لا تسمع الموتى تعليل آخر للامر بالتوكل من حيث انه يقطع طمعه عن متابعة المشركين واهل الكتاب ومعا
ضدتهم اصلا وشبههم بالموتى وهم احياء صحاح الحواس لعدم انتفاعهم باستماع ما يتلى عليهم من آيات الله كما شبههم بالصم الذين ينعق بهم
فلا يسمعون ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين فان اسماعهم في حال اعراضهم ابعد وقوله اذا ولوا مدبرين تاكيد لحال الاصم لانه اذا كان عند الداعي
قل سمع صوته واذا تباعد عنه بان يولي عنه مدبرا لم يسمع ولم يدرك شيئا منه ونفيهم هذا من وقوع النكرة في حيز النفي سيما اذا كان مكررا وقرا ابن كثير ولا يسمع الصم
بالتاء لا بالمثنى ويرفع الصم سوى الباقون بالمثنى ونصب الصم وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم حيث الهداية لا تحصل الا بالبصر والعمى الآية ان هو لاء
الكفرة لفرط اعراضهم عما يدعون اليه من الاسلام وتمرنهم على الكفر واستغراقهم في الغي والضلالة كالموتى الذين عدموا مصحح السماع ولا سبيل الى اسماعهم
وكالصم الذين لا ينتفعون باسماعهم واذانهم وكالعمي الذين يضلون الطريق ولا يهتدون اليه ولا يقدر احد ان يجعلهم هداة بصراء الا الله وحده وقرا
حمزة وما انت تهدي العمي فعلا لانه يكون هو الذي يقدر على هدايتهم بعد ضلالهم مفتحا ان الهداية وابوابها وتمرنهم على الضلالة وانهماكهم فيها وقرا
ابو حيوة بهادي العمي على الاصل وقد روي عن الكسائي حذف الياء ان تسمع اي ما يجدي اسماعك وما ينفع الا من يؤمن بآياتنا من هو في علم
الله انه يصدق بآياتنا كلها ولا يكذب بشيء منها فهم مسلمون مخلصون من قوله تعالى بلى من اسلم وجهه لله اي جعله سالما لله خالصا واذا وقع القول عليهم

يس معنى القول ومؤداه بالقول وهو ما وعدوا به من قيام الساعة والعذاب اي اذا دنا وقوع معنى القول وقيل اذا وجب العذاب عليهم وقال قتادة اذا غضب
الله عليهم اخرجنا لهم دابة من الارض وهي الجساسة روي ان طولها ستون ذراعا لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب ولها اربع قوايم وزغب وريش وجناحان وعن
ابن جريج انه وصفها فقال راسها راس ثور وعينها عين خنزير واذنها اذن فيل وقرنها قرن ايل وعنق نعامة وصدر اسد ولون نمر وخاصرة هر وذنب كبش وخف بعير وبين كل
مفصلين اثنى عشر ذراعا بذراع آدم عليه السلام وروي لا تخرج الا راسها وراسها يبلغ اعنان السماء او يبلغ السحاب وعن ابي هريرة فيها من كل لون ومابين
قرنيها فرسخ للراكب وعن الحسن لا يتم خروجها الا بعد ثلثة ايام وعن علي رضي الله عنه انها تخرج ثلثة ايام والناس ينظرون فلا يخرج الا ثلثها وعن ابي عمر رضي
الله عنهما تخرج الدابة من صدع في الصفا كجري الفرس ثلثة ايام وما خرج ثلثها وعنه عليه السلام تخرج دابة الارض من صدع في الصفا واول خطوة تضعها بانطاكية
الحديث وفيه انها لا تخرج الا بعد طلوع الشمس من مغربها فلتطالعهم في الحجر وعن حذيفة بن اليمان انه قال ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت من اين تخرج قال
من اعظم المساجد حرمة على الله يعني المسجد الحرام وعن ابي هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم بيس الشعب شعب اجياد مرتين او ثلثا قيل ولم ذلك يا رسول الله
قال تخرج منه الدابة فتصرخ ثلث صرخات يسمعها من بين الخافقين وعن ابن عباس انه قرع الصفا بعصاه وهو محرم وقال ان الدابة لتسمع قرع عصاي هذه وعن
ابي شريحة الانصاري قال النبي صلعم يكون للدابة ثلث خرجات من الدهر فتخرج خروجا باقصى اليمن فيفشو ذكرها بالبادية ولا يدخل ذكرها القرية يعني مكة ثم تمكث
زمانا طويلا ثم تخرج خرجة اخرى قريبا من مكة فيفشو ذكرها بالبادية ويدخل ذكرها القرية ثم بينا الناس يوما في اعظم المساجد حرمة على الله واكرمها على الله
تعالى يعني المسجد الحرام لم ترعهم الا وهي من ناحية المسجد تدنو وتدنو كذا فارفض الناس عنها وثبت لها عصابة عرفوا انهم لم يعجزوا الله فخرجت عليهم تنفض راسها من التراب
فمرت بهم فجلت عن وجوههم حتى تركتها كانها الكواكب الدرية ثم ولت في الارض لا يدركها طالب ولا يعجزها هارب حتى ان الرجل ليقوم فيتعوذ منها بالصلوة
فتاتيه من خلفه فتقول يا فلان الآن تصلي فيقبل عليها بوجهه فتسمه في وجهه فيتجاور الناس في ديارهم ويصطحبون في اسفارهم ويشتركون في الاموال يعرف الكافر
من المؤمنين فيقال للمؤمن يا مؤمن ويقال للكافر يا كافر وعن ابي هريرة قال النبي عليه السلام تخرج الدابة معها عصى موسى وخاتم سليمان فتجلو وجه المؤمن بالعصا
وتختم انف الكافر بالخاتم حتى ان اهل الخوان ليجتمعون فيقول هذا يا مؤمن ويقول هذا يا كافر وقرا ابو البرهسم بهم دابة بالرفع كذا في الغرايب تكلمهم من الكلام
وقيل من الكلم وهو الجرح اذ قرا ابن جبير والجحدري وابو رجا العطاردي تكلمهم بفتح التاء وسكون الكاف والمراد به الوسم بالعصا والخاتم وكذا في قراءة ابن ابي
ابي عبلة تكلمهم بسكون الكاف تخفيفا كما سكن اتباع مجاهد في اوجه يث لم ذكرا وعن ابي الجوزاء سالت ابن عباس عنها تكلمهم او تكلمهم قال كل ذلك تفعل
تكلم المؤمن وتكلم الكافر وقيل تخرج من الصفا فتكلمهم بالعربية بلسان ذلق فيقول ان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون وتقول الا لعنة الله على الظالمين وعن
السدي تكلمهم ببطلان الاديان كلها سوى دين الاسلام وعن وهب وجهها وجه رجل وساير خلقها كخلق الطير فتخبر من راها ان اهل مكة كانوا بمحمد و
القرآن لا يوقنون وعن مقاتل تكلمهم بالعربية فتقول ذلك وتخبر الناس ان اهل مكة لم يؤمنوا بالقرآن والبعث وروي بينا عيسى عليه السلام يطوف بالبيت
ومعه المسلمون اذ تضطرب الارض تحتهم تحرك القنديل وتنشق الصفا مما يلي المسعى فتخرج الدابة من الصفا ومعها عصى موسى وخاتم سليمان فتضرب
المؤمن في مسجده او فيما بين عينيه بعصا موسى فتنكت نكتة بيضاء فتفشو تلك النكتة في وجهه حتى تضيء لها وجهه او فيترك وجهه كانه كوكب دري وتكتب
بين عينيه كافر حتى ان الناس يتبايعون في الاسواق بكم يا مؤمن وبكم يا كافر ثم تقول لهم الدابة يا فلان انت من اهل الجنة يا فلان انت من اهل النار
ان الناس كانوا باياتنا قيل اي بخروجي وقيل بخروجها وساير احوالها فانها من آيات الله وقد تقدم قولان انه آخرها قيل هذا وقرا الكوفيون ويعقوب
ان الناس بالفتح على تقدير حرف الجر اي تكلمهم بان الناس ويعضد هذه القراءة ظهور الباء في قراءة ابن مسعود تكلمهم بان الناس واما قراءة بالكسر لان الكلام
بمعنى القول او باضمار القول اي تقول الدابة ذلك وهو حكاية لقولها او لقول الله عند ذلك او علة لخروجها او لتكلمها واذا كان من كلام الدابة فمعنى
باياتنا بآيات ربنا او تقول ذلك لاختصاصها بالله واثرتها عنده وانها من خواص خلقه كما يقول بعض خاصة الملك خيلنا وبلادنا وانما هي خيل
مولاه وبلاده وقرا ابي تنبئهم بمكان تكلمهم واستدل به على ان التكليم من الكلام لا يوقنون لا يتيقنون وعن ابن عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
اول الآيات طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى وايتهما ما كانت قبل صاحبتها فالاخرى على اثرها قريبا وعن ابي هريرة قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم بادروا بالاعمال ستا طلوع الشمس من مغربها والدجال والدابة والدخان وخاصة احدكم وامر العامة ويوم نحشر من كل
امة فوجا اي جماعة كثيرا عددها فان الفوج الجماعة الكثيرة وقرا الخليل يحشر بالياء والبناء للمفعول ورفع الفوج ممن يكذب باياتنا بيان للفوج اي

مطلب دابة الارض

فوجا مكذبين ومن الاولى تبعيضية لان امة كل نبي واهل كل قرن شامل للمصدقين والمكذبين فهم يوزعون اي يحبس اولهم على آخرهم ليجتمعوا ويتلاحقوا فكبكبوا في النار وهو عبارة
من كثرة عددهم وتباعد اطرافهم كما وصفت جنود سليمان بذلك وعن ابن عباس ابو جهل والوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة يساقون بين يدي اهل مكة وكذلك يحشر قادة ساير الامم بين
ايديهم الى النار حتى اذا جاؤا يوم القيمة قال اكذبتم باياتي ولم تحيطوا بها علما الواو للحال اي كذبتم بها بادي الراي غير ناظرين فيها نظرا يؤدي الى احاطة العلم بكنهها وانها حقيقة
بالتصديق او بالتكذيب او للعطف اي اجمعتم بين التكذيب بها وعدم القاء الاذهان لتحققها وتدبرها ام ماذا كنتم تعملون اي بل ماذا كنتم على ان ام ههنا بمعنى بل التي يكون لا
من كلام آخر من غير اعتبار استفهام فقيل ام اي شيء كنتم تعملون بعد ذلك وهو للتبكيت لانهم لم يعملوا الا التكذيب فلا يقدرون ان يكذبوا ويقولوا فعلنا غير ذلك
او ام ما كان لكم عمل في الدنيا الا الكفر والتكذيب بايات الله ام ما كنتم تعملون من غير ذلك يعني انه لم يكن لهم عمل غيره كانهم لم يخلقوا الا للكفر والمعصية وانما
خلقوا للايمان والطاعة يخاطبون بهذا عند كبتهم في النار وقيل ثم يكبون فيها وذلك قوله ووقع القول عليهم ووقع العذاب الموعود عليهم فغشاهم من فوقهم ومن تحت
ارجلهم وقيل وجب العذاب عليهم بما ظلموا بسبب ظلمهم وهو التكذيب بايات الله وقيل اي بما اشركوا وهو لا يناسب السباق كما لا يخفى وان كان صحيح المعنى وقرا
ابو البرهسم اما ذا بتخفيف الميم تنبيها على ان الا استفهام فهم لا ينطقون باعتذار لشغلهم بالعذاب او لان افواههم مختومة الم يروا الم يعلموا انا جعلنا الليل
وقيل اولم يروا التحقيق لهم التوحيد ويرشدهم الى تجويز الحشر وبعثة الرسل لان تعاقب النور والظلمة على وجه مخصوص غير متعين بذاته لا يكون الا بقدرة قاهرة
وان من قدر على ابدال الظلمة بالنور في مادة واحدة قدر على ابدال الموت بالحيوة في مواد الابدان وان من جعل النهار مبصرا وفيه سببا من اسباب معاشهم
لعله لا يخل بما هو مناط جميع مصالحهم في معاشهم ومعادهم انا جعلنا الليل خلقنا الليل ليسكنوا فيه بالنوم والقرار والنهار مبصرا من الاسناد المجازي لا
الابصار في الحقيقة لاهل النهار او قيل بمكان مبصرا ليبصروا فيه طرق التقلب في المكاسب كما هو الاصل لفات الفصاحة التي في الاسناد المجازي والمبالغة
التي فيه بجعل الابصار حالا من احوال المجعول عليها بحيث لا ينفك عنها ولو قيل ساكنا بمكان ليسكنوا فيه والليل يجوز ان يوصف بالسكون في الحقيقة بل
ليل قولهم ليل ساج وساكن لا ريح فيه لم يتميز الحقيقة من المجاز وكذا ان تقول قرن الليل بالمفعول له والنهار بالحال ولم يكونا حالين او مفعولا لهما لان لهما
متقابلان من حيث المعنى ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون بعد قوة فيبصرون بانتقالهما وتغيرهما من حال الى حال ويستدلون بذلك على عظم قدرة من ينقلهما و
ويغيرهما وانه لا حاقدر على ذلك قدر على البعث وان كلها من جملة المقدورات قيام الساعة وحشر الموتى وقيل لدلالتها على الامور الثلثة يعني تحقق التوحيد
وتجويز الحشر وبعثة الرسل ويوم ينفخ في الصور الجمهور على ان الصور قرن ينفخ فيه اسرافيل عليه السلام وقيل انه تمثيل لانبعاث الموتى بانبعاث الجيش اذا
نفخ في البوق وقال الحسن الصور هو الصور واول بعضهم كلامه بان الارواح تجمع في القرن ثم ينفخ فيه فيذهب الارواح الى الاجساد فتحيا الاجساد وبعضد
الاول قال النبي صلعم ان اراد الله عز وجل ان يحدث في خلقه امرا امر القلم فخطه في اللوح فاذا سمع اسرافيل صرير القلم خشع من ان يحدث الله في خلقه
امرا ما لا قبل لهم به فاذا فرغ تولى اليه اللوح فيكون هو الذي يدفعه الى جبرايل فانه لصاحب الصور واضع فاه على صوره منذ يوم خلقه الله تعالى الى يوم ينفخ في
صوره وصوره الى فيه مستعد كان عينيه كوكبان دريان ما طرف منذ خلق آية ما بينه وبينه لن يسول عن وجهه فاذا اسفر عن وجهه نفخ ففزع من في السموات ومن
في الارض فيفزعون من الهول والفزع للخوف والمراد فزعهم عند النفخة الاولى حين يصعقون وقيل ففزع اي فصعق كما قال في آية اخرى فصعق من في السموات
ومن في الارض اي ماتوا والمعنى انه يلقي عليهم الفزع الى ان يموتوا وقيل ينفخ اسرافيل في الصور ثلث نفخات نفخة الفزع ونفخة الصعق ونفخة القيام لرب العالمين
وعبر عن المعنى المستقبل بلفظ الماضي تنبيها على التحقق وقوعه وثبوته وانه كاين لا محالة وواقع على اهل العالم الا من شاء الله ان لا يفزع بان يثبت
قلبهم الشهداء عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم سال جبرئيل عن قوله الا من شاء الله قال هم الشهداء متقلدون اسيافهم حول العرش وعن ابن
عباس لانهم هم الشهداء لانهم احياء عند ربهم لا يصل اليهم الفزع وقال الكلبي ومقاتل هم جبرائيل وميكائيل واسرافيل وملك الموت وعن الضحاك رضوان
والحور ومالك والزبانية وحملة العرش وعن جابر منهم موسى لانه صعق مرة وقيل اقارب النار وحياتها ولعل المراد ما يعم هؤلاء المذكورين
في الاقوال كلها وكل اتوه اي وكل من احيي بعد الموت من اهل العالم اتوه وقرا حمزة وحفص وخلف اتوه اي حضروا الموقف بعد النفخة الثانية
او رجعوا الى امره وانقادوا له والباقون آتوه بمد الهمزة وبضم التاء على انه اسم الفاعل اضيف الى الهاء واصله آتيوه ونقلت الضمة الى التاء ثم حذفت
لاجتماع الساكنين وقرئ اتاه للتوحيد لفظا كل داخرين صاغرين وقرئ دخرين وهو معناه وترى الجبال تحسبها جامدة ثابتة في مكانها من جمد في مكانه
اذا لم يبرح وهي تمر مر السحاب تسير سير السحاب في السرعة وذلك ان الجبال تجمع فتسير كما تسير الريح السحاب فاذا نظر اليها الناظر حسبها واقفة ثابتة في مكان واحد

تمر مر السحاب اي تحسبها جامدة واقفة وهي تمر مر السحاب وهكذا الاجرام الكبار المتكاثرة العدد اذا تحركت في سمت واحد لا تكاد تتبين حركتها كما قال النابغة في صفة جيش بارعن مثل الطود تحسب انهم وقوف لحاج والركاب
تهملج صنع الله مصدر مؤكد لنفسه وهو مضمون الجملة السابقة كقوله وعد الله وقال الزمخشري من المصادر المؤكدة الا انه مؤكد محذوف وهو الناصب ليوم ينفخ والمعنى ويوم ينفخ في الصور فكان كيت
وكيت اثاب الله المحسنين وعاقب المجرمين ثم قال صنع الله يريد به الاثابة والمعاقبة وجعل هذا الصنع من جملة الاشياء التي اتقنها واتى بها على الحكمة والصواب الذي اتقن كل شيء احكم
خلقه وسوى على ما ينبغي ومقابلته الحسنة بالثواب والسيئة بالعقاب من جملة احكام الاشياء واجرائها على قضايا الحكمة انه خبير بما تفعلون عالم بكل فعل من افعالهم ظاهرا او باطنا لا يخفى عليه شيء منها فيجازيهم
على حسب ذلك كما قال من جاء بالحسنة فله خير منها هو الثواب الدائم والامن من عذاب الله الذي لا يقدر ان يصير على نعيم منه الارضون السبع والسموات وسعاية بواحدة والف الف بها قال النبي عليه السلام
الله تعالى يعطي الف الف واكثر حسنة واكثر كما قال عليه السلام في الحاج وانفاقه الدرهم الواحد في ذلك الوجه يعدل اربعين الف الف درهم مما سواه في سبيل الله عز وجل وقال عليه السلام اذا اكل احدكم
مع الضيف فليلقم بيده فانه فعل ذلك كتب له بكل لقمة عمل ستين سنة صيام نهارها وقيام ليلها وقيل فله خير منها اي فله خير حاصل من جهتها وهو الجنة وعن ابن عباس الحسنة كلمة الشهادة وعن
ابراهيم انها لا اله الا الله وقرا الكوفيون ونافع وابو جعفر وهشام خبير بما تفعلون بتاء الخطاب والباقون بتاء الغيبة وهم من فزع يومئذ آمنون يريد بهذا الفزع الخوف من عذاب يوم القيمة وبالفزع
الاول ما لا يخلو منه احد من رعب وهيبة لما يرى من الاهوال والشدائد والفظائع ولذلك يعم الكافر والمؤمن وقرا الكوفيون وابو جعفر فزع يومئذ بالتنوين لان المراد فزع واحد وهو خوف العقاب او فزع
شديد من شوط النوبة لا يكتنفه الوصف وهو خوف النار والباقون بالاضافة وآمن يتعدى بالجار وبنفسه كقوله افامنوا مكر الله ومن جاء بالسيئة السيئة اسم لكل معصية كما ان الحسنة اسم لكل عمل صالح والام
فيهما للجنس ويجوز تناولهما الكل والبعض ويراد بعض اذا قامت القرينة على ارادة البعض منه فارادة الشرك بالسيئة كما زعم بعضهم مما لا قرينة فيه فليس بوجه وجيه يرضى به المتقنون فالمراد بها
ههنا كل عمل سيء يبغضه الله بارتكابه كالشرك والقتل والزنا ونحوها مما هو معصية عند الله ويعذب بسببه وبالحسنة كل عمل حسن عند الله يطاع به ويثاب وينال به دليلا قوله تعالى فمن يعمل
مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فكبت وجوههم في النار فكبوا في النار على وجوههم منكوسين ويجوز ان يراد بالوجه الملقي اي جملة البدن ويجوز بمجاز تعبيرا عن الكل باشرف
اجزائه والمعنى فكبت انفسهم فيها ونحوه ارادة الانفس بالايدي في قوله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة هل تجزون الا ما كنتم تعملون في الدنيا من الكفر والمعاصي انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة الذي
حرمها على ارادة القول على انما امرت امر رسوله بان يقول هذه الآيات ويقرأها عليهم بعد ما بين امر المبدا والمعاد وشرح حال المحسنين والمسيئين وما يجزون به يوم القيمة من الثواب والعذاب
بحسن الاعمال وسيئها ليستطيعها ايلق وينطلب بزيف اشعارا بانه حتى روانه رواجتهد في ذلك وابلغ واكمل الدعوة الى دين الله الذي ثمرته النجاة من سخط الله وغضبه وما عليه بعد ذلك الا
ان يخص الله بالعبادة ولا يتخذ له شريكا كما فعلت قريش وخصص البلدة وهي مكة من ساير البلاد باضافة اسمه اليها اجلالا لها وتفخيما لشانها وانها اعظم البلاد واجلها واقربها عند الله
واحبها اليه واكرمها عليه كما قال النبي صلعم حين خرج في مهاجره وبلغ الجزورة فاستقبلها بوجهه الكريم اي اعلم انك احب بلاد الله الى الله ولولا ان اهلك اخرجوني ما خرجت ووصف ذاته بالتحريم
الذي هو خاص وصفها فاجزل بذلك قسمها في الشرف والعلو ووصفها بانها المحرمة وحرما آمنا لا يسفك فيها دم ولا يظلم فيها احد ولا يختلى خلاها ولا يعضد شجرها ولا ينفر صيدها
ولا يتعرض بالاجرام اليها وقوله التي حرمها وله كل شيء اي واختص به كل شيء خلقا وملكا وعلما وكيف تخفى عليه اعمال هذه البلدة وما يستوجبونه بها عليه وقيل جعل دخول كل شيء تحت
ربوبيته وملكوته كالتابع لدخولها تحتهما وفي ذلك اشارة الى ان ملكها ملك مثل هذه البلدة العظيم الشان قد ملكها وملك اليها كل شيء وامرت ان يكون من المسلمين من المخلصين
في العبادات والاعمال اومن الحنفاء الثابتين على ملة الاسلام اومن المنقادين لاوامره المذعنين له وان اتلو القران وان ادوم على تلاوته او اتباعه على ان اتلو من التلاوة
وهي القراءة او من التلو وهو الاتباع كقوله واتبع ما يوحى اليك وقرا ابي واتل عليهم هذا القران وابن مسعود وان اتل فمن اهتدى باتباعه اياي فيما انا فيه من توحيد الله وا
ختصاصه بالعبادة والاخلاص فيها والثبات على ملة الحنيفية واتباع الوحي المنزل علي فانما يهتدي لنفسه فان منافع اهتدائه راجعة اليه لا الي ومن ضل عن اتباعي في ذلك
بان خالفني ولم يتبعني فقل انما انا من المنذرين فلا علي من ضلاله شيء اذ ما انا الا رسول منذر وما على الرسول الا البلاغ وقد بلغت وقل الحمد لله على نعمه الواصلة الي التي من جملتها نعمة العلم وعلي
نعمة النبوة التي لا يوازيها نعمة او على ما علمني ووفقني للعمل به سيريكم آياته الباهرة في الدنيا كوقعة بدر وخروج دابة الارض والدخان وانشقاق القمر ونحو ذلك مما حل بهم من النقمات الدنيوية او في
الآخرة ونظيره قوله تعالى ساريكم آياتي فلا تستعجلون وقال مجاهد سيريكم اياته في السماء والارض وفي انفسكم كما قال سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم فتعرفونها فتعرفون انها آيات الله
وذلك حين لا تنفعكم المعرفة والاقرار وما ربك بغافل عما تعملون يعني ان كل عمل يعملونها فالله عالم به غير غافل عنه لان الغفلة والسهو لا يجوزان على من يخلق اعمال العباد كلها
سيما اذا كان عالما بالغيب والشهادة كلها ولا يحسبن احد ان تاخير العذاب لغفلة عن اعمال العباد وقرا نافع وابن عامر وحفص تعملون بتاء الخطاب والباقون بالياء على الالتفات
قال رسول الله صلعم من قرا سورة طس كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بسليمان وكذب به وهود وصالح وابراهيم وشعيب ويخرج من قبره وهو ينادي لا اله الا الله
سورة القصص مكية وقيل الا قوله الذين آتيناهم الكتاب الى قوله لا نبتغي الجاهلين وهو آية نزلت بين مكة والمدينة وهي ان الذي فرض عليك القران لرادك الى معاد وهي ثمانون آية
بسم الله الرحمن الرحيم طسم تلك آيات الكتاب المبين قد علمت ما فيه من الوجوه والنكت فلا نعيده نتلوا عليك نقراها عليك بقراءة جبرائيل ويجوز ان يكون

عندما قصد ان يخفي عنهم انهم يفعلون
يحمل عليه الامتنان او ارادة الفعل اي يغيبان الله

تنزيل لها وهو استيناف او حال عمل فيها ما في اسم الاشارة من معنى الفعل كانه قيل اشير اليها متلوة عليك او صلة بعد صلة اذا كان تلك بمعنى التي تقديره التي هي آيات الكتاب
المبين نتلوها من نبا موسى وفرعون مفعول نتلو اي نتلو عليك بعض خبرهما بالحق صفة مصدر محذوف كانه قيل تلاوة كائنة بالحق او حال من ضمير نتلو اي محققين كقوله
تنبت بالدهن او من مفعول فيكون ما لا يؤكد لان نبا الله لا يكون الا بالحق لقوم يؤمنون لمن سبق في علمنا انه لا يؤمن لان التلاوة انما تنفع هؤلاء دون غيرهم
ان فرعون علا في الارض استيناف مفسر لذلك البعض كان قائلا قال وكيف كان نباهما فقال ان فرعون علا في الارض اي طغى فيها وجاوز الحد في الظلم والعسف
والارض ارض مصر وجعل اهلها شيعا فرقا يشيعونه فيما يريد ويطيعونه لا يملك احد منهم ان يلوي عنقه او يشيع بعضهم بعضا في طاعته او اصنافا في استخدامه
استعمل صنفا في بناء وصنفا في حرث وصنفا في حفر ومن لم يستعمل ضرب عليه الجزية او فرقا مختلفة قد اغرى بينهم العداوة لئلا يتفقوا عليه وهم بنو اسرائيل والقبط
يستضعف طائفة منهم وهم بنو اسرائيل والجملة حال من فاعل جعل او صفة لشيعا او استيناف وقوله يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم بدل منها او حال او استيناف
وقع جوابا لمن قال كيف يستضعفهم واسند التذبيح الى فرعون وهو فعل جنده لكونه الآمر والسبب ذبح الابناء انه كاهنا قال له يولد مولود في بني اسرائيل يذهب
ملكك على يديه وذلك كان من تمادي بلادة فرعون وتخابثه فانه لو صدق الكاهن لم ينفع كاهن بالقتل وان كذب فما وجه القتل انه كان من المفسدين من المتوغلين
في فعل ما يؤدي الى الفساد المنهمكين فيه ولذلك اجترا على قتل اولاد الانبياء وهو استيناف وقع تعليلا لما تقدم من افعاله وقرا ابو حيوة وابن ابي عبلة
يذبح بفتح الياء وطلمه تقتل ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ان نتفضل عليهم بالجانهم وخلاصهم من عذاب فرعون وشوم لقائه ونريد
حكاية حال ماضية وهي عطف على ان فرعون علا في الارض لانه نظيره في وقوعه تفسيرا لنبا موسى وفرعون واقتصاصا له او حال من يستضعف اي يستضعفهم
فرعون ونحن نريد ان نمن عليهم ولا يلزم من مقارنة الارادة للاستضعاف مقارنة المراد لجواز ان يكون تعلق الارادة به حينئذ تعلقا استقباليا بان
منة الله بخلاصهم لما كانت قريبة الوقوع منهم جاز ان يجري مجرى المقارنة ونجعلهم ائمة مقتدين في امور الدين والدنيا يقتدي الناس اعقابهم وعن
ابن عباس قادة يقتدى بهم في الخير وعن مجاهد دعاة الى الخير وعن قتادة ولاة وملوكا كقوله وجعلكم ملوكا ونجعلهم الوارثين لما كان في ملك فرعون وقومه
من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين ونمكن لهم في الارض ارض مصر والشام واصل التمكين ان يجعل للشيء مكانا يتمكن فيه و
يستقر ثم استعير للتسليط وتنفيذ الامور واطلاق اليد ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم من بني اسرائيل ما كانوا يحذرون من ذهاب ملكهم وهلاكهم
على يد مولود منهم والحذر الخوف وفي اعماله اصدر من الخواص وقرا حمزة والكسائي وخلف ويري فرعون وهامان وجنودهما بفتح الياء والراء ورفع الاسماء الثلثة
على الفاعلية والباقون بضم النون وكسر الراء ونصب الاسماء وهي الموافقة للمعطوفات وقرا اليماني ويري بالياء فرعون وهامان بنصبهما اي يري الله
فرعون وهامان واوحينا الى ام موسى بالهام او رؤيا وقال قتادة قذفنا في قلبها وامه هي يوحانذ بنت لاوي بن يعقوب وقرا ابو البرهسم الى امه بكسر الهمزة
ان ارضعيه اختلف في مدة الرضاع فقيل ثمانية اشهر وقيل اربعة اشهر وقيل ثلثة اشهر كانت ترضعه في حجرها وهو لا يبكي ولا يتحرك فاذا خفت عليه
من القتل لانه كان اذا صاح خاف ان يسمع الجيران صوته فينموا عليه فالقيه في اليم في البحر يريد به النيل ولا تخافي ولا تحزني اي ولا تخافي عليه من الغرق
ومن الضياع ومن الوقوع في يد اعدائه ولا تحزني بفراقه والخوف غم يلحق لتوقع المكروه والحزن غم يلحق لوقوعه من فوات نافع او حصول ضار انا رادوه اليك
من قريب بحيث تامن عليه وجاعلوه من المرسلين روي انه ذبح في طلب موسى تسعون الف وليد وروي انها حين اقرب وضربها الطلق وكانت بعض
القوابل الموكلات بحبالى بني اسرائيل مصافيتها لها فقالت لها لينفعني حبك اليوم فعالجتها فلما وقع الى الارض هالها نور بين عينيه وارتعشت مفاصلها
ودخل حبها قلبها ثم قالت ما جئتك الا لاقتل مولودك واخبر فرعون ولكني وجدت لابنك حبا ما وجدت مثله فاحفظيه فلما خرجت جاء عيون فرعون ليدخلوا
عليها فقالت اخته يا اماه هذا الحرس على الباب فلفته في خرقة ووضعته في تنور مسجور لم تعلم ما تصنع لما طاش من عقلها فطلبوا فلم يلقوا شيئا فخرجوا وهي
لا تدري مكانه فقالت لاخته ابن الصبي قالت لا ادري فسمعت بكاءه من التنور فانطلقت اليه وقد جعل الله النار عليه بردا وسلاما فاحملته ثم
لما رات الحاح فرعون في طلب الولدان خافت على ابنها فقذف الله في نفسها ان تتخذ له تابوتا فتقذفه في اليم فاشترت تابوتا من نجار من قوم فرعون فقال
بهذا التابوت قالت ابني فيه وكرهت ان تكذب قال ولم قالت اخشى عليه كيد فرعون فانطلق النجار اليهم ليخبرهم بامرها فلما هم بالكلام امسك الله
لسانه فجعل يشير بيده فلم يدر الامناء ما يقول فلما اعياهم امره قال كبيرهم اضربوه فضربوه واخرجوه فلما انتهى الى مكانه رد الله عليه لسانه فاتاهم
ليخبرهم فاخذ الله لسانه وبصره فلم يطق الكلام ولم يبصر شيئا فضربوه واخرجوه فلما انتهى فوقع في واد يهوي فيه حيران فجعل الله عليه ان رد لسانه

ويرجو ان لا يبدل عليه وان يكون معه يحفظه حيث ما كان فعلم الله منه الصدق ففرجها عليه فرأيته ساجدا فقال يا رب دلني على هذا العبد الصالح فدله عليه
فامن به وعلم ان ذلك من الله تعالى وقد روي انها ارضعته ثلثة اشهر في تابوت من بردي مطلي بالقار من داخله وقال وهب بن منبه فلما خافت عليه
عملت تابوتا مطبقا ثم القته في البحر ليلا فالتقطه آل فرعون فاخذوه يقال التقط الشيء ولقطه اذا اخذه من الارض ورفعه ومنه اللقيط وهو ما يلقط
يرفع من الارض وقد غلب على الصبي المنبوذ لانه على غرض اي يلقط وقيل الالتقاط وجود الشيء من غير طلب ليكون لهم عدوا وحزنا تعليل لالتقا
طهم اياه بما هو عاقبته ومؤداه تشبيها له بالغرض الحامل عليه وهذه اللام تسمى لام العاقبة والصيرورة لانهم لم يلتقطوه ليكون لهم عدوا وحزنا ولكن صار
التقاطهم الى ذلك وقرا حمزة والكسائي وخلف حزنا بضم الحاء وسكون الزاء والباقون بفتحهما وهما لغتان كالعدم والعدم والعرب والعرب ان فرعون وهامان
وجنودهما كانوا خاطئين كاملين في الخطاء الذي هو التمرد في الكفر والظلم والانسلاخ عن كل بر وخير فلذلك قتلوا الوفا لاجله ثم اخذوه يربونه
ليكبر ويفعل بهم ما كانوا يحذرونه او آثمين مذنبين فعاقبهم الله وربى عدوهم ومن هو سبب هلاكهم على ايديهم في حجرهم وقرئ خاطين تخفيف خاطئين
او خاطين الصواب الى الخطاء وقالت امرأة فرعون لفرعون حين اخرجته من التابوت وهو عطف على فالتقطه آل فرعون وقوله ان فرعون اعتراض بينهما لتاكيد
خطائهم او لبيان الموجب لما ابتلوا به قرة عين لي ولك هو قرة عين لنا لانهما اجتباه لما رأياه او لنور بين عينيه يقر به عين من راه او لبرءاة بنتهما البرصاء
في النظر اليه وذلك فيما روي ابن عباس وغيره انهم لما التقطوا التابوت فعالجوا فتحه وكسره فلم يقدروا على ذلك فدنت آسية فرأت في جوف التابوت
نورا فعالجته ففتحته فاذا بصبي نوره بين عينيه وهو يمص ابهامه لبنا فاحبوه وكانت لفرعون بنت من اكرم الناس عليه لم يكن له ولد غيرها وكان بها برص
شديد يعجز عنها الاطباء وسحرة النجوم لينظروا في امرها فقالوا ايها الملك لا تبرأ الا من قبل البحر يوجد فيه شبه انسان دواؤها ريقه وذلك في يوم كذا وفي ساعة
كذا حين تشرق الشمس فلما كان ذلك اليوم جلس فرعون مع امرأته على شفير النيل وجلست ابنته مع جواريها على شاطئه تلاعبهن وتنضح الماء على وجو امراته لما
ههن اذ اقبل النيل بالتابوت تضربه الامواج فقال فرعون ان هذا الشيء في البحر قد تعلق بالشجرة ايتوني به فابتدروه بالسفن من كل جانب حتى وضعوه
بين يديه فلما اخرجوه من التابوت عمدت بنته الى ما كان يسيل من ريقه فلطخت به برصها فبرأت فقبلته وضمته الى صدرها وقيل لما نظرت الى وجهه برأت
فقالت ان هذه النسمة مباركة فقال الغواة من قومه هو الصبي الذي يحذر منه فاذن لنا في قتله فهم فرعون بقتله فقالت آسية قرة عين لي ولك واستوهبته
من فرعون فوهبه لها وقال فرعون اما انا فلا حاجة لي فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قال يومئذ هو قرة عين لي كما هو لك لهداه الله كما هداها فقيل لآسية
سميه قالت سميته موسى لانا وجدناه في الماء فهو الماء والشاهد الشجر وعن وهب لما وضعت التابوت بين يدي فرعون فتحوه فوجدوا فيه موسى فلما نظر اليه قال عبراني
من الاعداء فغاظه ذلك كيف اخطأ هذا الغلام الذبح وكان فرعون قد استنكح امرأة من بني اسرائيل يقال لها آسية بنت مزاحم وكانت من خيار النساء ومن بنات
الانبياء وكانت اما للمساكين ترحمهم وتتصدق عليهم قالت لفرعون وهي قاعدة الى جنبه هذا الوليد اكبر من ابن سنة وانما امرت ان تذبح الولدان لهذه السنة
فدعه يكن قرة عين لي ولك وروي انها قالت له انه اتانا من ارض اخرى ليس من بني اسرائيل او لعله من قوم آخرين ليس من بني اسرائيل لا تقتلوه خطاب
له بلفظ الجمع للتعظيم او له وللاعوان الحاضرين الذين استأذنوه في قتله او لهم خاصة لانهم الذين يباشرون القتل عسى ان ينفعنا فان فيه مخايل اليمن ودلا
يل النفع لاهله وذلك لما رأت من نور بين عينيه وارتضاعه ابهامه لبنا وبرء البرصاء بريقه ولعلها توسمت في سيمائه النجابة المؤذنة بكونه نفاعا او نتخذه ولدا
او نتبناه فانه اهل للتبني وكانت لا تلد وهم لا يشعرون حال من آل فرعون الملتقطين او من آسية القائلة والمقول له اي وهم لا يشعرون
انهم على خطاء عظيم في التقاطه وطمع النفع منه وتبنيه او من احد ضميري نتخذه على ان القول للناس اي وهم لا يشعرون انه لغيرنا وقد تبنيناه واصبح فؤاد
ام موسى فارغا صفرا من العقل لما دهمها من فرط الخوف والجزع والتدهش حين سمعت بوقوعه في يد فرعون كقوله وافئدتهم هواء اي خلاء لا عقول
فيها ومنه بيت حسان الا ابلغ ابا سفيان عني فانت مجوف نخب هواء ويعضده انه قرئ فرغا وقرئ قرعا اي خاليا من قولهم اعوذ بالله من صفر الاناء وقرع
الفناء وفزعا من قولهم دماؤهم بينهم فرغ اي هدر يعني بطل قلبها وذهب وبقيت لا قلب لها من شدة ما ورد عليها او من الهم لفرط وثوقها
بوعد الله او سماعها ان فرعون عطف عليه وتبناه ان كادت لتبدي به اي انها كانت لتبدي به وانه ابنها وعن مقاتل لما رأت التابوت يرفعه موج
ويضعه آخر خشيت عليه الغرق فكادت تصيح من شفقتها عليه وعن الكلبي لما سمعت الناس يقولون لموسى بعد ما شب موسى بن فرعون شق عليها لولا ان ربطنا على
قلبها بالعصمة والصبر والثبات لتكون من المؤمنين من المصدقين بوعد الله او من الواثقين بوعده وحفظه لا بتبني فرعون وتعطفه وفي قول فارغا قولا آخر

وهو انه

وهو انه قال الحسن فارغا اي ناسيا للوحي الذي اوحى الله اليها ان القيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني والعهد الذي عهد ان يرده اليها ويجعله من المرسلين فجاءها
الشيطان فقال كرهت ان يقتل فرعون ولدك فيكون لك اجره وثوابه وتوليت انت قتله والقيته في البحر واغرقته ولما اتاها الخبر بان فرعون اصابه في النيل قالت انه وقع
في يد عدوه الذي فررت منه فانساها عظم البلاء ما كان من عهد الله اليها وقرئ موسى بالهمزة جعلت الضمة في جار الواو وهو الميم كانها فيه فهمزت كما يهمز واو وجوه
وهو علة الربط وجواب لولا محذوف دل عليه ما قبله وقالت لاخته لاخت موسى اسمها مريم قصيه اتبعي اثره وتتبعي خبره وقيل اتبعي اثره حتى تعلمي خبره فبصرت به عن جنب
قرئ فبصرت بالكسر وقرئ عن جانب وجنب والكل بمعنى عن بعد اي فنظرت اليه مزورة متجانفة مخايلة وفي القصة انها كانت تمشي جانبا وتنظر اختلاسا ترى انها لا تنظره
وهم لا يشعرون اي لا يحسون بانها اخته او انها تقصه وترقبه وحرمنا عليه المراضع التحريم في الاصل جعل الشيء حراما وهو هنا مجاز ثم استعمل للمنع على ذكر الملزوم وارادة
اللازم اي ومنعناه ان يرضع ثديا من المرضعات جمع مرضع اسم فاعلة من الارضاع وهي المرأة ترضع الولد او جمع مرضع هو موضع الرضاع يعني الثدي او الرضاع روي
انه كان لا يقبل ثدي مرضع قط حتى اهمهم ذلك من قبل من قبل قصصها اثره او من قبل مجيء امه فقالت اي فلما رأت اخت موسى ذلك قالت هل ادلكم على
اهل بيت يكفلونه لكم يربونه ويضعونه لاجلكم وقرا الخليل يكفلونه بكسر الفاء وهم له ناصحون لا يقصرون في ارضاعه وتربيته والنصح اخلاص العمل من شائب
الفساد روي ان موسى مكث ثماني ليال لا يقبل ثديا ويصيح وهم في طلب مرضع فقالت اخته هذا القول ولما قالت وهم له ناصحون قال هامان انها لتعرفه وتعرف
اهله خذوها حتى تخبر بحاله فقالت انما اردت وهم للملك ناصحون وقيل قالت انما قلت هذا رغبة في سرور الملك واتصالنا به وقيل لما قالت
هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم قالوا لها من قالت امي قالوا ولامك ابن قالت نعم هرون وكان هرون قد ولد في سنة لا يقتل فيها قالوا صدقت فاتينا بها فانطلقت
الى امها فجاءت بها والصبي على يد فرعون يعلله شفقة عليه وهو يبكي يطلب الرضاع فلما وجد ريحها استأنس والتقم ثديها فقال لها فرعون ومن انت منه فقد ابى كل ثدي
الا ثديك قالت اني امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لا اوتى بصبي الا قبلني فدفعه اليها واجرى عليها فرجعت به الى بيتها من يومها وانجز الله وعده في الرد اليها وذلك قوله فر
ددناه الى امه كي تقر عينها بولدها ولا تحزن بفراقه فعند ذلك ثبت واستقر في علمها ان سيكون نبيا وذلك قوله ولتعلم ان وعد الله حق اي
ولتثبت علمها وتمكن ولكن اكثرهم لا يعلمون ان وعد الله حق فيرتابون فيه وان الغرض الاصلي من الرد علمها بذلك وما سواه تبع وفيه تعريض بما فرط منها حين
سمعت بوقوعه في يد فرعون فجزعت واصبح فؤادها فارغا وعن السدي كانوا يعطونها كل يوم دينارا وهي كانت تاخذه على وجه الاستباحة لانه مال حربي لا على انه
اجر على ارضاع ولدها ولما بلغ اشده قال الكلبي الاشد ما بين ثماني عشر سنة الى ثلثين سنة وقال مجاهد وغيره ثلث وثلثون سنة وقيل الاشد
في معنى القوة جمع شدة كانعم جمع نعمة على تقدير حذف التاء وقيل الواحد لها واستوى واعتدل وتم استحكامه وبلغ المبلغ الذي لا يزاد عليه كما قال لقيط
واستحلوا امركم لله دركم شزر المريرة لا قحما ولا ضرعا وذلك اربعون سنة وقيل ما شئت مبلغه الذي لا يزيد عليه نشوه وذلك من ثلثين الى اربعين
سنة فان العقل يكمل حينئذ وروي انه لم يبعث نبي الا على راس اربعين سنة واستوى قده وعقله وقيل وانتهى شبابه آتيناه حكما قيل نبوة وقيل سنة
وحكمة الانبياء سنتهم وعلما بالدين والتورية او علم الحكماء والعلماء وسيرتهم وسمتهم قبل بعثه واستنبائه فكان لا يقول ولا يفعل ما يستجهل فيه وهو اوفق
لنظم القصة لان استنباءه بعد الهجرة في المراجعة وكذلك اشارة الى ما تقدم من انجائه من فرعون وايتائه الحكم والعلم والكاف مرفوع المحل اي ومثل ذلك
الانجاء والايتاء او منصوب المحل اي كما جزيناه بالانجاء من عذاب فرعون بالذبح وايتائه العلم والحكم وقيل ومثل ذلك الذي فعلنا بموسى وامه نجزي
المحسنين الذين يحسنون في اعمالهم لا جزاء الاحسان الا الاحسان ودخل المدينة ودخل مصر آتيا من قصر فرعون وقال السدي هي مدينة منيف من ارض مصر
وقال مقاتل هي قرية تدعى خانين على راس فرسخين من مصر وقيل مدينة عين الشمس من نواحيها على حين غفلة من اهلها في وقت لا يعتاد دخولها ولا يتو
قعونه وقيل هو وقت القايلة واشتغال الناس بالقيلولة وقال محمد بن كعب فيما بين المغرب والعشاء وقال علي رضي الله عنه يوم عيد لهم قد اشتغلوا
فيه بلهوهم ولعبهم وقيل لما شب وعقل اخذ يتكلم بالحق وينكر عليهم فاخافوه فلا يدخل قرية الا على تغفل وقيل لما علا موسى فرعون بالعصا في صغره
فاراد فرعون قتله فقالت امرأته هو صغير فترك قتله وامر باخراجه من مدينته فلم يدخل عليهم الا بعد ان كبر وبلغ اشده فدخل المدينة على حين غفلة
من اهلها يعني عن ذكر موسى اي من بعد نسيانهم خبره وامره لبعد عهدهم به فوجد فيها رجلين يقتتلان يختصمان ويتنازعان هذا من شيعته احدهما
ممن شايعه على دينهم وهم بنو اسرائيل وقيل هو السامري وهذا من عدوه والآخر من مخالفيه وهم القبط والاشارة على الحكاية وهم بنو اسرائيل وقيل هو طباخ
فرعون اسمه فيلثون وقيل فاثون وكان يسخر الاسرائيلي لحمل الحطب الى مطبخ فرعون فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فسال ان يغيثه بالاعانة

ولذلك عدي بعلى وقرأ سيبويه فاستعانه وعن ابن عباس لما بلغ موسى اشده لم يكن من آل فرعون يخلص الى احد من بني اسرائيل بظلم حتى امتنعوا كل الامتناع وكان
بنو اسرائيل بمكان موسى لانهم كانوا يعلمون انه منهم فوجد موسى رجلين احدهما من بني اسرائيل والآخر من آل فرعون فاستغاثه الاسرائيلي على الفرعوني فغضب موسى
واشتد غضبه لانه يتناوله وهو يعلم منزلة موسى من بني اسرائيل وحفظه لهم ولا يعلم الناس الا انه من قبل الرضاعة من ام موسى فقال للفرعوني خل سبيله فقال انما
اخذته ليحمل الحطب الى مطبخ ابيك فنازعه فقال الفرعوني لقد هممت ان احمله عليك وكان موسى قد اوتي بسطة في الخلق وشدة في القوة والبطش فوكزه موسى ضرب
القبطي بجمع كفه وقرأ ابن مسعود فلكزه باللام وهما بمعنى وقال الفراء هما بمعنى الدفع ذكره باطراف الاصابع وقيل الوكز الضرب في الصدر واللكز في الظهر وقال ابو عبيدة
الوكز الضرب باطراف الاصابع وقيل اللكز الضرب بجمع الكف في الصدر فقضى عليه فقتله واصله انهى حياته من قوله وقضينا اليه ذلك الامر هكذا قيل وقيل اي فقتله ففرغ منه
وكل شيء فرغت منه فقد قضيته وقضيت عليه فندم موسى عليه ولم يكن له قصد القتل فدفنه في الرمل وقرأ الخليل فقضي عليه بالبناء للمفعول قال هذا من عمل الشيطان لانه
لم يؤمر بقتل الكفار وعن ابن جريج ليس لنبي ان يقتل ما لم يؤمر ولانه كان مؤمنا فيهم فلم يكن له اغتيالهم ولا يقدح ذلك في عصمته لكونه خطأ وانما جعل قتل الكافر
من عمل الشيطان وسماه ظلما لنفسه واستغفر منه على عادة الانبياء في استعظام زلات محقرات فرطت منهم وهضم للنفس انه عدو مضل مبين بين العداوة والضلالة اومن
ابانهما اذ اخرج ادم من الجنة ونزع عنه لباس النور ولكمال تمحه في العداوة وتماديه في فعل ما يؤول ويفضي الى الضلالة وعن طرف الاهتداء ذكرها قال رب اني ظلمت نفسي بقتل
القبطي من غير امر فاغفر لي ذنوبي فغفر له لاستغفاره انه هو الغفور الستور على عباده فما داملكان من الذنوب اذا استغفروه الرحيم المنعم عليهم بالجنة والنجاة من العقاب
وهذا كلام عام يدخل تحته القاتل ومن عداه قال رب بما انعمت علي قسم جوابه محذوف كانه قيل اقسم بانعامك علي بالمغفرة وغيرها لاتوبن فلن اكون ظهيرا للمجرمين او استعطاف
اي رب اعصمني بحق انعامك علي بالمغفرة وغيرها فلن اكون ان عصمتني ظهيرا لمن ادت معاونته الى جرم وانه اراد بمظاهرة المجرمين صحبة فرعون وانتظامه في جملته وتكثيره
سواده حيث كان يركب بركوبه كالولد مع الوالد وكان يسمى ابن فرعون وقيل معناه بما انعمت علي من القوة اعني او بيانك فلن استعملها في مظاهرة اعدائك وقال ابن
عباس للمجرمين للكافرين وفيه دلالة بينة على ان الاسرائيلي الذي اعانه موسى كان كافرا كما قال تعالى وعنه لم يستثن فابتلي به مرة اخرى في اليوم الثاني يعني لم يقل
فلن اكون ان شاء الله وهذا نحو قوله ولا تركنوا الى الذين ظلموا وعن عطاء ان رجلا قال له ان اخي يضرب بقلمه ولا يعد ورزقه قال فمن الراس يعني من يكتب له قال خالد بن
عبد الله القسري قال فاين قول موسى وتلا هذه الآية وعن رسول الله صلعم اذا كان يوم القيمة نادى مناد اين الظلمة واعوان الظلمة واشباه الظلمة حتى من لاق
لهم دواة وبرى لهم قلما فيجمعون في تابوت من نار ثم يقذف بهم على رؤوس الخلائق الى نار جهنم فاصبح في المدينة خائفا فاصبح في المدينة التي قتل فيها القبطي خائفا
من قتله او قصاص يترقب ينتظر المكروه وهو الاستقادة منه او الاخبار وما يقال فيه وقال الكلبي ينتظر متى يؤخذ به فاذا الذي استنصره بالامس يستصرخه يستغيثه
من صرخ اذا صاح يستغيث صراخا وصياحا ومنه ليس بسلطان يصرخ بالتلبية ويهتف بها اي بصوت صوتا شديدا وقيل يستصرخه يستغيثه ويصيح به من بعد قال له
موسى انك لغوي مبين ظاهر الغواية انك كنت سبب قتل رجل وتقاتل آخر فالضمير والخطاب للاسرائيلي وهو ما عليه الجمهور وقيل هما للقبطي يعني قال موسى للقبطي
انك لغوي مبين بظلمك فلما ان اراد ان يبطش وقرأ ابو جعفر يبطش بضم الطاء والبطش الاخذ الشديد بعنف الغضب والتناول عند الصولة اي اراد ان ياخذ ويتناول
عند الغضب بالذي هو القبطي الذي هو عدو لهما لموسى والاسرائيلي لانه ليس على دينهما ولان القبط كانوا اعداء بني اسرائيل قال يا موسى اتريد ان تقتلني كما قتلت
نفسا بالامس قاله الاسرائيلي لانه لما سماه غويا ورأى من غضبه ظن انه يبطش به والقبطي وكانه توهم من قوله انه الذي قتل القبطي بالامس لاجل هذا الاسرائيلي
ان تريد ما تريد الا ان تكون جبارا في الارض بان تضرب الناس وتقتلهم بجبروظلم لا تنظر في العواقب ولا تدفع بالتي هي احسن وقيل الجبار المتعظم الذي لا يتواضع
لامر الله وما تريد ان تكون من المصلحين بين المتخاصمين فتدفع التخاصم والتنازع بالتي هي احسن ولما قال هذا افشى على موسى فانتشر الحديث في المدينة ورقي الى فرعون
وملائه فهموا بقتله وجاء رجل قيل رجل من شيعة موسى والجمهور على انه مؤمن من آل فرعون اسمه خربيل وقيل شمعون وقيل سمعان وتنكيره للافراد اي جاء
فرد من اشخاص الرجال من اقصى المدينة صفة له لا صلة لجاء لان تخصيصه يلحق بالمعارف ويجوز ان يكون صفة بعد صفة كقولك جاءني رجل من اهل المدينة عالم
نحرير وعن ابن عباس لما ارسل فرعون الرباحين لقتل موسى اخذوا الطريق الاعظم جاء رجل من شيعة موسى فاخذ طريقا قريبا حتى سبق الى موسى فاخبره
وانه رجل اخذ طريقا آخر قال يا موسى ان الملأ ان اشراف قوم فرعون يأتمرون بك يتشاورون بسببك وسمي التشاور ائتمارا لان كل واحد من المتشاورين
يأمر صاحبه بشيء او يشير عليه بامر ليقتلوك علة الائتمار وقال الزجاج يأمر بعضهم بعضا بقتلك فاخرج من المدينة اني لك من الناصحين لك بيانه وليس بصلة الناصحين
لان معمول الصلة لا يتقدم الموصول فخرج منها من المدينة خائفا يترقب ينتظر التعرض في الطريق او لحوق طالب قال رب نجني خلصني واعصمني من القوم الظالمين

اومن اقصاها يسعى صفة في ... صفة الرجل او حال منه اذا ... اقصى المدينة ...

من نوفهم ولحوقهم وشؤم لقائهم ولما توجه قصد توجهه وجهة تلقاء مدين نحوها وجهتها وقال الزجاج سلك الطريق التي يلقى مدين فيها ومدين قرية
شعيب عليه السلام سميت باسم مدين بن ابراهيم ولم يكن في سلطان فرعون وبينها وبين مصر سيرة ثمانية ايام وكان موسى لا يعرف اليها الطريق قال عسى ربي
ان يهديني سواء السبيل توكلا على الله وحسن الظن به وقال ابن عباس خرج وليس له علم بالطريق الا حسن ظنه بربه وسواء السبيل وسطه ومعظم نهجه
فعن له ثلث طرق فاخذ في اوسطها وجاء الطلاب عقيبه فاخذوا في الآخرين وقيل خرج حافيا لم يكن له طعام الا ورق الشجر والبقل حتى ترى خضرته في بطنه فما
وصل الى مدين حتى سقط خف قدميه وقيل جاءه ملك على فرس بيده عنزة فانطلق به الى مدين ولما ورد ماء مدين وصل اليه وجاءه وماء مدين ماء
بئر فيها كانوا يسقون منها مواشيهم وجد عليه وجد فوق شفيره ومستقاه امة من الناس جماعة كثيفة العدد من اناس مختلفين يسقون مواشيهم ووجد
من دونهم في مكان اسفل من مكانهم امرأتين تذودان يمنعان اغنامهما من الماء لان على الماء من هو اقوى منهما فلا تتمكنان من السقي او لانهما تكرهان المزاحمة
على الماء او لئلا تختلط اغنامهما باغنامهم او تذودان عن وجوههما نظر الناظر لسترهما قال ما خطبكما ما شأنكما وحقيقته ما مخطوبكما اي مطلوبكما من الذياد فسمي
المخطوب خطبا كما سمي المشؤون شأنا في قولك ما شأنك يقال شأنت شأنه اي قصدت قصده قالتا لا نسقي اغنامنا وعن طلحة بن مصرف لا نسقي بضم النون حتى يصدر
الرعاء قرأ الكوفيون ونافع وابن كثير ويعقوب يصدر بضم الياء وكسر الدال على انه متعد بالهمزة الى المفعول وهو محذوف تقديره يصدر الرعاء مواشيهم عن الماء
اي يصرفوها عنه وحذف المفعول لقصد الاختصار ولان الغرض بيان ما يدل على عفتهما ويدعوه الى السقي لهما ثم دونه والباقون يصدر بفتح الياء وضم الدال وهو لازم
من صدر الرعاء اذا رجعوا من سقي المواشي وانصرفوا واشم الصاد صوت الزاء حمزة والكسائي وخلف وقرأ محمد بن يعمر يصدر بفتح الياء وكسر الدال والرعاء جمع
جمع راع نحو تجار جمع تاجر وقرأ الرعاء بضم الراء وهو اسم جمع كرخال وانا س وابونا شيخ كبير كبير السن لا يقدر ان يخرج للسقي فيرسلنا اضطرارا واختلفوا
في اسم ابيهما فقال الجمهور هو شعيب النبي عليه السلام وقال وهب وسعيد بن جبير هو يثرون بن اخي شعيب فقد مات قبل ذلك بعد ما كف بصره فدفن بين
المقام وزمزم وقيل رجل ممن آمن بشعيب قالوا فلما سمع موسى قولهما رحمهما فاقتلع صخرة من رأس بئر اخرى كانت بقربهما لا يطيق رفعها الا
جماعة من الناس فسقى مواشيهما وحذف المفعول في هذه الآية في خمسة مواضع للاختصار تقديره يسقون مواشيهم وتذودان غنمهما او لان الغرض هو
الفعل لا المفعول الا ترى انه انما رحمهما لانهما كانتا على الذياد وهم على السقي ولم يرحمهما لان مذودهما غنمهما ومسقيهم ابل مثلا وكذلك قولهما
نسقي المقصود منه السقي لا المسقي لهما لاجلهما ورحمة عليهما وروي ان الرعاة لما رجعوا باغنامهم غطوا رأس البئر بحجر لا يرفعه الا سبعة رجال وقيل
اربعون وقيل ماءه فجاء موسى فرفع الحجر وحده وسقى غنمهما وروي انه سألهم دلوا من ماء فاعطوه دلوهم وقالوا استق بها وكانت لا ينزعها الا
اربعون فاستقى بها وصبها بالحوض ودعا بالبركة وأروى غنمهما واصدرهما وقال ابن اسحق انه زاحمهم ودفعهم عن الماء ونحاهم عن رأس
البئر وسقى لهما والظاهر انه فعل هذا رحمة على الضعيف واغاثة للملهوف ورغبة في المعروف والمعنى انه وصل الى ذلك الماء وقد ازدحمت
عليه جماعة كثيرة ورأى الضعيفين من ورائهم مترقبين لفراغهم فما اخطأت همته في دين الله تلك الفرصة مع ما كان به من الوصب والجوع والجراحة
القدم ولكنه رحمهما واغاثهما وكفاهما امر السقي اي مثل تلك السقي في مثل تلك الزحمة بقوة قلبه وقوة ساعده وما اتاه الله من الفضل في متانة
الفطرة ورصانة الجبلة وفيه مع ارادة اختصاص امره وما اوتي من البطش والقوة وما لم يغفل عنه على ما كان به من انتهاز فرصة الاحتساب
ترغيب في الخير وانتهاز فرصة وبعث على الاقتداء في ذلك بالصالحين والاخذ بسيرهم ومذاهبهم ثم تولى الى الظل في الظل سمرة فجلس في ظلها
من شدة الحر وهو جائع فقال رب اني لما انزلت الي من خير فقير اللام متعلق بفقير لتضمينه معنا سائل وطالب اي اني فقير الى شيء انزلت الي من
خير قليل او كثير غث او سمين يعني اني سائل لذلك وقال الاكثرون من خير اي من طعام كان يطلب الطعام لجوعه وعن ابن عباس سأل الله فلقة
خبز يقيم بها صلبه وعن ابن جبير عنه وقد قال موسى هذا القول وهو اكرم خلقه عليه ولقد افتقر الى شق تمرة وعن مجاهد ما سأله الا الخبز فيجوز ان يكون
معناه اني فقير من الدنيا لاجل ما انزلت الي من خير الدين وهو النجاة من الظالمين لانه في سعة وملك وثروة عند فرعون وقال ذلك رضا بالبدل
السني فرحا به وشكرا له وقيل اللام بمعنى الى يعني فقير الى ... وفقير اليه والاول هو الوجه فجاءته احداهما تمشي على استحياء الجار والمجرور في موقع
الحال اي مستحيية متخفرة وقال عمر ليست بسلفع من النساء خراجة ولاجة ولكن جاءت مستترة وضعت كم درعها على وجهها استحياء والصحيح
انها كانت الصغرى وهي التي تزوجها موسى بشهادة الحديث الآتي قالت ان ابي يدعوك عن عطاء بن السائب رفع صوته بدعائه ليسمعها فلذلك

فبل له يجزيك ليجازيك اجر ما سقيت لنا جزاء سقيك لنا روي انهما لما رجعتا الى ابيهما قبل الناس واغنامهما حفّل بطان قال لهما ما اعجلكما قالتا وجدنا رجلا صالحا
رحمنا فسقى لنا فقال لاحديهما اذهبي فادعيه لي فجاءته قالت هذا القول قال ابو حازم لما سمع ذلك موسى اراد ان لا يذهب ولكن كان جايعا فلم يجد بدا من الذهاب فمشت المرأة
وتبعها موسى فالزقت الريح ثوبها بجسدها فوصفت ردفها فكره موسى ان يرى ذلك منها فقال لها امشي خلفي ودليني على الطريق فلما دخل على شعيب قال اجلس يا شاب
فتعش قال موسى اعوذ بالله قال شعيب ولم ذاك الست جايعا قال بلى ولكن اخاف ان يكون هذا عوضا لما سقيت لهما وانا من اهل بيت لا نطلب على عمل من اعمال
الآخرة عوضا من الدنيا وقيل لعل موسى انما اجابها ليتبرك برؤية الشيخ ويستظهر بمعرفته لا طمعا في الاجر بل روي انه لما جاءه قدم اليه طعاما فامتنع عنه وقال انا اهل بيت
لا نبيع ديننا بطلاع الارض ذهبا ولا ناخذ على المعروف ثمنا حتى قال شعيب هذه عادتي وعادة آبائي نقري كل ضيف ينزل بنا ونطعم الطعام مع ان من فعل معروفا
واهدي بشيء لم يحرم اخذها فجلس فاكل فلما جاءه وقص عليه القصص اي قصته قرا الزهري عليه القصص بفتح الهاء كقوله عليه الله والقصص مصدر كالعلل سمي به المقصوص
فيكون من تسمية المفعول بالمصدر كالخلق والصيد او فعل بمعنى مفعول كالنقض والسلب والحسب ونحوه النبا والخبر في معنى المنبا به والمخبر والخبر به قتل القبطي وقصد فرعون قتله
ونحو ذلك واستقامته من غضب انزه اذا اتبعه قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين يعني من فرعون وقومه المتمادين في الكفر والمعاصي انما قال هذا لان فرعون لم يكن له سلطان
بارض مدين قالت احديهما هي التي ذهبت بموسى وتزوجها وقيل الخليل قالت احديهما بوصل الهمزة يا ابت استاجره اتخذه اجيرا يرعى اغنامنا وهكذا كان الانبياء كلهم
ما منهم من احد الا وقد رعى الغنم قال ابو هريرة قال النبي صلعم ما بعث الله نبيا الا رعى الغنم فقالوا وانت قال نعم كنت ارعاها على قراريط لاهل مكة واصل يا ابت يا ابي فعوض
تاء التانيث من ياء الاضافة لتناسبهما في ان كل واحدة منهما زيادة مضمومة الى الاسم في آخره وفتحها ابن عامر لانه كان يا ابتا فحذف الالف تخفيفا وبقي الفتحة ويجوز ان يقال
تركها بحركة الياء المعوض منها في قولك يا ابي ان خير من استاجرت القوي الامين اي خير من استعملت للرعي اجير قوي على العمل وادي الامانة وهو كلام حكيم جامع
وقع تعليلا يجعله منزلة الدليل على انه حقيق بالاستيجار وللمبالغة فيه جعل خير من استاجرت اسما لان والقوي الامين خبرا له كقوله ان خير الناس حيا وهالكا
اسير ثقيف عندهم في السلاسل في ان العناية هي سبب التقديم وقد صدقت حتى جعل لها ما هو احق بان يكون خبرا اسما وذكر الفعل بلفظ الماضي للدلالة على انه قوي امين
قد جرب قوته وامانته وعرف ومنه قولهم اهون ما اعلمت لسانا بحج ومن ابن مسعود افرس الناس ثلثة بنت شعيب وصاحب يوسف في قوله عسى ان ينفعنا وابو بكر في عمر روي
عن ابن عباس ان شعيبا احفظته الغيرة فقال وما علمك بقوته وامانته فذكرت اقلال الحجر ونزع الدلو وانه صوب راسه حتى بلغته رسالته وامرها بالمشي خلفه وعند ذلك
قال اني اريد ان انكحك ازوجك احدى ابنتي هاتين قرا ابن كثير هاتين بتشديد النون على ان تاجرني ان تكون لي اجيرا او تواجر نفسك مني او تثيبني من اجرته كما اذا اتبعته اياه ومنه
تعزية النبي صلعم اجركم الله ورحمكم وعن عيينة وعتبة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان موسى آجر نفسه بشبع بطنه وعفة فرجه فجعل له صاحبه كل بهيمة جاءت على غير لون امها
فاوردها الماء وللحوض فوقف بفتاه مخالفا فجاءت كل بهيمة منها على غير لون امها ليس فيها فشوش ولا مكوس ولا قشوب ولا ثعول ولا عجوز وقوله ثماني حجج ظرف
على الاولين ومفعول به على الثالث بتقدير مضاف اي رعية ثماني حجج وقال الفراء اي يجعل ثوابي من تزويجها ترعى غنمي ثماني سنين جمع حجة بمعنى السنة وفي قوله هاتين
دليل على انه كانت له غيرهما واختلفوا في اسمها فقيل للكبرى صفوراء واسم الصغرى صفيراء قال ابن اسحق اسمها صفورة وشرقا وقيل صفوره وليا وذهب
الاكثرون الى ان المنكح الصغرى منهما وقيل تزوج الكبرى وعن ابي عمرو برواية الحلواني انكحك احدى بوصل الهمزة وعن عيسى بن عمر هاتين بامالة الهاء فان اتممت عشرا
عملا فمن عندك فاتمامه من عندك تفضلا وتبرعا لا من عندي الزاما عليك وهذا استدعاء العقد لا نفسه ولذلك قال اريد ان انكحك ولم يقل قد انكحتك وصح
النكاح عند ابي حنيفة واصحابه بلا ذكر مهر مع نفيه ونحوه الزوج الحر لها سنة هذا هو المسطور في كتبهم وقال الزمخشري منع ابو حنيفة ان يتزوج امراة بان يخدمها
سنة وجوز ان يتزوجها بان يرعى سنة او يسكنها داره لعدم تسليم المال في الاول ووجوده في الثاني واما الشافعي فقد جوز التزوج على الاجارة لبعض
الاعمال والخدمة اذا كان المستاجر او المخدوم فيه امرا معلوما ولعل ذلك كان جايزا في شريعة شعيب ويجوز ان يكون مهرها شيئا آخر وانما اراد ان يكون راعي
غنمه هذه المدة واراد ان ينكحها ابنته فذكر له المرادين وعلق الانكاح بالرعية على معنى افعل هذا اذا فعلت ذاك على وجه المعاهدة دون المعاقدة ويجوز ان يستاجره
لرعيه ثماني سنين بمبلغ معلوم ويوفيه اياه ثم ينكحه ابنته به ويجعل قوله على ان تاجرني ثماني حجج عبارة عما جرى بينهما وما اريد ان اشق عليك بالزام العشرة او
المناقشة في مراعاة الاوقات واستيفاء الاعمال كما هو بفعل المعاسرون المستوعون بالرعاة المكلفين لهم اشغالا خارجة من حد الشرط ستجدني
ان شاء الله من الصالحين من الذين جل همتهم الصلاح في كل شيء او من الذين لهم حسن المعاملة والصحبة والوفاء بالشرط ولين الجانب وهكذا كان الانبياء
عليهم السلام اخذين بالاسمح في معاملات الناس ومعاهداتهم ومن حديث السايب كان عليه السلام شريكي وكان خير شريك لا يشاري ولا يماري ولا يداري بالواو

تجعل

باشتراط

باشتراط مشيئة الله فيما وعد من الصلاح الاتكال على توفيقه فيه ومعونته لا انه يستعمل الصلاح ان شاء الله وان شاء استعمل خلافه والمشتق من الشق فان ما تقا
ظلك وصعب عليك يشق عليك ظنك في اطاعته قال ذلك بيني وبينك مبتدا وخبر وذلك اشارة الى ما عاهده عليه شعيب اي ذلك الذي قلته وعاهدتني فيه وشارطتني
عليه قايم بيننا لا نخرج عنه ثم قال ايما الاجلين ما مزيدة مؤكدة لابهام اي زايدة في شياعها وهو مع ما اضيف اليه في موضع النصب على المفعول به يعني اي اجل من الا
جلين اطولهما او اقصرهما قضيت وفيتك فلا عدوان علي فلا يعتدي علي بطلب الزيادة على احد الاجلين يعني كما لا اطالب بالزيادة على العشرة لا عدوان وظلم كذلك
لا اطالب بالزيادة على الثمان اراد بذلك تقرير امر الخيار وانه محقق ثابت وان الاجلين مستويان لا تفاوت بينهما والقضاء والتوفية او فلا اكون متعديا بترك الزيادة
عليه كقولك لا اثم عليه ولا تبعة علي وهو ابلغ في اثبات الخيرة وتساوي الاجلين في القضاء من ان يقال ان قضيت الاقصر فلا عدوان علي وقرئ ايما بسكون الياء كقوله تنظرت نصرا اسم رجل
والسماكين ايهما على من الغيث استهلت مواطره وقرا عبد الله اي الاجلين ما قضيت فيكون ما مزيدة لتاكيد الفصل اي الاجلين فتمت على قضائه وجرت عن كلامكم
وقرا ابن قطيب عدوان بكسر العين والله على ما نقول من المعاهدة والمشارطة وكيل رقيب مطلع وقال ابن عباس شهيد وقيل حفيظ فلما قضى موسى الاجل
المدة الموقتة المحدودة وهي اقصى الاجلين ومكث بعد ذلك عنده عشرا آخر ثم عزم على الرجوع وسئل رسول الله صلعم اي الاجلين قضى موسى فقال ابعدهما
وابطاهما وروي انه قال قضى اوفاهما وتزوج صغراهما وعن ابي ذر مرفوعا اذا سئلت اي الاجلين قضى موسى فقل خيرهما وابرهما واذا سئلت اي المرأتين تزوج
فقل الصغرى منهما وهي التي جاءت فقالت يا ابت استاجره فتزوج صغراهما وقضى اوفاهما وقال وهب انكحه الكبرى وقرا سعيد موسى الاجل بتشديد اللام
وسار باهله بامرأته آنس ابصر من جانب الطور نارا من الجهة التي تلي الطور وكان في البرية في ليلة مظلمة شديدة البرد واخذ امرأته الطلق قال لاهله امكثوا اقيموا مكانكم اني آنست
نارا ابصرتها لعلي آتيكم منها بخبر عن الطريق لانه قد اخطاه وقرا حمزة لاهله امكثوا بضم الهاء اتباعا للكاف وقرا الكوفيون ويعقوب لعلي بسكون الياء او جذوة اي عود
غليظ سواء كانت فيه نار او لم تكن قال كثير باتت خواطب ليلى يلتمسن لها جزل جذى غير خوار ولا دعر وقال والقى على قيس من النار جذوة شديدا عليه حرها والتهابها ولذلك
بينه بقوله من النار وقرا عاصم جذوة بفتح الجيم وحمزة وخلف بضمها والباقون بكسرها وكلها لغات وقال قتادة ومقاتل هي العود الذي قد احترق بعضه بوجهها جذى
لعلكم تصطلون ارادة ان تستدفئوا بها فلما اتاها نودي من شاطئ الوادي الايمن من لابتداء الغاية اي اتاه النداء من جانب الوادي الذي عن يمين موسى في البقعة
المباركة متصل بالشاطئ او صلة لنودي وجعلها مباركة لان الله كلم موسى هناك بغير واسطة وبعثه نبيا ورسولا وقال عطا يريد المقدسة من الشجرة بدل من شاطئ بدل
الاشتمال لان الشجرة كانت نابتة على الشاطئ كقوله لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم وقال ابن مسعود كانت الشجرة سمرة خضراء تبرق وقيل كانت عوسجة وعن ابن عباس انها
العناب وعن وهب كانت من العليق وقرا البقعة بالضم والفتح ان يا موسى اي يا موسى اني انا الله رب العالمين تكرير الضمير للتوكيد والتحقيق وان المنادي المتكلم به هو
الله لا غيره وهذا مطابق لما في طه والنمل معنى وموافق ... وان الق عصاك يعني التي اعطاكها شعيب وقال عكرمة خرج بها آدم من الجنة فاخذها
جبرائيل بعد موته وكانت معه حتى لقي بها موسى ليلا فدفعها اليه وقال آخرون كانت من آس الجنة وحملها آدم من الجنة وكان لا ياخذها غير نبي الا اكلته فلم تزل الانبياء
يتوارثونها حتى وصلت الى شعيب وكانت عنده عصي الانبياء فقال لموسى بالليل ادخل ذلك البيت فخذ عصا من تلك العصي فاخذ عصا هبط بها آدم فتمسكها وكان مكفوفا
فضن بها فقال غيرها فما وقع في يده الا هي سبع مرات فعلم ان له شانا فقال السدي اودعها شعيبا ملك في صورة رجل فامر ابنته ان تاتيه بعصا فاتته بها فلما
رآها شعيب قال لها ردي هذه العصا واتيه بغيرها فردتها ثلث مرات او سبع مرات فلم يقع في يدها غيرها فدفعها اليه ثم ندم لانها كانت وديعة فذهب في
اثره وطلب ان يرد العصا فابى موسى ان يعطيه قال هي عصاي فاختصما فيها ورضيا ان يحكم بينهما اول رجل يلقاهما فلقيهما ملك في صورة رجل فقال القيا
ها فمن رفعها فهي له فعالجها الشيخ فلم يطقها ورفعها موسى وعن الحسن ما كانت الا عصا من الشجر اعترضها اعتراضا وعن الكلبي كانت عصاه من الشجرة التي منها نودي
وهي شجرة العوسج فلما رآها تهتز اي فالقاها فصارت حية تسعى تتحرك باضطراب فلما رآها تهتز كانها جان حية خفيفة في السرعة والحركة باضطراب او في الهيئة
والجثة ولى مدبرا انهزاما من الخوف ولم يعقب ولم يرجع من عقب المقاتل اذا كر بعد الفرار وقيل حقيقة التعقيب اتباع العلاء عدوا وقوله تعالى ولى مدبرا ولم يعقب
اي لم يتبع ادباره اقبالا والتفاتا يا موسى اي فنودي يا موسى اقبل الاقبال نقيض الادبار وضده كالاستقبال والاستدبار وقرا يحيى بن الحرث الذماري يا موسى
اقبل بهمزة الوصل ولا تخف انك من الآمنين من المخاوف لانك مرسل ولا تخاف لدي المرسلون اسلك يدك في جيبك ادخلها فيه لانه كان مدرعة صوف
لا كم لها تخرج بيضاء من غير سوء عيب كبرص لخروج ولها شعاع كضوء الشمس واضمم اليك جناحك يديك المبسوطتين تتقي بهما الحية كالخايف الفزع بادخال اليمنى تحت
عضد اليسرى وبالعكس او بادخالهما في الجيب فيكون تكرير القرآن آخر وهو انه يكون ذلك في وجه العدو واظهار جراة ومبدا لظهور معجزة ويجوز ان يراد بضم جناحيه اليه التجلد

وضبط وغم ونشوده عند انقلاب العصا حية حتى لا يضطرب والرهب استعارة من فعل الطاير لانه اذا خاف نشر جناحيه وارخاهما اذا امن واطمان ضمهما اليه
وشمرها ومنه قول عمر بن عبد العزيز لكاتبه حين قام وضرب بقلم الارض خذ قلمك واضمم اليك جناحك وليفرخ روعك وعن ابن عباس امره الله ان يضم يده الى صدره
فيذهب عنه ما ناله من الخوف عند معاينة الحية ثم قال ما من خائف بعد موسى الا اذا وضع يده على صدره زال خوفه وقال مجاهد كل من فزع فضم يده الى صدره ذهب عنه
الفزع وقال الفراء الجناح العصا يعني واضمم اليك عصاك من الرهب اي من اجل الرهب وهو الخوف اي اذا اعتراك الرهب عند رؤية الحية فافعل ذلك تجلدا
وضبطا للنفس وقرا حفص والباقون بضمها وتلتة بمعنى الخوف وكذلك قراءة قتادة والجحدري الرهب بفتحهما وقال الزمخشري جعل الرهب الذي كان يصيبه سببا
وعلة فيما امر به من ضم جناحه اليه ومعنى واضمم اليك جناحك وقوله اسلك يدك في جيبك على احد التفسيرين واحد ولكن خولف بين العبارتين وانما كرر المعنى الواحد لاختلاف الغرضين
وذلك ان الغرض في احدهما خروج اليد بيضاء وفي الثاني اخفاء الرهب ثم قال الجناح المضموم هو اليد والمراد بالجناح المضموم في قوله واضمم اليك جناحك اليد اليسرى وكل واحدة
من يمنى اليدين ويسراهما جناح ومن بدع التفاسير الرهب الكم بلغة حمير وانهم يقولون اعطني مما في رهبك لانه ليس بصحيح في فصيح اللغات ولا بمسموع من الثقات والمبني على
المناسبات على ان موسى عليه السلام ما كان عليه ليلة المناجاة الا زرمانقة من صوف لا كمي لها فذانك اشارة الى العصا واليد البيضاء وشدد نونه ابن كثير وابو عمرو ورويس
وخففها الباقون والمشددة مثنى ذلك والمخفف مثنى ذاك وروى ابو عمرو واسمعيل عن ابن كثير فذانيك بالياء بعد النون برهانان من ربك حجتان نيرتان ارسلتا معك
من ربك الى فرعون وملائه انهم كانوا قوما فاسقين متوغلين في الفسق الذي هو التوغل في الكفر والانسلاخ عن كل خير وقيل من ربك مرسلا الى فرعون وملائه انهم كانوا قوما
فاسقين فكانوا احقاء بان يرسل اليهم وانما سميت الحجة برهانا لبياضها وانارتها وبرهانان فعلان لقولهم ابره الرجل اذا جاء بالبرهان من قبلهم بره الرجل اذا ابيض ويقال برهاء
وبرهوة للبراءة البيضاء ونظيره تسميتهم اياها سلطانا من السليط وهو الزيت لانارتها وقيل فعلال والنون على هذا اصلية وعلى الاول زايدة قال رب اني قتلت منهم
نفسا فاخاف ان يقتلون بها قصاصا وقرا يعقوب يقتلوني بالياء الساكنة بعد النون وصلا واخي هرون هو افصح مني لسانا انما قال ذلك للعقدة التي كانت في لسانه من الجمرة
فارسله معي ردءا معينا والردء في الاصل اسم ما يعان به كالدفء اسم لما يدفأ به قال سلامة بن جندل وردئ كل ابيض مشرفي شحيذ الحد عضب ذي فلول
وقرا نافع ردا بفتح الدال من غير همز وما التخفيف والباقون بسكون الدال مهموزا يصدقني بتلخيص الحق بلسانه وتقرير الحجة وتزييف الشبهة وبسط القول في ذلك ومجادلة الكفار
كما يفعل الرجل المنطيق ذو العارضة فان ذلك كالتصديق المفيد للتصديق باللسان وليكون اقوى من ان يقول له صدقت او للناس صدق موسى او جار مجرى التصديق المفيد كما
يصدق القول بالبرهان لانه يحتاج الى فضل فصاحة لذلك لا لقول صدقت لاستواء الفصيح والافصح فيه بل هو ومن ليس له فصاحة سواء اني اخاف ان يكذبون
ولساني لا يطاوعني عند المحاجة والمجادلة واستدل به على ان المراد تصديق القوم لتقريره وتوضيحه او تصديق فرعون وان يصدقني الذي يخاف تكذيبه وهو قوله
مثانيا لكنه اسند الى هرون اسناد الفعل الى السبب لانه السبب في التصديق وقرا عاصم وحمزة يصدقني بالرفع على انه صفة ردءا والجواب محذوف والباقون بالجزم
على انه جواب للامر ومثله كقراني يرثني ويرث بالرفع والجزم في سورة مريم وقرا زيد بن علي يصدقني بالواو يعني القوم وقرا ورش يكذبوني باثبات الياء وصلا وعوضا
في الحالين قال سنشد عضدك باخيك سنقويك به ونعينك لان العضد قوام اليد وهي تشتد بشدتها والجملة تقوى بشدة اليد على مزاولة الامور ولان الرجل شبه باليد
فاشتدادها باشتداد العضد فجعل كانه يد مشتدة بعضد شديد وقرا الحسن وزيد بن علي عضدك بضم العين والضاد وقال هي هذلية وقال ابو عمرو هي لغة
بعض الحجازيين وقرا عيسى بن عمر عضدك بفتحهما والباقي بفتح وسكون الضاد ونجعل لكما سلطانا غلبة وتسلطا او حجة واضحة فلا يصلون اليكما باستيلاء او حجاج
باياتنا متعلق بمحذوف اي اذهبا باياتنا او بنجعل اي نسلطكما باياتنا او بلا يصلون اي تمتنعون منهم باياتنا او قسم جوابه لا يصلون مقدما عليه او من لغو
القسم او بيان للغالبون في قوله انتما ومن اتبعكما الغالبون بمعنى انه صلة لما بينهم او صلة له على ان اللام فيه للتعريف لا بمعنى الذي لامتناع تقديم الصلة على الموصول
فلما جاءهم موسى باياتنا بينات واضحات قالوا ما هذا الا سحر مفترى سحر تختلقه انت لم يفعل قبل مثله او سحر تعلمه انت ثم تفتريه على الله او سحر ظاهر افتراؤه او
موصوف بالافتراء كسائر انواع السحر وليس معجزة من عند الله وما سمعنا بهذا بالسحر او ادعاء النبوة او الذي يدعونا اليه في اباينا الاولين حال من هذا اي كاينا
في زمانهم وايامهم يعنون وما حدثنا بكونه فيهم وقد كذبوا لانهم قد سمعوا او علموا نحوه او يعنون انهم لم يسمعوا مثله في فظاعته او ما كان الكهنة يخبرون بظهور موسى
ومجيئه بما جاء وهذا دليل على انهم حجوا وبهتوا وما بقي لهم الا التوقع الاول لهم هذا سحر وبدعة لم يسمعوا بمثله وقال موسى ربي اعلم بمن جاء بالهدى من عنده
يعني هو يعلم اني نبي اعلم منكم بحال من جعله نبيا وارسله بالهدى ولو كان كما تزعمون كان ساحرا ما فعل به ذلك لانه حكيم غني لا يليق ذلك بحكمته وغناه او ربي
اعلم بالمحق من المبطل فيعلم اني محق وانتم مبطلون وقرا ابن كثير قال بغير واو على انه جواب لمقالتهم والباقون بالواو عطفا على ما قبله من الجملة ووجه ان المراد حكاية

القولين ليوازن الناظر بين قولهم وقوله فيتوضح احدهما من فساد الاخر وقرا الكوفيون وابن عامر ويعقوب ربي بسكون الياء والباقون بفتحها ومن يكون له عاقبة الدار
العاقبة المحمودة لان المراد بالدار الدنيا وعاقبتها الاصلية هي الجنة لانها خلقت مجازا الى الاخرة والمقصود منها بالذات هو الثواب بخلاف العقاب فانه مقصود
بالعرض بالذات ولانه ضرب من الصرف الله لا يريد بعباده العسر وقرا حمزة والكسائي وخلف يكون بالياء لان التانيث العاقبة غير حقيقي ولوجود الفصل انه لا
يفلح الظالمون لا يفوزون بالهدى في الدنيا وحسن العاقبة في العقبى والام في الظالمون في الظلم وانهمكوا في الكفر والمعاصي فيدخل هؤلاء تحته دخولا اوليا وقال فرعون
يا ايها الملا ما علمت لكم من اله غيري اراد بنفي علمه باله غيره نفي وجوده يعني ما لكم من اله غيري كقوله اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض اي بما ليس
فيهن وهذا من خواص العلوم الفعلية فانها لازمة لتحقق معلوماتها فيلزم من انتفائها انتفاؤها ولا كذلك العلوم الانفعالية او نفي علمه به لا نفي وجوده لانه لم
يكن عنده علم بعدم اله غيره لكنه كان يظنه ولذلك امر ببناء الصرح ليصعد عليه ويطلع الى حاله فاوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلي اطلع الى اله
موسى كانه حسب انه في مكان كما هو في مكان وانه لو كان لكان جسما في السماء يمكن التطلع والترقي اليه وقال واني لاظنه من الكاذبين في زعمه ان للارض والخلق الها
غيري وانه رسول واذا ظن موسى كاذبا في اثبات اله غيره ولم يعلم كاذبا فقد ظن ان في الوجود الها غيره ولعله اراد ان يبني له رصدا يترصد منها اوضاع الكواكب
فيرى هل فيها ما يدل على بعثة رسول وتبدل دولة ومعنى فاوقد لي على الطين ما لجئ الى الاجر روي انه اول من اتخذ الاجر وبنى به ولذلك امر باتخاذه على وجه يتضمن تعلم
الصنعة مع ما فيه من تعظم وتجبر ولذلك نادى هامان باسمه بيا في وسط الكلام وعن عمر رضي الله عنه لما سافر الى الشام ورأى القصور المشيدة بالاجر قال ما علمت
ان احدا بنى بالاجر غير فرعون وقوله صرحا عاليا او منارة روي المروي ان فرعون لما امر وزيره هامان ببناء الصرح جمع هامان العمال فاجتمع خمسون الف بناء سوى الا
تباع والاجراء وامر بطبخ الاجر والجص وبنجر الخشب وضرب المسامير فشيدوه حتى بلغ ما لم يبلغه بنيان احد من الخلق فكان الباني لا يقدر ان يقوم على راسه يبني
فلما فرغوا منه ارتقى فرعون فوقه فرمى بنشابة نحو السماء فاراد الله ان يفتنهم فيه فردت اليه وهي ملطوخة بالدم فقال قد قتلت اله موسى وكان فرعون يصعده على البراذين
فبعث الله تعالى جبريل عليه السلام عند غروب الشمس فضربه بجناحه فقطعه ثلاث قطع قطعة وقعت على عسكر فرعون فقتلت الف الف رجل ووقعت قطعة في البحر وقطعة في المغرب
ولم يبق احد ممن عمل فيه شيئا الا هلك ولعله صح رجوع النشابة اليه ملطوخة بالدم فتهكم به بالفعل كما تهكم بالقول بنظرائه من الكفرة في مواضع من كتاب الله وقرا الكوفيون
ويعقوب لعلي بسكون الياء والباقون بفتحها والاطلاع والتطلع بمعنى الصعود وقرا مسلم بن مسلم يا هامان على الطوب الاجر بلغة الشام واستكبر هو وجنوده في الارض
بغير الحق اي وتعظموا فيها على اهلها بما لا يستحقون به التعظم وهو العتو والظلم واستولوا عليهم بغير استحقاق للولاية والاستكبار بالحق انما هو لله تعالى وهو المتكبر
على الحقيقة اي المبالغ في كبرياء الشان قال النبي صلعم قال الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني واحدا منهما القيته في النار فكل متكبر سواه متكبر
بغير استحقاق وظنوا انهم الينا لا يرجعون والظن ههنا بمعنى الحسبان واليقين وليس ببدع من مثل هؤلاء الاغبياء الحمقاء فانه من اعتقد فضل الحجر الذي لا يعرف بربه
موربة نحو السماء كيف يحسب انه يرجع اليه ولا ترى بينة انبت شهادة على افراط جهل فرعون وغواته وجهل قومه وعباد تهم من هذا وقرا نافع وحمزة والكسائي وخلف
ويعقوب لا يرجعون بفتح الياء وكسر الجيم والباقون بضم وفتح الجيم فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فطرحناهم في البحر طرح الحصى فيه وهو من الكلام الجزل الذي دل به
على بليغ قدرته وبطشه وعظم شانه وسلطانه شبههم استحقارا لهم واستقلالا لعددهم وان كانوا الكثير والجم الغفير بحصيات اخذهن اخذ في كفه وطرحهن في البحر
ونحوه وقوله والقينا فيها رواسي شامخات وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات
بيمينه وما هي الا تصويرات وتمثيلات لاقتداره وانه كل مقدور وان عظم وجل وهو مستصغر الجنب قدرته فانظر كيف كان عاقبة الظالمين كان تامة وكيف حال
منصوبة لا بقول فانظر لان معنى الاستفهام فيه يمنع ان يتقدم عليه عامله والمعنى ما فعلنا بفرعون وقومه بشوم ظلمهم وكفرهم وعصيانهم واقام الظاهر مقام المضمر تسجيلا عليهم
بالظلم ودلالة على ان ما نزل بهم من العذاب انما نزل بسبب ظلمهم وشهادة عليهم بانهم هم المتوغلون في الكفر المتمادون في الظلم الذين قال فيهم الا لعنة الله على
الظالمين الا ان الظالمين في عذاب مقيم ويجوز ان يكون الخطاب فيه لكل من يتاتى منه النظر في ذلك فان رسول الله سيد الناس وامامهم ومقدمهم في الدنيا والاخرة القوم لا
وتقدمهم يخاطب بشيء فيقوم خطابه مقام خطابهم جميعا فكان قيل فانظروا ما فعلت بالظالمين حتى لا يبقى لكم شبهة في اني اقدر على الانتقام من كل ظالم واحذروا انهم فلا
تركنوا الى الذين يظلمون ولا تهموا مواخاتهم ولا تتقربوا الى الكفرة العادين بالله وراياته ومعاونتهم الظلمة ومصاحبتهم ومجالستهم وما يرتقا اليهم عن ابن مسعود قال النبي صلى الله
عليه وسلم ان الله لعن علماء بني اسرائيل اذا خالطوا الظالمين في معايشهم فاياكم اياكم ومصاحبة احد من الظلمة وان كان اخاكم وجعلناهم ائمة قدوة للضلال بالحمل على الاضلال
او بالتسمية كقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا او بمنع الالطاف الرادفة للتصميم على اضلاف الاضلال يدعون الى النار موجباتها من الكفر والمعاصي

ويوم القيمة لا ينصرون كما ينصر الايمة المهتدون او لا يدفعون من العذاب واستدل به على عدم الاخيار بكثرة قيل وخذلناهم في الدنيا وهم يوم القيمة يخذلون ومعنى
الخذلان منع الالطاف وهو يرجح التشبيه فيذكر الرادف ويراد المردوف على ما هو معنى الكناية فكانه قال حتم على الكوحين كما نواية فيدعون الى سوء عاقبتهم واتبعناهم
في هذه الدنيا لعنة اي طردا وابعادا من الرحمة ولعن اللاعنين تلعنهم الملائكة والمؤمنون وقيل خزيا وعذابا والاتباع الارداف اي جعل الذي تابعا ورد
ديفا للشيء آخر وفي اثره والمعنى اردفناهم فيها لعنة تلحقهم وتتصل بهم ولا تنفك منهم عدم انفكاك الرديف اللازم من المردوف الملزوم ويوم القيمة هم من
المقبوحين من المرودين المبعدين او ممن قبح وجوههم بسواد ها كقوله ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة وقال ابو عبيدة من المهلكين
ولقد اتينا موسى الكتاب اي التورية من بعد ما اهلكنا القرون الاولى يعني قوم نوح وعاد وثمود وابراهيم ولوط ونحوهم بصاير للناس اي انوار القلوب تبصر بها الحقا
يق وتميز بين الحق والباطل والحلال والحرام والقبيح والفاسد جمع بصيرة وهي نور القلب الذي يستبصر به ويتامل كما ان البصر نور العين الذي يبصر به المبصرات
والمرئيات وانتصابها على الحال من الكتاب وهدى لهم الى الحق والى طريق مستقيم لانهم كانوا يخبطون في ظلمات الباطل واودية الضلال او هدى من الضلال لمن
عمل به واتبعه وقرا بوصوة ورحمة بالرفع على وهي رحمة لعلهم يتذكرون ليكونوا على حال يرجى منهم التذكر والاتعاظ بما فيه من المواعظ والبصاير وقيل الارادة ان يتذكروا
واشبهت الارادة بالترجي فاستعير لها ويجوز ان يريد به رجاء موسى تذكرهم كقوله لعله يتذكر وما كنت يا محمد بجانب الغربي بمكان الغربي وقال ابن عباس يريد
حين ناجى موسى ربه اذ قضينا الى موسى الامر اذ اوحينا اليه الامر وهو الوحي الذي اوحي اليه وقيل اذ عهدنا اليه واحكمنا الامر معه بالرسالة الى فرعون وقومه وما كنت
من الشاهدين من جملة الشاهدين للوحي اليه او على الوحي اليه وهم نقباؤه السبعون الذين اختارهم للميقات حتى تشاهد ما جرى من امر موسى في ميقاته والمراد الاعلام
للناس بان اخباره عن ذلك انما هو من جهة الوحي لانه من الغيبات التي لا يطلع عليه الا بالوحي من الله واخباره ولذلك استدرك عنه بقوله ولكنا انشانا قرونا فتطاول
عليهم العمر وما كنت شاهدا لموسى وما جرى عليه ولكنا اوحيناه اليك لانا انشانا بعد عهد الى عهدك قرونا كثيرة مختلفة فتطاول عليهم المدد فحرفت الاخبار
وتغيرت الشرايع واندرست العلوم فحذف المستدرك واقيم سببه مقامه او فتطاول على آخرهم وهو القرن الذي انت فيه العمر اي امد انقطاع الوحي واندرست
العلوم فوجب ارسالك اليهم فارسلناك وكسبناك العلم بقصص الانبياء وقصة موسى فاذكر سبب الوحي الذي هو اطالة الفترة ودل به على المسبب على
عادة الله في اختصاراته وقيل انشانا قرونا خلفنا امما من بعد موسى فطالت عليهم المهلة فنسوا عهد الله وتركوا امره وذلك ان الله تعالى قد عهد الى موسى
وقومه عهودا في محمد عليهما السلام والايمان به فلما طال عليهم العمر وخلفت القرون بعد القرون نسوا تلك العهود وتركوا الوفاء به وقرا الخليل العمر بسكون الميم
وما كنت ثاويا مقيما في اهل مدين مقام موسى فيهم واهل مدين شعيب والمؤمنون به تتلوا عليهم آياتنا تقراها عليهم تعلما منهم يريد الآيات التي قصة شعيب
وقومه ولكنا كنا مرسلين ولكنا ارسلناك واخبرناك بها وعلمناكها ولولا ذلك ما علمتها ولم تقدر ان تخبر قومك وما كنت بجانب الطور اذ نادينا اراد به
وقت مناداة موسى وتكليمه ليلة المناجاة وبالاول وقت ايحائه اليه فهما اذا وقتان وتغايرا وقيل المراد به وقت ما اعطاه التورية وبالاول حيث ما استنباه
لانهما المذكوران في القصة وقيل اذ نادينا موسى خذ الكتاب بقوة وقال وهب قال موسى يا رب ارني محمدا قال انك لن تصل الى ذلك وان شئت ناديت امته واسمعتك
صوتهم قال بلى يا رب قال الله تعالى يا امة محمد فاجابوه من اصلاب آبائهم وقال ابو زرعة نادى يا امة محمد قد اجبتكم قبل ان تدعوني واعطيتكم قبل ان تسالوني
وهذان القولان يدلان على ان المراد بقوله اذ نادينا وقت مناداة امة محمد وقت مناداة موسى وروي عن ابن عباس ورفعه بعضهم قال الله يا امة احمد او محمد
فاجابوه من الاصلاب والارحام الامهات لبيك اللهم لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك قال الله يا امة محمد ان رحمتي سبقت غضبي وعفوي
عقابي قد اعطيتكم من قبل ان تسالوني وقد اجبتكم من قبل ان تدعوني وقد غفرت لكم من قبل ان تستغفروني من جاءني يوم القيمة بشهادة ان لا اله الا الله
وان محمدا عبدي ورسولي دخل الجنة وان كانت ذنوبه اكثر من زبد البحر وهذا معاضد للقولين قول وهب وقول ابي زرعة ولكن رحمة من ربك اي ولكن
علمناك رحمة وقرئ رحمة بالرفع على انها خبر مبتدا محذوف اي هي او وهذه رحمة وقيل اي ولكن رحمناك رحمة بارسالك والوحي اليك واطلاعك على الاخبار
الغايبة عنك وقرا ابو حيوة والخليل ولكن رحمة بالرفع اي ولكن هو رحمة واو ولكنه رحمة لتنذر قوما متعلق بالفعل المحذوف ما اتاهم من نذير من قبلك لوقوعهم
في زمان الفترة بينك وبين عيسى وهو خمسماية وخمسون سنة او ستون سنة او اربعماية ونيف وستون سنة او ستمائة سنة او بينك وبين اسمعيل على ان دعوة
موسى وعيسى مختصة ببني اسرائيل وما حواليهم من قبلك من قبل مجيئك في الدنيا او من قبل انذارك ونحوه قوله لتنذر قوما ما انذر اباؤهم لعلهم يتذكرون
يتعظون ولولا ان تصيبهم مصيبة بما قدمت ايديهم اي عقوبة ونقمة بما عملت ايديهم من الكفرة والمعاصي فيقولوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا لولي الاولى

امتنائية

امتنائية وجوابها محذوف والثانية تحضيضية والفاء في فيقولوا عاطفة على تصيبهم تفيد معنى السببية المشعرة بان القول هو المقصود بان يكون سببا لانتفاء ما
يجاب به من ارسال الرسل وانه لا يصدر عنهم حتى يلجئهم العقوبة والمعنى ولولا قولهم اذا عوقبوا بسبب كفرهم ومعاصيهم ربنا هلا ارسلت الينا رسولا يبلغنا آياتك
فنتبعها ونكون من المصدقين كما ارسلنا اليهم الرسول يعني انما ارسلنا الرسل اليهم قطعا للمعذرة والزاما للحجة عليهم ولما كانت اكثر الاعمال تباشر باليد غلب اليد
العمل باليد على ساير الاعمال التي تباشر بغيرها تغليبا للاكثر على الاقل حتى قيل لمن لا يدي له هذا مما عملت يداك فنتبع آياتك هذه الفاء الجواب للولا الثانية وانما اجيبت بالفاء
تشبيها لها بالامر من جهة ان الامر باعث على الفعل والباعث والمحضض من واد واحد والمراد باياتك ما انزل الله من الوحي المتلو وقيل الرسول المصدق بنوع
من المعجزات ونكون من المؤمنين باياتك فلما جاءهم الحق وهو الرسول المصدق بالكتاب المعجز مع ساير المعجزات وقطعت معاذيرهم وسد طريق احتجاجهم من عندنا
قالوا يعني كفار مكة لولا اوتي هلا اوتي محمد مثل ما اوتي موسى من الكتاب المنزل جملة واحدة ومن اليد البيضاء والعصا وفلق البحر وغيرها اقتراحا وتعنتا وعنادا
كما قالوا لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك اولم يكفروا بما اوتي موسى من قبل الظاهر المطابق للسياق ان ضمير يكفروا عائد الى كفار مكة الذين قالوا هذه المقالة يعني
انهم كما كفروا بمحمد والقرآن وقد كفروا بموسى والتورية وفي البشتين ساحران تظاهرا وفي كتابيهما سحران تظاهرا وذلك لما روي الكلبي حين بعثوا الرهط الى رسل
اليهود بالمدينة يسالونهم عن محمد صلى الله عليه وسلم فاخبروهم ان نعته وصفته في كتابهم فرجع الرهط الى قريش فاخبروهم بقول اليهود فقالوا عند ذلك ساحران
تظاهرا اي توافق الكتابين وقيل الى ابائهم ويعضده ما روي عن الحسن انه قال قد كان العرب اصل في ايام موسى والمعنى اولم يكفر اباؤهم قالوا في موسى
وهرون ساحران تظاهرا اي تعاونا باظهار تلك الخوارق او الى قرنائهم من الكفار يعني اولم يكفر ابناء جنسهم في الراي والمذهب والتعنت والعناد وهم الكفرة في زمان
موسى وكان فرعون عربيا من اولاد عاد وقرا الكوفيون سحران بمعنى ذوا سحر او جعلوهما سحرين مبالغة في وصلها بالسحر او اراد وانوعان من السحر وقرئ تظا
هرا على الادغام وقرا ابن جبير والفضل والاعمش تظاهرا وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه سحران اظهرا بتشديد الظاء والهاء وقالوا انا بكل كافرون اي
بكل واحد منهما او بكل الانبياء قل فاتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما مما انزل على موسي ومما انزل على وهو يؤيد انهم ارادوا بالسا
حران موسى ومحمد عليهما السلام اتبعه ان كنتم صادقين انا ساحران مختلقان فهو من الشروط التي يراد بها الالزام والتبكيت ويجوز ان يقصد بحرف الشك التهكم
بهم وقرا زيد بن علي اتبعه بالرفع فان لم يستجيبوا لك دعاءك الى الاتيان بالكتاب الاهدى فحذف المفعول للعلم به ولان فعل الاستجابة يتعدى بنفسه الى الدعاء
وباللام الى الداعي واذا عدي الى الداعي يحذف الدعاء في الغالب كقوله وداع دعا يا من يجيب الى الندا فلم يستجبه عند ذاك مجيب فان معناه فلم يستجب دعاءه
على حذف المضاف وقوله فاتوا بكتاب يدل على الدعاء لانه امر بالاتيان والامر بعث على الفعل ودعاء اليه فاعلم انما يتبعون اهواءهم فاعلم انهم قد الزموا ولم
يبق لهم حجة الا اتباع الهوى اذ لو كان لهم حجة ويتبعوها لاتوا بها ومن اضل ممن اتبع هواه معنى الاستفهام فيه انكار ان يكون في الضلال كلهم ابلغ ضلالا
ممن لا يتبع في دينه الا هواه حيث ترك الهدى والطريق المستقيم ويتبع كل شيطان مريد وخطواته بغير هدى من الله في موضع الحال للتوكيد والتقييد
فان هوى النفس قد يوافق الحق ان الله لا يهدي القوم الظالمين الثابتين على الظلم والذين ظلموا انفسهم بالانهماك في الظلم والتوغل في اتباع
الهوى ووضع المظهر موضع المضمر شهادة عليهم بالظلم العظيم ودلالة على ان الشقاوة هي عدم الهداية انما ادركتهم لظلمهم وتصميمهم عليه ولقد وصلنا لهم
القول اتبعنا بعض القرآن بعضا في الانزال فيتصل التذكير او في النظم ليتقرر الدعوة بالحجة والمواعظ بالمواعيد والنصايح بالعبر وقال مقاتل بينا لكفار
مكة بما في القرآن من اخبار الامم الخالية كيف عذبوا بتكذيبهم وقيل وصلنا لهم خبر الدنيا بخبر الآخرة حتى كانهم عاينوا الآخرة في الدنيا وقرا الحسن وصلنا
بالتخفيف لعلهم يتذكرون ارادة ان يتعظوا به فيؤمنوا او يطيعوا الذين آتيناهم الكتاب من قبله من قبل محمد وقيل من قبل القرآن هم به
يؤمنون يصدقون نزلت في مؤمني اهل الكتاب وعن رفاعة بن قرظة نزلت في عشرة انا احدهم وقيل في اربعين من مسلمي اهل الانجيل اثنان وثلثون
جاؤا من ارض الحبشة مع جعفر بن ابي طالب وثمانية من الشام وقال ابن عباس نزلت في ثمانين من اهل الكتاب وهم اربعون من اهل نجران واربعون
المذكور وقال مقاتل هم اهل الانجيل الذين قدموا من الحبشة وامنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم واذا يتلى عليهم يعني القرآن قالوا امنا به كلام الله انه الحق من
ربنا الجملة استيناف وقع تعليلا للايمان به لان كونه حقا من الله يوجب ان يؤمن به وحقيق بان يصدق به انا كنا من قبله مسلمين استيناف آخر لبيان ان
قول امنا به لانه يحتمل ان يكون ايمانا قريبا العهد بعيده فاخبروا ان ايمانهم متقادم لان اباءهم القدماء قرؤا في الكتب الاولى ذكره وابناءهم من بعدهم وكانوا
على دين الاسلام قبل نزول القرآن وتلاوته عليهم لان الاسلام صفة كل موحد مصدق للوحي وفيه دلالة بينة على ان بعض اهل الانجيل كانوا على

دين الاسلام

القصص

الى نزول القران وماتم الكفر اهل الدنيا في زمان الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام كما زعم بعض الناس اولئك يؤتون اجرهم مرتين مرة على ايمانهم بكتابهم
ومرة على ايمانهم بالقران وعن ابي موسى قال رسول الله صلعم ثلثة يؤتون اجرهم مرتين رجل كانت له جارية فادبها واحسن ادبها ثم اعتقها فتزوجها
ورجل من اهل الكتاب آمن بكتابه وآمن بمحمد وعبد احسن عبادة الله ونصح سيده بما صبروا بصبرهم على الايمانين او بصبرهم على الايمان بالقران قبل نزوله وبعده
او بصبرهم على اذى المشركين واهل الكتاب ونحوه يؤتكم كفلين من رحمته ويدرءون بالحسنة السيئة ويدفعونها بالحلم الاذى او بالطاعة المعصية او بشهادة ان لا اله
الا الله الشرك لقوله عليه السلام اتبع الحسنة السيئة تمحها ومما رزقناهم ينفقون في سبيل الخيرات وعن سعيد ابن جبير قدم اربعون رجلا مع جعفر من
الحبشة على النبي صلعم فلما راوا ما بالمسلمين من الخصاصة قالوا يا نبي الله ان لنا اموالا فان اذنت لنا انصرفنا فجئنا باموالنا وواسينا المسلمين فاذن لهم فاتوا
باموالهم فواسوا بها المسلمين فنزلت فيهم الآيات الثلث من قوله الذين آتيناهم الكتاب الى قوله ومما رزقناهم ينفقون واذا سمعوا اللغو ما يجب ان يلغى ويطرح
من قول فحش وقرا ابو البرهسم والعقيلي اللغا بفتح العين وبالالف اعرضوا عنه تكرما وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم اي اعمالنا مقصورة على الانتفاع
بنا لا يتجاوزه الى الانتفاع بكم وكذلكم اعمالكم فهو من قصر المسند اليه على المسند دون العكس كما يسبق الى بعض الاوهام ونظيره قوله لكم دينكم ولي دين في قصد
الموصوف على الصفة سلام عليكم متاركة وتوديع ودعاء لهم بالسلامة عما هم فيه وعن الحسن كلمة حلم من المؤمنين فليس المراد منه سلام التحية لا نبتغي الجاهلين لا نطلب
مخالطتهم وصحبتهم ولا نريدها انك لا تهدي من احببت لا تقدر ان تدخله في الاسلام كل من احببت دخوله فيه من قومك وغيرهم ولكن الله يهدي
من يشاء يدخل في الاسلام من يشاء هدايته وادخاله فيه بان يخلق في قلبه الاسلام فانه تعالى الانفراد عليه كل احد سوى الله خالق كل شيء وقرا الخليل ولكن الله
بالرفع يهدي بتشديد الدال وهو اعلم بالمهتدين بالذين يدخلون في الاسلام وقال مجاهد ومقاتل بمن قدر له الهدى وقيل بالقابلين من الذين
لا يقبلون واتفقت كلمتهم قاطبة على انها نزلت في ابي طالب فانه قال عند موته يا بني هاشم اطيعوا محمدا وصدقوه تفلحوا وترشدوا فقال النبي
صلى الله عليه وسلم يا عم تامرهم بالنصيحة لانفسهم وتدعها لنفسك قال فما تريد يا ابن اخي قال اريد منك كلمة واحدة فانك في آخر يوم من ايام الدنيا ان
تقول لا اله الا الله اشهد لك بها عند الله قال قد علمت انك لصادق ولكن اكره ان يقال جزع عند الموت ولولا ان يكون عليك وعلى بني ابيك غضاضة ومسبة
بعدي وفي رواية ولولا ان تعيرني قريش يقولون انما حمله على ذلك الجزع لقلتها ولاقررت بها عينك عند الفراق لما ارى من شدة وجدك ونصيحتك ولكن
سوف اموت على ملة الاشياخ عبد المطلب وهاشم وعبد مناف وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا نزلت في قريش فانهم قالوا هذا القول ونصره لفظ
الجمع وقيل نزلت في الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف اتى النبي صلعم فقال نحن نعلم انك على الحق ولكنا نخاف ان اتبعناك وخالفنا العرب بذلك وانما
نحن اكلة راس قليلون ان يتخطفونا من ارضنا اي يخرجونا منها فرد الله عليهم بقوله اولم نمكن لهم حرما آمنا اولم نجعل مكانهم حرما ذا امن بحرمة البيت
وآمنا قطانه بحرمته وكانت العرب في الجاهلية حولهم يتغاورون ويتناحرون وهم آمنون في حرمهم لا يخافون يجبى اليه يجلب ويجمع وقال مقاتل يحمل الى
الحرم وقرا ابو عمرو برواية الحلواني يتخطف بالياء والبناء للمفعول وبالرفع اي يتخطف وقرا الخليل ولم نمكن بالياء وقرا نافع ويعقوب و
رويس بالتاء لاجل الثمرات والباقون بالياء لوجود الفصل وقرئ بالنون الجني وتعديته بالى كقولك يجبي الى الخليفة ثمرات كل شيء من كل اوب
وقرئ ثمرات بفتحتين وبالسكون ومعنى الكلية الكثرة كقوله واوتيت من كل شيء رزقا من لدنا فاذا كان هذا حالهم من الامن وسعة الرزق بحرمة البيت
وهم عبدة الاصنام فكيف نعرضهم للخوف والتخطف ونسلبهم الامن اذا ضموا الى حرمة البيت حرمة الاسلام والتوحيد واسناد الامن الى الحرم مجاز
لانه سببه والى اهله حقيقة ولكن اكثرهم لا يعلمون جهلة لا يتفطنون ولا يتفكرون ليعلموا ذلك ويجوز ان يكون متعلقا بقوله من لدنا اي قليل منهم يتدبرون
فيعرفون بان ذلك الرزق عند الله واكثرهم لا يتاملون اذ لو تاملوا لعلموا انه من عند الله ولما خافوا غيره وانتصب رزقا على المصدر من معنى ما قبله لانه
بمعنى يجبي اليه ثمرات كل شيء ويرزق ثمرات كل شيء واحد او على المفعول له او الحال من الثمرات لتخصصها بالاضافة كما ينتصب عن النكرة المتخصصة بالصفة
ثم ان الامر بالعكس فانهم احقاء بان يخافوا من باس الله على ما هم عليه بقوله وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها اي وكثيرا من اهل القرى كانت حالهم
مثل حال اهل مكة من انعام الله عليه بالرقود في ظلال الامن وسعة الرزق فغمطوا النعمة وجعلوها ذريعة الى اتباع شهواتهم واشرهم وبطرهم
وايثارهم التوسع والترفه فدمر الله عليهم وخرب ديارهم وانتصاب معيشتها بنزع الخافض كقوله واختار موسى قومه او بجعلها ظرفا بنفسها كقولك زيد
ظني مقيم وبتقدير زمان مضاف اليه واصله بطرت ايام معيشتها كخفوق النجم ومقدم الحاج او مفعولا بتضمين بطرت معنى كفرت وغمطت وقيل البطر سوء

احتمال

وقيل بطرت معيشتها صح

احتمال الغنى وهو ان لا يحفظ حق الله فيه وعبدوا الاصنام وهذا يشبه اي اشرت وطغت في معيشتها وقال عطاء عاشوا في البطر فاكلوا رزق الله وعبدوا الاصنام
وهذا مما يشبه القلب فتلك مساكنهم خاوية لم تسكن من بعدهم من السكنى وهو اسم بمعنى الاسكان كالرقبى بمعنى الارقاب او مصدر سكن الدار وفيها اذا اقام اذ لا يسكنها
الا المسافر ومار الطريق يوما او بعض يوم او لا يبقى فيها من يسكنها الا قليلا من شوم معاصيهم وقليلا صفة محذوف اي الا سكونا قليلا او بقاء قليلا وقيل معناه لم يعمر
منها الا اقلها واكثرها خراب وكنا نحن الوارثين منهم اذ لم يخلفهم احد يتصرف فيها اي تركناها على حال لا يسكنها احد وخربناها وسويناها بالارض قال
تتخلف الآثار عن اصحابها حينا ويدركها الفناء فتتبع وما كان ربك وما كان عادته مهلك القرى اي يهلك القرى في كل وقت حتى يبعث في امها وقصبتها التي هي
اعمالها وتوابعها وقيل في اكثرها واعظمها وقرا حمزة والكسائي امها بكسر الهمزة اتباعا للميم رسولا يتلو عليهم آياتنا يقراها عليهم الزاما للحجة وقطعا للمعذرة وقال مقاتل
يخبرهم ان العذاب نازل بهم ان لم يؤمنوا وما كان في حكم الله وسابق قضائه ان يهلك القرى في الارض حتى يبعث في ام القرى يعني مكة رسولا وهو محمد صلعم خاتم الا
نبياء وما كنا مهلكي القرى الا واهلها ظالمون بالكفر والمعاصي وقيل هذا بيان للناس لعدله وتقدسه على الظلم حيث اخبر بانه لا يهلكهم الا اذا استحقوا الاهلاك
بظلمهم ولا يهلكهم مع كونهم ظالمين الا بعد تاكيد الحجة والالزام ببعثة الرسل ولا يجعل علمه باحوالهم حجة عليهم ونزه ذاته ان يهلكهم وهم غير ظالمين كما قال وما
كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون فنص في قوله بظلم انه لو اهلكهم وهم مصلحون لكان ذلك ظلما منه وان حاله في غناه وحكمته منافية للظلم دل على ذلك
بحرف النفي مع لامه كما قال وما كان الله ليضيع ايمانكم وما اوتيتم من شيء ما تضمنت معنى الشرط ولهذا جاءت الفاء في جوابها والمعنى اي شيء اصبتموه من اسباب الدنيا
فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها فما هو الا تمتع وزينة تتمتعون وتتزينون به اياما قلائل وهي مدة حياتكم المنقضية وما عند الله من ثوابه وهو في الجنة خير في نفسه من
ذلك لانه لذة خالصة لا يشوبها الكدر والتكدر وبهجة كاملة لا يطراها النقصان وابقى لانه ابدي لا ينفد افلا تعقلون تتفطنون لذلك فتستبدلون الذي هو ادنى
بالذي هو خير وقرا ابو عمرو يعقلون بياء الغيبة حملا على قوله ولكن اكثرهم لا يعلمون والباقون بتاء الخطاب نظرا الى قوله وما اوتيتم من شيء وهو ابلغ في موعظة
وعن ابن عباس ان الله خلق الدنيا وجعل اهلها ثلثة اصناف المؤمن والمنافق والكافر فالمؤمن يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع افمن وعدناه وعدا
حسنا وعدا بالجنة التي هي منافع دائمة على وجه التعظيم والاستحقاق فانه حسن الوعد بحسن الموعود ومعنى الهمزة الانكار اي فليس من وعدناه كمن متعناه وجعل
هذا نتيجة من الآية المتقدمة عليه كانه قال فلذلك من التفاوت العظيم بين ما اوتيتم من اسباب الدنيا وبين ما عند الله من الثواب والتوجه ليس من وعدناه وعدا
حسنا فهو لاقيه مصيبه ومدركه لا محالة لاستحالة الخلف في وعده ولذلك عطفه بالفاء المعطية معنى السببية وقرا طلحة امن وعدناه اعتبارا بقراءة عبد الله
وقرا اسلم لاقيه بضم الهاء كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا الذي هو مشوب بالالام مكدر بالمتاعب المستعقب للتحسر والندامة على الانقطاع والفصل فلا يستوي
بين ابناء الآخرة وابناء الدنيا كما لا يستوي بين متاع الدنيا ثم هو يوم القيمة من المحضرين للعذاب والجزاء او الذين احضروا النار ونحوه كنت من المحضرين فكذبوه فانهم وما عند الله
المحضرون ثم للتراخي حال الاحضار عن حال التمتع لا للتراخي في وقته عن وقته وقيل للتراخي في الزمان او الترتيب وقرا الكسائي وقالون وابو جعفر ثم هو بسكون الهاء تشبيها
للمنفصل بالمتصل بسكون الهاء في فهو وهو ولهو ولهي احسن لان الحرف الواحد لا ينطق به وحده فهو كالمتصل وقال قتادة يعني المؤمن والكافر وقال مجاهد نزلت
في النبي صلعم وابي جهل وقال محمد بن كعب في حمزة وعلي وابي جهل وقال السدي والوليد بن المغيرة ثم قال ويوم يناديهم عطف على يوم القيمة او منصوب باذكر
المضمر فيقول اين شركائي توبيخا لهم وتقريعا واضاف الشركاء اليه بناء على زعمهم الفاسد واعتقادهم الباطل وفيه تهكم بهم الذين كنتم تزعمون انهم شركائي اي
تزعمونهم شركائي فحذف المفعولان لدلالة الكلام عليه ويجوز حذفهما في باب ظننت ولا يجوز الاختصار على احدهما قال الذين حق عليهم القول
وجب عليهم مقتضى القول وثبت وهو قوله لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين وهم الشياطين او ائمة الكفر ورؤسه ربنا هؤلاء الذين اغوينا هؤلاء
مبتدا والذين اغوينا صفة والراجع الى الموصول محذوف وقوله اغويناهم خبره لاجل ما اتصل به فافاد زيادة على الصفة وهو وان كانت فضلة لكنه
صار من اللوازم وقرا عاصم برواية هرون بن حاتم اغوينا بفتح العين على الاستفهام والكاف في كما غوينا صفة مصدر محذوف تقديره اغويناهم غوا
غيا مثل ما غوينا ويجوز ان يكون الذين اغوينا خبر الهؤلاء واغويناهم كما غوينا استيناف للدلالة على انهم غووا باختيارهم وانهم لم يفعلوا بهم الا
وسوسة وتسويلا تبرانا اليك منهم ومما اختاروه من الكفر بانفسهم هوى منهم للباطل ومقتا للحق لا بقوة منا على استكراههم ولا سلطان وهذا تقرير
للجملة السابقة ومن ثمة جاءت بغير عطف وكذا ما كانوا ايانا يعبدون اي ما كانوا يعبدوننا وانما كانوا يعبدون اهواءهم ويطيعون شهواتهم وقيل
ما مصدرية متصلة بتبرانا اي تبرانا من عبادتهم ايانا وقيل للكفار ادعوا شركاءكم اصنامكم التي تزعمون انها شفعاؤكم لتشفعكم وتخلصكم من العقاب فدعوهم

عند رؤيته   حكي

من فرط الحيرة فلم يستجيبوا لهم فلم يستجيبوهم لعجزهم عن الاجابة والنصرة ورأوا العذاب لازما لهم لو انهم كانوا يهتدون لوجه من وجوه الحيل يدفعون
به العذاب او الى الحق لما رأوا العذاب او تمنوا انهم كانوا مهتدين على ان لو للتمني او تحيروا عند رؤيته وسدروا فلا يهتدون طريقا حكي اولا ما يوبخهم به من اتخاذهم
له ثم ما يقول رؤساؤهم المضلون عند توبيخهم لانهم اذا وبخوا باشراكهم اعتذروا بان رؤساءهم هم الذين استغووهم وزينوا لهم عبادة الآلهة ثم ما يشبه الشماتة
بهم من استغاثتهم آلهتهم وعجزهم عن اجابتهم ونصرتهم ثم ما يبكتون به من الاحتجاج عليهم بارسال الرسل وازاحة العلل وهذا قوله ويوم يناديهم فيقول
عطف على الاول ~~انتصاب مصدر على معنى اي اجابة اجبتهم او مجرور باضمار الباء اي باي شيء اجبتهم~~ فانه تعالى سالهم اولا عن اشراكهم به ثم عن تكذيبهم الا
نبياء ماذا اجبتم المرسلين ماذا منتصب باجبتم انتصاب مصدر على معنى اي اجابة اجبتهم او مجرور باضمار الباء اي باي شيء اجبتهم والغرض من هذا السؤال
توبيخهم وتوضيح سوء اجابتهم وذلك اعظم للكفرة واقطع لاعضادهم واجلب لاسفهم وحسرتهم وابين لخزيهم وهوانهم وتخجيلهم الله على رؤوس الا
شهاد باشراكهم به واتخاذهم له شركاء وبتكذيبهم انبياءه وقد اهل المحشر سود الوجوه المزرقين مبكتين ناكسي رؤوسهم عند ربهم هذا تشهيرهم
وافتضاحهم في الموقف الاعظم فعميت عليهم الانباء يومئذ فصارت الانباء كالعمى عليهم جميعا لا تهتدي اليهم واصله فعموا عن الانباء لكنه عكس مبالغة
ودلالة على ان ما يحضر الذهن انما يفيض ويرد عليه من خارج فاذا اخطأه لم يكن له حيلة الى استحضاره والمراد بالانباء الاخبار
والاعذار والحجج او ما اجابوا به الرسل واذا كانت الانبياء لهول ذلك اليوم يتعتعون في الجواب عن مثل هذا السؤال ويفوضون الامر الى علم الله
كما ذكر في قوله يوم يجمع الله الرسل الآية فما ظنك بالضلال العصاة من اممهم وتعدية الفعل بعلى لتضمنه معنى الخفاء او الاشتباه كانه تخفيت
عليهم الانباء فلم تهتد لهم وقرئ في الشاذ فعميت اي اخفيت ويجوز ان يقول اخفي عليهم الانباء بالمفعولية والفاعل هو الله تعالى وعن الخليل
فعميت بالتخفيف والبناء للمفعول فهم لا يتساءلون اي لا يسال بعضهم بعضا عن الجواب لانهم يتساوون جميعا في فرط الحيرة والدهشة والعجز
وعمى الانباء عليهم وقيل لفرط الدهشة والعلم بانه مثله وقرأ طلحة لا يتساءلون بادغام التاء في السين فاما من تاب عن الشرك وآمن وعمل صالحا
وجمع بين الايمان والعمل فعسى ان يكون من المفلحين الفائزين بما ارادوا وهم السعداء الناجون من الخزي والعذاب وعسى تحقيق للوعد على
عادات الملوك والعظماء حيث يقولون في بعض الحوائج عسى ولعل او سوف فلا يبقى شبهة للمحتاج في تمام ذلك ولان جزاء الله لا يتخلف
شرطه لكمال كرمه وغناه وصدقه في كل شيء ويجوز ان يقصد به اطماع المؤمنين وان يعلمهم به وجوب الترجح بين الخوف والرجاء وربك يخلق ما
يشاء ويختار اي وربك يختص بايجاد ما يشاء واختياره وينفرد بها لا يقدر على ذلك احد سواه من خلقه لكماله تجرهم عن ذلك ولا
يوجبه عليه ولا يمنعه ما كان لهم الخيرة قيل اي التخير كالطيرة بمعنى التطير ومنه قولهم محمد خيرة الله من خلقه وظاهره نفي الاختيار عنهم
راسا والامر كذلك عند التحقيق فان اختيار العباد مخلوق باختيار الله منوط بدواع لا اختيار لهم فيها وقيل اي الاختيار كما في قوله فاهله بين
خيرتين وقوله محمد خيرة الله بمعنى المختار قاله الطهوري وقيل المراد انه ليس احد من خلقه ان يختار عليه وهو بيان من قوله ويختار لان معناه
ويختار ما يشاء ولذلك خلا عن العاطف ويؤيده ما روي انه نزل في قولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم يعني لا يبعث الله الرسل
باختيار المرسل اليهم وقيل ما موصولة مفعول ليختار والراجع اليه محذوف والمعنى يختار الذي كان لهم فيه الخيرة اي الخير والصلاح وقرأ اليماني
لهم الخيرة ساكنة الياء سبحان الله وتعالى عما يشركون تنزيها له عن ان ينازعه احد ويزاحم اختياره اختيار وعن اشراكهم او مشاركة ما يشركونه به او
تعجب من غير لفظ كقولك فلذة ناب كليب برأوها والمعنى ما ابعد من هذه صفته وانه تفرد بالخلق والاختيار وما عداه عما يضاف اليه من
الشركاء وقيل سبحان الله اي الله بريء من اشراكهم او افعالهم وعما يحملهم عليه من الجراءة على الله واختيارهم عليه ما لا يختار وربك يعلم ما تكن
صدورهم وما يعلنون يعلم ما تخفي صدورهم من عداوة رسول الله وحقده وحسده وما يظهرون من مطاعنهم فيه وقولهم هلا اختير عليه غيره في النبوة وهو الله
المحقق بالالهية والمستحق للعبادة او المستأثر بالالهية المختص بها ثم قرره بقوله لا اله الا هو لا احد يستحقها الا هو كقولنا الكعبة القبلة لا
قبلة الا هي له الحمد في الاولى والآخرة لانه هو المولي للنعم كلها عاجلها وآجلها يحمده المؤمنون في الآخرة كما حمدوه في الدنيا
بقولهم الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن الحمد لله الذي صدقنا وعده التذاذا بحمده وليس التحميد هناك على وجه الكلفة وفي الحديث يلهمون التسبيح
والتقديس وله الحكم القضاء النافذ بين عباده في كل شيء وقال ابن عباس حكم لاهل طاعته بالمغفرة ولاهل معصيته بالشقاوة واليه ترجعون

بالنشور

بالنشور والحصول الى الجزاء قل أرأيتم ان جعل الله عليكم الليل قرأ الكسائي ارايتم بحذف الهمزة الثانية وليس بحذف قياسي ومعناه اخبروني يا اهل مكة ان جعل الله
عليكم الليل دائما بلا نهار معه من السرمد وهو التتابع وقيل للاعرابي اتعرف الاشهر الحرم فقال نعم من يقدر على هذا وقيل كان في عقبه الله فذكر يمين على زعمهم
ان غيره آلهة وعن ابن كثير بضياء بهمزتين سرد وواحد فرد والميم مزيدة لم دلالة من السلاص وزنه فعلل الى يوم القيمة باسكان الشمس تحت الارض او تحريكها
حول الافق الغائرة او الطمس ضوءها واعدام نورها راسا من اله غير الله يأتيكم بضياء بهمزتين وهما ضوء الشمس افلا تسمعون سماع تدبر واستبصار وقبول فتعلموا ان
قدرة تعم الممكنات كلها والمقدورات باسرها وان النشور والجزاء من جملتها ولا تشركوا به بعض مقدوراته وهو دليل على البعث ونفي الشريك بناء على توافقهم في انه
المتفرد بذلك لا يشاركه احد فيه وكذلك قوله قل ارايتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيمة باسكان الشمس في وسط السماء وتحريكها فوق الافق من اله
غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه استراحة عن متاعب الاشغال وانتشار الهم وتفرق القلب بشواغل النهار ولعله قيل بضياء ولم يقل بنهار تتصرفون فيه كما قيل
بليل تسكنون فيه لان الضوء نعمة في ذاته مقصود بنفسه ومنافعه التي تتعلق به متكاثرة ليس التصرف والمعاش وحده والظلام ليس بتلك المنزلة ولذلك قرن به
وبالليل افلا تبصرون لان السمع اكثر افادة للعقل من البصر حيث يدرك به ما لا يدركه البصر من كل منافعه ووصف فوائده فقرن الاعم فائدة بالاعم والاخص بالاخص
لان غيركم يبصر من منفعة الظلام ما تبصره انت من السكون والستر عن العيون وقلة التفرق والانتشار وغير ذلك ومن رحمته ومن انعام الله وتفضله عليكم
جعل لكم الليل والنهار خلق لكم الليل والنهار لاغراض ثلثة على ما هو راي الحنفية او للمقاصد ثلثة على ما هو اختيار الشافعية لتسكنوا فيه في الليل ولتبتغوا
من فضله في النهار بالتصرف في مهماتكم وشواغلكم والتقلب في حوائج معاشكم ومعادكم ولعلكم تشكرون ولتكونوا على حال يرجى منكم الشكر على تلك النعم او لارادة ان
تنتظموا في سلك الشاكرين عليها او ولتشكروا نعمة الله فيها ولا تكفروها بكفر نعمها وقد سلكت بهذه الآية الطريقة اللف والنشر على الترتيب بان ذكر
النعم على التفصيل فجعل الاول من النشر وهو السكون للاول من اللف وهو الليل والثاني وهو الابتغاء للثاني وهو النهار ويوم يناديهم فيقول
اين شركائي الذين كنتم تزعمون توبيخ عقب توبيخ وتوبيع بعد تقريع باتخاذ الشركاء اشعارا بانه لا شيء اجلب لغضب الله من الاشراك به كما لا شيء ادخل في
مرضاته من توحيده اللهم فكما جعلتنا من اهل توحيدك فثبتنا به في الحيوة الدنيا وفي الآخرة وادخلنا برحمتك في عبادك الموحدين واحشرنا
في زمرتهم يا ارحم الراحمين او الاول لتقرير فساد رأيهم والثاني لبيان انه لم يكن عن سند وانما كان محض تشهي وهوى ونزعنا واخرجنا من كل
امة شهيدا وهو نبيهم يشهد عليهم بما كانوا عليه فقلنا للامة هاتوا برهانكم هلموا حجتكم على صحة ما كنتم عليه من الشرك ومخالفة الرسول وهات
صوت بمنزلة ها في معنى احضر فعلموا حينئذ ان الحق لله في الالهية لا يشاركه فيها احد او لله والرسول لا لهم ولشياطينهم وقيل ان التوحيد لله وضل
عنهم وغاب عنهم غيبة الشيء الضائع ما كانوا يفترون في الدنيا من الباطل والكذب ان قارون كان من قوم موسى قارون غير منصرف للعجمة والعلمية
مثل هرون ولو كان فاعولا من قرن لانصرف وقيل معنى كونه من قومه انه آمن به وقيل كان ابن عم موسى وهو قارون بن يصهر بن قاهث بن
لاوي بن يعقوب وموسى بن عمران بن قاهث وقيل كان عم موسى اخا عمران وهما ابنا يصهر وكان يسمى المنور لحسن صورته وكان اقرأ بني اسرائيل للتورية
ولكنه نافق كما نافق السامري وقال اذا كانت النبوة لموسى والمذبح والقربان لهرون فما لي وروي انه لما جاوز بهم موسى البحر وصارت الرسالة لموسى وا
لحبورة لهرون يقرب القربان ويكون راسا فيهم وكان القربان الى موسى فجعله الى اخيه وجد قارون في نفسه وحسدهما فقال لموسى لك الرسالة ولهرون
الحبورة ولست في شيء والمبتدى الحبر قال موسى هذا صنع الله قال والله لا اصدقك حتى تاتي باية فامر رؤساء بني اسرائيل ان يجيء كل واحد بعصاه فحزمها
والقاها في القبة التي كان الوحي ينزل عليه فيها وكانوا يحرسون عصيهم بالليل فاصبحوا واذا بعصا هرون تهتز ولها ورق اخضر وكانت من شجر
اللوز قال قارون ما هو باعجب مما تصنع من السحر فبغى عليهم فطلب الفضل عليهم وان يكونوا تحت امره او تكبر عليهم او ظلمهم قال الضحاك بغى
عليهم بالشرك وقال قتادة بكثرة المال وقال شهر بن حوشب زاد عليهم في طول ثيابه شبرا وعن النبي صلعم لا ينظر الله يوم القيمة الى من جر ثوبه خيلاء
رواه ابن عمر رضي الله عنهما وآتيناه من الكنوز جمع الكنز وهو المال المدخر وقيل المدفون سمي بالمصدر من كنز اي كنزا اذا جمع من باب ضرب قال
الله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة الآية ما ان مفاتحه مفاتح صناديقه جمع مفتح بكسر الميم وهو آلة الفتح وقيل مفاتحه خزائنه كما قال
وعنده مفاتح الغيب اي خزائنها واحد مفتح بالفتح لانه موضع الفتح وهو خزانة وقرأ اليماني والضحاك وابن يعمر مفتاحه بالتوحيد وابو البرهسيم
مفاتيحه بالياء بعد التاء لتنوء بالعصبة اولي القوة خبر ان والجملة صلة ما وهو ثاني مفعولي آتى يقال ناء به الحمل اذا اثقله حتى اماله والعصبة

الحبورة الامامة والسيادة يقال حبر الرجل حبورا اذا جاد به

والعصابة الجماعة الكثيرة واعصوصبوا اجتمعوا واختلفوا في عدد العصبة فقال مجاهد ما بين العشرة الى خمسة عشر وقال الضحاك عن ابن عباس
ما بين الثلثة الى العشرة وقال قتادة ما بين العشرة الى الاربعين وقيل اربعون رجلا وقيل سبعون وعن ابن عباس كان يحمل مفاتحه اربعون رجلا
اقوى ما يكون من الرجال وعن خيثمة وجدت في الانجيل ان مفاتح خزائن قارون وقر ستين بغلا لكل خزانة مفتاح ولا يزيد على اصبع وكانت من
حديد فلما ثقلت عليه جعلت من خشب فثقلت فجعلها من جلود البقر على طول الاصابع قال ابو رزين يكفي الكوفة مفتاح وقد في ذكر ذلك بلفظ
الكنوز والمفاتح والنوء والعصبة واولي القوة وقرا بديل ابن ميسرة لينوء بالياء الغيبة على اعطاء المضاف حكم المضاف اليه للملابسة والاتصال كقولك
ذهبت اهل اليمامة وقرا اليماني والضحاك وابان بن تغلب لتنوء بكسر اللام وقرا ابو الشعثاء لينوء العصبة اولي اذ قال له منصوب بتنوء قومه لا
تفرح لا تبطر والفرح بالدنيا خطيئة من الخطايا لانه نتيجة حبها وهو راس كل خطيئة كما نطق به الحديث وقال عيسى راس كل خطيئة حب الدنيا وقال
ايضا لا يستقيم حب الدنيا والاخرة في قلب مؤمن كما لا يستقيم الماء والنار في اناء واحد واكثر القران مشتمل على ذم الدنيا وصرف العباد عنها ودعوتهم الى
الاخرة فاذا لا يفرح بالدنيا ولا يحبها الا الخاطئ مذموم واما من امن بالاخرة وعلم انه مفارق ما فيه عن قريب لا محالة لم يحدث نفسه بالفرح بل يتفتت به كما قال
اشد الغم عندي في سرور تيقن عنه صاحبه انتقالا ومن ثم قال الله عز من قائل ولا تفرحوا بما اتيكم وعلل النهي ههنا بكونه مانعا من محبة الله تعالى فقال
ان الله لا يحب الفرحين البطرين بزخارف الدنيا وقرا ابن ابي عبلة لا يحب الفارحين بالالف وابتغ واطلب فيما اتيك الله من الغنى والثروة
الدار الاخرة الجنة بان تقوم فيه بشكر الله فتصرفه فيما يوجبها لك من سبيل الله فيكون لك زادا اليها ولا تنس نصيبك من الدنيا وهو ان تاخذ منها ما يكفيك
او تحصل بها اخرتك وقال علي لا تنس صحتك وقوتك وشبابك وغناك ان تطلب بها الاخرة واحسن الى عباد الله كما احسن الله اليك فيما انعم اليك
او احسن بالشكر والطاعة لله كما احسن اليك بالانعام ولا تبغ الفساد في الارض ولا تطلبه فيها وهو نهي له عما كان عليه من الظلم والبغي وقيل ان القايل
موسى ثم علله بقوله ان الله لا يحب المفسدين الذين يطلبون الفساد فيؤول فعلهم وينتهي الى الفساد قال قارون انما اوتيته على علم عندي فضلت به على
الناس واستوجبت به التفوق عليهم بالجاه والمال وعلى علم في موضع الحال اي على استحقاق لما في من العلم الذي فضلت به الناس وهو علم التورية وكان
اعلم بني اسرائيل بها او علم التجارة والدهقنة وساير المكاسب او علم بكنوز يوسف او علم الكيمياء فعلم موسى ثلثه فعلمه قارون وقال ابن مسيب كان موسى يعلم
الكيمياء فعلم يوشع بن نون ثلث ذلك العلم وعلم كالب بن يوفنا ثلثه وعلم قارون ثلثه فخدعهما قارون حتى اضاف علمهما الى علمه وكان ذلك سبب امواله وعندي صفة
له او متعلق باوتيته كقولك جاز هذا عندي اي في ظني ورايي واعتقادي اولم يعلم وقد علم ان الله قد اهلك من القرون من هو اشد منه قوة واكثر جمعا للمال
او جماعة وعددا وهو اما تعجب وتوبيخ على اغتراره بزيادة قوته وماله مع علمه بان الله قد اهلك من قبله من هو اقوى منه واغنى لانه قد قراه في التورية
واخبر به موسى وسمعه من حفاظ التواريخ والايام كانه قيل اولم يعلم في جملة ما عنده من العلم هذا حتى يغتر بقوته وماله او رد لادعائه العلم وتعظمه به
بنفي هذا العلم منه وذلك انه لما قال انما اوتيته على علم عندي فتنفج بالعلم وقيل اعنده مثل ذلك العلم الذي ادعاه وراى نفسه به مستوجبة لكل
نعمة ولم يعلم هذا العلم النافع حتى يقي به نفسه مصارع الهالكين ولا يسال عن ذنوبهم المجرمون سؤال استعلام فانه تعالى مطلع على ذنوبهم لا يحتاج
الى سؤالهم واستعلامهم عنها او معاتبة فانهم يعذبون بغتة كانه لما هدد قارون بذكر اهلاك من قبله من القرون الذين كانوا اقوى منه واغنى اكد
ذلك بان بين انه لم يكن ما يخصهم بل الله مطلع على ذنوب المجرمين كلهم ومعاقبهم عليها لا محالة وقال مجاهد يعني لا يسال الملائكة عنهم لانهم يعرفونهم
بسيماهم وقال الحسن لا يسالون سؤال استعلام وانما يسالون سؤال تقريع وتوبيخ وقال قتادة يدخلون النار بغير حساب ولا سؤال
وروى ابن سيرين ان ابا العالية قرا ولا تسال بالتاء عن ذنوبهم المجرمون بالواو وقال بعضهم هو لحن وغلط وقال بعضهم رواه احمد بن موسى
وقال سال ابن ابي اسحق يحيى بن سيرين عنه فقرا كذلك فقال له ان هذا لا يجوز ولو كانت تسال لكانت المجرمين بالياء لا بالواو فقال يحدا اخبرني
الحسن ان ابا العالية قراها كذلك هكذا في كتاب الغرايب وقرا لا يسال عن ذنوبهم المجرمين بالياء والبناء للفاعل وبنصب المجرمين اي لا يسالهم
الله تعالى فخرج على قومه في زينته قال الحسن في الحمرة والصفرة وقال النخعي خرج هو وقومه في ثياب حمر وصفر وقال مقاتل خرج على بغلة شهباء عليه الارجوان
عليها سرج من ذهب ومعه اربعة الاف على زيه وقيل عليهم وعلى خيولهم الديباج الاحمر وعن يمينه ثلثمائة غلام وعن يساره ثلثمائة جارية
بيض عليهن الحلي والديباج وقيل في تسعين الفا عليهم المعصفرات وهو اول يوم رؤي فيه المعصفر وهو اول يوم رؤي فيه المعصفرات وقال مجاهد

على براذين بيض عليها سروج الارجوان وعليهم المعصفرات قال الذين يريدون الحيوة الدنيا رغبة في اليسار والاستغناء كما هو عادة اكثر الناس يا ليت
لنا مثل ما اوتي قارون من المال والزينة وانما تمنوا مثله لا عينه كما ذكر تصريحا حذرا عن الحسد وعن قتادة تمنوا ان يتقربوا به الى الله وينفقونه في سبيل الله
لخير وقيل كانوا كفارا والفرق بينه وبين الغبطة ان الحسد ان يتمنى الرجل زوال نعمة غيره اليه والغبطة ان يتمنى مثلها من غير ان يريد زوالها عنه فمن الغبطة
قول يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون ومن الحسد قوله ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض وقيل للنبي صلعم هل يضر الغبط قال لا الا كما يضر العضاه الخبط
انه لذو حظ عظيم من الدنيا والمال والحظ الجد وهو البخت والدولة وصفوه بانه رجل مجدود ومبخوت وجمع قلته احظ وكثرته حظوظ واحاظ على غير
واحاظ على غير قياس كانه جمع احظ وليس الغنى والفقر من حيلة الفتى ولكن احاظ قسمت وجدود وقال الذين اوتوا العلم باحوال الاخرة والدنيا
للمتمنين وقال ابن عباس يعني الاحبار من بني اسرائيل وقال مقاتل اوتوا العلم بما وعد الله في الاخرة ويلكم مصدر منصوب ساد مسد فعله ومعناه
اهلككم الله اهلاكا على انه دعاء بالهلاك ثم استعمل في الزجر والردع والبعث على ترك ما لا يرتضى ونظيره ويحكم في انه دعاء على المخاطبين بهو لموضع
موضع اهلككم وهما في المصادر التي نصبت بافعال مضمرة ولا افعال لها اصلا نحو ويحكم وويسك واقه وتفه ودفرا وبهرا ثواب الله ما يثيب به
عباده في الاخرة مما من جزاء طاعتهم فان الثواب والمثوبة جزاء الطاعة وانما سمي الجزاء ثوابا ومثوبة لان المؤمن يثوب اليه ويرجع خير لمن امن
وعمل صالحا مما اوتي قارون بل من الدنيا وما فيها ولا يلقيها الضمير عايد الى الكلمة التي تكلم بها العلماء او الى الثواب لانه في معنى المثوبة او الجنة او الى
الايمان والعمل الصالح لانهما في معنى السيرة والطريقة وقرا الاعمش ولا يلقاها بالتذكير الا الصابرون على الطاعات عن الشهوات وعلى ما قسم الله لهم من
القليل عن الكثير وقيل على طاعة عن زينة الدنيا فخسفنا به وبداره الارض اي فدهنا به وبداره في الارض وغيبنا بهما فيها يقال خسف الله
به الارض خسفا اذا غاب به فيها روي ان قارون كان يؤذي نبي الله موسى عليه السلام كل وقت وهو يداريه لقرابته حتى نزلت الزكوة فصالحه
عن كل الف دينار على دينار وعن كل الف درهم على درهم فحسبه فاستكثره فشحت به نفسه فعمد الى ان يفضح موسى بين بني اسرائيل ليرفضوه
فجمع بني اسرائيل وقال ان موسى اراد كم على كل شيء وهو يريد ان ياخذ اموالكم فقالوا انت كبيرنا وسيدنا فمر بما شئت قال نبرطل فلانة البغي
حتى ترميه بنفسها فيرفضه بنو اسرائيل فجعل لها الف دينار وقيل طستا من ذهب مملوة ذهبا وقيل قال لها انا امولك واخلطك بنسائي
فلما كان يوم العيد قام موسى خطيبا فقال يا بني اسرائيل من سرق قطعناه ومن افترى جلدناه ومن زنى وهو غير محصن جلدناه ومن زنى محصنا
رجمناه فقال قارون وان كنت انت [illegible] قال وان كنت انا قال ان بني اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة فاحضرت فناشدها
موسى بالذي فلق البحر وانزل التورية ان تصدق فتداركها الله بالتوفيق فقالت كذبوا بل جعل لي قارون جعلا على ان اقذفك بنفسي فخر موسى
ساجدا وقال يا رب ان كنت رسولك فاغضب لي فاوحى اليه ان امر الارض بما شئت فانها مطيعة لك فقال يا بني اسرائيل ان الله قد بعثني
الى قارون كما بعثني الى فرعون فمن كان معه فليلزم مكانه ومن كان معي فليعتزل فاعتزلوا جميعا غير رجلين ثم قال يا ارض خذيهم فاخذتهم
الارض باقدامهم وفي رواية كان على سريره وفرشه فاخذته حتى غيبت سريره ثم قال خذيهم فاخذتهم الى الركب ثم قال خذيهم فاخذتهم الى الا
اوساط ثم قال خذيهم فاخذتهم الى الاعناق وقارون واصحابه يتضرعون الى موسى ويناشدونه بالله والرحم روي انه ناشده سبعين مرة
وموسى في كل ذلك لا يلتفت اليه لشدة غضبه ثم قال خذيهم فانطبقت عليهم فاوحى الله الى موسى ما اغلظ قلبك استغاثوا بك واستصرخوا
مرارا وسبعين مرة فلم ترحمهم اما وعزتي وجلالي لو دعوني مرة لاجبتهم ووجدوني قريبا مجيبا وفي بعض الاثار لا اجعل الارض بعدك
طوعا لاحد وقال قتادة خسف وهو يتجلجل في الارض كل يوم قامة رجل لا يبلغ الى قعرها الى يوم القيمة فاصبحت بنوا اسرائيل يتناجون
بينهم انما دعا موسى على قارون ليستبد بداره بفتح الهاء فيها فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله من الاولى استغراقية مزيدة
لتاكيد النفي كانه قيل فلم يكن له فئة ما ينصرونه ويدفعون عنه ما فيه من الشدة من العذاب والفئة بوزن الفعة الرهط والتاء عوض
من الياء المنقوصة من وسطه لان اصله فيء بوزن فيع من فاء وجمع على فئون وفئات وما كان من المنتصرين اي من المنتقمين من موسى او من الممتنعين
مما نزل به من الخسف الذي هو من اشد عذاب الله يقال نصره من عدوه فانتصر اي منعه فامتنع فاصبح الذين تمنوا مكانه منزلته من الدنيا امس
وصاروا يتندمون على ذلك التمني بالامس منذ وقت قريب والامس معناه اليوم الذي قبل يومك وقد يستعار للوقت المستقرب بجعو المواديه

هنا بعطو بقوله ويكان الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر يبسط ويقدر بمقتضى مشيئته فيغني بعض الناس ويفقر بعضهم كما توجبه
الحكمة الربانية ومن ثم يختلف في الاشخاص المتماثلة في الخصائص والصفات ولو كان ذلك لكرامة وهوان يوجبانه ويقتضيانه لم يكن بمشيئته
وي للتعجب منفصلة من كان وهي كلمة تنبه وتندم على الخطاء ومعناه ان القوم قد تنبهوا على خطائهم في تمنيهم وقولهم يا ليت لنا مثل ما اوتي قا
رون وتندموا على ذلك ثم قالوا كان الله يبسط الرزق اي ما اشبه الامر بان الله وهو مذهب البصريين قال على ذلك ثم قال ويكان من يكن له
نشب يحبب ومن يفتقر يعش عيش ضر وعند الكوفيين انه ويك بمعنى ويلك وان المعنى الم تعلم ان الله يبسط الرزق لمن يشاء واليه ذهب مجاهد
وقال قتادة معناه الم تر وقال الفراء هي كلمة تقرير كقول الرجل اما ترى الى صنع الله واحسانه وحكي ان اعرابية قالت لزوجها اين ابنك
فقال ويكانه وراء البيت يعني اما ترينه وراء البيت وهذه الثلثة بمعنى واحد كما لا يخفى وعن الحسن انه كلمة ابتداء تقديره ان الله يبسط
الرزق وقيل هو تنبيه بمنزلة الا وقال قطرب ويك بمعنى ويلك حذفت منه اللام كقول عنترة ولقد شفى نفسي وابرا سقمها قول الفوارس ويك
عنتر اقدم وان منصوب باضمار اعلم تقديره ويك اعلم ان الله يبسط الرزق ويجوز ان يكون الكاف كاف الخطاب مضمومة الى وي كقول عنترة ويك
وان بمعنى لان واللام لبيان القول لاجل هذا القول اي لان الله يبسط الرزق كان ذلك وهو غنا قارون وكونه مبسوطا له غير مقبوض عنه لكان
من شاء الله يبسط ويقبض ابيح الناس على قسمين مقبوط لهم ومقبوض عنهم وقد علم من حال فرعون وقارون ان البغي والظلم مع البسط
اكثر واغلب فيكون من طريق المقابلة مع القبض والفقر لولا ان من الله علينا فلم يعطنا ما تمنينا وقرا الاعمش لولا من الله لخسف بنا التوليع (؟)
فينا ما اولاه في نخسف به لاجله وقرا حفص ويعقوب لخسف بفتح الخاء والسين جميعا والباقون بضم الخاء وكسر السين وقرا ابن مسعود لانخسف
تخسف بنا كقولك انقطع به وقرى لتخسف بنا ويكانه لا يفلح الكافرون ما اشبه الحال بان الكافرين لا ينالون الفلاح او الم تعلم انه لا يفلح الكافرون
نعمة الله والمكذبون برسله بما وعد لهم من ثواب الآخرة او لانه لا يفلح الكافرون كان ذلك وهو الخسف تعجيلا عليهم بالكفر ودلالة على ان
ذلك العذاب انما نزل بهم لكفرهم ووقف الكسائي على الياء في الكلمتين على انه وي ... المتعجب او المتنبه المتندم وكان مع معمول الكلام
مبتدا ويراد به القطع واليقين دون التشبيه كما في بيت الكتاب ويكان من يكن له نشب يحبب فانه لم يرد به التشبيه بل اليقين وابو عمرو وقف على
الكاف لانه ينوي انفصاله مما بعده وروى خارجة عن الاعمش انه قرا وي كلمة كان الله كلمة اخرى وكذا عن يعقوب تلك الدار الآخرة اشارة
تعظيم وتفخيم يعني تلك التي سمعت بذكرها وبلغك وصفها وتلك اشارة الى الدار الآخرة وهي مبتدا والدار الآخرة خبره او صفته والخبر نجعلها
للذين لا يريدون علوا في الارض غلبة وقهرا وقال الكلبي ومقاتل استكبارا عن الايمان وقال عطا استطالة على الناس وتهاونا بهم
وقال الحسن شرفا وعزا عند ذي سلطانهم وعن علي رضي الله عنه انها نزلت في اهل التواضع من الولاة واهل القدرة وعنه من اعجبه
ان يكون شراك نعله اجود من شراك نعل صاحبه فيدخل تحتها وعن الفضيل انه قراها ثم قال ذهبت الاماني كلها ههنا وعن عمر بن
عبد العزيز انه كان يرددها حتى قبض ولا فسادا ظلما على الناس كما اراد فرعون وقارون وقال الكلبي دعاء الى عبادة غير الله و
قال عكرمة اخذ الاموال الناس بغير حق وبعضهم قوله تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا التجبر في
الارض والاخذ بغير الحق رواه ابو هريرة رضي الله عنه وقاله مقاتل وابن جريج عملا بالمعاصي وقال الزمخشري ومن الطماع من يجعل
العلو لفرعون والفساد لقارون متعلقا بقوله ان فرعون علا في الارض ولا تبغ الفساد في الارض ويقول من لم يكن مثل فرعون وقارون
فله الآخرة ولا يتدبر قوله والعاقبة للمتقين كما تدبره علي وفضيل وعمر اي العاقبة المحمودة لمن اتقى عقاب الله باداء اوامره واجتناب
مناهيه او لمن اتقى الله في حفظ حدوده وما امر به ونهى عنه في حقوقه وحقوق عباده وقال قتادة والجنة للمتقين واعلم ان هذه آية
عامة شاملة للمتقين وغيره غير مختصة بالولاة واهل القدرة بدليل قوله عليه السلام اعظم اوصيكم بتقوى الله واوصي الله بكم واستخلفه عليكم
وانذركم به اني نذير مبين ان لا تعلوا على الله في عباده وبلاده فان الله تعالى قال لي ولكم تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون
علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين قاله في مرضه رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه من جاء بالحسنة بالعمل الصالح من
اصناف الواجب والمندوب اليه فله خير منها وهو ان يدخل الجنة ويرزق فيها بغير حساب بدليل قوله تعالى ومن عمل صالحا من ذكر او انثى

وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب ومن جاء بالسيئة بالفعلة التي تسوء صاحبها ويزري في شرع الله وهو ما يبعده الرب
تعالى وتقدس من الذنوب والقبائح فلا يجزى الذين عملوا السيئات فلا يجزون فوضع المظهر موضع المضمر قصدا الى زيادة تبغيض السيئة في قلوب النا
وفضل تهجين لحالهم بتكرير اسناد السيئة اليهم الا ما كانوا يعملون الا مثل ما كانوا يعملون فحذف المثل واقيم مقامه ما كانوا يعملون مبالغة
في المماثلة وهذا انما هو بفضل الله العظيم على عباده ولطفه وكرمه الواسع عليهم حيث يجزي الحسنة بعشر امثالها وسبعمائة وبالغا الى ... بغير
حساب ولا يجزي السيئة الا مثلها وتبدل لها حسنات اذا تاب عنها صاحبها قال الله تعالى اولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وقال ان الحسنات يذهبن
السيئات وعن ابي ذر قال رسول الله صلعم اني لاعلم آخر رجل يخرج من النار رجل يؤتى بالرجل يوم القيمة فيقال اعرضوا عليه صغار ذنوبه وتخبا
كبارها فيقال له عملت يوم كذا وكذا وكذا وهو مقر لا ينكر وهو مشفق من كبارها فيقال اعطوه مكان كل سيئة حسنة واورد جزاء شرط
الحسنة بالجملة الاسمية ليدل على ثباته حيث تم مثوبتها فاستقرارها وانها آخر غير ... وجزاء شرط السيئة بالفعلية قصدا الى بيان تجدده
وحدوثه وان من شانه ان ينقطع ويتجاوز فينقلب ثوابا كما صرح به رسول الله صلعم في حديث الكريم وفي قوله عليه السلام اذا اسلم
العبد فحسن اسلامه كفر الله تعالى عنه كل سيئة عملها وكان بعد ذلك القصاص كل حسنة بعشر امثالها الى سبعمائة ضعف والسيئة بمثلها
الا ان يتجاوز الله عنها ان الذي فرض عليك القرآن اي انزل عليك القرآن وهو قول اكثر المفسرين وقال ابن عباس ومجاهد وعطا اوجب عليك
العمل بالقرآن وقيل اوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه يعني ان الذي حملك صعوبة هذا التكليف لمثيبك عليها ثوابا لا يحيط به
الوصف لرادك الى معاد اي الى معاد وهو المقام المحمود الذي وعدك ان يبعثك فيه وقيل الجنة ويدل عليه قوله عليه السلام ان الذي
فرض عليك القرآن لرادك الى معاد معادنا الى الجنة كذا ذكره الفردوس وقال الزهري وعكرمة الى القيمة وقال ابن عباس في رواية
سعيد بن جبير الى الموت وقيل المراد به مكة ووجهه ان يراد رده اليها يوم الفتح فيكون فيه معادا له شان ومرجعا له اعتداد لغلبة حزب الله
على حزب الشيطان كانه قيل اخبر بان العاقبة للمتقين اكد ذلك بوعد المحسنين ووعيد المسيئين ووعده بالعاقبة المحمودة في الدنيا وا
لآخرة وقال القتيبي معاد الرجل بلده لانه ينصرف ثم يعود اليه ولما خرج النبي صلعم من الغار مهاجرا الى المدينة سار في غير الطريق
مخافة الطلب فلما امن رجع الى الطريق نزل الجحفة بين مكة والمدينة وعرف الطريق الى مكة اشتاق اليها فنزل جبريل فقال اتشتاق الى بلدك
ومولدك قال نعم فاوحى الآية اليه فهذه الآية نزلت بالجحفة ليست بمكية ولا مدنية ولما وعده الرد الى معاد قال قل ربي اعلم من جاء بالهدى
يعني نفسه وما يستحقه من الثواب والنصر في معاده ومن منصوب بفعل يفسره اعلم اي يعلم من جاء بالهدى وقيل هذا جواب لكفار مكة لما قالوا للنبي
صلعم انك لفي ضلال فقال ربي اعلم من جاء بالهدى ومن هو في ضلال مبين ضلاله ظاهر لا شبهة فيه يعنيهم وما يستحقون من العذاب والاذلال
في معادهم يعني يعلم الفريقين وما يستحق به كل واحد منهما من الثواب والعقاب لا يخفى عليه ذلك فيجازيهم به وما كنت ترجو ان يلقى اليك الكتاب
وما كنت ترجوه ... الا رحمة من ربك استثناء منقطع اي ولكن القاه رحمة منه او متصل محمول على المعنى كانه قيل وما القي اليك الكتاب الا لاجل الرحمة من
ويلقى بمعنى يوحى او ينزل فلا تكونن ظهيرا للكافرين اي معينا لهم على دينهم بمداراتهم والتحمل عنهم والاجابة الى طلبتهم وقال مقاتل وذلك حين دعي
الى دين آبائه فذكره الله نعمه ونهاه عن مظاهرتهم على ما هم عليه فان قلت كيف جاز ان يكون نبي الله ظهيرا للكافرين الذين هم اعداء الله حتى ينهى عن
مظاهرتهم ومعاونتهم قلت فيه طريقان احدهما ان رسول الله كان غير ظهير لهم فاكد عليه ما كان عليه وثبت على التزامه كانه قيل فاثبت ودم على
ما انت عليه من انتفاء مظاهرتهم على دينهم وترك الاجابة الى طلبتهم والثاني ان رسول الله خوطب ونهي والمراد خطاب امته ونهيهم لان النبي امام
قومه وقدوة امته وخطاب مقدم القوم وكبيرهم يقوم مقام خطابهم جميعا والمعنى فلا تكونن اعوانا للكافرين تظاهرونهم على دينهم ولا يصدنك عن آيات
عن قراءتها والعمل بها يصدنك من اصده بمعنى صده وهي لغة كلب قال اناس اصدوا الناس بالسيف عنهم صدود السواقي عن انوف الحوائم
وقرا ابن ابي اسحق ولا يصدنك من النبوة الحقيقية بعد اذ انزلت اليك بعد وقت انزالها واذ تضاف اليه اسماء الزمان كقولك حينئذ وليلتئذ ويو
وادع الى ربك الى عبادة ربك وتوحيده ومعرفته وعبادته ولا تكونن من المشركين بمساعدتهم ومعاضدتهم ولا تدع مع الله الها آخر وهذا وما قبله على
طريق التهييج والالهاب ولزيادة التثبيت والعصمة وقطع اطماع المشركين عن مظاهرته ومساعدته لهم قال ابن عباس الخطاب في الظاهر للنبي صلعم

والمراد اهل دينه اي لا تتظاهروا الكفرة والمشركين ولا توافقوهم ولا تدع مع الله الها آخر لا اله الا هو استئناف وقع تعليلا للنهي عن الاشراك
المبني لقوله ولا تدع مع الله الها آخر وكذلك كل من الجمل المذكورة كل شيء هالك الا وجهه الا اياه لان كل شيء سواه ممكن صاير الى الهلاك كاين
بين العدمين عدم السابق وعدم اللاحق وذلك لانه تعالى ليس بجسم والهلاك والعدم من خواص الاجسام وصفاتها المختصة بها اللازمة
لها ولذلك قال النبي عليه السلام اصدق قصيدة قالها العرب كلمة لبيد الا كل شيء ما خلا الله باطل وتوضيحه انا قد علمنا قطعا ويقينا ان كل ممكن
لا بد له يتوقف وجوده على موجود والا يكون واجبا بالذات والموجودات الممكنة لها ترتيب لا يتسلسل الى غير النهاية بل يرتقي الى منبع اول بعد
الاول الحق الموجود لذاته وبذاته لا باثبات الوجود من غيره ومنه وجوه الموجودات كلها على ترتيبها واطلاق الوجود عليه حقيقة وعلى كل شيء سواه
مجاز محض لان وجوده مستعار من الوجود الاول والاقوام لوجوده المستعار بنفسه بل بغيره حتى اذا اعتبر ذاته من حيث هو ذاته وهو عدم محض
ونسبة المستعار الى المستعير مجاز محض فيكون الموجود وجه الله فقط ومن ههنا ترقى العارفون بالله من حضيض المجاز الى اوج الحقيقة واستقروا بها
لفردانية المحضة فراوا بالمشاهدة العيانية ان ليس في دار الكون وحيز الوجود الا الله الواحد الموجود لان كل شيء هالك الا وجهه الله اذ لا
وابوا على ما قرناه سمعك من ان كل شيء سواه اذا اعتبر ذاته من حيث ذاته فهو عدم محض لا وجود له الا باعتبار وجه الله تعالى وقيل الا ملكه وقال
ابو العالية الا ما اريد به وجهه له الحكم القضاء النافذ في الخلق وقيل له فصل القضاء واليه ترجعون تردون في الآخرة ليجزي كل نفس منكم بما كسبت
وقرأ ابن يعمر وعيسى بن عمر ترجعون بفتح التاء والخليل يرجعون بفتح الياء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ طسم القصص كان له من الا
جر بعدد من صدق موسى وكذب به ولم يبق ملك في السموات والارض الا شهد له يوم القيمة انه كان صادقا

سورة العنكبوت مكية تسع وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الم سبق تفسيره في نظيره ووقوع الاستفهام بعده دليل استقلاله بنفسه او بما يضمر معه احسب الناس
الهمزة للانكار والمعنى به النفي وقيل التعجب وهو وهم والحسبان وهو الظن يتعلق بمضامين الجمل الثابتة عند الحاسب على وجه الظن لا اليقين ومن ثمة
اقتضى مفعولين مثل ازيد او ما يسد مسدهما كقوله ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون فان معناه احسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا فالترك اول
مفعولي حسب وغير مفتونين من تمامه ولقولهم آمنا هو الثاني كقولك حسبت خروجه لمخافة الشر وظننت ضربه للتاديب او انفسهم متروكين غير مفتونين
لقولهم آمنا بل يمتحنهم الله اي يختبرهم بمشاق التكاليف من مهاجرة الاوطان ومجاهدة الاعداء وترك الشهوات والملازمة بالفقر والقحط وانواع
المصائب في الانفس والاموال والثمرات حتى يبلو صبرهم وثبات اقدامهم وصحة عقايدهم ونصوح نياتهم ليتميز المخلص من المنافق والثابت
في الدين من المضطرب فيه والمتمكن من العابد على حرف وقيل لينالوا بالصبر عليها عوالي الدرجات فان مجرد الايمان وان كان خلوصا لا يقتضي
غير الخلاص من الخلود حد فيه لفراير الحق ان مجرد الايمان الخالص يقتضي الخلاص منه ورفع الدرجات في بعض الناس بدليل الآية الدالة على
الحاق الذرية بآبائهم في الدرجة بمجرد الايمان وهو قوله واتبعناهم ذرياتهم بايمان قالوا انكر الايمان للاشعار بانه يكفي للالحاق في الدرجة المتابعة في
اصل الايمان وقد قال النبي عليه السلام ان الله يرفع ذرية المؤمن في درجته وان كانوا دونه لتقر بهم عينه على ان ذلك ادل على جلالة الايمان الخالص
وبعد محله وابين لمزيد شرفه وعلو منزلته عند الله حيث يجمع الله لصاحبه شمله وذريته باه يخلصه من الجحيم ويدخله جنات النعيم ويرزقه نظر
الى وجهه الكريم بعدما في درجة ارفع من هذا الفضل العظيم فكن الحاكم حدوني ايها الحكيم وقال معاذ قال النبي صلى الله عليه وسلم ما من احد يشهد ان لا اله الا الله وان
محمدا رسول الله صدقا من قلبه الا حرمه الله على النار وعن عثمان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات يعلم ان لا اله الا الله دخل الجنة والاحاديث
في هذا الباب كثيرة وروي ان الآية نزلت في ناس من اصحاب رسول الله قد جزعوا من اذى المشركين وقال ابن جريج نزلت في عمار بن ياسر كان
يعذب في الله تعالى وقال الشعبي في ناس اسلموا بمكة فكتب اليهم المهاجرون لا يقبل منكم اسلامكم حتى تهاجروا فخرجوا عامدين الى المدينة فتبعهم
المشركون فردوهم فلما نزلت كتبوا بها اليهم فخرجوا فاتبعهم المشركون فقاتلوهم فمنهم من قتل ومنهم من نجا وقال مقاتل في مهجع بن عبد الله مولى عمر بن
الخطاب رضي الله عنه وهو اول قتيل من المسلمين يوم بدر رماه عامر بن الحضرمي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الشهداء مهجع
وهو اول من يدعى الى باب الجنة من هذه الامة فجزع عليه ابواه وامراته وقيل وهم لا يفتنون بالاوامر والنواهي وذلك انهم امرهم الله
في الابتداء بمجرد الايمان ثم فرض عليهم الصلوة والزكوة وساير الشرايع شق ذلك على بعضهم فانزل الله هذه الآية ثم عزاهم بقوله ولقد فتنا

الذين

مطلب احوال انبياء عليهم السلام

الذين من قبلهم متصل باحسب او بلا يفتنون كقولك الا يمتحن فلان وقد امتحن من هو خير منه يعني الانبياء والمؤمنين قبلهم فقد اصابهم من الفتن والمحن والشدايد
مثل ما اصابهم او ما هو اشق منه فصبروا ولم يجزعوا كما قال وكاين من نبي قاتل معه ربيون كثير الآية فمنهم من نشر بالمنشار كزكريا عليه السلام ومنهم من
ذبح واحرق كجرجيس عليه السلام وروي ايضا ان قوما مشطوا ابدانه بامشاط الحديد وادخلوا مسامير محماة في راسه وادخلوه في تابوت من
حديد واحرقوا النار عليه وقتلوا من آمن معه وهم اربعون بعد وقتلوا الفا بانواع العذاب من مشط ابدانهم بامشاط الحديد ونشر بالمناشير
ولقد احرق ذو نواس اليهودي اثنى عشر الفا في الاخاديد او سبعين الفا من المسلمين ممن كانوا على دين عيسى عليه السلام وكان نبينا صلعم
اذا ذكر اصحاب الاخدود تعوذ بالله من جهد البلاء وروي ان الاسكندر الرومي الثاني ملكه ملك الدنيا ضرب على قرنه الايمن في طاعة
الله فمات ثم بعثه الله فضرب على قرنه الايسر فبعثه الله فاحياه فلذلك سمي ذا القرنين وبالجملة فقد وردت هذه الآيات بل السورة تثبيت
المسلمين وتصبيرهم على اذى اهل مكة وتذكيرهم باحوال من تقدمهم من الصالحين كنوح وابراهيم ولوط وشعيب وموسى وغيرهم ويصبرهم
من اولي الجد والثبات والصبر والذين امنوا معهم مما قاسوا من الكفار وجرى عليهم من التعذيب على الايمان والحاق انواع الاذى وصبرهم على اشق
المصايب والفتن حتى يقتدوا بهم ويصبروا على ما كانوا يلقون من قريش وغيرهم ويستيقنوا لان كفارهم عند الله مثل اولئك الكفار المحرقين المعذبين
لانبيائهم والمؤمنين او شر منهم كما قال تعالى اكفاركم خير من اولئكم يريد ان كفاركم مثل اولئك الكفار المعدودين بل اشر منهم فليعلمن الله الذين صدقوا
وليعلمن الكاذبين فليعلمن الله بالامتحان الصادق في الايمان والكاذب فيه فان قلت كيف ذلك وهو عالم بالاشياء كلها قبل وجودها وبعده لا يخفى
عليه شيء في الارض ولا في السماء من الجزئيات والكليات لان الخفاء والجهل نقص والله تعالى كامل في ذاته وجميع صفاته ازلا وابدا جل وعز ان يحوم حول
سرادقات قدسه شائبة نقصان وهذا مما اجمع عليه اهل الحق من الانبياء والمرسلين والعلماء وغيرهم قيل فيه وجوه احدها ان يكون من قبيل حذف
المضاف وهو الرسول كقوله واسال القرية التي كنا فيها اي فليعلمن رسول الله الذين صدقوا والثاني ان العلم مجاز عن الاظهار كانه قيل فليظهرن الله
الصادقين في الايمان من الكاذبين فيه وقال مقاتل فليرين الله وقيل فليميزن الله الصادق من الكاذب ويجوز ان يكون وعدا ووعيدا كانه قال
فليثيبن الصادقين وليعاقبن الكاذبين وقرا علي والزهري فليعلمن من الاعلام فليعرفنهم الله الناس منهم او فليسمنهم بسمة يعرفون بها يوم
القيمة كبياض الوجوه وسوادها ام حسب الذين يعملون السيئات الكفر والمعاصي لان العمل يعم افعال القلوب والجوارح ان يسبقونا ان يفوتونا فلا
نقدر ان نجازيهم على سيئاتهم وهيهات وهيهات لما يتقدرون ويحدثونه نفوسهم من الفوت اذ لا يسبق قضاءنا سابق ولا يفوتنا هارب وام منقطعة
ومعنى الهمزة فيها الانكار والحسبان يعني ما كان ينبغي ان يحسبوا ومعنى الاضراب فيها ان هذا الحسبان ابطل من الحسبان الاول لان ذاك يقدر انه لا يمتحن لا
يمانه وهذا يظن انه لا يجازي بمساويه وذنوبه ولذلك عقبه بقوله ساء ما يحكمون اي بئس الذي يحكمونه حكمهم هذا او بئس حكما يحكمون حكمهم على ان
فاعل ساء مضمر مميز بنكرة منصوبة فيكون من باب اخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر حيث وضع المضمر كقولهم بئس رجلا مكان بئس الرجل فحذف
المخصوص بالذم واذا قلنا التقدير حكمهم ساء حكما لا يكون من اخراج الكلام على خلاف المقتضى الظاهر لاحتمال ان يكون الضمير راجعا الى المخصوص
وهو مقدم تقديرا فاستعمل ساء استعمال بئس الذي وضع للذم العام ويدخل على اسمين مرفوعين سمي اولهما فاعلا والثاني المخصوص
بالذم ووضع الفاعل ههنا معرفا بالموصولية اظل قول من قال ان حق الفاعل في افعال المدح والذم التعريف بلام الجنس ومن حق المخصوص
ان يجانس الفاعل لان المخصوص في المعنى تفسير للفاعل فيجب التجانس والتطابق بين التفسير والمفسر والا كان منه بمنزلة الاروي من
النعام من كان يرجو لقاء الله الرجاء يجيء بمعنى الامل وهو طلب المنفعة الواصلة الى الامل وبمعنى الخوف وهو طلب المضرة الواصلة الى الخايف و
اللقاء بمعنى الرؤية عندنا اي من كان يامل رؤية الله في الآخرة وحمله ابن عباس ومقاتل على البعث والحساب فانهما قالا اي من كان يخشى البعث
والحساب والخشية هو الخوف وسعيد بن جبير وجميع المعتزلة على ثواب الله هذا هو المشهور وقيل المراد بلقاء الله الوصول الى ثوابه او الى العاقبة من
الموت والبعث والحساب والجزاء على تمثيل حاله بحال عبد قدم على سيده بعد زمان مديد وقد اطلع سيده على احواله فاما ان يلقاه ببشر وترحيب
لما رضي من افعاله او بسخط لما سخط منها فان اجل الله لآت فان الوقت المضروب للقايه لجاء واذا كان وقت اللقاء آتيا كان كاينا لا محالة فا
ليبادر بالعمل الصالح الذي يحقق امله ويصدق رجاءه ويستوجب له القربة والرضى ويجوز ان يستعار اللقاء للعلم المحقق المشابه للرؤية وهذا

كان اللقاء

الیس بعید عن السداد وقیل قال مقاتل یعنی فان یوم القیمة لکاین والمعنی ان من یخشی الله ویامل فلیستعد له ولیعمل لذلک الیوم کما قال فمن کان یرجو لقاء ربه
فلیعمل عملا صالحا وهو السمیع لاقوال العباد العلیم باعمالهم ظاهرة کانت او باطنة فهو الحقیق بالتقوی والخشیة ومن جاهد فانما یجاهد لنفسه والجهاد معا
بلة التخصص عدوه فی تحمل الجهد او بذل کل واحد منهما جهده وطاقته فی دفع الاخر ثم غلب فی الاسلام علی قتال الکفار ونحوه اذا تقرر هذا فنقول
یجوز ان یکون المعنی ومن قاتل الکفار لاعلاء کلمة الله واعزاز الدین ونفسه بنهیها عن الهوی او بالصبر علی تجرع الغصص وتحمل مفارقة الاوطان
والاموال والعشایر فی طاعة الله وان یراد بالجهاد الخبر وان یراد احد المعنیین السابقین کانه قیل ومن قاتل عدوه وهو الشیطان او الکافر او نفسه فی تحمل مشاق
التکالیف او بذل جهده فی دفعه عنه فانما یجاهد لنفسه لان منفعة جهاده راجعة الیها ان الله لغنی عن العالمین فلا حاجة الی جهادهم وطاعتهم
وانما کلف عباده بالاوامر والنواهی رحمة لهم ورفعة لدرجاتهم والذین امنوا وعملوا الصالحات جمعوا بین الایمان والعمل الصالح وثبتوا ودا[illegible]
علی ذلک لنکفرن عنهم سیئاتهم ای لنسترن ذنوبهم ولنمحونها بقال کفره وکفّره اذا ستره ومنه الحدیث فی ذکر الجهاد ذلک یکفر عنه خطایاه یعنی هل
یکفر القتل فی سبیل الله ذنوبه وقال نعم الا الدین ای الا ذنب الدین وعُدّی بعن لتضمنه معنی العفو والتجاوز وقیل لنبطلنها حتی یصیر بمنزلة
من لم یعمل والتکفیر اذهاب السیئة بالحسنة وقیل اما ان یرید قوما مسلمین صالحین قد اساؤا فی بعض اعمالهم وسیئاتهم مغمورة بحسناتهم فهو یکفر
ها عنهم ای یسقط عقابها بثواب الحسنات ویجزیهم احسن جزاء اعمالهم واما قوما مشرکین امنوا وعملوا الصالحات فالله تعالی یکفر سیئاتهم بان
یسقط عقاب ما تقدم لهم من الکفر والمعاصی ویجزیهم احسن جزاء اعمالهم فی الاسلام ولنجزینهم احسن الذی کانوا یعملونه ولنجزینهم اجرهم باحسن
اعمالهم ای ولنعطینهم اکثر مما عملوا واحسن کما قال من جاء بالحسنة فله عشر امثالها واضافة الاحسن الی الذی کانوا یعملونه لیس اضافة
افعل للجملة التی یفضل علیها بل من اضافة الشیء الی ما هو بعضه من غیر تفضیل کقولهم الناقص والاشج اعدلا بنی مروان واما التفضیل فاشعار
ونوادبات الحسن الذی یعملونه هو عند الله الحسن لغرط اخلاصهم وحسن فیه فلذلک ذکر حسنهم بالاحسن ووصینا الانسان بوالدیه حسنا
ای وامرنا الانسان بان یاتی والدیه حسنا ویاتی الیهما حسنا ای فعلا ذا حسن او ما هو فی ذاته حسن لفرط حسنه فان وصی حکمه حکم امر فی معناه وتصرفه
یقال وصیت زیدا بان یفعل خیرا کما تقول امرته بان یفعل خیرا ومنه بیت الاصلاح وذبیانیة وصت بنیها بان کذب القراطف والقروف
کالو قال امرتهم بان ینتهبوها ومنه قوله ووصی بها ابراهیم بنیه ای وامرهم بکلمة التوحید وقیل هو بمعنی قال ای وقلنا للانسان احسن بوالدیک
حسنا ویجوز ان یکون حسنا منصوبا بفعل مضمر علی تقدیر قول مفسر للتوصیة ای وقلنا اولهما او افعل بهما حسنا وهو اوفق بما بعده وعلی هذا
التفسیر ان وقف علی بوالدیه وابتداء حسنا حسن الوقف وقرئ حسنا واحسانا وان جاهداک لتشرک بی ما لیس لک به علم محمول علی اضمار القول
بتفسیر الاول ای وقلنا ان جاهداک ایها الانسان لتشرک بی ما لا علم لک بالهیته واراد بنفی العلم نفیها کانه قال لتشرک بی شیئا لا یمکن
ولا یتصور ان یکون الها لان الالهیة یوجب الاقتدار علی المقدورات کلها والاحاطة بالمعلومات باسرها والانعام علی المخلوقات بمن
آزرها والاحسان الیها وقیل عبر عن نفیها بنفی العلم بها اشعارا بان ما لا یعلم صحته لا یجوز اتباعه وان لم یعلم بطلانه فضلا عما علم بطلانه
وعبر عن الاصنام بما لانهم تحقیر الها واستضعافا لشانها فلا تطعهما فی الاشراک بی لانه لا طاعة لمخلوق فی معصیة الخالق ثم اوعد بان
مصیر الکل الیه بقوله الی مرجعکم ای الی جزاء حسب ای الیه فقال التی مرجعکم ای مرجع من آمن منکم ومن اشرک ومن بر بوالدیه ومن عق فانبئکم بما کنتم تعملون
فاخبرکم بصالح اعمالکم وسیئها فاجازیکم علیها حق جزایکم وقد الخلیل فانبئکم من الانباء وروی ان سعد بن ابی وقاص الزهری حین
اسلم قالت امه حمنة بنت ابی سفیان بن امیة بن عبد شمس یا سعد بلغنی انک قد صبأت فوالله لا یظلنی سقف بیت من الضح والریح
وان الطعام والشراب علی حرام حتی تکفر بمحمد وکان احب ولدها الیها فابی سعد ولبثت ثلثة ایام کذلک فجاء سعد الی رسول الله صلی
الله علیه وسلم وشکا الیه فنزلت هذه الایة والتی فی لقمان والتی فی الاحقاف فامره رسول الله ان یداریها ویرضیها بالاحسان
وفی روایة فجاء سعد الیها وقال یا اماه لو کانت لک مائة نفس فخرجت نفسا نفسا ما ترکت دینی فکلی ان شئت او لا تاکلی فلما ایست منه
اکلت وشربت وروی نزلت فی عیاش بن ابی ربیعة المخزومی وذلک انه هاجر مع عمر بن الخطاب متوافقین حتی نزلا المدینة فخرج ابو جهل
بن هشام والحرث بن هشام اخواه لامه اسماء بنت مخرمة امراة من بنی تمیم من بنی حنظلة فنزلا بعیاش وقالا له ان من دین محمد صلة الارحام

واحتمال البلایا وحو

القواطف جمع القرطف وهو الکسا الغلیظ

والقروف جمع غرف وهو وعاء یجعل فیه الخلوق فی السفر

٢٩

وبر الوالدین وقد ترکت امک لا تطعم ولا تشرب ولا تاوی بیتا حتی تراک وهی اشد حبا لک منا فاخرج معنا وفتلا منه فی الذروة والغارب فاستشار
عمر فقال هما یخدعانک ولک علی ان اقسم مالی بینی وبینک فما زالا به حتی اطاعهما وعصی عمر فقال عمر اما اذا عصیتنی فخذ ناقتی فلیس فی الدنیا بعیر
یلحقها فان رابک منهما ریب فارجع فلما انتهوا الی البیداء قال ابو جهل ان ناقتی قد کلت فاحملنی معک قال نعم فنزل لیوطئ لنفسه وله
فاخذاه وشداه وثاقا وجلده کل واحد منهما مائة جلدة وذهبا به الی امه فقالت لا تزال فی عذاب حتی ترجع عن دین محمد فنزلت والذین وعملوا
ثبتوا علی الایمان والعمل الصالح لندخلنهم فی الصالحین فی جملتهم والکمال فی الصلاح من ابلغ صفات المؤمن ومنتهی درجات النفس یتمنی و
متمنی انبیاء الله المرسلین قال الله تعالی حکایة عن یوسف الصدیق توفنی مسلما والحقنی بالصالحین وعن سلیمان وادخلنی برحمتک فی عبادک الصالحین
او فی مدخلهم وهی الجنة وهذا قوله ومن یطع الله والرسول فاولئک مع الذین انعم الله علیهم من النبیین الایة ومن الناس
من یقول امنا بالله فاذا اوذی فی الله هم ناس امنوا بالسنتهم فاذا مسهم الکفار فی الایمان بالله والاجل من التعذیب جعل فتنة الناس
ما مسهم من اذیتهم فی الصرف عن الایمان کعذاب الله فی الصرف عن الکفر وقال السدی وابن زید هو المنافق اذا اوذی فی الله رجع عن الدین
وکفر وقال الاخرون هم قوم ضعف ایمانهم فارتدوا من اذی المشرکین ولئن جاء نصر من ربک فتح وغنیمة لیقولن انا کنا معکم ای مشایعین
لکم فی دینکم ثابتین علیه ثباتکم ما قدرنا ان نحتنا فاعطونا نصیبا من المغنم واشرکونا فیه او لیس الله باعلم بما فی صدور العالمین من الایمان و
النفاق والهمزة للانکار ادخلت علی کلمة النفی لیفید ثبات اعلمیته وتقریرها وانه لا یخفی علیه شیء مما فی صدور العالمین کما لا یخفی علی سائر الا
شیاء والواو للعطف والمعطوف علیه مذکور وهو ما تقدم من الجملة او محذوف کانه قیل اکذبوا ونافقوا ولیس الله باعلم بما فیها ای ما کان
ینبغی ان یکذبوا ولم یکذبوا ان الله اعلم بما فی صدورهم من التصدیق والاخلاص والتکذیب والنفاق وهذا اطلاع من الله للمؤمنین علی ما ابطنوا
من التکذیب والنفاق ثم کرر الوعد والوعید بقوله ولیعلمن الله الذین امنوا اخلصوا فی الایمان ولیعلمن المنافقین الذین مردوا علی النفاق
فیجازی الفریقین وتکریر العلم فی معنی تکریر الوعید وکثیرا ما یجیء بعد الکلام نحو ولقد ارسلنا نوحا کما تری فی معنی الوعید علی الکفر والتکذیب وقیل و
لیعلمن الذین صدقوا فثبتوا علی الاسلام عند البلاء ولیعلمن المنافقین بترک الاسلام عند البلاء واختلف فی سبب نزول هذه الایة فقال
ابن عباس وعکرمة نزلت فی الذین اخرجهم المشرکون معهم الی بدر وهم الذین نزلت فیهم ان الذین توفیهم الملائکة ظالمی انفسهم وقال قتادة نزلت
فی القوم الذین ردهم المشرکون الی مکة وقال مجاهد فی اناس کانوا یؤمنون بالسنتهم فاذا اصابهم بلاء من الناس او مصیبة فی انفسهم افتتنوا و
قال الشعبی هذه الایات العشر من اول السورة الی هاهنا مدنیة وباقی السورة مکیة وقال الذین کفروا اغلوا فی الکفر وصمموا علیه للذین امنوا اتبعوا
سبیلنا طریقتنا التی نسلکها فی دیننا او دیننا وملة ابائنا ولنحمل خطایاکم ان کان ذلک خطیئة او ان کان بعث ومؤاخذة امروا انفسهم بحمل
خطایاهم عاطفین علی الامر باتباع سبیلهم مبالغة فی تعلیق الحمل بالاتباع والوعد بتخفیف الاوزار عنهم ان کان ثم تشجیعا لهم علیه قال الکلبی
ومقاتل قال هذا القول ابو سفیان لمن امن من قریش وقال مجاهد هذا من قول کفار مکة لمن امن منهم وقال الزمخشری هذا قول صنادید
قریش کانوا یقولون لمن امن منهم لا نبعث نحن ولا انتم فان عسی کان ذلک فانا نتحمل عنکم الاثم ثم قال وتری المنتمین بالاسلام من ستنی
فاولئک یقول لصاحبه اذا اراد ان یشجعه علی ارتکاب بعض العظایم افعل هذا واثمه فی عنقی وکم من مغرور یتحمل هذا الضمان من ضعفة العامة و
جهلتهم ومنه ما یحکی ان ابا جعفر المنصور رفع الیه بعض اهل الحشو حوایجه فلما قضاها قال یا امیر المؤمنین بقیت الحاجة العظمی قال وما هی قال شفاعتک یوم
القیمة فقال له عمرو بن عبید ایاک وهؤلاء فانهم قطاع الطریق فی المامن قلت انه کلام عمرو لا یخلو من المیل الی مذهب الاعتزال فان حدیث
الشفاعة مما لا یلیق الی المعتزلة وانا حسن المنصور انکار الشفاعة یوم القیمة وتعلیمه لا عدم اعتقادها ونفی ثبوتها وصحتها حتی یجعل من یعتقد
ها قطاع الطریق فقطع دابر الذین کذبوا والحمد لله رب العالمین وقرا عیسی بن عمر ولنحمل بکسر اللام وقال وهی لغة اهل الحجاز وقرا عبید بن عمیر
خطایاکم بکسر اللام وما هم بحاملین من خطایاهم من شیء انهم لکاذبون هذا رد علیهم وتکذیب لهم فیما قالوا من حمل خطایاهم ومن الاولی بیانیة
والثانیة مزیدة لتاکید النفی ویقدر وما هم بحاملین شیئا من خطایاهم وسماهم کاذبین لانهم ضمنوا شیئا لا طریق لهم الی الوفاء به وکان ضمانهم عنده
علی خلاف ما علیه القوة شبه حالهم بالکاذبین الذین یعدون الشیء وقلوبهم علی خلافه وقرا داود بن ابی هند من خطاهم من شیء بالهمزة والتو

القالمان

معدود ر

تا ضعفة العامة

حیب

وليحملن اثقالهم اثقال ما اجترحته انفسهم اي اوزارا اثقالهم التي اكتسبتها انفسهم او اثقال انفسهم واثقالا مع اثقالهم واثقالا اخر معها غير الخطايا
التي ضمنوا للمؤمنين حملها وهي اثقال الذين كانوا سببا في ضلالهم وتنكيرها قصدا الى التبعيض لان المراد بعض اثقال من ضل بضلالهم وهو ثقل الدلالة
ضلال وقد صرح بذلك التبعيض في قوله ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم وهو نظير ما نحن بصدده ويمن
بمنزلة البيان والتفسير له وليسألن يوم القيمة سؤال تقريع وتبكيت عما كانوا يفترونه يختلقونه من الاكاذيب والاباطيل التي اضلوا بها ولقد
ارسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما بعد البعث اذ روي ابن عباس ان نوحا بعث بعد اربعين ولبث في قومه يدعوهم
تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان ستين سنة حتى كثر الناس وفشوا فكان عمره الفا وخمسين وقال مقاتل بعث وهو ابن مائة سنة وقيل ابن
مائتين وخمسين سنة وكان عمره الف واربعمائة وخمسين سنة تنصيصا على كمال العدد لانه قد يطلق على ما يقرب منه ولما ذكر لفظ من تخييل الالف
طول المدة الى السامع وان المقصود من القصة بيان ما ابتلي به نوح من امته وما كابد من تلك المكابدة تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم واختلاف
المميزين للافتنان مع ما في التكرير من البشاعة فاخذهم الطوفان الماء فوق الطوفان ما طاف واحاط بكثرة من سيل او ظلام ليل قال
قال العجاج وغم طوفان الظلام الاثباجا وهم ظالمون اي كافرون فانجيناه اي نوحا واصحاب السفينة ومن ركب معه فيها من اهله واتباعه قال
مقاتل كانوا ثمانية وسبعين نصفهم نساء منهم اولاد نوح سام وحام ويافث ونساؤهم وقال ابن عباس كان في سفينة نوح ثمانون رجلا
احدهم جرهم وعن محمد بن اسحق كانوا عشرة خمسة رجال وخمسة نساء وعنه ايضا كانوا عشرة سوى نسائهم وقد روي عن النبي صلى الله عليه
وسلم كانوا ثمانية نوح واهله وبنوه الثلثة ونساؤهم وجعلناها اي السفينة او الحادثة او القصة آية للعالمين عبرة بينة يعتبرون بها وحجة
نيرة يستدلون بها على باهر قدرته على الانتقام من الكافرين وبليغ رحمته وتفضله على المؤمنين وابراهيم عطف على نوحا او نصب باضمار اذكر
وقرأ النخعي وابو حنيفة وابراهيم بالرفع على تقدير ومن المرسلين ابراهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه اذ بدل من ابراهيم بدل الاشتمال لان الاحيان
مشتملة على ما فيها او بدل الكل لان المراد بابراهيم قصته او ظرف لارسلنا اي ارسلناه حين كمل عقله وتم نظره لانه يعظ قومه ويعرض عليهم الحق
ويامرهم بالعبادة والتوحيد والتقوى ذلكم اشارة الى ما ذكر من العبادة والتقوى خير لكم مما انتم عليه ان كنتم تعلمون ان كان فيكم علم تميزون به ما هو
خير لكم مما هو شر لكم وانكم تنظرون في الامور نظر العلم دون نظر الجهل او ان كنتم تعلمون شيئا فهذا اولى ما تعلمون او ان كنتم ما تعلمون ما هو خير لكم
فهو هذا وان كان يرجى منكم نفعكم هذا القول والا لم ينفع انما تعبدون من دون الله اوثانا جمع وثن وهو صنم ينحت من خشب او حجر او فضة او ذهب
او جوهر ونحو ذلك وتنكيرها قصدا الى زيد كذا بشانها انها صور وتماثيل لا تنفع ولا تضر شيئا وتخلقون افكا وتكذبون كذبا في تسميتها آلهة وشركاء
لله وشفعاء اليه او تعملونها وتنحتونها للافك وهو نداء واعلام بركاكة عقولهم وسماجة صورة امرهم واطلاع على قباحة فعلهم وتورطهم في الخطاء
العظيم الذي هو اوقعهم امر العقل واستخواهم فضيحة التمييز وتسجيل عليهم بالغباوة التي ليس بعدها وان حزمهم الشيطان بحزامه كلها
اثروا عبادة الاصنام التي لا عجز ابين من عجزها يستحيل منها ان تقدر على شيء ووصفوها بالالهية التي يقتضي الاقتدار على المقدورات كلها
والاحاطة بالمعلومات عن آخرها وقرئ تخلقون من خلق للتكثير وتخلقون من تخلق بمعنى تكذب وتخرص وقرئ افكا على انه
مصدر مثل كذب او افك مخفف منه او نعت بمعنى خلقا افكا اي ذا افك وباطل ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا قيل قوله
انما تعبدون الى افكا استدلال على شرارة ما هم عليه من حيث انه زور وباطل وهذا دليل ثان على شرارة ذلك من حيث انه لا يجدي بطائل ورزقا
بمعنى المرزوق كضرب الامير او المصدر وتنكيره للتقليل لا للتعميم كما توهم والمعنى لا يقدرون ان يرزقوكم شيئا قليلا يطلق عليه الرزق فابتغوا
فاطلبوا عند الله الرزق كله فانه هو الرزاق لا يرزق غيره واعبدوه واشكروا له واجمعوا بين عبادته وشكره على نعمته او توسلوا الى زيادة
الرزق فان العابد الشاكر يرزقه الله بغير حساب او استعدوا للقائه بهما فانه اليه ترجعون فيجازيكم عليها احسن جزائكم وقرئ بفتح التاء
وان تكذبوا جزاء الشرط محذوف وليس جزاؤه قوله وقد كذب امم من قبلكم لان تكذيب الامم سابق على تكذيبهم بل هو علة معنى مقام
المعنى ان تكذبوني فلا تضروني بتكذيبكم فان الرسل قد كذبتهم اممهم قبلكم او فان الامم قبلكم قد كذبوا رسلهم ولم يضرهم تكذيبهم وانما ضرهم
حيث تسبب لما حل بهم من العذاب وما على الرسول الا البلاغ المبين الا التبليغ الموضح لما كلفكم الله به من ان تعبدوه وحده وتتقوه

وتشكروه فاذا بلغ فقد خرج من عهدة ما كلف به او التبليغ الواضح الذي زال معه الشك فان ما يكون مقرونا بآيات الله ومعجزاته وما عليه ان يصدق
ولا يكذب وهذه الآية مع ما بعدها الى قوله فما كان جواب قومه اما من جملة قول ابراهيم لقومه واما اعتراض في شان النبي صلعم وقريش وقع بين اول
قصة ابراهيم وآخرها واذا كانت من مقول ابراهيم لقومه فالمراد بالامم قوم شيث وادريس ونوح وغيرهم وكفى بقوم نوح امة في معنى الجمع مكذبة
وعاش ادريس في قومه الف سنة حتى رفع الى السماء وآمن به الف انسان على عدد سنيه واعقابهم على التكذيب واذا كانت معترضة يكون المقصود تسلية
رسول الله صلعم والتنفيس عنه بان اباه خليل الله كان ممنوا بنحو ما مني به من شرك القوم وتكذيبهم وتشبيه حاله فيهم بحال ابراهيم في قومه وهدم الشرك
وقواعده والوعيد على اهله بيان ان فتل الالله وعلو شانه وكبرياء سلطانه وبرهانه اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ينشيهم ابتداء نطفة ثم علقة
ثم مضغة وينشئ بعض خلقه من غير مادة كالجوهرة التي هي اصل الارض والسموات والجبال والاعيان وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر وخلف اولم تروا
بتاء الخطاب بناء على الخطابات المتقدمة والباقون بالياء التفاتا من الخطاب الى الغيبة وقرئ ايبدئ ثم يعيده في الآخرة عند البعث وهو اخبار بالا
عادة بعد الموت ليس بمعطوف على يبدئ لان الرؤية غير واقعة عليه وانما هو معطوف على جملة اولم يروا وجوز ان يؤول الاعادة بان ينشئ
في كل سنة مثل ما كان في السنة السابقة من النبات والثمار ونحوها ويعطف على يبدئ ان ذلك اشارة الى الاعادة والما ذكر من الامرين على الله
يسير لعدم احتياجه في فعله الى شيء وتقديم الظرف للاختصاص قل سيروا في الارض حكاية كلام الله حكاه ابراهيم لقومه كما يحكي نبينا صلعم الكلام على
هذا النهج في اكثر القران وقيل حكاية كلام الله لابراهيم الخليل عليه السلام فانظروا كيف بدأ الخلق انشاهم واخرجهم من العدم الى الوجود على
اختلاف الاجناس والاحوال وانظروا بعين العلم والفكر ثم الله ينشئ النشأة الآخرة بعد النشأة الاولى التي هي الابداء فانه والاعادة نشأتان
من حيث ان كلا منهما انشاء اي ابتداء واختراع واخراج من العدم الى الوجود والافصاح باسم الله مع ايقاعه مبتدأ بعد اضماره في قوله بدأ الخلق وكان
القياس ان يقال بدأ الله الخلق ثم ينشئ للدلالة على ان المقصود بيان اختصاصه بالقدرة على الاعادة وان عرف اختصاصه بالقدرة على الابداء يجب عليه ان يحكم
بالاختصاص بالقدرة على الاعادة لانها انشاء مثل الابداء والمعنى ثم لا يقدر على انشاء النشأة الآخرة الا الله وحده وتقديم اسم مبتدا مبنيا
عليه ينشئ هو الدال على معنى الاختصاص بالانشاء ولو قيل كما هو القياس لم يدل على الاختصاص فانشئ كما يظهر بادنى تامل والكلام في العطف
كما في قوله ثم يعيده وقرأ ابن كثير وابو عمرو النشاءة بفتح الشين ومدها والباقون بسكونها وبهمزة مفتوحة بعدها وهما لغتان كالرأفة
والرآفة ان الله على كل شيء قدير على كل الممكنات لان المقدرة ذاتية والمقتضي للمقدورية هو الامكان اذ الوجوب والامتناع الذاتيين يحيلان
المقدورية ونسبة ذاته الى جميع الممكنات سواء فاذا كان قادرا على بعضها كان قادرا على كلها فيقدر على النشأة الاخرى كما قدر على النشأة
الاولى وفيه تكذيب ورد على فرق الضلال والطغيان من الفلاسفة القائلين بانه لا يقدر على اكثر من واحد والمستدلين باصلهم الفاسد المؤتفي
والثنوية القائلين بانه لا يقدر على الشر والكان خيرا اشد براءة من ثمة اثبتوا الهين والجبائية القائلين بانه لا يقدر على عين فعل العبد والنظامية
القائلين بانه لا يقدر على خلق الجهل والقبيح والبلخية القائلين بانه لا يقدر على مثل مقدور العبد سبحانه وتعالى عن جميع ما يقول الظالمون
علوا كبيرا وقد ذهل هؤلاء الضلال عن ان عدم القدرة على شيء عجز ونقص وهو نقص واحتياج وهما منافيان للالهية الموجبة للقدرة الشاملة
الكاملة والاستغناء عن العالمين ثم قرر عموم قدرته وشمولها بقوله يعذب من يشاء ويرحم من يشاء لانه ما من شيء سواه الا وهو معذب او مرحوم برحمته
التي وسعت كل شيء واليه تقلبون اي ترجعون وترددون اليه لا الى غيره وما انتم بمعجزين بفائتين ما قضى وقدر عليكم من المصائب والفتن والمحن
في الارض ولا في السماء اي ان هربتم من قضائه بالتواري في الارض الفسيحة والهبوط في مهاويها او عماقها والتحصن في السماء التي هي افسح منها وابعد
والبروج والقلاع الذاهبة فيها كقوله ولو كنتم في بروج مشيدة وقيل ولا من في السماء كقول حسان امن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء
ومن يصحبه وما لكم من دون الله من ولي متولي يتولى اموركم ويدبرها ويجريها على حسب ما يصلحكم ولا نصير ينصركم ويدفع عذابا يظلل من الارض
او ينزل من السماء ويدفعه عنكم والذين كفروا بآيات الله بدلائل وحدانيته وكتبه ومعجزاته ولقائه بالبعث والجزاء اولئك
يئسوا من رحمتي اي ييأسون منها يوم القيمة فعبر عنه بالماضي اشعارا بتحقق يأسهم وثبوته وانه كائن لا محالة واقع منهم البتة لان الفعل الماضي يدل الفعل
على وجود الفعل وكونه مقطوعا او يئسوا في الدنيا لانكار البعث والجزاء واولئك لهم عذاب نوع من العقاب اليم بليغ الم بحيث لا يكتنه كنهه ولا يقادر قدره

ولا يحيط به الوصف جزاء كفرهم وعن قتادة ان الله ذم قوما هانوا عليه فقال اولئك يئسوا من رحمتي وقال انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون
فينبغي للمؤمن ان لا ييأس من روح الله ولا من رحمته وان لا يأمن من عذابه وعقابه صفة المؤمن ان يكون راجيا لله خائفا فما كان جواب قومه ابراهيم لم قرئ
بالرفع على انه الاسم وخبره الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه اي قال بعضهم لبعض او قاله واحد منهم وكان الباقون راضين بقوله فكان كلهم في حكم القائلين
فانجاه الله من النار اي فلما القوه في النار انجاه الله منها بان جعلها عليه بردا وسلاما ودفع عنه اذى حرها كما يفعل بخزنة جهنم وبالسمندل وهكذا
يفعل بالمؤمنين كما نطق به الحديث روي انه لم ينتفع بالنار يومئذ التي القي ابراهيم فيها ولذلك لذهاب حرها وقال عمنها ابن عمرو قال ابراهيم ما كنت ايام قط
انعم من الايام التي كنت في النار قالوا وكان ابراهيم في ذلك الموضع سبعة ايام وقال كعب ما احرقت النار من ابراهيم الا وثاقه ان في ذلك
في انجائه منها لآيات هي حفظه من اذى النار واخمادها مع عظمها في زمان يسير وانشاء روض مكانها لقوم يؤمنون يصدقون بجميع ما جاء من عند الله
لانهم منتفعون بالفحص عنها والتأمل فيها وقال انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم في الحيوة الدنيا قرأ نافع وابن عامر وابو بكر وخلف وابو جعفر مودة
منصوبة ناصبة بينكم وحمزة وحفص وروح مودة بينكم بالنصب والاضافة وابن كثير وابو عمرو والكسائي ورويس مودة بينكم والجملة صفة اوثانا او خبر ان على
ان ما مصدرية او موصولة والعائد محذوف وهو مفعول الاول والنصب على الوجهين الاولين اما على انها مفعول له اي لتتوادوا بينكم وتتواصلوا
لاجتماعكم على عبادتها واتفاقكم عليها وثاني مفعولي اتخذتم اوثانا آلهة او مفعول ثان بتقدير مضاف اي اتخذتم اوثانا بسبب المودة بينكم او بتأويلها
بالمودودة اي اتخذتموها مودودة بينكم كقوله انداداً يحبونهم كحب الله وقرئ مودة بينكم بالرفع وترك التنوين ونصب بينكم على ارادة
الاضافة وحمل الظرف على غالب احواله كما قرئ لقد تقطع بينكم ففتح وهو فاعل وقرأ ابن مسعود اوثانا انما مودة بينكم وقرأ الحسن وجماعة مودة
بينكم بالرفع والتنوين ونصب بينكم ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا يقوم يوم القيمة بينكم التلاعن والتباغض او بينكم وبين الاصنام
على تغليب المخاطبين كقوله ويكونون عليهم ضدا ومأواكم النار اي منزلكم الذي تأوون اليه ابد الآبدين وما لكم من ناصرين يخلصونكم منها
فامن له لوط هو ابن اخيه واول من امن به وصدقه وقيل انه امن به حين رأى النار لم تحرقه وقال اني مهاجر مفارق من وطني وقومي الى ربي
الى حيث امرني ربي بالهجرة اليه قالوا هاجرون وهي من كوثي سواد الكوفة الى حران ثم منها الى فلسطين ولذلك قالوا لكل نبي هجرة ولابراهيم هجرتان
وكان معه في هجرته لوط وامرأته سارة ابنة عمه وهاجر وهو ابن خمس وسبعين سنة ونزل لوط سدوم انه هو العزيز الذي يمنعني من اعدائي
الحكيم الذي لا يأمرني الا بما فيه صلاحي ووهبنا له اسحق ويعقوب ولدا ونافلة حين هاجر قومه وآيس عن الولادة من عجوز عاقر ولذلك
لم يذكر اسمعيل وجعلنا في ذريته النبوة وصيرنا في اولاده النبوة او خلفنا في ذريته اصحاب النبوة وهم الانبياء الا في غيرهم ومن ثم قيل
ان الله تعالى لم يبعث نبيا بعد ابراهيم الا من نسله والكتاب يريد جنس الكتاب ليتناول التورية والزبور والانجيل والقرآن وآتيناه اجره
على هجرته الينا في الدنيا بالثناء والحسن والصلوة عليه آخر الدهر وانبياء الولد في غير اوانه والذرية الطيبة واستمرار النبوة فيهم وان يتولاه اهل الملل
كلهم ويحبونه وادراك مكانه في الجنة وانه في الآخرة لمن الصالحين الكاملين في الصلاح قال ابن عباس قال رسول الله صلعم اول من يكسى
يوم القيمة ابراهيم حلة ثم انا الصفوة ثم علي بن ابي طالب يزف بيني وبين ابراهيم زفا الى الجنة ولوطا عطف على ابراهيم او على ما عطف عليه
وهو قوله نوحا لان المعطوف اذا تعدد وكثر جاز ان يكون الجميع معطوفا على الاول وان يكون كل واحد عطفا على ما قبله اذ قال لقومه انكم
لتأتون الفاحشة لتفعلون الفعلة البالغة في القبح وهي اتيان الرجال وقرأ نافع وابن عامر وابن كثير وحفص خلف انكم بهمزة مكسورة على
الخبر والباقون على الاستفهام واتفقوا على الاستفهام في الثاني قال ابو عبيد وجدته في الامام بحرف واحد بغير ياء ورأيت الثاني بحرفين الياء
والنون ما سبقكم بها من احد من العالمين استيناف يوبخهم على فاحشتهم بعد الانكار عليها بالاستفهام المتقدم اي انتم اول من عملها او جواب
لسؤال مقدر كأنهم قالوا لم لا نأتيها فقال ما سبقكم بها احد وما عملها قبلكم فلا تفعلوا ما لم يسبقوا به وقيل الاستيناف مقدر لبيان شناعة تلك الفعلة من
حيث انها مما اشمأزت منه الطباع وتحاشت عنه النفوس حتى اقدموا عليها لخبث طينتهم وقذر طباعهم ائنكم لتأتون الرجال بيان لقوله انكم لتأتون
الفاحشة والهمزة فيها للانكار والتقطيع والاثبات بمعنى المجامعة من اتى المرأة اذا جامعها وتقطعون السبيل وتعولون على قطاع الطريق من اخذ
الاموال وقتل الانفس وقيل تعرضون للسابلة بالفاحشة حتى انقطعت الطرق في ذلك انهم كانوا يفعلون الفاحشة بمن يمر بهم من المسافرين فتركوا الناس

الدور

الدور بهم وعن الحسن وتقطعون سبيل النسل بايثار الرجال على النساء وتأتون في ناديكم المنكر عن ابن عباس المنكر هو الخذف بالحصى ورمي البنادق والفرقعة
قعة ومضغ العلك وحل الازرار والسباب والفحش في المزاح وعن ام هاني سألت رسول الله صلعم عن قوله المنكر فقال كانوا يخذفون اهل الطريق
ويسخرون بهم وقيل كانوا يجلسون في مجالسهم وعند كل رجل منهم قصعة فيها حصى فاذا مر بهم عابر سبيل خذفوه فايهم اصابه كان اولى به ويأخذ ما معه
وينكحه ويغرمه ثلثة دراهم ولهم قاض بذلك وقال القاسم بن محمد كانوا يتضارطون في مجالسهم وقال مجاهد كان يجامع بعضهم بعضا في مجالسهم
وعن عبد الله بن سلام كان يبزق بعضهم على بعض وقوله في ناديكم في مجالسكم العامة ولا يقال للمجلس ناد الا ما دام اهله فيه فاذا قاموا عنه لم
يسم ناديا وقيل النادي مجلس القوم ومتحدثهم ما داموا يندون اليه اي يجتمعون فما كان جواب قومه الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله احضره
ان كنت من الصادقين في استقباح ذلك او في دعوى النبوة او فيما تعدنا من نزول العذاب قال رب انصرني بانزال العذاب او بانجاء من تعلم من
العذاب على القوم المفسدين المتوغلين فيما يؤدي الى الفساد في الحرث والنسل كانوا يحملون الناس على المعاصي التي كانوا عليها طوعا وكرها وابتدعوا الفاحشة
وسنوها فيمن بعدهم وانما وصفهم بذلك في دعائه اظهارا للغضب عليهم وبيانا في استنزال العذاب واعلام بانهم احقاء بغضب على عاجل او اجل
ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى اي بالبشارة بهلاك قوم لوط اي بالبشارة بالولد والنافلة وهي اسحق ويعقوب بشروه وهو ابن مائة وعشرين سنة وامرأته
في تسعين سنة او بالبشارة بهلاك قوم لوط بدليل عليه قوله قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية لانه قال ما خبر البشرى ولم تبشروني قالوا انا مهلكوا الخ
اي نبشرك بانا مهلكوا اهل قرية سدوم وعلى الاول جواب لقوله ما شأنكم ايها المرسلون كانوا ثلثة نفر جبرائيل وملكان معه او جبرائيل وميكائيل واسرافيل
وقيل كانوا تسعة وعن السدي احد عشر واضافة اسم الفاعل لفظية اذ المعنى الاستقبال ان اهلها كانوا ظالمين في مدة متطاولة الى البشارة الهلاك او في
علم الله الى ان يهلكوا وهو تعليل لاهلاكهم بشدة شكيمتهم في ظلمهم الذي هو الكفر والمعاصي وتصميمهم على ذلك اي كانوا كفارا ذوي ظلم عظيم وآثام عظام
فلذلك نهلكهم ونستأصلهم قال ابراهيم للرسل ان فيها لوطا ليس اخبارا بكونه فيها وانما هو جدال في شأنه بعدما علموا اهلاكهم بظلمهم واعتراض عليهم بان
فيهم من لم يظلم اظهارا للشفقة عليه والتحزن او معارضة للموجب بالمانع وهو كون النبي بين اظهرهم قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله جواب لقوله بانهم
اعلم بمن فيها وليسوا بغافلين عنه اي نحن اعلم منك واخبر بحال لوط وحال قومه وامتيازه منهم الامتياز البين وانه لا يستحق ما يستحقونه من العذاب وقيل
تسليم لقوله وجواب عنه بتخصيص الاهل بمن عداه واهله او تأقيت الاهلاك باخراجهم عنها وفيه تأخير البيان عن الخطاب وفيه خلاف بين اصحاب
المذاهب فذهب الحنفية والشافعية الى ان تأخير البيان بيان التقرير والتفسير يجوز موصولا ومنفصلا لقوله تعالى ثم ان علينا بيانه الي جعله فاذا قرأناه بلسان
جبرائيل فاتبع قراءته وتكرر فيه حتى يرسخ في ذهنك ثم ان علينا بيانه اي بيان ما اشكل عليك من معانيه ولم يجوز المعتزلة والحنابلة وبعض الشا
تأخير بيان المجمل عن وقت الخطاب واليه تأخير بيان التفسير متراخيا الا عند ابن عباس لقوله عليه السلام فليكفر عن يمينه وتمام تقريره في الاصول و
قرأ حمزة والكسائي وخلف ويعقوب لننجينه من الانجاء والباقون بتشديد الجيم وهما بمعنى والمراد باهله الاهل ايمانا وقرابته ولم يعتبر اهل كل
الا امرأته كانت من الغابرين اي من الباقين في القرية او العذاب والفعلية مستأنفة في موقع التعليل كانه قيل لم لم تنجوها وهي من اهله فقيل كانت
في كتاب الله ولما ان جاءت رسلنا لوطا سيء بهم جاءته المساءة والغم بسببهم مخافة عليهم حيث قومه وفعلهم السوء وان يعجز عن مدافعتهم لانه ظن
انهم انس وان مزيدة لتأكيد الفعلين واتصالهما حتى كانهما وجدا في جزء واحد من الزمان من غير ريث وتوقف وضاق بهم ذرعا وضاق بشأنهم وتدبير
امرهم ذرعه اي طاقته بمعنى عجز وسقطت طاقته من ذلك فان ضيق الذرع والذراع عبارة عن فقد الطاقة عند العرب كقولهم رحب الذرع بكذا
اذا كان مطيقا له واصله ان الرجل اذا كان طويل الذراع نال ما لا يناله القصير الذراع فضرب ذلك مثلا في العجز والقدرة وقالوا لما رأوا فيه اثر الضجر
والقلق لا تخف ولا تحزن اي لا تخف من قومك علينا ولا تغتم بسببنا وقيل باهلاكنا اياهم انا منجوك واهلك الا امرأتك كانت من الغابرين
استثناء باهلك والجملة علة النهيين وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر ويعقوب وخلف منجوك بسكون النون والباقون بفتحها وتشديد الجيم والكاف
في محل الجر لكونه مضافا اليه وانتصاب اهلك اما باضمار فعل يدل عليه اسم الفاعل او بالعطف على محل الكاف باعتبار الاصل لانه مجبه
مفعول به لان الاسم الفاعل يعمل عمل فعله الا بدليل اني خالق بشرا وقوله اني جاعل في الارض خليفة وقوله انا منزلون على اهل هذه
القرية رجزا من السماء عذابا والرجز والرجس العذاب من قبلهم ارتجز وارتجس اذا اضطرب لما يلحق المعذب من القلق والاضطراب وقرأ ابن كثير منزلون

[margin: فعلة]
[margin: هج]
[margin: كانت من الغابرين]
[margin: التضجر والتحزن ح]

بالتشديد وحوص قبل خلاف مقتضى الظاهر حيث عبر عن المستقبل بلفظ اسم الفعل كقوله وان الدين لواقع وهو يجوز لان الاسم الفاعل حقيقة فيما
تحقق فيه وقوع الوصف وقد استعمل ههنا فيما لم تحقق مجازا تنبيها على تحقق وقوعه وايضا وقيل بلفظ الفعل لا فاد الحصر او التوهم وليس بذاك لان
لان المنزل في التحقيق هو الذي يخلق الرجز وساير الاشياء وهو الله الخالق لكل شيء لا خالق سواه وانما غيره فاسباب وسايط في تحقق الا
الاثر وظهوره وفي مصحف ابن مسعود انا مرسلوه بدل منزلون بما كانوا يفسقون بسبب انهماكهم واصرارهم في الفسق الذي هو الكفر والمعاصي في
الايام السالفة المتطاولة ولقد تركنا منها اية بينة اي ولقد جعلنا من قرية قوم لوط اية واضحة يعتبر بها قال ابن عباس هي اثار منازلهم الخربة
وقال قتادة هي الحجارة التي اهلكوا بها ابقاها الله ادركها اوايل هذه الامة وقال مجاهد ظهور الماء الاسود على وجه الارض وقيل الخبر عما
صنع بهم لقوم يعقلون يستعملون عقولهم في الاستبصار والاعتبار والجار متعلق بتركنا او ببينة والى مدين اي وارسلنا الى مدين اخاهم شعيبا
واحدا منهم من قول العرب يا اخا تميم للواحد منهم وشعيبا عطف بيان له فقال يا قوم اعبدوا الله عطف على الفعل المضمر وهو ارسلنا وارجوا اليوم الاخر وافعلوا
ما ترجعون به ثواب الذي هو العاقبة الحميدة فوضع المسبب وضع السبب او امروا بالرجاء والمراد اشتراطه بما يسوغه من الايمان كما يؤمر الكفار بالشرع
بناء على ارادة الشرط واخشوه وخافوه ولا تعثوا في الارض مفسدين العثي اشد الفساد اي ولا تتمادوا في الفساد في حال فسادكم لانهم كانوا
متمادين فيه فكذبوه فتمادوا على تكذيبه او بالفواحش تكذيبهم بعد تنبيههم ايام من التمادي في الفساد فاخذتهم الرجفة الزلزلة الشديدة او صيحة جبرايل
لان القلوب رجفت لها فاصبحوا في دارهم في بلدهم او في ديارهم واكتفى بالواحد ولم يجمع لامن اللبس جاثمين باركين على الركب ميتين وعادا
وثمود انتصابهما اما بفعل اذكر وفعل دل عليه قوله فاخذتهم الرجفة مثل اهلكنا وقرا حمزة وحفص ويعقوب وثمود بمنع الصرف على تاويل
القبيلة والباقون وثمودا بالصرف على تاويل الحي او لانه اسم ابيهم الاكبر وقراد يحيى برواية الاعشى وعادا وثمود بالجر عطفا على مدين وقد تبين
لكم من مساكنهم اي منازلهم بالحجر اهلاكهم من جهة مساكنهم اذا نظرتم عند مروركم بها وكان قريش يمرون عليها في اسفارهم فيبصرونها وزين لهم
الشيطان اعمالهم من الكفر والمعاصي فصدهم عن السبيل الحق وهو ملة الاسلام المسمى بالصراط السوي والطريق المستقيم وكانوا مستبصرين عقلاء
متمكنين من النظر والافتكار ولكنهم لم يفعلوا ومتبينين ان العذاب نازل بهم باخبار الرسل لهم ولكنهم لجوا حتى هلكوا وقارون وفرعون وهامان معطوفان
على عادا او على ثمود او تقديم قارون لعلو رتبته في النسب والعلم بالتورية ولقد جاءهم موسى بالبينات بالمعجزات الواضحات فاستكبروا في الارض وما كانوا
سابقين فتكبروا عن اذعان ايات النبوة وقبولها طغيانا وعنادا وما كانوا فايتين من عذاب يستحقونه بتكبرهم وكفرهم بل ادركهم ونزل بهم من سبق
طالبه اذا فاته فكلا اخذنا بذنبه اي فكل واحد من هؤلاء المستكبرين عاقبنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ريحا عاصفا حصباء او ملكا رماهم
بها كقوم لوط ومنهم من اخذته الصيحة كمدين وثمود ومنهم من خسفنا به الارض كقارون واصحابه ومنهم من اغرقنا يعني قوم نوح وفرعون وقومه وما كان
الله ليظلمهم ليعاملهم معاملة الظالم فيعذبهم بغير جرم اذ ليس من حكمه وعادته والمعنى وما كان في حكم الله وسابق قضائه ان يظلمهم اي يعذبهم
ويهلكهم بغير جرم او وما كانت عادته ذلك ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالكفر والتكذيب يعني ان ما نزل بهم من العذاب انما نزل على طريق
العدل والاستحقاق فلم يظلمهم الله به ولكنهم ظلموا انفسهم باكتساب ما كان سببا له من الاجرام والاثام العظام وتقديم المفعول لرعاية الفاصلة لا
للاختصاص لانهم قد ظلموا انفسهم وغيرهم ومع هذا فانهم مثلهم مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء فيما اتخذوه متكلا ومعتمدا في دينهم
وجعلوه وليا يرجون نفعه ونصره كمثل العنكبوت اتخذت بيتا فيما نسجته في الوهن والخور وضعف القوة بل ذاك اوهن واضعف لان
لهذا قوة وانتفاعا ما بخلاف الاصنام فانها هي صورة وتماثيل ليس شيء من القوة والانتفاع ولذلك صارت احقر الاشياء واقلها وادونها
واصغرها وشانهم بالنسبة الى الموحد كمثله بالنسبة الى رجل بنى بيتا من حجر وجص وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت ليس في البيوت اوهن واضعف
واقل وقاية للحر والبرد منها بيتها العنكبوت ولذلك يشبه به كل ما هو متناه في الوهن والضعف لو كانوا يعلمون يرجعون الى علم لعلموا ان هذا مثلهم
وان امر دينهم اوهن من ذلك ويجوز ان يكون المراد بيت العنكبوت دينهم سماه به تحقيقا للتمثيل فيكون المعنى وان اوهن ما يعتمد عليه في الدين دينهم
الذي هو عبادة الاوثان والعنكبوت يطلق على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث والتاء فيه كتاء طاغوت ويجمع على عناكب وعناكيب وعكاب وعكبة
واعكب ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء على ارادة القول اي قل للكفرة والمشركين ان الله يعلم وقرا نافع وابن عامر وحمزة والكسائي وابن

بكن

وابن كثير وابو جعفر وخلف تدعون بتاء الخطاب التفاتا من الغيبة الى الخطاب والباقون بالياء حملا على ما قبله وما استفهامية منصوبة بتدعون ويعلم
معلقة عنها والتعليق ان يوقع بعده ما ينوب مناب المفعولين جميعا كقولك علمت ازيد منطلق وعلمت ايهما عمرو فيكون من بيانية او نافية
فيكون من مزيدة وشيء مفعول يدعون او مصدرية وشيء مصدر او موصولة مفعول ليعلم ومفعول تدعون عايده محذوف والكلام على الاولين تجهيل
لهم وتوكيد للمثل وعلى الاخرين وعيد لهم ويجوز ان يكون ما بمعنى الذي وهو العزيز الحكيم تعليل على المعنيين فان من فرط الجهل وتمادي الضلالة اشراك
وجعل ما ليس بشيء لا وجاد ليس معه تقتضي العلم والقدرة اصلا وتركوا عبادة القادر القاهر على كل شيء البالغ في العلم واتقان الفعل في كل
ما يفعله وتلك الامثال اشارة الى هذا المثل ونظايره المذكورة في مواضع من التنزيل وقيل يريد امثال القران التي شبه بها احوال كفار الامم
المتقدمة نضربها للناس نبينها لهم تقريبا لما بعد من افهامهم وقال مقاتل اراد بالناس كفار مكة وما يعقلها ولا يعقل صحتها وحسنها
وفايدتها الا العالمون الذين يعلمون الاشياء على ما هي عليه ويتاملون فيها كما ينبغي لان الامثال والتشبيهات طرق الى حقايق المعاني واسرارها
حتى تبرزها وتكشف عن وجوهها استارها وترى المتوهم منها في معرض المتيقن والمتخيل في صورة المحقق والغايب كانه مشاهد كما ارى
هذا التشبيه الفرق بين حال المشرك وحال الموحد وقيل الا العلماء الذين يعقلون عن الله عما روي جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم تلى هذه الاية
فقال العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه خلق السموات والارض احدثهما من العدم الى الوجود من غير شركة احد ولغا امر ونا
تبعه وفيه دليل بين على ان العالم حادث بالحق حال اي متلبسا بالحق بعيدا من الباطل والعبث واللعب اي صنعه مصدر محذوف اي خلقا
ملتبسا بالحكمة والغرض الصحيح او واقع موقع التعليل اي بسبب العدل والانصاف يوم الجزاء على الاعمال كما قيل في قوله تعالى وخلق الله
السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت من ان ولتجزى عطف على بالحق لان فيه معنى التعليل وذلك ان العدل وقوامه على الخير
والشر هما الحكمتان العظميان من خلق العالم والمنكر في العقول تعطيلهما وقيل محقا غير قاصد به باطلا فان المقصود بالذات من خلقهما
افاضة الخير والدلالة على ذاته وصفاته كما اشار اليه بقوله ان في ذلك اشارة الى خلقهما لاية لدليلا واضحا على وجود صانعهما ووحدته و
عظم قدرته وبليغ حكمته للمؤمنين للذين يصدقون بالله وباياته لانهم المنتفعون بها اتل ما اوحي اليك من الكتاب اقرأ ما اوحينا اليك من
القران المعجز الذي هو اجل الايات العقلية والحجج القاطعة واعلى الدلايل النيرة الشاهدة بوحدانية ربك وصحة نبوتك وحقية رسالتك
وادم على تلاوته بقلب فسيح وصدر منشرح غير ملتفت الى جهل الكفرة به وسفههم والمبالاة بطعنهم فيه وضحكهم من ضرب المثل فيه
بالذباب والعنكبوت والبعوض لان التمثيل انما يصار اليه لما فيه من ابراز خبيات المعاني وكشف المعنى الدقيق ورفع الحجاب
عن الغرض المطلوب ونحو تقريب المتخيل من المحقق وادناء المتوهم من المشاهد والكفرة الذين تغلبهم الجهل على عقولهم
وغطى بصايرهم لا يفطنون لذلك ولا يتفقهون اذ هانهم عن غوامض الحق لكنهم كابروا وقضوا عليه بالبطلان وقابلوه بالانكار
لان حب الرياسة وهوى النفس الامارة بالسوء لا يخليهم ان ينصفوا كما هي الجهلة والسفهاء واهل العناد والمكابرة
والمواجد والجدال من قريش يستكبرون ان تكون المحقرات من الاشياء مضروبا بها المثل ولا يعتدون بالقران مع امثاله وبينها
بذلك ويقولون ان رب محمد يضرب المثل بالذباب والعنكبوت ويضحكون منهم فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضيق صدره من ذلك
فحكى الله منه ونهى على تلاوة ما اوحي اليه من كتابه الكريم وفرقانه العظيم وطرح المبالاة بجهلهم وسفههم وطعنهم و
عنادهم واستنكارهم وامره باقامة الصلوة عملا باحكامه وقيل امره بتلاوته تقربا اليه بقولها وتحفظا لالفاظه وكشفا
لمعانيه فان القارىء المتامل قد ينكشف له بالتكرار ما لم ينكشف له اول ما قرع سمعه وقرا ابو البرهسم اتل ما اوحينا اليك قال
صاحب الغرايب ولعله وجد في بعض المصاحف لان في مصحف ابن مسعود اتل ما نوحي بالنون واقم الصلوة ان الصلوة تنهى
عن الفحشاء والمنكر تتسبب لانتهاء عن المعاصي او تردع مصليها عنها حال الاشتغال بها وغيرها مما فيها من طاعة الله و
ذكره وتسبيحه وتبعيده من السوء فتنبح لصاحبها البعد من السوء والمنكر وتحصل فيه الطهارة من دنس الاوزار ووسخ المعاصي
وتجعله مطيعا بريا من العصيان والطغيان بعيدا من اتباع خطوات الشيطان قال انس ان فتى من الانصار كان يصلي الصلوة

ذا العنكبوت

وبوه

فا

مع رسول الله صلعم ولا يدع شيئاً من الفواحش الا ركبه فوصف لرسول الله حاله فقال ان صلوته تنهاه يوماً فلم يلبث ان تاب وحسن حاله
وروي انه قيل يا رسول الله ان فلاناً يصلي بالنهار ويسرق بالليل فقال ان صلوته لتردعه وقيل الصلوة هي الصلوة عند الله المستحق بها
الثواب ان يدخل فيها مقدماً للتوبة النصوح متقياً لقوله انما يتقبل الله من المتقين ويصليها خاشعاً بالقلب والجوارح فقد روي عن
حاتم الاصم كأن رجلي على الصراط والجنة عن يميني والنار عن شمالي وملك الموت من فوقي واصلي بين الخوف والرجاء ثم يحوطها بأن
يصلحها ولا يحبطها فهي الصلوة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر وعن ابن عباس وابن مسعود في الصلوة منتهى ومزدجر عن معاصي الله
فمن لم تامره صلوته بالمعروف ولم تنهه عن المنكر لم يزدد بصلوته الا بعداً من الله وعن الحسن وقتادة من لم تنهه صلوته عن الفحشاء والمنكر فليست
صلوته بصلوة وهي وبال عليه وقيل ان الصلوة تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر ما دام فيها وقيل المراد بالصلوة القراءة كما قال ولا تجهر بصلوتك
اي بقراءتك واراد انه يقرأ القرآن في الصلوة والقراءة ينهاه عن الفحشاء والمنكر ويشرح ما روي جابر انه قال رجل للنبي صلعم ان رجلاً يقرأ القرآن
الليل كله فاذا اصبح سرق قال ستنهاه قراءته وبالجملة ان مقيم الصلوة ابعد من المعاصي والمناكير ممن لا يقيمها كما لا يخفى ولذكر الله اكبر اي وللصلوة
اكبر من ساير الطاعات قال النبي صلعم استقيموا ولن تحصوا واعلموا ان خير اعمالكم الصلوة ولن يحافظ على الوضوء الا مؤمن وسماها بذكر الله كما قال
فاسعوا الى ذكر الله وانما عبر عنها به ليستقل بالتعليل كأنه قال وللصلوة اكبر لانها ذكر الله وهو اجل الاعمال واشرفها وازكاها عند الله
عن ابي الدرداء قال رسول الله صلعم الا انبئكم بخير اعمالكم وازكاها عند مليككم وارفعها في درجاتكم وخير من اعطاء الذهب والورق وان تلقوا
عدوكم فتضربوا اعناقهم ويضربوا اعناقكم قالوا وما ذاك يا رسول الله قال ذكر الله وعن ابي سعيد سئل رسول الله صلعم اي العباد افضل درجة
عند الله يوم القيمة قال الذاكرون الله كثيراً قالوا ومن الغازي في سبيل الله قال لو ضرب بسيفه الكفار والمشركين حتى ينكسر وتخضب دماً لكان ذاكر الله
افضل منه درجة وعن ابن عباس ولذكر الله اياكم برحمته اكبر من ذكركم اياه بطاعته وعنه ايضاً ذكر الله العبد افضل من ذكره اياه ويعضده قوله عليه
السلام لا يقعد قوم يذكرون الله الا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده وقال ابن عطاء ولذكر الله
اكبر من ان يبقى معه معصية والله يعلم ما تصنعون من الذكر ومن ساير الطاعات والخيرات فيجازيكم بها احسن الجزاء يعني هو يعلم ذلك لا غيره جزء
ولا تجادلوا اهل الكتاب ولا تحاجوهم ولا تخاصموهم الا بالتي هي احسن بالخصلة التي هي احسن كمقابلة الخشونة باللين والغضب بالكظم والمشاغبة
بالنصح والثورة بالاناة وقيل بالقرآن والدعاء الى الله باياته والتنبيه على حججه الا الذين ظلموا منهم بالافراط في الاعتداء والعناد او با
ثبات الولد والشريك وقولهم يد الله مغلولة او بنبذ العهد ومنع الجزية او بايذاء رسول الله صلعم فاستعملوا معهم الغلظة وجادلوهم بالسيف
فانهم لم يقبلوا النصح ولم ينفعهم الرفق واللين وقيل الاية منسوخة باية السيف قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله اذ لا مجادلة اشد منه واجيب
بانه اخر الدعوات قبله اخر الدواء وهو استثناء من اهل الكتاب والمعنى الا الذين ظلموا منهم وجادلوهم بالخشونة والعنف الا بالحسنى ومن اتى هي احسن ؟
وقولوا امنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم هو من جنس المجادلة بالتي هي احسن وعن النبي صلعم ما حدثكم اهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم
وقولوا امنا بالله وكتبه ورسله فان كان باطلا لم تصدقوهم وان كان حقاً لم تكذبوهم وقرأ زيد بن علي وابو البرهسم انزل الينا وانزل
اليكم بالبناء للفاعل والهنا والهكم واحد لا شريك له واحد حقيقي متعال ذاته عن المشاركة وساير صفات الاجسام كلها والمجد بان عن اخرها و في العبادة ؟
نحن له مسلمون مخلصون انفسنا التوحيد لا نجعل له شريكاً او منقادون مطيعون لله خاصة لا نطيع مخلوقاً في معصية الخالق وفيه تعريض با
تخاذهم احبارهم ورهبانهم ارباباً من دون الله وكذلك ومثل ذلك الانزال انزلنا اليك الكتاب انزلناه مصدقاً لساير الكتب
السماوية شاهداً بصحتها وحقيقتها وهو تحقيق لقوله امنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم وقيل وكما انزلنا الكتب التي من قبلك
انزلنا اليك الكتاب فالذين اتيناهم الكتاب يؤمنون به هم عبد الله بن سلام واضرابه ومن تقدم عهد الرسول من اهل الكتاب ومن
هؤلاء ومن العرب او اهل مكة او من في عهد رسول الله من الكتابيين من يؤمن به بالقرآن المنزل اليك وما يجحد باياتنا وما يكذب
باياتنا مع ظهورها وزوال الشبهة عنها بقيام الحجة القاطعة عليها الا الكافرون المتوغلون في الكفر المصممون عليه كانوا يعرفون انها
حق لكنهم جحدوها جحد المودع الوديعة وقيل هم كعب بن الاشرف واصحابه وقيل الا المتوغلون في الكفر فان جزمهم به يمنعهم عن التامل

في

فيما يفيد لهم صدقها لكونها معجزة بالاضافة الى الرسول كما اشار اليه بقوله وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك فان ظهور الكتاب الباهر كل كلام
فصيح العالي على كل منثور ومنظوم المشحون بانواع العلوم على رجل امي لم يتعلم ومن لم يسمع ولم يشاهد العلماء ساعة من عمره ولا انشاء في بلد فيه
علماء اي عجيب خارق العادة خارج عنها ما طرق بانه فذلك حاصل من جهة الوحي وشاهد بصحة نبوته وذكر اليمين وهي الجارحة التي يزاول بها الخط زيادة
تصوير لما نفى عنه من كونه كاتباً ونفي التجوز في الاسناد اذا لارتاب المبطلون اي لو كنت ممن يقرأ ويخط لقالوا تعلمه وكتبه بيده من كتب الاولين
او نجده في كتبنا اي لا يقرأ ولا يكتب وليس به وسماهم المبطلين لكونهم في صدد ابطال الحق فيما بنى عليه الامر صحو تدعوه عنهم وقيل لانهم كفروا به
او لارتيابهم بانتفاء وجه واحد من وجوه الاعجاز المتكاثرة بل هو بل القرآن آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم في صدور العلماء به يحفظونه
لا يقدر احد تحريفه وهما امرين كون اياته مبينات الاعجاز وكونه محفوظاً في الصدور من خصايص القرآن فان ساير الكتب السماوية لم تكن معجزات
ولم يقرأوا الا من المصاحف ومنه ما جاء في صفة هذه الامة اناجيلهم صدورهم وقرأ قتادة ومقاتل بل محمد آيات بينات في صدور اهل العلم ذو
من اهل الكتاب لانهم يجدون نعته وصفته وقيل يجوز ان يكون الضمير راجعاً الى الايات ولا بد من مضاف محذوف لان من المعجزات ما يتعلق بخلقه وخلقه عليه
السلام واشتهرت به الرواية في دلايل نبوته كما قيل لو لم يكن فيه آيات بينة بدالهم تنبيك بالخبر وقال الزجاج بل هو وامره آيات لانه اذا لم يقرأ ولم يكتب
ثم اخبر باقاصيص الاولين والانبياء فهو آيات بينات في صدور اهل العلم وقرأ اليماني بل آيات بينات باعتبار المصحف اي وعبد الله وما يجحد
باياتنا الا الظالمون وما ينكر آيات الله الواضحة وما يكذب بها الا المتوغلون في الظلم المكابرة المنهمكون في جحود الذين قال فيهم الا لعنة الله
على الظالمين والجحد انما يكون بعد المعرفة واللام فيه للعهد اشارة الى جحود اولى الظلم من كفرة مكة واهل الكتاب او الجنس فيدخلون فيه دخولاً
اوليا وقالوا لولا انزل عليه آية من ربه كانوا لفرط ظلمهم وعتوهم لا يعتدون بالآيات المنزلة على رسول الله صلعم ويقترحون عليه آيات
مثل ايات صالح وموسى وعيسى من خروج الناقة من الصخرة وانقلاب العصا حية ونزول المائدة من السماء واحياء الموتى فقيل قل انما
الآيات عند الله ينزلها كيف يشاء على من يشاء ولست املكها فآتيكم بما تقترحونه به وانما انا نذير مبين وانما انا رجل ارسلت منذراً
مخوفاً من سوء العاقبة كساير الرسل وما علي الا الاتيان بما يصح به اني رسول منذر وصحة ذلك حاصلة بأية آية كانت والآيات كلها
سواء في حصول صحة الدعوى بها لا تفاوت بينها وقرأ حمزة وابن كثير والكسائي وابو بكر وخلف لولا انزل آية بالتوحيد والباقون با
لجمع وقرأ طلحة وعيسى بن عمر لولا نزل اولم يكفهم آية مغنية عن ساير الآيات ان كانوا مسترشدين طالبين الرشاد والحق غير متعنتين
انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم يعني وقد كفتهم من الآيات هذه القراءة التي يدوم تلاوته عليهم في كل مكان وزمان فلا يزال معهم
آيات ثابتة لا تزول ولا تضمحل بخلاف ساير الايات وقيل اولم يكف اليهود انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم بتحقيق ما في
ايديهم من نعتك ونعت دينك وقرأ يحيى بن جعفر نتلوا عليهم وابو عبد الرحمن تتلى عليهم نظراً الى الآيات ان في ذلك الكتاب الذي هو آية
مستمرة موجودة في كل مكان وزمان الى اخر الدهر وحجة بينة لرحمة لنعمة عظيمة وذكرى لقوم يؤمنون وتذكرة لمن همه الايمان دون
التعنت والعناد وقيل ان ناساً من المسلمين اتوا رسول الله صلعم بكتب قد كتبوا فيها بعض ما يقول اليهود فلما ان نظر اليها القاها وقال ل
كفى بها حماقة قوم وضلالة قوم ان يرغبوا عما جاءهم نبيهم الى ما جاء به غير نبيهم فنزلت وقال ابن عباس وابن عمر قال النبي صلعم ايها الناس
ما هذه الكتب التي بلغني انكم تكتبونها اكتاب مع كتاب الله يوشك ان يغضب الله تعالى لكتابه فيسري عليه ليلة ولا يبقى في قلب ولا ورق
منه حرف الا ذهب به وقال رجل يا رسول الله فكيف بالمؤمنين والمؤمنات قال من اراد الله خيراً ابقى في قلبه لا اله الا الله قل كفى بالله بيني
وبينكم شهيداً باني رسول وهذا القرآن كلامه او بصدقي وقد صدقني بالمعجزات او اني قد بلغتكم ما ارسلت به اليكم وانذرتكم ونصحتكم وانتم
قابلتموني بالجحود والتكذيب والعناد يعلم ما في السموات والارض فلا يخفى عليه علي وعلمكم وحقي وباطلكم والذين امنوا بالباطل وهو الشيطان
لان من اعاديه الباطل او كل ما يعبد من دون الله وكفروا بالله وتوافقوا على الكفر به وصمموا عليه اولئك هم الخاسرون الكاملون في الخسران الذين لا اخسر
اضر منهم حيث اشتروا الكفر بالايمان والضلالة بالهدى وقيل المغبونون في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان الا ان الكلام ورد مورد الانصاف
كقوله وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين وكقول حسان فشركما لخيركما الفداء وروي ان كعب بن الاشرف واصحابه قالوا يا محمد من يشهد لك

الكل رسول الله فنزلت الآية ناطقة بان الشاهد له هو الله وكفى بالله شهيدا ويستعجلونك بالعذاب استهزاء به وتكذيبا له والمستعجلون هم كفار مكة
واليهود وقيل نزلت في النضر بن الحرث حين قال فامطر علينا حجارة من السماء كما قال اصحاب الايكة فاسقط علينا كسفا من السماء ولولا اجل مسمى
اي ولولا اجل سماه الله وبينه في اللوح لعذاب او قوم فاقتضت الحكمة تاخيره الى ذلك الاجل المحدود المعلوم لجاءهم العذاب عاجلا والمراد بالاجل الآخرة
لما روي ابن عباس ان الله تعالى وعد رسوله ان لا يعذب قومه ولا يستأصلهم وان يؤخر عذابهم الى يوم القيمة كما قال والساعة موعدهم وقيل يوم بدر وقيل
وقت فنائهم باجالهم وليأتينهم بغتة فجاءة وهم لا يشعرون حال كونهم لا يحسونه بها غافلين عنه لاشتغالهم بامورهم وانكارهم له والتمادي في غفلتهم يستعجلونك
بالعذاب كرره للتاكيد وللتكرير بهم اياه وان جهنم لمحيطة بالكافرين اي ستحيط بهم واللام للعهد على وضع الظاهر المظهر للدلالة على موجب الاحاطة او للجنس فيكون
استدلالا بحكم الجنس على حكمهم يوم يغشيهم العذاب ظرف لمحيطة او لمقدر اي يوم يغشيهم العذاب كان كيت وكيت من فوقهم ومن تحت ارجلهم من جميع جوانبهم
وهو تقدير للاحاطة نار جهنم بهم وبيان لها او نظيره قوله لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ويقول قرا نافع وعاصم وحمزة والكسائي وخلف بالياء اي يقوله
الله تعالى والباقون بالنون قصدا الى التعظيم واسناد الى ملائكة العذاب ذوقوا ما كنتم تعملون اي جزاءه وقرا ابي وابن مسعود ويقال ذوقوا وقرا ابو البرهسم وتقول
بالتاء اسنادا الى جهنم يا عبادي الذين امنوا ان ارضي واسعة فاياي فاعبدون يعني اعلموا ايها المؤمنون العابدون لي ان لم يتسهل لكم العبادة في ارض من
بلدة او ضيعة ولم يتيسر اظهار دينكم فيها كما يجب فهاجروا عنها الى ارض يتيسر لكم فيها ذلك عن رسول الله صلعم من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا
استوجب الجنة وكان رفيق ابراهيم ومحمد وقال عليه السلام يوشك ان يكون خير مال المسلم غنما يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من
الفتن وقيل الآية في المستضعفين بمكة الذين نزلت فيهم الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها وانما كان ذلك لان امر دينهم ما كان يتمشى لهم
بين ظهراني الكفرة والفاء جواب شرط محذوف لان المعنى ان ارضي واسعة ان لم تخلصوا العبادة لي في ارض فاخلصوها في غيرها وقال سعيد بن
جبير اذا عمل في ارض بالمعاصي فاخرجوا واهربوا منها فان ارضي واسعة وقال عطا اذا امرتم بالمعاصي فاهربوا فان ارضي واسعة ثم قال والذي يجب
على كل من كان في بلد يعمل فيها بالمعاصي ولا يمكنه تغيير ذلك ان يهاجر الى حيث تتهيأ له العبادة وقال مطرف بن عبد الله ارضي واسعة اي رزقي لكم
واسع فاخرجوا وقرا نافع وابن عامر وعاصم وابن كثير وابو جعفر يا عبادي بفتح الياء والباقون بسكونها كل نفس ذائقة الموت واجدة مرارته وكربه
كما يجد الذائق طعم المذوق وخوفهم بالموت خوفهم بالموت حثا على العبادة وتهيئا لاسبابها ولم يرجع الى الحقيقي بانه يعبد ويحقق بالعبادة
كما دل عليه تفريع المفعول في الجزاء والخوف عليهم الهجرة ومفارقة ارض لا يتيسر لهم فيها اقامة اسباب الدين وشعايره يعني انكم متيقنون انكم
كنتم فاخلصوا الى العبادة وتصديق بها ولا تغتموا بما تتركونها التي تعجزون فيها عن ذلك خوفا من الموت ثم الينا ترجعون للجزاء ومن كانت هذه
عاقبتهم يجب عليه ان يجتهد في الاستعداد بالحرص على عبادة ربه واخلاصها وصدق الاعتناء بشانها وقرا ابو بكر يرجعون بالياء التفاتا
من الخطاب او التفاتا من الخطاب الى الغيبة او نظرا الى قوله كل نفس وعن ابا قوة بالتاء حملا على ما قبلها من الخطاب او التفاتا من الغيبة الى
الخطاب والذين امنوا بالقران ومحمد صلعم وعملوا الصالحات جمعوا بين الايمان والعمل الصالح لنبوئنهم من الجنة غرفا علالي وقال ابن عباس
لنسكننهم غرفا كذا روايا قوة وانزن جيد قرا حمزة والكسائي وخلف لنثوينهم بالثاء اي لنقيمنهم من الثواء وهو الاقامة يقال ثوى في المنزل و
اثوى غيره فيه وثوى غير متعد فاذا تعدى بزيادة همزة النقل لم يتجاوز مفعولا واحدا نحو ذهب واذهبته والوجه في التعدية الى ضمير
المؤمنين والى الغرف اما اجراؤه مجرى لننزلنهم او بنزع الخافض او تشبيه الظرف موقت بالمبهم والباقون بالباء من بواءه منزلا اذا
هياه له او انزله فيه تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نعم اجر العاملين المخصوص بالمدح محذوف تقديره نعم اجر العاملين ذلك
يعني الغرف وقرا يحيى بن وثاب فنعم بزيادة الفا الذين صبروا على الهجرة ومفارقة الاوطان لاجل الدين وعلى اذى المشركين والمحن
والمصايب وعلى الطاعات وعن المعاصي وعلى ربهم يتوكلون ولا يتوكلون في جميع ذلك الا على الله والتوكل الاعتماد على التوفيق وكاين
من دابة كاين بمعنى رب كم عند سيبويه وكم عند الفراء ونونه وهي التنوين وكان القياس ان لا يكتب بالنون كما في ساير المنونات لكنه
كتب هكذا في الامام فوجب اتباعه وانه لا يخالف شيئا مما فيه المعنى وكثير من الرواة وهو في موقع الرفع على الابتداء ومن بيان لابهام
وخبره الله يرزقها او النصب بفعل دل عليه يرزقها وتقديره بعد كاين لا تحمل رزقها لا تطيق حمل رزقها لضعفها عن حمله

مطلب هجرة

بالرفع ٢

ولا تدخره وانما تصبح ولا معيشة عندها الله يرزقها واياكم اي لا يرزق تلك الدواب الضعاف واياكم مع قوتكم الا الله وحده لان رزق الكل انما
هو بانزاله من سمائه قال الله منها بل عند في السماء رزقكم الآية وقال وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم اذا كان لا تخافوا الفقر والضيق
في معاشكم بالهجرة روي ان رسول الله صلعم امر من كان بمكة بالهجرة خافوا الفقر والضيعة وقال بعضهم كيف نقدم بلدة ليس لنا فيها معيشة فنزلت
وروي عن ابن عمر دخلت مع رسول الله صلعم حايطا من حوايط الانصار فجعل رسول الله يلتقط الرطب بيده ويأكل فقال كل يا ابن عمر قلت لا اشتهيها يا رسول
الله قال لكني اشتهيه وهذه صبح رابعة منذ لم اطعم طعاما ولم اجده قلت انا لله انا لله المستعان قال ابن عمر لو سألت ربي لاعطاني مثل ملك كسرى
وقيصر اضعافا مضاعفة ولكن اجوع يوما واشبع يوما فكيف بك يا ابن عمر اذا عمرت وبقيت في حثالة من الناس يخبؤن رزق سنة لضعف اليقين
فنزلت الآية وعن سفيان بن عيينة ليس شيء من خلق الله يخبأ الا الانسان والنملة والفارة وعن بعضهم رايت البلبل يحتكر في حضنيه
وقيل للعقعق مخابي الا انه ينساها وعن ابن مسعود قال النبي صلعم ايها الناس ليس من شيء يقربكم الى الجنة ويباعدكم من النار الا قد امرتكم به وليس
شيء يقربكم من النار ويباعدكم من الجنة الا وقد نهيتكم عنه وان الروح الامين نفث في روعي انه ليس من نفس تموت حتى تستوفي رزقها فاتقوا
الله واجملوا في الطلب ولا يحملنكم استبطاء الرزق ان تطلبوه بمعاصي الله فانه لا يدرك ما عند الله الا بطاعته وهو السميع لقولكم نخشى الفقر
والضيعة ولا نجد في المدينة ما ننفق وغيره العليم باحوالكم وما في ضمايركم وغير ذلك ولئن سألتهم يعني كفار مكة من خلق السموات والارض و
سخر الشمس والقمر ليقولن الله اي الذات الواجب الوجود الذي يكون وجوده من ذاته ولا يفتقر الى شيء اصلا لوجوب انتهاء الممكنات
الى واحد واجب الوجود يكون مبدا لها اما كونه واحدا فلان التعدد يستلزم امكان التمانع المستلزم للمحال فيكون محالا واما كونه واجبا فلانه
لو كان ممكن الوجود لكان من جملة الممكنات فلم يكن مبدا لها ولو لم يكن واجب الوجود لم يوجد شيء من الممكنات لانحصار الموجود حينئذ في الممكنات
ويلزم من وجود هذا الانحصار عدمه فيكون محالا فانى يؤفكون فكيف تصرفون عن توحيد صانع العالم الذي انتم تقرون باختصاصه بصنعه وان لا صانع
له سواه الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له يوسع عليه الرزق تارة ويضيق عليه اخرى في شخص واحد باعتبار وقتين
ويجوز ان يكون في شخصين بناء على وضع الضمير موضع من يشاء وابهامه لان من يشاء مبهم غير معين والمعنى على الحصر اي لا يقدر على بسط
الرزق ويقدره دون غيره وهو الذي بسط الرزق اهل مكة ووسع عليهم ويضيقه عليهم ان لم يؤمنوا وقد سلط الله عليهم القحط حتى اكلوا
العلهز وتقديم اسم الله مبتدا مبنيا عليه يبسط ويقدر هو الدال على الحصر والاختصاص بالبسط بالقدر وقدر الرزق تضييقه قال الله
ومن قدر عليه رزقه ان الله بكل شيء عليم يعلم مصالح عباده ومفاسدهم وجلايا امورهم وخفاياها فيقدر لهم ما هو انسب لشانهم
واقرب الى جمع شملهم فيعطي ويمنع ويغني ويفقر ويوسع ويضيق كما تقتضيه مشيته الكاملة وتوجبه حكمته البالغة ولو بسط عليهم جميعا
واغناهم لطغوا وبغوا لان الغنى مبطرة ماشرة وكفى بشان فرعون وهامان وقارون عبرة بينة للناظرين ولو قدر عليهم وافقرهم لهلكوا
او ضاعوا ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فاحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله اي ليقولن نزله الله واحيا به او الله نزله
واحيا به وهو احسن لافادته الحصر ولوروده كذلك في مواضع من التنزيل يعني انهم يقرون بان الله وحده هو الموجد للكاينات كلها
اصولها وفروعها جلايلها ودقايقها ثم انهم يشركون به بعض مخلوقاته الذي لا يقدر على شيء من ذلك قل الحمد لله على ما هداكم القرآن المتبع
وعصمك من الضلالة كلها والغوايات عن آخرها او على تصديقك واظهار حجتك او على اقرارهم ولزوم الحجة عليهم وقيل احمد رسول الله
صلعم ان اقروا ونجوا وما اقروا به ثم نفعهم ذلك في توحيد الله ونفي الانداد والشركاء عنه ولم يكن اقرارا عاطلا كاقرار المشركين وعلى انهم اقروا
بما هو حجة عليهم حيث نسبوا النعم الى الله وقد جعلوا العبادة للصنم ثم قال بل اكثرهم لا يعقلون انهم يتناقضون حيث يعترفون بانه
المبدا الكل ما سواه من الممكنات ثم انهم يشركون به الصنم الذي هو اقل ما خلقه الله وارذله واصغره واحقره واعجزه او ما تريد بتحميدك ولا
يفطنون لم حمدت الله عند مقالتهم وقيل لا يعقلون بتكرره التوحيد مع اقرارهم بانه خالق لهذه الاشياء وما هذه الحيوة الدنيا اشارة تحقير
المسند اليه بالاشارة ازدراء للدنيا وتحقيرا لشانها وتنفيرا عنها وكيف لا وهي عدوة الله واعداء انبيائه واوليائه ولا تزن عنده جناح بعوضة
يعني ما هي لسرعة زوالها عن اهلها وموتهم عنها الا لهو ولعب الا كما يلهو ويلعب به الصبيان ساعة ثم يتفرقون عنه وقيل اللهو هو الاستمتاع

بلذات الدنيا واللعب العبث وقال الجوهري لهوت بالشيء الهو لهوا اذا لعبت به وان الدار الاخرة لهي الحيوان اي لهي دار الحياة الحقيقية اذ
ليس فيها الا حيوة مستمرة دائمة خالدة لا موت فيها فكانها في ذاتها حياة والحيوان مصدر حي سمي به ذو الحيوة واصله حييان فقلبت الياء الثانية
واوا كما قالوا حيوة في اسم رجل وهو ابلغ من الحيوة لما في بناء فعلان من زيادة معنى الحركة والاضطراب اللازم للحياة ولذلك اختير عليها في هذا الموضع المقتضي
للمبالغة وقد مر تفسير الحيوة والموت في سورة البقرة لو كانوا يعلمون لم يؤثروا عليها الدنيا التي اصلها عدم الحيوة والحيوة فيها عارضة سريعة الفناء ومفعول
العلم محذوف اي لو كانوا يعلمون ان الحيوة الدنيا لهو ولعب وان الدار الاخرة هي الحيوان او فناء الدنيا وسرعة زوالها وبقاء الاخرة وقرا عاصم وابن كثير وابن عامر
وورش ويعقوب وخلف لهي بكسر الهاء والباقون بسكونها فاذا ركبوا في الفلك متصل بمحذوف دل عليه شرح حالهم اي هم على ما وصفوا به من الشرك والعناد فاذا
ركبوا في البحر وخافوا الغرق دعوا الله مخلصين له الدين تاركين الاصنام وكما ينبغي في صورة من يخلص دينه من المؤمنين حيث لا يذكرون الا الله ولا يدعون
سواه لعلمهم بانه لا يكشف السوء والشدائد الا هو فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون ظرف بمعنى حين مضاف الى جملته والعامل فيه فعل دل عليه اذا المفا
جاة تقديره فاجاوا المعاودة الى الشرك حين نجيهم الى البر وامنوا من خوف الغرق وهذا الاخبار عن عنادهم وشدة شكيمتهم في الكفر وتصميمهم عليه لانهم
عند الشدائد وخوف الهلاك يقرون بانه كاشفها المنجي منها هو الله وحده فاذا ازالها عنهم وامنوا عادوا الى كفرهم وشركهم او ازدادوا كفرا على كفرهم ليكفروا
نعمة النجاة وقال عكرمة كان اهل الجاهلية اذا ركبوا البحر حملوا معهم اصنامهم فاذا اشتد بهم الريح القوها في البحر وقالوا يا رب يا رب ليكفروا بما اتيناهم
واللام فيه اما لام كي تعليلا لقوله يشركون اي يعودون الى الشرك ليكونوا كافرين بشركهم نعمة النجاة او لام الامر ومعناه التهديد كقوله اعملوا ما شئتم وليتمتعوا
الاولى قراءة ابن عامر وابي عمرو وعاصم وورش وليتمتعوا بكسر اللام اي لا غرض لهم في العدول الى الشرك الا الكفر والتمتع بما يتمتعون به في العاجلة من غير نصيب
في الاخرة او باجتماعهم على عبادة الاوثان وتوادهم عليها والثاني قراءة من قرا بسكونها وهم حمزة والكسائي وابن كثير وقالون وخلف فسوف يعلمون عاقبة ذلك
حين يعاقبون وهو تهديد اخر من الله لهم ووعيد وتسلية لرسول الله صلعم وقرا الحسن وابو عبد الرحمن تعلمون بالتاء وفي قراءة ابي تمتعوا فسوف تعلمون
وعن ابن عمير فلتمتعوا اولم يروا اي قد علموا بدليل العادة والتجربة في الازمنة المتطاولة انا جعلنا حرما امنا يعني جعلنا بلدهم مصونا عن النهب
والتعدي امنا اهله من القتل والسبي ويتخطف الناس من حولهم يستلبون قتلا وسبيا من حول اهل مكة اذ كانت العرب في اطرافهم وجوانبهم يتغاورون
ويتناهبون وهم فارون امنون لا يغيرون ولا يغار عليهم مع قلتهم وكثرة العرب فذكرهم الله هذه النعمة الخاصة ثم انكر عليهم ووبخهم بانهم يؤمنون بالباطل
الذي هم عليه بقوله افبالباطل يؤمنون اي ابعد هذه النعمة المكشوفة وغيرها من النعم التي لا يقدر عليها الا الله يؤمنون بالباطل الذي هو الصنم
او الشيطان وبنعمة الله يكفرون حيث اشركوا به غيره وتقديم الصلتين للاهتمام والاختصاص وقرا الحسن وابو عبد الرحمن تؤمنون وبنعمة الله يكفرون
بالتاء فيهما ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا ومن ابلغ ظلما واشنع جورا ممن تقول على الله ما لم يقل من ان له شريكا
او كذب بالحق لما جاءه او كذب ما قاله او كفر بالكتاب والرسول وفي قوله لما جاءه تسفيه لرايهم وتجهيل لهم اي بادروه بالتكذيب ساعة اتاهم واول ما سمعوه لما جاءه
من غير اجالة روية وفكر ولا اعادة تامل ونظر كما يفعل المراجيح العقول المتثبتون في الامور اليس في جهنم مثوى للكافرين استفهام تقرير لثوائهم
في جهنم فان همزة الانكار دخلت على النفي فافاد اثبات الثواء وتقريره وبعبارة اخرى يستفهم عن انتفاء الثواء على وجه الانكار فافاد اثبات الثواء وايجابه
فكانه قيل ان جهنم مثوى للكافرين ونظيره قوله تعالى اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى وقيل تقرير لثوائهم اي الا يستوجبون الثواء فيها وقد افتروا مثل
هذا الكذب على الله وكذبوا بالحق مثل هذا التكذيب او لاجترائهم اي الم يعلموا ولم يتضح عندهم ان في جهنم مثوى للكافرين حتى اجترأوا على مثل هذه الجراة ومنه
قول الشاعر الستم خير من ركب المطايا وقال بعضهم لو كان استفهاما ما اعطاه الخليفة مائة من الابل والذين جاهدوا فينا اي لاجلنا وبسببنا او في حقنا حقنا
ولوجهنا خالصا واطلق المجاهدة ولم يقيدها بمفعول ليعم كل ما يجب جهاده من النفس والشيطان وساير اعداء الدين من الكفار واهل البدع والاهواء
لنهدينهم سبلنا سبل السير الينا والوصول الى جنابنا او لنثبتنهم على ما جاهدوا عليه او لنزيدنهم هداية الى سبل الخير وتوفيقا لسلوكها كقوله والذين اهتدوا
زادهم هدى وقال الفضيل والذين جاهدوا في طلب العلم لنهدينهم سبلنا سبل العمل به وقال ابو سليمان الداراني والذين جاهدوا فيما علموا لنهدينهم
الى ما لم يعلموا وفي الحديث من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم وعن بعضهم ان ما نرى من جهلنا بما لا نعلم انما هو من تقصيرنا فيما نعلم وقال سهل
والذين جاهدوا في اقامة السنة لنهدينهم سبل الجنة وقال ابن عباس والذين جاهدوا في طاعتنا لنهدينهم سبل ثوابنا وقرا ابو عمرو سبلنا بضم الباء والا باسكانها

فانه

فانه قرا بسكونها وما للتحقيق وان الله لمع المحسنين اي لمع المجاهدين في الله بالنصرة والاعانة في دنياهم وبالثواب والمغفرة في عقباهم او لمع الذين يحسنون
في الاعمال المقتضية للاحسان كما قال الله تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان او لمع الموحدين وبه قال ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله صلعم من قرا
سورة العنكبوت كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين **سورة الروم مكية الا قوله فسبحان الله حين تمسون وهي ستون او تسع**
وخمسون اية بسم الله الرحمن الرحيم الم غلبت الروم في ادنى الارض اي غلبوا في ادنى الارض الى العرب لانها الارض المعهودة
عند العرب وهي اطراف الشام او في ادنى ارضهم من العرب على ان اللام بدل من المضاف اليه وقيل اي ادنى ارض الشام الى ارض فارس وقال مجاهد هي ارض
الجزيرة وهي ادنى ارض الروم الى فارس وقال ابن عباس ومقاتل الاردن وفلسطين وقال عكرمة هي اذرعات وكسكر وقرئ في اداني الارض وهم من
بعد غلبهم من اضافة المصدر الى المفعول وهو الروم اذ الغالب فارس سيغلبون مبنيا للفاعل على وجه الشهرة اي من بعد ان غلب الروم سيغلبون او الى الفاعل وهو
فارس ان قرئ سيغلبون على البناء للمفعول وذكر المفعول متروك اي من بعد ان غلب فارس الروم سيغلبون وعلى هذا فالوجه ان يقرا الم غلبت الروم
بالبناء للفاعل وقد قرئ به في الشاذ ويجعل الضمير المضاف اليه المصدر لفارس لا للروم وقرئ غلبهم بسكون اللام وهو لغة كالجلب والجلب سيغلبون في بضع
سنين قال الاصمعي والمبرد البضع ما بين الثلاثة الى العشرة وقيل الى التسع وقيل الى السبع روي ان فارس والروم اقتتلوا بين اذرعات وبصرى فغلبت فارس على
الروم فبلغ الخبر مكة فشق على رسول الله والمسلمين لان فارس مجوس لا كتاب لهم والروم اهل كتاب وفرح المشركون وشمتوا بالمسلمين وقالوا انتم والنصارى اهل
كتاب ونحن وفارس اميون وقد ظهر اخواننا على اخوانكم ولنظهرن نحن عليكم فنزلت فقال لهم ابو بكر رضي الله عنه لا يقرر الله اعينكم فوالله ليظهرن الروم على فارس
بعد بضع سنين فقال له ابي بن خلف كذبت يا ابا فصيل اجعل بيننا وبينك اجلا اناحبك عليه والمناحبة المراهنة فناحبه على عشر قلائص من كل واحد منهما
وجعل الاجل الى ثلاث سنين فاخبر ابو بكر رسول الله صلعم فقال البضع ما بين الثلث الى التسع فزايده في الخطر ومادّه في الاجل فجعلاها مائة قلوص الى تسع سنين ومات
ابي ان يخرج ابو بكر من مكة فاتاه ولزمه وقال اني اخاف ان تخرج من مكة فاقم لي كفيلا فتكفل له ابنه عبد الله بن ابي بكر فلما اراد ابي ان يخرج الى احد اتاه عبد الله
بن ابي بكر فلزمه فقال لا والله لا ادعك حتى تعطيني كفيلا ففعل ثم خرج الى احد ثم رجع الى مكة فمات من جرح رسول الله صلعم وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية
وذلك عند راس سبع سنين من مناحبتهم وقيل كان يوم بدر فكان النصر يومئذ للفريقين فاخذ ابو بكر الخطر من ذرية ابي وجاء به الى رسول الله صلعم فقال تصدق
به وكان ذلك قبل تحريم القمار وجوز ابو حنيفة ومحمد في دار الحرب العقود الفاسدة من عقود الربا وغيرها بين المسلمين والكفار احتجا بهذه القصة
بما عقده ابو بكر بينه وبين ابي بن خلف والاية من الدلائل النيرة الظاهرة على صحة نبوة رسول الله لانها اخبار عن الغيب وقرا ابن عمر وابو سعيد
الخدري وعيسى بن عمر غلبت مبنيا للفاعل سيغلبون مبنيا للمفعول وقالوا نزلت حين اخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن غلبة الروم على فارس ومعنى الاية
الم غلبت الروم فارس في ادنى الارض اليكم وهم من بعد غلبهم سيغلبهم المسلمون في بضع سنين وعند انقضاء هذه المدة اخذ المسلمون في جهاد الروم وهو
وجه بلا شبهة ولا غبار فيه لله الامر من قبل ومن بعد اي من قبل وبعد من الظروف الزمانية التي تسمى غايات واصلها ان يستعمل مضافة وكثيرا ما
يحذف منها المضاف اليه وتبنى على الضم جبرا للمحذوف منه باقوى الحركات قالوا وانما بنيت اذا نوي فيها المضاف اليه فان لم ينو فالاعراب كقوله فساغ
لي الشراب وكنت قبلا وقد قرئ من قبل ومن بعد على الجر من غير تقدير مضاف اليه كانه قيل قبلا وبعدا اي اولا واخرا والمشهورة قد نوي فيها المضاف اي
من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين اي له الامر في اول الوقتين واخرهما حين غلبوا وحين
يغلبون ليس شيء منها الا بامر الله وقضائه وتلك الايام نداولها بين الناس وقيل اي من قبل دولة الروم على فارس ومن بعدها فاي الفريقين كان
لهم الغلبة فهو بامر الله وقضائه وقدره ويومئذ يوم يغلب الروم على فارس ويحل ما وعده الله من غلبتهم وقرا اليماني من قبل ومن بعد بجرهما بغير تنوين
قبل هذا ومن بعد يفرح المؤمنون بنصر الله باظهار الله وتغليبه من له كتاب على من لا كتاب له لما فيه من انقلاب التفاؤل وظهور صدقهم فيما اخبروا به المشركين
وغلبتهم في رهانهم وازدياد يقينهم وثباتهم في دينهم وقيل نصر الله هو اظهار صدق المؤمنين فيما اخبروا به المشركين من غلبة الروم وقيل نصر الله انه ولى بعض
الظالمين بعضا وفرق بين كلمتهم حتى تفانوا وتناقصوا وفل هؤلاء شوكة هؤلاء وفي ذلك قوة الاسلام وعن ابي سعيد الخدري وافق ذلك يوم بدر وفي
هذا اليوم نصر المؤمنين على المشركين ينصر من يشاء فينصر هؤلاء تارة وهؤلاء اخرى وهو العزيز الرحيم الغالب القادر على الانتقام من الكفار الرحيم بهم حيث امهلهم او
العزيز في انتقامه من اعدائه الرحيم على اوليائه المنتقم من عباده بالتسليط عليهم تارة المتفضل عليهم بنصرهم اخرى وعد الله مصدر مؤكد لنفسه لان ما سبقه في معنى

الوعد كأنه قيل وعد الله بنصر الروم وغلبتهم على فارس وعدا لا يخلف الله وعده أي يمتنع منه خلف الوعد بناء على وعده المحتوم ولانه نقض مناف للالوهية
وكمال الكرم والغنى ولكن أكثر الناس لا يعلمون حقية وعده وامتناع الخلف منه وفيه لفرط جهلهم وتماديهم في الغفلة وقلة التفكر او انه القادر
العزيز الرحيم الذي لا يخلف وعده او الله فضلا عن انه لا يخلف الميعاد لان أكثر الناس كفار جاهلون بالله وبصفاته وبما يجوز عليه وما يمتنع
ويستحيل اطلاقه عليه ولو علموا لما اضافوا اليه الشريك واتخاذ الولد وما كذبوا بآياته ورسله يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا ظاهر اقتصارهم
الى تقليله وتحقيره او تنويعه أي يعلمون قليلا محقرا من ظاهر الحيوة الدنيا او نوعا منه حقيرا هو ما يتمتعون به من زخارفها وملاذها الفانية
لهم ولفيهم وقيل ما يشاهدونه منها والتمتع بزخارفها وقيل عنى امر معايشهم كيف يكتسبونه ويتجرونه ومتى يغرسونه ويزرعونه ويحصدونه
وكيف يبنونه ويعيشونه وعن الحسن بلغ من حذق احدهم انه يأخذ الدرهم فينقره بطرف ظفره فيعلم أجيد أم ردي ولا يخطئ وهو لا يحسن
يصلي ويعلمون بدل من لا يعلمون وفايدته بعد التوكيد والاشعار بأن جهلهم علمهم بظاهرها ايضاح لحقارة علمهم وفيه انه لحقارة معلومه
وردائته كان جلالة العلم وشرفه بجلالة معلومه وشرفه وقيل بدل ليعلمك انه لا فرق بين عدم العلم الذي هو الجهل وبين وجود العلم الذي
لا يتجاوز الدنيا وقيل ليفرق جهالتهم وتشبيههم بالحيوانات المقصورة على ادراك ما من الدنيا ببعض ظاهرها فان من العلم بظاهرها معرفة
حقايقها وصفاتها وخصايصها وافعالها واسبابها وكيفية صدورها منها وكيفية التصرف فيها ولذلك نكر ظاهرا واما باطنها وحقيقتها
فانها مجاز الى الآخرة ومزرعتها وانموذج مما فيها يتزود منها اليها بالايمان والاعمال الصالحة لا غيرهم عن الآخرة التي هي غايتها ومقصودها
الاصلية الكلية هم غافلون متمادون في الغفلة لفرط اشتغالهم بامور الدنيا وزخارفها ولذاتها وانكارهم لها وهم الثاني تكرير للاول او مبتدا
وغافلون خبره والجملة خبر الاول وهو على الوجهين مناد على انهم معدن الغفلة عن الآخرة ومقرها ومحلها وانها منهم تنبع واليهم ترجع
اولم يتفكروا في انفسهم همزة انكار اوليس يحدث التفكر في قلوبهم الفارغة من الفكر وهو انما يكون في القلوب ولكنه زيادة تصوير لحال المتفكرين كقولك اعتقده
في قلبك واضمره في نفسك او صلة للتفكر كقولك تفكر في الامر واجال فيه فكره أي اولم يتفكروا في امر انفسهم فانها اقرب اليهم من غيرها وهم اعلم
باحوالها منهم باحوال ما عداها ليظهر لهم ما اودعها الله ظاهرا وباطنا من عجايب الصنع وغرايب الفطر وبدايع الخلق الدالة على كمال التدبير وبليغ
حكمته وعظيم قدرته ورحمته فيتحقق لهم قدرته على اعادتها كقدرته على ابدائها وقوله ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق متعلق بالفعل
المحذوف الدال عليه الكلام تقديره اولم يتفكروا فيعقلوا او فيعلموا ما خلق الله آخره أي ما خلقها الا خلقا ملتبسا بالحكمة والغرض الصحيح الذي
هو حق لا باطل وهو ان تكون دلايل على وجود صانعها ووحدته وباهر قدرته وبالغ حكمته ومساكن عباده وعبرة بينة للمعتبرين منهم
واجل مسمى وبتقدير اجل أي وقت معلوم لابد لكل خلق من ان ينتهي اليه وهو يوم القيمة وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم برؤية ربهم او بلقاء جزائه
عند قيام الساعة لكافرون لا يؤمنون ولا يعترفون او جاحدون يحسبون ان الدنيا ابدية وان الآخرة لا تكون اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف
كان عاقبة الذين من قبلهم تقرير لسيرهم في البلاد واقطار الارض ونظرهم الى آثار المتقدمين المستأصلين بكفرهم من عاد وثمود وقوم لوط والحجر
من بني وغيرهم فيعتبرون بها ويتحققون انه يحيق بهم مثل ما حاق بهم حيث لم يؤمنوا ولم ينتهوا عن الكفر والجحود وفي انتصاب يحيق جوابا للا
ستفهام دلالة بينة على انتفاء النظر عنهم وغفلتهم عن الاعتبار بمصارع من قبلهم من الامم العاتية وذلك انه تعالى قال بعثنا لهم على ان يسافروا
في الارض لينظروا الى منازل الهالكين ومصارعهم فيعتبروا بهم وانه كانوا اقل سافروا لم يسافروا لذلك والجملة عطف على جملة اولم يتفكروا وعطف
الانشاء على الانشاء ظاهرا او الخبر على الخبر تحقيقا كانوا اشد منهم قوة قوة ذاتية وعرضا لعظم اجرامهم وكثرة اموالهم واثاروا الارض وحرثو
ها قال تعالى تثير الارض وقيل يقلبوا الحرث المثيرة وقالوا استعمل ثور للاثارة الارض وبقرة لانها تبقرها تشقها وقيل قلبوا وجهها لاستنباط
المياه واستخراج المعادن وزرع البذور وغيرها وعن ابن عباس اتخذوا الجنان وشقوا الانهار وغرسوا الاشجار لان كل منها يريد اثارة
الارض وقرأ ابو البرهسم وآثاروا من التأثير وعمروها أي وعمروا تلك المعمورة الارض اكثر مما عمروها من عمارة اهل مكة اياها فانهم
اهل واد غير ذي زرع ما لهم اثارة الارض اصلا ولا عمارة لها سيما وفيه تهكم بهم مع تفضيل حالهم في دنياهم من حيث انهم مفتخرون بالدنيا محرزون
بها وهم الضعف حالا وقوة فيها ممن تقدمهم واكثر الناس في عهدهم من السلاطين والملوك والامراء وغيرهم لان مدار امرها على التبسط في

لكافرون ٢

فيعتبروا

البلاد

في البلاد والتسلط على العباد والتصرف في اطراف الارض بتملك معادنها ومبانيها وقصورها وخزاينها وغيرها مما يتملك به ويتجملون وهم مضطرون الى واد خالي
كلها وجاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات والآيات الواضحات فلم يؤمنوا بها فاهلكهم الله بكفرهم وعن ابن عباس بالحلال والحرام والحدود والاحكام وقال مقاتل
اخبروهم بالعذاب ان لم يؤمنوا فما كان الله ليظلمهم ليفعل بهم ما يفعل الظلمة فيهلكهم من غير جرم اذ ليس ذلك من عادته ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالتعريض
للتدمير والاهلاك حيث كفروا بما اوجب به الايمان على كل احد ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوءى يعني انهم عوقبوا بالدمار ثم كان عاقبتهم العقوبة او الخصلة
السوءى فوضع المظهر اشعارا بسبب المعاد وقيل للدلالة على ما اقتضى ان يكون تلك عاقبتهم وانهم جاؤا بمثل افعالهم والسوءى تانيث اسوأ كالحسنى تانيث
احسن او مصدر كالرجعى والبشرى نعت بها وقيل السوءى الحالة السوءى وهي النار وقيل اسم لجهنم كالحسنى اسم للجنة واليه ميل الزمخشري حيث قال أي العقوبة
التي هي اسوأ العقوبات والعاقبة الآخرة وهي جهنم التي اعدت للكافرين والاساءة عني به الكفر ههنا وعن ابن عباس الاشراك وقيل مطلق الذنب
ومن ثم قال عيينة في تفسير الآية ان لهذه الذنوب عواقب سوء لا يزال الرجل يذنب فينكت على قلبه حتى يسود القلب كله فيصير كافرا ويعضد الاول سباقه
وسياقه وقرأ الاعمش اساؤا السوء برفع السين بغير ياء وروى عصمة ساء السوء بغير همزة وقال عثمان رضي الله عنه السوء والسوء انهما شيئين ان كذبوا
بآيات الله وكانوا بها يستهزؤن علة بمعنى لان كذبوا وبمعنى اذ لانه اذا كان تفسير الاساءة التكذيب والاستهزاء كان في معنى القول نحو ناديت وكتبت
او بدل او عطف بيان للسوءى بمعنى الكتب السوءى المعصية التي هي اسوأ المعاصي وهي ان كذبوا بآيات الله وكانوا يستهزؤن بها وخبر كان محذوف للابهام والتهويل
او خبر كان على ان السوءى مصدر اساؤا وقرأ ابن عامر والكوفيون عاقبة بالنصب على انه خبر كان والسوءى اسم وذكر الفعل لوجود الفاصل ولان السوءى في معنى
العذاب والباقون بالرفع على انه اسم كان وذكر الفعل لان تانيث العاقبة غير حقيقي ولان المعنى ثم كان آخر امرهم الله يبدأ الخلق ينشئهم ويخرجهم من العدم
الى الوجود ثم يعيده ثم يبعثهم بان يخرجهم من القبور وبطن الارض وحيث هلكوا ويجمع اجزاءهم الاصلية ان تفرقت ويعيد الارواح اليها وقرأ طلحة يبدئ
الخلق من ابدأ ثم اليه ترجعون تردون للجزاء وقرأ ابو عمرو وابو بكر وروح يرجعون بالياء نظرا الى ما قبل من الغيبة والباقون بالتاء نقلا من الغيبة الى الخطاب
للمبالغة في المقصود وقرأ ابن يعمر ترجعون بفتح التاء ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون يسكت المجرمون متحيرين آيسين يقال ناظرة فابلس اذا سكت
وآيس من ان يحتج ومنه الناقة المبلاس التي لا ترغو ويجوز ان يقرأ بفتح اللام من ابلسه اذا اسكته في معنى المشهورة اختلف فقال قتادة والكلبي ييأس
المجرمون من كل خير وقال مجاهد يفتضحون وقال الفراء ينقطع كلامهم وحجتهم وتقديم المفعول للاختصاص والجملة على الفعلية قبلها داخلة في حيزه
ومن لم يكن لهم من شركائهم من الذين اشركوهم بالله وعبدوهم من دونه شفعاء تشفع لهم وتجيرهم من بأس الله ورعيه بلفظ الماضي لصدوره
عمن لا خلاف في اخباره كان تحقق ومضى وقرأ علي رضي الله عنه ويبلس مبنيا للمفعول وروى خارجة عن نافع ولم تكن لهم بالتاء وكانوا بشركائهم كافرين
اي يكفرون بآلهتهم ويجحدونها حيث يئسوا منهم وكانوا في الدنيا كافرين بسببهم وقيل جاحدين متبرئين يتبرؤن منها ويتبرأ منهم وكتب شفعوا وكذا
بني اسرائيل بالواو وقيل الالف والسوءى بالالف قبل الياء اثباتا للهمزة على صورة الحرف الذي منه حركتها ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون أي المؤمنون والكافرون
لدلالة ما بعده من التفصيل عليه وعن الحسن هو تفرق المسلمين والكافرين هؤلاء في عليين وهؤلاء في اسفل سافلين وعن قتادة فرقة لا اجتماع بعدها
فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة في بستان وهي الجنة نكرها للابهام امرها وتفخيمه والروضة عند العرب كل ارض ذات نبات وماء ومن
امثالهم احسن من بيضة في روضة يعنون بيض النعامة يحبرون يسرون سرورا تهللت له وجوههم وظهر فيها اثره وعن ابن عباس يكرمون وعن
قتادة ومجاهد ينعمون وعن ابن كيسان يحلون وعن ابي بكر بن عياش التيجان على رؤسهم وعن وكيع والاوزاعي السماع في الجنة وعن النبي صلى الله عليه
وسلم انه ذكر الجنة وما فيها من النعيم وفي آخر القوم اعرابي فقال يا رسول الله هل في الجنة سماع قال نعم يا اعرابي ان في الجنة لنهرا حافتاه الا
من كل بيضاء خوصانية يتغنين باصوات لم يسمع الخلايق مثلها قط فذلك افضل نعيم الجنة قال الراوي فسالت ابا الدرداء بم يتغنين قال
بالتسبيح وروي ان في الجنة لاشجارا عليها اجراس من فضة فاذا اراد اهل الجنة السماع بعث الله ريحا من تحت العرش فيقع في تلك الاشجار
فتحرك تلك الاجراس باصوات لو سمعها اهل الدنيا ماتوا طربا وقال الاوزاعي اذا اخذوا في السماع لم يبق في الجنة شجرة الا وردت وقال ليس احد
من خلق الله احسن صوتا من اسرافيل فاذا اخذ في السماع قطع على ملايكة سبع سموات صلوتهم وتسبيحهم واما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة
اي البعث يوم القيمة او لقاء الله في الآخرة كاضافة المكر في قوله بل مكر الليل والنهار سواء اريد بذلك رؤيته فيها او لقاء جزائه فيها فاولئك

قرين

في مصحف عثمان

فروه

بكار

جح

في العذاب محضرون مدخلون لا يغيبون عنه ولا يخفف عنهم كقوله وما هم بخارجين لا يفتر عنهم ولما ذكر الوعد والوعيد اتبعه ذكر ما يوصل الى الوعد وينجي من
الوعيد كقوله فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون اخبار في معنى الامر بتنزيه الله تعالى عن السوء
والثناء عليه بالخير وهذه الاوقات التي يظهر فيها قدرته ويتجدد فيها نعمه او دلالة على ما يحدث فيها من الشواهد الناطقة بتنزيهه واستحقاقه الحمد ممن
له تمييز من اهل السموات والارض وتخصيص التسبيح بالمساء والصباح لان اثار القدرة والعظمة فيهما اظهر وتخصيص الحمد بالعشي الذي هو آخر
النهار من عشي العين اذا نقص نورها والظهيرة التي هي وسطه لان تجدد النعم فيها اكثر ويجوز ان يكون عشيا معطوفا على حين تمسون وقوله وله الحمد في السموات
والارض اعتراضا بينهما وقيل الصلوة وقيل لابن عباس هل تجد الصلوة الخمس في القرآن قال نعم وتلا هذه الآية تمسون صلوة المغرب والعشاء وتصبحون
صلوة الفجر وعشيا صلوة العصر وتظهرون صلوة الظهر ولكونها جامعة للصلوة الخمس ومواقيتها ذهب الحسن الى انها مدنية فانه كان يقول كان
الواجب بمكة ركعتين في اي وقت اتفقت وانما فرضت الصلوة الخمس بالمدينة والاكثر انها فرضت بمكة وعن عائشة رضي الله عنها فرضت الصلوة
ركعتين فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة اقرت صلوة السفر وزيد في صلوة الحضر وعنه عليه السلام من سره ان يكال له بالقفيز الاوفى فليقل
فسبحان الله حين تمسون الآية وعنه عليه السلام من قال حين يصبح فسبحان الله حين تمسون الى قوله وكذلك تخرجون ادرك ما فاته من يومه ومن قالها حين
يمسي ادرك ما فاته في ليلته وقرا عكرمة حينا تمسون وحينا تصبحون اي تمسون فيه وتصبحون فيه كقوله يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا يخرج الحي
من الميت كالانسان من النطفة والطائر من البيضة والمسلم من الكافر قال الله تعالى افمن كان ميتا فاحييناه او يخرج الانسان الحي يوم القيمة من التراب
الذي لا حس له ولا حركة او الذاكر من غير الذاكر قال النبي صلى الله عليه وسلم مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت ذكره البخاري
ومسلم والترمذي فان قلت ما محل يخرج قلت يحتمل ان يكون مرفوعا على انه خبر ومنصوبا حالا من الله والعمل عامل فيها وان لا يكون له
محل ويكون جملة براسها كقوله فسبحان الله حين تمسون ويخرج الميت من الحي النطفة والبيضة والكافر ويعقب الموت الحيوة كما يعكس ويحيي
الارض بالنبات بعد موتها يبسها وكذلك ومثل ذلك الاخراج تخرجون من قبوركم فانه ايضا يعقب الحيوة الموت ويحيي الاموات كما امات الاحياء يعني ان الابداء
والاعادة سيان في قدرة من قدر على القلب والعكس من اخراج الحي من الميت واخراج الميت من الحي واحياء الميت واماتة الحي وقرا نافع
وحمزة والكسائي وحفص وخلف وابو جعفر الميت بتشديد الياء حيث وقع وابا قون بسكونها وقرا حمزة والكسائي وخلف تخرجون
بفتح التاء وكذا عن ابن ذكوان في رواية ومن آياته اي دلائله الواضحة الدالة على وجوده ووحدته وقدرته الباهرة وحكمته البالغة ورحمته الشاملة
ان خلقكم من تراب اي من آدم الذي خلق من تراب او من نواة ثم اذا انتم بشر تنتشرون اذا للمفاجاة اي ثم فاجاتم وقت كونكم بشرا تنتشرون
في الارض كقوله وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لان حواء خلقت من ضلع آدم وسائر النساء خلقن من
نطف الرجال او من شكل انفسكم وجنسها لا من جنس آخر وذلك لان المناسبة الالفة بين الاثنين من جنس واحد كما قال لتسكنوا اليها اي لتميلوا اليها
وتالفوا بها لان الجنسية علة للضم والجمع والاختلاف سبب للتنافر والتفارق وجعل بينكم مودة ورحمة اي التواد والتراحم بواسطة الزواج من غير
سابقة معرفة ولا سبب يوجب التعاطف من قرابة او رحم او بان تعيش الانسان موقوف على التعارف والتعاون المحوج اليهما ونكرهما قصدا
الى ابهام امرهما وتفخيمه او التكثير والتنويع او التبعيض وعن الحسن المودة كناية عن الجماع والرحمة عن الولد كما قال ورحمة منا وقال
ذكر رحمة ربك عبده ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ينظرون نظرا صحيحا فيعلمون ما في ذلك من الحكم ويستدلون بها على وحدته وقدرته
وعظمته ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم لغاتكم بان علم كل صنف لغته او الهمه وضعها واقدره عليها او اجناس نطقكم
واشكاله فانك لا تكاد تسمع منطقين متساويين في الكيفية والوانكم بياض الجلد وسواده وتخطيطات الاعضاء وهيآتها والوانها وحلالها
والاختلاف ذلك وقع التعارف والتعارف ولو اتفقت وتشاكلت وكانت ضربا واحدا لوقع التجاهل والالتباس ولتعطلت مصالح كثيرة
ولقد اختلف التوائم مع تشاكلهما في كثير من ذلك مع توافق موادهما واسبابهما والامور الملاقية لهما في التخليق ان في ذلك لآيات للعالمين
لا يخفى على عاقل من ملك وانس وجني وقرا حفص للعالمين بكسر اللام ويشهد له قوله وما يعقلها الا العالمون ومن آياته منامكم بالليل
والنهار وابتغاؤكم من فضله منامكم في الليل والنهار لاستراحة القوى النفسانية وقوة القوى الطبيعية وطلب معاشكم فيهما او منامكم

بالليل

١٥٠

بالليل وابتغاؤكم من فضله بالنهار فلف وضم بين الزمانين والفعلين بعاطفين اشعارا بان كلا من الزمانين وان اختص باحدهما فهو صالح
للآخر عند الحاجة ويؤيده سائر الآيات الواردة فيه وقال الزمخشري هذا من باب اللف وترتيبه ومن آياته منامكم وابتغاؤكم من فضله بالليل والنهار
الا انه فصل بين القرينتين الاوليين بالقرينتين الاخريين لانهما زمانان والزمان والواقع فيه كشيء واحد مع اعانة اللف على الاتحاد ان في ذلك لآيات
لقوم يسمعون بالاذان الواعية او سماع تفهم وتدبر واعتبار فان الحكمة فيه ظاهرة ومن آياته يريكم البرق محمول على اضمار ان كقوله الا ايهذا
الزاجري احضر الوغى او تنزيل الفعل منزلة المصدر كقولهم تسمع بالمعيدي خير من ان تراه وقول القائل وقالوا ما تشاء فقلت الهو الى الاصباح
اثر ذي اثير او صفة لمحذوف تقديره آية يريكم بها البرق كقوله فما الدهر الا تارتان فمنهما اموت واخرى ابتغي العيش اكدح خوفا من الصاعقة
او للمسافر وطمعا في الغيث او للحاضر والمقيم وانتصابهما على المفعول له من غير تقدير قبل يجعلكم رائين البرق خوفا وطمعا او بتقدير مضاف
اي ارادة خوف وطمع او تاويل الخوف والطمع بالاخافة والاطماع كقولك فعلته رغما للشيطان ويجوز على هذا ان يكون صفة مصدر محذوف
تقديره اراءة اخافة واطماعا او على الحال نحو كلمته شفاها اي خائفين وطامعين وينزل من السماء ماء اي بعض ماء وهو المطر وقرا ابن كثير
ونافع وابن عامر وابو جعفر بتشديد التاء حيث وقع وابا قون بتخفيفها من الانزال فيحيي به الارض باخراج النبات منها بعد موتها يبسها
وكونها يابسة ان في ذلك اشارة الى ارادة البرق وانزال الماء واحياء الارض به لآيات لقوم يعقلون يستعملون عقولهم في استنباط اسبابها
وكيفية تكونها ليظهر لهم كمال الصانع في قدرته وحكمته ومن آياته ان تقوم السماء والارض بامره قيامهما واستمساكهما بغير عمد باقامته لهما
وارادته لقيامهما من غير تعيين ولا مقيم محسوس والتعبير بالامر للمبالغة في نفي اعانة الغير وكمال القدرة والغنى من الاسباب والآلات وقيل
بامره بقوله كونا قائمتين والمراد باقامته لهما وارادته لكونهما على صفة القيام دون الزوال وقال ابن مسعود قامتا على غير عمد بامره بقوته وقدرته
وقيل يدوم قيامهما بامره ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون عطف على ان تقوم على تاويل المفرد لانه المقصود ومن آياته قيام السموات والا
رض بامره ثم خروجكم من القبور اذا دعاكم دعوة واحدة بان يقول يا اهل القبور اخرجوا والمراد بيان انه في سرعة وجود ذلك اذا اراده اي تكوينهم وايجاد
هم ثانيا بغير توقف غير ممتنعين عليه ويوجدهم كما ارادهم من غير توقف وتلبث كما يجيب المدعو المطيع الداعي المطاع اذا دعاه وقيل المراد سرعة وجود
ذلك من غير توقف ولا تلبث كما يجيب الداعي المطاع مدعوه كما قال القائل دعوت كليبا دعوة فكانما دعوت به ابن الطود او هو اسرع وانما عطف
بثم دلالة على تراخي زمانه او بيانا لعظم ما فيه من الاسرار واقتداره على مثله وهو ان يقول ايها الموتى قوموا فلا يبقى احد من الاولين والآخرين الا قام
ينظر كما قال تعالى فاذا هم قيام ينظرون ومن الارض متعلق بدعاكم كما يقال دعوته من اسفل الوادي فطلع الي لا بتخرجون لان ما بعد
اذا لا يعمل فيما قبلها واذا الاولى للشرط والثانية للمفاجاة وهي تنوب مناب الفاء في جواب الشرط وقرا طلحة تخرجون بضم التاء مجهولا وله من في السموات
والارض اي تختص به جميع من فيهما خلقا وعلما وملكا وجميع من فيهما يختص به كل له قانتون منقادون لوجود افعاله فيهم لا يمتنعون عليه
وقال الكلبي هذا خاص بمن كان منهم مطيعا وعن ابن عباس مطيعون في الحياة والبقاء والموت والبعث وان عصوا في العبادة وهو الذي يبدأ
الخلق يخلقهم اولا ثم يعيده يبعثهم بعد الموت احياء وهو اهون عليه والاعادة اسهل عليه من الاصل بالاضافة الى قدركم والقياس على اصولكم
والا فهما عليه سواء وفي كل من الاعادة منكم صنعة شيء كان اقدر واهون عليه اي الاعادة اهون عليه من البداءة وكل ما هو اهون فهو ادخل
في الامكان وقيل الضمير في عليه للخلق ومعناه ان البعث اهون على الخلق من الانشاء حيث يقومون بصيحة واحدة من غير ان يكونوا نطفا ثم علقا
ثم مضغا وقيل اهون بمعنى هين وذكر هو لاجل اهون او لان الاعادة مصدر يستوي فيه التذكير والتانيث او بمعنى ان يعيد وهذا الضمير الى المصدر
الفعل المذكور مثل هو في قوله اعدلوا هو اقرب للتقوى واما اطلاق الوجوب على الاعادة والجزاء كما صرح به الزمخشري فمن مقاصد اصول المعتزلة واهل
الحق تبرؤا منه لانه وجوب الشيء على الله تعالى ليس له معنى اصلا اذ ليس معناه استحقاق تاركه الذم والعقاب واللزوم صدوره عنه بحيث لا يتمكن من تركه
لانه رفض لقاعدة الاختيار كما تقرر في علم الكلام وله المثل الاعلى الوصف الاعلى الذي ليس لغيره ما يساويه او يدانيه كالحكمة التامة والقدرة
الشاملة لكل شيء من انشاء واعادة وغيرهما من المقدورات وكونه واحدا ليس كمثله شيء ومن فسره بقوله لا اله الا الله اراد به الوصف بالوحدانية
في السموات والارض اي قد وصف به وعرف بذلك المثل ووصف في السموات والارض على السنة الخلائق والسنة الدلايل او قد وصف به ما فيهما دلالة

تكوينهم

العود

مطلب اعاده

ونطقا وهو العزيز القادر الذي لا يعجزه عن شيء من الممكنات وضمير هو يجوز ان يكون عايدا الى الله تعالى وان يعود الى المثل الاعلى تفسيرا له وتقدير الحكيم
باهر الحكمة الذي يجري كل فعل على قضايا حكمته وعلمه ضرب لكم مثلا من انفسكم من ابتدائية كانه قال اخذ مثلا وانتزع من اقرب شيء منكم وهي انفسكم
ثم بين المثل بقوله هل لكم مما ملكت ايمانكم من مماليككم من شركاء فيما رزقناكم من الاموال وغيرها من الاولى للتبعيض والثانية مزيدة لتاكيد الاستفهام
الجاري مجرى النفي يعني هل ترضون لانفسكم ان يشارككم بعض مماليككم في ارزاقكم فانتم فيه سواء فتكونون انتم وهم على السواء يتصرفون فيه كتصرفكم مع انهم
بشر مثلكم تخافونهم ان يستبدوا بتصرف فيه كخيفتكم انفسكم كما يخاف بعضكم بعضا من الاحرار ان ينفرد بتصرف في المال والميراث فاذا لم ترضوا بذلك
لانفسكم فكيف ترضون لرب الارباب ومالك العبيد والاحرار ان يكون بعض عبيده له شركاء وقال ابن عباس تخافونهم ان يرثوكم كما يورث بعضكم بعضا
فاذا لم تخافوا هذا من مماليككم ولم ترضوا ذلك لانفسكم فكيف رضيتم ان يكون آلهتكم التي تعبدونها شركائي وهم عبيدي وقرا ابن ابي عبلة خيفتكم انفسكم بالرفع
اي كما تخاف انفسكم كذلك اي مثل ذلك التفصيل البين نفصل الآيات اي نبينها لان التمثيل مما يكشف المعاني ويوضحها لانه بمنزلة التصوير و
التشكيل لها الا ترى كيف صور الشرك بالصورة المشوهة لقوم يعقلون يفهمون الامثال ويحيطون بمعانيها ولا تلتبس عليهم او ينظرون الى هذه
الدلايل والامثال بعقولهم نظرا صحيحا لا يغفلون عنها غفلة البهايم والانعام وعن ابي عمرو يفصل الآيات بالياء بل اتبع الذين ظلموا اي
اشركوا اهواءهم في الشرك اذ لو اتبعوا دليلا لانقادوا بغير علم في موضع الحال اي اتبعوا اهواءهم جاهلين بها لان العالم اذا ركب هواه واتبعه
ردعه علمه وكفه واما الجاهل فيهيم على وجهه كالبهيمة او غير عالمين بالله وبعقابه المترتب على اتباع اهوائهم او غير متدبرين لعاقبة اتباع اهوائهم
او اشراكهم لكمال غفلتهم وتماديهم في الجهل والضلال فمن يهدي من اضل الله اي فمن يقدر على هداية من خلق الله فيه الضلالة وجعله ضالا عن
المستقيم وما لهم من ناصرين مخلصين من الضلالة يحفظونهم عن آفاتها ومانعين يمنعونهم من العقاب المرتب على ضلالهم الدايم فان من كان في الدنيا
ضالا دايما لا يزول عنه ابدا كما ان الاهتداء الدايم يكون ثوابه دايما ابدا فان الحصاد في الآخرة على وفق ذرع الدنيا كما اشار اليه نبينا صلى الله
عليه وسلم في قوله الدنيا ساعة فاجعلها طاعة حيث امر بجعل الدنيا طاعة محصنة من غير شايبة معصية من المعاصي فاقم وجهك للدين حنيفا
فقوم وجهك له وعدل له غير ملتفت عنه يمينا وشمالا وهو تمثيل للاقبال على الدين والاستقامة عليه وثباته والاهتمام بلبابه فان من اهتم بالشيء
عقد عليه طرفه وسدد اليه نظره وقوم له وجهه مقبلا به عليه وحنيفا حال من المامور اي مايلا اليه غير زايل عنه او من الدين وقال سعيد بن
جبير اي فاخلص دينك لله فطرة الله نصب على المدح او الاغراء اي الزموا فطرة الله او عليكم فطرة الله او المصدر لما دل عليه ما بعدها
اي فطركم الله فطرة والفطرة الخلقة من الفطر كالخلقة من الخلق فانها اسم للحالة ثم صارت اسما للخلقة القابلة لدين الحق خاصة وعليه
قوله عليه السلام كل مولود يولد على الفطرة ثم اسما لملة الاسلام نفسها لانها حالة من احوال صاحبها وعليه قولهم قص الاظفار من الفطرة التي
فطر الناس عليها خلقهم عليها وقيل هي قبولهم للحق وتمكنهم من ادراكه او ملة الاسلام فانهم لو خلوا وما خلقوا عليها ادى بهم اليها وقيل
العهد الماخوذ من آدم وذريته وقيل والمعنى انه خلقهم قابلين للتوحيد ودين الاسلام غير منكرين له لكونه مجاوبا للعقل مساوقا للنظر
الصحيح حتى لو تركوا لما اختاروا عليه دينا آخر ومن غوى منهم فباغواء الشياطين من الانس والجن ومنه قوله عليه السلام كل عبادي خلقت
حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم فامروهم ان يشركوا بي غيري وقوله عليه السلام كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون ابواه هما اللذان يهودانه
وينصرانه لا تبديل لخلق الله اي ما لا ينبغي لاحد ان يبدل تلك الفطرة ويغيرها او لا يقدر ان يغيرها واستدل به على ان الفطرة
الخلقة وقيل هو خبر بمعنى النهي والمعنى الزموا فطرة الله اي دين الله فاتبعوه ولا تبدلوا التوحيد بالشرك قال مجاهد وابراهيم ذلك
اشارة الى الدين المامور باقامة الوجه له او الفطرة ان فسرت بملة الاسلام وعن النبي صلعم الفطرة خمس الختان والاستحداد وقص الشارب
وتقليم الاظفار ونتف الآباط الدين القيم المستقيم المستوي الذي لا عوج فيه ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان الدين القيم ولا تبديل لخلق الله
اي لا يتبدل ما جبل عليه الانسان من السعادة والشقاوة لا يصير السعيد شقيا وبالعكس وعن عكرمة ومجاهد ومعناه تحريم
اخصاء البهايم منيبين اليه راجعين اليه من اناب اذا رجع مرة بعد اخرى وقيل منقطعين اليه من الناب وهو حال من الزموا المقدر وقوله
واتقوه ولا تكونوا واقيموا عطف على هذا المقدر او من ضمير فاقم فان الامر فيه خطاب لرسول الله صلعم وخطاب الرسول خطاب لامته مع ما فيه من

التعظيم

التعظيم للامام ثم جمع بعد ذلك للبيان والتخصيص بقوله واتقوه واقيموا الصلوة ولا تكونوا من المشركين بتكرير
الجار كقوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم وتفريقهم اختلافهم فيما يعبدونه على اختلاف اهوائهم او انهم جعلوه اديانا
مختلفة لاختلاف اهوائهم وقرا حمزة والكسائي فارقوا بمعنى تركوا دينهم الذي امروا به وكانوا شيعا فرقا مختلفة كل واحدة
تشايع امامها الذي اصل دينها وقيل هم اليهود والنصارى وقيل هم اهل البدع من هذه الامة والظاهر الجلي المتبادر الى الفهم ان المراد بهم المشركون
لان الجملة عطف على صلة الموصول المبدل منه والمشركون اعم من اليهود والنصارى كما لا يخفى كل حزب بما لديهم فرحون كل حزب منهم
مسرور بمذهبه الباطل ظنا بانه الحق ويجوز ان يكون فرحون صفة كل وهو مبتدأ خبره من الذين فرقوا والمعنى من
المفارقين دينهم كل حزب فرحون بما لديهم ونظيره قوله وكل خليل غير هاضم نفسه واذا مس الناس ضر اي شدة من قحط او هزال او مرض
او غير ذلك دعوا ربهم منيبين اليه راجعين اليه من دعاء غيره ثم اذا اذاقهم منه رحمة خلاصا من ذلك الضر والشدة بالخصب والعافية اذا
فريق منهم بربهم يشركون اي فاجاء فريق منهم بالاشراك بربهم الذي نجاهم من الشدة وخلصهم ليكفروا بما آتيناهم من النعمة النجاة واللام للعاقبة
كما في قوله ليكون لهم عدوا وحزنا اي يشركون ليكونوا بالعود الى شركهم كافرين بنعمة النجاة من الضر او لام الامر على التهديد كقوله فتمتعوا فانه نظير اعملوا
ما شئتم وذلك انه تعالى يهددهم على ان كفروا نعمة الله في انجائهم من الضر وجعلوا نعمة النجاة وسيلة الى التمتع بها والتذلل الى شكرها وازدياد
الطاعة والخير كما هو عادة المؤمنين المخلصين فسوف تعلمون عاقبة كفركم وتمتعكم يوم لا تخفى منكم خافية وقرا ابن مسعود وليتمتعوا كما في آخر سورة
العنكبوت وقرا ابو العالية فيمتعوا بضم الياء مجهولا وقرئ يعلمون بالياء على فتمتعوا اما من ام انزلنا عليهم سلطانا حجة يدل على شركهم و
شهادة بجوازه وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار يعني ما انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم تكلم دلالة وشهادة كقوله هذا كتابنا ينطق
عليكم بالحق او نطق والسلطان البرهان والدليل بمعنى واحد وهو الحجة وقيل السلطان يذكر اذا كان بمعنى الدليل ويؤنث اذا كان بمعنى الحجة وقيل
السلطان جمع سليط كرغيف ورغفان بما كانوا به يشركون ما مصدرية اي باشراكهم وصحته او موصولة اي بالامر الذي بسببه يشركون في الوهيته
او موصوفة اي بالهة يشركونها به ويجوز ان يكون المعنى ام انزلنا عليهم ذا سلطان اي ملكا معه برهان فذلك الملك يتكلم بالبرهان الذي بسببه
يشركون واذا اذقنا الناس رحمة اي نعمة من مطر او سعة او صحة فرحوا بها بطروا بسببها واشروا وقد شغلهم الفرح بها عن الشكر والطاعة وان
تصبهم سيئة اي بلاء من جدب او ضيق او مرض والتعبير في جانب الرحمة بلفظ اذا في واذا لان المراد رحمة حصولها مقطوع به وتنكيرها للتنويع
او للتقليل وهو انسب بلفظ الاذاقة وفي جانب السيئة بلفظ المضارع مع ان لان السيئة نادرة بالنسبة الى الرحمة المتنوعة التي لا يخلو عنها العبد
ساعة كما يشهد بذلك العقل والعادة والكتاب والسنة بما قدمت ايديهم بسبب المعاصي التي عملتها ايديهم وانفسهم اذا هم يقنطون فاجاوا القنوط
في رحمته وهذا على خلاف المؤمن وعادته فانه يشكر عند النعمة ويرجو رحمة ربه عند الشدة ويخاف عذاب ربه ولا يقنط والياس وقال قتادة
ينبغي للمؤمن ان لا ييأس من روح الله ولا يامن رحمته وان لا يامن عذابه وعقابه وان يكون راجيا لله خايفا وقرا نافع وابن عامر وعاصم وابن كثير
وحمزة وابو جعفر يقنطون بفتح النون والباقون بكسرها اولم يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يوسع عليه وكما ذكر اذاقة الناس
تارة ويضيق اخرى باعتبار وقتين او يغني من يشاء بتوسيع الرزق عليه ويفقر من يشاء بتضييقه عليه ولما ذكر اذاقة الناس الرحمة والقيتهم
بالشدة والبلاء اتبع ذلك ان له البسط والقبض في الرزق وانه متفرد بقسمة النعمة والبلاء بين العباد كيف اراد ويعطيهم الارزاق ما توجبه
مشية الالهية وتقتضيه حكمة الربانية فيمتحن بعضا بالنعمة والسعة فيها وبعضا بالبلاء والضيق في العيش وبعضا بالنوعين جميعا
فما لهم يشركون به ويقنطون من رحمته ولا يتوبون اليه من ذلك حتى يرجع اليهم برحمة في الدنيا والآخرة وما بينهما وقيل ثم انكر عليهم بانهم قد
علموا انه هو القابض الباسط فما لهم يقنطون من رحمته وما لهم لا يرجعون اليه تايبين اليه من المعاصي التي عوقبوا بالشدة من اجلها حتى يعيد اليهم
رحمته ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون بالله ويعرفون بوحدانيته فيستدلون بها على عظيم قدرته وباهر حكمته وعلمه فآت ذا القربى حقه من البر
وصلة الرحم والمسكين وابن السبيل حقهما ما وظف لهما من الصدقة المعلومة لهما وقد احتج ابو حنيفة بهذه الآية على وجوب النفقة
للمحارم اذا كانوا محتاجين عاجزين عن التكسب وعند الشافعي لا نفقة بالقرابة الا على الولد والوالدين قاس ساير القرابات على ابن العم

لأن أولاد بينهم والخطاب لرسول الله صلعم أو لمن بسط له ولذلك رتب على ما قبله بالفاء والظاهر أن قوله فآت القربى عطف على قوله فأقم
وجهك وميل الزمخشري إلى أنها للتعقيب حيث قال فإن قلت كيف تعلق قوله فآت ذا القربى بما قبله حتى جاء بالفاء قلت لما ذكر أن السيئة أصابتهم
بما قدمت أيديهم أتبعه ذكر ما يوجب أن يفعل وما يجب أن يترك ويجوز أن يكون جواب شرط محذوف تقديره إذا علمت قطعا ويقينا أن هو الباسط
القابض فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل توسعة عليهم وبسطا لرزقهم ذلك خير للذين يريدون وجه الله أي ذات الله وجهته وجانبه
أي يقصدون بمعروفهم إياه خالصا وحقه كقوله إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى أو جهة التقرب إليه لا جهة أخرى يعني يطلبون ثواب الله لا غرضا آخر
كقوله إنما نطعمكم لوجه الله وأولئك هم المفلحون الظافرون بما أرادوا حيث جعلوا ما بسط إليهم ذريعة إلى الزلفى والنعيم المقيم لا إلى مجرد التنعم والتلذذ بالنعم
وما آتيتم من ربا من زيادة محرمة في المعاملة أو من عطية يتوقع لها مزيد مكافأة وقرأ ابن كثير وما أتيتم بالقصر بمعنى ما جئتم به من إعطاء
ربا والباقون بالمد بمعنى ما أعطيتم ليربو في أموال الناس ليزيد ويزكو في أموالهم فلا يربو عند الله ولا يبارك فيه وقرأ نافع وأبو جعفر ويعقوب
لتربوا بالتاء المضمومة خطابا لهم أي لتزيدوا أموالكم وبزنة المتوقفات أي يزيدها والتغير وإذا دبوا وقرأ ابن قطيب ليربوا بفتح الياء وأبو
حيوة لتربوا بالتاء المفتوحة وقيل نزلت في ثقيف وكانوا يربون وقال الأكثرون المراد أن يهب الرجل للرجل أو يهدي له ليعوضه
أكثر مما وهب أو أهدى فليست تلك الزيادة بحرام ولكن المعوض لا يثاب على ذلك يوم القيمة وكان هذا حراما على النبي خاصة لقوله تعالى
ولا تمنن تستكثر أي ولا تعط تطلب أكثر مما أعطيت وقال الأرباب ربوان فالحرام كل قرض يؤخذ فيه أكثر منه أو يجر منفعة والذي ليس
بحرام أن يستدعي بهبته أو بهديته أكثر منها وفي الحديث المستغزر يثاب من هبته وقال الشعبي هو الرجل يلتزق بالرجل فيخدمه ويسافر
معه فيجعل له ربح ماله التماس عونه لا لوجه الله فلا يربوا عند الله لأنه لم يرد به وجه الله وقال النخعي هو الرجل يعطي صديقه أو قريبه
ليكثر ماله ولا يريد به وجه الله وما آتيتم من زكوة تريدون وجه الله تبتغون به وجهه خالصا وذلك أن يعطوها لا لزيادة
المال ولا للمذكين ولا الغرض سوى إقامة حق الله وأدائه وابتغاء مرضاته وثوابه فأولئك هم المضعفون ذوو الأضعاف من الثواب
ونظير المضعف المقوي والموسر لذي القوة واليسار والذين ضعفوا ثوابهم وأموالهم ببركة الزكوة وقرئ بفتح العين أي الذين يضاعف
الله لهم أجرهم أي يعطيهم أجرهم على إيتاء الزكوة أضعافا من فضله وهو التفات حسن فايدته التعظيم كأنه قال للملائكة
وخواص خلقه تعالى فأولئك الذين يريدون وجه الله بصدقاتهم هم المضعفون وهو أمدح لهم من أن يقال وأنتم المضعفون
أو التعميم كأنه قيل فمن فعل ذلك فأولئك هم المضعفون والراجع منه محذوف وإن جعلت ما موصولة تقديره المضعفون به أو فـ
مؤتوه أولئك هم المضعفون الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم الله مبتدأ وخبره الموصول مع صلته أي الله هو فاعل هذه
الأفعال الخاصة التي لا يقدر على شيء منها أحد سواه ثم قال هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء نفيا للوازم الألوهية عما
اتخذوه شركاء له من الأصنام وغيرها مؤكدا بالإنكار على ما دل عليه البرهان والعيان ووقع عليه الاتفاق أي لن يقدر أحد
من شركائكم من يفعل شيئا من تلك الأفعال فما لكم تشركون بها وتعبدونها دونه وما لكم لا توحدونه ولا تخصونه بالعبادة كالمؤمنين
المخلصين ثم استنتج من ذلك تقدسه عن أن يكون له شركاء فقال سبحانه وتعالى عما يشركون أي ما أبعد من هذه صفاته وأفعاله
وما أعلاه عن يضاف إليه من الأنداد والشركاء ويجوز أن يكون الموصول صفة للمبتدأ والخبر هل من شركائكم والرابط من ذلكم لأن معناه
من أفعاله المذكورة لكم ومن الأولى والثانية يفيدان شيوع الحكم في جنس الشركاء والأفعال والثالثة مزيدة لتعميم المنفي وكل منها
مستقلة بالتأكيد لتعجيز شركائهم وتجهيل عبدتهم وقرأ حمزة والكسائي وخلف تشركون بالتاء بناء على ما قبله من الخطاب والباقون
بالياء بناء على ما قبله بالياء التفاتا من الخطاب إلى الغيبة ظهر الفساد في البر والبحر كالقحط والموتان في الناس والدواب وقلة الريع
والربح في الزراعة والتجارة وكثرة الحرق والغرق وإخفاق الصيادين والغاصة ومحق البركات من كل شيء وقلة المنافع في الجملة وكثرة
المضار والضلالة والجور وعن ابن عباس أجدبت الأرض وانقطعت مادة البحر وقالوا إذا انقطع القطر عميت دواب البحر وخلت أجواف
الأصداف من اللؤلؤ لأن الصدف إذا جاء المطر ترفع إلى وجه البحر وتفتح فاه فما وقع فيه من المطر صار لؤلؤا وقال الحسن المراد بالبحر مدن البحر

يقال خفق الصياد إذا لم يظفر بالصيد ع

الغاصة جمع الغايص في البحر

وقراءة

وقراءة التي على شاطئ وساحله وقيل المداين والقرى التي على المياه الجارية وعن عكرمة العرب يسمي الأمصار البحار وقرئ في البحور بما كسبت أيدي الناس
بشوم معاصيهم التي كسبوها أو بكسبهم إياه كقوله تعالى وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم وعن ابن عباس وعكرمة ومجاهد ظهر الفساد في البر
بقتل قابيل أخاه هابيل وفي البحر بأن جلندي ملك عمان كان يأخذ كل سفينة غصبا وقال الضحاك كانت الأرض خضرة مونقة لا يأتي ابن آدم
شجرة إلا وجد عليها ثمرة وكان ماء البحر عذبا وكان لا يقصد الحيوان بعضه بعضا وعن قتادة كان ذلك قبل البعث امتلأت الأرض ظلما وضلالة
فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم رجع راجعون من الظلم والضلالة وقيل ويجوز أن يريد ظهور الشر والمعاصي بكسب الناس ذلك وقيل يعني بما
الناس [illegible] والظاهر أن المراد ثم ليذيقهم بعض الذي عملوا أي بعض جزاء أعمالهم في الدنيا فإن تمامه في الآخرة واللام للعلة أو للعاقبة
وقرأ قنبل ويعقوب في رواية روح لنذيقهم بالنون التفاتا من الغيبة إلى التكلم والباقون بالياء على ما قبله من الغيبة لعلهم يرجعون كي يرجعوا
إلى الله عما هم عليه من الشر والمعاصي وقيل إرادة الرجوع فكأنهم إنما أفسدوا وسببوا الفسق والمعاصي في الأرض لأجل ذلك قل سيروا في الأرض فانظروا
كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ليروا منازلهم ومساكنهم خالية وكيف دمرهم واستأصلهم وأذاقهم سوء العذاب بذنوبهم وتصميمهم على معاصيهم
فيشاهدوا مصداق ذلك ويتحققوا صدقه كان أكثرهم مشركين استيناف يدل على أن تدميرهم كان بسبب غلبة الشرك فيهم أو كان الشرك في أكثرهم
وما دونه من المعاصي في أقلهم فأقم وجهك للدين القيم البليغ الاستقامة الذي لا يأتي فيه عوج وهو دين الإسلام من قبل أن يأتي يوم لا مرد له
هو يوم القيمة من الله متعلق بيأتي أي من قبل أن يأتي من الله يوم لا يقدر أحد على رده بعد أن جاء به أو بلا مرد لأنه مصدر أي لا يرده الله
بعدما حكم أو لا راد له من جهته لتعلق إرادته القديمة بإتيانه ومجيئه ونكره قصدا به إلى تعظيمه وإبهام أمره وأنه يوم لا يعرف كنهه لعظمه وتفاقمه
يومئذ يصدعون يتصدعون أي يتفرقون فريق في الجنة وفريق في السعير كما قال من كفر فعليه كفره فعليه وبال كفره وجزاؤه وهو جهنم
التي لا يكتنه كنه عذابها ولا يبلغ قدره وقال الزمخشري كلمة جامعة لما لا غاية وراءه من المضار لأن من كان ضاره كفره فقد أحاطت به
كل مضرة ومن عمل صالحا من الإيمان وغيره مما يصلح به الشخص عند الله من الحسنات فلأنفسهم يمهدون يسوون منزلا في الجنة وفي القبور
قيل يوطئون المضاجع ويسوونها في القبور وقيل ويجوز أن يريد فعلى أنفسهم يشفقون من قولهم في المشفق أم فرشت فأنامت وتقديم
الظرف في الموضعين للاختصاص وأن مضرة الكفر لا يعود إلا على الكافر لا يتجاوزه ومنفعة الإيمان والعمل يرجع إلى المؤمن لا يتخطاه
ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله تعليل ليمهدون أو يصدعون وتكريره للتأكيد ووضع المظهر موضع المضمر
دلالة على أن فضل الله إنما يلحقهم لاتصافهم بالإيمان والعمل الصالح وقيل ليقرر أنه لا يفلح عنده إلا المؤمن الصالح وقوله إنه لا يحب
الكافرين تقرير بعد تقرير على الطرد والعكس وقيل الاقتصار على جزاء المؤمنين للإشعار بأنهم المقصود بالذات والاكتفاء على
فحوى قوله إنه لا يحب الكافرين فإن فيه إثبات البغض لهم والمحبة للمؤمنين وتأكيد اختصاص الصلاح المفهوم من ترك ضميرهم
إلى التصريح بهم تعليل له ومن فضله دال على أن الإثابة تفضل محض وتأويله بالعطاء والزيادة على الثواب عدول عن الظاهر
وقال ابن عباس ليثيبهم الله ثوابا أكثر من ثواب أعمالهم ومن آياته أن يرسل الرياح هي الجنوب والشمال والصبا لأنها رياح الرحمة وأما
الدبور فريح العذاب ومنه قوله عليه السلام اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وقيل الرياح ثمانية فأربعة منها للرحمة وهي المبشرات
والناشرات والذاريات والمرسلات وأربعة للعذاب وهي العقيم والصرصر في البر والعاصف والقاصف في البحر وقرأ حمزة والكسائي وخلف
الريح على إرادة الجنس ثم بين مقاصد إرسالها وأنه أرسلها للبشارة بالغيث بقوله مبشرات بالمطر ولإذاقة الرحمة بقوله وليذيقكم من رحمته
وهي نزول المطر وقيل يعني المنافع التابعة لها وقيل الخصب التابع لنزول المطر المسبب عنها والروح الذي مع هبوبها وزكاء الأرض
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كثرت المؤتفكات زكت الأرض وإزالة العفونة من الهواء وتذرية الحبوب وهو عطف على مبشرات
باعتبار المعنى كأنه قيل ليبشركم وليذيقكم أو على علة محذوفة دلت مبشرات عليها أو على يرسل بإضمار فعل معلل دل عليه والإجراء السفينة
وطلب فضله بقوله ولتجري الفلك بأمره ولتجري السفن في البحر عند هبوبها وإنما زاد بأمره لأن الريح قد تهب ولا تكون موافقة فلا بد من إرساء
السفن والاحتيال لحبسها وربما عصفت فأغرقتها ولتبتغوا من فضله ولتطلبوا من رزقه بالتجارة في البحر ولعلكم تشكرون على ذلك ومن حرف الترجي

باعتبار ما يقتضيه ظاهر الحال او لتشكروا النعمة او لتعملوا عمل الشاكرين او ولعلكم تنتظمون في زمرة الشاكرين الله على نعمه ولقد ارسلنا من قبلك
رسلا الى قومهم اي رسل ذوي صبر وعزم وذوي آيات عظام واعمار طوال فجاؤهم بالبينات بالمعجزات النيرة الناطقة بصحة رسالتهم وحقيقة نبوتهم او
بالآيات الشرايع الواضحات فانتقمنا من الذين اجرموا اي انتصرنا من الذين تموا على اجرامهم وكان اجرامهم في آخر المدة المتطاولة كاجرامهم في
اولها وذلك عند مشارفة تدميرهم واستيصالهم ولهذه النكتة قال الذين اجرموا ولم يقل للمجرمين وكان حقا علينا نصر المؤمنين اعلام بان الا
نتقام للمؤمنين وتعظيم لهم وتنويه بهم واظهار لفضلهم ومزيتهم حيث جعلهم مستحقين على الله ان ينصرهم مستاهلين ان يقويهم ويظهرهم
وعن النبي صلعم ما من مسلم يرد عن عرض اخيه الا كان حقا على الله ان يرد عنه نار جهنم يوم القيمة ثم تلا وكان حقا علينا نصر المؤمنين وقال
الحسن انجاهم مع الرسل من عذاب الامم وهو بشارة لرسول الله والمؤمنين بالنصر على اعدائهم والظفر والغلبة عليهم في العاقبة والظاهر
ان حقا خبر كان قدم على اسمه وهو نصر المؤمنين وعلينا متعلق بحقا وقد يوقف على حقا ومعناه وكان الانتقام منهم حقا ثم يبدا
علينا نصر المؤمنين فيكون حقا خبر كان والضمير المستتر فيه العايد الى الانتقام اسمه وجوزنا ان يكون في كان ضمير الشان وحق مصدرو علينا
نصر مبتدا وخبر في موضع خبر كان الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فتنشره فيبسطه فيفرشه كالبساط متصلا تارة في السماء في وجه السماء
او سمتها شقها كقوله وفرعها في السماء وهو من ابين دليل على وحدانية الله وبليغ قدرته وحكمته كيف يشاء واقفا او غير واقف مركوما او
غير مركوم ابيض كالقطن المندوف المبسوط او غيره مسيرة يوم او يومين فصاعدا الى غير ذلك من احواله واطواره وصوره ويجعله كسفا
اي قطعا تارة اخرى وقرا ابن عامر والدوري كسفا بسكون السين على انه مخفف او جمع كسفة او مصدر وصف به وقرا الخليل والاشهب
كسفا بفتح الكاف وسكون السين فترى الودق المطر يخرج من خلاله من وسطه في التارتين والهاء للسحاب وقيل للكسف وقرا الضحاك الودق
بكسر الدال وعن ابن عباس والخليل من خلله فاذا اصاب به الودق من يشاء من عباده يعني بلادهم واراضيهم اذا هم يستبشرون استبشروا
وسروا بالمطر والخصب فاذا الثانية للمفاجاة سادة مسد الفاء في الجزاء اي فاجاوا الاستبشار وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم الودق
من قبله من قبل التكرير والتوكيد كقوله تعالى فكان عاقبتهما انهما في النار خالدين فيها وتكريره للتاكيد والدلالة على ان عهدهم بالمطر قد تطاول
وبعد فاستحكم ياسهم وتمادى ابلاسهم وكان الاستبشار على قدر اغتمامهم بذلك وقيل الضمير للمطر او للسحاب او الارسال ويجوز ان يعود الى
الكسف او الريح وفي حرف ابن مسعود خذف من قبله غير مكرر لمبلسين لآيسين وقيل وان كانوا اي وما كانوا الا مبلسين فانظر الى اثر رحمة الله
اي اثر المطر الذي هو رحمة الله ونعمته وانعامه على خلقه وقرا ابن عامر والكسائي وحفص وخلف آثار بالجمع وهي النبات والاشجار وانواع الثمار
واصنافها والخصب بين الناس ولولاه لاكل الناس بعضهم بعضا كما وقع في مواضع في مدة خمسين سنة من بعد ثمانمائة في بعض ارض
الترك وغيره والبا قوة الى اثر على ارادة الجنس او وضع المفرد موضع الجمع لخفته وقرا ابن جبير وابن يعمر وقرئ اثر بكسر الالف كيف يحيي الارض
بعد موتها ان ذلك لمحيي الموتى لهو الذي يحيي الموتى وان الذي قدر على احيائها بعد موتها لقادر على احياء الموتى فانه احداث لمثل ما كان
في مواد ابدانهم من القوى كما ان احياء الارض احداث مثل ما كان فيها من القوى النباتية وهو على كل شيء قدير بليغ القدرة على كل شيء
من الممكنات والمقدورات لان من قدر على بعض الممكنات بغير سبب والة كان قادرا على كلها لا محالة لان كونه قادرا بغير سبب ثابت له مع كل
ممكن ومقدور وهذا تحقيق قول المتكلمين نسبة قدرته الى كل الممكنات على السواء ولئن ارسلنا ريحا فراوه مصفرا فراوا الاثر والزرع
لان السحاب مدلول عليه بما تقدم وقيل السحاب لانه اذا كان مصفرا لم يمطر وقرا الخليل مصفارا واللام موطئة للقسم المحذوف وقوله
لظلوا من بعده يكفرون لام جواب وهذا الجواب ساد مسد الجوابين اعني جوابي القسم والشرط اي ليظلن من بعد اصفرار الزرع يكفرون
نعمة الله يعني انهم يفرحون بالمطر والخصب وان ارسلت ريحا ضربت زرعهم بالصفار ضجوا وكفروا بنعمه السالفة وجحدوها وقيل هذه
الآية ناعية على الكفار لقلة تثبتهم وعدم تدبرهم وسرعة تزلزلهم لنزقهم وعدم تفكرهم وسوء رايهم فان النظر السوي يقتضي ان يتوكلوا على الله ويلتجيوا
اليه بالاستغفار اذا احتبس القطر عنهم ولم ييأسوا من رحمته وان يبادروا الى الشكر والاستدامة بالطاعة اذا اصابهم برحمته ولم يفرطوا بالاستبشار وان
يصبروا على بلائه اذا ضرب زروعهم بالاصفرار ولم يكفروا نعمه والريح التي اصفر لها النبات يجوز ان يكون صدرا وخرجنا فكلتاهما

بنعمتي صح

يجوز

يصول البنات ويصبح هشيما وقال مصفرا لانه تلك صفرة حادثة فانك لا تسمع الموتى لما لم يسمع كفار قريش ما يتلى عليهم من آيات الله سماع تدبر وانتفاع ف
وكانت آذانهم لا تعيها شبهوا بالموتى الذين عدموا مصحح السماع واسماع الاذان في انتفاء جدوى السماع والاسماع وقيل وهم مثل الموتى لما سدوا
بين الحق مشاعرهم ولا تسمع الصم الدعاء ولكن سموا بالصم الذين ينعق بهم فلا يسمعون ثم قال اذا ولوا مدبرين تاكيد لحال الاصم فانه اذا تباعد
عن الداعي بان تولى عنه مدبرا كان ابعد عن سماع صوته وادراك كلامه وقيل قيد الحكم به ليكون اشد استحالة فان الاصم المقبل وان لم يسمع الكلام
نفطن منه بواسطة الحركات شيئا وقرا ابن كثير ولا يسمع الصم بياء مفتوحة ورفع الصم وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم سماهم عميانا وهم صحاح الحواس
لانهم لا ينظرون بعيونهم الى ما خلق الله بآياته نظر اعتبار كانهم فقدوا ابصار العيون او شبهوا بالعمي لانهم ضلوا السبيل ولم يروه وقرا حمزة تهدي
العمي معنى هواه عن الضلالة ابعده بالهدي عنها كما يقال سقاه عن العيمة اذا ابعده بالسقي عنها ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا الا انهم اهل وفقوا
للحق والنظر للاعتبار والاسماع للتدبر فيسمعون ما يتلى عليهم من آيات سماع قبول وتدبر ولا تجد اسماعهم من شيء ولا تنبو عنه الاصغاء
اليها واسماعها لان قلوبهم تتعلق بها وبتدبرها واسماعها وتزداد بها ايمانا مع ايمانهم ونورا على نورهم ولان ايمانهم يدعوهم الى اسماعها وتلقي
الفاظها وتدبر معانيها ويجوز ان يراد بمن يؤمن الذين علم الله منهم انهم يدخلون في الايمان لانها تؤثر فيهم وتزيد المؤمنين ايمانا فهم مسلمون مخلصون
لها وعاملون بما امرهم به وتنهاهم عنه او مخلصون انفسهم لله لا يشركون به غيره او مفوضون امورهم اليه من اسلم نفسه الى الله اذا فوض اموره اليه الله الذي خلقكم
من ضعف اي ابتداكم في اول الامر ضعفا وجعل الضعف اساس امركم وما عليه بنيتكم كقوله وخلق الانسان ضعيفا او خلقكم من اصل ضعيف وهو النطفة
ثم جعل من بعد ضعف قوة وذلك اذا بلغتم الحلم او تعلق بابدانكم الروح ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة اذا اخذ منكم السن وبلغتم حال الشيخوخة
والهرم يعني خلقكم اولا ضعافا فانتم قواكم بقوة الشباب في ضعفكم بضعف الشيخوخة والهرم وقرا عاصم وحمزة ثلثتها بفتح الضاد والباقون بضمها وهو
اقوى من الفتح لقول ابن عمر قرأتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم من ضعف فاقرأني من ضعف وهما لغتان كالفقر والفقر والتنكير مع التكرير
لان المتأخر ليس عين المتقدم وقرا عيسى بن عمر ضعفا بفتحتين وروي ابن عباس بفتح الضاد والعين في الاولين وبفتحهما في الثالثة يخلق ما
يشاء من الضعف والقوة والشيبة والنطفة والمضغة والبدن والروح وهو العليم القدير بليغ العلم والقدرة لان الترديد في الاحوال المختلفة مع
الامكان بغير دليل على وحدة الصانع وكمال علمه وقدرته ويوم تقوم الساعة هي القيمة سميت بها لانها تقوم في آخر ساعة من ساعات الدنيا او لانها
تقع بغتة وبديهة كما تقول في ساعة لمن تستعجل او لانها عند الله كساعة من ساعات الدنيا مع طولها وامتدادها وصارت علما للقيمة بالغلبة
كالبيت للكعبة والنجم للثريا يقسم المجرمون يحلف المتوغلون في الاجرام المنهمكون في الاثام وهم الكافرون ما لبثوا غير ساعة اي ما لبثوا في الدنيا
الا ساعة او في القبور او فيما بين فناء الدنيا والبعث وانقطاع عذابهم وفي الحديث ما بين فناء الدنيا الى وقت البعث اربعون وهو يحتمل
الساعات والايام والاعوام ومن ثم قالوا لا نعلم اهي اربعون سنة ام اربعون الفا وذلك وقت يفنون فيه وينقطع عذابهم ويستقلون ويتقللون
مدة لبثهم اضافة الى مدة الآخرة او نسيانا او تخمينا او كذبا وقال الكلبي ومقاتل كذبوا في قولهم غير ساعة كما كذبوا في الدنيا ان لا بعث والمقصود
ان الله اماته بغضبهم فحلفوا عن شيء متيقن لاهل الجمع انهم كاذبون فيه وكان ذلك بقضاء الله وقدره بدليل قوله كذلك اي مثل ذلك القدر
عن الصدق والتحقيق كانوا يؤفكون يصرفون في الدنيا او مثل ذلك الافك كانوا يؤفكون في الاغترار بما تبين لهم الآن انه ما كان الا ساعة
ثم ذكر انكار العلماء عليهم خلفهم وتكذيبهم فقال وقال الذين اوتوا العلم والايمان من الملائكة والانس لقد لبثتم في كتاب الله في اللوح
او في علم الله وقضائه او فيما كتبه لكم واوجبه او في القرآن وهو قوله ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون الى يوم البعث فانهم ردوا بهذا القول
ما قالوه وحلفوا عليه وقال قتادة ومقاتل فيه تقديم وتأخير والمعنى وقال اوتوا العلم في كتاب الله والايمان لقد لبثتم الى يوم البعث يعني الذين
يعلمون كتاب الله فهذا يوم البعث الذي كذبتم به وكنتم تجحدونه ولكنكم كنتم لا تعلمون انه حق لتفريطكم في طلب الحق واتباعهم لفرط غفلتكم نا
وقلة فكركم في العاقبة وتهالككم على اتباع الهوى والشهوات وايثار العاجلة الفانية والفاء جواب شرط محذوف كما في قوله فقد جئنا خراسانا
والتقدير ان كنتم منكرين البعث فهذا يوم البعث اي فقد تبين بطلان قولكم وجحدكم وقرا الحسن البعث في الثلث بكسر فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا
معذرتهم يحتمل انهم يعتذرون معذرة ولكنها لا تنفع لانها باطلة لم تكن مقبولة منهم وانهم يريدون ان يعتذروا ولكنهم لا يؤذن لهم

فيعتذرون لانه عذرهم لا ينفعهم من شيء ولانه لفكرته في السمع بحيث يحجه ويتبادر من سماعه ولا ينكلم احد يوم القيمة الا بالصواب لا بالخطأ
والباطل وقرا الكوفيون لا ينفع بالياء لان المعذرة بمعنى العذر لوجود الفاصل على ان تأنيثها غير حقيقي ولا هم يستعتبون اي ولا يطلب منهم ان
يعتبوا ربهم اي يرضوه من قولك استعتبني فلان فاعتبته استرضاني فارضيته يعني لا يقال لهم ارضوا ربكم بتوبة او طاعة كما قيل لهم ذلك في الدنيا ولقد
ضربنا للناس في هذا القران من كل مثل ولقد وصفنا لهم فيه كل صفة هي في غرابتها وحسنها كالمثل وقصصنا عليهم كل قصة عجيبة الشان كقصة المبعوثين يوم القيمة وما يقولون وما يقال لهم وما لا ينفع من اعتذارهم ولا يسمع من استعتابهم او بيّنا لهم من كل مثل ينبّئهم عن التوحيد والبعث
وصدق الرسل او من كل وجه من الاحكام والعبر والوعد والوعيد وغيرها من المواعظ والقصص والاخبار مما كان وما يكون من الغيوب
التي لا يعلمها الا الله ولئن جئتهم باية من آيات القران ليقولن الذين كفروا من فرط عنادهم وقساوة قلوبهم وتحجر اسماعهم حديث البعث
والآخرة ان انتم يعنون رسول الله والمؤمنين الا مبطلون مزورون جائين بزور وباطل وقيل اي ما انتم الا مكّارون بالباطل كذلك اي مثل ذلك
القبيح يطبع ويطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون اي يخلق الله الضلال عن الحق والهدى في قلوبهم حتى يتمردوا على الجهل بوخامة العاقبة والتجاوز
والكفر والمعاصي واستقباح الايمان ولا يطلبوا العلم فان الجهل المركب يمنع عن معرفة الحق في القلب وخلوصه الى ضميرها وادراكه واعتقاده واذعانه
ويوجب نقايض ذلك وتكذيب الحق فاصبر على ما يجري عليك من الاذى والقصص ان وعد الله ان ما يلحق به وعد الله من نصرك واعلاء
كلمتك واظهار دينك على الذين كلهم حق صدق لا بد من انجازه والوفاء به ولا يستخفنك اي لا يحملنك على الخفة والقلق فهذه الآية امر الله تعالى
نبيه بالصبر لانه شطر الدين قال عليه السلام الصبر نصف الايمان ثم نهاه عن الخفة التي هي العجلة وترك التوقف والتأني في الامور تاكيدا لا مر لان
الخفة من اعظم مداخل الشيطان وابوابه الجارية بمجرى التروي واتيان الايمان وجميع الاعمال الصالحة انما يكون بالعلم والمعرفة والعلم يحتاج الى تأمل
وتعلم ومهلة والخفة تمنع من ذلك فان الاستخفاف والاستعجال يتلقب الشيطان ويرقع شره من حيث لا يدري وقد جاء في الرواية ان النبي
لما ولد ابن الشيطان ابليس فقالوا اصبحت الاصنام قد نكست رؤسها فقال ابليس هذا حادث حدث مكانكم فطار حتى جاء خافقي الارض فلم يجد
شيئا ثم وجد عيسى قد ولد واذا الملائكة حفت حوله فرجع اليهم فقال ان نبيا قد ولد ولو البارحة ما حملت انثى قط ولا وضعت الا وانا بحضرتها
الا هذا فايسوا ان تعبد الاصنام بعد هذه الليلة ولكن ائتوا ابن آدم من قبل العجلة والخفة وقيل معناه لا يحملنك على الجهل واتباعهم في الغي وقيل لا
يستخفن رايك وحلمك الذين لا يوقنون بالآخرة والبعث وغير ذلك من الحق الذي وعد الله به لفرط عنادهم وتمادي تكذيب الحق وانكاره والطعن
فيه وايذائهم اهله فانهم قوم شاكون ضالون جاهلون جهلاء مركبا لا يستبدع منهم ذلك وقرا رويس ولا يستخفنك بالنون الساكنة وقرا ابن ابي اسحق
ويعقوب ولا يستحقنك اي لا يزيغوك فيملكوك ويكونوا احق بك من المؤمنين عن رسول الله صلعم من قرا سورة الروم كان له من الاجر عشر حسنات بعدد
كل ملك يسبح الله بين السماء والارض وادرك ما ضيع في يومه وليلته سورة لقمان اربع وثلثون اية مكية وقيل الا آية وهي قوله الذين يقيمون
الصلوة ويؤتون الزكوة فان وجوبها بالمدينة وهو ضعيف لانه لا ينافي شرعيتها بمكة وقيل الا ثلثا من قوله ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والله
اعلم بالصواب بسم الله الرحمن الرحيم الم تلك آيات الكتاب الحكيم قول الهادي انا الله اعلم او اسم السورة من الآيات
والكتاب السورة او القران والمعنى تلك آيات التي انزلت اليك في هذه السورة آيات الكتاب الكامل وكونه كتابا اي آيات السورة الكاملة
العجيبة في بابها التي اعجزت العرباد بارتفاعها اعلى الطبقة من كمال الفصاحة والبلاغة وحسن النظم والبيان ووصف بالحكيم لاشتماله على
الحكم او لانه كلام حكيم او محكم آياته لم ينسخ شيء منها بالغير ولا يتطرق اليه التبديل ويجوز ان يكون الاصل الحكيم قائله فحذف المضاف واقيم
المضاف اليه مقامه فبانقلابه مرفوعا بعد الجر استكن في الصفة المشبهة هدى ورحمة كاملا في الهداية الى الحق واليقين ونعمة وكاملة تامة من
الله وقال ابن عباس اي بيانا من الضلالة ورحمة من العذاب للموحدين من امة محمد صلعم وقرا حمزة بالرفع على انه خبر بعد خبر لتلك او خبر مبتدا
محذوف اي هي هو هدى او هما والباقون بالنصب على الحال من آيات والعامل فيهما معنى الاشارة في تلك للمحسنين للذين احسنوا
في هذه الدنيا حسنة وانتصابهما على الحال من الآيات والكتاب كقوله ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا والعامل فيهما معنى الاشارة كانه
قيل اشير اليها هدى ورحمة ورفعهما حمزة على الخبر والخبر لمبتدا محذوف الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون بيان

على قلوبهم

لاحسانهم كقوله اوس الالمعي الذي يظن بك الظن كان قد راى وقد سمعا او تخصيص لهذه الثلثة من شعبه لفضل اعتداد بها والواو في الجملة الا
خبرة للحال او العطف على صلة الموصول وفي تغيير العبارة اشعار بكمال يقينهم ونصوحه وانهم الاصل فيه او جملة اعتراضية وتكرير الضمير للاختصاص
وان ما يوقن بالآخرة حق الايقان الا هو اولئك الجامعون بين اقامة الصلوة وايتاء الزكوة وقيل للتاكيد والفصل بينه وبين خبره او تكرير على هدى من
ربهم واولئك هم المفلحون الظافرون بجميع ما ارادوا لجمعهم بين العقيدة الحقة والعمل الصالح ومن الناس من يشتري لهو الحديث اللهو كل باطل الهى
عن الخير وعما يعني وهو في الاصل مصدر من لهوت من الشيء الهو لهوا اذا لعبت به ولهو الحديث كالتسمر بالاساطير والاحاديث التي لا اصل لها
والتحدث بالخرافات والمضاحيك وفضول الكلام وما لا ينبغي من كان وكان ونحو الغناء وتعلم الموسيقات وما اشبه ذلك من المعازف والملاهي قال
النبي عليه السلام استماع الملاهي معصية والجلوس عليها فسق والتلذذ بها كفر وقال عليه السلام ليشربن اناس من امتي الخمر يسمونها بغير اسمها
ويضرب على رؤسهم المعازف ويخسف الله بهم الارض ويجعل منهم القردة والخنازير والاضافة بمعنى من وهي بيانية ان اراد بالحديث الحديث
المنكر كما جاء في الحديث في الحديث في المسجد ياكل الحسنات كما تاكل البهيمة الحشيش والمعنى ما يشتري اللهو من الحديث وقوله يشتري اما
من الشري على ما روي اي ما نزلت في النضر بن الحرث وكان يتجر الى فارس ويشتري من كتب الاعاجم فيحدث بها قريشا ويقول ان كان محمد
يحدثكم باحاديث عاد وثمود فانا احدثكم باحاديث رستم واسفنديار والاكاسرة وملوك الحيرة فيستملحون حديثه ويتركون استماع القران ومن
الغناء على ما روي انه كان يشتري الغنيات فلا يظفر باحد يريد الاسلام الا انطلق به الى قينته فيقول اطعميه واسقيه وغنيه ويقول هذا خير مما
يدعوك اليه محمد من الصلوة والصيام وان يقاتل بين يديه ويعضده ما قال ابن عباس هو اشتراء المغني والمغنية وبه قال مكحول وعن ابي امامة
قال رسول الله صلعم لا يحل تعليم المغنيات ولا بيعهن وثمنهن حرام وعنه عليه السلام من استمع الى قينة صب في اذنيه الآنك الى يوم القيمة
وفي مثل هذا نزلت هذه الآية وما من رجل يرفع صوته بالغناء الا بعث الله عليه شيطانين احدهما على هذا المنكب والآخر على هذا المنكب فلا يزالان يضربانه
بارجلهما حتى يكون هو الذي يسكت وعن جابر قال النبي صلى الله عليه وسلم احذروا الغناء فانه من قبل ابليس وهو شرك عند الله ولا يغني الا الشيطان
وعن ابي هريرة قال رسول الله صلعم يمسخ الناس من امتي في آخر الزمان قردة وخنازير قالوا يا رسول الله اليسوا يشهدون ان لا اله الا الله وانك
رسول قال بلى ولكنهم اتخذوا المعازف والقينات والدفوف على لهوهم ولعبهم فاصبحوا فقد مسخوا قردة وخنازير وعنه عليه السلام اول من تغنى
ابليس ثم زمر ثم حدا ثم ناح وقيل الغناء مفقرة للمال مسخطة للرب مفسدة للقلب وعن ابن مسعود وابن عباس والحسن وعكرمة وسعيد بن جبير
لهو الحديث هو الغناء والآية نزلت فيه وعن ابي هريرة قال النبي صلعم من ملأ مسامعه من غناء لم يؤذن له ان يسمع صوت الروحانيين يوم
القيمة قيل وما الروحانيون يا رسول الله قال قراء اهل الجنة وعن النخعي الغناء ينبت النفاق في القلب وكان اصحابنا ياخذون بافواه السكك
يخرقون الدفوف وقيل الغناء رقية الزنا وقال ابن جريج هو الطبل وقال الضحاك هو الشرك واما من قوله اشتروا الكفر بالايمان اي استبدلوه
منه واختاروه عليه وقتادة اشتراؤه استحبابه يختار حديث الباطل على حديث الحق ليضل عن سبيل الله عن دين الاسلام وقرا ابن كثير وابو عمرو بفتح الياء بمعنى ليثبت على ضلاله ويزيد عليه او يوضع موضع ليضل من قبل ان من اضل كان ضالا لا محالة فدل بالرديف
على المردوف بغير علم في موقع الحال من يشتري اي يشتري لهو الحديث جاهلا به وبوخامة عاقبته وبالتجارة حيث استبدل الضلالة واللهو
بالهدى وتلاوة القران او غير عالم بالله وبعذابه المترتب على اشتراء لهو الحديث او غير متدبر لعاقبته اشترائه لهو الحديث وصده عن
سبيل الله لتوغله في الغفلة والجهل وانهماكه في الغي والضلال ويتخذها هزوا اي ويتخذ السبيل سخرية وقراه بالنصب حمزة والكسائي وحفص
وخلف ويعقوب عطفا على ليضل والباقون بالرفع عطف على يشتري او خبر مبتدا محذوف والجملة في موقع الحال كانه قيل يشتري لهو الحديث
جاهلا به ويتخذ السبيل هزوا اولئك لهم عذاب مهين يذهب عزهم وكبرهم لاهانتهم الحق باختيار الباطل عليه واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا
اعرض عنها متكبرا عن الايمان بها والاذعان لما نطق به من الحق لا يعبا بها ولا يرفع بها راسا وفي الخليل واذا يتلى بالياء كان لم يسمعها حال
من مستكبرا اي شابه حاله في ذلك حال من لم يسمعها كان في اذنيه وقرا حال من الضمير في لم يسمعها اي مشابها لمن في اذنه ثقل لا يقدر ان يسمع
او بدل من الحال الاولى ويجوز ان يكونا استيفائيين يقرران توليته واستكباره وقرا طلحة بن مصرف وابو البرهسم وقرا بكسر الواو فبشره بعذاب

سطلب احوال اللهو

القيان جمع قينة وهو المغنية

مستغاثا

ما اخبره بانه نوع من العذاب مستغاثا لم ينزل عليه لا محالة وذكر العذاب قرينة على انه بشر استعارة تبعية تهكمية وقرا نافع في اذنيه الوال ان الذين امنوا
وعملوا الصالحات جمعوا بين الايمان بايتنا والعمل الصالح مستمرين على ذلك لهم جنات النعيم اي لهم نعيم جنات فعكس للمبالغة ويحتمل ان يكون
جنات النعيم مثل جنات الماوى وجنات الفردوس وعن ابن عباس جنة النعيم من الزمرد وجنة الماوى من الذهب الاحمر وجنة الفردوس من اللولو
وسطها لبنة ذهب ولبنة فضة ولبنة ياقوت ولبنة زبرجد خالدين فيها حال من الضمير في لهم او في جنات النعيم والعامل فيها ما تعلق به
اللام اي مقدرين الخلود فيها وانه لا خروج منها كما قال وما هم منها بمخرجين وقرا زيد بن علي خالدين فيها اي هم خالدون وعد الله مصدر مؤكد لقوله
لهم جنات النعيم كانه قيل وعدهم جنات النعيم وعدا وقوله حقا مصدر مؤكد لقوله وعد الله كانه قيل وعدهم الله بذلك وعدا حقا وفيه تنبيه عن تحقق
ذلك الموعود حقا او احقه حقا وهو العزيز القادر الذي لا يغلبه شي ولا يعجزه ويقدر على انجاز وعده ووعيده الحكيم بالحكمة الذي لا يفعل كل
ما يفعل الا على مقتضى الحكمة والصواب ثم استدل للناس على كمال عزته وحكمته بقوله خلق السموات فان من قدر على خلق مثلها مع عظمها وعلوها
وبعد مرتقاها كان على خلق الانسان واجزائه مع مهانته اقدر بغير عمد جمع عماد وهو الاسطوانة او عمود وقد يطلق العمود على التعب المشقة ومنه
قول عمر رضي الله عنه ايها جالب جلب على بطنه فانه يبيع ابلى ومتى شاء قال ابي عبيد هذا مثل هذا مثل عن الحوادث يايتي به في تعب ومشقة ترونها
صفة لعمد اي بغير عمد مرئية يعني انه تعالى عمدها بعمد لا ترى وهي امساكها بقدرته او كلام مستانف استشهاد برؤيتهم لها غير معمودة
على قوله بغير عمد كقولك لغيرك انا بلا سيف ولا رمح تراني وقرا الخليل عمد وعمد والقى في الارض رواسي قصد بتنكيرها الى التقطيع اي
جبالا ثوابت عظاما رسيت الارض بها واستقرت لولا التكفات ومالت الى الاطراف او الى التبعيض لان في السماء جبالا قال الله تعالى من جبال
فيها من برد ان تميد بكم كراهة ان تميل بكم وتضطرب لان الارضين السبع على ظهر النون وهو على بحر والبحر على صخرة والصخرة على قرن ثور
هو على الثرى وهو التراب الندي وكل منها تقتضي الميد وهو الميل والتكفي والاضطراب فارسيها الله اي اثبتها واوقرها بالجبال الشوامخ كما يرسي
الشي بالاوتاد والمسامير وقيل فانه بساطة اجزائها تقتضي تبدل اخبارها واوضاعها لامتناع اختصاص كل منها لذاته اولشي من لوازمه بحيز
ووضع معينين والرواسي جمع راسية من رسا الشي اذا ثبت واستقر وكل شي ثقيل رسوه ثباته واستقراره ومنه المرسي وهو الانحر الذي ترسي
السفينة وبث فيها من كل دابة ونشر فيها وفرق من كل شي يدب ويتحرك من الحيوان وانزلنا من السماء ماء فعدل به من الغيبة الى التكلم
للتفنن في الكلام وتفخيم المنزل وتاكيد اختصاص الفعل بذاته والاشعار بان انزال مثله لا يقدر عليه احد الا الله وحده والسماء يحتمل الفلك والشي
وجهة العلو ومن ابتدائية لان المطر يروه وينشوه من السماء وذكر للتبعيض فانبتنا فيها من كل زوج كريم من كل صنف كثير المنفعة ومن قدر على
اختراع هذه الخلائق العجيبة المتقنة الدالة على كمال القدرة والعلم قدر على كل شي سواها من البعث والحساب والعذاب والثواب لان كل
منها اختراع كهذه الاختراعات فاوجه انكار قدرته على البعث والانتقام من العباد وبما ذكر هذه الاية الناطقة بوحدانيته الشاهدة على
تميزه وتخصصه باحوال خاصة استدلالا بها على عزته التي هي كمال القدرة وحكمته التي هي كمال العلم وتمهيدا بها قاعدة التوحيد قررها بقوله
هذا خلق الله فاروني ماذا خلق الذين من دونه هذا الذي ذكره مخلوق الله فماذا خلق الهتكم حتى استحقوا شركته واستوجبوا عندكم
العبادة بكتهم بان هذه الاشياء العظيمة مما خلق الله واختص باختراعه وايجاده من غير شركة احد من خلقه وماذا نصب بخلق وما
مبتدا وخبره ذا بصلته واروني معلق عنه لوقوعه سادا مسد المفعولين جميعا كقولك علمت ايهما عمرو وعلمت ماذا زيد بل الظالمون
في ضلال مبين اضراب عن تبكيتهم الى التسجيل عليهم بالتورط في ضلال ليس بعده ضلال واقام المظهر مقام المضمر اظهارا للغضب عليهم ودلالة
على انهم الكاملون في الظلم باشراكهم ولقد اتينا لقمان الحكمة هو لقمان بن باعور بن اخت ايوب او ابن خالته وقال محمد بن اسحق هو لقمان بن عنقاء بن
ناحور بن تارخ وهو ازر وعاش الف سنة وادرك داود واخذ منه العلم وكان قبل مبعث داود فلما بعث قطع الفتوى فقيل له فقال الا
اكتفي اذا كفيت وقيل كان قاضيا في بني اسرائيل واكثر الاقاويل انه كان حكيما ولم يكن نبيا وعن ابن عباس لم يكن لقمان نبيا ولا
ملكا ولكن كان راعيا اسود فرزقه الله العتق ورضي قوله ووصيته فقص امره في القران لتمسكوا بوصيته وقال عكرمة والشعبي كان
نبيا وعن ابن المسيب كان اسود من سودان مصر خياطا وعن مجاهد كان عبدا اسود غليظ الشفتين مشقق القدمين وعنه انه قال لرجل

مطلب احوال لقمان

ينظر اليه ان كنت تراني غليظ الشفتين فانه يخرج من بينهما كلام رقيق وان كنت تراني اسود فقلبي ابيض وقيل كان حبشيا نجارا وروي ان رجلا
وقف في مجلسه وهو يتكلم بالحكمة فقال الست الذي ترعى معي في مكان كذا وكذا قال نعم قال ما بلغ بك ما ارى قال صدق الحديث والصمت
عما لا يعنيني واداء الامانة وقيل يحتطب لمولاه كل يوم حزمة وقيل خير بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة وروي انه كان نائما نصف النهار
فنودي يا لقمان هل لك ان يجعلك الله خليفة في الارض فتحكم بين الناس بالحق فقال ان خيرني ربي قبلت العافية ولم اقبل البلاء وان
عزم علي فسمعا وطاعة فاني اعلم ان افعل بي ذلك اعانني وعصمني فقالت الملائكة بصوت لا تراهم لم يا لقمان قال لان الحاكم باشق المنازل
واكدرها يغشاه الظلم من كل مكان ان يصيب فبالحري ان ينجو وان اخطا اخطا طريق الجنة ومن في الدنيا ذليلا خير من ان يكون شريفا ومن يختر
الدنيا على الاخرة تفتنه الدنيا ولا نصيب له في الاخرة فتعجب الملائكة من حسن منطقه فنام نومة فاعطي الحكمة فانتبه وهو يتكلم بها ثم نودي داود
بعده فقبلها ولم يشترط ما اشترط لقمان فهو في الخيطة غير مرة كل ذلك يعفو الله عنه وكان لقمان موازره لحكمته والحكمة اتقان العلم واتقان
العلم والحكماء العلماء العمال فالعالم بغير عمل والعامل بغير علم ليسا من الحكماء ولا يسمى حكيما وتجوز ان يراد بها الورد كما فسر به النبي الحكمة
في قوله تعالى ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا على ما رواه انس رضي الله عنه في سورة البقرة وقد قال عليه السلام من تحكم بالورع والزهد
بلقاه كل درجة ومن تخلى منهما لقي يوم القيمة على غير ملتمس وقيل الحكمة في عرف العلماء استكمال النفس الانسانية باقتباس العلوم النظرية
واستكمال الملكة التامة على الافعال الفاضلة على قدر طاقتها وقوله في عرف العلماء ضعيف لامرية فيه لان منهم من جعل الحكمة اسما لاستكمال
استكمال النفس الانسانية في قوتها النظرية فقط وهو ان يخرج من القوة الى الفعل في الادراكات التصورية والتصديقية بحسب
الطاقة البشرية ومنهم من جعلها اسما لاستكمال القوة النظرية بالادراكات المذكورة والاستكمال القوة العملية باستكمال الملكة
التامة على الافعال الفاضلة المتوسطة بين طرفي الافراط والتفريط والحكمة اما نظرية وهي التي يتعلق بالامور النظرية التي ليس الينا ان
نعلمها وليس الينا ان نعلمها كعلمنا بان القران قديم وانه معجز دال على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وان العالم محدث وله صانع وان
الصانع قديم عليم قدير واما عملية وهي التي يتعلق بالامور العملية كالعلم بالاعمال والطاعات والقران العظيم جامع لحصول الكمالات الانسانية
فيهما حيث قال تعالى خطابا مع حبيبه صلعم فاعلم انه لا اله الا الله وهو اشارة الى كمال القوة النظرية قال واستغفر لذنبك وللمؤمنين
والمؤمنات وهو اشارة الى كمال العملية وقال حكاية عن الخليل ع م رب هب لي حكما والحقني بالصالحين فانه اراد بالمعطوف عليه تكميل
القوة النظرية وبالمعطوف تكميل القوة العملية وقال خطابا لموسى فاستمع لما يوحي انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني وقال حكاية عن
عيسى اني عبد الله اتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا اينما كنت فان كل ذلك اشارة الى كمال القوة النظرية ثم قال واوصاني
بالصلوة والزكوة ما دمت حيا اشارة الى كمال القوة العملية وكذلك وصايا لقمان لابنه في هذه السورة كما لا يخفى على المتامل
فيما ذكر من حكمته انه دخل على داود وهو يسرد الدرع وقد لين الله له الحديد كالطين فاراد ان يسأله فادركته الحكمة فسكت فلما
اتمها لبسها وقال نعم لبوس الحرب انت فقال الصمت حكمة وقليل فاعله فقال له داود بحق ما سميت حكيما وان داود قال له يوما
كيف اصبحت قال اصبحت في يدي غيري فتفكر داود فيه فصعق صعقة وان مولاه امره بان يذبح شاة ويأتي باطيب مضغتين
منها فاتى باللسان والقلب ثم امره بعد ايام بان يأتي باخبث مضغتين منها فاتى بهما فساله عن ذلك فقال هما اطيب ما فيها
اذا طابا واخبث ما فيها اذا خبثا وعن سعيد بن المسيب انه قال لاسود لا تحزن فانه كان من خير الناس ثلاثة من السودان بلال ومهجع
مولى عمر ولقمان وعن ابن عباس قال رسول الله صلعم اتخذوا السودان فان ثلثة منهم من سادات الجنة لقمان الحكيم والنجاشي وبلال المؤذن
ان اشكر لله لان اشكر على ان ان مصدرية او مفسرة لان ايتاء الحكمة في معنى القول وقد نبه الله تعالى على ان الحكمة الاصلية والعلم
الحقيقي هو العمل بهما وعبادة الله والشكر له حيث فسر ايتاء الحكمة بالبعث على الشكر وقرا نافع وابن كثير وابن عامر والكسائي وابو جعفر
ان اشكر بفتح النون اتباعا للكاف والباقون بكسرها على ما هو القانون في تحريك الساكن ومن يشكر فانما يشكر لنفسه لان نفع شكره انما يعود اليها
وهو دوام النعمة واستحقاق مزيدها ومن كفر فان الله غني لا يحتاج الى الشكر حميد حقيق بان يحمد وان لم يحمده احد او محمود يحمده نفسه قبل

حمد خلقه كما قال رسول الله صلعم استغفروا بما حمد الله به نفسه قبل ان يحمده خلقه وبما مدح به نفسه الحمد لله وقل هو الله احد فمن لم يشفه
القران فلا شفاه الله او بما حمده به جميع مخلوقاته بلسان الحال واذ قال لقمان لابنه اسمه انعم وقال الكلبي اشكم وقيل ماثان وهو يعظه يا بني تصغير
مرحمة وشفقة لا تشرك بالله قيل كان ابنه وامراته كافرين فما زال بهما حتى اسلما ومن وقف على لا تشرك جعل بالله قسما وقرا ابو عمرو وقال
لقمان بالادغام وقرا حفص يا بني بفتح الياء وتشديدها وابن كثير يا بني بسكون الياء وتخفيفها والباقون يا بني بكسرها وتشديدها ان
الشرك لظلم عظيم لانه تكذيب محض وتسوية بين الخالق المنعم والمخلوق المنعم عليه ووصينا الانسان بوالديه حملته امه وهنا ذات وهن او وهنا
وهنا والانسان من العام الذي خص به البعض وهو الذي لم يكن له الوالدان كادم عم وقرا الكسائي امه بكسر الهمزة على وهن اي تضعف ضعفا
فوق ضعف يعني تتزايد ضعفها وتضاعف لان الحمل كلما ازداد وعظم ازداد ثقلا وضعفا فوق ضعف وقال ابن عباس شدة بعد شدة
وقال مجاهد مشقة بعد مشقة والجملة في موضع الحال وقرئ وهنا على وهن بفتح الهاء فيهما يقال وهن يهن ووهن يوهن وهنا وفصاله في عامين
وفطامه في انقضاء عامين وكانت ترضعه في تلك المدة وقرئ وفصله بفتح الفاء وفتحها وفيه دليل على ان اقصى مدة الرضاع حولان وهو
مذهب ابي يوسف ومحمد والشافعي رحمهم الله واما ابو حنيفة فمدة الرضاع ثلثون شهرا وعنه ان فطمته قبل العامين فاستغنى بالطعام
ثم ارضعته لم يكن رضاعا وان اكل اكلا ضعيفا لم يستغن به عن الرضاع ثم ارضعته فهو رضاع محرم ان اشكر لي ولوالديك تفسير لوصينا او
علة له او بدل من والديه بدل الاشتمال وذكر الحمل والفصال في البين اعتراض مؤكد للتوصية في حقها خصوصا ومن ثم قال صلعم لمن قال له من
ابر امك ثم امك ثم قال بعد ذلك ثم اباك وبعبارة اخرى قوله حملته جملة معترضة بين المفسر والمفسر ايجابا للتوصية بالوالدة خصوصا وتذكيرا
لحقها العظيم مفردا وعن سفيان بن عيينة من صلى الصلوة الخمس فقد شكر الله ومن دعا للوالدين في ادبار الصلوة الخمس فقد شكر للوالدين
الي المصير المرجع فاحاسب على الشكر والكفر فاجازي على حسبها وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم باستحقاقه الاشراك تقليدا
لهما اراد بنفي العلم به نفيه اي لا تشرك بي ما ليس بشيء يعني الاصنام كقوله ما يدعون من دونه من شيء فلا تطعهما ذلك وصاحبهما في الدنيا
معروفا صحابا معروفا حسنا في الشرع وعادات الناس ومتواضعا من البر والاحسان في الخدمة في الاحوال والاوقات كلها من غير عنف و
خشونة واذى من شيء واتبع في الدين سبيل من اناب الي بالايمان والتوحيد وقيل واتبع دين من اقبل الي وهو النبي صلعم واصحابه
وعن عطاء عن ابن عباس يريد ابا بكر وذلك انه لما اسلم جاءه عثمان وطلحة والزبير وسعد بن ابي وقاص وعبد الرحمن بن عوف فقالوا له
قد صدقت هذا الرجل وامنت به قال نعم هو صادق فامنوا به ثم حملهم الى رسول الله صلعم حتى اسلموا فهؤلاء لهم سابقة الاسلام اسلموا
بارشاد ابي بكر فالمراد من اناب الي ابو بكر رضي الله عنه وقيل نزلت في سعد بن ابي وقاص وامه مكثت لاسلامه ثلثا لم تطعم
ولم تشرب فيها شيئا وقد سلفت القصة في سورة العنكبوت وقيل الاية عامة في حق كافة الناس ثم الي مرجعكم جميعا فانبئكم بما كنتم
تعملون فاخبركم بجميع ما عملتم من الحسنات والسيئات واجازيكم على حسبها والايتان معترضتان في تضاعيف وصية لقمان تاكيدا لما فيها
من النهي عن الشرك كانه قال وقد وصينا بمثل ما وصى وذكر الوالدين المبالغة في ذلك فانهما مع كما لهما في استحقاق التعظيم والطاعة لا
يجوز ان يطاعا في الاشراك فكيف بغيرهما يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل يعني الهنة او الخصلة من الاساءة والاحسان ان تك
مثلا في الصغر والحقارة كحبة الخردل وقرا نافع وابو جعفر مثقال بالرفع على ان الهاء ضمير القصة وكان تامة وتانيثها لاضافة المثقال الى
الحبة كقوله كما شرقت صدر القناة من الدم او لان المراد الحسنة او السيئة كما روي ان ابن لقمان قال لابيه يا ابت ان عملت الخطيئة حيث
لا يراني احد كيف يعلمها الله فقال يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة او في السماوات او في الارض في اخفى موضع من
الارض واحرزه كجوف الصخرة او اعلاه كمحدب السماوات او اسفله كمقعر الارض وقال قتادة تكن في جبل وقال ابن عباس هي صخرة
تحت الارض السابعة وهي التي تكتب فيها اعمال الفجار وخضرة السماء منها وقال السدي خلق الارض على حوت وهو النون الذي ذكره الله تعالى
في القران والقلم والحوت في الماء والماء على ظهر صفاة والصفاة على ظهر ملك والملك على صخرة وهي الصخرة التي ذكرها لقمان ليست في السماء ولا في
الارض والصخرة على الريح وقرئ فتكن بكسر الكاف من وكن الطاير يكن اذا استقر في وكنه وهي مستقرة ليلا وقرا يزيد البربري فتكن اي تخف

يأت بها الله يحضرها يوم القيمة فيحاسب عليها عاملها ان الله لطيف يصل علمه الى كل خفي خبير عالم بكنهه وعن قتادة لطيف باستخراجها خبير
بمستقرها وقال الحسن معنى الاية هو الاحاطة بالاشياء صغيرها وكبيرها وقيل ان هذه الكلمة آخر كلمة تكلم بها لقمان فانشقت مرارته من
هيبتها فمات يا بني اقم الصلوة لانها اجل الطاعات واشرف العبادات قال الله تعالى ولذكر الله اكبر ولانه من اقامها فقد اقام الدين
ومن هدمها فقد هدم الدين وامر بالمعروف بكل ما يحسن في الدين والمروة وقراءة سعيد بن جبير وامر بالمعروف وانه عن المنكر عن كل
ما انكره شرع الله والعقل السليم فانهما حجتان من حجج الله تعالى يحسنان ما حسنه واصبر على ما اصابك على كل
ما اصابك من الشدائد والمحن خصوصا في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مما فيه من اذى يبعثهم على الخير وينكر عليهم الشر وجهادهم وقتالهم
باللسان والجنان والاركان ولذلك صارت مرتبته اجل المراتب بعد مرتبة النبوة وصاحبه خير الناس بعد الانبياء كما نطق
به الحديث ان ذلك اشارة الى ما ذكر من الخصال الاربع من اقامة الصلوة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على المصائب من
عزم الامور اي مما عزم الله على عباده وجوبه او مما عزمه من الامور قطعه قطع ايجاب ومنه الحديث لا صيام لمن لم يعزم الصيام ومنه
ما روي عن ابن مسعود ان الله تعالى يحب ان يؤتى برخصه كما يحب ان يؤتى بعزائمه اي بفرائضه التي عزم على عباده وجوبها وقولهم عزمة
من عزمات ربنا ومنه عزمات الملوك وذلك ان يقول الملك لبعض من تحت يده عزمت عليك الا فعلت كذا انه قال ذلك لم يكن للمعزوم
عليه بد من فعله ولا مندوحة في تركه فهو من تسمية المفعول بالمصدر واصله من معزومات الامور اي مقطوعاتها ومفروضاتها ويجوز
ان يكون مصدرا بمعنى الفاعل اي ان اصله من عازمات الامور من قوله فاذا عزم الامر اي جد كقولك جد الامر وصدق القتال وفيه دلالة
بينة على ان هذه الطاعات كانت مفروضا بها في سائر الامم مامورا بها وان الصلوة لم تزل عظيمة الشان سابقة القدم على ما سواها
مرضيا بها في الشرائع ولا تصعر خدك للناس ولا تمل ولا تولهم صفحة وجهك كما يفعله المتكبرون وقال الزمخشري والمعنى اقبل على الناس
بوجهك تواضعا ولا تولهم شق وجهك وصفحته كما يفعله المتكبرون من الصعر وهو الصيد داء يصيب البعير ويعيب به فيلوي منه عنقه و
النبي صلعم التصعير الى الشدق قاله حين سئل عنه في تفسير قوله تعالى ولا تصعر وقرا نافع وابو عمرو وحمزة والكسائي ولا تصاعر وقرئ ولا
تصعر والكل واحد كقولك علاه وعالاه واعلاه وقال ابن عباس لا تتكبر فتحقر الناس وتعرض عنهم بوجهك اذا كلموك ولا تمش
في الارض مرحا مصدر فعل محذوف اي ولا تمش فيها تمرح مرحا او واقع موقع الحال بمعنى مرحا او علة اي لاجل المرح وهو البطر والا
شر اي ولا تكن غرضك في المشي البطالة والاشر كما يمشي كثير من الناس لذلك لا لكفاية مهم ديني او دنيوي ونحوه ولا تكونوا كالذين
خرجوا من ديارهم بطرا ان الله لا يحب كل مختال فخور علة للنهي وتاخير الفخور وهو مقابل للمصعر خده كبرا والمختال للماشي
مرحا لرعاية الفاصلة اي لا يحب كل من يختال في مشيه ويفتخر على الناس ويتكبر عليهم واقصد في مشيك قال عطاء امش بالوقار و
السكينة كقوله يمشون على الارض هونا وقيل واعدل في مشيك حتى يكون مشيا بين مشيين وهما الدبيب والاسراع قال عليه السلام سرعة المشي
تذهب بهاء المؤمن وقول عائشة رضي الله عنها في عمر كان اذا مشى اسرع فالمراد السرعة المرتفعة عن دبيب المتماوت وقرئ واقصد بقطع الهمزة
اي سدد في مشيك من اقصد الرامي اذا سدد سهمه نحو الرمية واغضض من صوتك وانقص منه واقصر من قولك فلان يغض من فلان
اذا قصر ووضع منه وقال مقاتل واخفض من صوتك ان انكر الاصوات اوحشها من قولك شيء نكر اذا انكرته النفوس واستوحشت منه ونفرت
لصوت الحمير اوله زفير وآخره شهيق وهما صوت اهل النار من اعداه وفي الخبر اذا سمع نهيق الحمير فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم وكذلك
اذا سمع نباح الكلاب وقال كثير منهم الحمار مثل في الذم البليغ وكذلك نهاقه ومن ثم يكنى عنه ويرغب عن التصريح فيقال طويل الاذنين كما
يكنى عن الاشياء المستهجنة والمستقذرة وتشبيه الرافعين اصواتهم بالحمير وتمثيل اصواتهم بالنهاق ثم اخلاء الكلام من لفظ
التشبيه واخراجه مخرج الاستعارة وان جعلوا حميرا وصوتهم نهاقا مبالغة شديدة في الذم والتهجين وافراط في التثبيط عن رفع
الصوت والترغيب عنه وتنبيه على انه من كراهة الله بمكان قال ابو هريرة قال النبي صلعم ان الله يحب الرقيق الصوت الخفيف الصوت ويبغض
الجاهر وعن جابر واسامة قال رسول الله صلعم ان الله تعالى يبغض الفاحش الصياح في الاسواق وعنه عليه السلام ان الله تعالى

يكره للرجل ان يرفع الصوت ويحب الخفيض الصوت رواه ابو امامة وتوحيد الصوت الحمير لان المراد تفضيل الجنس في النكير دون الآحاد او لانه مصدر في الاصل وعن موسى بن اعين سمعت سفيان الثوري يقول في قوله تعالى ان انكر الاصوات لصوت الحمير صياح كل شيء تسبيح الله الا الحمار وقال جعفر الصادق فيه هي العطسة القبيحة المنكرة وقرا ابن ابي عبلة اصوات الحمير والباقي اصوات الحمير الم تروا ان الله اي قد علمتم او شاهدتم ان الله سخر لكم ما في السموات ذللكم ما في السموات من الشمس والقمر والنجوم والسحاب فجعل الشمس سراجا وهاجا وظيا وطلقا اقواتكم التي تعيشون بها وتوقيتها والقمر نورا تعرفون باختلافه في الزيادة والنقصان اوقات الزراعة والتجارة والزكوة والحج والنوبة والنجوم معالم يهتدون بها في ظلمات البر والبحر والسحاب ما تحيون به وترزقونه وتحوه مع ما فيه من الشفاء كما نطق به الحديث وما في الارض من البحار والانهار الجارية والعيون النبعة والمعادن المتفننة والدواب المختلفة الصور والاشكال والافعال والنباتات المتلونة والاشجار المتنوعة بالثمار المختلفة الالوان والطعوم والروايح والهيات المطابقة لحوايج اهلها ومنافعهم ومصالحهم في صحتهم واعتلالهم واسبغ عليكم واتم واكمل عليكم نعمه ظاهرة وباطنة محسوسة ومعقولة ما تعرفونه وما لا تعرفونه والنعم كل ما ينتفع به النفس والتركيب يدل على اللين والملق ومنه شعر ناعم وثوب ناعم اي لين وعيش ناعم طيب ونعامة للين ريشها والانعام الازواج الثمانية للين خلقها وقراءة حمزة والكسائي وابن كثير وابو بكر وابن عامر وخلف نعمه واحدة النعم والباقون نعمه بالجمع والاضافة وقرا ابن قطيب نعمه ظاهره وباطنه بغير تنوين قالوا اللزم ان يقول ظاهرها وباطنها قال صاحب الغرايب كانه يذهب الى النعم وهو واحد وامثاله كثيرة في القراءة والشعر قلت ظاهرها ضعيف كما لا يخفى واختلفوا فيها فقال ابن عباس النعمة الظاهرة الاسلام والقرآن والباطنة ما ستر عليك من الذنوب ولم يعجل بالنقمة عليك وعن مجاهد الظاهرة ظهور الاسلام والنصر على الاعداء والباطنة الامداد بالملائكة وقيل الظاهرة الامداد بالملائكة والباطنة القاء الرعب في قلوب الكفار وقيل الظاهرة الاقرار باللسان والباطنة الاعتقاد بالقلب وقيل هي تمام الرزق والباطنة حسن الخلق وعن الضحاك حسن الصورة وامتداد القامة وتسوية الاعضاء والباطنة المعرفة وعن مقاتل تسوية الخلق والرزق والاسلام والباطنة ما ستر من الذنوب وعن عطا تخفيف الشرايع والباطنة الشفاعة وعن سهل بن عبد الله اتباع الرسول والباطنة محبته وقيل الظاهرة السمع والبصر واللسان وساير الجوارح الظاهرة والباطنة القلب والعقل والفهم وما اشبه ذلك ويروى في دعاء موسى عم الهي دلني على اخفى نعمتك على عبادك فقال اخفى نعمتي عليهم النفس ويروى ان ايسر ما يعذب به اهل النار الاخذ بالانفاس وقرئ واصبغ بابدال السين وهو جار في كل سين اجتمع مع الغين او الخاء او القاف كصلخ وصقر ومن يجادل في الله في توحيده وصفاته بغير علم بجهل مفرط لا يشوبه شيء من علم نزلت في النضر بن الحرث وابي بن خلف وامية بن خلف واضرابهم من الكفرة المتمادين في الجهل والفساد كانوا يجادلون رسول الله صلعم في توحيد الله وصفاته بغير علم مستفاد من دليل ولا هدى راجع الى رسول ولا كتاب منير انزل الله بل بتقليد والمراد بالعلم العلم الضروري وبالهدى النظر والاستدلال لانه يهدي الى العلم واليقين وبالكتاب المنير الوحي المنزل على رسول الله صلعم ومن اضل واجهل في المجادلين كلهم من يجادل بظن وتخمين لا باحد هذه الثلثة وذلك ليس الا لاعراقهم في الكفر بالحق وشدة شكيمتهم فيه وتوغلهم في العتو والعناد وانهماكهم في الجهل والضلالة وتقليد الآباء الجهلة الضلال كما قال واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا وهو منع صريح من التقليد في الاصول اولو كان الشيطان يدعوهم الهمزة للانكار والتعجب والواو للعطف والمعطوف عليه محذوف كانه قيل ايتبعونهم ولو كان الشيطان يدعوهم اي في حال دعاء الشيطان اياهم الى عذاب لا يكتنه كنهه والضمير اما لهم او لآبائهم والا باتهم الى عذاب السعير الى ما يؤول اليه من التقليد والاشراك وجوابه محذوف مثل اتبعوا والسعير نار شديدة الاشتعال واكثر جهنم اعاذنا الله منها بحرمة [illegible] ومن يسلم وجهه الى الله قيل يخلص دينه لله ويفوض امره اليه ومعناه اسلم وجهه لله باللام جعل ذاته ونفسه سالما لله اي خالصا والى الله بالى سلم اليه نفسه كما يسلم المتاع الى الرجل اذا دفع اليه ويعضده قراءة علي رضي الله عنه ومن يسلم بتشديد اللام اي ومن يتوكل على الله ويفوض اليه امره وقرا الخليل ومن يسالم بالالف وهو محسن في عمله فقد استمسك بالعروة الوثقى فقد تعلق باوثق ما يتعلق به وهو تمثيل لحال

المتوكل

المتوكل المحسن في العمل بحال من اراد ان يترقى الى شاهق جبل فاحتاط لنفسه بان استمسك باوثق عروة من الحبل المتين المأمون انقطاعه وقيل هو اعتصم بالعهد الاوثق الذي لا يخاف انقطاعه والى الله عاقبة الامور لان الكل صاير اليه ومن كفر فلا يحزنك كفره وكيده للاسلام فان الله يكفيك من شره وقري فلا يحزنك من احزنه وليس بمستفيض وقرئ يحزنك وهو المستفيض كالعامة الينا مرجعهم في الدنيا والآخرة فننبئهم بما عملوا فنجزيهم باعمالهم وجزاؤهما من التعذيب والاهلاك ان الله عليم بذات الصدور يبلغ العلم بما في صدور عباده فيجازيهم على حسبه افاد بانباه جميع الاعمال ثم بعلمه الكامل بكل ما في القلوب ان شيئا من الاعمال الظاهرة والباطنة غير خاف عليه ولا عازب عنه فحقه ان يتقى ويحذر ما الحظه ويتبع رضوانه ولا يجترأ على شيء مما يخالف رضاه نمتعهم قليلا تمتيعا او زمانا قليلا لان الدنيا الفانية بالنسبة الى الآخرة الباقية الابدية قليل ثم نضطرهم الى عذاب غليظ ثم نلجئهم ونردهم في الآخرة الى عذاب النار الذي هو ثقيل عليهم ثقل الاجرام الغلاظ او يضم الى الاحراق الضغط والشرب من الحميم او لسع الحيات والعقارب او غير ذلك مما فيه غلظة وشدة لا يكتنه كنهها ولا يقادر قدرها وشبه الزامهم التعذيب وارهاقهم اياه باضطرار المضطر الى الشيء الذي لا يقدر ان لا ينفك منه ونكر العذاب تهويلا وتعظيما وابهاما لامره كانه قال الى عذاب غليظ لا يعرف كنهه لعظمه وشدته وقرا يحيى بن يعمر ثم نمتعهم ثم نضطرهم والخليل يمتعهم ثم يضطرهم بالياء ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ليقولن خلقهن الله لوضوح الدليل المانع من اسناد خلق العالم الى غيره بحيث اضطروا الى الاعتراف وهذا الاقرار منهم حجة عليهم حيث نسبوا الخلق الى الخالق القادر على كل شيء وقد جعلوا العبادة للمخلوق الذي هو اعجز المخلوقات واحقرها واخسها ثم امر رسوله بقوله قل الحمد لله على الزامهم والجائهم الى الاقرار بما هو حجة ويوجب بطلان معتقدهم بل اكثرهم لا يعلمون ما يقولونه وما فيه من الدلالة على بطلان الشرك وصحة التوحيد ومن الزامهم على اقرارهم وتوبيخهم بما يحكيه عنهم لله ما في السموات والارض اي يختص به ما في العالم او جميع ما في السموات والارض مختصة به خلقا وملكا وعلما فهو مستغن بملكه لهم عن الشريك والظهير وكيف يستحق الشركة والعبادة فيهما غيره وكيف يخفى عليه اقوالهم وافعالهم واحوالهم وان اجتهدوا في سترها عن الغير ان الله هو الغني عن العالمين لا يحتاج الى احد منهم في شيء من الاشياء وهو علة اخرى لنفي الشريك لان المشاركة في شيء واتخاذ الشريك فيه مسبب عن الحاجة فمن الحاجة منتفية عنه كان اتخاذ الشريك عنه منتفيا الحميد الحقيق بالحمد كله وان لم يحمد والمحمود بما حمد به نفسه قبل ان يحمده خلقه ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام قوله ان ما ليس مبتدا لان لو لا يدخل الا على الفعل بل هو فاعل فعل محذوف تقديره ولو ثبت ان ما في الارض من شجرة اي كون الاشجار اقلاما وانما قال شجرة بالتوحيد دون اسم الجنس الذي هو شجر لان المراد تفصيل الشجر وتقصيها شجرة شجرة حتى لا يبقى من جنس الشجر واحدة الا قد بريت اقلاما والبحر يمده من بعده سبعة ابحر والبحر المحيط بسعته مدادا ممدودا بسبعة ابحر فجعل البحر الاعظم بمنزلة الدواة وجعل الابحر السبعة مملوة مدادا فهي تصب فيه مدادها ابدا صبا لا ينقطع واغنى عن ذكر المداد قوله يمده لانه من مد الدواة وامدها والمعنى ولو ان اشجار الارض اقلام والبحر ممدود بسبعة ابحر وكتبت بتلك الاقلام وبذلك المداد كلمات الله لما نفدت كلماته ونفدت الاقلام والمداد كقوله قل لو كان البحر مدادا الآية وقراءة غير ابي عمرو ويعقوب والبحر بالرفع عطفا على محل ان ومعموليها اي ولو ثبت كون الاشجار اقلاما وثبت البحر ممدودا بسبعة ابحر او لانه مبتدا والواو للحال اي ولو ان الاشجار اقلام في حال كون البحر ممدودا ونصبه عطفا على اسم ان او حملا على اضمار فعل يفسره يمده فتكون الجملة حالا ايضا وقرا عبد الله وبحر يمده على التنكير فيحمل على الوجه الاول وقرئ تمده ويمده بالتاء والياء وقراءة الخليل والبحر يمده من امد بمعنى مد ما نفدت كلمات الله جواب لو اي ما نفدت كلماته وما انقضت واوثر جمع القلة على الكثرة وهي الكلم اشعارا بان ذلك لا يفي بالقليل وكيف بالكثير وقرا زيد بن علي كلمة الله بالتوحيد ان الله عزيز حكيم بليغ العزة والحكمة لا يعجزه شيء ولا يخرج من علمه وحكمته شيء او عزيز لا نهاية لعزته حكيم لا نهاية لحكمته وعلمه فلا تنفد كلماته وحكمه وان نفدت الاقلام والمداد لتناهيهما وفيه دلالة على انه تعالى عالم بالكليات والجزئيات وعن ابن عباس ان الآية نزلت جوابا لليهود لما قالوا قد اوتينا التوراة وفيها الحكمة كلها وقيل ان المشركين قالوا ان هذا يعنون الوحي كلام سينفد فاعلم الله تعالى ان كلامه لا ينفد وهذه الآية عند عطاء مدنية وانها انزلت بعد الهجرة والاكثرون على انها مكية وانما امر اليهود وفد قريش ان يسألوا رسول الله عن قوله وما اوتيتم من العلم الا قليلا وقد انزلت التوراة وفيها علم كل شيء ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة اي الا كخلق نفس واحدة وبعثها لا يتعذر عليه شيء ولا يتفاوت في قدرته الواحد

والجمع والقليل لانه متعالى عن ان يشغله شان عن شان وفعل عن فعل اذ يكفي لوجود الكل تعلق ارادته القديمة مع قدرته الباهرة الشاملة
كما قال انما امرنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون فلا تتفاوت في قدرته النفس الواحدة والنفوس الكثيرة العدد وما ايجادكم واعادتكم
الا كنفس واحدة في الاسم والامكان لان الاعادة ابتداء ثان فهو ممكن كما بتداء الاول وهو ايجادكم اولا ان الله سميع بصير يسمع كل مسموع
ويبصر كل مبصر في حالة واحدة لا يشغله ادراك بعضها عن ادراك بعض فكذلك الخلق والبعث الم تر ان الله يولج الليل في النهار ويولج
النهار في الليل اي يوصل كلا منهما بعقيب الاخر او يزيد في احدهما ما ينقص من الاخر من الساعات او يجعل ظلم الليل في مكان ضوء النهار
بتغيب الشمس وضوء النهار في مكان مظلمة الليل باطلاعها وهذا معنى ايلاج احد الملوين في الاخر وسخر الشمس والقمر اي وجعلهما مذللين
لكم معدين لمنافعكم كل يجري كل واحد من الشمس والقمر يجري في فلكه ويقطعه الى اجل مسمى الى وقت معلوم الشمس الى اخر السنة والقمر الى الشهر وقال
الحسن الى يوم القيمة اذ لا ينقطع جريهما الا حينئذ وقيل الفرق بينه وبين قوله لاجل مسمى ان الاجل ههنا منتهى الجري وثمة غرضه حقيقة او مجازا
وكلا المعنيين حاصل في الغايات والخطاب في الم تر لرسول الله صلعم او لكل من يتاتى منه الرؤية ويعضده فخطاب الجمع الاتي بعده ووجه اتصالها
بما قبلها ان كفار قريش لما انكروا البعث وهو اصل ايجادتهم ومدارها احتجوا بخلق الملوين وتسخير النيرين لانهم كانوا مقرين بان الله هو خا
لقهما ومسخرهما وانهما خلق عظيم فقيل الم تروا ان الله الذي يضاف اليه البعث كيف خلق هذه الخلائق العجيبة الدالة على كمال قدرته وحكمته
الناطقة بوحدته فاوجه الانكار قدرته على البعث وما هو الا اختراع كهذه الاختراعات وان الله بما تعملون خبير عالم بكنهه لا يخفى عليه شيء منه
كما لا يخفى عليه ما سواه وقرا ابو عمرو والخليل بما يعملون بالياء ذلك بان الله هو الحق ذلك الذي وصف من الافعال الخارقة التي لا يشاركه
فيها احد ويعجز عنها الاحياء القادرون العالمون فكيف بالجماد الاعجز الاحقر من كل شيء بان الله هو الحق بسبب انه الثابت في ذاته الواجب
من جميع جهاته او الثابت الالهية وان ما يدعون من دونه الباطل وان كل ما يدعى الها دونه باطل الدعوة او المعدوم في حد ذاته لا يوجد
ولا يتصف الا بجعله او الباطل الالهية وقرا نافع وابن عامر وابن كثير وابو بكر وابو جعفر تدعون بتاء الخطاب حملا على ما قبله من الخطاب
والباقون بالياء التفاتا منه الى الغيبة ويجوز ان يراد يدعون مبنيا للمفعول على ان الواو عائدة الى ما فانه في معنى الالهة وقرا زيد بن عمير وان
ما يدعون من دونه الباطل بنصب الباطل والحسن وان بكسر الهمزة وابن السميفع ما يدعون بفتح الياء وان الله هو العلي الكبير وان الله لا شيء
اعلا منه شانا واكبر سلطانا او وانه هو العلي شانه الكبير سلطانه وقيل مرتفع عن كل شيء ومتسلط عليه او ذلك الذي اوحي اليك من الايات
بسبب بيان ان الله هو الحق وان الها غيره باطل وان الله هو العلي الكبير عن ان يشرك به الم تر ان الفلك تجري في البحر بنعمت الله برحمته واحسانه
في تهيئة اسبابه والباء للصلة او حال من ضمير الفلك ويجوز ان يتعلق بتجري اي بسبب نعمه هو دليل اخر على عظيم قدرته وحكمته وشمول انعامه
وقرا الفلك بضم اللام وكل يجوز فيه فعل كما يجوز في كل فعل على مذهب التعريف وقرئ بنعمات الله بسكون العين وعين فعلات يجوز فيها الكسر
والفتح والسكون ليريكم من اياته دلائله الواضحة على وجوده ووحدته وعظم قدرته وباهر حكمته وقيل من اياته ان من عجائب صنعه في البحار ان في ذلك
اشارة الى الفلك والبحر وجريها فيه والاراءة بتاويل المذكور او التابع لايات لكل صبار على بلاء الله او على المشاق فيتعب نفسه بالتفكر في الافاق شكور
بليغ الشكر على نعمائه وهما صفتا المؤمن المخلص فان الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر فجعلهما كناية عنه وهو الذي جعل جل همته
في التفكر في ايات الله والنظر في الاية ونعمائها فهو يستملي منها العبر وهو قليل وذلك ان اهل الايمان على قسمين مؤمن صابر وشاكر ومؤ
من صابر وشكور والاول كثير والثاني قليل قوله تعالى وقليل من عبادي الشكور والمعنى ان في ذلك الايات لكل مؤمن بالغ في الصبر والشكر
واذا غشيهم علاهم وغطاهم موج كالظلل كما يظل من جبل وسحاب او غيرها وقرئ كالظلال وهو ايضا جمع جمع ظلة كغلة وقلل وقلال
والجمع والموج في الاصل مصدر من ماج البحر يموج موجا اذا اضطربت امواجه ثم جعل اسما لكل متحرك مرتفع من الماء بسبب الريح وهو
اذا تراكب يعود مثل الظلل واذا اغشاهم بالالف في قراءة الخليل دعوا الله مخلصين له الدين لتخفيف له الدين من الشرك لانهم لا يدعون حينئذ
غيره معه لزوال الهواء والتقليد المنازعين للفطرة بخوف الهلاك وقرا الخليل دعوا الله بكسر الواو على مذهب ابن يعمر فلما نجاهم الى البر
عدى التنجية بالى لتضمنها معنى التنزيل كانه قيل فلما نجاهم منزلا او منزلين من البحر الى البر ويجوز ان يكون المعنى فلما نجاهم الى العرق فمنهم

منتهين ما

الى البر فمنهم مقتصد مقيم على طريق القصد وهو التوحيد او متوسط في الكفر والظلم خفف من غلوانه لانه انزجر بعض الانزجار وقيل اي عدل مو ف
في البر بما عاهد الله عليه في البحر من التوحيد يعني ثبت على ايمانه روي انها نزلت في عكرمة بن ابي جهل هرب عام الفتح الى البحر فجاءهم ريح عاصف
فقال عكرمة لئن انجاني من هذه لارجعن الى محمد ولاضعن يدي في يده فسكنت الريح فرجع الى مكة واسلم وحسن اسلامه وما يجحد باياتنا
الا كل ختار غدار فانه نقض للعهد الفطري او لما كان في البحر والختر اشد الغدر ولذا سواه ومنهم قولهم انك لا تمد لنا شبرا من غدر الا
باعا من ختر قال وانك لو رايت ابا عمير ملأت يديك من غدر وختر وقيل ختار هو الذي لا يفي بعهد ولا عقد وقرا الحسن الا كل بالنصب
كفور بليغ في كفران النعم يا ايها الناس اتقوا ربكم في كفران النعم السابغة عليكم والاخلال بما يجب عليكم من حقوقه وحقوق بينكم ن
المراد بالتقوى ههنا تقوى عامة وهي ان يتقوه فيما يتصل بحفظ حقوقه وحقوق ما بين الناس وذلك ليس الا باجتناب الكفر مطلقا
ولذلك قال بعده واخشوا يوما لا يجزي يوم ولا يراد به ولتعظيم ابهام امره نكره ولم يعرفه كانه قال يوم لا يعرف كنهه لعظمه من
عظمته وبعض صفاته العظيمة انه لا يجزي اي لا يقضي فيه والد عن ولده شيئا من الحقوق ومنه الحديث في جذعة بن دينار تجزي عنك
ولا تجزي عن احد بعدك ومنه قليل للمتقاضي المتجازي وقرئ لا يجزئ من اجزا عنه اذا اغنى عنه والجملة منصوبة المحل صفة ليوما والعائد
منها الى الموصوف محذوف وهو فيه كقوله ترقى احد ان يقتلني بغني سيري بابا قة بالتوراح اي جني في السير وافلتني مكانا اجد ذلك المكان
بان يقتلني فيه من مكان انت فيه فحذف الضمير والمفضل عليه وقرا عكرمة لا يجزي بضم الياء من غير همز ومعنى التوكيد ان والد من الوالدين
لا يجزي عن ولده شيئا من الاشياء ثم ذكر عكسه فقال ولا مولود عطف على والد او مبتدأ وخبره قوله هو جاز عن والده شيئا وتغيير النظم بالعدول ول
عن الجملة الفعلية الى الاسمية المنضم اليها هو ومولود للدلالة على ان المولود اولى بان لا يجزي والانتساط الكلي لقطع الطمع من توقع من المؤمنين
ان ينفع اباه الكافر في الاخرة وذلك بسبب ان الاسمية اكد من الفعلية ومعنى في لفظ المولود ان الواحد منهم لو اراد ان يجزي عن والده الذي
ولد منه شيئا من الاشياء لم يقدر فضلا ان يجزي عن اجداده لان الولد يقع على ولد الصلب وغيره بخلاف المولود فانه يختص بولد الصلب ولا
يتحمل غيره وذلك لاشتغال كل امرئ بما هو مرفوع اليه كما قال تعالى لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه وقال ابن عباس كل امرئ تهمه نفسه
ان وعد الله بالثواب والعقاب او بيوم القيمة ويجوز ان يكون الوعد بمعنى الموعود فيشمل كلها وعد الله تعالى به حق صدق لا يمكن خلفه
في العادة الربانية والحكمة الالهية كما قال انما توعدون لصادق فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يخدعنكم الدنيا ولا بد هلاكهم التمتع بها او
لتلذذ بمنافعها عن طلب الاخرة والسعي لها ولا يغرنكم بالله الغرور الشيطان لانه المبالغ في الغرة بالله بجبراه وقرا ابن ابي بجبيره ع
اسحق ويعقوب ولا يغرنكم بالنون الخفيفة والمعنى لا يخدعنكم بالله بليغ الخداع بان يمنيكم مغفرة مع الاصرار على المعاصي
ويقول لكم اعملوا ما شئتم وقيل بان يرجيكم التوبة والمعاصي فيجرئكم على المعاصي وعن سعيد بن جبير الغرة بالله ان يتمادى الرجل في
المعصية ويتمنى على الله المغفرة وقيل ذكرك لحسناتك ونسيانك لسيئاتك غرة وقرئ الغرور بضم الغين وهو مصدر غره كاللزوم م
جعل الغرور غارا كما قيل جد جده او اريد زينة الدنيا لانها غرور ويجوز ان يكون جمع غار كقاعد وقعود ان الله عنده علم الساعة علم
وقت قيامها لما روي ان الحرث بن الحارثة قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اخبرني عن الساعة متى قيامها واني قد القيت حباتي
في الارض وقد ابطات عنا السماء فمتى تمطر وحمل امراتي اذكر ام انثى وما اعمل غدا وهذا مولدي قد عرفته فاين اموت فنزلت وعنه
عليه السلام مفاتح الغيب خمس وتلا هذه الاية وعن ابن عباس من ادعى علم هذه الخمسة فقد كذب اياكم والكهانة فانها تدعوكم الى
الشرك واهله في النار وعن المنصور انه اهمه معرفة عمره فرأى في منامه كان خيالا اخرج يده من البحر واشار اليه بالاصابع الخمس
الخمس فاستفتى العلماء في ذلك فتاولوها بخمس سنين وبخمسة اشهر وغير ذلك حتى قال ابو حنيفة رضي الله عنه تاويلها ان
مفاتح الغيب لا يعلمها الا الله وان ما طلبت معرفته لا سبيل لك اليه وارتفع علم الساعة بانه فاعل الظرف او مبتدأ قدم عليه خبره
والجملة خبر لان وينزل الغيث في ابانه المقدر له والمحل المعين له في علمه وقرا نافع وابن عامر وعاصم وابو جعفر بتشديد الزاء وهو عطف على
خبره قالوا فيه دليل على قوة شبه الظرف بالفعل ويعلم ما في الارحام اذكر ام انثى تام او ناقص وكذلك ما سوى ذلك من الاحوال وما تدري نفس

ماسوى ما

برة او فاجرة ماذا تكسب غدا من خير او شر وربما كانت عازمة على شيء فعلت خلافه وما تدري نفس باي ارض تموت كما لا تدري
في اي وقت تموت روي ان ملك الموت مر على سليمان عليهما السلام فجعل ينظر الى رجل من جلسائه يديم النظر اليه قال الرجل من هذا
قال الملك الموت فقال كانه يريدني وسأل سليمان ان يحمله على الريح ويلقيه ببلاد الهند ففعل ثم قال الملك لسليمان كان دوام
نظري اليه تعجبا منه لاني امرت ان اقبض روحه بالهند وهو عندك وانما جعل العلم لله والدراية للعبد لان فيها معنى الحيلة و
المعنى انها لا تدري وان اعملت حيلتها يلصق بها وتختص ولا يتخطاها ولا شيء اخص بالانسان من كسبه وعاقبته فاذا لم يكن لها
طريق الى درايتهما ومعرفتهما كان الى دراية ما عداهما ابعد وقرا ابي بن كعب باية ارض وشبه سيبويه تانيثها بتانيث كل في
قولهم كلتهن وقيل اراد بالارض المكان ان الله عليم بليغ العلم بكلي جزئي وكلي من الغيب والشهادة لا يخفى عليه شيء من ذلك
خبير يعلم باطنها وظاهرها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة لقمان كان رفيقا يوم القيمة واعطي من الحسنات
عشرا بعدد من امر بالمعروف ونهى عن المنكر تم الكتاب بعون الله الملك الوهاب على يد عبد الضعيف اسماعيل بن محمد
السيد النصري في اليوم السابع في وقت الضحى في يوم الاربعاء في شهر رجب المرجب سنه عشرين والف

منلا افندی یوه واخوانه صفاوه رجا وتمنامز بودر که هر بارکه بو تفسیری نکه انتقالنه نظر بیورلر اولر قده بو خطاکی نقصانه
وقصورنه قالمیوب بو ضعیف وحقیر بنده لرنی خیر دعا ایله یاد ایده لر